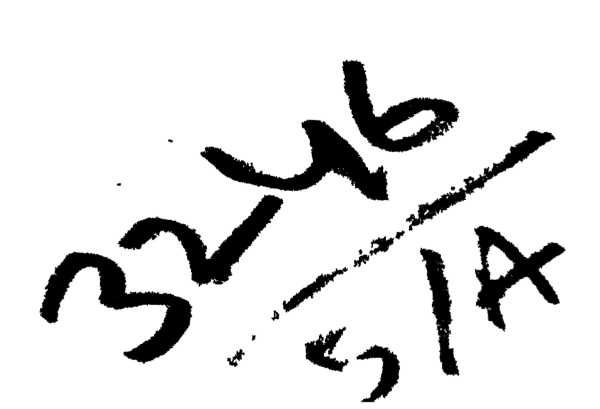


فهرست المجلد الرابع من التفسيرين الجليلين * الاول * المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل * الثاني * المسمى بلباب التأويل في معاني التنزيل

معارف نظارت جليله سنك (٢٤٣) و (٦٣٦) نومرولى تاريخلى رخصتنامه سيله
مطبعهٔ عامره ده طبع اولنمشدر

الجلد الرابع من التفسيرين الجليلين

المسبوك عليهما سطور الذهب سبك اللجين

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام الحبر النحرير حاوى فضيلتى البيان والبنان فى التقرير والتحرير كاشف قناع المشكلات وموضح دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلى أفضل الورى علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الشافعى المتوفى سنة (٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة والائمة ناصر الشريعة ومحيى السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى الشافعى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه سنة (٧٢٥) تغمده الله برحمته آمين

قد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين * الاول المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفى الحنفى المتوفى سنة (٧٠١) عليه سحائب الرحمة والرضوان

الثانى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابى طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشافعى المتوفى سنة (٨١٧)

تنبيه

يقول المتوسل الى الله احمد وهبى بن عثمان حامى القره حصارى المصحح بدار الطباعة العامرة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت انوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل تحتها مفصولا بينهما بجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بجدول

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣١٩ هجرى



المجلد الرابع

سبحانك فقنا عذاب النار

سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴾ سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما فيقطع عن الاضافة ويمنع عن الصرف قال

قد قلت لما جاءنى فخره ＊ سبحان من علقمة الفاخر

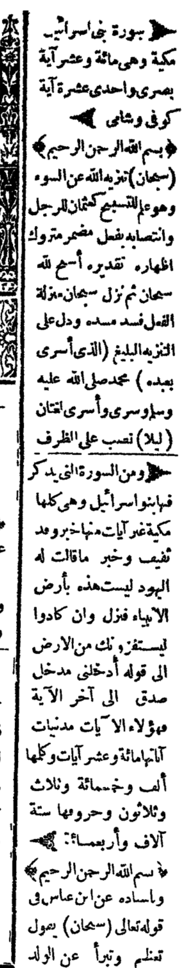
وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل

تفسير سورة الاسراء

﴿ فصل فى نزولها ﴾ قال ابن الجوزى هى مكية فى قول الجماعة الا أن بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس انه قال هى مكية الا ثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدنى وقل رب أدخلنى مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتى تليها وهى مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

＊ قوله عز وجل ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴾ روى ابن الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شئ هكذا ذكره ...


﴿ سورة بنى اسرائيل مكية وهى مائة وعشر آية بصرى واحدى عشرة آية كوفى وشامى ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذى أسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم وسرى وأسرى لغتان (ليلا) نصب على الظرف

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها بنو اسرائيل وهى كلها مكية غير آيات منها خبر وفد ثقيف وخبر ما قالت له اليهود ليست هذه بأرض الانبياء فنزل وان كادوا ليستفزونك من الارض الى قوله أدخلنى مدخل صدق الى آخر الآية فهؤلاء الآيات مدنيات آياتها مائة وعشر آيات وكلمها ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون وحروفها ستة آلاف وأربعمائة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبحان) يقول تعظم وتبرأ عن الولد والشريك (الذى أسرى بعبده) سير عبده ويقال ادلج عبده محمدا عليه السلام (ليلا) أول الليل

(الخوبوب)

مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل أى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به ﴿ من المسجد الحرام ﴾ بعينه لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد أو لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فى بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى النبيون عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا أتصدقه على ذلك قال انى لأصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبرهم ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام أو فى اليقظة بروحه أو بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش منه واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو فى

النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله فى اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل مالا ينبغى الذى أسرى يقال سرى به وأسرى به لغتان بمعنى أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يخالف أحد من الامة فى ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم وما قول بعضهم

لاتدعنى الا بياعبدها ۞ فانه أشرف أسمائى

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل اليه يامحمد بم شرفتك قال رب بنسبتى الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴿ فان قلت الاسراء لايكون الا بالليل فامعنى ذكر الليل ﴿ قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه أسرى به فى بعض ليلة من مكة الى بيت المقدس مسيرة شهر او أكثر فدل تنكير الليل على البعضية ﴿ من المسجد الحرام ﴾ قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفى حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتى بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبى طالب

الاسراء وأنه أسري به فى بعض الليل من مكة الى بيت المقدس مسيرة أربعين ليلة (من المسجد الحرام) قيل اسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق وقد عرج بى الى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى فى السماء من العجائب وانه لقى الانبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان فى اليقظة وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت والله مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الاول الجمهور اذ لافضيلة للحالم ولا مزية للنائم

(من المسجد الحرام) من الحرم من بيت أم هانئ بنت أبى طالب (الى المسجد الاقصى) ابعد من الارض وأقرب الى السماء يعنى مسجد بيت المقدس

مايحمله والتعجب من لوازم المعجزات ﴿ الى المسجد الاقصى ﴾ بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ كذهابه فى برهة من الليل مسيرشهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء ﴿ انه هو السميع ﴾ لاقوال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ البصير ﴾ باعماله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك

وهى بنت عمه أخت على رضى الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم ﴿ الى المسجد الاقصى ﴾ يعنى الى بيت المقدس سمى أقصى لبعده عن المسجد الحرام أولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ يعنى بالانهار والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة ، فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الاسراء كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين ومافائدة ذكر المسجد الاقصى فقط ، قلت قد كان الاسراء على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لواخبر بصعوده الى السماء أولا لاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه أسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبر به من العلامات التى فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه الى السماء فجعل الاسراء الى المسجد الاقصى كالتوطئة لمعراجه الى السماء وقوله تعالى ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ يعنى من عجائب آياتنا قال ابن عباس أى محمد صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة الانبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام ، قال ان لفظة من فى قوله من آياتنا تقتضى التبعيض وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولاقائل به فالوجه ان ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أيضا ولآيات الله أفضل من ذلك وأكبر والذى اراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم ﴿ انه هو السميع ﴾ لاقواله ودعائه ﴿ البصير ﴾ لافعاله الحافظ له فى ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسراه الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من الكذب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بافعالهم فيجزى كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى

(الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء عليهم السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة (لنريه) أى محمدا عليه السلام (من آياتنا) الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات ومافيها من الآيات (انه هو السميع) للاقوال (البصير) بالافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة

(الذى باركنا حوله) بالماء والاشجار والثمار (لنريه) لكى نرى محمدا صلى الله عليه وسلم (من آياتنا) من عجائبنا فكل مارأى تلك الليلة كان من عجائب الله (انه هو السميع) لمقالة قريش (البصير) بهم وبمسير عبده محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾

فى ذكر حديث المعراج ومايتعلق به من الاحكام وما قال علماء فيه (ق) عن انس [illegible]

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذ اتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي مايعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود أهو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا بيحيي وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيي وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذان ياجبريل قال أما الباطنان

فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي * زاد في رواية أخرى وأجزي بالحسنة عشرا. وفي رواية أخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة وفيه فرفع الى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه قال نعم فافتح فتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ماقال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم

مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى ابن مريم
قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم
قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم ان ابن عباس وأباحبة الانصاري كانا يقولان قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام
قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين
صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على امتك
قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان أمتك لاتطيق ذلك
قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك
فان أمتك لاتطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهن خمسون لايبدل القول
لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي
جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لاأدري ماهي قال ثم أدخلت الجنة
فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نمر أنه سمع أنس بن مالك
يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر
قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو
خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى
قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه
فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل مابين نحره الى لبته حتى فرغ
من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من
ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشابه صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج
به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا
ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا يستبشر به أهل السماء
لايعلم أهل السماء مايريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه
السلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا وأهلا يابني
نعم الابن أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ماهذان النهران ياجبريل
قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من
لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر قال ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذي
خبألك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ماقالت له الاولى من
هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا
ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ماقالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة
فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة
فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء
قد سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم
أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى

رب لم أظن أن يرفع على أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يارب ان أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني اسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياموسى قد والله استحييت من ربي مما اختلف اليه قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري وأدرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند فذكر من أول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الالفاظ الا ما نورده على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل [illegible] قيل من أنت قال [illegible] قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث [illegible] ففتح [illegible] فاذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج [illegible] الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد [illegible] وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام واذا هو [illegible] شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل

﴿ تقبل ﴾

فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب ودعالي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يارب خفف على امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه هذه رواية مسلم * وأخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هكذا ما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وأخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال فرجعت الى ربي فسألته التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها أمر الله جرى بقول حتم فلم أرجع

فصل

قال البغوي قال بعض اهل الحديث ماوجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيأ لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس وأحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح لان هذا كان رؤيا في النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه

التي رآها من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقا سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك في هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشرة شهرا وقال الحربي كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيي الدين وأشبه الاقوال قول الزهري وابن اسحق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الاخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها

فصل

في شرح بعض الفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك كان رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم * قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أو لشدة صفائه وبياضه

ولمعانه وتلألئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لايقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى * وقوله جاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال لى اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعنى فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها أم الخبائث وجالبة لانواع الشر * قوله ثم عرج بى حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن وان يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكروه وفيه ان للسماء أبوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه وفى الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لايخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح فى معناه وقيل غيره * وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جاعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر افضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان فى وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة * وقوله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها * وقوله ثم ذهب بى الى السدرة هكذا وقع فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهى اليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها من امر الله عز وجل * وقوله واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى تسع قربتين أو أكثر * قوله فرجعت الى ربى قال الشيخ محي الدين النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا * وقوله فلم ازل أرجع بين موسى وبين ربى معناه وبين موضع مناجاة ربى عز وجل قلت وأما الكلام على معنى الرؤية ومايتعلق بها فانه سيأتى ان شاء الله تعالى فى تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى * قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمتى خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفى الرواية الاخرى فوضع عنى عشرا وفى الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهى رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البنانى وقتادة وهما أثبت من شريك فالمراد حط عنى خمسا الى أخره ثم قال هى خمس وهن خمسون يعنى خمسين فى الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشئ قبل فعله وفى أول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق ايضا فى صغره وهو عند حليمة التى كانت ترضعه فالمراد بالشق الثانى زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج * وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء

الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه *وقوله ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغها في صدري فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطست شئ يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسما ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز *وقوله في صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث بانه نسم بنيه يعني أرواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه أنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر بما رأى *وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم *وقوله في ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على أن ادريس هو أخنون وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس أبا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو أخ وان كان أبا لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله أعلم

فصل

في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء قال البغوي روي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسري بي الى السماء أصبحت بمكة فضقت بأمري وعرفت أن الناس يكذبوني فروي انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به أبو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شئ قال نعم أسري بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم اصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتني به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم أسري بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا وارتد أناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى أبي بكر فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس

قال أو قد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أو تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة قبل أن يصبح قال نعم انى أصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وكان فى القوم من أتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنعت حتى التبس على قال فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهى أهم الينا هل لقيت منها شيأ قال نعم مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى مر فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فاعددها وأحمالها وهيئتها فقال كنت فى شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيأ وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لى أنظر اليه ما يسألونى عن شئ الا أنبأتهم به وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءة واذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى واذ ابراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فامتهم فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام (ق) عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتنى قريش قمت الى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه زاد البخارى فى رواية له لما كذبنى قريش حين أسرى بى الى بيت المقدس وذكر الحديث (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الاحمر فاذا هو قائم يصلى فى قبره ✽ عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق أخرجه الترمذى فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلى فى قبره وكيف صلى بالانبياء فى بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم فى السموات وسلموا عليه وترحبوا به

(وآتينا موسى الكتاب وجعلناه) أي الكتاب وهو التوراة (هدى لبني اسرائيل أن لاتتخذوا) أي لاتتخذوا وبالياء أبو عمرو أي لئلا يتخذوا (من دوني وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ ألا تتخذوا بالتاء على النهي اى قلنالهم لاتتخذوا من دوني وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروى أنه كان لايأكل ولايشرب ولايلبس الا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الابناء كذلك (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب

﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا ﴾ على ان لاتتخذوا كقولك كتبت اليك ان افعل كذا وقرأ ابو عمر وبالياء على لان لايتخذوا ﴿ من دوني وكيلا ﴾ ربا تكلون اليه اموركم غيري ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ نصب على الاختصاص أو النداء ان قرئ أن لاتتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنالهم لاتتخذوا من دوني وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح أو على انه احد مفعولي لاتتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة ﴿ انه ﴾ ان نوحا عليه السلام ﴿ كان عبدا شكورا ﴾ يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وقضينا الى بني اسرائيل ﴾ واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا ﴿ في الكتاب ﴾ في التوراة

وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة * قلت أما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما مروره بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر انه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ يعني التوراة ﴿ وجعلناه ﴾ يعني الكتاب ﴿ هدى لبني اسرائيل أن لاتتخذوا ﴾ يعني وقلنالهم لاتتخذوا ﴿ من دوني وكيلا ﴾ يعني ربا كفيلا ﴿ ذرية ﴾ يعني ياذرية ﴿ من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ﴾ يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما او شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك * قوله عز وجل ﴿ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب ﴾ يعني أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب

(وآتينا موسى الكتاب) أعطينا موسى التوراة جملة واحدة (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) من الضلالة (ألا تتخذوا) أن لاتعبدوا (من دوني وكيلا) ربا (ذرية) ياذرية (من حملنا مع نوح) في السفينة في أصلاب الرجال وارحام النساء (انهم) (انه) يعني نوحا (كان عبدا شكورا) شاكرا كان اذا أكل أو شرب أو اكتسى قال الحمد لله (وقضينا الى بني اسرائيل) بينا لبني اسرائيل (في الكتاب) في التوراة

لتفسدن فى الارض)وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون فى الارض لامحالة والكتاب التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف أوجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن فى الارض(مرتين)أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والاخرى قتل يحيى ابن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام(ولتعلن علوا كبيرا)ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا فى الارض والمراد به البغى والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين(فاذا جاء وعد أولاهما)

﴿ لتفسدن فى الارض ﴾ جواب قسم محذوف أو قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم ﴿ مرتين ﴾ افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ﴿ ولتعلن علوا كبيرا ﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أو لتظلمن الناس ﴿ فاذا جاء وعد اولاهما ﴾ وعيد عقاب اولاهما ﴿ بعثنا عليكم عبادا لنا ﴾ بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من أهل نينوى ﴿ اولى بأس شديد ﴾ ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد ﴿ فجاسوا ﴾ ترددوا لطلبكم * وقرئ بالحاء المهملة وهما اخوان ﴿ خلال الديار ﴾ وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع ﴿ وكان وعدا مفعولا ﴾ وان كان وعد عقابهم لابد ان يفعل ﴿ ثم رددنا لكم الكرة ﴾ أى الدولة والغلبة ﴿ عليهم ﴾ على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر أو بان سلط داود عليه السلام على جالوت فقتله

انهم سيفسدون وهو قوله تعالى ﴿ لتفسدن فى الارض مرتين ﴾ وقال ابن عباس وقضينا عليهم فى الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام فى لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن فى الارض يعنى بالمعاصى والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس ﴿ ولتعلن ﴾ يعنى ولتستكبرن ولتظلمن الناس ﴿ علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما ﴾ يعنى أولى المرتين قيل افسادهم فى المرة الاولى هو ماخالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم فى المرة الاولى قتلهم شعياء فى الشجرة وارتكابهم المعاصى ﴿ بعثنا عليكم عبادا لنا ﴾ يعنى جالوت وجنوده وهو الذى قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من أهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلى وهو الاصح ﴿ أولى بأس شديد ﴾ يعنى ذوى بطش وقوة فى الحرب ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ يعنى طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم لقتلوكم ﴿ وكان وعدا مفعولا ﴾ يعنى قضاء كائنا لازما لاخلاف فيه ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾ يعنى رددنا لكم الدولة والغلبة

أى وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم) سلطنا عليكم (عبادا لنا أولى بأس شديد) أشداء فى القتال يعنى سنجاريب وجنوده أو بختنصر اوجالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فجاسوا خلال الديار) ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشئ بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعد الابدان يفعل(ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة (عليهم)على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك

لتفسدن فى الارض) لتعصن فى الارض(مرتين ولتعلن علوا كبيرا) لتعتن عتوا كبيرا ويقال لتقهرن قهرا شديدا (فاذا جاء وعد أولاهما) أول العذابين ويقال أول الفسادين(بعثنا) سلطنا (عليكم عبادا لنا)بختنصر وأصحاب ملك بابل(أولى بأس شديد)ذوى قتال شديد(فجاسوا خلال الديار) فقتلوكم وسط الديار فى الازقة (وكان وعدا مفعولا)مقدورا كائنا لأن فعلتم لافعلن بكم فكانوا تسعين سنة فى العذاب أسرى فى يد بختنصر قبل ان ينصرهم الله بكورش الهمدانى (ثم رددنا لكم الكرة) الدولة (عليهم) بظهور كورش الهمدانى على بختنصر ويقال ثم عطفنا عليكم العطفة بالدولة

اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقيل داود جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما اكتسبت والصحيح انها على بابها لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت أوسيئة يعنى ان الاحسان والاساءة تختص بانفسكم لايتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنت الى أحد ولاأسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة بعثناهم (ليسوؤا) أى هؤلاء (وجوهكم) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أى ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامى وحمزة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث لنسوء على (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا) ماعلوا مفعول ليتبروا أى ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم

(وأمددناكم بأموال وبنين) أعطيناكم أموالا وبنين (وجعلناكم أكثر نفيرا) رجالا وعددا (ان أحسنتم) وحدتم بالله (أحسنتم) وحدتم (لانفسكم) ثواب ذلك الجنة (وان أسأتم) أشركتم بالله (فلها) فعليها عقوبة ذلك فكانوا فى النعيم والسرور وكثرة الرجال والعدد والغلبة على العدو مائتين وعشرين سنة قبل ان يسلط عليهم تطوس (فاذا جاء وعد الآخرة) آخر الفسادين وآخر العذابين (ليسوؤا) ليقبحوا (وجوهكم) بالقتل والسبى يعنى تطوس بن اسبيانوس الرومى (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة) بختنصر وأصحابه (وليتبروا) يخربوا (ماعلوا) ماظهروا عليه (تتبيرا) تخريبا

﴿ وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ﴾ مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ﴿ان احسنتم احسنتم لانفسكم﴾ لان ثوابه لها ﴿ وان اسأتم فلها ﴾ فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ وعد العقوبة المرة الآخرة ﴿ ليسوؤا وجوهكم ﴾ أى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم أى ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أو للبعث أو لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءان بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾ متعلق بمحذوف هو بعثناهم ﴿ كما دخلوه اول مرة وليتبروا ﴾ ليهلكوا ﴿ ماعلوا ﴾ ماغلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم ﴿ تتبيرا ﴾ وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة

على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد ﴿ وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾ يعنى أكثر عددا ﴿ ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ﴾ يعنى لها ثوابها وجزاء احسانها ﴿ وان أسأتم فلها ﴾ يعنى فعليها اساءتها ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ يعنى المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيي عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى ﴿ ليسوؤا وجوهكم ﴾ يعنى ليحزنوكم وقرئ بالنون أى ليسوء الله وجوهكم ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾ يعنى بيت المقدس ونواحيه ﴿ كما دخلوا أول مرة ﴾ يعنى وقت افسادهم الاول ﴿ وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ يعنى وليهلكوا ماغلبوا عليه من بلاد بنى اسرائيل اهلاكا

﴿ ذكر القصة فى هذه الآيات ﴾

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله فى ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول مانزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا ليسدده ويرشده ولاينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التى فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيي وشعياء هو الذى بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبشرى أورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك يعنى صديقة بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعياء فبعث الله سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائرا

اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جوذرذ وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيي عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيي قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ

حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاء شعياء النبي اليه وقال ياملك بني اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يانبي الله هل أتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال شعياء لم يأتني وحي في ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله الى شعياء النبي أن ائت ملك بني اسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعياء ملك بني اسرائيل وقال ان ربك قد أوحى الى أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة يا قدوس يا متقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يامن لاتأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به من سري وعلانيتي لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فأوحى الله الى شعياء أن يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فأتاه شعياء فاخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال الهي واله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن و أنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفى فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعياء قل له اني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة ياملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب في مفازة ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فجعلهم في الجوامع ثم أتوا بهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا

بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب قد أتاني خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء وان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بني اسرائيل أمر أمير حرسه أن يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب للملك صديقة القتل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فأمر بهم الى السجن فأوحى الله الى شعياء النبي ان قل لملك بني اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعياء الملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم واوحى الله الى نبيهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنجاريب تخويفا لبني اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سنجاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه بختنصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني اسرائيل صديقة فمرج أمر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعياء نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم في قومك حتى أوحي على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء استمعي ويا أرض انصتي فان الله يريد ان يقص شأن بني اسرائيل الذي رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير واني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا مواتا لاعمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ديني والقصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي وان الغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة واني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملات بدمائها يشيدون لي البيوت مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأي حاجة الى تشييد البيوت ولست اسكنها وأي حاجة الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها لاذكر وأسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لايستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسون بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي أم كيف تزكوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وانما هو قولهم بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما أستجيب للداعي اللين وانما استمع قول المستضعف المستكين وان من علامة رضائي رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالاتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لوشاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ولوشاؤا أن يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبته وحتمته على نفسي وجعلت دونه أجلا مؤجلا لابد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أوفي أي زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يؤلفوا مايشاؤن فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التي أدبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين واني قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان أجعل النبوة في الاجراء وان أجعل الملك في الرعاء والعز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحكمة في الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون واني باعث لذلك نبيا أميا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته

وأجد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وامم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف يطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون لي الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه وراهم اياه فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون ابن عمران وذكر ابن اسحق أنه الخضر واسمه ارمياء سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فأوحى الله الى ارمياء ان ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمي وعرفهم احداثهم فقال ارمياء يارب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله تعالى أولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتي وان القلوب والالسنة بيدي أقلبها كيف شئت اني معك ولن يصل اليك شيء معي فقام ارمياء فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة تحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى ارمياء اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث من أهل بابل فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطىء الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل واختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمه فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلثا أقرهم بالشام وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بآنية بيت المقدس وبالصبيان السبعين ألفا حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التي أنزل الله عز وجل ببني اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد

أولاهما بعثنا عليكم عبادالنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وأصحابه ثم ان بختنصر أقام في سلطانه ماشاءالله ثم رأى رؤيا عجيبة اذرأى شيأ أصابه فانساه الذى رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذرارى الانبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها فقال ماأذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألهم عنه فجاؤه فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر اليه وقد أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهى التى أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها انك رأيت الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا والفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب احسن من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما قبله والصخرة التى رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبى يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا لبختنصر أرأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل الذين سألناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله أن يحييهم فقتلوا الا من كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ثم لما أراد الله تعالى هلاك بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذى خربت والناس الذى قتلت منكم وما هذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببنى اسرائيل قال فاخبرونى كيف لى أن أطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها وأتخذها لى ملكا فانى قد فرغت من أهل الارض قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلائق قال لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأله رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل فى يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى أحيى أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكى ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين أظهرنا الذى لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذى وعده فجلس فيه

فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حبا لم يحبوا حبه شيأ قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشأم فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له انى قد كنت حلفت بالهى لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكرى الا أن لا أجد أحدا أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقال يابنى اسرائيل ماشأن هذا الدم يغلى أخبرونى خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ماصدقتمونى فقالوا لو كان كاول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيورزاذان ان الدم لايهدأ قال لهم يابنى اسرائيل ويلكم أصدقونى واصبروا على أمر ربكم فقد طالما ملكتم في الارض تفعلون ماشئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى الاقتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كنا أرشدنا وكان يخبرنا عن أمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ماكان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بنى اسرائيل ثم قال يايحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ماأصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحدا الاقتلته فهدأ الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وأيقنت انه لارب غيره وقال لبنى اسرائيل ان خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لاأستطيع ان أعصيه قالوا له افعل ماأمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمرهم بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من المواشى فلم يظن خردوش الا أن مافي الخندق من دماء بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل الى بيورزاذان أن

﴿عسى ربكم ان يرحكم﴾ بعد المرة الاخرى ﴿وان عدتم﴾ نوبة اخرى ﴿عدنا﴾ مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ محبسا لايقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ﴿ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم﴾ للحالة أو الطريقة التى هى اقوم الحالات أو الطرق ﴿ويبشر

ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى أنزل الله ببنى اسرائيل فى قوله لتفسدن فى الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشأم ونواحيها الى الروم واليونانيين الا أن بقايا بنى اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة الى ان بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس ابن اسبيانوس الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فالبثوا فى أمة الاوعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وان الملك هوى بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلى وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هو راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ماسألته فاذا اعطاها ماسألت سألت رأس يحيى بن زكريا وأن يؤتى به فى طست ففعلت فلما راودها قالت لاأفعل حتى تعطى ماأسالك قال فما تسأليني قالت رأس يحيى بن زكريا فى هذا الطست فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ماأريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فاتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لايحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلى فامر بتراب فالقى عليه فرقى الدم يغلى فلازال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يرقى ويغلى وسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين ألفا حتى سكن دمه * قوله عزوجل ﴿عسى ربكم أن يرحكم﴾ يعنى يابنى اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم ﴿وان عدتم﴾ أى الى المعصية ﴿عدنا﴾ أى الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ أى سجنا ومحبسا من الحصر الذى هو حبس الحبس وقيل فراشا من الحصير الذى يبسط ويفترش * قوله تعالى ﴿ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾ أى الى الطريقة التى هى أصوب وقيل الى الكلمة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا اله الا الله ﴿ويبشر﴾ يعنى القرآن

(عسى ربكم أن يرحكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما سلط عليهم المؤمنون الى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها وهى توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة (ويبشر

(عسى ربكم) لعل ربكم (أن يرحكم) بعد ذلك (وان عدتم) الى الفساد (عدنا) الى العذاب ويقال ان عدتم الى الاحسان عدنا الى الرحمة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) سجنا ومحبسا (ان هذا القرآن يهدى) يدل (للتى هى أقوم) أصوب شهادة أن لا اله الا الله ويقال أبين (ويبشر

المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر حمزة وعلى (أن لهم) بان لهم (أجرا كبيرا) أى الجنة (وأن الذين) وبأن الذين
(لايؤمنون بالآخرة اعتدنا) أى أعددنا قلبت تاء (لهم عذابا اليما) يعنى النار والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين
حيث ذكر المؤمنين و جزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة

(ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير) أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله و ماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو يطلب النفع العاجل وان قل بالضرر الآجل وان جل (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب مايقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأنى المتبصر أو أريد بالانسان الكافر وانه يدعوه بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتيه لامحالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر ابن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع فى الخط على موافقة اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أى الليل والنهار آيتان

المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف ﴿ وان الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا اليما ﴾ عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم أو على يبشر باضمار يخبر ﴿ ويدع الانسان بالشر ﴾ ويدع الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله أو يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر ﴿ دعاءه بالخير ﴾ مثل دعائه بالخير ﴿ وكان الانسان عجولا ﴾ يسارع الى كل مايخطر بباله لاينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة رضى الله عنها فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الآية فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ أى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ مضيئة أو مبصرة

﴿ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ﴾ يعنى الجنة ﴿ وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ يعنى النار فى الآخرة ﴿ ويدع الانسان ﴾ أى على نفسه وولده وماله ﴿ بالشر ﴾ يعنى قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك ﴿ دعاءه بالخير ﴾ أى كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لايستجيب بفضله وكرمه ﴿ وكان الانسان عجولا ﴾ أى بالدعاء على مايكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لاصبر له على سراء ولا ضراء * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ أى علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفى معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين أما فى الدين فلان كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما فى الدنيا فلان مصالح العباد لاتتم الابهما ففى الليل يحصل السكون والراحة وفى النهار يحصل التصرف فى المعاش والكسب والقول الثانى أن يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ أى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لايستبان فيه شئ ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ أى تبصر فيه الاشياء

المؤمنين) المخلصين بايمانهم (الذين يعملون الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (أن لهم أجرا كبيرا) ثوابا عظيما وافرا فى الجنة (وأن الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (أعتدنا لهم عذابا أليما) وجيعا فى الآخرة (ويدع الانسان) يعنى النضر بن الحرث (بالشر) اللعن ([illegible]) والعذاب على نفسه وأهله (دعاءه بالخير) كدعائه بالعافية والرحمة (وكان الانسان) يعنى النضر (عجولا) مستعجلا بالعذاب (وجعلنا الليل والنهار آيتين) علامتين يعنى الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) ضوء آية الليل يعنى القمر (وجعلنا) تركنا (آية النهار مبصرة) يعنى

فى انفسهما فتكون الاضافة فى اية الليل و آية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود آى فمحونا الآية التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة أو وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شى (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى الصرف فى معايشكم (ولتعلموا) ولتعلموا باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعنى حساب الآجال ومواسم الاعمال ولوكانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجار (وكل شئ) مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (وكل انسان ألزمناه طائره) عمله (فى عنقه) يعنى ان عمله لازم

للناس من ابصره فبصر أو مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور أو نقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ﴿ولتعلموا﴾ باختلافهما أو بحركاتهما ﴿عدد السنين والحساب﴾ وجنس الحساب ﴿وكل شئ﴾ تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا ﴿فصلناه تفصيلا﴾ بيناه بيانا غير ملتبس ﴿وكل انسان ألزمناه طائره﴾ عمله وما قدر له كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد ﴿فى عنقه﴾

رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله أمر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذى فى القمر فقال هو أثر المحو ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ أى لتتصلوا ببياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف فى معايشكم ﴿ولتعلموا﴾ أى باختلاف الليل والنهار ﴿عدد السنين والحساب﴾ أى ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة * واعلم ان الحساب بنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار ﴿وكل شئ فصلناه تفصيلا﴾ يعنى وكل شئ تفتقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال آيتى الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شئ فصلناه تفصيلا * قوله عز وجل ﴿وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾ قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعنى ألزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه والعنق فى قوله فى عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا فى عنقك أى قلدتك هذا العمل وألزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الحلى

الشمس مبصرة مضيئة (لتبتغوا) لكى تطلبوا (فضلا من ربكم) بطلب الدنيا والآخرة (ولتعلموا) لكى تعلموا بزيادة القمر ونقصانه (عدد السنين والحساب) حساب الايام والشهور (وكل شئ) من الحلال والحرام والامر والنهى (فصلناه تفصيلا) بيناه القرآن تبيينا (وكل انسان ألزمناه) (قا و خا ٤ بع) ألزقناه (طائره) كتاب اجابته فى القبر لمنكر ونكير (فى عنقه) ويقال خيره

له لزوم القلادة أو الغل للعنق لاينفك عنه (ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه) هو صفة لكتابا يلقاه شامي (منشورا) حال من يلقاه يعني غيره لطوي ليمكنه قراءته أوهما صفتان للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك) أي كتاب أعمالك وكل يبعث قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك) الباء زائدة أي كفى نفسك (حسيبا) تمييز أوهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفي المدعى ما أهمه وانما ذكر حسيبا لانه

لزوم الطوق في عنقه ﴿ ونخرج له يوم القيمة كتابا ﴾ هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكررها لها ملكات ونصبه بانه مفعول أو حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وغيره ويخرج وقرئ ويخرج أي الله تعالى عز وجل ﴿ يلقاه منشورا ﴾ لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله . وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا ﴿ اقرأ كتابك ﴾ على ارادة القول ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ أي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما تتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص ﴿ من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ لاينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ﴿ ولا تزر وازرة وزر اخرى ﴾ ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع ﴿ واذا اردنا ان نهلك قرية ﴾ واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة ﴿ امرنا مترفيها ﴾

في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان له كالغل في عنقه وهو مما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى ﴿ ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ﴾ قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيآته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلتا معه في عنقه فلا ينشران الى يوم القيامة ﴿ اقرأ كتابك ﴾ أي يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ أي محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب بفاعله أيضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ لاقامة الحجة وقطع العذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ﴾

بمنزلة الشهيد والقاضي والامير اذ الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكانه قيل كفى نفسك رجلا حسيبا اوتؤول النفس بالشخص (من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لاوزر نفس اخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وما صح منا ان نعذب قوما عذاب استئصال في الدنيا الابعد ان نرسل اليهم رسولا يلزمهم الحجج (واذا أردنا أن نهلك قرية) أي أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعميها وجبارتها بالطاعة عن أبي

وشره له أو عليه ويقال سعادته وشقاوته له أو عليه (ونخرج له) نظهر له (يوم القيمة كتابا يلقاه) يعطاه (منشورا) مفتوحا فيه حسناته وسيآته ويقال له (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) شهيدا بما عملت (من اهتدى) آمن (فانما يهتدي) يؤمن (لنفسه) ثواب ذلك (ومن

ضل) كفر (فانما يضل) يجب (عليها) على نفسه عقوبة ذلك (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لاتحمل حاملة ذنب (في) أخرى بطيبة النفس ولكن يحمل عليها القصاص ويقال لاتؤخذ نفس بذنب نفس أخرى ويقال لاتعذب نفس بغير ذنب (وما كنا معذبين) قوما بالهلاك (حتى نبعث) اليهم (رسولا) لاتخاذ الحجة عليهم (واذا أردنا أن نهلك) قرية أمرنا مترفيها)

متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثه اليهم ويدل على ذلك ماقبله ومابعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ﴿ ففسقوا فيها ﴾ كقولك امرته فقرأ فانه لايفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه أو التسبب له بان صب عليهم من النعم ماابطرهم وافضى بهم الى الفسق ويحتمل ان لايكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال أمرت الشئ وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة أي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور ﴿ فحق عليها القول ﴾ يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله أو بظهور معاصيهم أو بانهماكهم في المعاصي ﴿ فدمرناها تدميرا ﴾ اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها ﴿ وكم اهلكنا ﴾ وكثيرا اهلكنا ﴿ من القرون ﴾ بيان لكم وتمييزله ﴿ من بعد نوح ﴾ كعاد وثمود ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ﴾ يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب

في معنى الآية قولان أحدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى عما اذا أمرهم فقال أكثر المفسرين معناه انه تعالى أمرهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا والقول الثاني أمرنا مترفيها أي كثرنا فساقها يقال أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة أي كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذي أبطرته النعمة وسعة العيش ﴿ ففسقوا فيها ﴾ أي خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة ﴿ فحق عليها القول ﴾ أي وجب عليها العقاب ﴿ فدمرناها تدميرا ﴾ أي أهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث أي الشر * قوله تعالى ﴿ وكم أهلكنا من القرون ﴾ أي المكذبة ﴿ من بعد نوح ﴾ وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش قال عبدالله ابن أبي أوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن ويزيد بن معاوية في آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بشر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم مازلنا نعدله حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ﴾ يعني انه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات لايخفى عليه شئ

عمرو والزجاج (ففسقوا فيها) أي خرجوا عن الامر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب آمرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النسل (فحق عليها القول) فوجب عليها الوعيد (فدمرناها تدميرا) فاهلكناها اهلاكا (وكم) مفعول (أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) يعني عادا وثمود وغيرهما (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا) وان أخفوها في الصدور (بصيرا) وان أرخوا عليها الستور

جبابرتها ورؤساءها بالطاعة ان قرأت بنصب الالف مخففا ويقال كثرنا رؤساءها وجبابرتها وأغنياءها ان قرأت بفتح الالف ممدودا ويقال سلطنا جبابرتها ورؤساءها ان قرأت بفتح الالف وتشديد الميم (ففسقوا فيها) فعملوا فيها بالمعاصي • (فحق عليها القول) وجب القول عليها بالعذاب (فدمرناها تدميرا) فأهلكناها اهلاكا (وكم أهلكنا من القرون) الماضية (من بعد نوح) من بعد قوم نوح (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) بهلاكهم وان لم نبين لك ونعلم ذنوبهم وعذابهم

(من كان يريد العاجلة عجلناله فيها ما نشاء)لا ما يشاء(لمن نريد) بدل من له باعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من أى من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقى فقد اختار غنى الآخرة فان أوتى حظا من الدنيا فبها والا فربما كان الفقر خيرا له (ثم جعلنا له جهنم) فى الآخرة (يصليها) يدخلها (مذموما) ممقوتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها)هو مفعول به أو حقها من السعى وكفاءها من الاعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله فى وعده ووعيده (فاولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فانه شرط فيه ثلاث شرائط فى كون السعى مشكورا ارادة الآخرة والسعى فيما كلف والايمان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (نمد هؤلاء)بدل من كلا أى نمد هؤلاء (وهؤلاء) أى من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (من عطاء ربك) رزقه ومن تتعلق نمد

عليها وتقديم الخبر لتقدم متعلقه ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ مقصورا عليها همه ﴿ عجلناله فيها ما نشاء لمن نريد﴾ قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واجد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا عن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية فى المنافقين وكانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم فى الغنائم ونحوها ﴿ ثم جعلناله جهنم يصليها مذموما مدحورا ﴾ مطرودا من رحمة الله تعالى ﴿ ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ حقها من السعى وهو الاتيان بما امر به والانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص ﴿ وهو مؤمن ﴾ ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة ﴿ فاولئك ﴾ الجامعون للشروط الثلاثة ﴿ كان سعيهم مشكورا ﴾ من الله تعالى أى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة ﴿ كلا ﴾ كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه ﴿ نمد ﴾ بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفة مددا السالفة ﴿ هؤلاء وهؤلاء ﴾ بدل من كلا ﴿ من عطاء ربك ﴾ من معطاه متعلق بنمد

من أحوال الخلق * قوله عز وجل ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ أى الدار العاجلة يعنى الدنيا ﴿ عجلناله فيها ما نشاء ﴾ أى من البسط أو التقتير ﴿ لمن نريد ﴾ ان نفعل به ذلك أو اهلاكه وقيل فى معنى الآية عجلناله فيها ما نشاء لمن نريد أى القدر الذى نشاء نعجله له فى الدنيا لا الذى يشاء هو ولمن نريد أن نعجل له شيأ قدرناه له وهذا ذم لمن أراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من أرادها لا يدرك منها الا ما قدر له ﴿ ثم جعلناله ﴾ أى فى الآخرة ﴿ جهنم يصليها ﴾ أى يدخلها ﴿ مذموما مدحورا ﴾ أى مطرودا مباعدا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ أى عمل لها عملها ﴿ وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ أى مقبولا قيل فى الآية ثلاث شرائط فى كون السعى مشكورا ارادة الآخرة بعمله بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعى فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية * قوله عز وجل ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء ﴾ أى نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ﴿ من عطاء ربك ﴾

(من كان يريد العاجلة) يعنى الدنيا باداء ما افترض الله عليه (عجلناله فيها) أعطيناه فى الدنيا (ما نشاء) أن نعطيه (لمن نريد) أن نهلكه فى الآخرة (ثم جعلنا له جهنم) أوجبناله (يصليها) (يعنى) يدخلها (مذموما مدحورا) مقصيا من ثواب كل خير نزلت هذه الآية فى مرثد بن ثمامة (ومن أراد الآخرة) يعنى الجنة باداء ما افترض الله عليه (وسعى لها سعيها) عمل للجنة عملها (وهو مؤمن) مع ذلك مؤمن مخلص بايمانه (فاولئك كان سعيهم) عملهم (مشكورا) مقبولا نزلت هذه الآية فى بلال المؤذن (كلا نمد) نعطى بالرزق (هؤلاء) أهل الطاعة (وهؤلاء) أهل المعصية تعدوز (من عطاء ربك)

والعطاء اسم للمعطى أى نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لانقطاعه فنرزق المطيع والعاصى جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (انظر) بعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى المال والجاه والسعة والكمال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) روى ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبى سفيان فقال سهيل بن عمر وانما أتينا من قبل انهم دعوا ودعينا يعنى الى الاسلام فاسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت فى الآخر ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر (لاتجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته (فتقعد مذموما مخذولا) فتصير جامعا على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محروما عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا الا اياه) أن مفسرة ولاتعبدوا نهى

﴿ وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ ممنوعا لا يمنعه فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ فى الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال ﴿ وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ﴾ اى التفاوت فى الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ﴿ لاتجعل مع الله الها آخر ﴾ الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته أو لكل احد ﴿ فتقعد ﴾ فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أو فتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه ﴿ مذموما مخذولا ﴾ جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا ﴿ وقضى ربك ﴾ وامر امرا مقطوعا به ﴿ ألا تعبدوا ﴾ بان لاتعبدوا ﴿ الا اياه ﴾ لان غاية التعظيم لاتحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية

يعنى يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما فى المآل ﴿ وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ أى ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء فى الدنيا اذ لاحظ للكافر فى الآخرة ﴿ انظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ أى فى الرزق والعمل يعنى طالب العاجل وطالب الآخرة ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ يعنى ان تفاضل الخلق فى درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم فى درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فان نسبة التفاضل فى درجات الآخرة الى التفاضل فى درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته فى طلب الدنيا فلأن تقوى وتشتد رغبته فى طلب الآخرة أولى لانها دار المقامة * قوله تعالى ﴿ لاتجعل مع الله الها آخر ﴾ الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لاتجعل أيها الانسان مع الله الها آخر وهذا أولى ﴿ فتقعد مذموما ﴾ أى من غير حمد ﴿ مخذولا ﴾ أى غير ناصر * قوله سبحانه ﴿ وقضى ربك ﴾ أى وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم ألصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهى قرءة على وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب ان التحريف والتغيير قد تطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان على القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم فى الدين ﴿ ألا تعبدوا الا اياه ﴾ فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره

رزق ربك (وما كان عطاء ربك) رزق ربك (محظورا) محبوسا عن البر والفاجر (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الدنيا بالمال والخدم (وللآخرة) وفى الآخرة أكبر درجات) فضائل للمؤمنين (وأكبر تفضيلا) فضائل للمؤمنين ثوابا فى الدرجات (لاتجعل) لاتقل (مع الله الها آخر فتقعد مذموما) ملوما تلوم نفسك (مخذولا) يخذلك معبودك (وقضى ربك) أمر ربك (ألا تعبدوا الا اياه) ان لاتوحدوا الا بالله تعالى

أوبان لاتعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أوبان تحسنوا بالوالدين احسانا (امايبلغن عندك الكبر) اماهى ان الشرطية زيدت عليها ماتأكيدا لها ولذادخلت النون المؤكدة في الفعل ولوأفردت ان لم يصح دخولها لاتقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اماتكرمنه (أحدهما) فاعل يبلغن وهو فى قراءة حمزة وعلى يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين (أوكلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فلاتقل لهماأف) مدنى وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لارادة التنكير أى أتضجر تضجرا وتركه لقصدالتعريف أى أتضجر التضجر المعلوم (ولاتنهرهما) ولاتزجرهما عمايتعاطيانه ممالايعجبك والنهى والنهر اخوان (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلالينا كمايقتضيه حسن الادب أوهو أن يقول ياأبتاه ياأماه ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء ولابأس به فى غير وجهه كماقالت عائشة رضى الله عنهـا نحلنى أبوبكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهماغيره فهماعنده فى بيته وكنفه وذلك أشق

﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ وبان تحسنوا أو واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولايجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لاتتقدم عليه ﴿ امايبلغن عندك الكبر احدهما أوكلاهما ﴾ اماهى ان الشرطية زيدت عليها ماتأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن أو بدل على قراءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا أو بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفه وكفالته ﴿ فلاتقل لهما اف ﴾ فلاتضجر ممايستقذر منهما ولاتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل هو اسم الفعل الذى هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغيرمنون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لايملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ﴿ ولاتنهرهما ﴾ ولا تزجرهما عمالايعجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم اخوات ﴿ وقل لهما ﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿ قولا كريما ﴾ جميلا لاشراسة فيه

وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لاتليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولامنعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لاغيره ﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ أى وأمر بالوالدين احسانا أى برابهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما ﴿ امايبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ﴾ معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك فى آخر العمر كما كنت عندهما فى أول العمر • واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان فى حق الوالدين خمسة أشياء ❊ الاول قوله تعالى ﴿ فلاتقل لهما أف ﴾ وهى كلمة تضجر وكراهية وقيل ان أصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو رماد ونفخت فيه تزيله تقول أف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم ❊ والثانى قوله ﴿ ولاتنهرهما ﴾ أى تزجرهما عما يتعاطيانه ممالايعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى • فان قلت المنع من التأفيف أبلغ من المنع من الانتهار فما وجه الجمع • قلت المراد من قوله ولاتقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولاتنهرهما المنع من اظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد عليهما ❊ الثالث قوله ﴿ وقل لهما قولا كريما ﴾ أى حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو ياأماه ياأبتاه وقيل لايكنيهما وقيل هو أن يقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ ❊ الرابع قوله

(وبالوالدين احسانا) برابهما (امايبلغن عندك الكبر أحدهما) أحد الابوين (أوكلاهما) كلا الابوين (عز وجل) (فلاتقل لهما أف) كلامارديئا ولاتقذرهما (ولاتنهرهما) ولا تغلظ لهما فى الكلام (وقل لهما قولا كريما) لينا حسنا

﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذاصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا وللقرة زماما وامر بخفضه مبالغة أو اراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول ﴿من الرحمة﴾ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما بالامس ﴿وقل رب ارحمهما﴾ وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما ﴿كما ربياني صغيرا﴾ رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ماوليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت

عزوجل ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ أي ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لاتمتنع عن شئ أحباه ﴿من الرحمة﴾ أي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما * الخامس قوله سبحانه وتعالى ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية وأراد به اذا كانا مسلمين فأما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تسوءهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

فصل

في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم انفه قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا أن يجده مملوكا

ليه فهو مأمور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لايقول لهما اذا أضجره مايستقذر منهما أف فضلا عما يزيد عليه لقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع الضجر ومع احوال لايكاد يصبر الانسان معهما (واخفض لهما جناح الذل) أي اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ولاتكتف برحمتك عليهما التي لابقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ماشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ماشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين

واخفض لهما جناح الذل) لين جانبك لهما (من الرحمة) كن رحيما عليهما (وقل رب ارحمهما) ان كانا مسلمين (كما ربياني صغيرا)

تريد موتهما ﴿ ربكم أعلم بما فى نفوسكم ﴾ من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ﴿ ان تكونوا صالحين ﴾ قاصدين للصلاح ﴿ فانه كان للاوابين ﴾ للتوابين ﴿ غفورا ﴾ مافرط منهم عند حرج الصدر من اذية أو تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه التائب من جنايته اندراجا اوليا لوروده على اثره ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ والمسكين وابن السبيل

فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه فى الجهاد فقال أحى والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد * وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين أخرجه الترمذى مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح * عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله تعالى * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ربكم أعلم بما فى نفوسكم ﴾ أى من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما ﴿ ان تكونوا صالحين ﴾ أى أبرار مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم فى القيام بما لزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر ومالا يخلو منه البشر مما يؤدى الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم عما فرط منكم ﴿ فانه كان للاوابين ﴾ للتوابين ﴿ غفورا ﴾ قال سعيد بن جبير فى هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاع الى الله فيما يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقال هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روى عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الأوابين اذا رمضت الفصال أخرجه مسلم * قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقه اخفافها والفصال جمع فصيل وهى أولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذى يصلى بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ﴾ قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتى أقاربه حقوقهم

(وقيل)

والكرامة فى خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدى الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للاوابين غفورا) الاواب الذى اذا أذنب بادر الى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى) منك (حقه) أى النفقة اذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة

عالجانى فى الصغر (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) بما فى قلوبكم من البر والكرامة بالوالدين (ان تكونوا صالحين) بارين بالوالدين (فانه كان للاوابين) للراجعين من الذنوب (غفورا) متجاوزا نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص (وآت ذا القربى حقه) أعط ذا القرابة حقه يقول أمر بصلة القرابة (والمسكين) أمر بالاحسان الى المسكين (وابن السبيل) أمر باكرام الضيف النازل به حقه ثلاثة أيام

﴿ ولا تبذر تبذيرا ﴾ بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ماهذا السرف قال أوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر أو اصدقاءهم واتباعهم لانهم كانوا يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ مبالغا في الكفر به فينبغي ان لايطاع ﴿ واما تعرضن عنهم ﴾ وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوزان يراد بالاعراض عنهم ان لاينفعهم على سبيل الكناية ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه أو منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله تعالى ﴿ فقل لهم قولا ميسورا ﴾ أي فقل لهم قولا لينا ابتغاء

وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب أبي حنيفة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه لاتلزم النفقة الا للوالد على ولده او ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل ﴿ ولا تبذر تبذيرا ﴾ أي لاتنفق مالك في المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهما أو مدا في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لاخير في السرف فقال لاسرف في الخير ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ يعني أولياءهم وأصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما أمرونهم به من الاسراف وقيل امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لاأشر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ أي جحودا للنعمة فما ينبغي أن يطاع لانه يدعو الى مثل عمله * قوله عز وجل ﴿ واما تعرضن عنهم ﴾ نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين مايحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين امرت أن تؤتيهم ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ أي انتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك ﴿ فقل لهم قولا ميسورا ﴾ أي لينا جميلا أي عدهم وعدا حسنا تطيب به قلوبهم

أو هم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغي أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله (واما تعرضن عنهم) وان أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) أي وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله

(ولا تبذر تبذيرا) لاتنفق مالك في غير حق الله وان كان دانقا ونقال في غير طاعة الله (ان المبذرين) المنفقين أموالهم في غير حق الله وان كان دانقا (كانوا اخوان الشياطين) اعوان الشياطين (وكان الشيطان لربه كفورا) لربه كافر (واما تعرضن عنهم) عن القرابة والمساكين [illegible] (ابتغاء رحمة) انتظار رحمة (من ربك ترجوها) ان تأتيك ويقال قدوم مال غائب عنك (فقل لهم قولا ميسورا) فعدهم عدة حسنة أي سأعطيكم

وايا كم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أي دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر في موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف

غير مرضي عنده وعند الناس يقول الفقير أعطى فلانا وحرمني ويقول الغني ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا أثر فيه أثرا بليغا أو عاريا من حسر رأسه وقد خاطرت مسلمة ضرتها اليهودية في أنه يعني محمدا عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذي عليه فدفعه وقعد عريانا فاقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (ويقدر) أي هو يضيق

رحمة الله برجتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغنا كم الله تعالى ورزقنا الله واياكم ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم ﴿فتقعد ملوما﴾ فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير ﴿محسورا﴾ نادما أو منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضي الله تعالى عنه بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل صلى الله تعالى عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ﴿ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة

وقيل هو أن يقول رزقنا الله واياكم من فضله ❁ قوله سبحانه وتعالى ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك﴾ قال جابر أتى صبي فقال يا رسول الله ان أمي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا آخر فعاد الى أمه فقالت قل له ان أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ﴿ولا تبسطها﴾ أي بالعطاء ﴿كل البسط﴾ أي فتعطي جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير ﴿فتقعد ملوما﴾ أي عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وقيل ملوما عند نفسك وأصحابك ايضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذا لم تعطهم ﴿محسورا﴾ أي منقطعا لا شيء عندك تنفقه وقيل محسورا أي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى ﴿ان ربك يبسط﴾ أي يوسع ﴿الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) يقول لا تمسك يدك عن النفقة والعطية بمنزلة المغلولة يده الى عنقه (ولا تبسطها) في العطية والنفقة (كل البسط) في السرف يقول لا تعط جميع ما هو لك لمسكين واحد أو قرابة واحدة وتترك الآخرين (فتقعد) فتبقى (ملوما) يلومك الناس يعني الفقراء والقرابة (محسورا) منقطعا عند القرابة والمساكين ذاهبا الذي لك من المال ويقال نزلت هذه الآية في امرأة استكست قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاها النبي صلى الله عليه وسلم قميصه وجلس عاريا فنهاه الله عن ذلك وقال له ولا تبسطها كل البسط في السرف حتى تنزع ثيابك فتقعد ملوما يلومك الناس محسورا عاريا لا تقدر أن تخرج من العرى (ان ربك) يا محمد (يبسط الرزق) يوسع المال (لمن يشاء) على من يشاء من عباده وهو نظر منه (ويقدر) يقتر

فلالوم عليك (انه كان بعباده خبيرا) بمصالحهم فيمضيها (بصيرا) بحوائجهم فيقضيها (ولاتقتلوا أولادكم) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اثما عظيما يقال خطئ خطأ كأثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطاء بالمد والكسر مكى (ولاتقربوا الزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو نهى عن دواعى الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولو أريد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) أى بارتكاب

لبالغة فليس مايرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك ﴿انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم مايخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا أو انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولاتقبضوا كل القبض ولاتبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله تعالى ﴿ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق﴾ مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال ﴿نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا﴾ ذنبا كبيرا لمافيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما * وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر * وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة فيه او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ فى قوله

تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب

وهو مبنى عليه * وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ﴿ولاتقربوا الزنا﴾ بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن ان تباشروه ﴿انه كان فاحشة﴾ فعلة ظاهرة القبح زائدته ﴿وساء سبيلا﴾ وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدى الى قطع الانساب وتهييج الفتن ﴿ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق﴾ الا باحدى ثلاث

﴿انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ يعنى أنه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده وما يصلحهم فالتفاوت فى أرزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد * قوله عز وجل ﴿ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق﴾ أى فاقة وفقر ﴿نحن نرزقهم واياكم﴾ وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو أن ينكحوهن لغير اكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعنى ان الارزاق بيد الله فكما أنه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النساء ﴿ان قتلهم كان خطأ كبيرا﴾ أى اثما كبيرا ﴿ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة﴾ أى قبيحة زائدة على حد القبح ﴿وساء سبيلا﴾ أى بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم * قوله عز وجل ﴿ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق﴾ الاصل فى القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التى يحصل فيها حل القتل وهى الاسباب العرضية فقال الا بالحق أى الا باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحل دم امرئ

على من يشاء من عباده وهو نظر منه (انه كان بعباده بصلاح عباده (خبيرا بصيرا) بالبسط والتقتير (ولاتقتلوا أولادكم) نزلت هذه الآية فى خزاعة كانوا يدفنون بناتهم احياء فنهاهم الله عن ذلك وقال ولاتقتلوا أولادكم لاتدفنوا بناتكم أحياء (خشية املاق) مخافة الذل والفقر (نحن نرزقهم) يعنى بناتكم (واياكم ان قتلهم) دفنهم أحياء (كان خطأ كبيرا) ذنبا عظيما فى العقوبة (ولا تقربوا الزنا) سرا وعلانية (انه كان فاحشة) معصية ذنبا (وساء سبيلا) بئس مسلكا (ولاتقتلوا النفس) المؤمنة (التى حرم الله) قتلها (الا بالحق) بالرجم

مابيح الدم (ومــن قتل مظلوما) غيرمرتكب مابيح الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص،،
(فلايسرف فى القتل) الضمير للولى أى فلايقتل غير القاتل ولا الاثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الاسراف المثلة والضر
للقـاتل الاول فلاتسرف حمزة وعلى على خطـاب الولى أو قاتل المظلوم (ا

كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عـمدا ﴿ ومن قتل مظلوما ﴾ غـير مستوجب للقتـل ﴿ فقد جعلنـا لوليه ﴾ للذى يلى امره بعـدوفاته وهو الوارث ﴿ سلطانا ﴾ تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل عـلى من عليه أو بالقصاص على القـاتل فان قوله تعـالى مظلوما يدل عـلى ان القتل عمـدا عدوان فان الخطأ لايسمى ظلمـا ﴿ فلايسرف ﴾ أى القاتل ﴿ فى القتل ﴾ بان يقتل من لايستحق قتله فان العاقل لايفعل مايعود عليه بالهـلاك أو الولى بالمثـلة وقتل غـير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابى فـلا تسرفوا ٭ وقرأ حمزة والكسائى فلاتسرف على خطاب احدهما ﴿ انه كان منصورا ﴾ علة النهى على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجـاب القصاص أو التعزير والوزر على المسرف ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم ﴾ فضلا عن ان تتصرفوا فيه ﴿ الا بالتى هى احسن ﴾ الا بالطريقة التى هى احسن بان تميه أو تثمره ﴿ حتى يبلغ اشده ﴾ غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء ﴿ واوفوا بالعهد ﴾ بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ما عاهدتموه وغيره

مسـلم يشـهد أن لا اله الا الله وأنى رسـول الله الا باحـدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه فى الصحيحين ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ﴾ أى قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو أنه بتخير فان شاء استقادمنه وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا ﴿ فلايسرف فى القتل ﴾ أى الولى قال ابن عباس لايقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذ قتل منهم قتيل لايرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلايقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلايرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه أنه لا يمثل بالقاتل ﴿ انه كان منصورا ﴾ قيل الضمير راجع الى المقتول ظلما يعنى أنه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل فى قوله فلايسرف فى القتل أراد به القاتل المعتدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى القتيل منصور من قبل عليه باستيفاء القصاص منه ٭ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن ﴾ أى بالطريقة التى هى أحسن وهى تنميته وحفظه عليه ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والا لم ينفك عنه الحجر ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾

كان منصـورا) الضمير للـولى أى حسـبه ان الله قـد نصره بان أوجب له القصص فلا يستزد عـلى ذلك أو للمظـلوم أى الله ناصر حيث أوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب أو للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه كان منصورا بايجـاب القصـاص على المسرف وظاهر الآية يدل على ان القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لان أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة فى الآية لكونها محرمة (ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) بالخصلة والطريقة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) أى ثمانى عشرة سـنة (وأوفوا بالعهد)

أو القود أو الارتداد (ومن قتل مظلوما) بالعمد (فقد جعلنا لوليه) لولى المقتول (سلطانا) عذرا وحجة على القاتل ان شاء قتله وان شاء عفا عنه وان شاء آخذه بالدية (فلاتسرف فى القتل) ان قتلت قاتل وليك ويقـال لاتقـتل غير القاتل حجة ان قرأت بالجزم ويقال لا تقتل لقتل نفس واحدة عشرة (اى) (انه كان منصورا) يقتـل ولايعفى (ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) بالارباح والحفظ (حتى يبلغ أشده) خمس عشر سنة أو ثمان عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) أتموا العهد بالله فيما

صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون اى القبان (المستقيم) المعتدل (ذلك خير) فى الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم أى لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما تعلم ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لان ذلك نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما فى الشهادات ولذا فى العمل بخبر الواحد لما ذكرنا (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) أولئك اشارة الى السمع

﴿ ان العهد كان مسؤلا ﴾ مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفى به أو مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه لم نكثت او يسئل العهد تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأى ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا ﴿ واوفوا الكيل اذا كلتم ﴾ ولا تبخسوا فيه ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ بالميزان السوى وهو رومى عرب ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء ﴿ ذلك خير واحسن تاويلا ﴾ واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ﴿ ولا تقف ﴾ ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف أثره اذا قفاه ومنه القافة ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ مالم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا أو ظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت

ولا ارمى البرئ بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا

﴿ ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك ﴾ أى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا أو ان اولاء وان غاب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله

والعيش بعد اولئك الايام

﴿ كان عنه مسؤلا ﴾ فى ثلاثتها ضمير كل أى كان كل واحد منها مسؤلا

أى الاتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه ﴿ ان العهد كان مسؤلا ﴾ أى عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسئل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسئل فيم قتلت * قوله عز وجل ﴿ وأوفوا الكيل اذا كلتم ﴾ المراد منه اتمام الكيل ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومى وقيل سريانى والاصح أنه عربى مأخوذ من القسط وهو العدل أى وزنوا بالعدل المستقيم * واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ فى المنع من التطفيف والنقصان سعيا فى ابقاء الاموال على أربابها ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ أى أحسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه أمره * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تقف ﴾ أى ولا تتبع ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ أى لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الامور ويتبعها ويتعرفها والمراد انه لا يتكلم فى أحد بالظن ﴿ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ﴾ معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده

بينكم وبين الناس (ان العهد) ناقض العهد (كان مسؤلا) من نقضه يوم القيامة (وأوفوا) أتموا (الكيل اذا كلتم) لغيركم (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بميزان العدل (ذلك) الوفاء بالكيل والوزن والعهد (خير) من النقض والبخس (وأحسن تأويلا) عاقبة (ولا تقف) ولا تقل (ما ليس لك به علم) فتقول علمت ولم تعلم ورأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع (ان السمع) ما تسمعون (والبصر) ما تبصرون (والفؤاد) ما تمنون (كل أولئك) عن كل ذلك (كان عنه مسؤلا) يوم القيامة

عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه لمصدر لا تقف أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية *وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ﴿ ولا تمش فى الارض مرحا ﴾ أى ذا مرح وهو الاختيال *وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت ﴿ انك لن تخرق الارض ﴾ لن تجعل فيها خرقا لشدة وطئتك ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى التذلل ﴿ كل ذلك ﴾ اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها المكتوبة فى الواح موسى عليه السلام ﴿ كان سيئه ﴾ يعنى المنهى عنه فان المذكورة مأمورات ومنهيات *وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة وعلى هذا قوله ﴿ عند ربك مكروها ﴾ بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا *وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان أو فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل

وقيل يسئل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة فى أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى أربابها *عن شكل بن حميد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمنى تعويذا أتعوذ به قال فاخذ بيدى ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر فؤادى وشر لسانى وشر قلبى وشر منيي قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب *قوله وشر منيي يعنى ماءه وذكره * قوله عز وجل ﴿ ولا تمش فى الارض مرحا ﴾ أى بطرا وكبرا وخيلاء ﴿ انك لن تخرق الارض ﴾ أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ أى لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيأ كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شئ وقيل ان الذى يمشى مختالا يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك *عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب أخرجه الترمذى فى الشمائل *قوله تكفؤا التكفؤ التمايل فى المشى الى قدام *وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ أى كانه ينحدر من موضع عال *عن أبى هريرة قال ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أخرجه الترمذى *قوله لغير مكترث أى شاق والاكتراث الامر الذى يشق على الانسان ﴿ كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ﴾ أى ما ذكره من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف

والبصر والفؤاد لان أولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم كقول جرير *ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الايام* وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا فى الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام الفاعل اذا تأخرا عن الفعل فاما اذا تقدما فلا (ولا تمش فى الارض مرحا) هو حال اى ذا مرح (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال أو لن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول (كل ذلك كان سيئة) كوفى وشامى على اضافة سئ الى ضمير كل سيئة غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروها

(ولا تمش فى الارض مرحا) بالكبر والخيلاء (انك لن تخرق الارض) تجاوز الارض بخيلائك (ولن تبلغ الجبال طولا) ان تحاذى الجبال (كل ذلك) كل ما نهيتك (كان سيئة) سيئا ﴿ عند ربك مكروها ﴾ عند ﴿ قبل ﴾

لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة أي ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فما وجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة

بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخر وآخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) الهمزة للانكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) واتخذ

للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الاحكام المتقدمة ﴿ مما اوحى اليك ربك من الحكمة ﴾ التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ﴿ ولا تجعل مع الله الها آخر ﴾ كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو غاية الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال تعالى ﴿ فتلقى في جهنم ملوما ﴾ تلوم نفسك ﴿ مدحورا ﴾ مبعدا من رحمة الله تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين ﴾ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى أفخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون ﴿ واتخذ من الملائكة اناثا ﴾

قيل سيئة مع قوله مكروها * قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة عند ربك * وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة أي كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الآيات ﴿ مما أوحى اليك ربك من الحكمة ﴾ أي ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له في الالواح من كل شئ موعظة * واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب أن يكرر فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شئ ثم انه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى ان الشرك يجب أن يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال في هذه الآية ﴿ ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ﴾ والفرق بين المذموم والملوم اما كونه مذموما فمعناه أن يذكر له ان الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير * قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم ﴾ يعني أفخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة ﴿ بالبنين ﴾ يعني اختصكم بافضل الاولاد وهم البنون ﴿ واتخذ من الملائكة اناثا ﴾ لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم

ربك مقدم ومؤخر (ذلك) الذي أمرتك (مما أوحى اليك) أمرك (ربك من الحكمة) في القرآن (ولا تجعل) لا تقل (مع الله الها آخر فتلقى) فتطرح (في جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مقصيا من كل خير (أفأصفاكم) اختاركم (ربكم بالبنين) بالذكور (واتخذ) لنفسه (من الملائكة اناثا) البنات

أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لايؤثرون باجود الاشياء وأصفاها ويكون أردؤهم وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) حيث أضفتم اليه الاولاد وهى من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ماتكرهون (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) أى التنزيل والمراد ولقد صرفناه أى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه

معلوم (ليذكروا) وبالتخفيف حمزة وعلى أى كررناه

بناتا لنفسه هذا خلاف ماعليه عقولكم وعادتكم ﴿ انكم لتقولون قولا عظيما ﴾ باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ماتكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله أدونهم ﴿ ولقد صرفنا ﴾ كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير ﴿ فى هذا القرآن ﴾ فى مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ﴿ ليذكروا ﴾ ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الفرقان ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر ﴿ ومايزيدهم الا نفورا ﴾ عن الحق وقلة طمأنينة اليه ﴿ قل لوكان معه آلهة كما تقولون ﴾ ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفى مابعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وابو بكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم ﴿ اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ﴾ جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة والمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴿ سبحانه ﴾ ينزه تنزيها ﴿ وتعالى عما يقولون علوا ﴾ تعاليا ﴿ كبيرا ﴾ متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه

بان الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذى لانهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول ﴿ انكم لتقولون قولا عظيما ﴾ يخاطب مشركى مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له مايكرهون لانفسهم يعنى البنات * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد صرفنا فى هذا القرآن ﴾ يعنى العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد فى صرفنا للتكثير والتكرير ﴿ ليذكروا ﴾ أى ليتعظوا ويعتبروا ﴿ ومايزيدهم ﴾ أى تصريفنا وتذكيرنا ﴿ الا نفورا ﴾ أى تباعدا عن الحق ﴿ قل ﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين ﴿ لوكان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا ﴾ أى لطلبوا يعنى هؤلاء الآلهة ﴿ الى ذى العرش سبيلا ﴾ أى المغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا اليه وطلبوا منه لعرفوا الى فضله فابتغوا مايقربهم اليه والاول أصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴾ معنى وصفه بذلك البالغة فى البراءة [illegible]

ليتعظوا (ومايزيدهم الا نفورا) عن الحق وكان الثورى اذا قرأها يقول زادنى لك خضوعا مازاد أعداءك نفورا (قل لوكان معه) مع الله (آلهة كما تقولون) وبالياء مكى وحفص (اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) يعنى لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة واذا دالة على ان مابعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو (سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالتاء حمزة وعلى (علوا) أى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة (كبيرا) وصف العلو بالكبر مبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به

(انكم لتقولون) على الله (ولاعظيما) فى العقوبة وتقال فى الغرية على الله

(ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القرآن) الوعد والوعيد (ليذكروا) لكى يتعظوا (ومايزيدهم) [illegible] الا نفورا تباعدا عن الايمان (قل لوكان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا) طلبوا (الى ذى العرش سبيلا) [illegible] (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (وتعالى) تبرأ وارتفع (عما يقولون) من الشرك (علوا) على كل شئ (كبيرا) كبيرا كل شئ

﴿ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ﴾ ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى مايتصور منه اللفظ والى مالا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه *وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابوبكر يسبح بالياء ﴿ انه كان حليما ﴾ حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿ غفورا ﴾ لمن تاب منكم ﴿ واذا

* قوله عز وجل ﴿ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ﴾ يعنى الملائكة والانس والجن ﴿ وان من شئ الا يسبح بحمده ﴾ قال ابن عباس وان من شئ حى الا يسبح بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح مالم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير لتسبح اذا صاحت فاذا سكتت تركت التسبيح وقيل وان من شئ جاد أوحى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشياء تسبح لله حيوانا كان أو جادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده *ويدل على ذلك ماروى عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم فى الاناء ثم قال حى على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخارى (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على ليالى بعثت وانى لاعرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح بيده الشريفة عليه وفى رواية فنزل فاحتضنه وساره بشئ ففى هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض أهل المعانى تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول أصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان الله تعالى علما فى الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغى ان نكل علمه اليه * و قوله تعالى ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ أى لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ماعدا من يسبح بلغتكم والسنتكم ﴿ انه كان حليما غفورا ﴾ أى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح * قوله عز وجل ﴿ واذا

(يسبح) وبالتاء عراقى غير أبى بكر (له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) أى يقول سبحان الله وبحمده عن السدى قال عليه السلام مااصطيد حوت فى البحر ولا طائر يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لاختلاف اللغات أو لتعسر الادراك أو سبب لتسبيح الناظر اليه والدال على الخير كفاعله والوجه الاول (انه كان حليما) عن جهل العباد (غفورا) لذنوب المؤمنين (واذا

(تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) من الخلق (وان من شئ) ما من شئ من النبات (الا يسبح بحمده) بامره (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) بأى لغة هو (انه كان حليما) بعباده اذ لا يعجلهم بالعقوبة (غفورا) متجاوزا لمن تاب (واذا

قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابامستورا) ذاستر أوحجابا بالايرى فهومستور (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهوالذى يستر الشئ (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا يمنع عن الاستماع (واذا ذكرت ربك فى القرآن

وحده) يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعدو عدا وعدة فهو مصدر سد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا (ولوا على ادبارهم) رجعوا على أعقابهم (نفورا) مصدر بمعنى التولية أوجمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به) أى نحن أعلم بالحال أوالطريقة التى يستمعون القرآن به فالقرآن هوالمستمع وهو محذوف وبه حال وبيان لما أى يستمعون القرآن هازئين لاجادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين (اذ يستمعون اليك) نصب باعلم أى أعلم وقت استماعهم بمابه يستمعون (واذهم نجوى) وبما يتناجون به اذهم ذوو نجوى (اذ يقول

قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا ﴾ يحجبهم عن فهم ماتقرؤه عليهم ﴿مستورا﴾ ذاستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أومستورا عن الحس أوبحجاب آخر لايفهمون ولايفهمون انهم لايفهمون نفى عنهم ان يفهموا ماانزل عليهم من الآيات بعد مانفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله ﴿وجعلنا على قلوبهم اكنة﴾ تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ﴿ ان يفقهوه ﴾ كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة أى منعناهم ان يفقهوه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه مايمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ﴿ واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ﴾ واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحد أووحده ﴿ ولوا على ادبارهم نفورا ﴾ هربا من استماع التوحيد ونفرة أوتولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود ﴿ نحن اعلم بما يستمعون به ﴾ بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن ﴿ اذ يستمعون اليك ﴾ ظرف لاعلم وكذا ﴿ واذهم نجوى ﴾ أى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى ﴿ اذ يقول

قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ﴾ أى يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلايرونه كما روى عن سعيد بن جبير أنه قال لما نزلت تبت يدا أبى لهب جاءت امرأة أبى لهب ومعها حجر والنبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فلم تره فقالت لابى بكر أين صاحبك لقد بلغنى انه هجانى فقال لها أبوبكر والله ماينطق بالشعر ولايقوله فرجعت وهى تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ رأسه فقال أبوبكر مارأتك يارسول الله قال لالم يزل ملك بينى وبينها ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أى أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أى لئلا يفهموه ﴿وفى آذانهم وقرا ﴾ أى ثقلا لئلا يسمعوه ﴿ واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده﴾ يعنى اذا قلت لااله الاالله وأنت تتلوا القرآن ﴿ ولوا على ادبارهم نفورا ﴾ جمع نافر ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ﴾ أى من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذى يستمعون به وهو التكذيب ﴿ اذ يستمعون اليك﴾ أى وأنت تقرأ القرآن ﴿واذهم نجوى﴾ أى وبما يتناجون به فى أمرك وقيل معناه ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون و بعضهم يقول هو كاهن و بعضهم يقول ساحر أوشاعر ﴿ اذ يقول

قرأت القرآن) بمكة (جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت يعنى أبا جهل وأصحابه (حجابا مستورا) محجوبا (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن يفقهوه) لكى لايفقهوا الحق (وفى آذانهم وقرا) صمما (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) بلااله الاالله (ولوا على أدبارهم) رجعوا الى أصحابهم وعطفوا (الى عبادة آلهتهم (نفورا) تباعدا عن قولك (نحن أعلم بما يستمعون به) الى قراءة القرآن (اذ يستمعون اليك) الى قراءتك يعنى أباجهل وأصحابه (واذهم نجوى) فى أمرك يقول بعضهم ساحر ويقول بعضهم كاهن ويقول بعضهم مجنون ويقول بعضهم شاعر (اذ يقول

الظالمون) بدل من اذهم (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)أى فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره لا يدرى ﴿ ٤٣ ﴾ مايصنع (وقالوا) {سورة بنى اسرائيل} أى منكرو البعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا)أى مجددو خلقا حال أى مخلوقين (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) أى السموات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون من يعيدنا قل) يعيدكم (الذى فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى بنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان

الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ مقدر باذكر أو بدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذى سحر به فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون ﴿ فضلوا ﴾ عن الحق فى جميع ذلك ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير فى امره لا يدرى مايصنع أو الى الرشاد ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ﴾ حطاما ﴿ أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا مادل عليه مبعوثون لا نفسه لان مابعد أن لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال ﴿ قل ﴾ جوابا لهم ﴿ كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ﴾ أى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة ﴾ وكنتم ترابا وهو ابعد منه من الحياة

الظالمون ﴾ يعنى الوليد بن المغيرة وأصحابه ﴿ ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ أى مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أى نغذى بهما ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ أى الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون ﴿ فضلوا ﴾ أى فى جميع ذلك وحاروا ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ أى الى طريق الحق ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ﴾ أى بعد الموت ﴿ ورفاتا ﴾ أى ترابا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ تكسر ﴿ أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى رداعليهم ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يامحمد ﴿ كونوا حجارة ﴾ أى فى شدة ﴿ أو حديدا ﴾ أى فى القوة وليس هذا بامر الزام بل هو أمر تعجيز أى استشعروا فى قلوبكم انكم حجارة أو حديد فى القوة ﴿ أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ﴾ قيل يعنى السماء والارض والجبال لانها أعظم المخلوقات وقيل يعنى به الموت لانه لا شئ فى نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم ﴿ فسيقولون من يعيدنا ﴾ أى من يبعثنا بعد الموت ﴿ قل الذى فطركم ﴾ أى خلقكم ﴿ أول مرة ﴾ فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة

الظالمون) المشركون بعضهم لبعض (ان تتبعون) محمدا ماتتبعون (الا رجلا مسحورا) مغلوب العقل (انظر) يامحمد (كيف ضربوا لك الامثال) كيف شبهوك بالمسحور (فضلوا) فاخطؤا فى المقالة (فلا يستطيعون سبيلا) مخرجا عن مقالتهم ويقال حجة على ماقالوا (وقالوا) يعنى النضر واصحابه (أئذا كنا) صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) ترابا رميما (أئنا لمبعوثون) لمحيون (خلقا جديدا) تجدد بعد الموت فينا الروح (قل) لهم يامحمد (كونوا حجارة) لو كنتم حجارة أو اشد من الحجارة (أو حديدا) أو اقوى من الحديد (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) يعنى الموت لبعثتم (فسيقولون من يعيدنا) يحيينا (قل) لهم يامحمد (الذى فطركم) خلقكم (أول مرة) فى بطون أمهاتكم

قادراعلى أن يردكم الى حال الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو) أى البعث استبعادا له ونفيا (قل عسى أن يكون قريبا) أى هو قريب وعسى للوجوب (يوم يدعوكم) الى المحاسبة وهو يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أى تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون ان لبثتم الاقليلا) أى لبثا قليلا أو زمانا قليلا فى الدنيا أو فى القبر (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم وهى ان يقولوا يهديكم الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة أو فسر التى هى أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالهداية والتوفيق (أو ان يشأ يعذبكم) بالخذلان أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر

﴿ فسينغضون اليك رؤسهم ﴾ فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ﴿ ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا ﴾ فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون ﴾ أى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء ﴿ بحمده ﴾ حال منهم أى حامدين لله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه ﴿ وتظنون ان لبثتم الاقليلا ﴾ وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية أو مدة حياتكم لما ترون من الهول ﴿ وقل لعبادى ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ يقولوا التى هى احسن ﴾ الكلمة التى هى احسن ولا يخاشنوا المشركين ﴿ ان الشيطان ينزغ بينهم ﴾ يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد ﴿ ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ﴾ ظاهر العداوة ﴿ ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم ﴾ تفسير للتى هى احسن

﴿ فسينغضون اليك رؤسهم ﴾ أى يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول ﴿ ويقولون متى هو ﴾ يعنى البعث والقيامة ﴿ قل عسى أن يكون قريبا ﴾ أى هو قريب ﴿ يوم يدعوكم ﴾ أى من قبوركم الى موقف القيامة ﴿ فتستجيبون بحمده ﴾ قال ابن عباس بأمره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين ﴿ وتظنون ان لبثتم ﴾ أى فى الدنيا وقيل فى القبور ﴿ الاقليلا ﴾ وذلك لان الانسان لو مكث فى الدنيا وفى القبر ألوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود فى الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ﴾ وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادى يقولوا يعنى للكفار التى هى أحسن أى لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن فى القتال والجهاد وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا الخلة التى هى أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله ﴿ الشيطان ينزغ بينهم ﴾ أى يفسد ويلقى العداوة بينهم ﴿ ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ﴾ أى ظاهر العداوة ❊ قوله عز وجل ﴿ ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم ﴾ أى يوفقكم للايمان فتؤمنوا ﴿ أو ان يشأ يعذبكم ﴾ أى

(فسينغضون) يهزؤن (اليك رؤسهم) تعجبا لقولك (ويقولون متى هو) متى هذا الذى تعدنا (قل عسى) وعسى من الله واجب (ان يكون قريبا) ثم بين لهم فقال (يوم) فى يوم (يدعوكم) يدعوكم اسرافيل فى الصور (فتستجيبون بحمده) فتستجيبون داعى (يميتكم) الله باسمه (وتظنون) تحسبون (ان لبثتم) ما مكثتم فى القبور (الاقليلا وقل لعبادى) عمر وأصحابه (يقولوا) للكفار بالكلمة (التى هى أحسن) بالسلام واللطف (ان الشيطان ينزغ بينهم) يفسد بينهم ان جئتم بالجفاء (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة وهذا قبل أن أمروا بالقتال (ربكم أعلم بكم) بصلاحكم (ان يشأ يرحمكم) فينجيكم من أهل مكة (أو ان يشأ يعذبكم)

وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله ﴿ وما ارسلناك عليهم وكيلا ﴾ موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم وأمر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضى الله عنه رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو ﴿ وربك اعلم بمن فى السموات والارض ﴾ باحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ بالفضائل النفسانية والتبرئ عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقوله ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء عليه السلام وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب والمصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل أو لان المراد وآتينا داود بعض الزبر أو بعضا من الزبور

عيتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة أو ان يشأ يعذبكم أى يسلطهم عليكم ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلا ﴾ أى حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال ﴿ وربك أعلم بمن فى السموات والارض ﴾ يعنى ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعلومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم ومللهم وأديانهم ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وآتى داود زبورا وذلك قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام * فان قلت لم خص داود فى هذه الآية بالذكر دون غيره من الانبياء * قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبورا وذلك ان داود أعطى مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور فى هذه الآية المراد به العلم لا الملك والمال * الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى كتب له فى الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان أمته خير الامم فلهذا خصه بالذكر * الوجه الثالث ان اليهود زعمت أن لا نبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الآية انكم لن تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وان الله آتى موسى التوراة

وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض (وما أرسلناك عليهم وكيلا) حافظا لاعمالهم وموكولا اليك أمرهم وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) وباحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود وقال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل

فيسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلا) كفيلا تؤخذ بهم (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) من المؤمنين بصلاحهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالخلة والكلام (وآتينا) أعطينا (داود زبورا) كتابا وموسى التوراة وعيسى الانجيل ومحمدا صلى الله عليه وسلم الفرقان

(قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهتكم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أى ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أى يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعنى أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله عز وجل (أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة

(قل) يا محمد لخزاعة الذين كانوا يعبدون الجن وظنوا انهم الملائكة (ادعوا الذين زعمتم) عبدتم (من دونه) من دون الله عند الشدة (فلا يملكون كشف الضر عنكم) رفع الشدة عنكم (ولا تحويلا) الى غيركم (أولئك) يعنى الملائكة (الذين) هم (يدعون) يعبدون ربهم (يبتغون الى (أى) ربهم الوسيلة) يطلبون بذلك الى ربهم القربة والفضيلة (أيهم أقرب) الى الله (ويرجون رحمته) جنته (ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) لم يأتهم الامان (وان من قرية) ما من قرية (الا نحن مهلكوها) نميت أهلها (قبل يوم القيمة

فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم ﴾ انها آلهة ﴿ من دونه ﴾ كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام ﴿ فلا يملكون ﴾ فلا يستطيعون ﴿ كشف الضر عنكم ﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿ ولا تحويلا ﴾ ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم ﴿ اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴾ هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ﴿ أيهم اقرب ﴾ بدل من واو يبتغون أى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير الاقرب ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ﴿ ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ حقيقا بان يحذر كل احد حتى الرسل والملائكة ﴿ وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة ﴾ بالموت

وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد أن يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام * قوله عز وجل ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ﴾ وذلك ان الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فقال الله عز وجل قل ادعو الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه ﴿ فلا يملكون كشف الضر عنكم ﴾ أى الجوع والقحط ﴿ ولا تحويلا ﴾ أى الى غيركم أو تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا أهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى ﴿ أولئك الذين يدعون ﴾ أى الذين يدعونهم المشركون آلهة ﴿ يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴾ أى القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى ﴿ أيهم أقرب ﴾ معناه ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقيل أيهم اقرب يبتغى الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة ﴿ ويرجون رحمته ﴾ أى جنته ﴿ ويخافون عذابه ﴾ وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة ﴿ ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ أى حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة ﴾

أو معذبوها عذاباشديدا) قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة (كان ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك فى تفسيرها امامكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما بدخشان فيخربها أقوام وأما ترمذ فاهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان الى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمر قند فيغلب عليها بنوقنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم وأما بخارى فهى أرض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الرى فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما ارمينية واذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها ويخربها وأما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهلها ولاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياما ثم هدة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان ﴿ ٤٧ ﴾ وأصبهان وفارس {سورة بنى اسرائيل} فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة

والاستئصال ﴿أو معذبوها عذابا شديدا﴾ بالقتل وانواع البلية ﴿كان ذلك فى الكتاب﴾ فى اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ مكتوبا ﴿وما منعنا ان نرسل بالآيات﴾ وما صرفناه عن ارسال الآيات التى اقترحها قريش ﴿الا ان كذب بها الاولون﴾ الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك

أى بالموت والخراب ﴿أو معذبوها عذابا شديدا﴾ أى بالقتل وأنواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك فى حق المؤمنين الاماتة وفى حق الكفار العذاب قال عبدالله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله فى هلاكها ﴿كان ذلك فى الكتاب﴾ أى فى اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ أى مكتوبا مثبتا * عن عبادة ابن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما أكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد أخرجه الترمذى * قوله سبحانه وتعالى ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون﴾ قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وفضة وان ينحى الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم

تخلع القلوب وتموت الابدان (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) استعير المنع لترك ارسال الآيات وان الاولى مع صلتها فى موضع النصب لانها مفعول ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها فى موضع الرفع لانها فاعل منعنا والتقدير وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله فى الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا ان نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا واحدة وهى ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال

أو معذبوها عذابا شديدا) بالسيف والامراض (كان ذلك) الهلاك والعذاب (فى الكتاب مسطورا) فى اللوح المحفوظ مكتوبا أن يكون (وما منعنا) لم يمنعنا (أن نرسل بالآيات) بالعلامات التى طلبوها (الا أن كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين عند التكذيب أى نهلكهم ان كذبوا بها كما أهلكنا الاولين عند التكذيب

واستوجبوا الاستئصال على مامضت به سنتنا وقد قضينا ان لانستأصلهم لان فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال ﴿ وآتينا ثمود الناقة ﴾ بسؤالهم ﴿ مبصرة ﴾ بينة ذات ابصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح ﴿ فظلموا بها ﴾ فكفروا بها وظلموا انفسهم بسبب عقرها ﴿ ومانرسل بالآيات ﴾ أى بالآيات المقترحة ﴿ الاتخويفا ﴾ من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا انزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الاتخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة أو فى موقع الحال والمفعول محذوف ﴿ واذقلنالك ﴾ واذكر اذ اوحينا اليك ﴿ ان ربك احاط بالناس ﴾ فهم فى قبضة قدرته أو احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهى بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه ﴿ وماجعلنا الرؤيا التى اريناك ﴾ ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه عليه السلام لما ورد ماءه قال لكأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون

ان شئت أن أستأنى بهم فعلت وان شئت أن اوتيهم ماسألوا فعلت فان لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابل تستأنى بهم فانزل الله عز وجل وما منعنا أن نرسل بالآيات أى التى سألها كفار قومك الاأن كذب بها الاولون أى فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لان من سنتنا فى الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا فقال تعالى ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة ﴾ أى بينة وذلك لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم ﴿ فظلموا بها ﴾ أى جحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة ﴿ ومانرسل بالآيات ﴾ المقترحة ﴿ الاتخويفا ﴾ أى ومانرسل بالآيات الاتخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه ومانرسل بالآيات يعنى العبر والدلالات الاتخويفا أى انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بماشاء من آياته لعلهم يرجعون ❊ قوله عز وجل ﴿ واذقلنالك ﴾ أى واذكر يا محمد اذقلنالك ﴿ ان ربك أحاط بالناس ﴾ أى ان قدرته محيطة بهم فهم فى قبضته وقدرته لايقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لايقدرون على أمر من الامور الابقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلاتهبهم وامض لما أمرك من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك ﴿ وماجعلنا الرؤيا التى أريناك

(وآتينا ثمود الناقة) باقتراحهم (مبصرة) آية بينة (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أرادبها الآيات المقترحة فالمعنى لانرسلها (الاتخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى ومانرسل مانرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الاتخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له (واذقلنا لك أن ربك احاط بالناس وماجعلنا الرؤيا التى أريناك

(وآتينا ثمود الناقة) أعطينا قوم صالح ناقة عشراء (مبصرة) مبينة علامة لنبوة صالح (فظلموا بها) جحدوا بها فعقروها (وما نرسل بالآيات) بالعلامات (الاتخويفا) بالعذاب لنهلكهم ان لم يؤمنوا بها (واذقلنا لك ان ربك أحاط بالناس) عالم باهل مكة بمن يؤمن وبمن لايؤمن (وما جعلنا الرؤيا) ما أريناك الرؤيا (التى أريناك)

الافتنة للناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم فى قبضته فلاتبال بهم وامض لامرك وبلغ ماأرسلت به أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سننه فى اخباره ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذ مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وماأرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء (والشجرة الملعونه فى القرآن) أى وماجعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن الافتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ذلك فانه لايمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لاتأكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالمالاتعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلايضرها وخلق فى كل شجرة نارا فلاتحرقها فجاز أن يخلق فى النار شجرة لاتحرقها (قا و خا ٧ بع) والمعنى ان الآيات انما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم

منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله ﴿ الافتنة للناس ﴾ ماحدث فى ايامهم ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لماسمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى وبر السمندل من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لاتحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعمها وصفت به على المجاز للمبالغة أو وصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة أو بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاص * وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى والشجرة

الافتنة للناس ﴾ الاكثرون من المفسرين على ان المراد منها مارأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هى الرؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهى ليلة أسرى به الى بيت المقدس أخرجه البخارى وهو قول سعيد بن جبير والحسن و مسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعينى رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه و سلم للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين فى اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا مارأى رسول الله صلى الله عليه و سلم عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه فى ذلك العام بعد ماأخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة فى العام المقبل وأنزل الله عزوجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام ان ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بانه لااشكال فيه فانه لايبعد ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ يعنى شجرة الزقوم التى وصفها الله تعالى فى سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة فيها ان أباجهل قال ان ابن أبى كبشة يعنى النبى صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه

فى المعراج (الافتنة للناس) بلية لاهل مكة مقدم ومؤخر (والشجرة الملعونة فى القرآن) ماذكرنا شجرة الزقوم فى القرآن

ثم قال (ونخوفهم) أى بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الاطغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وانما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادا منهم كما سمى أشياء باساميها عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهتهم أين شركائى أوهى رؤياه انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فان قلت ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة لانه قال ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالؤن منها البطون فوصفت بلعن اهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا)هو تمييز أوحال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجدله وهو طين أى أصله طين (قال أرأيتك هذا الذى)الكاف لاموضع لها لانها ذكرت للخطاب تأكيدا هذا مفعول به والمعنى اخبرنى عن هذا الذى (كرمت على) أى فضلته لم كرمته على وانا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ماتقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) وبلاياء كوفى وشامى واللام موطئة { عبادى } للقسم المحذوف (الى يوم القيمة لأحتنكن ذريته) لأستأصلنهم باغوائهم (الاقليلا) وهم المخلصون قيل

الملعونة فى القرآن كذلك ﴿ونخوفهم﴾ بانواع التخويف ﴿فمايزيدهم الاطغيانا كبيرا﴾ الاعتوا متجاوزا الحد ﴿واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الاابليس قل أأسجد لمن خلقت طينا﴾ لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين أومنه أى أأسجدله واصله طين وفيه على الوجوه الثلاثة ايماء بعلة الانكار ﴿قال أرأيتك هذا الذى كرمت على﴾ الكاف لتأكيد الخطاب لامحل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بأمرى بالسجود له لم كرمته على ﴿ لئن اخرتنى الى يوم القيمة ﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه ﴿ لأحتنكن ذريته الاقليلا ﴾ أى لأستأصلنهم بالاغواء الاقليلا لااقدر على ان اقاوم شكيتهم من احتنك

تنبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجرة وقيل ان عبدالله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولانعرف الزقوم الاالزبد والتمر فقال أبوجهل ياجارية تعالى فزقمينا فاتت بزبد وتمر فقال ياقوم تزقموا فان هذا مايخوفكم به محمد فانزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا ان يكون فى النار شجرا اناجعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت أين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لاذنب لها حتى تلعن وانما وصفت باللعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى أصل جهنم فى أبعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس فى رواية عنه ان الشجرة الملعونة هى الكشوث الذى يلتوى على الشجر والشوك فيجففه ﴿ونخوفهم فما يزيدهم﴾ أى التخويف ﴿الا طغيانا كبيرا﴾ أى تمردا وعتوا عظيما ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ أى من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقى ﴿قال﴾ يعنى ابليس ﴿أرأيتك﴾ الكاف للمخاطب والمعنى أخبرنى ﴿هذا الذى كرمت على﴾ أى فضلته على ﴿لئن أخرتنى﴾ أى أمهلتنى ﴿الى يوم القيمة لأحتنكن ذريته﴾ أى لأستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه لأقودنهم كيف شئت وقيل لأستولين عليهم بالاغواء ﴿الاقليلا﴾ يعنى المعصومين الذين استثناهم الله تعالى فى قوله ان

(ونخوفهم) بشجرة الزقوم (فمايزيدهم) الوعيد (الاطغيانا كبيرا) تماديا فى المعصية (واذقلنا للملائكة) الذين كانوا فى الارض (اسجدوا لآدم) سجدة التحية (فسجدوا الاابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) لطينى (قال أرأيتك هذا الذى كرمت على) فضلت على بالسجود (لئن أخرتن) اجلتنى (الى يوم القيمة لأحتنكن) لأستزلن ولأستملكن ولأستولين (ذريته الاقليلا) المعصومين

من كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أو لانه رأى انه خلق شهوانى (قال اذهب) ليس من الذهاب الذى هو ضد المجئ وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب (جزاء موفورا) أى موفورا باضمار تجازون (واستفزز) استزل أو استخف استفزه أى استخفه والفز الخفيف (من استطعت منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار (وأجلب عليهم) اجمع وصح بهم من الجلبة وهو الصياح (بخيلك ورجلك) بكل راكب وماش من أهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وهذا الان أقصى مايستطاع فى طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال (وشاركهم فى الاموال والاولاد) قال الزجاج كل معصية فى مال وولد فابليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد

الجراد الارض اذا جرد ماعليها اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب ﴿قال اذهب﴾ امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ماسولت له نفسه ﴿فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم﴾ جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات ﴿جزاء موفورا﴾ مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وفرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله أو بما فى جزاؤكم من معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا ﴿واستفزز﴾ واستخف ﴿من استطعت منهم﴾ ان تستفزه والفز الخفيف ﴿بصوتك﴾ بدعائك الى الفساد ﴿واجلب عليهم﴾ وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح ﴿بخيلك ورجلك﴾ باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ياخيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك ﴿وشاركهم فى الاموال﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على مالا ينبغى ﴿والاولاد﴾ بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل

عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿اذهب﴾ أى امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذى هو ضد المجئ ﴿فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم﴾ أى جزاؤك وجزاء أتباعك ﴿جزاء موفورا﴾ أى مكملا ﴿قوله سبحانه وتعالى ﴿واستفزز﴾ أى استخف واستزل واستجهل وازعج ﴿من استطعت منهم﴾ أى من ذرية آدم ﴿بصوتك﴾ قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ أى اجمع عليهم مكايدك وحبائلك واحثثهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل أو مشى فى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد فى الامر جئتنا بخيلك ورجلك ﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد﴾ أما المشاركة فى الاموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق فى حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأما المشاركة فى الاولاد

منى (قال اذهب) قال الله له اعلم (فمن تبعك منهم) فى دينك (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) نصيبا وافرا (واستفزز) استزل (من استطعت منهم بصوتك) بدعوتك ويقال بصوت المزامير والغناء وسائر المناكير (وأجلب عليهم) اجمع عليهم ويقال استعن عليهم (بخيلك) بخيل المشركين (ورجلك) رجالة المشركين (وشاركهم فى الاموال) اموال الحرام (والاولاد) أولاد الحرام

على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة ﴿ وعدهم ﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل ﴿ ومايعدهم الشيطان الاغرورا ﴾ اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بمايوهم انه صواب ﴿ ان عبادى ﴾ يعنى المخصلين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الاعبادك منهم المخلصين يخصصهم ﴿ ليس لك عليهم سلطان ﴾ أى على اغوائهم قدرة ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾

فروى عن ابن عباس انها الموؤدة وقيل أولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هى تسميتهم أولادهم بعبدالعزى وعبد الحرث وعبدشمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا أولادهم فى الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل فى فرجها كاينزل الرجل وروى فى بعض بالاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفى فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن ﴿ وعدهم ﴾ أى منهم الجميل فى طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلابد أن يقرر أولا انه لامضرة فى فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لامعاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعو أنه لامضرة البتة فى هذه المعاصى واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان فى الدنيا الابه فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهوانه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلافائدة فيها وقيل معنى عدهم أى شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الآجل «فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لايأمر بالفحشاء» قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ماشئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما نزل بك ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ ومايعدهم الشيطان الاغرورا ﴾ أى تزين الباطل بما يظن أنه حق، واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم أردفه بماهو زاجر عن قبول وعده وهو قوله ومايعدهم الشيطان الاغرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولايدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التى يدعو اليها خيالية لاحقيقة لها ولاتحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء ويعقبها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ يعنى بعباده الانبياء وأهل الفضل والصلاح لانه لايقدر على اغوائهم ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾ أى حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما أمكن ابليس أن يأتى بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف فى قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا أى ان الله سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفى بعض الآثار ان

شمس (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وايثار العاجل على الآجل ونحو ذلك (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) هو تزيين الخطأ بمايوهم أنه صواب (ان عبادى) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) يد بتبديل الايمان ولكن بتسويل العصيان (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك والكل أمر تهديد فيعاقب به أو اهانة أى لايخل ذلك بملكى

(وعدهم) أن لا جنة ولا نار (ومايعدهم الشيطان الا غرورا) باطلا (ان عبادى) المعصومين منك (ليس لك عليهم سلطان) سبيل وغلبة (وكفى بربك وكيلا) كفيلا بما وعد ويقال حفيظا

(ربكم الذى يزجى) يجرى ويسير (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) يعنى الربح فى التجارة (انه كان بكم رحيما
واذامسكم الضر فى البحر) أى خوف الغرق (ضل من تدعون الااياه) ذهب

يتوكلون عليه فى الاستعاذة منك على الحقيقة ﴿ ربكم الذى يزجى ﴾ هو الذى يجرى ﴿ لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله ﴾ الربح وانواع الامتعة التى لاتكون عندكم ﴿ انه كان بكم رحيما ﴾ حيث هيأ لكم ماتحتاجون اليه وسهل عليكم ماتعسر من اسبابه ﴿ واذامسكم الضر فى البحر ﴾ خوف الغرق ﴿ ضل من تدعون ﴾ ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم ﴿ الااياه ﴾ وحده فانكم حينئذ لايخطر ببالكم سواه فلاتدعون لكشفه الااياه أوضل كل من تعبدونه من اغاثتكم الاالله ﴿ فلما نجاكم ﴾ من الغرق ﴿ الى البر اعرضتم ﴾ عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة

عطاء فتى تمكن فى المعالى * فاعرض فى المكارم واستطالا

﴿ وكان الانسان كفورا ﴾ كالتعليل للاعراض ﴿ أفأمنتم ﴾ الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قادر ان يهلككم فى البر بالخسف وغيره ﴿ ان يخسف بكم جانب البر ﴾

ابليس لما خرج الى الارض قال يارب أخرجتنى من الجنة لاجل آدم فسلطنى عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لاأستطيعه الابك فزدنى قال استفزز من استطعت منهم الآية فقال آدم يارب سلطت ابليس على وعلى ذريتى وانى لاأستطيعه الابك قال لايولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال ربى زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدنى قال التوبة معروضة مادام الروح فى الجسد قال رب زدنى فقال ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية * وفى الخبر ان ابليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فاقراءتى قال الشعر قال فاكتابتى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنة قال أى شئ مطعمى قال مالم يذكر عليه اسمى قال فماشرابى قال كل مسكر قال وأين مسكنى قال الحمامات قال وأين مجالسى قال فى الاسواق قال وماحبائلى قال النساء قال وماأذانى قال المزمار * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ربكم الذى يزجى ﴾ أى يسوق ويجرى ﴿ لكم الفلك ﴾ أى السفن ﴿ فى البحر لتبتغوا من فضله ﴾ أى اطلبوا من رزقه بالارباح فى التجارة وغيرها ﴿ انه كان بكم رحيما ﴾ أى حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم ﴿ واذامسكم الضر فى البحر ﴾ أى الشدة وخوف الغرق فى البحر ﴿ ضل من تدعون ﴾ أى ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون فى حوادثكم من الاصنام وغيرها ﴿ الااياه ﴾ أى الاالله وحده فانكم لاتذكرون سواه ولايخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثتكم ونجاتكم ﴿ فلما نجاكم ﴾ أى أجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم ﴿ الى البر أعرضتم ﴾ أى عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى ﴿ وكان الانسان كفورا ﴾ أى جحودا ﴿ أفأمنتم ﴾ أى بعد انجائكم ﴿ أن يخسف بكم جانب البر ﴾ أى نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفى قدرته براكان

عن أوهامكم كل من تدعونه فى حوادثكم الااياه وحده فانكم لاتذكرون سواه أوضل ماتدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده الذى ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر أعرضتم) عن الاخلاص بعد الخلاص (وكان الانسان) أى الكافر (كفورا) للنعم (أفأمنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض (أن يخسف بكم جانب البر) انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه والحاصل ان الجوانب كلها فى قدرته

(ربكم الذى يزجى لكم) يسير لكم (الفلك) السفن (فى البحر لتبتغوا من فضله) لكى تطلبوا من رزقه ويقال من علمه (انه كان بكم رحيما) بتأخير العذاب ويقال عن تاب منكم (واذامسكم الضر) الشدة والهول (فى البحر ضل من تدعون) تتركون من تعبدون من الاوثان فلا

تسألون منه النجاة (الااياه) بقول تسألون من الله النجاة (فلمانجاكم الى البر أعرضتم) عن الشكر والتوحيد (وكان الانسان) يعنى الكافر (كفورا) كافرا بنعم الله (أفأمنتم) ياأهل مكة (أن يخسف بكم) أن لايغور بكم (جانب البر) كما خسف بقارون

سواء وله فى كل جانب برا كان او بحرا سبب من اسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق فى جانب البحر
فنى جانب البر الخسف وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل ان يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب
وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) هى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء يعنى أو ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف
أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم (أم أمنتم ان يعيدكم
فيه تارة أخرى فيرسل عليكم) أى أم أمنتم

أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم
الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم (قاصفا من الريح) وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك (فيغرقكم بما كفرتم) بكفرانكم النعمة وهو اعراضكم حين نجاكم (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أى مطالبة والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا يجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها أن نخسف أو نرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون مكى وأبو عمرو (ولقد كرمنا بنى آدم) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر
المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشياء وتناول الطعام بالايدى وعن الرشيد انه أحضر [illegible] برهم
بالملاعق وعنده ابو يوسف رحمه الله فقال له جاء فى تفسير جدك ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى [illegible] آدم ج
لهم أصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها وأكل

ان يقلبه الله وانتم عليه أو يقلبه بسببكم فبكم حال أو صلة ليخسف. وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سواء لامعقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك ﴿أو يرسل عليكم حاصبا﴾ ريحا تحصب أى ترمى بالحصباء ﴿ثم لاتجدوا لكم وكيلا﴾ يحفظكم من ذلك فانه لاراد لفعله ﴿أم أمنتم ان يعيدكم فيه﴾ فى البحر ﴿تارة اخرى﴾ بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه ﴿فيرسل عليكم قاصفا من الريح﴾ لاتمر بشئ الاقصفته أى كسرته ﴿فيغرقكم﴾ وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح ﴿بما كفرتم﴾ بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ﴿ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الارض والتمكن من الصناعات

أو بحرا بل ان كان الغرق فى البحر ففى جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت الثرى كما ان الغرق يغيب تحت الماء ﴿أو نرسل عليكم حاصبا﴾ أى نمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط ﴿ثم لاتجدوا لكم وكيلا﴾ أى [illegible] ناصرا ﴿أم أمنتم ان نعيدكم فيه﴾ أى فى البحر ﴿تارة﴾ أى مرة ﴿أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح﴾ قال ابن عباس أى عاصفا وهى الريح الشديدة وقيل هى [illegible] كل شئ من شجر وغيره ﴿فنغرقكم بما كفرتم﴾ أى بكفرانكم [illegible] حين أنجيناكم ﴿ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ التبيع المطالب والمعنى أنا نفعل [illegible] لاتجدون لكم أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا [illegible] من يتبعنا بالانكار علينا ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ [illegible] ابن عباس هو انهم يأكلون بالايدى وغير الآدمى يأكل بفيه من الارض وقيل [illegible] والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن [illegible] الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع ما فى الارض و [illegible] وقيل بحسن

(أو يرسل) ان لا يرسل (عليكم حاصبا) حجارة كما أرسل على قوم لوط (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) [illegible] اهل مكة (أم [illegible] يعيدكم فيه) فى البحر (تارة أخرى) مرة أخرى يخرجكم اليه (فيرسل عليكم قاصفا من [illegible] او يغرقكم فى البحر (بما كفرتم) بالله و[illegible] (ثم لاتجدوا لكم علينا به) بغرقكم (تبيعا) ثائرا أو طالبا (ولقد [illegible] والارج

وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده ﴿ وحملناهم فى البر والبحر ﴾ على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له مايركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ بالغلبة والاستعلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف

تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير أمة أخرجت للناس ﴿ وحملناهم فى البر ﴾ أى على الابل والخيل والبغال والحمير ﴿ والبحر ﴾ أى وحملناهم فى البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ يعنى لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب من القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ واعلم ان الله تعالى قال فى أول الآية ولقد كرمنا بنى آدم وفى آخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والالزم التكرار والاقرب أن يقال أن الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثانى هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بنى آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبى فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم *فان قلت كيف تصنع بكثير *قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع وأكثرهم كاذبون أراد كلهم * وفى الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفصيل وهو الاولى والراجح ان خواص بنى آدم وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بنى آدم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بنى آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال المؤمن

باصابعه (وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) باللذيذات أو بما كسبت أيديهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أى على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أى كلهم وقوله وما يتبع أكثرهم الاظنا ذكر فى الكشاف ان المراد بالاكثر الجميع وعنه عليه السلام المؤمن أكرم على الله من الملائكة وهذا لانهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفى البهائم شهوة بلا عقل وفى الآدمى كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه

(وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) فى البحر على السفن (ورزقناهم من الطيبات) جعلنا أرزاقهم ألين وأطيب من رزق الدواب (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) من البهائم (تفضيلا) بالصورة والايدى والارجل

﴿ يوم ندعوا ﴾ نصب باضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون * وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا فى أفعى أو على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهى قد تقدر كما فى يدعى ﴿ كل اناس بأمامهم ﴾ بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع أم كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنى ﴿ فمن اوتى ﴾ من المدعوين ﴿ كتابه بيمينه ﴾ أى كتاب عمله ﴿ فاولئك يقرؤن كتابهم ﴾ ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ﴿ ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى ﴾ ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة لا يرى طريق النجاة ﴿ واضل سبيلا ﴾ منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى

أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده * قوله عز وجل ﴿ يوم ندعوا كل أناس بأمامهم ﴾ أى بنبيهم وقيل بكتابهم الذى أنزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذى دعاهم فى الدنيا اما الى هدى واما الى ضلال وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم فى الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع أم يعنى بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان لا يفتضح أولاد الزنا ﴿ فمن أوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ﴾ * فان قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان أصحاب الشمال يقرؤنه أيضا * قلت الفرق ان أصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولى عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة وأبينها ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ أى ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شئ ﴿ ومن كان فى هذه أعمى ﴾ المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا أعمى أى عن هذه النعم التى تعددها فى هذه الآيات المتقدمة ﴿ فهو فى الآخرة ﴾ أى التى لم تر ولم تعاين ﴿ أعمى وأضل سبيلا ﴾ قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان فى هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو فى الآخرة أعمى أى أشد عمى وأضل سبيلا أى أخطأ

(يوم ندعوا) منصوب باذكر (كل أناس بأمامهم) الباء للحال والتقدير مختلطا بامامهم أى بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب ودين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (فمن اوتى) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم) وانما قيل اولئك لان من فى معنى الجمع (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شئ ولم يذكر الكفار وايتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله (ومن كان فى هذه) الدنيا (أعمى فهو فى الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلا) من الاعمى أى أضل طريقا والاعمى

(يوم ندعوا) وهو يوم القيامة (كل أناس بأمامهم) بنبيهم ويقال بكتابهم ويقال بداعيهم الى الهدى والى الضلالة (فمن أوتى) أعطى (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) حسناتهم (ولا يظلمون فتيلا) لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم قدر فتيل وهو الشئ الذى يكون فى شق النواة ويقال هو الوسخ الذى فتلت بين أصبعيك (ومن كان فى هذه) النعم (أعمى) عن الشكر (فهو فى الآخرة) فى نعيم الجنة (أعمى وأضل سبيلا) طريقا ويقال من كان فى هذه الدنيا أعمى عن الحجة والبيان فهو فى الآخرة أعمى أشد عمى وأضل سبيلا عن الحجة { طريقا }

مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلانه لا ينفعه
الاهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثمه قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثانى مفخما لان
أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلمة فلا يقبل

بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه
بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف
لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة
والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما ﴿وان كادوا ليفتنونك﴾ نزلت فى ثقيف
قالوا لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى
فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة
وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل
فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة
واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال
﴿عن الذى اوحينا اليك﴾ من الاحكام ﴿لتفترى علينا غيره﴾ غير ما اوحينا اليك
﴿واذا لاتخذوك خليلا﴾ ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا من
ولايتى ﴿ولولا ان ثبتناك﴾ ولولا تثبيتنا اياك ﴿لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا﴾
لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة
خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا

طريقا وقيل معناه ومن كان فى الدنيا كافرا ضالا فهو فى الآخرة أعمى لانه فى الدنيا تقبل توبته
وفى الآخرة لا تقبل توبته * قوله سبحانه وتعالى ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا
اليك﴾ قيل فى سبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش
وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم انى لها
كاره بعد ان يدعونى أستلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه
فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبى صلى الله عليه
وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نجبى فى الصلاة أى
لا ننحنى ولا نكسر أصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبى صلى الله
عليه وسلم لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود واما أن لا تكسروا اصنامكم بايديكم فذاك
لكم واما الطاغية يعنى اللات والعزى فانى غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله انا نحب ان تسمع
العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله
أمرنى بذلك فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله
تعالى وان كادوا اى هموا ليفتنونك أى ليصرفونك عن الذى أوحينا اليك ﴿لتفترى﴾
أى لتختلق وتبتدع ﴿علينا غيره﴾ أى ما لم نقله ﴿واذا﴾ أى لو فعلت ما دعوك اليه ﴿لاتخذوك
خليلا﴾ أى والوك ووافوك وصافوك ﴿ولولا ان ثبتناك﴾ أى على الحق بعصمتنا اياك
﴿لقد كدت تركن﴾ أى تميل ﴿اليهم شيأ قليلا﴾ أى قربت من الفعل * فان قلت كان النبى صلى الله عليه

الامالة وأما الاول فلم يتعلق به
شئ فكانت ألفه واقعة فى
الطرف فقبلت الامالة
وامالهما حمزة وعلى وفخمهما
الباقون ولما قالت قريش
اجعل آية رحمة آية عذاب
وآية عذاب آية رحمة حتى
نؤمن بك نزل (وان كادوا
ليفتنونك) ان مخففة من
الثقيلة واللام فارقة بينها
وبين النافية والمعنى ان الشان
قاربوا أن يفتنوك أى
يخدعوك فاتنين (عن الذى
أوحينا اليك) من أوامرنا
ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
(لتفترى علينا غيره) لتقول
علينا ما لم نقل يعنى ما اقترحوه
من تبديل الوعد وعيدا والوعيد
وعدا (واذا لاتخذوك خليلا)
أى ولو اتبعت مرادهم لا
تخذوك خليلا ولكنت لهم
وليا وخرجت من ولايتى
(ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا
وعصمتنا (لقد كدت تركن
اليهم) لقاربت أن تميل الى
مكرهم (شيأ قليلا) ركونا
قليلا وهذا تهييج من الله له

(وان كادوا) وقد كادوا
(ليفتنونك) ليصرفونك
ويستزلونك (عن الذى
أوحينا اليك) من كسر
آلهتهم (لتفترى) لتقول (علينا غيره) (قاوخا ٨ بع) غير الذى أمرتك من كسر آلهتهم (واذا لاتخذوك خليلا) صفيا
تابعتك اياهم نزلت هذه الآية فى ثقيف (ولولا أن ثبتناك) عصمناك وحفظناك (لقد كدت) هممت (تركن) تميل (اليهم شيأ قليلا) فيما

وفضل تثبيت (اذا) لوقاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات)لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة الآية وأصل الكلام لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار أي مضاعفا فكان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات مايعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول اللهم لاتكلني الى نفسي طرفة عين (ثم لاتجدلك علينا نصيرا) معينا لك يمنع عذابنا عنك (وان كادوا) أي أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض)من أرض مكة (ليخرجوك منها واذا لايلبثون) لايبقون (خلفك) بعدك أي بعد اخراجك خلافك كوفي (الاقليلا)

عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه عليه الصلاة والسلام ماهم باجابتهم مع قوة لداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه ﴿ اذا لأذقناك ﴾ اي لوقاربت لاذقناك ﴿ ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف مايعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ﴿ ثم لاتجدلك علينا نصيرا ﴾ يدفع العذاب عنك ﴿ وان كادوا ﴾ وان كاد اهل مكة ﴿ ليستفزونك ﴾ ليزعجونك بمعاداتهم ﴿ من الارض ﴾ ارض مكة ﴿ ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك ﴾ ولوخرجت

وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب مما طلبوه *قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لاتكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم ﴿ اذا لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ﴾ أي لوفعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة ﴿ ثم لاتجدلك علينا نصيرا ﴾ أي ناصرا يمنعك من عذابنا * قوله سبحانه تعالى ﴿ وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها ﴾ قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدنية كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فأتوه فقالوا ياأبا القاسم لقد علمت ماهذه بارض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فانزل الله هذه الآية فالارض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ماقبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما أملوه والاستفزاز الازعاج ﴿ واذا لايلبثون خلفك

طلبوك (اذا) لوأعطيت ماطلبوك (لأذقناك ضعف الحيوة) عذاب الدنيا (وضعف الممات) عذاب الآخرة (ثم لاتجدلك علينا نصيرا) مانعا (وان كادوا) وقد كادوا يعني اليهود (ليستفزونك) ليستزلونك (من الارض) أرض المدينة (ليخرجوك منها) الى الشأم (واذا) لوأخرجوك من المدينة (لايلبثون خلافك

غير أبي بكر وشامي بمعناه (الاقليلا) زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من

لايبقون بعد خروجك ﴿ الاقليلا ﴾ الازمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنو النضير بقليل *وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لاعلى خبر كاد فان اذا لاتعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ماقبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

﴿ سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ﴾ نصب على المصدر أى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل عليهم السلام لانها لاجلهم ويدل عليه ﴿ ولاتجد لسنتنا تحويلا ﴾ أى تغييرا ﴿ اقم الصلوة لدلوك الشمس ﴾ أى لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لاتستقر يده وكذا كل ماتركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها فى لثلاث خلون ﴿ الى غسق الليل ﴾ الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة ﴿ وقرآن الفجر ﴾ وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنه كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولادليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ تشهده ملائكة

الاقليلا ﴾ أى لايبقون بعد اخراجك الازمانا قليلا حتى يهلكوا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ يعنى ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لايعذبهم مادام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين أظهرهم عذبهم ﴿ ولاتجد لسنتنا تحويلا ﴾ أى تبديلا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ أقم الصلوة لدلوك الشمس ﴾ روى عن ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعى ومقاتل والضحاك والسدى وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة المواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر ﴿ الى غسق الليل ﴾ أى ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء ﴿ وقرآن الفجر ﴾ يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لاتجوز الابقرآن ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ أى يشهده

أرض العرب أو ومن أرض المدينة (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (ولاتجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلوة لدلوك الشمس) لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (الى غسق الليل) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهد ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول

الاقليلا) يسيرا حتى نهلكهم (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أهلكنا قومهم اذا خرج الرسل من بين أظهرهم (ولاتجد لسنتنا) لعذابنا (تحويلا) تغييرا (أقم الصلوة)

أتم الصلاة يا محمد (لدلوك الشمس) بعد زوال الشمس صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) وبعد دخول الليل صلاة المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) صلاة الغداة (ان قرآن الفجر) صلاة الغداة (كان مشهودا) تشهدها ملائكة الليل

الليل وملائكة النهار اوشواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن ﴿ نافلة لك ﴾ فريضة زائدة لك

ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة في أول وقتها أفضل * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى ﴿ نافلة لك ﴾ أي زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك * روي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك * فان قلت ما معنى التخصيص اذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم * قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات

فصل

في الاحاديث الواردة في قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهني قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى

ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك الهجود للصلاة ويقال في النوم أيضا تهجد (به) بالقرآن (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم

وملائكة النهار (ومن الليل فتهجد به) بقراءة القرآن والتهجد بعد النوم (نافلة) فضيلة (لك) ويقال خاصة

على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ﴿ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن

ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ أبي داود (ق) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على أكثر من احدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم أضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين * عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لايمر بآية رحمة الاوقف وسئل ولا يمر بآية عذاب الاوقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائي * عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا أذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج * عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الارأيناه ولا نشاء أن نراه نائما الارأيناه أخرجه النسائي * زاد في رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيأ ويفطر حتى نقول لايصوم منه شيأ * وقوله عزوجل ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ أجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع انسانا في شئ ثم أحرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي فهي نائلة منكم ان شاء الله من مات

(عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الاخبار أو هو مقام يعطى فيه لواء الحمد

لك (عسى) وعسى من الله واجب (أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أن يقيمك ربك مقاما محمودا مقام الشفاعة محمودا يحمدك الاولون والآخرون

كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لماروى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره بان النـاس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك الامقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى ان يبعثك ذامقام

لايشرك بالله شيأ ا(م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فمن صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الالعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقام محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة (ق) عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك * وفى رواية فيلهمون لذلك فيقولون لواستشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فاستأذن على ربى تعالى فيؤذن لى فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله فيقال يامحمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاقع ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال لى ارفع يامحمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلاأدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال فاقول يارب مابقى فى النار الامن حبسه القرآن أى من وجب عليه الخلود * وفى رواية للبخارى ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم * زاد فى رواية فقال النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لااله الاالله وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لااله الاالله وكان فى قلبه من الخير مايزن برة ثم يخرج من النار من قال لااله الاالله وكان فى قلبه من

الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود في الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله *قوله وهو يومئذ جميع أي مجتمع الذهن والرأي ❁ عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر ومامن نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني أذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على أهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون بي فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد أخرجه الترمذي *قوله ماحل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت منه *وقوله فاقعقعها أي احركها حركة شديدة والقعقعة حكاية أصوات الترس وغيره مماله صوت ❁ عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر أخرجه الترمذي * زاد في رواية غير الترمذي وأنا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف على خدم كأنهن بيض مكنون أو لؤلؤ منثور (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي

﴿وقل رب ادخلني﴾ أي في القبر ﴿مدخل صدق﴾ ادخالا مرضيا ﴿واخرجني﴾ أي منه عند البعث ﴿مخرج صدق﴾ اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل مايلابسه من مكان اوامر واخراجه منه. وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا

قال أنا أول من تنشق عنه الارض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك مقام غيري * عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينماهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضي بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ماهذا الذي تحدثوننا والله يقول انك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما ارادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ ماقبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ماخرج غير رجل واحد أو كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة * وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي * قوله عز وجل ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق﴾ المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق

﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ هو مصدر أي أدخلني القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات (وأخرجني مخرج صدق) أي أخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله ذكره على أثر ذلك البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة أو هو عام في كل مايدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان

(وقل رب) يارب (أدخلني مدخل صدق) يقول أدخلني في المدينة ادخال صدق وكان خارجا من المدينة (وأخرجني) من المدينة (مخرج صدق) اخراج صدق بعد ماكنت فيها فادخلني مكة ويقال ادخلني في القبر مدخل صدق ادخال صدق وأخرجني من القبر يوم القيامة مخرج صدق اخراج صدق

﴿ واخرجني ﴾

واخرجنى فاخرج خروجا ﴿ واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض ﴿ وقل جاء الحق ﴾ الاسلام ﴿ وزهق الباطل ﴾ وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ﴿ ان الباطل كان زهوقا ﴾ مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته فى عين واحد واحد منها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله

واخرجنى بالصدق ولا تجعلنى ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين لا يكون آمنا عند الله ﴿ واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ أى حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرنى به على من عادانى وعزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية * قوله تعالى ﴿ وقل جاء الحق ﴾ يعنى الاسلام والقرآن ﴿ وزهق الباطل ﴾ أى الشرك والشيطان ﴿ ان الباطل كان زهوقا ﴾ أى مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة فى وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ﴾ من فى قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذى هو قرآن ما هو شفاء أى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء الامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين أحدهما الاعتقادات الباطلة والثانى الاخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة لا جرم كان القرآن شفاء لما فى القلوب من هذا النوع وأما النوع الثانى وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾ لما كان القرآن شفاء للامراض الباطنة والظاهرة

(واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا عزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضمحلا فى كل أوان (وننزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة) وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين) وفى الحديث من لم يستشف بالقرآن

(واجعل لى من لدنك) من عندك (سلطانا نصيرا) مانعا بلا ذل ولا رد قول (وقل جاء الحق) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن ويقال ظهر الاسلام وكثر المسلمون (وزهق الباطل) هلك الشيطان والشرك وأهله (ان الباطل) الشيطان والشرك وأهله (كان زهوقا) هالكا (وننزل من القرآن) نبين فى القرآن (ما هو شفاء) بيان من العمى وتبيان من الكفر والشرك والفتنة (ورحمة) من العذاب (للمؤمنين) بمحمد صلى الله عليه وسلم

فلاشفاه الله (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الا خسارا) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين نا ى بالامالة حمزة وبكسرها على (واذا مسه الشر) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال (فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا) أسد مذهبا وطريقة (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) أى من أمر يعلمه ربى الجمهور على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن أبى هريرة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقد عجزت الاوائل

والقرآن (ولا يزيد الظالمين) المشركين بما نزل من القرآن (الا خسارا) غبنا (واذا أنعمنا على الانسان) يعنى الكافر من كثرة ماله ومعيشته (أعرض) عن الدعاء والشكر (ونأى بجانبه) تباعد عن الايمان (واذا مسه الشر) أصابته الشدة والفقر (كان يؤسا) آيسا من رحمة الله نزلت فى عتبة بن ربيعة (قل) يا محمد (كل) كل واحد {فسكت} منكم (يعمل على شاكلته) على نيته وأمره الذى هو عليه ويقال على ناحيته وجبلته (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أصوب دينا (ويسئلونك) يا محمد (عن الروح) سأل أهل مكة أبو جهل وأصحابه (قل الروح من أمر ربى) من عجائب ربى ويقال من علم ربى

كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء * وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ﴿ ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾ لتكذيبهم وكفرهم به ﴿ واذا أنعمنا على الانسان ﴾ بالصحة والسعة ﴿ أعرض ﴾ عن ذكر الله ﴿ ونأى بجانبه ﴾ لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين * وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب أو على انه بمعنى نهض ﴿ واذا مسه الشر ﴾ من مرض أو فقر ﴿ كان يؤسا ﴾ شديد اليأس من روح الله ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة أو جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه ﴿ فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا ﴾ اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ﴿ ويسئلونك عن الروح ﴾ الذى يحيى به بدن الانسان ويدبره ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده

جدير بان يكون رحمة للمؤمنين ﴿ ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾ لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاه الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذا أنعمنا على الانسان ﴾ أى بالصحة والسعة ﴿ أعرض ﴾ أى عن ذكرنا ودعائنا ﴿ ونأى بجانبه ﴾ أى تباعد عنا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم ﴿ واذا مسه الشر ﴾ أى الشدة والضر ﴿ كان يؤسا ﴾ أى آيسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس فلا ينبغى للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة * قوله عز وجل ﴿ قل كل ﴾ أى كل أحد ﴿ يعمل على شاكلته ﴾ قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة أى على طريقته التى جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديئة ﴿ فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ﴾ أى اوضح طريقا واحسن مذهبا واتباعا للحق * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفى رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح

أووجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها أوسكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل عليه السلام وقيل

فسكت وفى رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة ينتظر الوحى وعرفت انه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحى قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لاتسألوه وفى رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش هكذا فى قراءتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أولم يجب عن شئ منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فاسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الاول ما كان شانهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى قال مجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لايخبرنا بشئ حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه مايقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ونزل فى الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسئلونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى واختلفوا فى الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه جبريل وعن على أنه ملك له سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس ليسوا بملائكة ولاناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات والارض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب فى الخلق الذى به يحيا الانسان وهو أصح الاقوال وتكلم قوم فى ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم ألا ترى ان الانسان اذا مات لايفوت منه شئ الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو

عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ماقيل فى حده انه جسم دقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ولان به حياة القلوب ومن أمر ربى أى من روحيه وكلامه ليس من كلام البشرى وروى أن اليهود بعثت الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عن الكل أوسكت عن الكل فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التورة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعنى أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربى دليل خلق الروح فكان هذا جوابا

(وما أوتيتم من العلم الا قليلا) الخطاب عام فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصو بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا وقيل

خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربي معناه من وحيه ﴿ وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركها الحس ولا شيأ من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ﴾ اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور ﴿ ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ﴾ من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا ﴿ الا رحمة من ربك ﴾ فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا

جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل وأقاويل الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها وأولى الاقاويل أن يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي الذي استأثر به ﴿ وما أوتيتم من العلم ﴾ أي من علم ربي ﴿ الا قليلا ﴾ أي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم أن علم التوراة قليل في جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح هو ان الله عز وجل استأثر بعلم الروح ❁ قوله عز وجل ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ﴾ ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب ﴿ ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ﴾ معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا ﴿ الا رحمة من ربك ﴾ معناه الا أن يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته

هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا أضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجدال في السؤال بقوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك

(وما أوتيتم) أعطيتم (من العلم) فيما عند الله (الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) بحفظ الذي أوحينا اليك جبريل به (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) كفيلا ويقال مانعا (الا رحمة) نعمة (من ربك) حفظ القرآن في قلبك

ان فضله كان عليك كبيرا) أى الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع أى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول

لقلنا مثل هذا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا أى لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه العجزوا عن الاتيان بمثله (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه (فابى أكثر الناس الا كفورا) جحودا وانما جاز فابى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان أبى متأول بالنفى كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت

(ان فضله) بالنبوة والاسلام (كان عليك كبيرا) عظيما

يعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله ﴿ ان فضله كان عليك كبيرا ﴾ كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴾ فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ وفيهم العرب العرباء وارباب البيان وأهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاهى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان اتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

﴿ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ﴿ ولقد صرفنا ﴾ كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان ﴿ للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعها فى الانفس ﴿ فابى اكثر الناس الا كفورا ﴾ الا جحودا وانما جاز ذلك

غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا * فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل * قلت المراد منه محو ما فى المصاحف واذهاب ما فى الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما فى صدرهم فيصبحون لا يحفظون شيأ ولا يجدون مما فى المصاحف شيأ ثم يفيضون فى الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب أتلى ولا يعمل بى ﴿ ان فضله كان عليك كبيرا ﴾ أى بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود * قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ أى لا يقدرون على ذلك ﴿ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ أى عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز فى النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام فى أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله * قوله عز وجل ﴿ ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ أى رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها ﴿ فابى أكثر الناس الا كفورا ﴾ أى جحودا

(قل) يا محمد لاهل مكة (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) بمثل هذا القرآن بالامر والنهى والوعد والوعيد والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وخبر ما كان وما يكون (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا (ولقد صرفنا للناس) بينا لاهل مكة (فى هذا القرآن من كل مثل) من كل وجه من الوعد والوعيد (فأبى أكثر الناس الا كفورا) لم يقبلوا ونبتوا

ولم يجز ضربت الازيدا لانه متأول بالنفي ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا﴾ تعنتا واقتراحا بعدما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه * وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لاينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر

* قوله سبحانه وتعالى ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ أي لن نصدقك ﴿حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا﴾ لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات أخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأباسفيان بن حرب والنضر بن الحرث وأبا البختري ابن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأباجهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم في أمره بداء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ومابقي من قبيح الاوقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه قد غلب عليك لاتستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابي ماتقولون ماجئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل مناماعرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الانهار كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها على ماتريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال مابعث

المحجوج المتحير (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) وبالتخفيف كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء

على الكفر (وقالوا) يعني عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه (لن نؤمن لك) لن نصدقك (حتى تفجر لنا) تشقق لنا (من الارض) أرض مكة (ينبوعا) عيونا وأنهارا

(أوتكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر) والتشديد هنا مجمع عليه (الأنهار خلالها) وسطها(تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) بفتح السين مدنى وعاصم أى قطعا يقال اعطنى كسفة من هذا الثواب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة

قوله ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدى بريا أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى فى السماء) تصعد اليها (ولن نؤمن لرقيك) لاجل رقيك (حتى تنزل علينا) وبالتخفيف ابو عمرو (كتابا) أى من السماء فيه تصديقك (نقرؤه) صفة كتاب (قل) قال مكى وشامى اى قال الرسول (سبحان ربى) تعجب من اقتراحاتهم عليه

﴿ أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ﴾ أو يكون لك بستان يشتمل على ذلك ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا فى هذه السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر أو فعل بمعنى مفعول كالطحن ﴿ أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ﴾ كفيلا بما تدعيه أى شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله

ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب

او جماعة فيكون حالا من الملائكة ﴿ او يكون لك بيت من زخرف ﴾ من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة ﴿ أو ترقى فى السماء ﴾ فى معارجها ﴿ ولن نؤمن لرقيك ﴾ وحده ﴿ حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾ وكان فيه تصديقك ﴿ قل سبحان ربى ﴾ تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من ان يأتى أو يتحكم عليه أو يشاركه احد فى القدرة * وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربى اى قال الرسول

بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبى أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أومن لك أبدا حتى تتخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فأنزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعنى ارض مكة ينبوعا أى عيونا ﴿ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ﴾ أى بستان فيه نخيل وعنب ﴿ فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ﴾ أى تشقيقا ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ أى قطعا ﴿ أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ﴾ قال ابن عباس كفيلا أى يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة أى باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ أى من ذهب وأصله الزينة ﴿ أو ترقى ﴾ أى تصعد ﴿ فى السماء ولن نؤمن لرقيك ﴾ أى لاجل رقيك ﴿ حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾ أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبى أمية ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد ﴿ سبحان ربى ﴾ أمره

(أوتكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب) كرم (فتفجر) فتشقق (الانهار خلالها) وسطها (تفجيرا) تشقيقا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) قطعا بالعذاب (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) شهيدا على ما تقول (أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وفضة (أو ترقى فى السماء) أو تصعد الى السماء فتأتينا بالملائكة يشهدون انك رسول من الله بينا (ولن نؤمن لرقيك) لصعودك الى السماء (حتى تنزل علينا كتابا) من الله الينا (نقرؤه) فيه انك رسول الله الينا (قل) لهم يا محمد (سبحان ربى) أنزه ربى عن الولد والشريك

(هل كنت الابشرا رسولا) أى انا رسول كسائر الرسل بشيرمثلهم وكان الرسل لايأتون قومهم الابما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات الى انما هو الى الله فابالكم تخيرونها على (وما منع الناس) يعنى أهل مكة ومحل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثان لمنع (اذجاءهم الهدى) النبى والقرآن (الاأن قالوا) فاعل منع والتقدير ومامنعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الاقولهم

(أبعث الله بشرا رسولا) أى الا شبهة تمكنت فى صدورهم وهى انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة فى أبعث الله للانكار وما أنكروه فى قضية حكمته منكر ثم رد الله عليهم بقوله (قل لوكان فى الارض ملائكة يمشون) على اقدامهم كما يمشى الانس ولايطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا مايجب عليهم (مطمئنين) حال أى ساكنين فى الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فانما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشرا وملكا حالان من رسولا (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على انى بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم شهيدا تمييز أوحال

﴿ هل كنت الابشرا ﴾ كسائر الناس ﴿ رسولا ﴾ كسائر الرسل وكانوا لايأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على مايلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تخيرونها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر فى آيات اخر كقوله ولونزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولوفتحنا عليهم بابا ﴿ ومامنع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى ﴾ أى ومامنعهم الايمان بعد نزول الوحى وظهور الحق ﴿ الاان قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾ الاقولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقران الاانكارهم ان يرسل الله بشرا ﴿ قل ﴾ جوابا لشبهتهم ﴿ لوكان فى الارض ملائكة يمشون ﴾ كما يمشى بنو آدم ﴿ مطمئنين ﴾ ساكنين فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق ﴿ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ﴾ على انى رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواى أو على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا

بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب ﴿ هل كنت الابشرا رسولا ﴾ أى كسائر الرسل لاممهم وكان الرسل لايأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات اليهم انما هو الى الله تعالى ولوأراد أن ينزل ماطلبوا لفعل ولكن لاتنزل الآيات على ما اقترحه البشر وماأنا الا بشر وليس ماسألتم فى طوق البشر * واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات مايغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وماأشبهها من الآيات وليست بدون مااقترحوه بل هى أعظم مما اقترحوه والقوم عاميهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم * قوله عزوجل ﴿ ومامنع الناس أن يؤمنوا اذجاءهم الهدى ﴾ أى الوحى والمعنى ومامنعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا الشبهة تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى ﴿ الاأن قالوا ﴾ أى جهلا منهم ﴿ أبعث الله بشرا رسولا ﴾ وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله ﴿ قل لوكان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين ﴾ أى مستوطنين مقيمين فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ أى من جنسهم لان الجنس الى الجانس أميل ﴿ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ﴾ أى على انى رسوله اليكم وانى قد بلغت ما أرسلت به اليكم [illegible]

(هل كنت الابشرا رسولا) يقول ماأنا الا بشر رسول كسائر الرسل (ومامنع الناس) أهل مكة (أن يؤمنوا) بالله (اذجاءهم الهدى) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (الاأن قالوا) الاقولهم (أبعث الله بشرا رسولا) الينا [illegible] لاهل مكة [illegible] لوكان فى الارض [illegible] يمشون) فيها (مطمئنين) مقيمين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) [illegible] الى الملائكة الرسل الا الملائكة والى البشر الا البشر (قل) يا محمد لاهل مكة (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) بانى رسول الله اليكم

(انهكان بعباده) المنـذرين (خبيرا) عالمـاباحوالهم (بصيرا) بافعالهم فهو مجازيهم وهذه تسليةلرسـول الله عليه السـلام ووعيـد للكفرة (ومن يهدالله فهوالمهتد) وبالياء يعقوب و سهل وافقهما أبوعمرو ومدنى فى الوصل أى من وفقه الله لقبوله ما كان من الهدى فهوالمهتدى عندالله (ومن يضلل) أى ومن يخـذله و لم يعصمه حتى قبـل وساوس الشيطان (فلن تجدلهم أولياء من دونه) أى انصارا (و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أى يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم و قيل لرسول الله عليه السـلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشـاهم عـلى أقدامهم قادرعلى ان يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا فى الدنيا لايستبصرون ولاينطقون بالحق و يتصـامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون مايقر أعينهم و لايسمعون مايلذ مسامعهم و لاينطقون بما يقبل منهم (مأواهم جهنم كلمـا خبت) طفئ لهبها (زدناهم سعيرا) توقدا

نصب على الحال أوالتميز ﴿ انهكان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعلم أحوالهم الباطنة منهـا والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد للكفار ﴿ ومن يهـدالله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجدلهم اوليـاء من دونه ﴾ يهدونهم ﴿ ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ﴾ يسحبون عليهـا أويمشون بهـاروى انه قيـل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم ﴿ عميا وبكما وصمـا ﴾ لايبصرون مايقر أعينهم ولايسمون مايلذ مسامعهم ولاينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا أن ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفى القوى والحواس ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ توقدا بان نبـدل جلودهم

﴿ انه كان بعباده ﴾ يعنى المنذرين والمنذرين ﴿ خبيرا بصيرا ﴾ أى عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾ أى يهدونهم وفيه أيضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك ﴿ ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ﴾ (ق) عن أنس ان رجلا قال يارسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا ❊ وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذى ❊ الحدب كل ما ارتفع من الارض ﴿ عميا وبكما وصما ﴾ أى لايبصرون ولاينطقون ولايسمعون ❊ فان قلت كيف وصفهم بانهم عمى وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فأثبت لهم الرؤية والكلام والسمع ❊ قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لايبصرون مايسرهم بكما لاينطقون بحجة صما لايسمعون مايسرهم الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لايرون ولا ينطقون ولا يسمعون ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ أى سكن لهيبها وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان فى ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لا يفتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبو ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ أى وقودا وقيـل معناه خبت أى نضجت جلودهم واحـترقت أعيـدوا الى ما كانوا

(انه كان بعباده) بارسال الرسـول الى عباده (خبيرا بصيرا) بمن يؤمن وبمن لايؤمن (ومن يهدالله) لدينه (فهوالمهتد) لدينه (ومن يضلل) عن دينه (فلن تجدلهم) لاهل مكة (أولياء من دونه) من دون الله يوفقونهم للهدى (ونحشرهم) (قا و خا ١٠ بع) نسحبهم (يوم القيمة على وجوههم) الى النار (عميا) لايبصرون شيأ (وبكما) خرسا لايتكلمون بشئ (وصما) لايسمعون شيأ (مأواهم) مصيرهم (جهنم كلما خبت) سكنت النار وسكن لهبها (زدناهم سعيرا)

(ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أى ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها ثم يعيدها لايزالون على ذلك ليزيد فى تحسرهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) وهو الموت أو القيامة (فابى الظالمون الا كفورا) جحودا مع وضوح الدليل (قل لو أنتم تملكون) تقديره لو تملكون أنتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلابد من فعل بعدها فاضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر و تملكون تفسيره و هذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الاعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو ان أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (خزائن رحمة ربى) رزقه و سائر نعمه على خلقه (اذا لامسكتم خشية الانفاق) أى لبخلتم خشية أن يفنيه الانفاق (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس

ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لايزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ﴿ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم ﴿أولم يروا﴾ أولم يعلموا ﴿ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم﴾ فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء ﴿وجعل لهم اجلا لاريب فيه﴾ هو الموت أو القيامة ﴿فأبى الظالمون﴾ مع وضوح الحق ﴿الا كفورا﴾ الا جحودا ﴿قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى﴾ خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم

لو ذات سوار لطمتنى

وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص ﴿اذن لأمسكتم خشية الانفاق﴾ لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم ﴿وكان الانسان قتورا﴾ بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ هى العصا واليد والجراد

عليه وزيد فى سعير النار لتحرقهم ﴿ ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا ﴾ لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم باياتنا ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ أجابهم الله وردعليهم بقوله ﴿أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض﴾ أى فى عظمها وشدتها ﴿ قادر على ان يخلق مثلهم ﴾ أى فى صغرهم وضعفهم ﴿وجعل لهم أجلا ﴾ أى وقتا لعذابهم ﴿لاريب فيه ﴾ أى لاشك فيه انه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة ﴿ فابى الظالمون الا كفورا ﴾ أى جحودا وعنادا ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى ﴾ أى خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لانهاية لها ﴿اذا لأمسكتم ﴾ أى لبخلتم وحبستم ﴿خشية الانفاق ﴾ والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة فى وصفهم بهذا الشئ ﴿وكان الانسان قتورا ﴾ أى ممسكا بخيلا * فان قلت قد يوجد فى جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل * قلت الاصل فى الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لابد وأن يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل فى الانسان البخل * قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ أى دلالات واضحات

وقودا (ذلك) العذاب (جزاؤهم) نصيبهم (بانهم كفروا باياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وقالوا) كفار مكة (أئذا كنا) صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) ترابا رميما (أئنا لمبعوثون) (قال) لمحيون (خلقا جديدا) يجدد فينا الروح هذا ما لا يكون أبدا (أولم يروا) أهل مكة (أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق) يحيي (مثلهم وجعل لهم أجلا) وقتا (لاريب فيه) لاشك فيه عند المؤمنين (فأبى الظالمون) المشركون (الا كفورا) لم يقبلوا واستقاموا على الكفر (قل) يا محمد لاهل مكة (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) مفاتيح رزق ربى (اذا لامسكتم) عن النفقة (خشية الانفاق) مخافة الفقر (وكان الانسان) الكافر (قتورا) ممسكا بخيلا مقترا (ولقد آتينا) أعطينا (موسى تسع آيات بينات) مبينات

والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانقلاب البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فقال ان لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرفوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولاتمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولاتقذفوا محصنة ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل شرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام ﴿فاسئل بنى اسرائيل اذجاءهم﴾ فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك أو سلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضى بغير الهمز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا أو سال على هذه القراءة أو فاسئل يا محمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون اذجاءهم أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك أو لتتسلى نفسك أو لتعلم انه تعالى لو أتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم أو ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا أو باضمار يخبروك على انه جواب الامر أو باضمار اذكر على الاستئناف ﴿فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا﴾

رضى الله عنهما هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل أى سلهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل وقوله (اذجاءهم) متعلق بقوله المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) سحرت فخولط عقلك

قال ابن عباس هى العصا واليد البيضاء والعقدة التى كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع اهله فى الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد ابن كعب القرظى عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال ياغلام أخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هى آيات الكتاب وهى الاحكام يدل عليه ماروى عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبى فقال الآخر لاتقل نبى فانه لو سمع صارت له أربعة أعين فاتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لاتشركوا بالله شيأ ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق ولا تزنوا ولاتأكلوا الربا ولاتسحروا ولاتمشوا بالبرئ الى سلطان ليقتله ولاتسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبى قال فما يمنعكم ان تتبعونى قالوا ان داود دعا ربه ان لايزال فى ذريته نبى وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود ﴿فاسئل﴾ يامحمد ﴿بنى اسرائيل﴾ يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم ﴿اذجاءهم﴾ يعنى جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عزوجل ﴿فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا﴾ قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا

اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين وطمس الاموال (فاسئل بنى اسرائيل) عبد الله بن سلام وأصحابه (اذجاءهم) موسى (فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا) مغلوب العقل

(قال) أي موسى (لقد علمت) يافرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض) خالقهما (بصائر) حال أي بينات مكشوفات لانك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا اعلمت على أي اني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (واني لاظنك يافرعون مثبورا) كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا أظنك مثبورا وظني أصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد

وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمري اني لاظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ماثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) يخرجهم أي موسى وقومه (من الارض) أي أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال (فاغرقناه ومن معه جميعا) فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه (وقلنا من بعده) من بعد فرعون (لبني اسرائيل اسكنوا الارض) التي أراد فرعون ان يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) أي القيامة (جئنا بكم لفيفا) جميعا مختلطين اياكم واياه ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم وأشقياءكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه)

سحرت فتخبط عقلك ﴿ قال لقد علمت ﴾ يافرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ﴿ ما أنزل هؤلاء ﴾ يعني الآيات ﴿ الا رب السموات والارض بصائر ﴾ بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال ﴿ واني لأظنك يافرعون مثبورا ﴾ مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ماثبرك عن هذا أي ما صرفك اوهالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان لاخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة ﴿ فاراد ﴾ فرعون ﴿ ان يستفزهم ﴾ ان يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم ﴿ من الارض ﴾ ارض مصر أو الارض مطلقا بالقتل والاستئصال ﴿ فاغرقناه ومن معه جميعا ﴾ فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق ﴿ وقلنا من بعده ﴾ من بعد فرعون واغراقه ﴿ لبني اسرائيل اسكنوا الارض ﴾ التي اراد ان يستفزكم منها ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ الكرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة يعني قيام القيامة ﴿ جئنا بكم لفيفا ﴾ مختلفين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ﴿ وبالحق انزلناه

أي مسحورا وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ لقد علمت ﴾ خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده ﴿ ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض ﴾ يعني الآيات التسع ﴿ بصائر ﴾ أي بينات يبصر بها ﴿ واني لأظنك يافرعون مثبورا ﴾ قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير ﴿ فاراد ان يستفزهم من الارض ﴾ معناه أراد فرعون أن يخرج موسى وبني اسرائيل من أرض مصر ﴿ فاغرقناه ومن معه جميعا ﴾ أي أغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه ﴿ وقلنا من بعده ﴾ أي من بعد هلاك فرعون ﴿ لبني اسرائيل اسكنوا الارض ﴾ يعني أرض مصر والشام ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ يعني القيامة ﴿ جئنا بكم لفيفا ﴾ أي جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وبالحق انزلناه

(قال) له موسى (لقد علمت) يافرعون (ما أنزل) على موسى (هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) بيانا وعلامة لنبوتي (و) (واني لأظنك) أعلم واستيقن (يافرعون مثبورا) ملعونا كافرا (فأراد أن يستفزهم) يستنزلهم (من الارض) أرض الاردن وفلسطين (فأغرقناه) في البحر (ومن معه جميعا وقلنا من بعده) من بعد هلاكه (لبني اسرائيل اسكنوا) انزلوا (الارض) أرض الاردن وفلسطين (فاذا جاء وعد الآخرة) البعث بعد الموت ويقال نزول عيسى ابن مريم (جئنا بكم لفيفا) جميعا (وبالحق أنزلناه) بالقرآن

وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أوما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوي اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به الى طبيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا الى أين فقلنا له الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولي الله بعدو الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل

وبالحق نزل ﴾ أي ومانزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله ومانزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره ﴿ وما ارسلناك الا مبشرا ﴾ للمطيع بالثواب ﴿ ونذيرا ﴾ للعاصي بالعقاب فلا عليك الا التبشير والانذار ﴿ وقرآنا فرقناه ﴾ نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه *وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ على مهل و تؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم *وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ ونزلناه تنزيلا ﴾ على حسب الحوادث ﴿ قل آمنوا به أولا تؤمنوا ﴾ فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ﴿ ان الذين اوتوا العلم من قبله ﴾ تعليل له أي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة و عرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة ماانزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ﴿ اذا يتلى عليهم ﴾ القرآن

وبالحق نزل ﴾ يعني ان ما أردنا بانزال القرآن الا تقريره للحق فلما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما أنزلنا القرآن الا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير ﴿ وما أرسلناك الا مبشرا ﴾ يعني بالجنة للمطيعين ﴿ ونذيرا ﴾ أي مخوفا بالنار للعاصين * قوله عز وجل ﴿ وقرآنا فرقناه ﴾ أي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ أي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة ﴿ ونزلناه تنزيلا ﴾ أي على حسب الحوادث ﴿ قل آمنوا به أولا تؤمنوا ﴾ فيه وعيد وتهديد ﴿ ان الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ قيل هم مؤمنو أهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم ﴿ اذا يتلى عليهم ﴾ يعني القرآن

وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي في الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وما أرسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أي فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أي اختاروا لانفسكم النعيم المقيم أو العذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أي التوراة من قبل القرآن (اذا يتلى عليهم) القرآن

أنزلنا جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم (وبالحق نزل) بالقرآن نزل (وما أرسلناك) يا محمد (الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) أنزلنا جبريل بالقرآن (فرقناه) بيناه بالحلال والحرام والامر والنهي (لتقرأه على الناس على مكث) مهل وهينة وترسل (ونزلناه تنزيلا) بيناه تبيانا ويقال نزلنا جبريل بالقرآن تنزيلا متفرقا آية وآيتين وثلاثا وكذا وكذا (قل) لهم يا محمد (آمنوا به) بالقرآن (أولا تؤمنوا) وهذا وعيد لهم (ان الذين أوتوا العلم) أعطوا العلم بالتوراة بصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (من قبله) من قبل القرآن (اذا يتلى) يقرأ (عليهم) القرآن

(يخرون للاذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعدربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أى أعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ماوعد فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان بمعنى انه وهى تؤكد الفعل كما أن ان تؤكد الاسم وكما أكدت ان باللام فى انهم لمحضرون أكدت ان باللام فى لمفعولا (ويخرون للاذقان يبكون) ومعنى

الخرور للذقن السقوط على الوجه وانما خص الذقن لان أقرب الاشياء من وجهه الى الارض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر لوجهه ولذقنه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) لين قلب ورطوبة عين (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) لما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن قال انه نهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر فنزلت وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله فى التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأو

﴿يخرون للاذقان سجدا﴾ يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله أو شكرا لانجاز وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ﴿ويقولون سبحان ربنا﴾ عن خلف الموعد ﴿ ان كان وعد ربنا لمفعولا ﴾ انه كان وعده كائنا لامحالة ﴿ ويخرون للاذقان يبكون ﴾ كرره لاختلاف الحال أو السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول مايلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ﴿ويزيدهم﴾ سماع القرآن ﴿خشوعا﴾ كما يزيدهم علما ويقينا بالله ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر أو قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين فانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود المطلق وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو جواب لقوله ﴿ أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ﴾ والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف

﴿ يخرون للاذقان ﴾ قال ابن عباس أراد بها الوجوه ﴿ سجدا ﴾ أى يقعون على الوجوه سجدا ﴿ ويقولون سبحان ربنا ﴾ أى تعظيما لربنا لانجازه ماوعد فى الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ان كان وعد ربنا لمفعولا ﴾ أى كائنا واقعا ﴿ ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ أى خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا اجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذى والنسائى وزاد النسائى فى منخرى مسلم أبدا * الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله أخرجه الترمذى * قوله عز وجل ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين فأنزل الله هذه الآية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم ﴿أياما تدعوا ﴾ ماصلة ومعناه أى هذين الاسمين سميتم وذكرتم أو من جميع أسمائه ﴿ فله الاسماء الحسنى ﴾ يعنى اذا

للتخيير أى سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى (أياما تدعوا) عوض من المضاف اليه (حسنت) وما زيدت للتوكيد وأيا نصب بتدعوا وهو مجزوم بأى أى أى هذين الاسمين ذكرتم وسميتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير فى فله

يقرأ (يخرون للاذقان) على الوجوه (سجدا) يسجدون لله (ويقولون سبحان ربنا) نزهوا الله عن الولد والشريك (ان كان) قد كان (وعد ربنا) فى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم (لمفعولا) كائنا صدقا (ويخرون للاذقان) للسجود (يبكون) فى السجود (ويزيدهم خشوعا) تواضعا نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه (قل) لهم يا محمد (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) الصفات العليا

اولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين فى ايا عوض عن المضاف اليه وماصلة لتأكيد مافى ايا من الابهام والضمير فى فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياماتدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ماهو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ﴿ ولاتجهر بصلوتك ﴾ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ﴿ ولاتخافت بها ﴾ حتى لاتسمع من خلفك من المؤمنين ﴿ وابتغ بين ذلك ﴾ بين الجهر والمخافتة ﴿ سبيلا ﴾ وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابابكر رضى الله تعالى عنه كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله تعالى عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله تعالى عليه وسلم ابابكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لاتجهر بصلاتك كلها ولاتخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا ﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ﴾ فى الالوهية

حسنت أسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى أنها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم والتمجيد ﴿ ولاتجهر بصلوتك ولاتخافت بها ﴾ (ق) عن ابن عباس فى قوله ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاتجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولاتخافت بها عن أصحابك فلاتسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد فى رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولاتجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية فى الدعاء وهو قول عائشة والنخعى ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قالت نزل ذلك فى الدعاء وقيل كان أعراب من بنى تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله عز وجل ولاتجهر بصلاتك أى لاترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولاتخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت ﴿ وابتغ ﴾ أى اطلب ﴿ بين ذلك سبيلا ﴾ أى طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال انى أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال انى أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذى ﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ﴾ أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذى عرفنى انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد ﴿ ولم يكن له شريك فى الملك ﴾ والسبب فى اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن

ترجع الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط أى أيا ماتدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان ﴿ ٧٩ ﴾ لانهما منها {سورة بني اسرائيل} ومعنى كونها أحسن الاسماء انها مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم (ولاتجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لايلبس اذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لاغير والصلاة أفعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولاتجهر حتى لاتسمع المشركين (ولاتخافت بها) حتى لاتسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا أو معناه ولاتجهر بصلاتك كلها ولاتخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار او بصلاتك بدعائك (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود والنصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كما زعم المشركون

مثل العلم والقدرة والسمع والبصر فادعوه بها (ولاتجهر بصلوتك) يقول لاتجهر بصوتك بقراءة القرآن فى صلاتك لكى لايؤذيك المشركون (ولاتخافت بها) ولاتسر بقراءة القرآن فلاتسمع أصحابك (وابتغ) اطلب (بين ذلك) بين الرفع والخفض (سبيلا) طريقا وسطا (وقل الحمد لله) الشكر والالوهية لله (الذى لم يتخذ ولدا) من الملائكة والآدميين فيرث ملكه (ولم يكن له شريك فى الملك)

﴿ ولم يكن له ولى من الذل ﴾ ولى يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له مايشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وماعداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله ﴿ وكبره تكبيرا ﴾ وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك * روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية * وعنه عليه السلام من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ﴾ يعنى القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادى الى مافيه كمال العباد والداعى الى مابه

مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله ﴿ ولم يكن له ولى من الذل ﴾ ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به ﴿ وكبره تكبيرا ﴾ أى وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولى وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولى كان مستوجبا لجميع أنواع المحامد * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مايدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء * عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ماشكر الله عبد لا يحمده * عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا اله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * عن سمرة ابن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الكهف وهى مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ﴾ أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة

مذلة به ليدفعها بموالاته (وكبره تكبيرا) وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبى عليه السلام الآية آية العز وكان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية ﴿ سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية بصرى وعشر آيات كوفى ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحمد لله الذى أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم

فيعاديه (ولم يكن له ولى) معين (من الذل) من أهل الذل يعنى اليهود والنصارى والمشركين وهم اذل الناس ويقال لم يزل حتى يحتاج الى ولى من اليهود والنصارى (وكبره تكبيرا) يعنى عظمه تعظيما عن مقالة اليهود والنصارى والمشركين والله أعلم باسرار كتابه ومن السورة التى يذكر فيها الكهف وهى كلها مكية غير آيتين مدنيتين ذكر فيهما عيينة بن حصن الفزارى آياتها مائة واحدى عشرة وكلماتها

الف وخمسمائة وسبع وستون وحروفها ستة آلاف واربعمائة وستون حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر لله والالهية لله (الذى أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) جبريل بالقرآن

(ولم يجعل له عوجا) أي شيأ من العوج والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان يقال في رأيه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة (قيما) مستقيما وانتصابه بمضمر وتقدير وجعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها (لينذر) أنذر متعدالى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا

فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (بأسا) عذابا (شديدا) وانما اقتصر على أحد مفعولي أنذر لان المنذر به هو المسوق اليه فاقتصر عليه (من لدنه) صادرا من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أي بان لهم (أجرا حسنا) أي الجنة ويبشر حمزة وعلي (ماكثين) حال من هم في لهم (فيه) في الاجر وهو الجنة (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الاول استغناء لتقدم ذكره (مالهم به من علم) أي بالولد أو باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت معناه مالهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه أو لانه في نفسه

ينتظم صلاح المعاش والمعاد ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ شيأ من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى أو انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان ﴿ قيما ﴾ مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط أو قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال من الضمير في له أو من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما ﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾ اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه ﴿ من لدنه ﴾ صادرا من عنده *وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ﴾ هو الجنة ﴿ ماكثين فيه ﴾ في الاجر ﴿ ابدا ﴾ بلا انقطاع ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ﴿ مالهم به من علم ﴾ أي بالولد أو باتخاذه أو بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر أو بانه اذ لو علموه لما جوزوا

عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ أي لم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روي عن ابن عباس في قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق ﴿ قيما ﴾ أي مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرائعها ﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾ معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس ﴿ من لدنه ﴾ أي من عنده ﴿ و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا ﴾ يعني الجنة ﴿ ماكثين فيه ﴾ أي مقيمين فيه ﴿ أبدا و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ﴾ أي بالولد و باتخاذه يعني

(ولم يجعل له عوجا) لم ينزله مخالفا للتوراة والانجيل وسائر الكتب (قا و خا ١١ ع) بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته نزلت في شأن اليهود حين قالوا القرآن مخالف لسائر الكتب (قيما) على الكتب ويقال مستقيما (لينذر) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (بأسا) عذابا (شديدا من لدنه) من عنده (ويبشر) محمد بالقرآن (المؤمنين) المخلصين (الذين يعملون الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (أن لهم أجرا حسنا) ثوابا كريما في الجنة (ماكثين فيه) مقيمين في الثواب لا يموتون ولا يخرجون (أبدا وينذر) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (الذين قالوا اتخذ الله ولدا) يعني اليهود والنصارى وبعض المشركين (مالهم به) من مقالتهم (من علم) من حجة

علمائهم ولا لآبائهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظام الاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم

من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أي قولا كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أي آثار الكفار شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الأسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أي لفرط الحزن والاسف المبالغة في الحزن والغضب (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها) أي ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها

نسبة الاتخاذ اليه ﴿ ولا لآبائهم ﴾ الذين تقولوه بمعنى التبني ﴿ كبرت كلمة ﴾ عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وابهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز *وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود ﴿ تخرج من افواههم ﴾ صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس *وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ﴿ ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك ﴾ قاتلها ﴿ على آثارهم ﴾ اذ ولوا عن الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم *وقرئ باخع نفسك على الاضافة ﴿ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ بهذا القرآن ﴿ اسفا ﴾ للتأسف عليهم أو متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية ﴿ انا جعلنا ماعلى الارض ﴾ من الحيوان والنبات والمعادن ﴿ زينة لها ﴾

ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط * فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم *قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به ﴿ ولا لآبائهم ﴾ أي ولا لأسلافهم من قبل ﴿ كبرت ﴾ أي عظمت ﴿ كلمة تخرج من أفواههم ﴾ أي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد ﴿ ان يقولون الا كذبا ﴾ أي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلما ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب* قوله عز وجل ﴿ فلعلك باخع نفسك ﴾ أي قاتل نفسك ﴿ على آثارهم ﴾ أي من بعدهم ﴿ أن لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ يعني القرآن ﴿ أسفا ﴾ أي حزنا وقيل غيظا ﴿ انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها ﴾ أي مما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى

ولا بيان (ولا لآبائهم) كان علم ذلك (كبرت كلمة) عظمت كلمة الشرك (تخرج من أفواههم) تظهر على أفواههم (ان يقولون) ما يقولون (الا كذبا) على الله (فلعلك

يا محمد (باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) لاجلهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بأن لم يؤمنوا بهذا القرآن (أسفا) حزنا (انا جعلنا ماعلى الارض) من الرجال والنساء (زينة لها) زهرة للارض (لنبلوهم)

(لتبلوهم ايهم احسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله (واناالجاعلون ما [illegible]
الزينة(صعيدا) أرضاملساء (جرزا) يابسالانبات فيها بعد ان كانت حضراء [illegible]

ولاهلها ﴿ لتبلوهم ايهم احسن عملا ﴾ فى تعاطيه وهومن زهد فيه ولم يغتربه وقنع منه بما يزجى به ايامه وصرفه على ماينبغى وهو تسكين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا ﴾ تزهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انالنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لانبات فيه ﴿ أم حسبت ﴾ بل احسبت ﴿ ان اصحاب الكهف والرقيم ﴾ فى ابقاء حياتهم مدة مديدة ﴿ كانوا من آياتنا عجبا ﴾ وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيآت متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادى الذى فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال امية بن ابى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهمو والقوم فى الكهف هجد

أو لوح رصاصى أو حجرى رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مربى بقرة فاشتريت به فصيلا فبلغت ماشاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لى عندك حقا وذكره لى حتى عرفت فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فى فضل واصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبى له واغنى عيالك

﴿ لنبلوهم ﴾ فمن بلو يجب ان لا يدخل فى ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم ﴿ أيهم أحسن عملا ﴾ أى أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها ﴿ وانا لجاعلون ماعليها ﴾ أى من الزينة ﴿ صعيدا جرزا ﴾ يعنى مثل أرض لانبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذى لا ينبت فيه شئ * قوله سبحانه وتعالى ﴿ أم حسبت ﴾ أى ظننت يا محمد ﴿ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ أى هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا باعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض ومافيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم

والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا باماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لاحصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعنى ان ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم هو اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب فى شانهم أو اسم الجبل الذى فيه الكهف (كانوا من آياتنا عجبا) أى كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر أو على

(لنبلوهم) لنختبرهم (أيهم) من هم (أحسن) أخلص (عملا) ويقال انا جعلنا ماعلى الارض من النبات والشجر والدواب والنعيم زينة لها زهرة للارض لنختبر أيهم أزهد فى الدنيا وأترك لها (وانا لجاعلون) مغيرون (ماعليها) من الزهرة (صعيدا) ترابا (جرزا) املس لانبات فيها (أم حسبت) أظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم) والكهف هو الجبل الذى فيه الغار والرقيم هو اللوح من رصاص فيه أسماء الفتية وقصتهم ويقال الرقيم هو الوادى الذى فيه الكهف ويقال الرقيم هو مدينة (كانوا من آياتنا) من عجائبنا (عجبا) الشمس والقمر والسماء

فاتت وسلمت الى نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت أخاف الله فقلت لها خفته فى الشدة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى ابوان همان وكان لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فأتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق على ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير ﴿ اذ أوى الفتية الى الكهف ﴾ يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو ﴿ وهيئ لنا من امرنا ﴾ من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿ رشدا ﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين أواجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشئ

الوادى الذى فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التى خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذى فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل ﴿ اذ أوى الفتية الى الكهف ﴾ أى صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشباب ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ أى رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء ﴿ وهيئ لنا ﴾ اى أصلح لنا ﴿ من أمرنا رشدا ﴾ أى حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

﴿ ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه ﴾

قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك فى قرية نزلها أحدا الافتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه أهل الايمان وهربوا فى كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان فى أماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فهم من يرغب فى الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة فى الايمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ماقطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل

متن

ذات عجب (اذ) أى اذكر (أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا) أى الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أواجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا أو يسر لنا طريق رضاك

والارض والنجوم والجبال والبحار وأعجب من ذلك (اذ أوى الفتية الى الكهف) دخل غلة فى غار الكهف (فقالوا) حين دخلوا (ربنا) يا ربنا (آتنا من لدنك رحمة) أى ثبتنا على دينك (وهيئ لنا من أمرنا رشدا) مخرجا

وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينماهم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ماخلفكم عن أمر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فأتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التى تعبد فى الارض وتجعلوا انفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا اما أن تذبحوا لآلهتنا واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم ان لنا الها ملء السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها أبدا له الحمد والتكبير من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع بنا مابدالك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعنى أن أعجل ذلك لكم الا أنى أراكم شبانا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم أمر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا و خافوا اذا قدم أن يذكرهم فأتمروا بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له ينجلوس فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه فيصنع بهم مايشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقى معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ماتريدون منى لاتخشوا منى انا احب احباب الله عز وجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجلهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم يأخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشئ ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ماشاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى لاصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل فاخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا أخوتاه ارفعوا رؤسكم و اطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض

من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبيناهم على ذلك اذ ضرب الله عزوجل على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ماأصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا أن بي غضبا عليهم لجهلهم ماجهلوا من أمري ما كنت لاجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا أرسل الى آبائهم فاتي بهم فقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا وأهلكوها في أسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى ينجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل مايدري مايصنع بالفتية فالقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عزوجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون مايصنع بهم وقد توفى الله عزوجل أرواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ماغشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر روناس اهتما أن يكتبا شأن هؤلاء الفتية واسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس مابقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك * وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان أحدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الايمان في قلوبهم فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبني عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره وجلس اليه من غير أن يظهر على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ماجمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفش كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا

قد ناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقي ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يريدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل بيدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم أئمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله سبحانه وتعالى في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه ذلك الكهف وكان اسمه اولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف ويبني به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شئ ينكرونه وانهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم أنبئنا ما قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم في المدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذ دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتغ لنا طعاما فأتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به فقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر

بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال به حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان أمر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ياليت شعرى ماهذه أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة فى هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلى نائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعل على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى فى أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران المدينة وهو يقول فى نفسه والله ما أدرى ماهذا أما عشية أمس فليس كان على الارض من يذكر عيسى ابن مريم الا قتل وأما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى ابن مريم لايخاف ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التى أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقى فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يافتى فقال اسمها افسوس فقال فى نفسه لعل بى مسا أو أمرا أذهب عقلى والله يحق لى ان أسرع الخروج قبل ان يصيبنى فيها شر فأهلك فمضى الى الذين يبتاعون الطعام فاخرج لهم الورق التى كانت معه وأعطاها رجلا منهم وقال له بعنى بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل و يتعجبون منها و يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزا خبيئا فى الارض منذ زمان طويل فلما رآهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضلوا على قد أخذتم ورقى فامسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لى به فقالوا له يافتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرناه وشاركنا فيه نخفف عليك ماوجدت وانك ان لم تفعل نحملك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت فى كل شئ كنت احذر منه فقالوا له يافتى انك والله لاتستطيع ان تكتم ماوجدت وجعل تمليخا مايدرى مايقول لهم وخاف حتى لم يحر على لسانه اليهم شئ فلما رأوه لايتكلم أخذوا كساءه فطرحوه فى عنقه وجعلوا يسحبونه فى سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ماهذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا لايدرى مايقول لهم وكان متيقنا ان أباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم

اذا اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكى والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض أفرغ على اليوم صبرا وأولج معى روحا منك تؤيدنى به عند هذا الجبار وجعل يقول فى نفسه فرقوا بينى وبين اخوتى ياليتهم يعلمون ما لقيت وياليتهم يأتوننى فنقوم جميعا بين يدى هذا الجبار فانا قد كنا تواثقنا على الايمان بالله وأن لا نشرك به أحدا أبدا ولا نفترق فى حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين أريوس وطنطيوس ورأى أنه لم يذهب الى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ أريوس وطنطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا أين الكنز الذى وجدت يافتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائى ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدرى ما شأنى وما أقول لكم فقال له أحدهما ممن أنت فقال تمليخا أما أنا فكنت أرى أنى من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكى ينفلت منكم فقال له أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها ولهذه الورق أكثر من ثلاثمائة سنة وأنت غلام شاب أتظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وانى لاظننى سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذى وجدته فقال لهم تمليخا أخبرونى عما أسألكم عنه فان أنتم فعلتم صدقتكم عما عندى فقالوا له سل لانكتمك شيأ فقال فما فعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك فى الزمان الاول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا انى اذا لحيران وما يصدقنى أحد من الناس فيما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وان الملك أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فأتينا الى الكهف الذى فى جبل ينجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشترى لاصحابى طعاما أتجسس الاخبار فاذا أنا معكم كما ترون فانطلقوا معى الى الكهف أريكم أصحابى فلما سمع أريوس قول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وطنطيوس ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى الفتية اصحاب الكهف تمليخا لقد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتى فيه ظنوا انه قد أخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم

ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه ألآن بين يدى الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبينماهم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة اذهم بأريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة لاريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء أهل المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما مكسلمينا ومخشلميناو تمليخا ومرطونس وكشطونس وبيرونس وديموس وبطيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس وأصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقدكان توفاهم منذ ثلاثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض وأعبدك واسبح لك تطولت على ورحمتنى ولم تطفئ الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح بيدروس ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة افسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذاهم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوا فى منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وامر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر ان يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة

(وذكر)

(فضربنا على آذانهم فى الكهف) أى ضربنا عليها حجابا من النوم يعنى أنمناهم انامة ثقيلة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذى هو الحجاب (سنين عددا) ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أى تعد عددا لكثرتها لان القليل يعلم مقداره من غير عدد فاذا كثر عد فامادارهم معدودة فهى على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم أيقظناهم من النوم (لنعلم أى الحزبين) المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أى الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأمدا ظرف لاحصى أو مفعول له والفعل الماضى خبر المبتدأ وهو أى والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولى نعلم والمعنى أيهم ضبط أمدا لاوقات لبثهم واحاط علما بامد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الاحصاء وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس وانما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ماتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا وليكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق

﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امرأته ﴿ فى الكهف سنين ﴾ ظرفان لضربنا ﴿ عددا ﴾ أى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ﴿ ثم بعثناهم ﴾ ايقظناهم ﴿ لنعلم ﴾ ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا ﴿ أى الحزبين ﴾ المختلفين منهم أو من غيرهم فى مدة لبثهم ﴿ احصى لما لبثوا أمدا ﴾ ضبط امدا لزمان لبثهم ومافى اى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وماموصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله

واضرب منا بالسيوف القوانسا

﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾ بالصدق

وذكر انه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا فى الزمان الاول وأن أسماءهم مكتوبة على لوح فى خزانة فدعا باللوح ونظر فى أسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا هم أصحابى فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى حتى أدخل على أصحابى فابشرهم فانهم أن رأوكم معى أرعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عزوجل اذ أوى الفتية الى الكهف أى صاروا الى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أى هداية فى الدين وهيء لنا أى يسر لنا من أمرنا رشدا أى ماتلتمس منه رضاك ومافيه رشدنا وقال ابن عباس أى مخرجا من الغار فى سلامة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أى ألقينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه ﴿ فى الكهف سنين عددا ﴾ أى أنمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة ﴿ ثم بعثناهم ﴾ أى من نومهم ﴿ لنعلم ﴾ أى علم مشاهدة وذلك ان الله عزوجل لم يزل عالما وانما أراد ماتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ﴿ أى الحزبين ﴾ أى الطائفتين ﴿ أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ أى احفظ لما مكثوا فى كهفهم نياما وذلك ان أهل المدينة تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف * قوله تعالى ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾ أى نقرأ عليك

(فضربنا على آذانهم) ألقينا عليهم النوم وأنمناهم (فى الكهف سنين عددا) ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ثم بعثناهم) ايقظناهم كما ناموا (لنعلم)لكى نرى (أى الحزبين)أى الفريقين المؤمنين والكافرين (أحصى لما لبثوا) أحفظ لما مكثوا فى الكهف (أمدا) أجلا (نحن نقص عليك) نبين لك (نبأهم) خبرهم (بالحق)

(انهم فتية) جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى مالايدعى قبل الفعل ولايزكى نفسه بعد الفعل (آمنوا بربهم وزدناهم هـدى) يقينـا وكانوا من خواص دقيـانوس قـد قذف الله فى قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منافيظهر كلاهما مايضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر عـلى هجران الاوطـان والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذقاموا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غـير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبـادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السمـوات والارض) مفتخرين (لن ندعو من دونه الها) ولئن سميناهم آلهة (لقدقلنااذا شططا) قولا

ذاشطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط يشط ويشط اذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار فى معنى الانكار (لولا يأتون عليهم) هـلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبـادة الاوثان محال (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهـم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهـم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير أى واذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الاالله) استثناء متصل لانهم كانوا يقرون

﴿انهم فتية﴾ شبان جمع فتى كصبى وصبية ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ بالتثبت ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار ﴿اذقاموا﴾ بين يديه ﴿فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا﴾ والله لقد قلنا قولا ذا شطط أى ذا بعد عن الحق مفرط فى الظلم ﴿هؤلاء﴾ مبتدأ ﴿قومنا﴾ عطف بيان ﴿اتخذوا من دونه آلهة﴾ خبره وهو اخبار فى معنى الانكار ﴿لولا يأتون﴾ هلا يأتون ﴿عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسـلطان بين﴾ ببرهـان ظـاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيـه دليل على ان مالا دليل عليـه من الديانات مردود وان التقليد فيه غـير جائز ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك اليه ﴿واذ اعتزلتموهم﴾ خطاب بعضهم لبعض ﴿ومايعبدون الاالله﴾

خبر أصحاب الكهف بالحق أى بالصدق ﴿انهم فتية﴾ أى شبان ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ أى ايمـاناً وبصيرة ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أى شـددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف ﴿اذقاموا﴾ يعنى بين يدى دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام ﴿فقالوا﴾ أى الفتية ﴿ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها﴾ انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبـدون الاصنام ﴿لقد قلنا اذا شططا﴾ قال ابن عباس يعنى جورا وقيل كذبا يعنى ان دعونا غير الله ﴿هؤلاء قومنا﴾ يعنى أهل بلدهم ﴿اتخذوا من دونه﴾ أى من دون الله ﴿آلهة﴾ يعنى أصناما يعبـدونها ﴿لولا﴾ أى هلا ﴿يأتون عليهم﴾ أى على عبـادة الاصنام ﴿بسلطان بين﴾ أى بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ أى وزعم أن له شريكا أو ولدا ثم قال بعضهم لبعض ﴿واذاعتزلتموهم﴾ عن قومكم ﴿ومايعبدون الاالله﴾ وذلك انهم كانوا يعبدون

بالقرآن (انهم فتية) غلمة (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بصيرة فى أمر دينهم ويقال ثبتناهم فى أمر دينهم ويقال ثبتناهم على الايمـان (وربطنا على قلوبهم) حفظنا ﴿ الله ﴾ قلوبهم بالايمان ويقال ألهمناهم الصبر (اذقاموا) اذخرجوا من عند الملك دقيانوس الكافر (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه) لن نعبد من دون الله (الها) ربا (لقدقلنا اذا شططا) كذبا وزورا على الله (هؤلاء قوما اتخذوا من دونه) عبدوا من دون الله (آلهة) من الاوثان (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة بينة ان الله أمرهم بذلك (فمن أظلم) فليس احد أظلم (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) بأن له شريكا (واذاعتزلتموهم) تركتموهم وتركتم دينهم (ومايعبدون) من دون الله من الاوثان فلا تعبدوا (الاالله)

بالخالق ويشركون معه غيره كاهل مكة أو منقطع أي واذا اعتزلتم الكفار والاصنام التي يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله (فأووا الى الكهف) صيروا اليه أو اجعلوا الكهف مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) مرفقا مدني وشامي وهو ما يرتفق به أي ينتفع وانما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم أو أخبرهم به نبي في عصرهم (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بتخفيف الزاي كوفي وفي تزور شامي تزاور غيرهم وأصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي أو حذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق (عن كهفهم) أي تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم أي تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل منفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها

عطف على الضمير المنصوب أي واذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذا اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم ﴿فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم﴾ يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم ﴿من رحمته﴾ في الدارين ﴿ويهيئ لكم من امركم مرفقا﴾ ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى * وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح ﴿وترى الشمس﴾ لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل احد ﴿اذا طلعت تزاور عن كهفهم﴾ تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا أو لان الله تعالى زورها عنه واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي * وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر * وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ﴿ذات اليمين﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين ﴿واذا غربت تقرضهم﴾ تقطعهم وتصرم عنهم ﴿ذات الشمال﴾ يعني يمين الكهف وشماله لقوله ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي الغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي شأنهم أو ايواؤهم الى كهف شأنه

الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته ﴿فأووا الى الكهف﴾ أي الجؤا اليه ﴿ينشر لكم﴾ أي يبسط لكم ﴿ربكم من رحمته ويهيئ﴾ أي يسهل ﴿لكم من أمركم مرفقا﴾ أي ما يعود اليه يسركم ورفقكم * قوله سبحانه وتعالى ﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور﴾ أي تميل وتعدل ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ أي جانب اليمين ﴿واذا غربت تقرضهم﴾ أي تتركهم وتعدل عنهم ﴿ذات الشمال وهم في فجوة منه﴾ أي متسع من الكهف ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان في ذلك السمت

(فأووا الى الكهف) فادخلوا هذا الغار (ينشر لكم) يبسط لكم (ربكم من رحمته) من نعمته (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) ما يرفق بكم غدا وهذا كله قول الفتية (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) تميل (عن كهفهم ذات اليمين) يمين الغار (واذا غربت تقرضهم) تتركهم (ذات الشمال) شمال الغار (وهم في فجوة منه) في ناحية من الكهف ويقال في فضاء منه من الضوء (ذلك) الذي ذكرت من قصتهم (من آيات الله) من عجائب الله

طالعة وغاربة آية من آيات الله يعنى ان ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وق
باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شا

كذلك أو اخبارك قصتهم أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله ﴿ من يهد الله ﴾ بالتوفيق ﴿ فهو المهتد ﴾ الذى اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم أو التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها ﴿ ومن يضلل ﴾ ومن يخذله ﴿ فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ من يليه ويرشده ﴿ وتحسبهم ايقاظا ﴾ لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم ﴿ وهم رقود ﴾ نيام ﴿ ونقلبهم ﴾ فى رقدتهم ﴿ ذات اليمين وذات الشمال ﴾ كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أى وترى تقلبهم ﴿ وكلبهم ﴾ هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أى وصاحب كلبهم ﴿ باسط ذراعيه ﴾ حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل ﴿ بالوصيد ﴾ بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾ لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة

تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة أبدا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا فى متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أى ان شأنهم وحديثهم من آيات الله ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ يعنى مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم ﴿ ومن يضلل ﴾ أى ومن يضلله الله ولم يرشده ﴿ فلن تجد له وليا ﴾ أى معينا ﴿ مرشدا ﴾ أى يرشده ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وتحسبهم ﴾ خطابا لكل أحد ﴿ أيقاظا ﴾ أى منتبهين لان أعينهم مفتحة ﴿ وهم رقود ﴾ أى نيام ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون فى يوم عاشوراء وقيل كان لهم فى السنة تقليبتان ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه ﴾ قال ابن عباس كان كلبا أغر وعنه أنه كان فوق القلطى ودون الكرزى والقلطى كلب صينى وقيل كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس فى الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم ﴿ بالوصيد ﴾ أى فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان ينقلب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ يا محمد ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾ وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ

وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) مثل ما مر فى سبحان وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) اى من أضله فلا هادى له (وتحسبهم) بفتح السين شامى وحمزة وعاصم غير الاعشى وهو خطاب لكل أحد (أيقاظا) جمع يقظ (وهم رقود) نيام قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء (وكلبهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى المضى (بالوصيد) بالفناء او بالعتبة (لو اطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت اليهم (لوليت منهم) لاعرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لان معنى وليت

(من يهد الله) لدينه (فهو المهتد) لدينه (ومن يضلل) عن دينه (فلن تجد له وليا مرشدا) موفقا يوفقه للهدى (وتحسبهم) يا محمد (أيقاظا) غير نيام
(وهم رقود) نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) فى كل عام مرة لكى لا تأكل الارض لحومهم (وكلبهم) (الكتاب) قطمير (باسط ذراعيه بالوصيد) بفناء الباب (لو اطلعت) هجمت (عليهم) فى تلك الحال (لو ليت منهم) لادبرت عنهم (فرار

منهم فورت منهم (ولملئت منهم) وبتشديد اللام حجازي للمبالغة (رعبا) تمييز وبضم العين شامي وعلي وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لقد قيل لمن خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بأمره فاحرقتهم ريح (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم اظهارا للقدرة على الانامة والبعث جميعا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وماصنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبثتم) كم مدة لبثكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) بمدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالادلة أو بالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما على ان الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال في الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة وهذا قول جمع آخرين

والحال ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضي الله عنه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وماصنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم الله به عليهم ﴿ قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ﴾ بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة لبثه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى ﴿ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ﴾ ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم أو اليوم الذي

الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ أي خوفا من وحشة المكان وقيل لان أعينهم مفتحة كالمتيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ يعني كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ أي ليسأل بعضهم بعضا ﴿ قال قائل منهم ﴾ وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا ﴿ كم لبثتم ﴾ أي في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم راعهم مافاتهم من الصلاة فقالوا ذلك ﴿ قالوا لبثنا يوما ﴾ ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا ﴿ أو بعض يوم ﴾ فلما نظروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا انهم لبثوا أكثر من يوم ﴿ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ وقيل ان

ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم

ولملئت منهم رعبا) لاخذت منهم خوفا (وكذلك) هكذا (بعثناهم) أيقظناهم بعد ما مضى ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ليتساءلوا بينهم) ليتحدثوا فيما بينهم (قال قائل منهم) سيدهم وكبيرهم وهو مكسلمينا (كم لبثتم) مكثتم في هذا الغار بعد النوم (قالوا لبثنا يوما) فلما خرجوا فنظروا الى الشمس وقد بقي منها شيء قالوا (أو بعض يوم قالوا) يعني مكسلمينا (ربكم أعلم بما لبثتم) بعد النوم

فصاروا سبعة (فابعثوا أحدكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم فابعثوا أحدكم أي تمليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبسكون الراء أبو عمرو وحمزة وأبو بكر (هذه الى المدينة) هي طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الانفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقول ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أي أهلها فحذف كما في واسئل القرية وأي مبتدأ وخبره (أزكى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (طعاما) تمييز (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في (انهم) راجع الى الاهل المقدر في أيها (ان يظهروا عليكم) يطلعوا عليكم (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة (أو يعيدوكم في ملتهم) بالاكراه والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم (ولن تفلحوا اذا أبدا) اذا يدل على الشرط أي ولن تفلحوا أن دخلتم في دينهم أبدا (وكذلك اعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم

بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا ﴿ فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة ﴾ والورق الفضة مضروبة كانت أو غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف * وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس ﴿ فلينظر أيها ﴾ أي اهلها ﴿ ازكى طعاما ﴾ احل واطيب واكثر وارخص ﴿ فليأتكم برزق منه وليتلطف ﴾ وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن أو في التخفي حتى لا يعرف ﴿ ولا يشعرن بكم احدا ﴾ ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور ﴿ انهم ان يظهروا عليكم ﴾ ان يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها ﴿ يرجموكم ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿ أو يعيدوكم في ملتهم ﴾ أو يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ﴿ ولن تفلحوا اذا ابدا ﴾ ان دخلتم في ملتهم ﴿ وكذلك اعثرنا عليهم ﴾

مكسلمينا سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم ﴿ فابعثوا أحدكم ﴾ يعني تمليخا ﴿ بورقكم ﴾ هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ﴿ هذه الى المدينة ﴾ قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام أفسوس ﴿ فلينظر أيها أزكى طعاما ﴾ أي أحل طعاما وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل أطيب طعاما وأجوده وقيل أكثر طعاما وأرخصه ﴿ فليأتكم برزق منه ﴾ أي قوت وطعام تأكلونه ﴿ وليتلطف ﴾ أي وليترفق في الطريق وفي المدينة ولكن في ستر وكتمان ﴿ ولا يشعرن ﴾ أي ولا يعلمن ﴿ بكم أحدا ﴾ أي من الناس ﴿ انهم ان يظهروا عليكم ﴾ أي يعلموا بمكانكم ﴿ يرجموكم ﴾ قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم ﴿ أو يعيدوكم في ملتهم ﴾ أي الكفر ﴿ ولن تفلحوا اذا أبدا ﴾ اي ان عدتم اليه * قوله عز وجل ﴿ وكذلك اعثرنا عليهم ﴾ أي اطلعنا

(فابعثوا احدكم) تمليخا (بورقكم هذه) بدراهمكم هذه (الى المدينة) مدينة افسوس (فلينظر ايها ازكى طعاما) اكثر طعاما ويقال اطيب (الناس) خبزا واحل ذبيحة (فليأتكم برزق منه) بطعام منه (وليتلطف) برفق في الشراء (ولا يشعرن بكم) لا يعلمن بكم (أحدا) من المجوس (انهم ان يظهروا) يطلعوا (عليكم) المجوس (يرجموكم) يقتلوكم (أو يعيدوكم) يرجعوكم (في ملتهم) في دينهم المجوسية (ولن تفلحوا) لن تنجوا من عذاب الله (اذا أبدا) اذا رجعتم الى دينهم (وكذلك) هكذا (اعثرنا) أطلعنا (عليهم) أهل مدينة أفسوس المؤمنين والكافرين وكان ملكهم يومئذ مسلما يسمى يستفادوس مات ملكهم المجوسي دقيانوس قبل ذلك

(ليعلموا) أي الذين أطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) وهو البعث (حق) كائن لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لاريب فيها) فانهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق باعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روى ان أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ماتريدون مني اني أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقيل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ماسد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة

وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ﴿ليعلموا﴾ ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ﴿ان وعد الله﴾ بالبعث أو الموعود الذي هو البعث ﴿حق﴾ لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث ﴿وان الساعة لاريب فيها﴾ وان القيامة لاريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها ﴿اذ يتنازعون﴾ ظرف لاعثرنا أي اعثرنا عليهم حين يتنازعون ﴿بينهم امرهم﴾ امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا أو امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة أو قال طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلي فيه كما قال تعالى ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين أو من المتنازعين في زمانهم أو من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو من

الناس عليهم ﴿ليعلموا ان وعد الله حق﴾ يعني قوم بيدروس الذين انكروا البعث ﴿وان الساعة لاريب فيها﴾ أي لاشك فيها انها آتية ﴿اذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ قال ابن عباس في البنيان فقال المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبني بنيانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ يعني بيدروس وأصحابه ﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾

(ليعلموا) يعني المؤمنين والكافرين (أن وعد الله) البعث بعد الموت (حق) كائن (وان الساعة لاريب فيها) لاشك فيها (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) اذ يختلفون في قولهم فيما بينهم (فقالوا) يعني الكافرين (ابنوا عليهم بنيانا) كنيسة لانهم على ديننا (ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) على قولهم وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم مسجدا) لانهم على ديننا وكان

وأبصروهم وجدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم

ان السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاذكرنا من قبل وعن على رضى الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وان دخل في الاول دون الآخرين فهما داخلان في حكم السين كقولك قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا أو أريد بيفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح له ثلاثة خبر مبتدأ محذوف أى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفى واتيانا به كقوله ويقذفون

المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حتى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمه مسجدا ﴿سيقولون﴾ اى الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ﴿ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ أى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ﴿ويقولون خمسة سادسهم كلبهم﴾ قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطوريا ﴿رجما بالغيب﴾ يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به أو ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ماهو فيه ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبرائيل عليه السلام وايماء الله

---

* قوله سبحانه وتعالى ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ روى ان السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ﴿ويقولون﴾ أى وقال العاقب وكان نسطوريا ﴿خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون﴾ وقال المسلمون ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾ فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار

اختلافهم في هذا (سيقولون) نصارى أهل نجران السيد وأصحابه وهم النسطورية (ثلاثة) هم ثلاثة (رابعهم كلبهم) قطمير (ويقولون) العاقب وأصحابه وهم المار يعقوبية (خمسة) هم خمسة (سادسهم كلبهم رجما بالغيب) ظنا بالغيب بغير علم (ويقولون) أصحاب الملك وهم الملكانية (سبعة) هم سبعة (وثامنهم كلبهم) قطمير

بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم دليله ان الله تعالى أتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربي أعلم بعدتهم) أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقول سبعة وثامنهم كلبهم (ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من ذلك القليل وقيل الا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف (الا مراء ظاهرا) لا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو يشهد من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيأ فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم

تعالى اليه بان اتبعه قوله ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ﴾ واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان أثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي كرم الله وجهه هم سبعة وثامنهم كلبهم واسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش أصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم أفسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم ﴿ فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ﴾ فلا تجادل في شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ﴿ ولا تستفت فيهم منهم أحدا ﴾ ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما أوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤل

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى أولا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجما بالغيب أي ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشئ بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ﴾ هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون الا لله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من أولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس وذونوانس وكشفيططنونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير ﴿ فلا تمار فيهم ﴾ أي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم ﴿ الا مراء ظاهرا ﴾ أي الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ﴿ ولا تستفت فيهم ﴾ أي في أصحاب الكهف ﴿ منهم ﴾ أي من أهل الكتاب ﴿ أحدا ﴾ أي لا ترجع الى قول أحد منهم بعد ان أخبرناك قصتهم * قوله سبحانه

(قل) لهم يا محمد (ربي أعلم بعدتهم) بعددهم (ما يعلمهم الا قليل) من المؤمنين قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا من ذلك القليل هم ثمانية سوى الكلب (فلا تمار فيهم) فلا تجادل معهم في عددهم (الا مراء ظاهرا) الا أن تقرأ القرآن عليهم ظاهرا (ولا تستفت فيهم منهم احدا) لا تسأل أحدا منهم من عددهم بكفيك ما بين الله لك

(ولاتقولن لشئ) لاجل شئ تعزم عليه (انى فاعـل ذلك) الشئ (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة(الاأن يشـاء الله) أن تقـوله بان يأذن لك فيه أو ولاتقـولنه الا بان يشاءالله أى الا بمشيئته وهو فى موضع الحال أى الاملتبسا بمشيئةالله قائلا ان شاءالله وقال الزجاج معناه ولاتقـولن انى أفعـل ذلك الا بمشيئةالله تعالى لان قول القائل أنا أفعـل ذلك ان شـاءالله معناه لاأفعله الا بمشيئة الله وهـذا نهى

تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحـاب الكـهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غـدا أخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى حتى شق عليه (واذكر ربك) أى مشيئة ربك وقل ان شاءالله (اذا نسيت) اذا فرط منـك نسـيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاسـتثناء ثم تنبهت عليهـا فتداركهـا بالذكر عن الحسن مادام فى مجلس الذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فاما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الامتصلا وحكى أنه بلغ المنصور ان أباحنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان أفترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه باخراجه من عنده

عنه وتزييف ماعنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ﴿ ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاءالله ﴾ نهى تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا فاخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى أى ولاتقولن لاجل شئ تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا بان يشاءالله أى الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله أو الا وقت ان يشاءالله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراض به دونه لايناسب النهى ﴿ واذكر ربك ﴾ مشيئة ربك وقل ان شاءالله كما روى انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاءالله ﴿ اذا نسيت ﴾ اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة مالم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس فى الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه أو واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك أو اذكر اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى ﴿ وقل عسى أن يهدين ربى ﴾ يدلنى ﴿ لأقرب من هذا رشدا ﴾ لاقرب رشدا وأظهر دلالة

وتعـالى ﴿ ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الاأن يشـاءالله ﴾ يعنى اذا عزمت على فعل شئ غدا فقل ان شاءالله ولاتقله بغير استثناء وذلك ان أهل مكة سـألوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاءالله فلبث الوحى أياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة فى سورة بنى اسرائيل ﴿ واذكر ربك اذا نسيت ﴾ قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سـنة وجوزه الحسن مادام فى المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل فى معنى الآية واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب فى التوراة والانجيل ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وقيـل الآية فى الصلاة يدل عليه ماروى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال تعالى أقم الصلوة لذكرى متفق عليه زاد مسلم أو نام عنها فكفارتها أن يصليها اذا ذكرها ﴿ وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا ﴾

أو معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا (اى) فى البعث على الاهتمام بها أو صل صلاة نسيتها اذا ذكرتها أو اذا نسيت شيأ فاذكره ليذكرك المنسى (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) يعنى اذا نسيت

(ولاتقولن) يا محمد (لشئ انى فاعل ذلك غدا) أو قائل (الا أن يشاءالله) الا أن تقول ان شاءالله(واذكر ربك) بالاستثناء (اذا نسيت) ولو بعد حين (وقل عسى أن يهدين ربى) يدلنى ويرشدنى (لأقرب)لاصوب(من هذا رشدا)

على انى نبى من نبأ أصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعدة عنه ايامهم والأخبار بالغوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة أولاقرب رشدا أوادنى خيرا من المنسى ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ يعنى لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجله قبل وقيل انه حكاية كلام أهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة سنين وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين * وقرأ حمزة والكسائى ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ﴾ له ماغاب فيها وخفى من احوال اهلها فلا خلق يخفى

أى يثبتنى على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره اذا نسى شيأ ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر مانسى وقيل ان القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ماهو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ماهو أوضح وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هذا شىء أمره الله أن يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسى الانسان قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله ان شاء الله عسى أن يهدينى ربى لاقرب من هذا رشدا * قوله عز وجل ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ والاصح أنه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعنى ان نازعوك فى مدة لبثهم فى الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أى هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعنى بعد قبض أرواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله * فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة * قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا وقيل ان عند أهل الكتاب لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع سنين قمرية ﴿ له غيب السموات والارض ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شىء من أحوال أهلها

أقرب منه رشدا أو أدنى خيرا ومنفعة ان يهدين ان ترنى أن يؤتين ان تعلمن مكى فى الحالين ووافقه أبو عمرو ومدنى فى الوصل (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان لثلاثمائة ثلاثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلى على وضع الجمع موضع الواحد فى التميز كقوله بالاخسرين أعمالا (وازدادوا تسعا) أى تسع سنين لدلالة ماقبله عليه وتسعا مفعول به لان زاد تقتضى مفعولين فازداد يقتضى مفعولا واحدا (قل الله أعلم بما لبثوا) أى هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به أو حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم والجمهور على ان هذا اخبار من الله سبحانه وتعالى انهم لبثوا فى كهفهم كذا مدة (له غيب السموات والارض)

صوابا ويقال نزلت هذه الآية فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال لمشركى أهل مكة غدا أقول لكم فلم يقل ان شاء الله فيما سألوه عن خبر الروح (ولبثوا) مكثوا (فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) تسع سنين وهذا قبل ان أيقظهم الله (قل) يا محمد (الله أعلم بما لبثوا) بما مكثوا بعد ذلك (له غيب السموات والارض) ماغاب عن العباد

ذكر اختصاصه بلم ماغاب فى السموات والارض وخفى فيهامن أحوال أهلها (أبصر به وأسمع) أى واسمع به والمعنى ماأبصر

دونه من ولى) من متول لامورهم (ولايشرك فى حكمه) فى قضائه (أحدا) منهم ولاتشرك على النهى شامى كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ماأوحى اليك من كتاب ربك) أى من القرآن ولاتسمع لما يهزؤك به من طلب التبديل فانه (لامبدل لكلماته) أى لايقدر أحد على تبديلها أو تغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) واحبسها معهم وثبتها

عليه علما ﴿ أبصر به واسمع ﴾ ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره فى الادراك خارج عماعليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لايحجبه شئ ولايتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله أبصر أى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له أو لزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ﴿ مالهم ﴾ الضمير لاهل السموات والارض ﴿ من دونه من ولى ﴾ من يتولى امورهم ﴿ ولايشرك فى حكمه ﴾ فى قضائه ﴿ احدا ﴾ منهم ولايجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل احد عن الاشراك ثم لمادل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحى معجز امره بان يداوم درسه وبلازم اصحابه فقال ﴿ واتل ماأوحى اليك من كتاب ربك ﴾ من القرآن ولاتسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴿ لامبدل لكلماته ﴾ لااحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ﴿ ولن تجد من دونه ملتحدا ﴾ ملتجأ تعدل اليه ان هممت به ﴿ واصبر نفسك ﴾ احبسها وثبتها ﴿ مع الذين يدعون ربهم

فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ معناه ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه بكل مسموع لايغيب عن سمعه وبصره شئ يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لاتخفى عليه خافية ﴿ مالهم ﴾ أى مالاهل السموات والارض ﴿ من دونه ﴾ أى من دون الله ﴿ من ولى ﴾ أى ناصر ﴿ ولا يشرك فى حكمه أحدا ﴾ قيل معناه لايشرك الله فى علم غيبه أحدا وقيل فى قضائه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واتل ﴾ أى واقرأ يامحمد ﴿ ماأوحى اليك من كتاب ربك ﴾ يعنى القرآن واتبع مافيه واعمل به ﴿ لامبدل لكلماته ﴾ أى لامغير للقرآن ولايقدر أحد على التطرق اليه بتغيير أو تبديل * فان قلت موجب هذا ان لايتطرق النسخ اليه * قلت النسخ فى الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت فى وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لامغير لما أوعد الله بكلماته أهل معاصيه ﴿ ولن تجد من دونه ﴾ أى من دون الله ان لم تتبع القرآن ﴿ ملتحدا ﴾ أى ملجأ وحرزا تعدل اليه * قوله عز وجل ﴿ واصبر نفسك ﴾ الآية نزلت فى عيينة بن حصن الفزارى أتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبى صلى الله عليه وسلم اماؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أواجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك أى احبس يامحمد نفسك ﴿ مع الذين يدعون ربهم

(أبصر به وأسمع) ماأبصره واعلمه بهم وشأنهم (مالهم من دونه) من دون الله (من ولى) يحفظهم ويقال مالهم لاهل مكة من دونه من عذاب الله من ولى قريب ينفعهم (ولايشرك فى حكمه) فى حكم الغيب (أحدا واتل ماأوحى اليك من كتاب ربك) يقول اقرأ عليهم القرآن ولاتزد فيه ولاتنقص منه (لامبدل لكلماته) لامغير لكلماته (ولن تجد من دونه) من دون الله (ملتحدا) ملجأ (واصبر نفسك) احبس نفسك (مع الذين يدعون ربهم) يعبدون ربهم (بالغداة)

(بالغداة والعشى) دائبين على الدعاء فى كل وقت أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشى لطلب عفو التقصير أوهما صلاة الفجر والعصر بالغدوة شامى (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدى بعن لتضمن عدا معنى نبا فى قولك نبت منه عينه وفائدة التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ (تريد زينة الحيوة الدنيا) فى موضع الحال (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على انه تعالى خالق أعمال العباد (واتبع هواه وكان أمره فرطا) مجاوزا عن الحق (وقل الحق من ربكم) أى الاسلام أو القرآن والحق خبر مبتدأ محذوف أى هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

بالغداة والعشى ﴾ فى مجامع اوقاتهم أو فى طرفى النهار * وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم فى الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير * يريدون وجهه ﴾ رضى الله وطاعته ﴿ ولا تعد عيناك عنهم ﴾ ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا يقال نبت وعلت عنه عينه اقتحمته ولم تعلق به والغرض فى هذا اعطاء معنيين أى لا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم * وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم ان يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى الاغنياء ﴿ تريد زينة الحيوة الدنيا ﴾ حال من الكاف فى القراءة المشهورة ومن المستكن فى الفعل فى غيرها ﴿ ولا تطع من اغفلنا قلبه ﴾ من جعلنا قلبه غافلا ﴿ عن ذكرنا ﴾ كأمية بن خلف فى دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعى له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله فى الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك أو نسبته اليه أو من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة أو لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا لا بقوله ﴿ واتبع هواه ﴾ وجوابه ما مر غير مرة * وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة ﴿ وكان امره فرطا ﴾ أى متقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط أى متقدم للخيل ومنه الفرط ﴿ وقل الحق من ربكم ﴾ الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾

بالغداة والعشى ﴾ يعنى طرفى النهار ﴿ يريدون وجهه ﴾ أى يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم ﴿ ولا تعد ﴾ تصرف ولا تجاوز ﴿ عيناك عنهم ﴾ الى غيرهم ﴿ تريد زينة الحيوة الدنيا ﴾ أى تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ اى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعنى عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف ﴿ واتبع هواه ﴾ أى فى طلب الشهوات ﴿ وكان أمره فرطا ﴾ ضياعا ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق ﴿ وقل الحق من ربكم ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الى من ذلك شئ ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ هذا على طريق

(بالغداة والعشى) غدوة وعشية يعنى سلمان وأصحابه (يريدون وجهه) يريدون بذلك وجه الله ورضاه (ولا تعد عيناك عنهم) لا تجاوز عيناك عنهم (تريد زينة الحيوة الدنيا) يريدون الزينة (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) عن توحيدنا (واتبع هواه) فى عبادة الاصنام (وكان أمره) قوله (فرطا) ضائعا نزلت هذه الآية فى عيينة بن حصن الفزارى (وقل) لعيينة (الحق) لا اله الا الله (من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

أى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ماشئتم من الاخذ فى طريق النجاة أو فى طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بان يتخير ماشاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (انا أعتدنا) هيأنا (للظالمين) للكافرين فقيد

بالسياق كما تركت حقيقة الامر والتخيير بالسياق وهو قوله انا أعتدنا للظالمين (نارا أحاط بهم سرادقها) شبه مايحيط بهم من النار بالسرادق وهى الحجرة التى تكون حول الفسطاط أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) هو دردى الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وفيه تهكم بهم (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من الرفق وهذا المشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار وبين جزاء من اختار الايمان فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا

هذا وعيد من الله ويقال فمن شاء فليؤمن يقول من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء فليكفر من شاء الله له الكفر

لاابالى بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لايقتضى استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئة ﴿ انا اعتدنا ﴾ هيأنا ﴿ للظالمين نارا احاط بهم سرادقها ﴾ فسطاطها شبه به مايحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار ﴿ وان يستغيثوا ﴾ من العطش ﴿ يغاثوا بماء كالمهل ﴾ كالجسد المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على طريقة قوله «فأعتبوا بالصيلم» ﴿ يشوى الوجوه ﴾ اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء أو حال من المهل أو من الضمير فى الكاف ﴿ بئس الشراب ﴾ المهل ﴿ وساءت ﴾ النار ﴿ مرتفقا ﴾ متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا ﴾

التهديد والوعيد كقوله اعملوا ماشئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم أى لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعدلكم ربكم نارا وان آمنتم فلكم ماوصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس فى معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر ﴿ انا أعتدنا ﴾ أى هيأنا من العتاد وهو العدة ﴿ للظالمين ﴾ أى الكافرين ﴿ نارا أحاط بهم سرادقها ﴾ السرادق الحجرة التى تطيف بالفساطيط عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار أربعون سنة اخرجه الترمذى قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار ﴿ وان يستغيثوا ﴾ أى من شدة العطش ﴿ يغاثوا بماء كالمهل ﴾ قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت * عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه اخرجه الترمذى وقال رشدين أحد رواة حديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب ﴿ يشوى الوجوه ﴾ أى ينضج الوجوه من حره ﴿ بئس الشراب ﴾ أى ذلك الذى يغاثون به ﴿ وساءت ﴾ أى النار ﴿ مرتفقا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما منزلا وقيل مجتمعا وأصل مرتفق المتكأ وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكأ * قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا ﴾ أى لانترك أعمالهم تذهب ضياعا بل

كفر (انا أعتدنا للظالمين) لعيينة وأصحابه (نارا أحاط بهم سرادقها) سرادق النار يحيط بهم (وان يستغيثوا) (نجازيهم) بالمحة بالماء (يغاثوا بماء كالمهل) كدردى الزيت ويقال كالفضة المذابة (يشوى الوجوه) ينضج الوجوه (بئس الشراب وساءت مرتفقا) منزلا يقول بئس الدار دار رفقاؤهم الشياطين والكفار (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (انا لانضيع) لانبطل (اجر من أحسن عملا) ثواب من

أولئك لهم جنات عدن) كلام مستأنف بيان للاجر المبهم ولك أن تجعل انا لانضيع وأولئك خبرين معا والمراد من أحسن منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من أحسن عملا و لذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فأقام من أحسن مقام الضمير (تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور) من للابتداء وتنكير أساور وهى جمع اسورة التى هى جمع سوار لابهام أمرها فى الحسن (من ذهب) من للتبيين (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه أى يجمعون بين النوعين (متكئين فيها على الارائك) خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم (نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الجنة والارائك (مرتفقا) متكأ (واضرب لهم مثلا رجلين) مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين فى بنى أسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى والصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاها شطرين فاشترى الكافر أرضا بالف دينار فقال المؤمن اللهم ان أخى اشترى أرضا بالف دينار أنا أشترى منك أرضا فى الجنة بالف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بالف فقال

أخلص عملا (أولئك لهم جنات عدن) مقصورة ارحمن (يجرى من تحتهم) أى من تحت شجرهم ومساكنهم (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (يحلون فيها) يلبسون فى الجنة (من أساور من ذهب) (فاوخا ١٤ بج) اقلبة ذهب (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مالطف من الديباج (واستبرق) ماثخن من الديباج (متكئين فيها) جالسين فى الجنة (على الارائك) فى الحجال (نعم الثواب) الجزاء الجنة (وحسنت مرتفقا) منزلا يقول حسنت الدار دار رفقائهم الانبياء والصالحون (واضرب لهم مثلا) بين لاهل مكة صفة (رجلين) اخوين فى بنى اسرائيل

خبر ان الاولى هى الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم أو مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لايحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات او خبرها ﴿ اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار ﴾ وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر أو خبر ثان ﴿ يحلون فيها من اساور من ذهب ﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الاحاطة به وهو جمع اسورة أو اسوار فى جمع سوار ﴿ ويلبسون ثيابا خضرا ﴾ لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة ﴿ من سندس واستبرق ﴾ هو مارق من الديباج وماغلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ﴿ متكئين فيها على الارائك ﴾ على السرر كما هو هيئة المتنعمين ﴿ نعم الثواب ﴾ الجنة ونعيمها ﴿ وحسنت ﴾ الارائك ﴿ مرتفقا ﴾ متكأ ﴿ واضرب لهم مثلا ﴾ للكافر والمؤمن ﴿ رجلين ﴾ حال رجلين مقدرين

نجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لانضيع أجر من أحسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ أولئك لهم جنات عدن ﴾ أى دار اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ وذلك لان أفضل المساكين ما كان يجرى فيه الماء ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴿ ويلبسون ثيابا خضرا من سندس ﴾ هو الديباج الرقيق ﴿ واستبرق ﴾ هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب ﴿ متكئين ﴾ خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك ﴿ فيها ﴾ أى فى الجنة ﴿ على الارائك ﴾ جمع أريكة وهى السرر فى الحجال ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال ﴿ نعم الثواب ﴾ أى نعم الجزاء ﴿ وحسنت ﴾ أى الجنات ﴿ مرتفقا ﴾ أى مقرا ومجلسا والمراد قوله وحسنت مرتفقا مقابلة ماتقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقا * قوله عز وجل ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين ﴾ قيل نزلت فى أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبو سلمة عبدالله بن عبدالاسد بن عبد ياليل وكان مؤمنا وأخوه الاسود

او موجودين هما اخوان من بنى اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار متشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل امرهما الى ماحكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ بستانين ﴿ من اعناب ﴾ من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل أوصفة للرجلين ﴿ وحففناهما بنخل ﴾ وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به ﴿ وجعلنا بينهما ﴾ وسطهما ﴿ زرعا ﴾ ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق ﴿ كلتا الجنتين آتت اكلها ﴾ ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا * وقرئ كل الجنتين آتى اكله

ابن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما برجلين من بنى اسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا فى قول ابن عباس وقيل يمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى فى سورة والصافات * وكانت قصتهما على ماذكره عطاء الخراسانى قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بالف دينار وانى قد اشتريت منك أرضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانى اشتريت منك دارا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة فانفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم انى أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم انى اشترى ومنك خدما متاعا بالف دينار فى الجنة فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لوأتيت صاحبى لعل ينالنى منه معروف فجلس على طريقه حتى مربه فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ماشأنك قال أصابتنى حاجة بعدك فاتيتك لتعيننى بخير قال فما فعلت بمالك وقد قاسمتك مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيأ فطرده فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين وروى انه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين ﴿ جعلنا لاحدهما جنتين ﴾ أى بستانين ﴿ من أعناب وحففناهما ﴾ أى أطفناهما من جوانبهما ﴿ بنخل وجعلنا بينهما زرعا ﴾ أى وجعلنا بين النخل والاعناب الزرع وقيل بينهما أى بين الجنتين يعنى لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع ﴿ كلتا الجنتين آتت ﴾ اى أعطت كل واحدة من الجنتين ﴿ أكلها ﴾ أى ثمرها

اللهم انى جعلت ألفا صداقا للحور فتصدق به ثم اشترا أخوه خدما ومتاعا بالف دينار فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فربه فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق عاله (جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب) بساتين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها أرضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق (كلتا الجنتين آت) اعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز (أكلها)

أحدهما مؤمن وهو يهوذا والآخر كافر وهو أبو فطروس (جعلنا لاحدهما) للكافر (جنتين) بستانين (من أعناب) من كروم (وحففناهما بنخل) أحطناهما بنخل (وجعلنا بينهما) بين البستانين (زرعا) مزرعا (كلتا الجنتين) البستانين (آتت أكلها) أخرجت ثمرها كل عام (تماما)

ثمرها (ولم تظلم منه) ولم تنقص من اكلها (شيأ وفجرنا خلالهما نهرا) ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما نعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجارى فيها (وكان له) لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من المال من ثمر ماله اذا كثر أى كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما وله ثمر وأحيط بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو

وبضمهما غيرهما (فقال لصاحبه وهو يحاوره) يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع يعنى قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أنصارا وحشما وأولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث (ودخل جنته) احدى جنتيه أو سماهما جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجارى بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالكفر (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) أى أن تهلك هذه الجنة شك فى بيدودة جنته لطول أمله وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة وترى أكثر الاغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا) اقسام منه على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة خيرا من جنته فى الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلبا تمييز أى مرجعا وعاقبة (قال له صاحبه وهو يحاوره

﴿ولم تظلم منه﴾ ولم تنقص من اكلها ﴿شيأ﴾ يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا ﴿وفجرنا خلالهما نهرا﴾ ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف ﴿وكان له ثمر﴾ انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره. وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك احيط بثمره ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ وهو يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع ﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ﴿ودخل جنته﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ماهو جنته وهى ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له فى الجنة التى وعد المتقون أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى اولان الدخول يكون فى واحدة واحدة ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ ضار لها بعجبه وكفره ﴿قال ما اظن ان تبيد﴾ أن تفنى ﴿هذه﴾ الجنة ﴿ابدا﴾ لطول امله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته ﴿وما اظن الساعة قائمة﴾ كائنة ﴿ولئن رددت الى ربى﴾ بالبعث كما زعمت ﴿لأجدن خيرا منها﴾ من جنته وقرأ الحجازيان والشامى منهما اى من الجنتين ﴿منقلبا﴾ مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه انما يلقاه ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره

تماما ﴿ولم تظلم منه شيأ﴾ أى ولم تنقص منه شيأ ﴿وفجرنا خلالهما﴾ شققنا وسطهما ﴿نهرا وكان له﴾ أى لصاحب البستان ﴿ثمر﴾ قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل نصب من الذهب والفضة وغيرهما ﴿فقال﴾ يعنى صاحب البستان ﴿لصاحبه﴾ يعنى المؤمن ﴿وهو يحاوره﴾ أى يخاطبه ﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ أى عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ﴿ودخل جنته﴾ يعنى الكافر آخذا بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ أى بكفره ﴿قال ما أظن أن تبيد﴾ أى تهلك ﴿هذه﴾ يعنى جنته ﴿أبدا﴾ وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث فقال ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أى كائنة ﴿ولئن رددت الى ربى﴾ فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربى وهو منكر للبعث. قلت معناه ولئن رددت الى ربى على ما تزعم من أن الساعة آتية ﴿لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ أى يعطينى هنالك خيرا منها لانه لم يعطنى الجنة فى الدنيا الا ليعطينى فى الآخرة أفضل منها ﴿قال له صاحبه﴾ يعنى المؤمن ﴿وهو يحاوره

(ولم تظلم) تنقص (منه شيأ وفجرنا خلالهما) وسطهما (نهرا وكان له ثمر) مع ثمرة البستان ان قرأت بالضم وقال ما لأن قرأت بالضم (فقال لصاحبه) المؤمن يهوذا (وهو يحاوره) يفاخره بالمال (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أكثر خدما (ودخل جنته) بستانه (وهو ظالم لنفسه) بالكفر (قال ما أظن أن تبيد) أن تهلك (هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت) رجعت (الى ربى) كما تقول (لاجدن خيرا منها) من هذه الجنة (منقلبا) مرجعا (قال له صاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) يراجعه عن كفره

أ كفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق أصلك لان خلق أصله سبب فى خلقه وكان خلقه خلقا له (ثم من نطفة) أى خلقك من نطفة (ثم سواك رجلا) عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لشكه فى البعث (لكنا) بالالف فى الوصل شامى الباقون بغير ألف وبالالف فى الوقف اتفاق وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فادغمت الاولى فى الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربى) هو ضمير الشأن والشأن الله ربى والجملة خبر انا والراجع منه اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف أى أقول هو الله بدليل عطف (ولا أشرك بربى أحدا ولولا) وهلا (اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ماشاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعنى أى شئ شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ماشاء الله اعترافا بأنها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله وان أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها (لاقوة الا بالله) اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده من قرأ (ان ترنى أنا أقل منك مالا) نصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسائى جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترنى وفى قوله (وولدا) نصرة { ذلك }

أ كفرت بالذى خلقك من تراب ﴾ لانه اصل مادتك أو مادة اصلك ﴿ ثم من نطفة ﴾ فانها مادتك القريبة ﴿ ثم سواك رجلا ﴾ ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك فى كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده منه ﴿ لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا ﴾ اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت بنقل الحركة أو دونه فتلاقت النونان وكان الادغام • وقرأ ابن عامر ويعقوب فى رواية بالالف فى الوصل لتعويضها من الهمزة أو لاجراء الوصل مجرى الوقف • وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا أو ضمير الله والله بدله وربى خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كأنه قال انت كافر بالله لكنى مؤمن به • وقد قرئ لكن هو الله ربى ولكن انا لا اله الا هو ربى ﴿ ولولا اذ دخلت جنتك قلت ﴾ وهلا قلت عند دخولها ﴿ ماشاء الله ﴾ الامر ماشاء الله أو ماشاء الله كائن على ان ما موصولة او أى شئ شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها ﴿ لاقوة الا بالله ﴾ وقلت لاقوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فاعجبه فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يضره ﴿ ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ﴾ يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول

أ كفرت بالذى خلقك من تراب ﴾ أى خلق أصلك من تراب لان خلق أصله سبب فى خلقه وكان خلقه له ﴿ ثم من نطفة ثم سواك رجلا ﴾ أى عدلك بشرا سويا وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال ﴿ لكنا هو الله ربى ﴾ اصله لكن أنا هو الله ربى ﴿ ولا أشرك بربى أحدا ولولا ﴾ أى هلا ﴿ اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله ﴾ والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك منها ماشاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء تركها خرابا ﴿ لاقوة الا بالله ﴾ أى وقلت لاقوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة الله وتأييده ولا أقدر على حفظ مالى ودفع شئ عنه الا بالله روى عن عروة بن الزبير أنه كان اذا رأى من ماله شيأ يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ماشاء الله لاقوة الا بالله حتى يخرج منه ثم تلا ﴿ ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا ﴾ أى لاجل

(أكفرت بالذى خلقك من تراب) من آدم وآدم من تراب (ثم من نطفة) من نطفة أبيك (ثم سواك رجلا) معتدل القامة (لكنا) لكن أنا (هو الله ربى) خالقى ورازقى (ولا أشرك بربى أحدا) من الاوثان (ولولا اذ دخلت) فهلا اذ دخلت (جنتك) بستانك (قلت ماشاء الله) هذا من الله لست منى (لاقوة الا بالله) هذا بقوة الله لا بقوتى (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا)

لمن فسر النفر بالاولاد فى قوله واعز نفرا (فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك) فى الدنيا أوفى العقبى (ويرسل عليها حسبانا) عذابا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها (أويصبح ماؤها غورا) غائرا أى ذاهبا فى الارض (فلن تستطيع له طلبا) فلا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى ان ترن أفقر منك فانا أتوقع من صنع الله أن يقلب مابى ومابك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ونسلبك لكفرك نعمته ويخرب بساتينك (وأحيط بثمره) هو عبارة عن اهلاكه وأصله من أحاط به العدو لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك (فاصبح) أى الكافر (يقلب كفيه) يضرب احداهما على الاخرى ندما وتحسرا وانما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط فى اليد ولانه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم (على ماأنفق فيها) أى فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) يعنى ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم (ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) تذكر موعظة أخيه فعلم انه

وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثانى لترن وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد ﴿ فعسى ربى ان يؤتينى خيرا من جنتك ﴾ فى الدنيا أوفى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط ﴿ ويرسل عليها ﴾ على جنتك لكفرك ﴿ حسبانا من السماء ﴾ مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الاعمال السيئة ﴿ فتصبح صعيدا زلقا ﴾ ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها ﴿ أو يصبح ماؤها غورا ﴾ أى غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق ﴿ فلن تستطيع له طلبا ﴾ للماء الغائر ترددا فى رده ﴿ واحيط بثمره ﴾ واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم ﴿ فاصبح يقلب كفيه ﴾ ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا ﴿ على ما انفق فيها ﴾ فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم وكأنه قيل فاصبح يندم أو حال أى متحسرا على ما انفق فيها ﴿ وهى خاوية ﴾ ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها عليها ﴿ ويقول ﴾ عطف على يقلب أو حال من ضميره ﴿ ياليتنى لم اشرك بربى احدا ﴾ كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم

ذلك تكبرت على وتعظمت ﴿ فعسى ربى ﴾ أى فلعل ربى ﴿ أن يؤتينى ﴾ أى يعطينى ﴿ خيرا من جنتك ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ ويرسل عليها ﴾ أى على جنتك ﴿ حسبانا ﴾ قال ابن عباس نارا وقيل مرامى ﴿ من السماء ﴾ وهى الصواعق فتهلكها ﴿ فتصبح صعيدا زلقا ﴾ أى أرضا جرداء ملساء لانبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هائلا ﴿ أو يصبح ماؤها غورا ﴾ غائرا ذاهبا لاتناله الايدى ولا الدلاء ﴿ فلن تستطيع له طلبا ﴾ يعنى ان طلبته لم تجده ﴿ وأحيط بثمره ﴾ يعنى أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فاهلكتها وغار ماؤها ﴿ فاصبح ﴾ يعنى صاحبها الكافر ﴿ يقلب كفيه ﴾ يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا ﴿ على ما أنفق فيها ﴾ المعنى فاصبح يندم على ما أنفق فى عمارتها ﴿ وهى خاوية على عروشها ﴾ أى ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض ﴿ ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ﴾ يعنى أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه

وخدمان الدنيا (فعسى ربى) وعسى من الله واجب (ان يؤتينى) ان يعطينى فى الآخرة (خيرا من جنتك) من بساتينك فى الدنيا (ويرسل عليها) على جنتك (حسبانا) نارا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) تصير ترابا أملس (أو يصبح) أو يصير (ماؤها غورا) غائرا لاتناله الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) حيله (وأحيط بثمره) أهلكت ثمرته ان قرأت بالنصب ويقال أهلك ماله ان قرأت بالضم (فاصبح يقلب كفيه) يضرب يديه بعضها على بعض ندامة (على ما أنفق فيها) فى الجنة ويقال على ما كان فيهما من غلتهما (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (ويقول) يوم القيامة (ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) من

أي من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمنى ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان (ولم تكن له فئة ينصرونه) يقدرون على نصرته (من دون الله) أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا انه لم ينصره لحكمة (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) يكن بالياء والولاية بكسر الواو حمزة وعلى فهى بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سوا تقريرا لقوله ولم تكن له

لله يغلب أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله ياليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويؤيد قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لأوليائه أو هنالك اشارة الى الآخرة اى في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع أبو عمرو وعلى صفة للولاية او خبر مبتدأ محذوف أي هي الحق أو هو الحق غيرهما بالجر صفة لله عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة

انه أتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ﴿ ولم تكن له فئة ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ﴿ ينصرونه ﴾ يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك أو الاتيان بمثله ﴿ من دون الله ﴾ فانه القادر على ذلك وحده ﴿ وما كان منتصرا ﴾ وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه ﴿ هنالك ﴾ في ذلك المقام وتلك الحال ﴿ الولاية لله الحق ﴾ النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه أو ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله ﴿ هو خير ثوابا وخير عقبا ﴾ أي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه أو لا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله ياليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة ﴿ واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا ﴾ اذكر لهم ما تشبهه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة ﴿ كماء ﴾ هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صيره ﴿ انزلناه

أي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا ﴿ ولم تكن له فئة ﴾ أي جماعة ﴿ ينصرونه من دون الله ﴾ أي يمنعونه من عذاب الله ﴿ وما كان منتصرا ﴾ أي ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ هنالك الولاية ﴾ قرئ بكسر الواو بمعنى السلطان في القيامة ﴿ لله الحق ﴾ وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا ﴿ هو خير ثوابا ﴾ أي أفضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره يثيب ﴿ وخير عقبا ﴾ يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة * قوله عز وجل ﴿ واضرب لهم ﴾ أي اضرب يا محمد لقومك ﴿ مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه

وبضمها غيرهما وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه (من)

الاوثان (ولم تكن له فئة) منعة (ينصرونه من دون الله) من عذاب الله (وما كان منتصرا) ممتنعا بنفسه من عذاب الله (هنالك الولاية لله) أي يوم القيامة الملك والسلطان لله (الحق) العدل (هو خير ثوابا) خير من أثاب (وخير عقبا) من أعقب (واضرب لهم) بين لاهل مكة (مثل الحيوة الدنيا) في بقائها وفنائها (كماء) كمطر (انزلناه

من السماء) أى هو كماء انزلناه (فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا أو أثر فى النبات الماء فاختلط به حتى روى (فاصبح هشيما) يابسا متكسرا الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تنسفه وتطيره الريح جزة وعلى

نضرتها وبهجتها ومايتعقبها من الهلاك والافناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) لازاد القبر وعدة العقبى (والباقيات الصالحات) أعمال الخير التى يبقى ثمرتها للانسان أو الصلوت الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخير أملا) لانه وعد صادق وأكبر الآمال كاذبة يعنى ان صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة (ويوم) واذكر يوم (نسير الجبال) تسير الجبال مكى

من السماء فاختلط به نبات الارض ﴿ فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته ﴿ فاصبح هشيما ﴾ مهشوما مكسورا ﴿ تذروه الرياح ﴾ تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن ﴿ وكان الله على كل شئ ﴾ من الانشاء والافناء ﴿ مقتدرا ﴾ قادرا ﴿ المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ﴾ يتزين بها الانسان فى دنياه وتفنى عنه عما قريب ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ واعمال الخيرات تبقى له ثمرتها ابدا الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب ﴿ خير عند ربك ﴾ من المال والبنين ﴿ ثوابا ﴾ عائدة ﴿ وخير املا ﴾ لان صاحبها ينال به فى الآخرة ما كان يأمل بها فى الدنيا ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ واذكروا يوم نقلعها ونسيرها فى الجو أو نذهب

من السماء ﴾ يعنى المطر ﴿ فاختلط به نبات الارض ﴾ أى خرج منه كل لون وزهرة ﴿ فاصبح ﴾ أى عن قريب ﴿ هشيما ﴾ قال ابن عباس يابسا ﴿ تذروه الرياح ﴾ قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه ﴿ وكان الله كل شئ مقتدرا ﴾ أى قادرا * قوله سبحانه وتعالى ﴿ المال والبنون ﴾ يعنى التى يفتخر بها عيينة وأصحابه الاغنياء ﴿ زينة الحيوة الدنيا ﴾ يعنى ليست من زاد الآخرة قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ قال ابن عباس هى قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل وما هن يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يارسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هى قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك فى الموطأ موقوفا عليه * وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الاعمال الصالحات ﴿ خير عند ربك ثوابا ﴾ أى جزاء ﴿ وخير أملا ﴾ أى ما يؤمله الانسان * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ أى نذهب بها ذلك

من السماء فاختلط به نبات الارض) فاختلط الماء بنبات الارض (فاصبح هشيما) فصار يابسا (تذروه الرياح) ذرته الريح ولم يبق منه شئ كذلك الدنيا تذهب ولا يبقى منها شئ كما لا يبقى من الهشيم شئ (وكان الله على كل شئ) من فناء الدنيا وبقاء الآخرة (مقتدرا) قادرا ثم ذكر ما فيها من الزهرة فقال (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا)

زهرة الحياة الدنيا لا تبقى كما لا يبقى الهشيم (والباقيات الصالحات) الصلوات الخمس ويقال الباقيات ما يبقى ثوابه والصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخير أملا) خير ما يرجو به العباد من أعمالهم الصلاة (ويوم نسير الجبال

وقرى ابو عمرو اى تسير فى الجو او يذهب بها بان يجعل هباء منثورا منبثا (وترى الارض بارزة) ليس عليها مايسترها
كان عليها من الجبال والاشجار (وحشرناهم) أى الموتى (فلم نغادر منهم أحد

بها فيجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك أى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة* وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول* وقرئ تسير من سارت ﴿ وترى الارض بارزة ﴾ بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها مايسترها* وقرئ وترى على بناء المفعول ﴿ وحشرناهم ﴾ وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر أو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ماوعدلهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد ﴿ فلم نغادر ﴾ فلم نترك ﴿ منهم احدا ﴾ يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادر السيل وقرئ بالياء ﴿ وعرضوا على ربك ﴾ تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم ﴿ صفا ﴾ مصطفين لا يحجب احد احدا ﴿ لقد جئتمونا ﴾ على اضمار القول على وجه يكون حالا أو عاملا فى يوم نسير ﴿ كما خلقناكم اول مرة ﴾ عراة لاشئ معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى أو احياء كخلقتكم الاولى لقوله ﴿ بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ﴾ وقتا لانجاز الوعد بالبعث

أن تجعل هباء منثورا كما يسير السحاب ﴿ وترى الارض بارزة ﴾ أى ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز مافى بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها ﴿ وحشرناهم ﴾ يعنى جميعا الى موقف الحساب ﴿ فلم نغادر منهم أحدا ﴾ أى لم نترك منهم احدا ﴿ وعرضوا على ربك صفا ﴾ أى صفا صفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ يعنى أحياء وقيل حفاة عراة غرلا ﴿ بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ﴾ يعنى القيامة يقول ذلك لمنكرى البعث (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا ان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ألا وانه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يارب أصحابى فيقول انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لى انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم زاد فى رواية فاقول سحقا سحقا

*قوله غرلا أى قلفا والغرلة القلفة التى تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان، وقوله سحقا أى بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائى فى رواية لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

أى فلم نترك غادرة أى تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ماغادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لايحجب أحد أحدا شبهت حالهم بحال الجند المعرضين على السلطان (لقد جئتمونا) أى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز ان يكون عامل النصب فى يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو جئتمونا عراة لاشئ معكم كما خلقناكم أولا وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز ماوعدتم على ألسنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة

عن وجه الارض (وترى الارض بارزة) خارجة من تحت الجبال ويقال ظاهرة

(وحشرناهم) للبعث (فلم نغادر منهم أحدا) فلا نترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك) سبقوا الى ربك (قوله
(صفا) جميعا فيقول الله لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) بلا مال ولا ولد (بل زعمتم) قلتم فى الدنيا (ان لن نجعل لكم موعدا)

والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ﴿ ووضع الكتاب ﴾ صحائف الاعمال فى الايمان والشمائل أو فى الميزان وقيل هو كتابة عن وضع الحساب ﴿ فترى المجرمين مشفقين ﴾ خائفين ﴿ مما فيه ﴾ من الذنوب ﴿ ويقولون ياويلتنا ﴾ ينادون هلكتهم التى هلكوا بها من بين الهلكات ﴿ مال هذا الكتاب ﴾ تعجبا من شأنه ﴿ لا يغادر صغيرة ﴾ هنة صغيرة ﴿ ولا كبيرة الا احصاها ﴾ الا عدها واحاط بها ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ﴾ مكتوبا فى الصحف ﴿ ولا يظلم ربك احدا ﴾ فيكتب عليه مالم يفعل أو يزيد فى عقابه الملائم لعمله ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ﴾ كرره فى مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها فى تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا فى زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير فى القرآن ﴿ كان من الجن ﴾

* قوله عز وجل ﴿ ووضع الكتاب ﴾ يعنى صحائف أعمال العباد توضع فى أيدى الناس فى ايمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدى الله تعالى ﴿ فترى المجرمين مشفقين ﴾ أى خائفين ﴿ مما فيه ﴾ يعنى من الاعمال السيئة ﴿ ويقولون ﴾ يعنى اذا رأوها ﴿ ياويلتنا ﴾ أى ياهلاكنا وكل من وقع فى هلكة دعا بالويل ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر ﴾ أى لا يترك ﴿ صغيرة ولا كبيرة ﴾ أى من ذنوبنا ﴿ الا أحصاها ﴾ أى عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم واللمس والقبلة والكبير الزنا * عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا فى بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشئ الصغير التافه وقوله لموبقات أى مهلكات ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ﴾ أى مكتوبا مثبتا فى كتابهم ﴿ ولا يظلم ربك أحدا ﴾ أى لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا اولا يؤاخذ أحدا بجرم لم يعمله * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذى وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبى موسى * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ قلنا ﴾ أى واذكر يا محمد اذ قلنا ﴿ للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ﴾ قال ابن عباس كان من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس وكونه من الملائكة لا ينافى كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك

من الذنوب (ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) أى لا يترك شيأ من المعاصى (الا أحصاها) حصرها وضبطها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) فى الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه مالم يعمل أو يزيد فى عقابه أو يعذبه بغير جرم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية أو سجود انقياد (فسجدوا الا ابليس كان من الجن) وهو مستأنف كأن قائلا قال ماله لم يسجد

أحلا للبعث (ووضع الكتاب) فى الايمان والشمائل تطايرت الكتب الى أيدى الخلق مثل الثلج (فترى المجرمين) المشركين والمنافقين (مشفقين) خائفين (مما فيه) فى الكتاب (ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة) من أعمالنا (ولا كبيرة) ويقال الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة (الا أحصاها) حفظها وكتبها (ووجدوا ما عملوا) من خير وشر (حاضرا) مكتوبا (ولا يظلم ربك أحدا) لا ينقص من حسنات احد ولا يزاد على سيآت أحد ويقال لا ينقص من حسنة مؤمن ولا يترك من سيئة كافر (واذ قلنا للملائكة) الذين كانوا فى الارض (اسجدوا لآدم) (قا و خا ١٥ يع) سجدة التحية (فسجدوا الا ابليس) رئيسهم (كان من الجن)

حال باضمار قد أو استئناف للتعليل كأنه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن ﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾ فخرج عن أمره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة ﴿ أفتتخذونه ﴾ أعقيب ماوجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب ﴿ وذريته ﴾ اولاده أو اتباعه وسماهم ذرية مجازا ﴿ اولياء من دونى ﴾ وتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى ﴿ وهم لكم عدو

ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج مالولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن و الجن جنس مخالف للملائكة وقوله أفتتخذونه وذريته فأثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور فى كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذقال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن ❁ وقوله تعالى ﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾ أى خرج عن طاعة ربه ﴿ أفتتخذونه ﴾ يعنى يابنى آدم أفتتخذون ابليس ﴿ وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ﴾ يعنى أعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما اذ أقبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ماشهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجيزة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع مالم يرفع أو يحسن موضعه واذا أكل ولم يسم أكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر فاقول داسم داسم أعوذ بالله منه ❁ روى أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء أخرجه الترمذى (م) عن عثمان بن أبى العاص قال قلت يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت

فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) خرج عما أمره ربه به من السجود وهو دليل على انه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل أعقيب ماوجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دونى) وتستبدلونهم بى ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا وبتر صاحب المصائب ومطوس صاحب الاراجيف وداسم يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى (وهم لكم عدو) أعداء

من قبيلة الجن (ففسق عن أمر ربه) فتعظم وتمرد عن طاعة ربه وأبى عن السجود لآدم (أفتتخذونه) تعبدونه (وذريته أولياء) أربابا (من دونى) من دون الله (وهم لكم عدو) ظاهر العداوة

(بئس للظالمين بدلا) بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعة الله (ما أشهدتهم) أى ابليس وذريته (خلق السموات والارض) يعنى انكم اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة وانما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الالاهية فنفى مشاركتهم فى الالهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم فى خلقها أو أشاورهم فيها أى تفردت بخلق الاشياء فافردونى فى العبادة (ولا خلق أنفسهم) أى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم

بئس للظالمين بدلا ﴾ من الله تعالى ابليس وذريته ﴿ ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ﴾ نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد بهم فى ذلك كما صرح به بقوله ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد بالمضلين لدينى و يعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ﴿ ويوم يقول ﴾ أى الله تعالى للكافرين و قرأ حمزة بالنون ﴿ نادوا شركائى الذين زعمتم ﴾ انهم شركائى أو شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته ﴿ فدعوهم ﴾ فنادوهم للاعانة ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ فلم يعينوهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ بين الكفار و آلهتهم ﴿ موبقا ﴾ مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى

فى ذلك فاذهبه الله عنى (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجئ أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ ثم يجئ أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه * وقوله ﴿ بئس للظالمين بدلا ﴾ يعنى بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ما أشهدتهم ﴾ أى ما أحضرتهم يعنى ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة ﴿ خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ﴾ والمعنى ما أشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها ﴿ وما كنت متخذ المضلين ﴾ يعنى الشياطين الذين يضلون الناس ﴿ عضدا ﴾ يعنى أنصارا وأعوانا * قوله عز وجل ﴿ ويوم يقول نادوا ﴾ يعنى يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا ﴿ شركائى ﴾ يعنى الاصنام ﴿ الذين زعمتم ﴾ يعنى انهم شركائى ﴿ فدعوهم ﴾ أى فاستغثوا بهم ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ أى فلم يجيبوهم ولم ينصروهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ يعنى بين الاصنام وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال ﴿ موبقا ﴾ يعنى مهلكا قال ابن عباس هو واد فى النار وقيل

(وما كنت متخذ المضلين) أى و ما كنت متخذهم (عضدا) أى أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لى فى الخلق فالكم تتخذونهم شركاء لى فى العبادة (ويوم يقول) الله للكفار وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائى الذين زعمتم) انهم فيكم شركائى ليمنعوكم من عذابى وأراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من

(بئس للظالمين) المشركين منى (بدلا) فى الطاعة ويقال بئس ما استبدلوا عبادة الله بعبادة الشيطان ويقال ولاية الله بولاية الشيطان (ما أشهدتهم) يعنى الملائكة والشياطين (خلق السموات والارض) حين خلقهما (ولا خلق أنفسهم) حين خلقتهم ويقال ما استعنت من الملائكة والشياطين فى خلق السموات والارض ولا فى خلق أنفسهم (وما كنت متخذ المضلين) الكافرين اليهود والنصارى وعبدة الاوثان (عضدا) عونا (ويوم) وهو يوم القيامة (يقول) لعبدة الاوثان (نادوا شركائى الذين) يعنى آلهتكم (زعمتم) عبدتم وقلتم انهم شركائى حتى يمنعوكم من عذابى (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوا لهم (وجعلنا بينهم) بين العابد والمعبود (موبقا)

وبق يبق وبوقا اذاهلك أومصدرا كالموعد أى وجعلنا بينهم واديامن أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعاً والملائكة وعزيرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد أى وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم فى قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار فظنوا) فايقنوا (أنهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها) عن النار (مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا فى هذا

القرآن للناس من كل مثل) يحتاجون اليه (وكان الانسان أ كثر شئ جدلا) تمييز أى أكثر الاشياء التى يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعنى ان جدل الانسان أ كثر من جدل كل شئ (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذجاءهم الهدى) أى سببه وهو الكتاب والرسول (ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب) ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره ومامنع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار أن تأتيهم سنة الاولين وهى الاهلاك أو انتظار ان يأتيهم العذاب أى عذاب الآخرة (قبلا) كوفى أى أنواعا جمع قبيل الباقون قبلا أى

واديا فى النار وجعلنا ما بينهم من الوصل والود فى الدنيا موبقا مهلكا فى الآخرة (ورأى المجرمون) المشركون (النار فظنوا) علموا وأيقنوا (أنهم مواقعوها) داخلوها يعنى النار (ولم يجدوا عنها مصرفا) مهربا (ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القرآن للناس

شدتها هلاكا كقول عمر رضى الله عنه لايكون حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان أومصدر من وبق يوبق وبقا اذهلك وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ فايقنوا ﴿انهم مواقعوها﴾ مخالطوها واقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ انصرافا أومكانا ينصرفون اليه ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ من كل جنس يحتاجون اليه ﴿وكان الانسان اكثر شئ﴾ يتأتى منه الجدل ﴿جدلا﴾ خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز ﴿ومامنع الناس ان يؤمنوا﴾ من الايمان ﴿اذجاءهم الهدى﴾ وهو الرسول الداعى والقرآن المبين ﴿ويستغفروا ربهم﴾ من الاستغفار من الذنوب ﴿الا ان تأتيهم سنة الاولين﴾ الاطلب أو انتظار اوتقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿أو يأتيهم العذاب﴾ عذاب الآخرة ﴿قبلا﴾ عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه

نهر تسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك ﴿ورأى المجرمون﴾ أى المشركون ﴿النار فظنوا﴾ أى أيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ أى داخلوها وواقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ أى معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها * قوله سبحانه وتعالى ﴿ولقد صرفنا﴾ أى بينا ﴿فى هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ أى ليتذكروا ويتعظوا ﴿وكان الانسان أكثر شئ جدلا﴾ أى خصومة فى الباطل قال ابن عباس أراد به النضر بن الحرث وجداله فى القرآن وقيل أراد به أبى بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يارسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده وكان الانسان أكثر شئ جدلا * قوله عزوجل ﴿ومامنع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى﴾ يعنى القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ويستغفروا ربهم﴾ والمعنى انه لامانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم يقدموا على الايمان والاستغفار ﴿الا ان تأتيهم سنة الاولين﴾ يعنى سنتنا فى اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال ﴿أو يأتيهم العذاب قبلا﴾

لاهل مكة (من كل مثل) من كل وجه من الوعد والوعيد لكى يتعظوا فيؤمنوا (وكان الانسان) أبى بن (قال) خلف الجمحى (أكثر شئ جدلا) فى الباطل ويقال ليس شئ أجدل من الانسان (ومامنع الناس) أهل مكة المطعمين يوم بدر (ان يؤمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اذجاءهم الهدى) محمد عليه السلام بالقرآن (ويستغفروا ربهم) يتوبوا من الكفر الى الايمان (الا أن تأتيهم سنة الاولين) عذاب الاولين بهلاكهم (أو يأتيهم العذاب) بالسيف (قبلا) معاينة يوم بدر

عيانا (ومانرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم للرسل ماأنتم الابشرمثلنا ولوشاءالله لانزل ملائكة ونحوذلك (ليدحضوا به الحق) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة (واتخذوا آياتى) القرآن (وماأنذروا) ماموصولة والراجع من الصلة محذوف أى وماأنذروه من العقاب أومصدرية ى وانذارهم (هزوا) موضع استهزاء بسكون الزاء والهمزة حمزة وبابدال الهمزة واوا حفص وبضم الزاء والهمزة غيرهما (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها مذكرا فى قوله ان يفقهوه (فاعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسى ماقدمت يداه) عاقبة ماقدمت يداه من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولا ناظر فى ان المسئ والمحسن لابد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم بقوله (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا) ثقلا عن استماع الحق وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه (وان تدعهم) يامحمد (الى الهدى) الى الايمان (فلن يهتدوا) فلايكون منهم اهتداء البتة (اذا) جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا مايجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا فى انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله مالى لاأدعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا (أبدا) مدة

أوجمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب ﴿ وما نرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين ﴾ للمؤمنين والكافرين ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ﴿ ليدحضوا به ﴾ ليزيلوا بالجدال ﴿ الحق ﴾ عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ماانتم الابشر مثلنا ولوشاءالله لانزل ملائكة ونحو ذلك ﴿ واتخذوا آياتى ﴾ يعنى القرآن ﴿ وماانذروا ﴾ وانذارهم أو والذى انذروا به من العقاب ﴿ هزؤا ﴾ استهزاء وقرئ هزأ بالسكون وهو مايستهزأ به على التقديرين ﴿ ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ﴾ بالقرآن ﴿ فاعرض عنها ﴾ فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ﴿ ونسى ماقدمت يداه ﴾ من الكفر والمعاصى ولم يتفكر فى عاقبتهما ﴿ انا جعلنا على قلوبهم اكنة ﴾ تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ﴿ ان يفقهوه ﴾ كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه ﴿ وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا ﴾

قال ابن عباس أى عيانا من المقابلة وقيل فجأة * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومانرسل المرسلين الامبشرين ﴾ أى بالثواب على الطاعة ﴿ ومنذرين ﴾ بالعقاب لمن عصى ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴾ هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ماأنتم الابشر مثلنا وشبه ذلك ﴿ ليدحضوا ﴾ اى ليبطلوا ﴿ به الحق ﴾ ويزيلوه ﴿ واتخذوا آياتى وماأنذروا هزوا ﴾ فيه اضمار يعنى اتخذوا ماأنذروا به وهو القرآن استهزاء * قوله عزوجل ﴿ ومن أظلم ممن ذكر ﴾ أى وعظ ﴿ بآيات ربه فأعرض عنها ﴾ أى تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها ﴿ ونسى ماقدمت يداه ﴾ أى ماعمل من المعاصى من قبل ﴿ انا جعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أى أغطية ﴿ ان يفقهوه ﴾ يريد لئلا يفهموه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ أى ثقلا وصمما ﴿ وان تدعهم ﴾ يامحمد ﴿ الى الهدى ﴾ أى الدين ﴿ فلن يهتدوا اذا أبدا ﴾

(ومانرسل المرسلين الامبشرين) بالجنة للمؤمنين (ومنذرين) عن النار للكافرين (ويجادل) يخاصم (الذين كفروا) بالكتب والرسل (بالباطل) بالشرك (ليدحضوا) ليبطلوا (به) بالباطل (الحق) والهدى (واتخذوا آياتى) كتابى ورسلى (وماأنذروا) خوفوا من العذاب (هزوا) سخرية واستهزاء (ومن أظلم) ليس احد أظلم (ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه فاعرض عنها) فصرف عنها جاحدا بها (ونسى ماقدمت يداه) ترك ذكر ماعملت يداه من الذنوب (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) اغطية (ان يفقهوه) لكى لايفقهوا الحق والهدى (وفى آذانهم وقرا) صمما لكى لايسمعوا الحق والهدى (وان تدعهم) يامحمد (الى الهدى) الى التوحيد (فلن يهتدوا) فان يؤمنوا (اذا أبدا

التكليف كلها (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) أي ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا)

 منجا ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا وأل اليه اذا لجأ اليه

(وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لأن أسماء الاشاره توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم) أو تلك القرى نصب بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك لاهلاك ووقته وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما أبو بكر أي لوقت هلاكهم أو لهلاكهم والموعد وقت أو مصدر (واذ) واذكر اذ (قال موسى لفتاه) هو يوشع ابن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم

تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالي لا ادعوهم فان حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلام يدل عليه ﴿ وربك الغفور ﴾ البليغ المغفرة ﴿ ذو الرحمة ﴾ الموصوف بالرحمة ﴿ لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ﴾ استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بل لهم موعد ﴾ وهو يوم بدر أو يوم القيامة ﴿ لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ منجا يقال وأل اذا نجا وأل اليه اذا لجأ اليه ﴿ وتلك القرى ﴾ يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره ﴿ اهلكناهم ﴾ او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر ﴿ لما ظلموا ﴾ كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض ﴿ واذ قال موسى ﴾ مقدر باذكر ﴿ لفتاه ﴾

وهذا في أقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون ﴿ وربك الغفور ﴾ أي البليغ المغفرة ﴿ ذو الرحمة ﴾ أي الموصوف بالرحمة ﴿ لو يؤاخذهم ﴾ أي يعاقب الكفار ﴿ بما كسبوا ﴾ من الذنوب ﴿ لعجل لهم العذاب ﴾ أي في الدنيا ﴿ بل لهم موعد ﴾ يعني البعث والحساب ﴿ لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ أي ملجأ ﴿ وتلك القرى ﴾ يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ﴿ أهلكناهم لما ظلموا ﴾ أي كفروا ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ أي أجلا لاهلاكهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ قال موسى لفتاه ﴾ الآيات أكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوى بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من أولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول أصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز موسى الا أراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو أراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون ابن افرائم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته وقيل انه أخو يوشع وقيل انه فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى

(وربك الغفور) المتجاوز (ذو الرحمة) بتأخير العذاب (لو يؤاخذهم بما كسبوا) بشركهم (لعجل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) أجل لهلاكهم (لن يجدوا من دونه) من عذاب الله (موئلا) ملجأ (وتلك القرى) أهل القرى الماضية (أهلكناهم لما ظلموا) حين كفروا (وجعلنا لمهلكهم) لهلاكهم (موعدا) أجلا ثم ذكر قصة موسى (صاحب) مع الخضر وكان موسى وقع في قلبه ان ليس في الارض أحد أعلم مني فقال الله يا موسى ان لي في الارض عبدا أعبد لي منك وأعلم وهو الخضر فقال موسى يا رب دلني عليه فقال الله له خذ سمكا مالحا وامض على شاطئ البحر حتى تلقى صخرة عندها عين الحياة فانضح على السمكة منها حتى تحيى السمكة فثمه تلقى الخضر فقال الله (واذ قال موسى لفتاه) لشاجرده يوشع بن نون وكان من أشراف بني اسرائيل وانما سمى فتاه لانه كان يتبعه ويخدمه

يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك

صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي
ابن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني
اسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله سبحانه
وتعالى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به قال
فخذ معك حوتا فاجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمه فاخذ حوتا فجعله في مكتل
ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما
فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك
الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه ان يخبره بالحوت
وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به فقال له
فتاه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره
واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك
ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا
رجل مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا
موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي
صبرا ياموسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه
فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعتني
فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم
سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ
موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير
نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ أمرا قال ألم أقل انك لن
تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف
السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر مانقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل
مانقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل
اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له
موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي
صبرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من
لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما فوجدا
فيها جدارا يريد أن ينقض أي مائلا فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم
أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني

﴿ لاأبرح ﴾ لاأزال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه أما الاولى فلانها كانت حال سفر وأما الثانى فلان قوله ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ غاية مضروبة تستدعى ماهى غاية له فلابد أن يكون المعنى لاأبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر

وهو ملتقى بحر فارس والروم وسمى خضر الانه أينما يصل يخضر ماحوله ﴿ أوأمضى حقبا ﴾ أوأسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى يصيب كلمة تدله على هدى أوترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فدلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه فى البحر فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لاأعلمه أنا ﴿ السمكة ﴾

سماه فتاه وقيل لعبده ﴿ لاأبرح ﴾ أى لاازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله ﴿ حتى ابلغ مجمع البحرين ﴾ من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لايبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لاابرح بمعنى لاازول عما انا عليه من السير والطلب ولاافارقه فلايستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع ﴿ أوامضى حقبا ﴾ أواسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع أومضى الحقب أوحتى ابلغ الاان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنه وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه أى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى

وبينك سانبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت انه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وفى رواية عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال أى رسول الله هل فى الارض أحد أعلم عنك قال لافعتب الله عليه اذلم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال أى رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفى رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث يفقد الحوت زاد فى رواية وفى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لايصيب من مائها شئ الاحيي فاصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير * قوله سبحانه وتعالى ﴿ لاأبرح ﴾ أى لاأزال أسير ﴿ حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ قيل أراد بحر فارس والروم مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ﴿ أوأمضى حقبا ﴾ يعنى أوأسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة فى المكتل وهو الزنبيل الذى يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التى عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لاتصيب شيأ الاحيي فلما أصاب

(لاأبرح) لاأزال أمضى (حتى أبلغ مجمع البحرين) العذب والمالح بحر فارس والروم (أوأمضى حقبا) سنين ويقال دهرا

قال فأى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هنالك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان ﴿ فلمابلغا مجمع بينهما ﴾ أى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع أو بمعنى الوصل ﴿ نسيا حوتهما ﴾ نسى موسى عليه السلام ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له مارأى من حياته ووقوعه فى البحر روى ان موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب فى البحر معجزة لموسى أو الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب ﴿ فاتخذ سبيله فى البحر سربا ﴾ فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ ﴿ فلما جاوزا ﴾ مجمع البحرين ﴿ قال لفتاه آتنا غداءنا ﴾ ما نتغدى به ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة ﴿ قال أرأيت اذ أوينا ﴾ أرأيت ما دهانى اذ أوينا ﴿ الى الصخرة ﴾ يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت ﴿ فانى نسيت الحوت ﴾ فقدته أو نسيت

السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وهاجت ودخلت فى البحر ﴿ فلما بلغا ﴾ يعنى موسى وفتاه ﴿ مجمع بينهما ﴾ أى بين البحرين ﴿ نسيا ﴾ أى تركا ﴿ حوتهما ﴾ وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذى نسيه وانما أضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما أى نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب ﴿ فاتخذ ﴾ أى الحوت ﴿ سبيله فى البحر سربا ﴾ أى مسلكا وروى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسى صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلما جاوزا ﴾ يعنى ذلك الموضع وهو مجمع البحرين ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ لفتاه آتنا غداءنا ﴾ أى طعامنا ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ أى تعبا وشدة وذلك انه ألقى على موسى الجوع بعدما جاوزا الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع فى طلبه ﴿ قال ﴾ يعنى يوشع ﴿ أرأيت اذ أوينا الى الصخرة ﴾ وهى صخرة كانت بالموضع الموعود ﴿ فانى نسيت الحوت ﴾ أى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك

وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فانى نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينساه متعهد الزاد قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت فى الماء (فاتخذ سبيله فى البحر) أى اتخذ طريقا له من البر الى البحر (سربا) نصب على المصدر أى سرب فيه سربا يعنى دخل فيه واستتر به (فلما جاوزا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ماشاء الله (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) هى موضع الموعد (فانى نسيت الحوت) ثم اعتذر

(فلما بلغا مجمع بينهما) بين البحرين (نسيا حوتهما) خبر حوتهما (فاتخذ سبيله) طريقه (فى البحر سربا) يابسا (فلما جاوزا) من الصخرة (قال لفتاه) لشاجرده (آتنا غداءنا) أعطنا غداءنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا ومشقة (قال) يوشع (أرأيت) ياموسى (اذ أوينا) انتهينا

(الى الصخرة فانى نسيت الحوت) خبر الحوت

ذكره بما رأيت منه ﴿وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره﴾ أى وما انسانى ذكره الا الشيطان
لان أن أذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكر له وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له
بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى
وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى
جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه
أولان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها
﴿واتخذ سبيله فى البحر عجبا﴾ سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب أو اتخاذا عجبا والمفعول
الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى آخر كلامه او موسى فى جوابه
تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى أى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر
عجبا ﴿قال ذلك﴾ أى امر الحوت ﴿ما كنا نبغ﴾ نطلب لانه امارة المطلوب
﴿فارتدا على آثارهما﴾ فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه ﴿قصصا﴾ يقصان قصصا
أى يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى اتيا الصخرة ﴿فوجدا عبدا من عبادنا﴾
والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس

موسى فيخبره فنسى أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد * ثم قال ﴿وما
أنسانيه الا الشيطان أن أذكره﴾ أى وما أنسانى أن أذكر لك أمر الحوت الا الشيطان
قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التى هى من فعله دون
النسيان الذى يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى ﴿واتخذ سبيله فى البحر
عجبا﴾ قيل هذا من قول يوشع بن نون يعنى وقع الحوت فى البحر فاتخذ سبيله فيه
مسلكا وروى فى الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل أى شئ أعجب
من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما أكل بعضه * قوله عز وجل ﴿قال﴾
يعنى موسى ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾ نطلب ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾ أى رجعا
يقصان الذى جاآ منه ويتبعانه ﴿فوجدا عبدا من عبادنا﴾ قيل كان ملكا من الملائكة
والصحيح الذى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه سلم وجاء فى التواريخ انه الخضر واسمه
بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بنى اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك
الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمى به لانه جلس على فروة بيضاء
فاخضرت (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى الخضر
خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة
يابسة وقيل سمى خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ماحوله وروينا ان موسى رأى
الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وأنى بأرضك السلام قال أنا موسى
أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ومعنى مسجى بثوب أى مغطى بثوب * وقوله وانى
بارضك السلام معناه من أين بارضك التى أنت فيها الآن السلام وروى انه لقيه على
طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدا عبدا من عبادنا

فقال (وما أنسانيه) وبضم الهاء حفص (الا الشيطان) بالقاء الخواطر بالقلب (أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه أى وما أنسانى ذكره الا الشيطان (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) وهو ان أثره بقى الى حيث سار (قال ذلك ما كنا نبغ) نطلب و بالياء مكى وافقه أبو عمرو وعلى ومدنى فى الوصل و بغير ياء فيهما غيرهما اتباعا لخط المصحف وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا أى ذلك الذى كنا نطلب لان ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فارتدا على آثارهما) فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه (قصصا) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الاثر (فوجدا عبدا من عبادنا) أى الخضر راقدا تحت ثوب أو جالسا

(وما انسانيه) وما شغلنيه (الا الشيطان ان اذكره) لك (واتخذ سبيله) طريقه (فى البحر عجبا) يابسا (قال) موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب دلالة لنا من الله على الخضر (فارتدا) رجعا (على آثارهما) خلفهما (قصصا) يقصان اثرهما (فوجدا) هناك عند الصخرة (عبدا من عبادنا)

﴿ آتيناه رحمة من عندنا ﴾ هي الوحي والنبوة ﴿ وعلمناه من لدنا علما ﴾ مما تختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب ﴿ قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن ﴾ على شرط ان تعلمنى وهو فى موضع الحال من الكاف ﴿ مما علمت رشدا ﴾ علما ذا رشد وهو اصابة الخير* وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك أو مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره مالم يكن شرطا فى ابواب الدين فان الرسول ينبغى ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه ﴿ قال انك لن تستطيع معى صبرا ﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله ﴿ وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ﴾ أى وكيف تصبر وانت نبى على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز أو مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره ﴿ قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ﴾ معك غير منكر عليك ﴿ ولا اعصى لك امرا ﴾ عطف على صابرا أى ستجدنى صابرا وغير عاص أو على ستجدنى وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن أو لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديدة فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى .

﴿ آتيناه رحمة ﴾ أى نعمة ﴿ من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ أى علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم* فان قلت ظاهر هذه الآيات يدل على ان الخضر كان أعلى شأنا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه* قلت لا يخلو اما أن يكون الخضر من بنى اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بنى اسرائيل فهو من أمة موسى ولا جائز أن يكون أحد الامة أفضل من نبيها أو أعلى شأنا منه وان كان من غير بنى اسرائيل فقد قال الله تعالى لبنى اسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين أى على عالمى زمانكم ﴿ قال له موسى هل أتبعك ﴾ معناه جئت لاصحبك و أتبعك ﴿ على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾ أى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وبنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرنى بهذا فحينئذ ﴿ قال ﴾ الخضر لموسى ﴿ انك لن تستطيع معى صبرا ﴾ وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمورا منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال ﴿ وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ﴾ أى علما ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ستجدنى ان شاء الله صابرا ﴾ انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿ ولا أعصى لك أمرا ﴾ أى

فى البحر (آتيناه رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوة أو العلم أو طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) يعنى الاخبار بالغيوب وقيل العلم اللدنى ما حصل للعبد بطريق الالهام (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) أى علما ذا رشد ارشد به فى دينى رشدا أبو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغى لاحد أن يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه (قال انك لن تستطيع معى) و بفتح الياء حفص وكذا ما بعده فى هذه السورة (صبرا) أى عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) تمييز نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هى فى ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن لا يخرج اذا رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا (قال ستجدنى ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض (ولا اعصى لك امرا) فى محل النصب عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاصم وهو عطف على ستجدنى ولا محل له

يعنى الخضر (آتيناه رحمة من عندنا) يقول اكرمناه بالنبوة (وعلمناه من لدنا علما) علم الكوائن (قال له موسى هل أتبعك) أصحبك ياخضر (على أن تعلمن مما علمت رشدا) صوابا وهدى (قال) ياموسى (انك لن تستطيع معى صبرا) ان ترى منى شيأ لا تصبر عليه قال موسى أصبر قال الخضر (وكيف تصبر) ياموسى (على مالم تحط به) على مالم تعلم به (خبرا) بيانا (قال ستجدنى) ياخضر (ان شاء الله صابرا) على ما أرى منك (ولا أعصى لك أمرا) لا أترك أمرك

(قال فان اتبعتنى فلا تسألنى)بفتح اللام و مد يد النون مدنى وشامى و بسكون اللام وبتخفيف النون غيرهما والياء ثابتة فيهما اجماعا (عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا) أى فمن شرط اتباعك لى انك اذا رأيت منى شيأ وقد علمت انه صحيح الا انه خفى عليك وجه صحته فانكرت فى نفسك ان لا تفاتحنى بالسؤال ولا تراجعنى فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم او المتبوع مع التابع

صحبتنى يا موسى (فلا تسألنى عن شئ) فعلته (حتى أحدث لك) حتى أبين لك (منه ذكرا) بيانا (فانطلقا) (والثانية) فمضيا موسى والخضر عليهما السلام (حتى اذا ركبا فى السفينة) عند العبر (خرقها) ثقبها الخضر (قال) له موسى (أخرقتها ليغرق) يعنى لكى يغرق (أهلها) ان قرأت بنصب الياء ويقال لتغرق لتهلك ان قرأت بضم التاء (لقد جئت شيأ امرا) لقد فعلت شيأ منكرا شديدا على القوم (قال) له الخضر (ألم أقل) يا موسى (انك لن تستطيع معى صبرا قال) موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت)تركت من وصيتك

فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال اهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلى الماء فجعل موسى يسد الحرق بثيابه ثم (قال اخرقتها لتغرق اهلها) ليغرق حمزة وعلى من غرق (لقد جئت شيأ امرا) اتيت شيأ عظيما من امر الامر اذا عظم (قال) اى الخضر (ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا) فلما رأى موسى ان الحرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قال لا تؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيته اوبشئ نسيته او بنسيانى اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى اواراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة

قال) الخضر (فان اتبعتنى)

﴿ قال فان تبعتنى فلا تسألنى عن شئ ﴾ فلا تفاتحنى بالسؤال عن شئ انكرته منى ولم تعلم وجه صحته ﴿ حتى احدث لك منه ذكرا ﴾ حتى ابتدئك ببيانه * وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألنى بالنون الثقيلة ﴿ فانطلقا ﴾ على الساحل يطلبان السفينة ﴿ حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها ﴾ اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها ﴿ قال اخرقتها لتغرق اهلها ﴾ فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها * وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير * وقرأ حمزة والكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى اهل ﴿ لقد جئت شيأ امرا ﴾ اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم ﴿ قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا ﴾ تذكير لما ذكره قبل ﴿ قال لا تؤاخذنى بما نسيت ﴾ بالذى نسيته أو بشئ نسيته يعنى وصيته بان لا يعترض عليه أو بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه

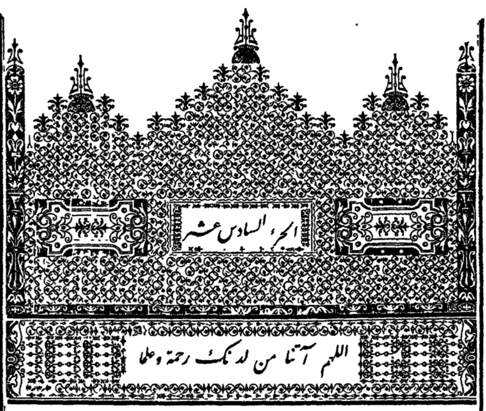
لا أخالفك فيما تأمرنى به ﴿ قال فان اتبعتنى ﴾ أى فان صحبتنى ولم يقل اتبعنى ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال ﴿ فلا تسألنى عن شئ ﴾ أى مما أعمله مما تنكره ولا تعترض عليه ﴿ حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ معناه حتى أبتدئ بذكره فابين لك شانه * قوله سبحانه وتعالى ﴿ فانطلقا ﴾ أى يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ماهم بلصوص ولكن أرى وجوه الانبياء وروينا عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول أى بغير عوض ولا عطاء فلما لججوا فى البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من ألواح السفينة فذلك قوله تعالى ﴿ حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال ﴾ يعنى موسى له ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا ﴾ أى اتيت شيأ عظيما منكرا روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشابه الحرق ﴿ قال ﴾ العالم وهو الخضر ﴿ ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا قال ﴾ يعنى موسى ﴿ لا تؤاخذنى بما نسيت ﴾ قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسى شيأ آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا

﴿ ولاترهقني من امرى عسرا ﴾ ولاتغشني عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى فان ذلك يعسر على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين ﴿ فانطلقا ﴾ أي بعد ما خرجا من السفينة ﴿ حتى اذا لقيا غلاما فقتله ﴾ قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك ﴿ قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس ﴾ أي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أوانه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضى قتلها أوقتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا أوقصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله ﴿ لقد جئت شيأ نكرا ﴾ أي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين

والثانية شرطا والثالثة عمدا ﴿ ولاترهقني ﴾ أي لاتغشني ﴿ من أمري عسرا ﴾ والمعنى لاتعسر على متابعتك ويسرها بالاغضاء وترك المناقشة وقيل لاتكلفني مشقة ولاتضيق على أمرى ﴿ فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله ﴾ في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضئ الوجه كأن وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى انه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتلت نفسا زاكية الا وهو صبى لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه جيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى أبويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم ﴿ قال ﴾ يعني موسى ﴿ أقتلت نفسا زاكية ﴾ أي لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التى أذنبت ثم تابت ﴿ بغير نفس ﴾ أي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل ﴿ لقد جئت شيأ نكرا ﴾ أي منكرا عظيما وقيل النكر أعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر أعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيأ انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لاسبيل الى تداركه

فقتله) قيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء (قال أقتلت نفسا) وانما خولف بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (زكية) زاكية حجازى و ابو عمرو وهى الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت اولانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) اى لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ماعلمه عالم موسى فلك أن تقتل (لقد جئت شيأ نكرا) وبضم الكاف حيث كان مدني وأبو بكر وهو المنكر و قيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيأ أنكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل

(ولاترهقني من أمري عسرا) يعني لاتكلفني من أمرى شدة (فانطلقا) فمضيا (حتى اذا لقيا غلاما) بين قريتين (فقتله) الخضر قال) موسى (أقتلت) ياخضر (نفسا زكية) برة (بغير نفس) بغير قتل نفس (لقد جئت شيأ نكرا) فعلت فعلا منكرا عظيما



﴿ قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ﴾ زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة ﴿ قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ﴾ وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك ﴿ قد بلغت من لدني عذرا ﴾ قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات ،وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيي فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر أعجب الاعاجيب * وقرأ نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله

قدني من نصر الخبيبين قدي

وأبو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد

﴿ قال ﴾ يعني الخضر ﴿ ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ﴾ قيل زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتوبيخ فعند هذا ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ﴾ قيل ان يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني أي فارقني ولا تصاحبني ﴿ قد بلغت من لدني عذرا ﴾ قال ابن عباس أي قد أعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحدا من الانبياء بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة

(فقال)

(قال . ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) زاد لك هنا لان النكر فيه اكثر (قال ان سألتك عن شيء بعدها) بعد هذه الكرة او المسئلة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) اعذرت فيما بيني وبينك في الفراق ولدني بتخفيف النون مدني وابو بكر

(قال) الخضر (ألم اقل لك) ياموسى (انك لن تستطيع معي صبرا) انك ترى مني شيأ لا تصبر على ذلك (قال) موسى (ان سألتك) ياخضر (عن شيء بعدها) بعد قتل هذه النفس (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) قد اعذرت مني بترك الصحبة

(فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) هى انطاكية اوالابلة وهى ابعد ارض الله من السماء (استطعما اهلها) استضافا (فابوا ان يضيفوهما) ضيفه انزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى تبخل بالقرى (فوجدا فيها) فى القرية (جدارا) طوله مائة ذراع (يريد ان ينقض) يكاد يسقط استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك (فاقامه) بيده او مسحه بيده فقام واستوى او نقضه وبناه كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان (قال لو شئت لأتخذت عليه اجرا) اى لطلبت على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وادغام الذال بصرى وباظهارها مكى وبتشديد التاء وفتح الخاء واظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء وادغام الذال فى التاء غيرهم والتاء فى تخذ اصل كما فى تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ فى شئ (قال هذا فراق بينى وبينك) هذا اشارة الى السؤال الثالث اى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا

(فانطلقا) فمضيا (حتى اذا اتيا اهل قرية) يقال لها انطاكية (استطعما اهلها) طلبا من اهلها الخبز (فأبوا ان يضيفوهما) يعطوهما الطعام (قا و خا ١٧ بع) (فوجدا فيها جدارا) حائطا مائلا (يريد ان ينقض) ان يسقط (فاقامه) فسواه الخضر (قال) موسى (لو شئت) ياخضر (لأتخذت عليه اجرا) جعلا خبزا نأكله (قال) الخضر (هذا فراق بينى وبينك) ياموسى

﴿ فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية ﴾ قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية ﴿ استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما ﴾ وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال ﴿ فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض ﴾ يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر ابى براء * ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال آخر

ان دهرا يلم شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان

و نقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض *وقرئ أن ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا ﴿ فاقامه ﴾ بعمارته أو بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه ﴿ قال لو شئت لأتخذت عليه أجرا ﴾ تحريضا على أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بانه فضول لما فى لو من النفى كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين *وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أى لأتخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون ﴿ قال هذا فراق بينى وبينك ﴾ الاشارة

فقال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لرأى العجب *قوله ذمامة هو بذال معجمة أى حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعنى لمته ملامة ويشهد له قول الخضر هذا فراق بينى وبينك * قوله سبحانه وتعالى ﴿ فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية ﴾ قال ابن عباس يعنى انطاكية وقيل الابلة وهى أبعد الارض من السماء وقيل هى بلدة بالاندلس ﴿ استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما ﴾ قال ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما فابوا أن يضيفوهما وروى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبى هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التى لا تضيف الضيف ﴿ فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض ﴾ أى يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة ﴿ فاقامه ﴾ أى سواه وفى حديث أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ لو شئت لأتخذت عليه أجرا ﴾ يعنى على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت أنا جياع وان أهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك أجرا ﴿ قال ﴾ يعنى الخضر ﴿ هذا فراق بينى وبينك ﴾ يعنى هذا وقت فراق بينى وبينك وقيل هذا الانكار

الى الفراق الموعود بقوله فلاتصاحبني أوالى الاعتراض الثالث أوالوقت أي هذا الاعتراض سبب فراقنا أوهذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقدقرئ على الاصل ﴿ سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴾ بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيأ اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر ﴿ فاردت ان اعيبها ﴾ ان أجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ قدامهم أوخلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدى ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ من أصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعيب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية أولان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها ﴿ واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ﴾ ان يغشاهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بعلته فيرتدا

على ترك أخذ الاجر هو المفرق بيننا ﴿ سأنبئك ﴾ أي سوف أخبرك ﴿ بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴾ وقيل ان موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ماعملت قبل أن تفارقني فقال الخضر ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر أي يؤجرونها ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيأ لايزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم مايملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم يملكون تلك السفينة ﴿ فاردت أن أعيبها ﴾ أي أجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ أي أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعبتها حتى لايأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى الازدى وكان كافرا وقيل كان اسمه هددبن بدد وروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي تمر به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها * قوله عزوجل ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ﴾ أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر مايكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا ﴿ ان يرهقهما ﴾ أي يغشيهما وقيل يكلفهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ قيل معناه فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه

وخمسة يعملون في البحر (فاردت ان اعيبها) اجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) امامهم أوخلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى (يأخذ كل سفينة غصبا) اى يأخذ كل سفينة صالحة لاعيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها وهو مصدر أومفعول له فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وانما قدم للعناية (واما الغلام)وكان اسمه الحسين (فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه

(سأنبئك)اخبرك(بتأويل) بتفسير(مالم تستطع عليه صبرا)مالم تصبرعليه (اما السفينة)التي ثقبتها(فكانت لمساكين يعملون في البحر) فيعبرون بالناس (فاردت ان اعيبها) اشينها (وكان وراءهم) قدامهم (ملك) يقال له جلندى(يأخذ كل سفينة غصبا) فلذلك ثقبتها(واما الغلام) الذي قتلته ﴿ فاردنا ﴾
(فكان ابواه مؤمنين)من عظماء تلك القرية(فخشينا ان يرهقهما) فعلم ربك ان يكلفهما (طغيانا وكفرا)بطغيانه وكفره ومعصي

وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء اويعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وهو من كلام الخضر وانما خشى الخضر منه ذلك لانه تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سراسره وان كان من قول الله تعالى فمعنى فخشينا فعلمنا أن عاش ان يصير سببا لكفر والديه (فاردنا ان يبدلهما ربهما) يبدلهما ربهما مدنى وابو عمرو (خيرا منه زكوة) طهارة ونقاء من الذنوب (واقرب رحما) رحمة وعطفا وزكاة ورحما تمييز روى انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا او سبعين نبيا أو ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما رحما شامى وهما لغتان (واما الجدار فكان لغلامين) اصرم وصريم (يتيمين فى المدينة) هى القرية المذكورة (وكان تحته كنز لهما) اى لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله او مال مدفون من ذهب وفضة او صحف فيها علم والاول اظهر وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم

باضلاله أو بعماله انه على طغيانه وكفره حبا له وانما خشى ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل * وقرئ فخاف ربك أى فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل ﴿ فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ﴾ أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه ﴿ زكوة ﴾ طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة ﴿ واقرب رحما ﴾ رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وأبو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التميز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة ﴿ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ﴾ قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف

﴿ فاردنا أن يبدلهما ربهما ﴾ الابدال رفع الشئ ووضع آخر مكانه ﴿ خيرا منه زكوة ﴾ أى صلاحا وتقوى وقيل هو فى مقابلة قوله تعالى أقتلت نفسا زاكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة ﴿ واقرب رحما ﴾ أى ويكون المبدل منه أقرب عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبى من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما بغلام مسلم وقيل انه الغلام الذى قتل فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى وان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ﴾ قيل كان اسمهما أصرم وصريم ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ روى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة أخرجه الترمذى وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفى الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدى

بالحلف الكاذب فقتله (فاردنا ان يبدلهما ربهما) ولدا (خيرا منه زكوة) صالحا (واقرب رحما) اوصل رحما فرزق الله لهما جارية فتزوج بها نبى من الانبياء فولدت نبيا من الانبياء فهدى الله على يديه امة من الناس وكان الغلام رجلا كافرا لصا قتالا فمن ذلك قتله الخضر وكان اسمه جيسور (واما الجدار) الذى سويته (فكان لغلامين يتيمين) وكان اسمهما اصرم وصريم (فى المدينة) فى مدينة انطاكية (وكان تحته كنز لهما) لوح من الذهب فيه علم وحكمة مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد

يتعب وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله ﴿ وكان ابوهما صالحا ﴾ تنبيه على ان سعيه ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح ﴿ فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ﴾ أى الحلم وكمال الرأى ﴿ ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة أو مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت مافعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لامدخل له فى بلوغ الغلامين أو لان الاول فى نفسه شر والثالث خير والثانى ممتزج او لاختلاف حال العارف فى الالتفات الى الوسائط ﴿ ومافعلته ﴾ ومافعلت مارأيته ﴿ عن امرى ﴾ عن رأيى وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع فى تفاصيله

لاشريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه وقيل الكنز اذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما ﴿ وكان أبوهما صالحا ﴾ قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله مادام فيهم وقال سعد بن المسيب انى لاصلى فاذكر ولدى فازيد فى صلاتى ﴿ فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ﴾ أى يدركا ويعقلا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة * فان قلت كيف قال فى الاولى فاردت وفى الثانية فاردنا وفى الثالثة فاراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ * قلت انه لما ذكر العيب أضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء فى علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح فى مال اليتيمين لاجل صلاح أبيهما أضافه الى الله سبحانه وتعالى لان حفظ الابناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس الا لله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك أضافه الى الله تعالى ﴿ ويستخرجا كنزهما ﴾ يعنى اذا بلغا وعقلا وقويا ﴿ رحمة من ربك ﴾ أى نعمة من ربك ﴿ ومافعلته عن أمرى ﴾ أى باختيارى ورأيى بل فعلته بامر الله والهامه اياى لان تنقيص أموال الناس واراقة دمائهم وتغير احوالهم لايكون الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى ومافعلته عن امرى على ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحى وذلك للانبياء والصحيح انه ولى الله وليس نبى واجيب عن قوله سبحانه تعالى ومافعلته عن امرى انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض

واحلت لنا (وكان ابوهما) قيل جدهما السابع (صالحا) ممن يحتبى وعن الحسين بن على رضى الله عنهما انه قال لبعض الخوارج فى كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابى وجدى خير منه (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) اى الحلم (ويستخرجا كنزهما رحمة) مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه فى معنى رحمهما (من ربك ومافعلته) ومافعلت مارأيت (عن امرى) عن اجتهادى وانما فعلته بامر الله والهاء يعود الى الكل

رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان ابوهما صالحا) ذو امانة يقال له كاشح (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) ان يحتلما (ويستخرجا كنزهما) يعنى اللوح (رحمة من ربك) نعمة لهما من ربك ويقال وحيا من ربك فعلته (وما فعلته عن امرى) من قبل

مختلفة ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ﴾ أى مالم تستطع فحذف التاء تخفيفا من فوائد هذه القصة ان لايعجب المرء بعلمه ولايبادر الى انكار مالم يستحسنه فلعل فيه سرا لايعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين ﴾ يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمى ذاالقرنين أولانه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض فى ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب

ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ﴾ أى لم تطق ان تصبر عليه روى ان موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال أوصنى قال لاتطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به ✽ واختلف العلماء فى ان الخضر أحى أم ميت فقيل انه حى وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة والحكايات فى رؤيته والاجتماع به ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من ان تحصر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاواه هو حى عند جماهير العلماء فى الصالحين والعامة هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب فى حياة الخضر فيما حكى أنه شرب من عين الحياة وذلك ان ذاالقرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى وأخطأ ذوالقرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعد ماصلى العشاء ليلة أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لايعيش بعده ✽ وقوله عزوجل ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين ﴾ قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صح الرومى وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام فخر الدين فى تفسيره عن أبى الريحان السرورى المنجم فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه أبو كرب سمى بن عير بن افريقيس الحميرى وهو الذى افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول

قدكان ذوالقرنين جدى مسلما ✽ ملكا علا فى الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغى ✽ أسباب ملك من كريم مرشد
فرأى مآب الشمس عند غروبها ✽ فى عين ذى خلب وثأط حرمد

قوله فرأى مآب الشمس أى ذهاب الشمس وقوله فى عين ذى خلب أى حمأة والثأطة الحمأة أيضا والجمع ثأط والحرمد الطين الاسود وقيل سمى ذاالقرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى فى المنام كان أخذ بقرنى الشمس وقيل لانه كان له ذؤابتان

تخفيفا وقد زل اقدام اقوام من الضلال فى تفضيل الولى على النبى وهو كفر جلى حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولى والجواب ان الخضر نبى وان لم يكن كما زعم البعض فهذا ابتلاء فى حق موسى عليه السلام على ان أهل الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال أن يكون الولى وليا بايمانه بالنبى ثم يكون النبى دون الولى ولاغضاضة فى طلب موسى العلم لان الزيادة فى العلم مطلوبة وانما ذكر أولا فاردت لانه افساد فى الظاهر وهو فعله وثالثا فاراد ربك لانه انعام محض وغير مقدور البشر وثانيا فاردنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فاردنا فاراد الله عزوجل ومثله فى القرآن كثير (ويسئلونك) أى اليهود على جهة الامتحان أو أبو جهل وأشياعه (عن ذى القرنين) هو الاسكندر الذى ملك لدنيا قيل

نفسى (ذلك تأويل) تفسير (مالم تسطع عليه صبرا) مالم تصبر عليه (ويسئلونك) يامحمد اهل مكة (عن ذى القرنين) عن خبر ذى القرنين

ملكها مؤمنان ذوالقرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصروكان بعد نمرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وسخرله النور والظلمة فاذاسرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن على رضى الله عنه انه قال ليس بملك ولانبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله فمات ثم

بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قيل كان يدعوهم الى توحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وقال عليه السلام سمى ذا القرنين لانه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان أوانقرض فى وقته قرنان من الناس أولانه ملك الروم وفارس أوالترك والروم أوكان لتاجه قرنان أوعلى رأسه مايشبه القرنين أوكان كريم الطرفين أبا وأما وكان من الروم (قل سأتلوا عليكم منه) من ذى القرنين (ذكرا انا مكناله فى الارض) جعلناله فيها مكانة واعتلاء (وآتيناه من كل شئ) أراده من اغراضه ومقاصده فى ملكه (سببا) طريقا موصلا اليه (فاتبع سببا) والسبب مايتوصل به الى المقصود من علم أوقدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا فاتبع ثم أتبع

بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا أومشركوا مكة ﴿ قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ﴾ خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله ﴿ انا مكناله فى الارض ﴾ أى مكناله امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول ﴿ وآتيناه من كل شئ ﴾ اراده وتوجه اليه ﴿ سببا ﴾ وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة ﴿ فاتبع سببا ﴾

حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروى عن على أنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم بعثه الله فامرهم بتقوى الله فضربوا على قرنه الايسر فمات فاحياه الله واختلفوا فى نبوته فقيل كان نبيا ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا ياذا القرنين وخطاب الله لايكون الامع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطفيل سئل على عن ذى القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولاملكا ولكن كان عبدا أحب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذى عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشأم وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وبوب الابواب وبنى السدود انته ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذى هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن ذى القرنين ﴿ قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ﴾ أى خبرا يتضمن حاله ✽ قوله سبحانه وتعالى ﴿ انا مكناله فى الارض ﴾ أى وطأناله والتمكين تمهيد الاسباب قال على سخر الله له السحاب فحمل عليه ومدله فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذلل له طريقها ﴿ وآتيناه من كل شئ ﴾ مما يحتاج اليه الخلق وكل مايستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء ﴿ سببا ﴾ أى علما يتسبب به الى كل مايريد ويسير به فى أقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث أراد وقيل قربناله أقطار الارض ﴿ فاتبع سببا ﴾ أى سلك طريقا

كوفى وشامى الباقون بوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعى اتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يلحق (حتى)

(قل) يامحمد لهم (سأتلوا عليكم) سأقرأ عليكم (منه) من خبره (ذكرا) بيانا (انا مكناله) مكناه (فى الارض وآتيناه) أعطيناه (من كل شئ سببا) معرفة الطريق والمنازل (فاتبع سببا) فاخذ

(حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم بدء أمره انه وجد في الكتب ان أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين (وجدها تغرب في عين حمئة) ذات حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة حامية شامي وكوفي غير حفص بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب في عين حمئة وكان ابن عباس رضي الله

عنهما عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما ولا تنافي فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر وكانوا كفارا (قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا) ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه بهذا والا فقد أوحى الى نبي فأمره النبي به أو كان الهاما خير بين ان يعذبهم بالقتل ان أصروا على أمرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع ان آمنوا أو التعذيب القتل واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان (قال) ذو القرنين (اما من ظلم فسوف نعذبه) بالقتل

أي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء ﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابوبكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين أو حمئة على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ماقبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ﴿ ووجد عندها ﴾ عند تلك العين ﴿ قوما ﴾ قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم مالفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم أو يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله ﴿ قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب ﴾ أي بالقتل على كفرهم ﴿ واما ان تتخذ فيهم حسنا ﴾ بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله ﴿ قال اما من ظلم فسوف نعذبه

﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ أي ذات حمأة وهي الطينة السوداء وقرئ حامية أي حارة وسأل معاوية كعبا كيف تجد في التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال نجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين وقيل يجوز أن يكون معنى في عين حمئة أي عندها عين حمئة أو في رأي العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شيء من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كأنها تغيب في البحر ﴿ ووجد عندها قوما ﴾ أي عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسريانية « حرجسا » سكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح لولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب أي تغيب ﴿ قلنا يا ذا القرنين ﴾ يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره ﴿ اما ان تعذب ﴾ يعني تقتل من لم يدخل في الاسلام ﴿ واما ان تتخذ فيهم حسنا ﴾ يعني تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين الامرين ﴿ قال أما من ظلم ﴾ أي كفر ﴿ فسوف نعذبه ﴾ أي نقتله

طريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) حيث تغرب (وجدها تغرب في عين حمئة) حارة ويقال طينة سوداء منتنة ان قرأت بغير الالف (ووجد عندها قوما) كفارا (قلنا يا ذا القرنين) ألهمناه (اما أن تعذب) تقتل حتى يقولوا لا اله الا الله (واما ان تتخذ فيهم حسنا) معروفا تعفو عنهم وتتركهم (قال اما من ظلم) كفر بالله (فسوف نعذبه) في الدنيا بالقتل

(ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) فى القيامة يعنى امامن دعوته الى الاسلام فابى الاالبقاء على الظلم العظيم وهو الشر
فذاك هو المعذب فى الدارين (وأمامن آمن وعمل صالحا) أى عمل مايقتضيه الا

(فله جزاء الحسنى) فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفى غير أبى بكر أى فله الفعلة الحسنى جزاء (وسنقول له من امرنا يسرا) أى ذا يسر أى لانأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) من دون الشمس (سترا) أى أبنية عن كعب أرضهم لاتمسك الابنية وبها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم أو الستر اللباس عن مجاهد من لايلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض (كذلك) أى أمر ذو القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما

ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ﴾ اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره أواستمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه أنا ومن معى فى الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله فى الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله ﴿ واما من آمن وعمل صالحا ﴾ وهو مايقتضيه الايمان ﴿ فله ﴾ فى الدارين ﴿ جزاء الحسنى ﴾ فعلته الحسنى * وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال أى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها أو على المصدر لفعله المقدر حالا أى يجزى بها جزاء أو التمييز * وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير أى ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام أو على لسان نبى ﴿ وسنقول له من امرنا ﴾ مما نأمر به ﴿ يسرا ﴾ سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق ﴿ حتى اذا بلغ مطلع الشمس ﴾ يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض * وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف أى مكان مطلع الشمس فانه مصدر ﴿ وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾ من اللباس أو البناء فان ارضهم لاتمسك الابنية أو انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية ﴿ كذلك ﴾ اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكانة وبسطة الملك أو امره فيهم كأمره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد أو نجعل أو صفة قوم أى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر

﴿ ثم يرد الى ربه ﴾ أى فى الآخرة ﴿ فيعذبه عذابا نكرا ﴾ أى منكرا يعنى بالنار لانها أنكر من القتل ﴿ وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى ﴾ أى جزاء أعماله الصالحة ﴿ وسنقول له من أمرنا يسرا ﴾ أى نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ أى سلك طريقا ومنازل ﴿ حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾ قيل انهم كانوا فى مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا فى أسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل انهم كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا فى الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية «مرقيسيا» وهم مجاورن يأجوج ومأجوج * قوله سبحانه وتعالى ﴿ كذلك ﴾ أى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم فى القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم فى القوم الذين عند مغربها وهو الاصح

(ثم يرد الى ربه) فى الآخرة (فيعذبه) النار (عذابا نكرا) شديدا (وأما من آمن) بالله (وعمل صالحا) خالصا (فله جزاء الحسنى) الجنة فى الآخرة (وسنقول له من أمرنا يسرا) معروفا (ثم
اتبع سببا) أخذ طريقا نحو المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها) (وقد)
بينهم وبين الشمس (سترا) جبلا ولا شجرا ولا ثوبا قوم عماة عراة عن الحق يقال لهم تارج وتأويل ومنسك (كذلك) كما بلغ الى المغرب

والحكم ﴿ وقد احطنا بما لديه ﴾ من الجنود والآلات والعدد والاسباب ﴿ خبرا ﴾ علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لايحيط به الا علم اللطيف الخبير ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال ﴿ حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان منيفان فى آخر الشمال فى منقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج * وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة ﴿ وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا ﴾ لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم * وقرأ حمزة والكسائى لايفقهون أى لايفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه ﴿ قالوا ياذا القرنين ﴾ أى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ﴿ ان يأجوج ومأجوج ﴾ قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج

﴿ وقد احطنا بما لديه خبرا ﴾ أى علما بما عنده ومن معه من الجند والعدة وآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ماعنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره * قوله عز وجل ﴿ ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ هما هنا جبلان فى ناحية الشمال فى منقطع أرض الترك حكى ان الواثق بعث بعض من يثق به من أتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ﴿ وجد من دونهما قوما ﴾ أى امام السدين قيل هم الترك ﴿ لايكادون يفقهون قولا ﴾ قال ابن عباس لايفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم ﴿ قالوا ياذا القرنين ﴾ فان قلت كيف أثبت لهم القول وهم لايفهمون * قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لايكادون يفقهون قولا الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس ﴿ ان يأجوج ومأجوج ﴾ أصلهما من أجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج امة وكل أمة اربعة

(ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين وسدا مكى وأبو عمرو وحفص السدين وسدا حمزة وعلى بضمهما غيرهم قيل ماكان مسدودا خلقة فهو مضموم وماكان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب بين على انه مفعول به لبلغ كما انجر بالاضافة فى هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (وجد من دونهما) من ورائهما (قوما) هم الترك (لايكادون يفقهون قولا) أى لايكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها يفقهون حمزة وعلى أى لايفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهمزهما عاصم فقط وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم

بلغ الى المشرق (وقد أحطنا بما لديه خبرا) (قا و خا ١٨ بع) بد علما بما كان عنده من الجبر والبيان (ثم أتبع سببا) أخذ طريقا الى المشرق نحو الروم (حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين (وجد من دونهما) من دون الجبلين (قوما لايكادون يفقهون قولا) قول غيرهم (قالوا) للترجمان (ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج

من الجيل* وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع

آلاف أمة لايموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشأم طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لايقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالاخرى لايمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج مأجوج فهم متصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى له اني باعثك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج مأوجوج فقال ذو القرنين بأي قوة أكابدهم وبأي جمع أكاثرهم وبأي لسان أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى اني سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لايحصيهم الا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين وجند منهم جندا عظيما ثم أخذ ناحية اليسرى فاتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التي في وسط الارض فلما كان فيما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلاشك أنهم يتملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير وقال أعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منالهم مخالب وأضراس كالسباع ولهم هلب شعر يواري

(مفسدون في الارض)قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح و قيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر (فهل نجعل لك خرجا) خراجا حمزة وعلى أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال(على أن تجعل بيننا وبينهم

سدا قال مامكنى) بالادغام ونفكه مكي (فيه ربي خير) أي ماجعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه (فاعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (أجعل بينكم وبينهم ردما) جدارا وحاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد (آتوني زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلدا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة

واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث ﴿ مفسدون في الارض ﴾ أي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ﴿ فهل نجعل لك خرجا ﴾ جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر ﴿ على ان تجعل بيننا وبينهم سدا ﴾ يحجزدون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي ﴿ قال مامكني فيه ربي خير ﴾ ماجعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل ﴿ فاعينوني بقوة ﴾ أي بقوة فعلة أو بما اتقوى به من الآلات ﴿ اجعل بينكم وبينهم ردما ﴾ حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع ﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لاينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة

أجسادهم و يتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف في واحدة ويشتي في واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج ﴿مفسدون في الارض﴾ قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم ﴿فهل نجعل لك خرجا ﴾ أي جعلا وأجرا من الاموال ﴿ على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ أي حاجزا فلا يصلون الينا ﴿ قال ﴾ لهم ذو القرنين ﴿مامكني فيه ربي خير ﴾ أي ماقواني به ربي خير من جعلكم ﴿فاعينوني بقوة﴾ يعني لا أريد منكم المال بل أعينوني بابدانكم وقوتكم ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما﴾ أي سدا قالوا وماتلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وماتلك الآلة قال ﴿ آتوني ﴾ أي اعطوني وقيل جيئوني ﴿زبر الحديد﴾ أي قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد

مفسدون في الارض) يفسدون أرضنا يأكلون رطبنا ويحملون يابسنا ويقتلون أولادنا ويقال يفسدون في الارض أي يأكلون الناس ويأجوج كان رجلا ومأجوج كان رجلا وكانا من بني يافث ويقال سمي يأجوج ومأجوج لكثرتهم (فهل نجعل لك خرجا) جعلا ويقال أجرا ان قرأت بغير الالف (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) حاجزا (قال مامكني فيه) ماملكني عليه (ربي) وأعطاني (خير) مما تعرضون علي من الجعل (فاعينوني بقوة) قالوا أي القوة تريد منا قال آلة الحدادين (أجعل بينكم وبينهم ردما) سدا (آتوني) أعطوني (زبر الحديد) فلق الحديد

فرسخ (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بفتحتين جانبي الجبلين لانهما يتصادفان أي يتقابلان الصدفين مكي وبصري وشامي الصدفين أبو بكر (قال انفخوا)

للعملة انفخوا في الحديد (حتى اذا جعله) أي المنفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال آتوني) أعطوني (أفرغ) أصب (عليه قطرا) نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قال ائتوني بوصل الالف حمزة واذا ابتدأ كسر الالف أي جيئوني (فااسطاعوا) بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء (أن يظهروه) أن يعلوا السد (وما استطاعوا له نقبا) أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قال هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربي) فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي (جعله) أي السد (دكا) أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك دكاء كوفي أي أرضا مستوية

دون الخراج على العمل ﴿حتى اذا ساوى بين الصدفين﴾ بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل ﴿قال انفخوا﴾ أي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد ﴿حتى اذا جعله﴾ جعل المنفوخ فيه ﴿نارا﴾ كالنار بالاحماء ﴿قال آتوني افرغ عليه قطرا﴾ أي آتوني قطرا أي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف ﴿فما اسطاعوا﴾ بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ﴿ان يظهروه﴾ ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها ﴿قال هذا﴾ هذا السد أو الاقدار على تسويته ﴿رحمة من ربي﴾ على عباده ﴿فاذا جاء وعد ربي﴾ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة ﴿جعله دكا﴾ مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية

والحديد على الحطب ﴿حتى اذا ساوى بين الصدفين﴾ أي بين طرفي الجبلين ﴿قال انفخوا﴾ يعني في النار ﴿حتى اذا جعله نارا﴾ أي صار نارا ﴿قال آتوني أفرغ عليه﴾ أي أصب عليه ﴿قطرا﴾ أي نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه ﴿فما اسطاعوا ان يظهروه﴾ أي يعلوا عليه لعلوه وملاسته ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ أي من أسفله لشدته وصلابته ﴿قال﴾ يعني ذو القرنين ﴿هذا﴾ أي السد ﴿رحمة من ربي﴾ أي نعمة من ربي ﴿فاذا جاء وعد ربي﴾ قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم ﴿جعله دكاء﴾

(حتى اذا ساوى بين الصدفين) طرفي الجبل (قال) لهم (انفخوا) فنفخوا فيه النار (حتى اذا جعله نارا) يقول صار الحديد كنار فذهب بعضه في بعض (قال آتوني) أعطوني (افرغ عليه) أصب على الحائط (قطرا) صفرا (فما اسطاعوا) فلم يقدروا (ان يظهروه) من أعلاه (وما استطاعوا له (اى) نقبا) من أسفله (قال هذا) الحائط (رحمة) نعمة (من ربي) عليكم (فاذا جاء وعد ربي) بخروج يأجوج ومأجوج (جعله دكا) كسرا

(وكان وعدربى حقا) آخر قول ذى القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يموج) يختلط (فى بعض) أى يضطربون

﴿ وكان وعدربى حقا ﴾ كائنا لامحالة وهو آخر حكاية قول ذى القرنين ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ﴾ وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون فى بعض مزدحمين فى البلاد أو يموج بعض الخلائق فى بعض ويضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده قوله ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ لقيام الساعة ﴿ فجمعناهم جمعا ﴾ للحساب والجزاء ﴿ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين ﴾ وابرزناها واظهرناها لهم ﴿ عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى ﴾ عن آياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم ﴿ وكانوا لايستطيعون سمعا ﴾ استماعا لذكرى وكلامى لافراط

أى أرضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الارض ﴿ وكان وعد ربى حقا ﴾ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين * قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهوان تجعل رأس أصبعك السبابة فى وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لاتبين لها الاخلل يسير * وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كأشد ما كان حتى اذا بلغوا امدتهم وأراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس وفى رواية تحصن الناس فى حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الارض وعلونا من فى السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا فى رقابهم فيهلكون فوالذى نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر الله من لحومهم شكرا أخرجه الترمذى * وقوله قسوة وعتوا أى غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون فى أنوف الابل والغنم * وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ أجسادها لحما وتسمن (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج * قوله عزوجل ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ﴾ قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أى يدخل بعضهم فى بعض كموج الماء ويختلط بعضهم فى بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم فى بعض لكثرتهم ويختلط انسهم بجنهم حيارى ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ فيه دليل على ان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿ فجمعناهم جمعا ﴾ أى فى صعيد واحد ﴿ وعرضنا ﴾ أى أبرزنا ﴿ جهنم يومئذ للكافرين عرضا ﴾ ليشاهدوها عيانا ﴿ الذين كانت أعينهم فى غطاء ﴾ أى غشاء وستر ﴿ عن ذكرى ﴾ أى عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها ﴿ وكانوا لايستطيعون سمعا ﴾ أى سمع قبول للايمان والقرآن لغلبة الشقاء

وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولايقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ فى الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم) أى جمع الخلائق للثواب والعقاب (جمعا) تأكيدا (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها (الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى) عن آياتى التى ينظر اليها أو عن القرآن فاذكره بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه (وكانوا لايستطيعون سمعا) أى وكانوا صماعنه الا انه أبلغ

(وكان وعدربى) بخروجهم (حقا) صدقا كائنا (وتركنا بعضهم يومئذ) يوم الخروج ويقال يوم الرجوع من الروم حيث لم يقدروا على الخروج منه (يموج) يجول (فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا) جميعا (وعرضنا جهنم) كشفنا جهنم (يومئذ) يوم القيامة (للكافرين) قبل دخولهم (عرضا) كشفا (الذين كانت أعينهم فى غطاء)

فى عمى (عن ذكرى) عن توحيدى وكتابى (وكانوا لايستطيعون سمعا) الاستماع الى قراءة القرآن من بغض محمد صلى الله عليه وسلم

اذالاصم قديستطيع السمع اذاصيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء) أى أفظن الكفار اتخاذهم عبادى يعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بئس ماظنوا وقيل ان بصلتها سدمسد مفعولى أفحسب وعبادى أولياء مفعولا ان يتخذوا وهذا أوجه يعنى انهم لايكونون لهم أولياء (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) هو مايقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) أعمالا تمييز وانما جمع والقياس ان يكون مفردا لتنوع الاهواء وهم أهل الكتاب والرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو فى محل الرفع أى هم الذين (فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) فلايكون لهم عندنا

صممهم عن الحق فان الاصم قديستطيع السمع اذاصيح به وهؤلاء كأنهم اصمت مسامعهم بالكلية ﴿ أفحسب الذين كفروا ﴾ افظنوا والاستفهام للانكار ﴿ ان يتخذوا عبادى ﴾ اتخاذهم الملائكة والمسيح ﴿ من دونى اولياء ﴾ معبودين نافعهم أولادافعين عنهم به فحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة أوسد ان يتخذوا مسدمفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا أى أفكافيهم فى النجاة وان بما فى حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل أوخبرله ﴿ انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ﴾ مايقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم ورآءها من العذاب مايستحقر دونه ﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ﴾ نصب على التميز وجمع لانه من اسماء الفاعلين أولتنوع اعمالهم ﴿ الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا ﴾ ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال أوالجر على البدل أوالنصب على الذم ﴿ وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ﴾ لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق ﴿ اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ﴾ بالقرآن أوبدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ﴿ ولقائه ﴾ بالبعث على ماهو عليه أولقاء عذابه ﴿ فحبطت اعمالهم ﴾ بكفرهم فلايثابون عليها ﴿ فلانقيم لهم يوم القيمة وزنا ﴾

عليهم وقيل معناه لايستطيعون أن يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له ❁ قوله تعالى ﴿ أفحسب ﴾ أى أفظن ﴿ الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ﴾ يعنى أربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعنى الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أفظن الذين كفروا ان يتخذوا غيرى أولياء وانى لاأغضب لنفسى فلاأعاقبهم وقيل معناه أفظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء ﴿ انا أعتدنا ﴾ أى هيأنا ﴿ جهنم للكافرين نزلا ﴾ أى منزلا قال ابن عباس رضى الله عنهما هى مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل للضيف ❁ قوله تعالى ﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ﴾ يعنى الذين اتعبوا أنفسهم فى عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى الصوامع وقال على بن أبى طالب هم أهل حروراء يعنى الخوارج ﴿ الذين ضل سعيهم ﴾ أى بطل عملهم واجتهادهم ﴿ فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون ﴾ أى يظنون ﴿ انهم يحسنون صنعا ﴾ أى عملا ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ﴾ يعنى أنهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء ﴿ فحبطت أعمالهم ﴾ أى بطلت ﴿ فلانقيم لهم يوم القيمة وزنا ﴾ قيل

(أفحسب) أفيظن (الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (أن يتخذوا عبادى) أن يعبدوا عبادى (من دونى أولياء) اربابا أن ينفعوهم فى الدنيا والآخرة ويقال أفحسب أفيكفى ان قرأت بضم الباء وجزم السين الذين كفروا أن يتخذوا عبادى أن يعبدوا عبادى من دونى من دون طاعتى أولياء أربابا (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) منزلا (قل) يا محمد (هل ننبئكم) نخبركم (بالاخسرين أعمالا) فى الآخرة (الذين ضل سعيهم) بطل عملهم (فى الحيوة الدنيا) وهم الخوارج ويقال أصحاب الصوامع (وهم يحسبون) (لانقيم) يظنون (انهم يحسنون صنعا) يعملون عملا صالحا (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بمحمد عليه السلام والقرآن (ولقائه) البعث بعد الموت (فحبطت أعمالهم) حسناتهم (فلانقيم لهم) لاعمالهم (يوم القيامة وزنا) ميزانا ويقال

زن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) هى عطف بيان لجزاؤهم (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) أى جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله (ان الذين آمنوا وعملوا

فتزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها ﴿ ذلك ﴾ أى الامر ذلك وقوله ﴿ جزاؤهم جهنم ﴾ جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أى جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر ﴿ بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾ فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل ﴿ خالدين فيها ﴾ حال مقدرة ﴿ لا يبغون عنها حولا ﴾ تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود ﴿ قل لو كان البحر مدادا ﴾ ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج ﴿ لكلمات ربى ﴾ لكلمات علمه وحكمته

لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين ليتميز مقدار الطاعات ومقدار السيآت قال أبو سعيد الخدرى يأتى أناس باعمال يوم القيامة هى عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزدرى بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ﴾ يعنى سخرية واستهزاء * قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾ عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال كعب ليس فى الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقيل الفردوس هو البستان الذى فيه الاعناب وقيل هى الجنة الملتفة بالاشجار التى تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل فى معنى كانت لهم أى فى علم الله تعالى قبل ان يخلقوا ﴿ خالدين فيها لا يبغون ﴾ أى لا يطلبون ﴿ عنها حولا ﴾ أى تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار أخرى * قوله تعالى ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى ﴾ قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم اننا قد أوتينا الحكمة وفى كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما

الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها) حال (لا يبغون عنها حولا) تحولا الى غيرها رضا بما أعطوا يقال حال من مكانه حولا أى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح مائل الطرف الى أرفع منه والمراد نفى التحول وتأكيد الخلود (قل لو كان البحر) أى ماء البحر (مدادا لكلمات ربى) قال أبو عبيدة المداد ما يكتب به أى لو كتب كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس

لا يوزن يوم القيامة من أعمالهم قدر ذرة (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (واتخذوا آياتى) كتابى (ورسلى) محمد عليه السلام وغيره (هزوا) سخرية واستهزاء (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (كانت لهم جنات الفردوس) أعلاها درجة (نزلا) منزلا

(خالدين فيها) مقيمين فيها (لا يبغون) لا يطلبون (عنها حولا) تحويلا (قل) يا محمد لليهود (لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) لعلم ربى

﴿ لنفد البحر ﴾ لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه ﴿ قبل ان تنفد كلمات ربى ﴾ فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ﴿ ولو جئنا بمثله ﴾ بمثل البحر الموجود ﴿ مددا ﴾ زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع مايدخل فى الوجود من الاجسام لايكون الامتناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لامحالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو مايستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الاقليلا ﴿ قل انما انا بشر مثلكم ﴾ لا ادعى الاحاطة على كلماته ﴿ يوحى الى انما الهكم اله واحد ﴾ وانما تميزت عنكم بذلك ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ يأمل حسن لقائه ﴿ فليعمل عملا صالحا ﴾ يرتضيه الله ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه احدا ﴾ بان يرائيه أويطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لايقبل ماشورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما

أوتيتم من العلم الاقليلا قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى أى مايستمده الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون ﴿ لنفد البحر ﴾ أى لنفد ماؤه ﴿ قبل أن تنفد كلمات ربى ﴾ أى علمه وحكمه ﴿ ولو جئنا بمثله مددا ﴾ والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفنى ماء البحر ولم تفن كلمات ربى ولو جئنا بمثل ماء البحر فى كثرته مددا وزيادة ❁ قوله تعالى ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم ﴾ قال ابن عباس أعلم الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فامره ان يقر فيقول أنا آدمى مثلكم الا أنى خصصت بالوحى وأكرمنى الله به وهو قوله تعالى ﴿ يوحى الى انما الهكم اله واحد ﴾ لاشريك له فى ملكه ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أى يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه ﴿ فليعمل عملا صالحا ﴾ أى من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه فى العمل الصالح ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ أى لايرائى بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان أحدهما ان يراد به سبحانه وتعالى والثانى أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبد الله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله به ❁ قوله من سمع سمع الله به أى من عمل عملا مراآة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به أى أسمعه المكروه (م) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه برئ هو والذى عمله ❁ عن سعيد بن أبى فضالة رضى الله عنه قال سمعت

والكلمات غير نافدة ومددا تمييز نحو لى مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو مايمد به ينفد حمزة وعلى وقيل قال حيى بن أخطب فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الاقليلا فنزلت يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد بالقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته (فليعمل عملا صالحا) خالصا لايريد به الا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو مالا يستحى منه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) هو نهى عن الشرك أو عن الرياء قال صلى الله عليه

(لفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى) ويقال تدبير ربى (ولو جئنا بمثله مددا) زيادة (قل) يا محمد (انما أنا بشر مثلكم) آدمى مثلكم (يوحى الى) جبريل (أنما الهكم اله واحد) بلا ولد ولا شريك (فمن كان يرجو لقاء ربه) يخاف البعث بعد الموت (فليعمل عملا صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) لا يرائى ولا يخالط بعبادة ربه أحدا (رسول

وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال فى تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى الى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ من مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون

التوحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف عند مضجعه كان له نور فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿سورة مريم مكية الا آية السجدة وهى ثمان أو تسع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿كهيعص﴾ امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجى يا آت وابن عامر وحمزة الياء والكسائى وابو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ﴿ذكر رحمت ربك﴾ خبر ماقبله ان اول بالسورة او بالقرآن فانه مشتمل عليه أو خبر محذوف أى هذا المتلو ذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضى وذكر على الامر ﴿عبده﴾

عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلالأها كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ

﴿سورة مريم عليها السلام مكية وهى ثمان أو تسع وتسعون آية مدنى وشامى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كهيعص) قال السدى هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ على ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما (ذكر رحمت ربك) خبر مبتدأ أى هذا ذكر (عبده) مفعول الرحمة

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه منه فان الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء (م) عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة مريم عليها السلام هى مكية وهى ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿كهيعص﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم القرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بريته صادق فى وعده ﴿ذكر﴾ أى هذا الذى نتلو عليك ذكر ﴿رحمت ربك عبده﴾

ويقال بطاعة ربه أحدا نزلت هذه الآية فى جندب بن زهير العامرى

﴿ومن السورة التى يذكر فيها مريم وهى كلها مكية آياتها ثمان وتسعون وكلماتها تسعمائة واثنان وستون وحروفها ثلاثة آلاف وثلثمائة وحرفان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (كهيعص) (قا و خا ١٩ بع) قال هو ثناء أثنى به على نفسه يقول كاف هاد عالم صادق ويقال كاف كاف لخلقه هادى لخلقه يا يد الله على خلقه وعين عالم بامرهم صاد صادق بوعده ويقال الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حليم والعين من عليم والصاد من صادق ويقال من صدوق ويقال هو قسم اقسم به (ذكر رحمت ربك) يقول هذا ذكر ربك (عبده

(زكريا) بالقصر حمزة وعلى وحفص بدل من عبده (اذ) ظرف للرحمة (نادى ربه نداء خفيا) دعاه دعاء سرا
كما هو المامور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب الى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى أوان الكبر لانه كان ابن خمس
وسبعين أو ثمانين سنة (قال رب) هذا تفسير الدعاء وأصله يا ربى فحذف حرف النداء والمضاف اليه اختصارا (انى وهن العظم
منى) ضعف وخص العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه أشد مافيه وأصلبه
فاذا وهن كان ماوراءه أوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد
ماتركب منه الجسد قد أصابه الوهن (واشتعل الرأس شيبا) تمييز أى فشا فى رأسى الشيب واشتعلت النار اذا تفرقت فى التهابها
صارت شعلا فشبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانتشاره فى الشعر وأخذه منه كل
مأخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا ألا ترى ان أصل الكلام يارب قد شخت اذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما وأقوى منه ضعف بدنى وشاب رأسى ففيه مزيد التقرير للتفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدنى ففيه عدول عن التصريح الى الكناية فهى أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدنى وأقوى منه انى وهنت عظام بدنى وأقوى منه انى وهنت العظام من بدنى ففيه سلوك طريق الاجمال والتفصيل وأقوى منه انى وهنت العظام منى ففيه ترك توسيط
البدن وأقوى منه انى وهن العظم منى لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم الى الافراد (رب)
لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى الى أبلغ وهى الاستعارة فحصل
اشتعل شيب رأسى وأبلغ منه اشتعل رأسى شيبا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس
اذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق نير ولان فيه الاجمال والتفصيل
كما عرف فى طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس منى شيبا والمامر وأبلغ منه واشتعل الرأس شيبا ففيه اكتفاء بعلم
المخاطب انه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم (ولم اكن بدعائك) مصدر مضاف الى المفعول أى بدعائى اياك

مفعول الرحمة أو الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرنى جود زيد
﴿زكريا﴾ بدل منه أو عطف بيان له ﴿اذ نادى ربه نداء خفيا﴾ لان الاخفاء والجهر
عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا أو لئلا يلام على طلب الولد فى ابان
الكبر أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم اولان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف
فى سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون
وقيل تسع وتسعون ﴿قال رب انى وهن العظم منى﴾ تفسير للنداء والوهن الضعف
وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب مافيه فاذا وهن كان ماوراءه
اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات
الثلاث ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ شبه الشيب فى بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره
وفشوه فى الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذى
هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة
على ان علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد ﴿ولم اكن بدعائك

زكريا﴾ قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته ﴿اذ نادى﴾ أى دعا ﴿ربه﴾
فى المحراب ﴿نداء خفيا﴾ أى دعاء سرا من قومه فى جوف الليل وقيل راعى سنة الله
فى اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سيان لكن الاخفاء أولى لانه أبعد
عن الرياء وأدخل فى الاخلاص وقيل أخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى زمن الشيخوخة
وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى ﴿قال رب انى وهن﴾ أى رق
وضعف ﴿العظم منى﴾ أى من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس ﴿واشتعل الرأس﴾
أى ابيض الشعر ﴿شيبا﴾ أى شمط ﴿ولم اكن بدعائك

زكريا) رحمته بولد مقدم ومؤخر (اذ نادى ربه) دعا زكريا ربه فى المحراب (نداء خفيا) أسره وأخفاه من قومه (قال رب)
يارب (انى وهن العظم منى) ضعف بدنى (واشعل الرأس شيبا) أخذ الرأس شمطا (ولم أكن بدعائك

(رب شقيا) أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال أنا الذي أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقت حاجته وقضى حاجته (واني خفت الموالي) هم عصبته اخوته وبنو عمه وكانوا شرار بني اسرائيل فخافهم ان يغيروا الدين وان لايحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدي به في احياء الدين (من ورائي) بعد موتي وبالقصر وفتح الياء كهداي مكي وهذا الظرف لايتعلق بخفت لان وجود خوفه بعد موته لايتصور ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي أو خفت الذين يلون الامر من ورائي (وكانت امرأتي عاقرا) عقيما لاتلد (فهب لي من لدنك) اختراعا منك بلاسبب لان امرأتي لاتصلح للولادة (وليا) ابنا يلي أمرك بعدي (يرثني ويرث) برفعهما صفة لوليا أي هب لي ولدا وارثا مني العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث و بجزمهما أبو عمرو وعلي على انه جواب للدعاء يقال ورثته وورثت منه (من آل يعقوب) يعقوب ابن اسحق (واجعله رب رضيا) مرضيا ترضاه

رب شقيا ﴾ بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لايخيب من اطمعه ﴿ واني خفت الموالي ﴾ يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لايحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم ﴿ من ورائي ﴾ بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف أو بمعنى الموالي أي خفت فعل الموالي من ورائي أو الذين يلون الامر من ورائي * وقرئ خفت الموالي من ورائي أي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي أو خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت ﴿ وكانت امرأتي عاقرا ﴾ لاتلد ﴿ فهب لي من لدنك ﴾ فان مثله لايرجى الامن فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لاتصلح للولادة ﴿ وليا ﴾ من صلبي ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لايورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا أو كان اخا عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام * وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ ترضاه قولا وعملا

رب شقيا ﴾ أي عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان ﴿ واني خفت الموالي من ورائي ﴾ أي من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة ﴿ وكانت امرأتي عاقرا ﴾ أي لاتلد ﴿ فهب لي من لدنك وليا ﴾ أي أعطني من عندك ولدا مرضيا ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ أي وليا ذا رشاد وقيل أراد به يرث مالي و يرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الحبورة لان زكريا كان رأس الاحبار والاولى أن يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال و انما يورثون العلم ويبعد من زكريا و هو نبي من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه و ذلك لما ان شاهد من بني اسرائيل تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ أي برا تقيا مرضيا * قوله تعالى

رب شقيا) يقول لم أكن عندك بدعائي يارب خائبا (واني خفت الموالي) يعني الورثة (من ورائي) أن لايكون من بعدي وارث يرث حبورتي ومكاني ويقال قلت ورثتي ان قرأت بنصب الخاء وكسر الفاء (وكانت امرأتي) صارت امرأتي حنة اخت ام مريم بنت عمران بن ماثان (عاقرا) عقيما من الولد (فهب لي من لدنك) من عندك (وليا) ولدا (يرثني) يرث حبورتي ومكاني (ويرث من آل يعقوب) ان كان لهم حبورة وملك وكان آل يعقوب اخوال يحيي (واجعله رب رضيا) مرضيا صالحا فناداه

أو راضيا عنك وبحكمك فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي) تولى الله تسميته تشريفا له نبشرك بالتخفيف حمزة (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد بيحيي قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل فى انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به (قال رب أنى) كيف (يكون لى غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون أيوهب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحولان

 امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن فى السن العالية عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلى وحفص الافى بكيا (قال كذلك) الكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ (قال ربك) أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره (هو على هين) أى خلق يحيي من كبيرين سهل (وقد خلقتك من قبل) أوجدتك من قبل يحيي خلقناك حمزة وعلى (ولم تك شيأ) لان المعدوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها

﴿ يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي ﴾ جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له ﴿ لم نجعل له من قبل سميا ﴾ لم يسم احد بيحيي قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم والاظهر انه اعجمى وان كان عربيا فمنقول من فعل كيعيش ويعمر وقيل سمى به لانه حيي به رحم امه أو لان دين الله حيي بدعوته ﴿ قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ جساوة وقحولا فى المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته فان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك ﴿ قال ﴾ اى الله تعالى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له ﴿ كذلك ﴾ الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال فى ﴿ قال ربك ﴾ وذلك اشارة الى مبهم يفسره ﴿ هو على هين ﴾ ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو على هين أى الامر كما قلت أو كما وعدت وهو على ذلك يهون على او كما وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ ﴾ بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ علامة

﴿ يازكريا ﴾ المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يازكريا ﴿ انا نبشرك بغلام ﴾ أى بولد ذكر ﴿ اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا ﴾ أى لم يسم أحد قبله بيحيي وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيي وانما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه ﴿ قال رب أنى يكون لى ﴾ أى من أين يكون لى ﴿ غلام وكانت امرأتى عاقرا ﴾ أى وامرأتى عاقر ﴿ وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ أى يأسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد ﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ﴾ أى يسير ﴿ وقد خلقتك من قبل ﴾ أى من قبل يحيي ﴿ ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية ﴾ أى دلالة على حمل امرأتى

جبريل فقال (يازكريا انا نبشرك بغلام) بولد (اسمه يحيي) يسمى يحيي باحيائه رحم امه (لم نجعل له من قبل سميا) اى لم نجعل لزكريا من قبل يحيي سميا ولدا يسمى يحيي ويقال لم نكن قبل يحيي احد يسمى يحيي (قال) زكريا (قال) لجبريل (رب) يارب وسيدى (انى يكون لى غلام) من اين يكون لى ولد (وكانت امرأتى) صارت امرأتى (عاقرا) عقيما من الولد (وقد بلغت من الكبر عتيا) يبوسا ويقال سنى اثنان وسبعون سنة ان قرأت بكسر العين (قال) له جبريل (كذلك) هكذا كما قلت لك (قال ربك هو على هين) اى خلقه هو على هين (وقد خلقتك) وقد جعلتك يازكريا (من قبل) من قبل يحيي (ولم تك شيأ قال رب) يارب (اجعل لى آية) علامة

حبل امرأتي (قال آيتك أن لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا) حال من ضمير تكلم أي حال كونك سوي الاعضاء واللسان يعني علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح مابك خرس ولا بكم و دل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن اذ ذكر الايام يتناول مابازائها من الليالي وكذا ذكر الليالي يتناول مابازائها من الايام عرفا (فخرج على قومه من

المحراب) من موضع صلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فاوحى اليهم) اشار باصبعه (أن سبحوا) صلوا وان هي المفسرة (بكرة وعشيا) صلاة الفجر والعصر (يايحيي) أي وهبناله يحيي وقلناله بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيي (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أي بجد و استظهار بالتوفيق والتأييد(وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه في الدين (صبيا) حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال مااللعب خلقنا (وحنانا) شفقة ورحمة لابويه وغيرهما عطفا على الحكم (من لدنا)

اذا حبلت امرأتي (قال آيتك) علامتك(أن لاتكلم الناس) لاتقدر أن تكلم الناس (ثلاث ليال سويا) صحيحا بلا خرس ولا مرض (فخرج على قومه من المحراب) من المسجد(فاوحى اليهم) فاشار اليهم ويقال كتب لهم على الارض(أن سبحوا بكرة وعشيا) صلواله غدوة وعشية (يايحيي) قال الله ليحيي بعد مابلغ وأدرك (خذ الكتاب) اعمل بما في الكتاب التوراة(بقوة) بجد ومواظبة النفس (وآتيناه) أعطيناه يعني يحيي (الحكم) الفهم والعلم(صبيا) في صغره(وحنانا من لدنا)أعطيناه رحمة من عندنا

اعلم بها وقوع مابشرتني به ﴿ قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ سوي الخلق مابك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي ههنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ من المصلى أو من الغرفة ﴿ فاوحى اليهم ﴾ فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ﴿ ان سبحوا ﴾ صلوا أو نزهوا ربكم ﴿ بكرة وعشيا ﴾ طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة ﴿ يايحيي ﴾ على تقدير القول ﴿ خذ الكتاب ﴾ التوراة ﴿ بقوة ﴾ بجد واستظهار بالتوفيق ﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾ يعني الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ ورحمة مناعليه أو رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطفا على الحكم

﴿ قال آيتك ﴾ أي علامتك ﴿ أن لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ أي صحيحا سليما من غيرما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول أصح قيل انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله انطلق لسانه * قوله عز وجل ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ أي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا متغيرا لونه فانكروا ذلك عليه وقالوا له مالك ﴿ فاوحى ﴾ أي فاومأ وأشار ﴿ اليهم ﴾ وقيل كتب لهم في الارض ﴿ ان سبحوا ﴾ أي صلوا لله ﴿ بكرة وعشيا ﴾ المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة * قوله عز وجل ﴿ يايحيي ﴾ فيه اضمار ومعناه وهبناله يحيي وقلناله يايحيي ﴿ خذ الكتاب ﴾ أي التوراة ﴿ بقوة ﴾ أي بجد و اجتهاد ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ قال ابن عباس يعني النبوة ﴿ صبيا ﴾ وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه * فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا * قلت لان أصل النبوة مبني على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيا ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ أي رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

﴿ وزكوة ﴾ وطهارة من الذنوب أو صدقة أى تصدق الله به على ابويه او مكنه او وفقه للتصدق على الناس ﴿ وكان تقيا ﴾ مطيعا متجنبا عن المعاصى ﴿ وبرا بوالديه ﴾ وبارا بهما ﴿ ولم يكن جبارا عصيا ﴾ عاقا أو عاصى ربه ﴿ وسلام عليه ﴾ من الله ﴿ يوم ولد ﴾ من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم ﴿ ويوم يموت ﴾ من عذاب القبر ﴿ ويوم يبعث حيا ﴾ من عذاب النار وهول القيامة ﴿ واذكر فى الكتاب ﴾ فى القرآن ﴿ مريم ﴾ يعنى قصتها ﴿ اذ انتبذت ﴾ اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها أو بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد أو ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمنى فتكون بدلا لا محالة ﴿ من اهلها مكانا شرقيا ﴾ شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف أو مفعول لان انتبذت متضمن معنى اتت ﴿ فاتخذت من دونهم حجابا ﴾ سترا

تحنن على هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

أى ترحم على ﴿ وزكوة ﴾ قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا فى اخلاصه ﴿ وكان تقيا ﴾ أى مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط ﴿ وبرا بوالديه ﴾ أى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية ﴿ ولم يكن جبارا ﴾ الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل و يضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد ﴿ عصيا ﴾ قيل هو أبلغ من العاصى والمراد وصف يحيي بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾ معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش ما يكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان فيه و يوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فاكرم الله تعالى يحيي فى هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها * قوله عز وجل ﴿ واذكر فى الكتاب ﴾ أى فى القرآن ﴿ مريم اذ انتبذت ﴾ أى تنحت واعتزلت ﴿ من أهلها ﴾ أى من قومها ﴿ مكانا شرقيا ﴾ أى مكانا فى الدار مما يلى المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست فى مشرقه تفلى رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة ﴿ فاتخذت ﴾ أى فضربت ﴿ من دونهم حجابا ﴾

يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتانى القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الاكبر قال ابن عيينة انها اوحش المواطن (واذكر) يا محمد (فى الكتاب) القرآن (مريم) أى اقرأ عليهم فى القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها (اذ) بدل من مريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتبذت من أهلها) أى اعتزلت (مكانا) ظرف (شرقيا) أى تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس و قيل قعدت فى مشرقه للاغتسال من الحيض (فاتخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها

لابويه (وزكاة) صدقة لهما ويقال صلاحا فى دينه (وكان تقيا) مطيعا لربه (وبرا بوالديه) لطيفا بوالديه (ولم يكن جبارا) فى دينه قتالا فى الغضب (عصيا) عاصيا لربه (وسلام عليه) سلامة ومغفرة وسعادة منا على يحيي (يوم ولد) حين ولد (ويوم يموت) حين يموت (ويوم يبعث) حين يبعث من القبر (حيا واذكر) يا محمد (فى الكتاب) فى القرآن (مريم) خبر مريم (اذا (قال) انتبذت) انفردت وتنحت (من أهلها مكانا شرقيا) مشرقة دارهم (فاتخذت من دونهم) فارخت من دون أهلها (حجابا) سترا لكى

وبين اهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه (فارسلنا اليها روحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمى روحا لان الدين يحيا به وبوحيه (فتمثل لها بشرا) أى فتمثل لها جبريل فى صورة آدمى شاب أمرد وضئ الوجه جعد الشعر (سويا) مستوى الخلق وانما مثل لها

لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى ان كان يرجى منك ان تتقى الله فانى عائذة به منك (قال) جبريل عليه السلام (انما انا رسول ربك) أمنها مما خافت وأخبر أنه ليس بآدمى بل هو رسول من استعاذت به (لأهب لك) باذن الله تعالى اولا كون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع ليهب لك أى الله أبو عمرو ونافع (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير والبركة (قالت أنى) كيف (يكون لى غلام) ابن(ولم يمسسنى بشر) زوج بالنكاح

﴿فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها اتاها جبرائيل عليه السلام متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها ﴿قالت انى اعوذ بالرحمن منك﴾ من غاية عفافها ﴿ ان كنت تقيا ﴾ تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله أى فانى عائذة منك أو فتتعظ بتعويذى أو فلا تتعرض لى ويجوز ان يكون للمبالغة أى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك ﴿قال انما انا رسول ربك ﴾ الذى استعذت به ﴿لأهب لك غلاما ﴾ أى لا كون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه وتعالى ويؤيده قراءة ابى عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء ﴿زكيا ﴾ طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير أى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح ﴿ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ﴾ ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبثبها

قال ابن عباس أى سترا و قيل جلست و راء جدار وقيل ان مريم كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل فى صورة شاب أمرد وضئ الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى ﴿ فارسلنا اليها روحنا ﴾ يعنى جبريل ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ أى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيأ وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء فى صورة بشر فحملت به والقول الاول أصح فلما رأت مريم جبرائيل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد ﴿قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ﴾ أى مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها ﴿فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا ﴿قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى أى ينبغى أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغى أن تكون تقواك مانعة لك من الفجور ﴿ قال ﴾ لها جبريل عليه السلام ﴿انما أنا رسول ربك لأهب﴾ أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به ﴿لك غلاما زكيا ﴾ قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب ﴿قالت ﴾ مريم ﴿أنى يكون لى﴾ أى من أين يكون لى ﴿ غلام ولم يمسسنى بشر﴾ أى ولم يقربنى زوج

تغتسل فيه من الحيض (فارسلنا اليها) بعد ما فرغت (روحنا) رسولنا جبريل (فتمثل لها) فتشبه لها (بشرا سويا) فى صورة شاب لم ينقص (قالت) مريم (انى أعوذ) امتنع (بالرحمن منك ان كنت تقيا) مطيعا للرحمن

ويقال التقى كان اسم رجل سوء فظنت انه هو ذلك الرجل فمن ذلك تعوذت منه (قال) لها جبريل (انما انا رسول ربك ليهب لك) لكى يهب الله لك(غلاما زكيا)ولدا صالحا(قالت) مريم لجبريل عليه السلام (أنى يكون لى غلام) من أين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) لم يقربنى زوج

(ولم أك بغيا) فاجرة تبغي الرجال أى تطلب الشهوة من أى رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من أحد هذين والبغي فعو
عند المبرد بغوى فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق في أمرأة صبور وشكو
و عند غيره هى فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ان رحمة الله قريب (قال
جبريل (كذلك) أى الامر كما قلت لم يمسسك رجل نكاحا أو سفاح

(قال ربك هو على هين) أى اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعليل معلله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أوهو معطوف على تعليل مضمر أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أى عبرة وبرهانا على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلق عيسى (أمرا مقضيا) مقدرا مسطورا في اللوح فلما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها (فحملته) أى الموهوب وكان سنها ثلاث عشرة سنة اوعشرا أوعشرين (فانتبذت به) اعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل حملته في ساعة ووضعته في ساعة (مكانا قصيا) بعيدا من اهلها وراء الجبل وذلك لانها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة

وفجور ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ﴿ ولم اك بغيا ﴾ عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة أو للنسبة كطالق ﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله ﴾ اى ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لاهب على طريقة الالتفات ﴿ آية للناس ﴾ علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ﴿ ورحمة منا ﴾ على العباد يهتدون بارشاده ﴿ وكان امرا مقضيا ﴾ اى تعلق به قضاء الله في الازل اوقدر وسطر في اللوح أوكان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة ﴿ فحملته ﴾ بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين ﴿ فانتبذت به ﴾ فاعتزلت وهو في بطنها كقوله

تدوس بنا الجماجم والتريبا

والجار والمجرور في موضع الحال ﴿ مكانا قصيا ﴾ بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار

﴿ ولم أك بغيا ﴾ أى فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح أوسفاح ولم يكن ههنا واحد منهما ﴿ قال ﴾ جبريل ﴿ كذلك قال ربك ﴾ أى هكذا قال ربك ﴿ هو على هين ﴾ أى خلق ولدك بلا أب ﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ أى علامة لهم ودلالة على قدرتنا ﴿ ورحمة منا ﴾ أى ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وكان أمرا مقضيا ﴾ أى محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل ✻ قوله عز وجل ﴿ فحملته ﴾ قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في جيبها وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام في الحال ﴿ فانتبذت به ﴾ أى فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت ﴿ مكانا قصيا ﴾ أى بعيدا من اهلها قال ابن عباس أقصى الوادى وهو بيت لحم فرارا من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية اشهر وذلك آية اخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر و ولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر

(وهى)

(ولم أك بغيا) فاجرة (قال) لها جبريل (كذلك) هكذا كما قلت لك (قال ربك هو على هين) خلقه على هين بلا أب (ولنجعله) لكى نجعله (آية) علامة وعبرة (للناس) لبنى اسرائيل ولدا بلا أب (ورحمة منا) لمن أمن به (وكان أمرا مقضيا) قضاء كائنا أن يكون ولدا بلا أب (فحملته) مريم وكان حمله تسعة أشهر ويقال يوم احد (فانتبذت) فانفردت (به) بولادتها اياه (مكانا قصيا)

﴿ فاجاءها المخاض ﴾ فالجأها المخاض وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال كآتى فى اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج ﴿ الى جذع النخلة ﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ﴿ قالت ياليتنى مت قبل هذا ﴾ استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت ﴿ وكنت نسيا ﴾ ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمى به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ﴿ منسيا ﴾ منسى الذكر بحيث لا يخطر بالهم وقرئ بكسر الميم

وهى بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صيهون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما وأول من علم بحمل مريم يوسف فبقى متحيرا فى أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه و اذا أراد ان يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به ان قال انه وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان أتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال أخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر ان الله أنبت الشجر بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على كل شئ يقول له كن فيكون قالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا * قوله عز وجل ﴿ فاجاءها المخاض ﴾ أى ألجأها وجاء بها والمخاض وجع الولادة ﴿ الى جذع النخلة ﴾ وكانت نخلة يبست فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف و قيل التجأت اليها لتستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة ﴿ قالت ياليتنى مت قبل هذا ﴾ تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة ﴿ وكنت نسيا منسيا ﴾ أى شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل نساء نها تمت

اللائمة (فاجاءها) جاء بها وقيل الجأها وهو منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بأنها كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أى جذع هذه الشجرة كانه تعالى أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسة النفساء أى طعامها ثم (قالت) جزعا مما أصابها (ياليتنى مت قبل هذا) اليوم مدنى وكوفى غير أبى بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات (وكنت نسيا منسيا) شيأ متروكا لا يعرف ولا يذكر بفتح النون حمزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو الشئ الذى حقه ان يطرح و ينسى

بعيدا من الناس (فاجاءها المخاض) فالجأها الطلق (الى جذع النخلة) الى أصل نخلة يابسة (قالت ياليتنى مت قبل هذا) الولد و يقال قبل هذا ا[illegible] (وكنت نسيا منسيا) شيأ متروكا لم يذكر ويقال حيضة ملقاة ويقال سقطة

لحقارته (فناداها من تحتها) اى الذى تحتها فمن فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان بمكان منخفض عنها اوعيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدنى وكوفى سوى أبى بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام اوجبريل والهاء فى تحتها للنخلة و لشدة ما لقيت سليت بقوله (ان لاتحزنى) لاتهتمى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بعنى اى (قدجعل ربك تحتك) بقربك اوتحت امرك ان امرته ان يجرى جرى وان امرته ان يقف وقف (سريا) نهرا صغيرا عند الجمهور وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول وعن الحسن سيدا كريما يعنى عيسى عليه السلام وروى ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سريا فقال الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب عيسى او جبريل عليهما السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقيل لها (وهزى) حركى (اليك) الى نفسك (بجذع النخلة) قال ابو على الباء زائدة اى هزى جذع النخلة (تساقط عليك) بادغام التاء الاولى فى الثانية مكى ومدنى وشامى وابوعمرو وعلى وابوبكر والاصل تتساقط باظهار التاءين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراآت (رطبا) تمييز او مفعول به (الرطب) على حسب القراءة (جنيا) طريا وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل

على الاتباع ﴿ فناداها من تحتها ﴾ عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى ضميرا احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة ﴿ ان لاتحزنى ﴾ اى لاتحزنى او بان لاتحزنى ﴿ قدجعل ربك تحتك سريا ﴾ جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عليه السلام ﴿ وهزى اليك بجذع النخلة ﴾ و اميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد اوافعلى الهز والامالة به اوهزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع ﴿ تساقط عليك ﴾ تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع ﴿ رطبا جنيا ﴾ تمييز أو مفعول روى انها كانت نخلة يابسة لارأس لها ولاثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لايتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال

انها لم تخلق ﴿ فناداها من تحتها ﴾ قيل ان مريم كانت على أكمة و جبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى و ذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها ﴿ أن لاتحزنى قدجعل ربك تحتك سريا ﴾ أى نهرا قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله فى الارض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هناك نهر يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحنت النخلة اليابسة فاورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أى تحت أمرك ان أمرته أن يجرى جرى وان أمرته بالامساك أمسك وقيل معنى سريا أى عيسى وكان عبدا سريا رفيعا ﴿ وهزى اليك ﴾ أى حركى اليك ﴿ بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء أو ان اجتنائه قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من

(فناداها من تحتها) من أسفل منها يعنى جبريل (أن لاتحزنى) يامريم على ولادة عيسى (قدجعل ربك تحتك سريا) نبيا ويقال فناداها من تحتها ان قرأت بنصب الميم يعنى عيسى أن لاتحزنى قدجعل ربك تحتك سريا نهرا صغيرا (وهزى اليك) خذى اليك (بجذع النخلة) باصل النخلة فحركيها (تساقط عليك رطبا جنيا) غضا طريا

(فكلى) من الجنى (واشربى) من السرى (وقرى عينا) بالولد الرضى وعينا تميز أى طيبى نفسا بعيسى وارفضى عنك ما أحزنك (فاما) أصله ان ماقضمت ان الشرطية الى ما وأدغمت فيها (ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما) أى فان رأيت آدميا يسألك عن حالك فقولى انى نذرت للرحمن صمتا وامساكا عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الاكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فينا وانما امرت ان تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفيه واجب وما قدع سفيه بمثل الاعراض ولا اطلق عنانه بمثل العراض وانما اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا ألا ترى الى قول الشاعر فى وصف القبور وتكلمت عن اوجه تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام او سوغ لها هذا القدر بالنطق (فلن أكلم اليوم انسيا) آدميا (فأتت به) بعيسى (قومها) بعدما طهرت من نفاسها (تحمله) حال منها أى أقبلت نحوهم حاملة اياه فلما رأوه معها (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا عجيبا والفرى القطع كانه يقطع العادة (ياأخت هرون) وكان

﴿ فكلى واشربى ﴾ أى من الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره ﴿ وقرى عينا ﴾ وطيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ وقرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت مايسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه ﴿ فاما ترين من البشر احدا ﴾ فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين ﴿ فقولى انى نذرت للرحمن صوما ﴾ صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم ﴿ فلن اكلم اليوم انسيا ﴾ بعد ان اخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة واناجى ربى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه قاطع فى قطع الطاعن ﴿ فأتت به ﴾ اى مع ولدها ﴿ قومها ﴾ راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس ﴿ تحمله ﴾ حاملة اياه ﴿ قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا ﴾ بديعا منكرا من فرى الجلد ﴿ ياأخت هرون ﴾ يعنون

الرطب وللمريض خير من العسل ﴿ فكلى واشربى ﴾ أى يامريم كلى من الرطب واشربى من النهر ﴿ وقرى عينا ﴾ أى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره ﴿ فاما ترين من البشر أحدا ﴾ معناه يسألك عن ولدك ﴿ فقولى انى نذرت للرحمن صوما ﴾ أى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها لتكون أقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الافضل أولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ﴿ فلن أكلم اليوم انسيا ﴾ يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس ❁ قوله تعالى ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال ياأماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين ﴿ قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا ﴾ أى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع ﴿ ياأخت هرون ﴾ أى ياشبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به

(فكلى) من الرطب (واشربى) من النهر (وقرى عينا) طيبى نفسا بولادة عيسى عليه السلام (فاما ترين من البشر) من الآدميين (أحدا) بعد هذا اليوم (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا (فلن أكلم اليوم انسيا) آدميا ثم اسكتى بعد ذلك حتى يتكلم بعذرك عيسى (فأتت به) بعيسى (قومها) الى قومها (تحمله) وهو ابن أربعين يوما (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) منكرا عظيما (ياأخت هرون)

أخاها من أبيها ومن افضل بنى اسرائيل أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من اعقابه وبينهما ألف سنة وهذ
كما يقال يا أخا همدان أى يا واحدا منهم أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به فى الصلاح أو شتموها به (ماكان أبوك
عمران (امرأ سوء) زانيا

حنة (بغيا) زانية (فاشارت اليه) الى عيسى أن يجيبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها لا تحزنى وأحيلى بالجواب على وقيل أمرها جبريل بذلك ولما أشارت اليه غضبوا وتعجبوا و(قالوا كيف نكلم من كان) حدث ووجد (فى المهد) المعهود (صبيا) حال (قال انى عبدالله) ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن اربعين ليلة أو ابن يوم روى انه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع انى عبدالله وفيه رد لقول النصارى (آتانى الكتاب) الانجيل (وجعلنى نبيا) روى عن

هرون النبى عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما او لمارأوا قبل من صلاحها او شتموها به ﴿ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا﴾ تقرير لان ما جاءت به فرى وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش ﴿فاشارت اليه﴾ الى عيسى ان كلموه ليجيبكم ﴿قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا﴾ ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى «وكان الله عليما حكيما» او بمعنى صار ﴿قال انى عبدالله﴾ انطقه الله تعالى به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته ﴿آتانى الكتاب﴾ الانجيل ﴿وجعلنى نبيا﴾

يا شبيهة هرون فى العبادة وكان هرون رجلا صالحا من أمثل الناس ويقال كان هرون رجل سوء فضربوها به ويقال كان هرون أخاها من أبيها (ماكان أبوك امرأ سوء) رجلا زانيا (وما كانت أمك بغيا) فاجرة (فأشارت اليه) الى عيسى عليه السلام ان كلموه (قالوا) لها (كيف

فى عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سألونى فقالوا انكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخا مريم لابيها وقيل كان من أمثل رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون أخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا أخا تميم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا أعظم الفسق فشبهوها به ﴿ماكان أبوك﴾ يعنى عمران ﴿امرأ سوء﴾ قال ابن عباس زانيا ﴿وما كانت أمك﴾ يعنى حنة ﴿بغيا﴾ أى زانية فمن أين لك هذا الولد ﴿فاشارت اليه﴾ أى اشارت مريم الى عيسى ان كلمهم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا ﴿قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا﴾ قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه و﴿قال انى عبدالله﴾ قال وهب أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوما وقيل بل يوم ولد انى عبدالله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا تتخذ الها ان قلت ان الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفى التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم انما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد فى زنا والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى ﴿آتانى الكتاب وجعلنى نبيا﴾ قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتينى

نكلم من كان فى المهد) فى الحجر ويقال فى السرير (صبيا) صغيرا ابن أربعين يوما فتكلم عيسى عليه السلام (قال انى عبدالله آتانى الكتاب) علمنى التوراة والانجيل فى بطن أمى (وجعلنى نبيا) بعد الخروج

الحسن انه كان في المهد نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه أوجعل الآتي لامحالة كأنه وجد (وجعلني مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أومعلما للخير (وأوصاني) وأمرني (بالصلوة والزكوة) ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر أوتطهير البدن ويحتمل وأوصاني بان

وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ماسبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا ﴿ اينما كنت ﴾ حيث كنت ﴿ واوصاني ﴾ وامرني ﴿ بالصلوة والزكوة ﴾ زكاة المال ان ملكته اوتطهير النفس عن الرذائل ﴿ مادمت حيا وبرا بوالدتي ﴾ وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به اومنصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ﴿ ولم يجعلني جبارا شقيا ﴾ عندالله من فرط تكبره ﴿ والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ﴾ كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى • والسلام على من اتبع الهدى • فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ اى

الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه أوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو في بطن أمه ﴿ وجعلني مباركا أينما كنت ﴾ معناه انى نفاع أينما توجهت وقيل معلما للخير أدعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعني ﴿ وأوصاني بالصلوة والزكوة ﴾ أي أمرني بهما وكلفني فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة في حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة لايدل على أنه تعالى أوصاه بادائهما في الحال بل المراد أوصاه بادائهما في الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغا عاقلا وهذا القول أظهر في سياق قوله ﴿ مادمت حيا ﴾ فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه في زمان جميع حياته حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه ﴿ وبرا بوالدتي ﴾ أي وجعلني برا بوالدتي ﴿ ولم يجعلني جبارا شقيا ﴾ أي عاصيا لربي متكبرا على الخلق بل أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبي لين وأنا صغير في نفسي قال بعض العلماء لاتجد العاق الا جبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب ﴿ والسلام على يوم ولدت ﴾ أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ﴿ ويوم أموت ﴾ أي عند الموت من الشرك ﴿ ويوم أبعث حيا ﴾ أي من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الاطفال ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ أي ذلك الذي قال اني عبدالله هو عيسى

آمركم بالصلاة والزكاة (مادمت حيا) نصب على الظرف أي مدة حياتي (وبرا بوالدتي) عطفا على مباركا أي بارا بها أكرمها وأعظمها (ولم يجعلني جبارا) متكبرا (شقيا) عاقا (والسلام على يوم ولدت) يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو على (ويوم أموت ويوم ابعث حيا) أي ذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الى ان كان حرف التعريف للعهد وان كان للجنس فالمعنى وجنس السلام على وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها لانه اذا قال وجنس السلام على فقد عرض بان ضده عليكم اذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعرض (ذلك) مبتدأ (عيسى) خبره (ابن مريم) نعته أو خبر ثان أي ذلك الذي قال اني كذا وكذا

من بطن أمي (وجعلني مباركا) معلما للخير (أينما كنت) حيثما كنت وأقت (وأوصاني بالصلوة) باتمام الصلاة (والزكوة) الصدقة (مادمت حيا) ماحييت (وبرا بوالدتي) لطيفا بوالدتي (ولم يجعلني جبارا) في دنيا قتالا في الغضب (شقيا) عاصيا لربي (والسلام على يوم ولدت) السلامة على حين ولدت من لمزة الشيطان (ويوم أموت) حين أموت من ضغطة القبر (ويوم أبعث حيا) حين أبعث من القبر حيا (ذلك عيسى ابن مريم)

عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى انه اله أو ابن الله (قول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لانه
ولد بقوله كن بلا واسطة اب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر اوخبر مبتدأ محذوف اوبدل من عيسى ونصبه شامى وعاصم
على المدح اوعلى المصدر اى اقول قول الحق هو ابن مريم وليس باله كما يدعونه (الذى فيه يمترون) يشكون من المرية
الشك اويختلفون من المراء فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ماينبغى له
(أن يتخذ من ولد) جئ بمن لتاكيد النفى (سبحانه) نزه ذاته عن اتخاذ الولد (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن
فيكون) بالنصب شامى اى كما قال لعيسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفا
بهذا كان منزها ان يشبه الحيوان الوالد (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) بالكسر شامى وكوفى على الابتداء وهو من كلام عيسى يعنى كما انا عبده فانتم عبيده على وعليكم ان نعبده ومن فتح عطف على بالصلاة اى واوصانى بالصلاة وبالزكاة وبان الله ربى وربكم اوعلقه بما بعده اى ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه (هذا) الذى ذكرت (صراط مستقيم) فاعبدوه ولا تشركوا به شيأ (فاختلف الاحزاب) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أومن بين الناس وذلك ان النصارى

الذى تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لاماتصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد مايصفونه ثم عكس الحكم ﴿ قول الحق ﴾ خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق اولتمام القصة وقيل صفة عيسى اوبدله اوخبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول ﴿ الذى فيه يمترون ﴾ فى امره يشكون اويتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ﴿ ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه ﴾ تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه ﴿ اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ تبكيت لهم بان من اذا اراد شيأ اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب ﴿ وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلاة ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم ﴾

بن مريم ﴿ قول الحق ﴾ أى هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله ﴿ الذى فيه يمترون ﴾ أى يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾ أى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغى له ذلك ﴿ سبحانه اذا قضى أمرا ﴾ أى اذا أراد أن يحدث أمرا ﴿ فانما يقول له كن فيكون ﴾ أى لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذى أراده ﴿ وان الله ربى وربكم فاعبدوه ﴾ هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربى وربكم لارب للمخلوقات سواه ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ أى هذا الذى أخبرتكم به ان الله أمرنى به هو الصراط المستقيم الذى يؤدى الى الجنة ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم ﴾ يعنى النصارى سموا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث

خبر عيسى بن مريم (قول الحق) خبر الحق (الذى فيه) فى عيسى (يمترون) يشكون يعنى النصارى وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو (فرق) ابن الله وقال بعضهم هو شريكه (ما كان لله) ماينبغى لله (أن يتخذ من ولد سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (اذا قضى أمرا) اذا أراد ان يخلق ولدا بلا أب (فانما يقول له كن فيكون) ولدا بلا أب مثل عيسى فلما جاء عيسى بالرسالة الى قومه قال انى عبد الله ومسيحه (وان الله) هو (ربى) خالقى ورازقى (وربكم) خالقكم ورازقكم (فاعبدوه) فوحدوه (هذا) التوحيد الذى آمركم به (صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام (فاختلف الاحزاب) الكفار (من بينهم) فيما بينهم فقال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم هو شريكه

اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على ان يرجعوا الى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكان فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان عبدالله مخلوقا نبيا فاتبع كل واحد منهم قوم (فويل للذين كفروا) من الاحزاب اذا لواحد منهم على الحق (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة اومن شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة اومن شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء وجوارهم بالكفر اومن مكان الشهادة اووقتها أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيما لفظاعة ماشهدوا به في عيسى (اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) الجمهور على ان لفظه أمر معناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد ان اسماعهم وابصارهم جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا قال قتادة ان عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كاكرم بزيد فمعناه كرم زيد جدا (لكن الظالمون اليوم) أقيم الظاهر مقام المضمر أى لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها (في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر وهو اعتقادهم عيسى الها معبودا مع ظهور آثار الحدث فيه اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم (وانذرهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على مافات وفي الحديث اذا رأوا منازلهم في الجنة ان لو آمنوا

اليهود والنصارى اوفرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبدالله ونبيه ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة اومن وقت الشهود اومن مكانه اومن شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وآرابهم وارجلهم بالكفر والفسوق اومن وقت الشهادة اومن مكانها وقيل هو ماشهدوا به في عيسى وامه ﴿ اسمع بهم وابصر ﴾ تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم ﴿ يوم يأتوننا ﴾ اى يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا والتهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب ﴿ لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين ﴿ وانذرهم يوم الحسرة ﴾ يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة

فرق في أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ يعني يوم القيامة حين ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ أى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر انهم يسمعون ويبصرون في الآخرة مالم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم ﴿ يوم يأتوننا ﴾ أى يوم القيامة ﴿ لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ قيل أراد باليوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطأ بين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين * قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا ازداد في الاحسان يدل عليه ماروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أحد يموت الا ندم قالوا ماندمه يارسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع أخرجه الترمذي قوله أن لا يكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال

(فويل) شدة عذاب (للذين كفروا) ... (من مشهد يوم عظيم) من عذاب يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر) ما أسمعهم وما أبصرهم (يوم يأتوننا) وهو يوم القيامة ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه (لكن الظالمون) المشركون (اليوم) في الدنيا (في ضلال مبين) في كفر بين بقولهم ان عيسى هو الله أو ولده أو شريكه (وانذرهم) يا محمد خوفهم (يوم الحسرة)

والفناء وذكر من لتغليب العقلاء (والينا يرجعون) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أى يردون فيجازون جزاء وفاقا (واذكر) لقومك (فى الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع أبيه (انه كان صديقا نبيا) بغير همز وهمزه نافع قيل الصادق المستقيم فى الافعال والصديق المستقيم فى الاحوال فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله اى كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا فى نفسه وهذه

احسانه ﴿اذ قضى الامر﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم اوظرف للحسرة ﴿وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾ حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين ومابينهما اعتراض اوبانذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك اونتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه ﴿ والينا يرجعون ﴾ يردون للجزاء ﴿ واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ﴾ ملازما للصدق اوكثير التصديق لكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله ﴿ نبيا﴾

أكثر المفسرين يعنى بيوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد ياأهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قدرآه ثم ينادى مناد آخريا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قدرآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول ياأهل الجنة خلود بلاموت وياأهل النار خلود بلاموت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد الترمذى فيه فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو ان أحدا مات حزنا لمات أهل النار قوله كهيئة كبش أملح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرف الى الشئ اذا تطلع ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس بجسم فى صورة كبش أوغيره فعلى هذا يتأول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فهما لا زوال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناد ياأهل الجنة لاموت وياأهل النار فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخارى ﴿ وقوله تعالى ﴿اذ قضى الامر﴾ أى فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت ﴿وهم فى غفلة﴾ أى عما يراد بهم فى الآخرة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ أى لا يصدقون ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ أى نميت سكان الارض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم ﴿والينا يرجعون﴾ فيجزيهم باعمالهم ﴿ قوله عز وجل ﴿واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا﴾ أى كثير الصدق وهو مبالغة

الدائمة (اذ قضى الامر) فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم فى غفلة) فى جهلة وعمى عن ذلك (وهم لا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والبعث بعد الموت (انا نحن نرث الارض) نملك الارض (ومن عليها) نملك من عليها ويقال نميت من عليها ونرث ماعليها ثم نبعثهم ونحييهم (والينا يرجعون) يوم القيامة فاجزيهم بأعمالهم الحسنة بالحسنة والسيئة بالسيئة (واذكر فى الكتاب (فى) ابراهيم) خبر ابراهيم (انه كان صديقا) مصدقا بايمانه (نبيا) مرسلا يخبر عن الله

وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ماهو بدل منه وهو (اذقال) وجاز ان يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته فى الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده فى تنزيله (لابيه ياأبت) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء

الاضافة ولا يقال يا أبتى لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر) المفعول فيهما منسى غير منوى ويجوز ان يقدر أى لا يسمع شيأ ولا يبصر شيأ (ولا يغنى عنك شيأ) يحتمل أن يكون شيأ فى موضع المصدر أى شيأ من الاغناء وان يكون مفعولا به من قولك أغن عنى وجهك أى بعد (يا أبت انى قد جاءنى من العلم) الوحى أو معرفة الرب (مالم يأتك) ما فى مالا يسمع ومالم يأتك يجوز ان تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعنى أهدك) أرشدك (صراطا سويا) مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما سول من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا

استنبأه الله تعالى ﴿ اذقال ﴾ بدل من ابراهيم ومابينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا ﴿لابيه ياأبت﴾ التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال ياأبتى ويقال ياأبتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها ﴿لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ﴾ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ﴿ولا يغنى عنك شيأ﴾ فى جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى و بين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه الى عبادة مايستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق الحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغى ان يفعل مايفعل لغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال ﴿ يا ابت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا﴾ ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه فى الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال ﴿يا ابت لا تعبد الشيطان ﴾ واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ﴿ ان الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾

فى كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبى انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبى العالى فى الرتبة بارسال الله اياه وأى رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده ﴿اذقال لابيه﴾ يعنى آزر وهو يعبد الاصنام ﴿ياأبت لم تعبد مالا يسمع﴾ يعنى صوتا ﴿ولا يبصر ﴾ ولا ينظر شيأ ﴿ولا يغنى عنك﴾ أى يكفيك ﴿شيأ﴾ وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح فى الالهية وذلك أن العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله فلا يستحق العبادة الا هو ﴿ياأبت انى قد جاءنى من العلم﴾ يعنى بالله والمعرفة ﴿مالم يأتك فاتبعنى﴾ أى على دينى ﴿أهدك صراطا سويا﴾ أى مستقيما ﴿ياأبت لا تعبد الشيطان﴾ أى لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك ﴿ان الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ أى عاصيا

(اذقال لابيه) آزر (ياأبت لم تعبد) من دون الله (مالا يسمع) ان دعوته (ولا يبصر) ان عبدته (ولا يغنى عنك شيأ) من عذاب الله (ياأبت انى قد جاءنى) من الله (من العلم) [illegible] مالم يأتك [illegible] الله [illegible] تعالى با[illegible] (فاتبعنى) (قا و خا ٢١ بع) فى دين الله (أهدك صراطا سويا) [illegible] يرضاه وهو الاسلام (ياأبت لا تعبد الشيطان) لا تطع الشيطان فى عبادة الاصنام (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) كافرا

(ياابت اني أخاف) قيل أعلم (ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا في النار تليه ويليك فانظر في نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما امر ففي الحديث أوحى الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فطلب منه أولا العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوما عليه بالغي المبين فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لايسمع ذكر عابده ولا يرى هيآت عبادته ولا يرفع عنه بلاء ولا يقضي له حاجة ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي شيأ من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على

فهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه أوقعك في عبادة الصنم وزينها لك فانت عابده في الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة ومايجره ماهو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الادب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كانه قال اني أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه وصدر كل نصيحة بنداء ياابت توسلا اليه واستعطافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان كافرا

ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته ومايجر اليه فقال ﴿ يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾ قرينا في اللعن أو العذاب تليه ويليك أو ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية أو لانه ملاكها أو لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها ﴿ قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم ﴾ قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل ياابت ببابني واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لايرغب عنها عاقل ثم هدده فقال ﴿ لئن لم تنته ﴾ عن مقالك فيها أو الرغبة عنها ﴿ لأرجمنك ﴾ بلساني

﴿ ياأبت اني أخاف ﴾ أي أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصر على الكفر فيكون من أهل النار فحمل الخوف على ظاهره أولى * واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كلامه ياأبت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه أولا على مايدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره باتباعه في الايمان ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على مالاينبغي بقوله اني أخاف ﴿ أن يمسك ﴾ أي يصيبك ﴿ عذاب من الرحمن ﴾ أي ان أقمت على الكفر ﴿ فتكون للشيطان وليا ﴾ أي قرينا في النار وقيل صديقا له في النار وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لامور أحدها لشدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداء حق الابوة والرفق به وثانيها أن النبي الهادي الى الحق لابد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل أحد فالاب أولى ﴿ قال ﴾ يعني أباه مجيبا له ﴿ أراغب انت عن آلهتي ياابراهيم ﴾ أي أتاركها انت وتارك عبادتها ﴿ لئن لم تنته ﴾ اي ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها ﴿ لأرجمنك ﴾ قال ابن

(عباس) (قال) آزر توبيخا (أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم) أي أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل ياأبت ببابني وقدم الخبر على المبتدأ لانه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لأرجمنك) لاقتلنك بالرجام أو لاضربنك بها حتى تتباعد أو لاشتمنك

(ياأبت اني أخاف) أعلم (أن يمسك) يصيبك (عذاب من الرحمن) ان لم تؤمن به (فتكون للشيطان وليا) قرينا في النار (قال) آزر (أراغب انت عن آلهتي) عن عبادة آلهتي (ياابراهيم لئن لم تنته) عن مقالتك (لأرجمنك) لاسبنك ويقال لاقتلنك

(واهجرني) عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره فاحذرني واهجرني (مليا) ظرف أي زمانا طويلا من الملاوة (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة أو تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله (سأستغفر لك ربي) سأسأل الله ان يجعلك من أهل المغفرة بان يهديك

(انه كان بي حفيا) ملطفا

يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد عني ﴿ واهجرني ﴾ عطف على ما دل عليه لارجمنك أي فاحذرني واهجرني ﴿ مليا ﴾ زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني ﴿ قال سلام عليك ﴾ توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ﴿ سأستغفر لك ربي ﴾ لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة ﴿ انه كان بي حفيا ﴾ بليغا في البر والالطاف ﴿ واعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾ بالمهاجرة بديني ﴿ وادعوا ربي ﴾ واعبده وحده ﴿ عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا ﴾ خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والانابة تفضل غير واجبتين وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾ بالهجرة الى الشام ﴿ وهبنا له اسحق ويعقوب ﴾ بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء أو لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد ﴿ وكلا جعلنا نبيا ﴾ وكلا منهما أو منهم ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ النبوة والاموال والاولاد

عباس معناه لاضربنك وقيل ولاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عني بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح ﴿ واهجرني ﴾ اي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبنك مني معرة ﴿ مليا ﴾ اي دهرا طويلا ﴿ قال ﴾ يعني ابراهيم ﴿ سلام عليك ﴾ اي سلمت مني لا اصيبك بمكروه وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه ﴿ سأستغفر لك ربي ﴾ قيل انه لما اعياه أمره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل لك ربي توبة تنال بها المغفرة ﴿ انه كان بي حفيا ﴾ أي برا لطيفا والمراد انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعائي ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾ أي أفارقكم وأفارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة ﴿ وأدعوا ربي ﴾ أي أعبد ربي الذي خلقني وأنعم علي ﴿ عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا ﴾ أي أرجو ان لا أشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الاصنام ففيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم * قوله عز وجل ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾ أي ذهب مهاجرا ﴿ وهبنا له ﴾ أي بعد الهجرة ﴿ اسحق ويعقوب ﴾ أي آنسنا وحشته من فراقهم باولاد أكرم على الله من أبيه ﴿ وكلا جعلنا نبيا ﴾ أي انعمنا عليهما بالنبوة ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾

بعموم النعم أو رحيما أو مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة (واعتزلكم) اراد بالاعتزال المهاجرة من ارض بابل الى الشام (وما تدعون من دون الله) أي ما تعبدون من أصنامكم (وأدعوا) واعبد (ربي) ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) أي كما شقيتم أنتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أي لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولادا مؤمنين أنبياء (ووهبنا لهم من رحمتنا) هي المال والولد

(واهجرني مليا) اعتزلني مادمت حيا فلا تكلمني طويلا يقال دهرا (قال) ابراهيم (سلام عليك سأستغفر لك ربي) أدعو لك ربي (انه كان بي حفيا) عالما اذا أدعوه يستجيب دعائي (وأعتزلكم) أتركك

(وما تدعون) تعبدون (من دون الله) من الاوثان (وأدعوا ربي) أعبد ربي (عسى) وعسى من الله واجب (الا أكون بدعاء ربي) بعبادة ربي (شقيا) خائبا (فلما اعتزلهم) تركهم (وما يعبدون من دون الله) من الاوثان (وهبنا له اسحق) الصالح (ويعقوب) ولد الولد (وكلا) ابراهيم واسحق ويعقوب (جعلنا نبيا) أكرمناهم بالنبوة والاسلام (ووهبنا لهم من رحمتنا) من نعمتنا الدنيا مالا

(وجعلنا لهم لسان صدق) ثناء حسنا وهو الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية (عليا) رفيعا مشهورا (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي أخلصه الله واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع (وناديناه) دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة (من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدين (الايمن) من اليمين أي من ناحية اليمين والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام (وقربناه) تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نجيا) حال أي مناجيا كنديم بمعنى منادم (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه (أخاه) مفعول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أي وهبنا له نبوة أخيه والا فهرون كان أكبر سنا منه

حلالا (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أكرمناهم بالثناء الحسن (واذكر في الكتاب موسى) خبر موسى (انه كان مخلصا) (وكان) معصوما من الكفر والشرك والفواحش ويقال مخلصا بالعبادة والتوحيد ان قرأت بكسر اللام (وكان رسولا) الى بني اسرائيل (نبيا) يخبر عن الله تعالى (وناديناه من جانب الطور) الجبل (الايمن) عن يمين موسى (وقربناه نجيا) أي قربناه حتى سمع صرير القلم ويقال كلمناه من قريب (ووهبنا له من رحمتنا) من نعمتنا (أخاه هرون نبيا) وزيرا معينا

﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل ﴿واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا﴾ موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء أو اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه • وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه ﴿وكان رسولا نبيا﴾ ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى ﴿وناديناه من جانب الطور الايمن﴾ من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة ﴿وقربناه﴾ تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته ﴿نجيا﴾ مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ من اجل رحمتنا أو بعض رحمتنا ﴿اخاه﴾ معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول أو بدل على تقدير ان تكون من للتبعيض ﴿هرون﴾ عطف بيان له ﴿نبيا﴾

أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ يعني ثناء حسنا رفيعا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم * قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا﴾ قرئ بكسر اللام أي أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح أي مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه ﴿وكان رسولا نبيا﴾ فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس ﴿وناديناه من جانب الطور الايمن﴾ أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي يا موسى اني أنا الله رب العالمين ﴿وقربناه﴾ قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أي وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى ﴿نجيا﴾ أي مناجيا ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا﴾ وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي فاجاب الله دعوته وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة له

(واذكر فى الكتاب اسمعيل) هوابن ابراهيم فى الاصح (انه كان صادق الوعد) وافيه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظره سنة فى مكانه حتى عاد وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد ربه موعدا الا أنجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا فى غيره من الانبياء تشريفا له وكأنه المشهور من خصاله (وكان رسولا)الى جرهم (نبيا) مخبرا منذرا (وكان يأمر أهله) أمته لان النبى أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على انه لم يداهن غيره (بالصلوة والزكوة) يحتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهما اما العبادات البدنية والمالية (وكان عند ربه مرضيا) قرئ مرضوا على الاصل (واذكر فى الكتاب ادريس)هو اخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بنى قابل وقولهم سمى به لكثرة دراسته كتب الله لايصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة (انه كان صديقا نبيا)أنزل الله

حال منه ﴿ واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ﴾ ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء فى هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فوفى ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ يدل على ان الرسول لايلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته ﴿ وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة ﴾ اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم ﴿ وكان عند ربه مرضيا ﴾ لاستقامة اقواله وافعاله ﴿ واذكر فى الكتاب ادريس ﴾ وهو سبط شيث وجد ابى نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس عليهما السلام من الدرس يرده منع صرفه نعم لايبعد ان يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب ﴿ انه كان صديقا نبيا

وكان هرون أكبر من موسى * قوله عز وجل ﴿ واذكر فى الكتاب اسمعيل ﴾ هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ انه كان صادق الوعد ﴾ قيل انه لم يعد شيأ الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبى عن الرجل بعد ميعادا الى أى وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده فى وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى ﴿ وكان رسولا ﴾ الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم اسمعيل بوادى مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن ﴿ نبيا ﴾ أى مخبرا عن الله تعالى ﴿ وكان يأمر أهله ﴾ أى قومه وجميع امته ﴿ بالصلوة والزكوة ﴾ قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهى الحنيفية التى افترضت علينا وقيل كان يبدأ باهله فى الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم ﴿ وكان عند ربه مرضيا ﴾ أى قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية فى المدح لان المرضى عند الله هو الفائز فى كل طاعة باعلى الدرجات * قوله عز وجل ﴿ واذكر فى الكتاب ادريس ﴾ هو جد أبى نوح واسمه اخنوخ سمى ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر فى علم الحساب ﴿ انه كان صديقا نبيا ﴾ وذلك ان الله

(واذكر فى الكتاب اسمعيل) خبر سمعيل (انه كان صادق الوعد) اذا وعد أنجز (وكان رسولا) مرسلا الى قومه (نبيا) يخبر عن الله (وكان يأمر أهله) قومه (بالصلوة) إتمام الصلاة (والزكوة) باعطاء الزكاة الصدقة (وكان عند ربه مرضيا) صالحا (واذكر فى الكتاب ادريس) خبر ادريس (انه كان صديقا) مصدقا بايمانه (نبيا) يخبر عن

ورفعناه مكانا عليا ﴾ يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة

تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ قيل هى الرفعة بعلو المرتبة فى الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ماروى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس فى السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه ❊ وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ماقاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب انى مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالايعرف فقال يارب خلقتنى لحر الشمس فما الذى قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سألنى ان أخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يارب فاجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن له حتى أتى ادريس فكان ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال انى أخبرت انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى لعلى أزداد شكرا وعبادة فقال الملك لايؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وأنا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة صديق لى من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ملك الموت ليس لى ذلك ولكن ان أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى انسان ماأراه يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لاأجده يموت الا عند مطلع الشمس قال انى أتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا أراك تجده الا وقد مات فوالله مابقى من عمر ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع أهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فاذن له فاتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام فابى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد ان أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى ان أصحبك فقال لى اليك حاجة قال وماهى قال تقبض روحى فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ماالفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون أشد استعدادا له ثم قال له ادريس لى اليك حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وماهى قال أريد ان أسأل مالكا ان يرفع أبوابها فاردها ففعل قال فكما أريتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما قال له الملك مالك لاتخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا واردها فانا وردتها وقال وماهم

عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لاشئ أعلى من الجنة وذلك انه حبب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال لملك الموت اذقنى الموت يهن على ففعل ذلك باذن الله فحيي وقال أدخلنى النار أزدد رهبة ففعل ثم قال ادخلنى الجنة أزدد رغبة ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل باذنى فعل وباذنى دخل فدعه

الله (ورفعناه مكانا عليا) فى الجنة

(أولئك) اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم) من للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد أبى نوح (وممن حملنا مع نوح) ابراهيم من ذرية من حمل مع

نوح لانه ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أى ومن ذرية اسرائيل أى يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى لان مريم من ذريته (وممن) يحتمل العطف على من الاولى والثانية (هدينا) لمحاسن الاسلام (واجتبينا) من الانام أو لشرح الشريعة وكشف الحقيقة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن) أى اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبر الاولئك وان جعلته صفة له كان خبرا يتلى بالياء قتيبة لوجود الفاصل مع ان التأنيث غير حقيقى (خروا سجدا) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة (وبكيا) باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود فى جمع ساجد وقاعد فى الحديث اتلوا القرآن

أو الرابعة ﴿ اولئك ﴾ اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس ﴿ الذين انعم الله عليهم ﴾ بانواع النعم الدينية والدنيوية ﴿ من النبيين ﴾ بيان للموصول ﴿ من ذرية آدم ﴾ بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية ﴿ وممن حملنا مع نوح ﴾ أى ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ﴿ ومن ذرية ابراهيم ﴾ الباقون ﴿ واسرائيل ﴾ عطف على ابراهيم أى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية ﴿ وممن هدينا ﴾ ومن جملة من هديناه الى الحق ﴿ واجتبينا ﴾ للنبوة والكرامة ﴿ اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴾ خبر لاولئك ان جعلت

منها بمخرجين فلست أخرج فاوحى الله تعالى الى الملك الموت باذنى دخل الجنة وبامرى لا يخرج فهو حى هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا فى انه حى فى السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حى واستدل بهذا وقالوا أربعة من الانبياء أحياء اثنان فى الارض وهما الخضر والياس واثنان فى السماء وهما ادريس وعيسى * قوله عز وجل ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ أولئك اشارة الى المذكورين فى هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه ﴿ من ذرية آدم ﴾ يعنى ادريس و نوحا ﴿ وممن حملنا مع نوح ﴾ أى ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح ﴿ ومن ذرية ابراهيم ﴾ يعنى اسحق واسمعيل ويعقوب ﴿ واسرائيل ﴾ اى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى ﴿ وممن هدينا واجتبينا ﴾ أى هؤلاء ممن أرشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام ﴿ اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا ﴾ جمع ساجد ﴿ وبكيا ﴾ جمع باك أخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

فصل

وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوة

(أولئك الذين) ذكرتهم ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وموسى وهرون وعيسى وادريس وسائر الانبياء (أنعم الله عليهم من النبيين) أكرمهم الله بالنبوة والرسالة والاسلام (من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح) من ذرية نوح أولاده (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق (واسرائيل) ومن ذرية يعقوب يوسف واخوته (وممن هدينا [illegible]) [illegible] اجتبينا بالاسلام ومتابعة النبى صلى الله عليه وسلم يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه (اذا تتلى عليهم) اذا تقرأ عليهم (آيات الرحمن) بالامر والنهى (خروا سجدا وبكيا) يسجدون ويبكون من مخافة

وابكوا وان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال

لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء ويقول سبحان ربي الا

ثلاثا (فخلف من بعدهم) فجاء من بعد هؤلاء المفضلين (خلف) أولاد سوء وبفتح اللام العقب الخير عن ابن عباس هم اليهود (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الامة (فسوف يلقون غيا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعد للمصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور (الا من تاب) رجع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحا) بعد ايمانه (فاولئك يدخلون الجنة)

الله (فخلف) فبقي (من بعدهم) من بعد الانبياء والصالحين (خلف) سوء (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة وكفروا بالله (واتبعوا الشهوات) اشتغلوا باللذات في الدنيا وتزوج الاخوات من الاب [illegible] اليهود (فسوف يلقون غيا) واديا في جهنم (الا من تاب) من اليهود (وآمن) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (فاولئك يدخلون الجنة { ولا }

الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع مالهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد ٭وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون ﴿اضاعوا الصلوة﴾ تركوها أو اخروها عن وقتها ﴿واتبعوا الشهوات﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور ﴿فسوف يلقون غيا﴾ شرا كقوله

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ٭ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

اوجزاء غي كقوله يلق أثاما اوغيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها ﴿الا من تاب وآمن وعمل صالحا﴾ يدل على ان الآية في الكفرة ﴿فاولئك يدخلون الجنة﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل

هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك ان أكون من المستكبرين عن أمرك ٭ قوله تعالى ﴿فخلف من بعدهم﴾ أي من بعد النبيين المذكورين ﴿خلف﴾ أي قوم سوء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة ﴿أضاعوا الصلوة﴾ أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل أخروها عن وقتها وهو ان لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب ﴿واتبعوا الشهوات﴾ أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة ﴿فسوف يلقون غيا﴾ قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم أبعدها قعرا وأشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون [illegible] الاجتماع والملاقاة مع الرؤية [illegible] تعالى ﴿الا من تاب وآمن وعمل صالحا﴾ [illegible] من تاب من التقصير في الصلوات [illegible] آمن من الكفر [illegible] صالحا طاعة الله [illegible] يدخلون الجنة

بضم الياء وفتح الحاء مكى وبصرى وأبوبكر (ولايظلمون شيأ) أى لاينقصون شيأ من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم أولا يظلمون شيأ من الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس أو نصب على المدح (عدن) معرفة لانها علم لمعنى العدن وهو الاقامة أو علم لارض الجنة لكونها مقام اقامة (التى وعد الرحمن عباده) أى عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه أضافهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص (بالغيب) أى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة أوهم غائبون عنها لايشاهدونها (انه) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كان وعده) أى موعوده وهو الجنة (مأتيا) أى هم يأتونها (لايسمعون فيها) فى الجنة (لغوا) فحشا أو كذبا أو مالاطائل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التى لاتكليف فيها (الاسلاما) أى لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أولايسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا مافيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أى يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار من الدنيا اذ لاليل ولانهار ثمه لانهم فى النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار (قا و خا ٢٢ نع) برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها والرزق بالبكرة والعشى أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل اراد دوام الرزق كما تقول انا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام

﴿ ولايظلمون شيأ ﴾ ولاينقصون شيأ من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيأ على المصدر وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لايضرهم ولاينقص اجورهم ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أو منصوب على المدح * وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه فى العلم أو علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله ﴿ التى وعد الرحمن عباده بالغيب ﴾ أى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم أووهم غائبون عنها أووعدهم بايمانهم بالغيب ﴿ انه ﴾ ان الله ﴿ كان وعده ﴾ الذى هو الجنة ﴿ مأتيا ﴾ يأتيها اهلها الموعود لهم لامحالة وقيل هو من اتى اليه احسانا أى مفعولا منجزا ﴿ لايسمعون فيها لغوا ﴾ فضول كلام ﴿ الا سلاما ﴾ ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أو الا تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع أو على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة

ولايظلمون شيأ ﴾ أى لاينقصون شيأ ثم وصف الجنة فقال تعالى ﴿ جنات عدن ﴾ بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لاتدوم ﴿ التى وعد الرحمن عباده بالغيب ﴾ أى انهم لايرونها فهى غائبة عنهم وهم غائبون عنها ﴿ انه كان وعده مأتيا ﴾ أى آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيا أى يأتيه أولياء الله وأهل طاعته ﴿ لايسمعون فيها لغوا ﴾ أى باطلا وفحشا وهو فضول الكلام ﴿ الا سلاما ﴾ يعنى بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لايسمعون فيها مايؤلم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ قال أهل التفسير ليس فى الجنة ليل ولانهار حتى يعرف به البكرة والعشى بل هم فى نور أبدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار كعادتهم فى الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولاتقتير وقيل كانت العرب

ولا يظلمون شيأ) لاينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم ثم بين أى الجنة فقال (جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب) بالغائب عنهم (انه كان وعده مأتيا) كائنا (لا يسمعون فيها) فى الجنة (لغوا) حلفا باطلا (الا سلاما) لكن يسلم بعضهم على بعض للاكرام (ولهم رزقهم فيها) طعامهم فى الجنة (بكرة وعشيا) على مقدار بكرة

(تلك الجنة التى نورث من عبادنا) أى نجعلها ميراث أعمالهم يعنى ثمرتها وعاقبتهما وقيل يرثون المساكين التى كانت لاهل ا
لو آمنوا الان الكفر موت حكما عن الشرك * عن ابن عباس رضى الله ع

والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره ﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾ نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل فى التمليك والاستحقاق من حيث انها لاتعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد ﴿ وماننزل الا بامر ربك ﴾ حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لماسئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر مايجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وماننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ماتقتضيه حكمته * وقرئ ومايتنزل بالياء والضمير للوحى ﴿ له مابين ايدينا وماخلفنا ومابين ذلك ﴾ وهو مانحن فيه من الاماكن والاحايين لانتقل من مكان الى مكان أولا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ تاركا لك أى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك

لاتعرف أفضل من الرزق الذى يؤتى به بالبكرة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك * وقوله تعالى ﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا ﴾ أى نعطى وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التى كانت لاهل النار لو آمنوا ﴿ من كان تقيا ﴾ أى المتقين من عباده * قوله عز وجل ﴿ وماننزل الا بأمر ربك ﴾ (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ياجبريل مايمنعك أن تزورنا أكثر مماتزورنا فنزلت وماننزل الا بأمر ربك له مابين أيدينا وماخلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساءظنى واشتقت اليك فقال له جبريل وانى كنت أشوق اليك ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى وماننزل الا بأمر ربك وأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى * وقوله ﴿ له مابين أيدينا وماخلفنا ﴾ أى له علم مابين أيدينا وماخلفنا وقيل أكد ذلك بقوله له مابين أيدينا وما خلفنا أى هو المدبر لنا فى كل الاوقات الماضى والمستقبل وقيل معناه له مابين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وماخلفنا أى مامضى من الدنيا ﴿ ومابين ذلك ﴾ أى من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل مابين ذلك أى مابين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وقيل مابين أيدينا مابقى من الدنيا وماخلفنا مامضى منها ومابين ذلك أى مدة حياتنا ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ أى ناسيا أى مانسيك ربك وماتركك

ان النبى عليه السلام قال ياجبريل مامنعك أن تزورنا أكثر مماتزورنا فنزل (وما ننزل الا بامر ربك) والتنزيل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول أليق هنا يعنى ان نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله (له مابين أيدينا وماخلفنا ومابين ذلك وما كان ربك نسيا) أى له ماقدامنا وما خلفنا من الاماكن ومانحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من مكان الى مكان الا بامر الملك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون ومايحدث من الاحوال لاتجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا أن نتقلب فى ملكوته الا

وعشية فى الدنيا (تلك الجنة) هذه الجنة (التى نورث) ننزل (من عبادنا من كان تقيا) من الكفر والشرك ويقال مطيعا لربه (وماننزل) من السماء (الا بامر ربك) يامحمد قال له جبريل ذلك حين حبس الله عنه الوحى فيما سأله قريش عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف (له مابين أيدينا) من أمر الآخرة (وماخلفنا) من أمر الدنيا (ومابين ذلك) مابين النفختين (وما كان (رب) ربك نسيا) لم ينسك ربك

اذا أذن لنافيه (رب السموات والارض ومابينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أى هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرفت انه متصف بهذه الصفات (فاعبده) فأثبت على عبادته (واصطبر لعبادته) أى اصبر على مكافأة الحسود لعبادة المعبود واصبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق أى لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سميا) شبيها ومثلا أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق

أن لا معبود توجه اليه العباد

ء ن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى ومانتنزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك امور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فاوجدناه ومانجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اى وما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين وماوعدلهم من الثواب عليها وقوله ﴿ رب السموات والارض ومابينهما ﴾ بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف أو بدل من ربك ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أى لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك أو اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ مثلا يستحق ان يسمى الها وأحدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر أى اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ﴿ ويقول الانسان ﴾ المراد به الجنس باسره فان القول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنوفلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهودوهم الكفرة اوابى بن خلف لانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعدمانموت ﴿ أئذا مامت لسوف اخرج حيا ﴾ من الارض أو من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان مابعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يالله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر

﴿ رب السموات والارض ومابينهما ﴾ أى من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد أن يدبر أحوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض وكان لله تعالى ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ﴾ أى اصبر على أمره ونهيه ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله * قوله تعالى ﴿ ويقول الانسان ﴾ أى جنس الانسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو أبى بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث ﴿ أئذا مامت لسوف أخرج حيا ﴾ قاله

العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها فت أبى بن خلف عظما وقال أنبعث بعد ماصرنا كذا فنزل (ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا) والعامل في اذا مادل عليه الكلام وهو ابعث أى اذا مامت ابعث وانتصابه باخرج ممتنع لان مابعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد أيضا فكانه قال أحقا انا سنخرج من القبور أحياء حين تمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان مابعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء

نذ أوحى اليك (رب) خالق (السموات والارض ومابينهما) من الخلق والعجائب هو الله (فاعبده) فأطعه (واصطبر لعبادته) صبر على عبادته (هل تعلم له سميا) أحدا يسمى الله (ويقول الانسان) أبى بن خلف الجمحي بانكار البعث (أئذا مامت لسوف خرج حيا) من القبر بعد الموت هذا مالا يكون

انكارهم (أولا يذكر الانسان) خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر والساثر بتشديد الذال والكاف وأصله يتذكر كقراءة أبى فادغمت التاء فى الذال أى أولا يتدبر والواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر النشأة الاخرى فان تلك أدل على قدرة الخالق حيث

أخرج الجوهر والاعراض من العدم الى الوجود وأما الثانية فليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (انا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه (ولم يك شيأ) هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدوم ليس بشئ خلافا للمعتزلة (فوربك لنحشرنهم) أى الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف وبمعنى مع أوقع أى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة وفى اقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشان رسوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) حال جمع جاث أى بارك على الركب ووزنه فعول لان أصله جثو وكسجود وساجد أى يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم

﴿أولا يذكر الانسان﴾ عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان تتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر و تأمل ﴿انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ﴾ بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر *وقرئ يتذكر على الاصل ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والشياطين﴾ عطف أو مفعول معه لما روى ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم ﴿جثيا﴾ على ركبهم لما يدهمهم من هول المطاع أو لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد فى مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة *وقرأ حمزة والكسائى وحفص

استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى ﴿أولا يذكر الانسان﴾ أى يتذكر ويتفكر يعنى منكر البعث ﴿انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ﴾ والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد فى بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا أهون من الايجاد أولا * ثم اقسم بنفسه فقال تعالى ﴿فوربك﴾ وفيه تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿لنحشرنهم﴾ أى لنجمعنهم فى المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث ﴿والشياطين﴾ أى مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان فى سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل *فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية *قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة فى مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الامور التى لا يطيقون معها القيام على أرجلهم

(أولا يذكر الانسان) أولا يتعظ أبى بن خلف الجمحى (انا خلقناه من قبل) من قبل هذا من نطفة منتنة (ولم يك شيأ) فانى قادر على ان أحييه (فوربك) أقسم بنفسه (لنحشرنهم) يوم القيامة يعنى أبيا وأصحابه (والشياطين ثم لنحضرنهم) لنجمعنهم (حول جهنم) وسط جهنم (جثيا) جميعا (فيجثون)

(ثم لننزعن من كل شيعة) طائفة شاعت أى تبعت غاويا من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة أو فجورا أى لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغى اعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فاولاهم وقيل المراد باشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه ايهم مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته وهو هو من هو اشد حتى لو جئ به لاعرب بالنصب وقيل ايهم هو اشد وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كما ان المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما ان حذف المضاف اليه فى من قبل يوجب بناء المضاف وجب ان يكون حذف الصلة او شئ منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع وقال الخليل هى معربة وهى مبتدأ واشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد على الرحمن عتيا ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اى لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وعلى يتعلق بافعل أى عتوهم أشد على الرحمن (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بالنار (صليا) تمييز اى دخولا والباء تتعلق باولى (وان منكم) احد (الا واردها) داخلها والمراد النار والورود الدخول عند على وابن عباس رضى الله عنهم وعليه جهور اهل السنة لقوله تعالى فاوردهم النار

جثيا بالكسر ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ من كل امة شايعت دينا ﴿ ايهم اشد على الرحمن عتيا ﴾ من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن كثير من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم فى النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقتها التى تليق بهم وايهم مبنى على الضم عند سبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامى وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة وعلى اما ان يتعلق بمحذوف يفسره مابعده واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله ﴿ ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ﴾ أى لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى أو صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بايهم رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد ﴿ وان منكم ﴾ ومامنكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم ﴿ الا واردها ﴾ الا واصلها وحاضر دونها يمر بها

فيجثون على ركبهم جثوا ﴿ ثم لننزعن ﴾ أى لنخرجن ﴿ من كل شيعة ﴾ أى من كل أمة وأهل دين من الكفار ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ قال ابن عباس يعنى جرأة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم فى الشرك والمعنى أنه يقدم فى ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو أكبر جرما وأشد كفرا وفى بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان أشد منهم تمردا فى كفره خص بعذاب أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره فى الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال فى جميعهم ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ ولا يقال أولى الا مع اشتراك القوم فى العذاب وقيل معنى الآية انهم أحق بدخول النار ✓ قوله عز وجل ﴿ وان منكم الا واردها ﴾ أى ومامنكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر أى والله مامنكم من احد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا فى معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية فى قول واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود ههنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجى الله الذين اتقوا منها يدل عليه

(ثم لننزعن) لنخرجن (من كل شيعة) من كل أهل دين (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة بالقرآن (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) احق بها (صليا) دخولا (وان منكم) ومامنكم من أحد (الا واردها) داخلها يعنى النار غير النبيين والمرسلين

المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على

ما روى ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون دون الله حصب جهنم انتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله منها وما ارى الله ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر * فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار عذابها * قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها * فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار * قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود أنه قال وان منكم الا واردها يعني القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاول أصح وعليه أهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم أخرجاه في الصحيحين أراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها ﴿ م ﴾ عن أم مبشر الانصارية أنها سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد

ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ولقوله ثم ننجي الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى برولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله اولئك عنها مبعدون واجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم اهل الجنة ويتقاذف اهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وايقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل

الصراط فانه ممدود عليها ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعدبه وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ فيساقون الى الجنة * وقرأ الكسائى ويعقوب ننجى بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء أى هناك ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها

أطفأ نورك لهبى وروى عن مجاهد فى قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفى الخبر الحمى كير من جهنم وهى حظ المؤمنين من النار (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء * قوله فيح جهنم أى وهجها وحرها * وقوله تعالى ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ أى كان ورود جهنم قضاء لازما قضاء الله تعالى عليكم وأوجبه ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ أى الشرك ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ أى جميعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة فى الآية دليل على صحة مذهبهم فى ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد فى النار بدليل أن الله بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى فى النار أبدا وأجيب عنه بان المتقى هو الذى يتقى الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق لان المتقى جزء من المتقى من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا فصارت الآية التى توهموها دليلا لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن زرة من خير وفى رواية من ايمان (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يارسول الله قال هل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيأ فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله يقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فاكون أول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق

(كان على ربك حتما مقضيا) اى كان ورودهم واجبا كائنا محتوما والحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمى به الموجب كقولهم ضرب الامير (ثم ننجى) وعلى بالتخفيف (الذين اتقوا) عن الشرك وهم المؤمنون (ونذر الظالمين فيها جثيا) فيه دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لان المعصية لا تضر مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد

(كان على ربك حتما مقضيا) قضاء كائنا واجبا أن يكون (ثم ننجى الذين اتقوا) الكفر والشرك والفواحش (ونذر) نترك (الظالمين) المشركين (فيها) فى جهنم (جثيا) جميعا دائما

وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارة بهم

بعمله ومنهم من يخجدل ثم ينجو حتى اذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهى عن النار فقد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيقول هل عسيت ان أفعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطى الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة أى نكهتها وبهجتها سكت ماشاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يارب قدمنى عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت المواثيق والعهود أن لا تسأل غير الذى كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فعسيت ان أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطى ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها ومافيها من النضرة والسرور فيسكت ماشاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذى أعطيت فيقول يارب لا تجعلنى أشقى خلقك فيضحك الله عزوجل منه ثم يؤذن له فى دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته قال الله تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الامانى قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدرى لابى هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضى الله عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفى رواية للبخارى قال فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا عرفناه فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه * قلت أما ما يتعلق بمعانى الحديث والكلام على الرؤية فسيأتى فى تفسير سورة ن والقيامة ونتكلم ههنا على شرح غريب ألفاظه * قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعى الابل * وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال أوبقته الذنوب أى أهلكته والمخجدل المرمى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع فى النار * قوله وقد امتحشوا أى احترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلد وتبدى العظم * قوله كما تنبت الحبة فى حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهى البزورات جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه * قوله قشبنى ريحها أى آذانى والقشب السم فكأنه قال قد سمنى ريحها * قوله وأحرقنى ذكاؤها أى اشتعالها ولهبها * قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم

(واذاتتلى عليهم آياتنا)اى القرآن(بينات)ظاهرات الاعجازأ وحججاو براهين حال مؤكدة كقوله وهوالحق مصدقااذ آيات الله لاتكون الاو اضحة وحججا(قال الذين كفروا)أى مشركو قريش وقدرجلواشعورهم وتكلفوافى زيهم(للذين آمنوا) للفقراء ورؤسهم شعثةوثيابهم خشنة(أى الفريقين)نحن أم أنتم(خيرمقاما)بالفتح وهوموضع القيام والمرادالمكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الاقامةوالمنزل (وأحسن نديا) مجلسايجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية ان الله تعالى يقول اذاأنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضواعن التدبر فيهاالى الافتخار بالثروةو المال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبيين لابهامها أى كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصرقرن لمن بعدهم (هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم ألاترى انك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية(أثاثا) هومتاع البيت أوماجد من الفرش (ورئيا)منظراو هيئةفعل بمعنى مفعول من رأيت وريا بغيرهمز مشددانافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ماقبلها ثم الادغام أومن الرى الذى هوالنعمة

على هيآتهم ﴿ واذاتتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم أو واضحات الاعجاز ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ لاجلهم أومعهم ﴿ أى الفريقين ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿ خير مقاما ﴾ موضع قيام أومكانا وقرأ ابن كثير بالضم اى موضع اقامةومنزل ﴿ واحسن نديا ﴾ مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لماسمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتهاوالدخل عليها اخذوا فى الافتخار بمالهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عندالله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياةالدنيا فردعليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله ﴿ وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا ﴾ وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمى اهل كل عصرقرنا لانه يتقدم من بعده وهم احسن صفة لكم واثاثا تميز عن النسبة وهومتاع البيت وقيل هوماجدمنه والخرثى

آخر أهل النار خروجا منها و آخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أوان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخربى وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة *قوله حتى بدت نواجذه أى اضراسه وأنيابه وقيل هى آخر الاسنان * عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبتون كما تنبت الحبة فى حمالة السيل أخرجه الترمذى * الحمم الفحم والحمالة كل ماجاءبه السيل فدلت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون * قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ أى دلائل واضحات ﴿قال الذين كفروا﴾ يعنى النضربن الحرث ومن دونه من كفار قريش ﴿ للذين آمنوا ﴾ يعنى فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أفخر ثيابهم ﴿ أى الفريقين خيرمقاما ﴾ أى منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة ﴿ وأحسن نديا ﴾ أى مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ﴾ أى متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا ﴿ ورئيا ﴾ أى منظرا

(واذاتتلى عليهم) تقرأ عليهم على النضروأصحابه (آياتنا بينات) بالامر والنهى (قال الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والبعث يعنى النضر (قا و خا ٢٣ بع) وأصحابه (للذين آمنوا) بمحمد والقرآن يعنى أبابكر وأصحابه (أى الفريقين) أهل ديننا ومنا ومنكم (خيرمقاما) منزلا (وأحسن نديا) مجلسا(وكم أهلكنا قبلهم) قبل قريش (من قرن) من أمم خالية(هم أحسن أثاثا) أكثر أموالا وأولادا(ورئيا) أحسن

(قل من كان في الضلالة) الكفر (فليمدد له الرحمن مدا) جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر أى من كفر مدله الرحمن يعنى أمهله وأملى له فى العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وانما أخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لامحالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال (حتى اذا رأوا مايوعدون) هى متصلة بقوله خير مقاما واحسن نديا ومابينهما اعتراض أى لايزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود رأى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو تعذيب المسلمين ايام بالقتل والاسر (واما الساعة) اى القيامة وماينالهم من الخزى والنكال فهما بدلان مما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا)أعوانا وانصارا أى فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ماقدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا لاخير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم لاينفكون عن ضلالتهم الى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحكى بعدها الجمل الا ترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مدا ويمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أى المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء أو يقينا (على)

مارث منه والرأى المنظر فعل من الرؤية لمايرى كالطحن والخبز * وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها أو على انه عن الرى الذى هو النعمة وقرأ ابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزى وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص مايكون فى الآخرة بقوله ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغى ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر ﴿ حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير حتى اذا رأوا مايوعدون ﴿ أما العذاب وأما الساعة ﴾ تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وماينالهم فيه من الخزى والنكال ﴿ فسيعلمون من هو شر مكانا ﴾ من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ماقدروه وعاد ماتمتعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى ﴿ واضعف جندا ﴾ أى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ماهو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كأنه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية

من الرؤية ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه ويمهله فى كفره ﴿ حتى اذا رأوا مايوعدن اما العذاب ﴾ أى الاسر والقتل فى الدنيا ﴿ واما الساعة ﴾ يعنى القيامة فيدخلون النار ﴿ فسيعلمون ﴾ أى عند ذلك ﴿ من هو شر مكانا ﴾ أى منزلا ﴿ وأضعف جندا ﴾ أى اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أهم خير وهم فى النار أم المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الفرقين خير مقاما واحسن نديا * قوله عز وجل ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ أى ايمانا وايقانا

منظرا (قل) لهم يامحمد (من كان فى الضلالة) فى الكفر والشرك (فليمدد) فايزدد (له الرحمن مدا) زيادة فى المال والولد فانظرهم يامحمد (حتى اذا رأوا مايوعدون) من العذاب (اما العذاب) يوم بدر بالسيف (واما الساعة)واما عذاب يوم القيامة بالنار (فسيعلمون) وهذا وعيد لهم (من هو شر مكانا) منزلا فى الآخرة وضيقا فى الدنيا (وأضعف جندا) أهون ناصرا (ويزيد الله الذين اهتدوا) بالايمان (هدى) بالشرائع ويقال ويزيد الله الذين اهتدوا بالناسخ هدى

وبصيرة بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) مما يفتخر به الكفار (وخير مردا) أى مرجعا وعاقبة تهكم بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) ثم وبضم الواو وسكون اللام فى أربعة مواضع ههنا وفى الزخرف ونوح حمزة وعلى

جمع ولد كأسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب ولما كانت رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى أخبر والفاء أفادت التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لأوتين جواب قسم مضمر (اطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أى انظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيته (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) موثقا ان يؤتيه ذلك أو العهد كلمة الشهادة وعن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل فقد روى ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا و فضة فانا أقضيك ثمه فانى اوتى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع

﴿والباقيات الصالحات﴾ الطاعات التى تبقى عائدتها ابدا الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ﴿خير عند ربك ثوابا﴾ عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله ﴿وخير مردا﴾ والخير ههنا اما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتنى فيكون لى ثمة مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها فى التعقيب والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى اسد أو لغة فيه كالعرب والعرب ﴿أطلع الغيب﴾ اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألى عليه ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ أو اتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه ﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه

على يقينهم ﴿والباقيات الصالحات﴾ أى الاذكار والاعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها ﴿خير عند ربك ثوابا وخير مردا﴾ أى عاقبة ومرجعا ❁ قوله تعالى ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا﴾ الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فأتيته أتقاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا فجئته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت أفرأيت الذى كفر بآياتنا ﴿وقال لأوتين مالا وولدا﴾ الى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله ﴿أطلع الغيب﴾ قال ابن عباس معناه أنظر فى اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو فى الجنة أم لا ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ يعنى قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة ﴿كلا﴾ رد عليه يعنى لم يفعل ذلك

بالمنسوخ (والباقيات الصالحات) الصلوات الخمس (خير عند ربك ثوابا) خير ما يثيب الله به العباد الصلوات (وخير مردا) أفضل مرجعا فى الآخرة (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى العاص بن وائل السهمى (وقال لأوتين مالا وولدا) لئن كان ما يقول محمد فى الآخرة حقا لاعطين مالا وولدا فى الآخرة فرد الله عليه وقال (أطلع الغيب) أنظر فى اللوح المحفوظ أن له ما يقول (أم اتخذ) اعتقد (عند الرحمن عهدا) بلا اله الا الله فيكون له ما يقول (كلا) رد عليه لا يكون له ما يقول

و تنبيه على الخطأ وهومخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه (سنكتب مايقال) أى قوله والمراد سنظهرله ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله «اذا ماانتسبنا لم تلدني لئيمة» اى علم وتبين بالانتساب أني لست بابن لئيمة (ونمدله من العذاب) نزيده من العذاب كما يزيد فى الافتراء والاجتراء من المدد يقال مده وأمده بمعنى (مدا)أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى (ونرثه مايقول) أى نزوى عنه مازعم انه يناله فى الآخرة والمعنى مسمى مايقول وهو المال والولد (ويأتينا فردا) حال اى بلا مال ولاولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فما يجدى عليه تمنيه وتأليه (واتخذوا من دون الله آلهة) اى اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أى ليعتزوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء و أنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم عما ظنوا (سيكفرون بعبادتهم) الضمير للآلهة أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ماعبدتمونا وأنتم كاذبون أو للمشركين أى ينكرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون) أى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما لان الله تعالى ينطقهم فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو فى مقابلة لهم عز والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه أى يكونون

﴿ سنكتب مايقول ﴾ سنظهرله انا كتبنا قوله على طريقة قوله

اذا ماانتسبنا لم تلدني لئيمة

أى تبين اني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لاتتأخر عن القول لقوله تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴿ ونمدله من العذاب مدا ﴾ ونطول له من العذاب مايستأهله أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ﴿ ونرثه ﴾ بموته ﴿ مايقول ﴾ يعنى المال والولد ﴿ ويأتينا ﴾ يوم القيامة ﴿ فردا ﴾ لايصحبه مال ولاولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثمه زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ﴾ ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده ﴿ كلا ﴾ ردع وانكار لتعززهم بها ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾ سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا لقوله اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴿ ويكونون عليهم ضدا ﴾ يؤيد الاول الا اذا فسر الضد بضد العز أى ويكونون عليهم ذلا أو بضدهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقد بها نيرانهم أو جعل الواو للكفرة أى يكونون كافرين بهم بعد

﴿ سنكتب مايقول ﴾ أى سنحفظ عليه مايقول فنجازيه به فى الآخرة وقيل يأمر الملائكة حتى يكتبوا مايقول ﴿ ونمدله من العذاب مدا ﴾ أى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه ﴿ ونرثه مايقول ﴾ معناه أى ماعنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل يزول عنه ماعنده من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى فرد فذلك قوله ﴿ ويأتينا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ فردا ﴾ بلا مال ولاولد فلايصح ان يبعث فى الآخرة بمال ولاولد * قوله تعالى ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ يعنى مشركى قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها ﴿ ليكونوا لهم عزا ﴾ أى منعة يعنى يكونوا شفعاء يمنعونهم من العذاب ﴿ كلا ﴾ أى ليس الامر كما زعموا ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾ يعنى تجحد الاصنام والآلهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين و يتبرؤن منهم ﴿ ويكونون عليهم ضدا ﴾ أى اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداء لهم وكانوا

(سنكتب) سنحفظ(مايقول) من الكذب (ونمدله) نزيدله (من العذاب مدا) زيادة (ونرثه مايقول) (أولياءهم) فى الجنة ونعطى غيره من المؤمنين (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) وحيدا خاليا من المال والولد والخير نزلت هذه الآية فى خباب ابن الارت وصاحبه فى خصومة كانت بينهما (واتخذوا) عبدوا أهل مكة (من دون الله آلهة) يعنى الاصنام (ليكونوا لهم) يعنى الاصنام (عزا) منعة من عذاب الله (كلا) رد عليهم لايكون لهم منعة من عذاب الله (سيكفرون بعبادتهم) سيتبرؤن يعنى الاصنام من عبادة الكفار (ويكونون) يعنى الاصنام (عليهم) على الكفار (ضدا)

عليهم لا لهم عزا وان رجع الضمير فى سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم أى أعداؤهم ضدا أى كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونهم ثم عجب نبيه عليه السلام بقوله (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى خليناهم واياهم من ارسلت البعير أطلقته أو سلطناهم عليهم بالاغواء (تؤزهم ازا) تغريهم على المعاصى اغراء والازو الهز اخوان ومعناهما التهييج وشدة الازعاج (فلا تعجل عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) أى اعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد و لم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا أضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورود المسير الى الماء فيسمى به الواردون فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر أى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين مالا يوصف أى اذكر يوم نحشر ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم عونا بالعذاب (ألم تر) ألم

ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله

اقلى اللوم عاذل والعتابن

اوعلى معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون بكلا سيكفرون بعبادتهم ﴿ ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ بان سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء ﴿ تؤزهم ازا ﴾ تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾ بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم ﴿ انما نعد لهم ﴾ ايام آجالهم ﴿ عدا ﴾ والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة ﴿ يوم نحشر المتقين ﴾ نجمعهم ﴿ الى الرحمن ﴾ الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ﴿ وفدا ﴾ وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ﴿ ونسوق المجرمين ﴾ كما يساق البهائم ﴿ الى جهنم وردا ﴾ عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء

أولياءهم فى الدنيا ❁ قوله عز وجل ﴿ ألم تر أنا ارسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ أى سلطناهم عليهم ﴿ تؤزهم أزا ﴾ أى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحرضهم على المعاصى تحريضا شديدا وفى الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات ❁ ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾ أى لا تعجل بطلب عقوبتهم ﴿ انما نعد لهم عدا ﴾ يعنى الليالى والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسونها فى الدنيا الى الاجل الذى أجل لعذابهم ❁ قوله تعالى ﴿ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ﴾ أى اذكر لهم يا محمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته الى جنته وفدا أى جماعات قال ابن عباس ركبانا قال ابو هريرة على الابل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت ﴿ ونسوق المجرمين ﴾ أى الكافرين ﴿ الى جهنم وردا ﴾ أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش

تخبر يا محمد (انا أرسلنا الشياطين) سلطنا الشياطين (على الكافرين تؤزهم أزا) تزعجهم الى معصية الله ازعاجا وتغريهم اغراء (فلا تعجل) فلا تستعجل (عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) يعنى النفس بعد النفس (يوم) وهو يوم القيامة (نحشر المتقين) الكفر والشرك والفواحش (الى الرحمن) الى جنة الرحمن (وفدا) ركبانا على النوق (ونسوق المجرمين) المشركين (الى جهنم وردا) عطاشا

يساقون الى النار كأنهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم (لا يملكون الشفاعة) حال والواو ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لانه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أى الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن فى الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد

وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيأ ادا) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات أو أمر نبيه عليه السلام بانه يقول لهم ذلك والاد العجب أو العظيم المنكر والادة الشدة وأدنى الامر أثقلنى وعظم على ادا (تكاد السموات) تقرب (يتفطرون)

﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم ﴿ الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى او الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف أى الا شفاعة من اتخذ أو على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم ﴿ لقد جئتم شيأ ادا ﴾ على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على ﴿ تكاد السموات ﴾ وقرأ نافع

والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا *قوله تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة* وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى * قوله عز وجل ﴿ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ يعنى لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله أى لا يشفع الا للمؤمن ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب ﴿ لقد جئتم شيأ ادا ﴾ قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما ﴿ تكاد السموات

(لا يملكون الشفاعة) لا تشفع الملائكة لاحد (الا من اتخذ) من اعتقد (عند الرحمن عهدا) بلا اله الا الله (وقالوا) يعنى اليهود (اتخذ الرحمن ولدا) عزيرا ابنا (لقد جئتم شيأ ادا) قلتم قولا منكرا عظيما (تكاد السموات

وبالياء نافع وعلى (يتفطرن) وبالنون بصري وشامي وحمزة وخلف وأبو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه (منه) من عظم هذا القول (وتنشق الارض) تخسف وتنفصل أجزاؤها (وتخر الجبال) تسقط (هدا) كسرا أو قطعا أو هدما والهدة صوت الصاعقة من السماء وهو

مصدر أي تهد هدا من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أي مهدودة (أن دعوا) لان سموا ومحله جر بدل من الهاء في منه أو نصب مفعول له علل الخرور بالهدو الهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أي هدها دعاؤهم (للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) انبغى مطاوع بغى اذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما وفي اختصاص الرحمن وتكريره كرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نكرة موصوفة صفتها (في السموات والارض) وخبر كل (الا آت الرحمن) ووحد آتي وآتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو

والكسائي بالياء ﴿ يتفطرن منه ﴾ يتشققن مرة بعد اخرى *وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف ﴿ وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ﴾ تهد هدا اومهدودة اولانها تهد أي تكسر وهو تقرير لكونه اداوالمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدتها أو ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ﴿ ان دعوا للرحمن ولدا ﴾ يحتمل النصب على العلة لتكاد أو لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام أو بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا أو فاعل هدا أي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل مادعي له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه ﴿ وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ماعداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ﴿ ان كل من في السموات والارض ﴾ أي مامنهم ﴿ الا آتي الرحمن

يتفطرن منه ﴾ من الانفطار وهو الشق ﴿ وتنشق الارض ﴾ أي تخسف بهم ﴿ وتخر الجبال هدا ﴾ أي تسقط وتنطبق عليهم ﴿ أن دعوا ﴾ أي من اجل ان جعلوا ﴿ للرحمن ولدا ﴾ *فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجمادات *قلت فيه وجهان أحدهما ان الله تعالى يقول كدت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا أعجل بالعقوبة الثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ اى ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لابد ان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله تعالى من سرور به واستعانة وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى ﴿ ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن

يتفطرن) يتشققن (منه) من قولهم (وتنشق) الارض تتصدع الارض (وتخر الجبال) تسير الجبال (هدا) كسرا (أن دعوا) بان دعوا (للرحمن ولدا) عزيرا ابنا (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) عزيرا ابنا (ان كل من في السموات والارض) يقول ما من أحد في السموات والارض (الا آت الرحمن

عبدا ﴾ الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبوديه والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل ﴿ لقد احصاهم ﴾ حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته ﴿ وعدهم عدا ﴾ عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار ﴿ وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ﴾ من الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبى عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة فى الارض والسين اما لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعده ذلك اذا دجا الاسلام أو لان الموعود فى القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع مافى صدورهم من الغل ﴿ فانما يسرناه بلسانك ﴾ بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على اوعلى اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه أى انزلناه بلغتك ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ الصائرين

عبدا ﴾ أى آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عدا ﴾ أى عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شئ من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته ﴿ وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ﴾ أى وحيدا ليس معه من أحوال الدنيا شئ ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ أى محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحببهم الى عباده المؤمنين (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وفى رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال انى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول انى أبغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له البغضاء فى الارض قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب فى التوراة لا محبة لاحد فى الارض حتى يكون ابتداؤها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك فى القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا ﴿ قوله تعالى ﴿ فانما يسرناه ﴾ أى سهلنا القرآن ﴿ بلسانك ﴾ يا محمد ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ يعنى المؤمنين

الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أى حصرهم بعلمه واحاط بهم (وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) أى كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) مودة فى قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحببهم الى الناس وفى الحديث يعطى المؤمن مقة فى قلوب الابرار ومهابة فى قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء فى الارض حتى يستقر له فى السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين)

عبدا) الا مقرا للرحمن بالعبودية مطيعا له غير الكافر (لقد أحصاهم) حفظهم (وعدهم عدا) عالم بعددهم (وكلهم آتيه) يجئ الى الله (يوم القيمة فردا)

وحيدا بلا مال ولا ولد (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات (وتنذر) فيما بينهم وبين ربهم (سيجعل لهم الرحمن ودا) يحبهم ويحببهم الى المؤمنين (فانما يسرناه بلسانك) هونا عليك قراءة القرآن (لتبشر به) بالقرآن (المتقين) الكفر والشرك

الى التقوى ﴿وتنذربه قوما لدا﴾ اشداء الخصومة آخذين فى كل لديد أى شق من المراء لفرط لجاجهم فبشربه وانذر ﴿ وكم اهلكنا قبلهم من قرن ﴾ تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على انذارهم ﴿هل تحس منهم من احد﴾ هل تشعر باحدمنهم وتراه ﴿أوتسمع لهم ركزا﴾ وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفى واصل التركيب هوالخفاء ومنه ركز الرمح اذاغيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون*عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأسورة مريم اعطى عشرحسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيي ومريم وعيسى وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها وبعددمن دعاالله فى الدنيا ومن لم يدع

سورة طه مكية وهى مائة واربع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ﴾ فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابوعمرو وورش عن نافع لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يارجل على لغةعك فان صح فاعل اصله ياهذافتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله

ان السفاهة طاها فى خلائقكم * لاقدس الله اخلاق الملاعين

ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لاينصرون* وقرئ طه على انه امر للرسول

﴿ وتنذربه ﴾ أى بالقرآن ﴿قوما لدا﴾ أى شدادا فى الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذى لايستقيم ولايقبل الحق ويدعى الباطل ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذاعلموا وأيقنوا انه لابدمن زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة فى الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصى أقرب ثم أكدذلك فقال تعالى ﴿ هل تحس منهم ﴾ أى هل ترى وقيل هل تجد ﴿منهم﴾ أى من القرون ﴿من احد أوتسمع لهم ركزا﴾ أى صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة طه وهى مكية وهى مائة وأربعة وقيل خمس

وثلاثون آية وألف وستمائة واحدى واربعون كلمة

وخمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التى ذكر فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه والطواسين من الواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة النافلة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿ طه ﴾ قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه يارجل والمراد به النبى

لديد أى شق من المراء والجدال جمع ألد يريد به أهل مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أى هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أوتسمع لهم ركزا) صوتا خفيا ومنه الركاز أى لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعنى هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فلبهن عليك أمرهم والله أعلم

سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهى مائة وخمس وثلاثون آية كوفى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم طه﴾ فخم الطاء لاستعلائها وأمال

والفواحش (وتنذر) تخوف (به) بالقرآن (قوما لدا) جدلا بالباطل (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك يا محمد (من قرن) من القرون الماضية (هل تحس منهم من أحد) هل ترى منهم أحدا بعد الهلاك (أوتسمع لهم ركزا) صوتا بعد ماهلكوا ودرسوا

ومن السورة التى ذكر فيها طه وهى كلها مكية آياتها مائة واثنان وثلاثون وكلماتها ألف و[illegible] وواحد وحروفها خمسة آلاف وماءتان واثنان وأربعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (طه

الهلاء أبو عمرو وأمالهما حمزة وعلي وخلف وأبو بكر وفخمهما على الاصل غيرهم وما روى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يا رجل فان صح فظاهر والا فالحق ماهو المذكور في سورة البقرة (ماأنزلنا عليك القرآن) ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم (لتشقى) لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا أو بقيام الليل وانه روى انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا أي ما انزلناه لتنهك نفسك للعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الا تذكرة) استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة أو حال (لمن يخشى) لمن خاف الله أو لمن يؤل أمره الى الخشية (تنزيلا) بدل من تذكرة اذا جعل حالا ويجوز أن ينصب بنزل مضمرا أو على المدح أو يخشى مفعولا به أي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله (ممن خلق الارض والسموات) من يتعلق بتنزيلا صلة له (العلى) جمع العلياء تأنيث الاعلى ووصف السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة

ماانزلنا عليك القرآن لتشقى) لتتعب بالقرآن نزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم كان قبل ذلك يجتهد بصلاة الليل حتى تورمت قدماه فخفف الله عليه بهذه الآية فقال طه يا رجل هذه بلسان مكة أي يا محمد ماأنزلنا (لايقدر) عليك القرآن جبريل بالقرآن (الا تذكرة) عظة (لمن يخشى) لمن يسلم ولم أنزله لتشقى لتتعب نفسك مقدم ومؤخر (تنزيلا) نقول القرآن تكليما (ممن خلق الارض والسموات العلى) رفع بعضها

صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت من يطأ الفا كقوله لا «هناك المرتع» ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل أو اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ﴿ماانزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول بالسورة أو القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجوابه ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء و استئناف ان كانت جملة فعلية أو اسمية باضمار مبتدأ أو طائفة من الحروف محكية والمعنى ما نزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به ﴿الا تذكرة﴾ لكن تذكيرا وانتصابهما على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن اومفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن أي ماانزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة ﴿لمن يخشى﴾ لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار أو لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فان المنتفع به ﴿تنزيلا﴾ نصب باضمار فعله أو بيخشى أو على المدح أو البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا أو معنى فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ﴿ممن خلق الارض والسموات العلى﴾ مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض

صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به في التهجد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما راى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت ﴿ماانزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أي لتعنى وتتعب ﴿الا تذكرة لمن يخشى﴾ أي لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون ﴿تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى﴾ أي من الله الذي خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التي

تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال ﴿الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال ﴿وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى﴾ أي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المنفرد بها والمتوحد بمقتضاها

لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها الا الله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى ﴿ له ما في السموات وما في الارض وما بينهما ﴾ يعني الهواء ﴿ وما تحت الثرى ﴾ أي انه مالك لجميع ما في الاربعة الاقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وراء الثرى من شيء وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور والثور على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست * قوله تعالى ﴿ وان تجهر بالقول ﴾ أي تعلن به ﴿ فانه يعلم السر وأخفى ﴾ قال ابن عباس السر ما تسر في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما أسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما أسر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسره الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسره في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر أن يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والاخفاء على ما فيه

مبسوطة أي جواد وان لم يكن له يد رأسا والمذهب قول علي رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان (له ما في السموات وما في الارض) خبر ومبتدأ ومعطوف (وما بينهما) اي ذلك كله ملكه (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين او هو الصخرة التي تحت الارض السابعة (وان تجهر بالقول) ترفع صوتك (فانه يعلم السر) ما اسررته الى غيرك (واخفى) منه وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك وما

فوق بعض (الرحمن على العرش استوى) استقر ويقال امتلأ به ويقال هو من المكتوم الذي لا يفسر (له ما في السموات وما في الارض وما بينها) من الخلق والعجائب (وما تحت الثرى) الذي تحت الارضين السابعة السفلى لان الارضين على الماء والماء على الحوت والحوت على الصخرة والصخرة على قرني الثور والثور على الثرى والثرى هو التراب الندي يعلم الله ما تحته (وان تجهر بالقول) تعلن بالقول والفعل (فانه يعلم السر) من القول والفعل (وأخفى) من السر ما هو كائن منك لم يك بعد أو يكون يعلم الله ذلك كله

فقال ﴿الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى﴾ ومن فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا أو صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى الضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه * وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها ﴿وهل اتاك حديث موسى﴾ فى تمهيد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به فى تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل ﴿اذ رأى نارا﴾ ظرف للحديث لانه حدث أو مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا ﴿فقال لاهله امكثوا﴾ اقيموا مكانكم * وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها فيه ﴿انى آنست نارا﴾ ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به ﴿لعلى آتيكم منها بقبس﴾ بشعلة من النار وقيل جمرة

ثواب أو عقاب فالسر هو الذى يسره المرء فى نفسه من الامور التى عزم عليها والاخفاء هو الذى لم يبلغ حد العزيمة * ثم وحد نفسه فقال تعالى ﴿الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى﴾ تأنيث الاحسن والذى فضلت به أسماؤه فى الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن * قوله عز وجل ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أى وقد أتاك لما تقدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ﴿اذ رأى نارا﴾ وذلك ان موسى استأذن شعيبا فى الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأخاه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت أيام الشتاء فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل فى شهرها لا تدرى أليلا تضع أم نهارا فسار فى البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الغربى الايمن وذلك فى ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿فقال لاهله امكثوا﴾ أى أقيموا ﴿انى آنست نارا﴾ أى أبصرت نارا ﴿لعلى آتيكم منها بقبس﴾ أى شعلة من نار فى طرف عود

موسى) خبره قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى (اذ رأى) ظرف لمضمر أى حين رأى (نارا) كان كيت وكيت أو مفعول به لاذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا فى الخروج الى أمه وخرج باهله فولد له ابن فى الطريق فى ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا فى زعمه وكان نورا (فقال لاهله امكثوا) أقيموا فى مكانكم (انى آنست) أبصرت (نارا) والايناس رؤية شئ يؤنس به (لعلى آتيكم منها) بنى الامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به (بقبس) نار مقتبس فى رأس عود

(الله لا اله الا هو) وحده لا شريك له (له الاسماء الحسنى) الصفات العليا فادعوه بها (وهل أتاك) يا محمد تم أتاك (حديث موسى) خبر موسى (اذ رأى نارا) عن يساره (فقال لاهله امكثوا) انزلوا مكانكم (انى آنست نارا) انى رأيت نارا (لعلى آتيكم) (او) منها) من النار (بقبس) بشعلة مقتبسة وكان فى برد

﴿أوأجد على النار هدى﴾ هاديا يدلنى على الطريق أو يهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه ﴿فلما اتاها﴾ اى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء ﴿نودى ياموسى انى انا ربك﴾ فتحه ابن كثير و ابو عمرو أى بانى وكسره الباقون باضمار القول أو اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة ﴿فاخلع نعليك﴾ امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من

﴿أوأجد على النار هدى﴾ أى أجد عند النار من يدلنى على الطريق ﴿فلما أتاها﴾ أى أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها اطافت بها نار بيضاء تتقد كاضوأ ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذى رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ماروى عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قيل ان موسى أخذ شيأ من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك ﴿نودى ياموسى انى أنا ربك﴾ قال وهب نودى من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعا ومايدرى من دعاه فقال انى اسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغى الا لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا * وقوله ﴿فاخلع نعليك﴾ كان السبب فيه ماروى عن ابن مسعود مرفوعا فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وانما أمر

من أسفلها الى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحدا وروى انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه فثمه (نودى) موسى (ياموسى انى) بكسر الهمزة أى نودى فقيل ياموسى انى أو لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته وبالفتح مكى وأبو عمرو أى نودى بانى (أنا ربك) أنا مبتدأ أو تأكيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى ياموسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فعرف انه كلام الله عز وجل بانه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع اعضائه (فاخلع نعليك) انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادى المقدس أو لانها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ أو لان الحفوة تواضع لله ومن ثمه طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما وألقاهما من وراء

شديد من الشتاء (أوأجد على النار) عند النار (هدى) من يدلنى على الطريق (فلما أتاها) فاذا هى شجرة خضراء تتوقد منها نار بيضاء (نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك) وكانت نعلاه من

الوادى (انك بالواد المقدس) المطهر أو المبارك (طوى) حيث كان منون شامى وكوفى لانه اسم علم للوادى وهو بدل منه
وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلاتنوين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وأ
اخترناك حمزة (فاستمع لمايوحى اليك) للذى يوحى أو للوحى واللام يتعلق
باستمع أو باخترتك (اننى
أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى)
وحدنى وأطعنى (وأقم
الصلوة لذكرى) لتذكرنى
فيها لاشتمال الصلاة على
الاذكار أو لانى ذكرتها
فى الكتب وأمرت بها أو
لان أذكرك بالمدح والثناء
أو لذكرى خاصة لاتشوبه
بذكر غيرى أو لتكون
لى ذاكرا غير ناس أو
لاوقات ذكرى وهى مواقيت
الصلاة لقوله ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا وقد حمل على ذكر
الصلاة بعد نسيانها وذا يصح
بتقدير حذف المضاف أى
لذكر صلاتى وهذا دليل
على انه لافريضة بعد التوحيد
أعظم منها (ان الساعة آتية)
لامحالة (أكاد) اريد عن
الاخفش وقيل صلة (أخفيها)
قيل هو من الاضداد أى
أظهرها أو أسترها عن العباد
فلا أقول هى آتية لارادتى
اخفاءها ولولا ما فى الاخبار
باتيانها مع تعمية وقتها من
الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا

جلد حمار ميت (انك بالواد
المقدس) المطهر (طوى)
اسم الوادى ويقال قد طوته
الانبياء قبلك ويقال طوى بئر قد طويت بالصخر فى ذلك الوادى الذى كانت فيه الشجرة (وأنا اخترتك) (تعالى)
بالرسالة الى فرعون (فاستمع لما يوحى) فاعمل بما تؤمر (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى) فأطعنى (وأقم الصلوة لذكرى) لو نسيت
سلاة فصلها حين ذكرتها (ان الساعة آتية) كائنة (أكاد اخفيها) اظهرها ويقال اسرها عن نفسى فكيف اظهرها لغيرى

الاهل والمال ﴿ انك بالواد المقدس ﴾ تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين ﴿طوى﴾ عطف بيان للوادى ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى أو المقدس أى نودى نداءين أو قدس مرتين ﴿وانا اخترتك ﴾ اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك ﴿فاستمع لمايوحى ﴾ للذى يوحى اليك أو للوحى واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين ﴿ اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى ﴾ بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل ﴿ واقم الصلوة لذكرى ﴾ خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهى تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها أو لان اذكرك بالثناء او لذكرى خاصة لاترائى بها ولاتشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهو مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتى لماروى انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكرى ﴿ ان الساعة آتية ﴾ كائنة لامحالة ﴿ اكاد اخفيها ﴾ اريد اخفاء وقتها او اقرب أن اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما فى اخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به أو اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه

بخلعهما صيانة للوادى المقدس وقيل أمر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من وراء الوادى ﴿ انك بالواد المقدس ﴾ أى المطهر ﴿طوى﴾ اسم للوادى الذى حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوى فى استدارته ﴿ وأنا اخترتك ﴾ اصفطيتك برسالاتى وبكلامى ﴿فاستمع لما يوحى ﴾ فيه نهاية الهيبة والجلال له كأنه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له ﴿ اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى ﴾ ولاتعبد غيرى ﴿ وأقم الصلوة لذكرى ﴾ أى لتذكرنى فيها وقيل لذكرى خاصة لاتشوبه بذكر غيرى وقيل لاخلاص ذكرى وطلب وجهى ولاترائى فيها ولاتقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة وأقم الصلوة لذكرى وفى رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول وأقم الصلوة لذكرى ﴿ ان الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسى فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا فى الكتمان للشئ يقولون كتمت سرك فى نفسى أى أخفيته غاية الاخفاء والله

متى تقوم كانوا على وجل منها فى كل وقت لما أخبرت به (لتجزى) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن العمل للساعة أو عن اقامة الصلاة أو عن الايمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به أمته (من لايؤمن بها) لايصدق بها (واتبع هواه) فى مخالفة أمره (فتردى) فتهلك (وماتلك بيمينك ياموسى) ما مبتدأ وتلك خبره وهى بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الاشارة أى قارة أو مأخوذة بيمينك أو تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التثبت أو للتوطين لئلا يهول انقلابها حية أو للايناس ورفع الهيبة للمكالمة (قال هى عصاى أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (واهش بها على غنمى) اخبط ورق الشجر على غنمى لتأكل (ولى فيها) حفص (مآرب) جمع ماربة بالحركات الثلاث وهى الحاجة (أخرى) والقياس أخر وانما قال أخرى ردا الى الجماعة أو لنسق الآى وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها

ويؤيده القرآءة بالفتح من خفاه اذا اظهره ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ متعلق بآتية أو باخفيها على المعنى الاخير ﴿ فلايصدنك عنها ﴾ عن تصديق الساعة أو عن الصلاة ﴿ من لايؤمن بها ﴾ نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لاأرينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه ﴿ واتبع هواه ﴾ ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها ﴿ فتردى ﴾ فتهلك بالانصداد بصده ﴿ وماتلك ﴾ استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب ﴿ بيمينك ﴾ حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك ﴿ ياموسى ﴾ تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه ﴿ قال هى عصاى ﴾ وقرئ عصى على لغة هذيل ﴿ اتوكأ عليها ﴾ اعتمد عليها اذا اعييت أو وقفت على رأس القطيع ﴿ واهش بها على غنمى ﴾ واخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها ﴿ ولى فيها مآرب اخرى ﴾ حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها

تعالى لايخفى عليه شئ والمعنى فى اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصى الى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لايزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى أو يتوب منها فى كل وقت مخافة معاجلة الاجل * قوله تعالى ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ أى بما تعمل من خير وشر ﴿ فلايصدنك عنها من لايؤمن بها ﴾ أى فلايصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لايؤمن بها ﴿ واتبع هواه ﴾ أى مراده وخالف أمر الله ﴿ فتردى ﴾ أى فتهلك * قوله عز وجل ﴿ وماتلك بيمينك ياموسى ﴾ سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيه وتوقيفه على انها عصى حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة ﴿ قال هى عصاى ﴾ قيل كان لها شعبتان وفى أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة ﴿ أتوكأ عليها ﴾ أى أعتمد عليها اذا مشيت واذا عييت وعند الوثبة ﴿ وأهش بها على غنمى ﴾ أى أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم ﴿ ولى فيها مآرب أخرى ﴾ أى حاجة ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا فى السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقى بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعدا وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل

(لتجزى كل نفس) برة أو فاجرة (بما تسعى) بما تعمل من الخير والسر (فلايصدنك عنها) فلايصرفنك عن الاقرار بها (من لايؤمن بها واتبع هواه) بالانكار وعبادة الاصنام (فتردى) فتهلك (وماتلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها) اعتمد عليها اذا اعييت (وأهش بها على غنمى) أخبط بها الشجرة لغنمى (ولى فيها مآرب أخرى) جوائج شتى،

شكرا أجل الباقي حياءمن التطويل أوليسأل عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام والمآرب الاخر انها كانت تماشيه و تحد
وتحارب العدو والسباع وتصير وشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زا
ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها

ويركزها فينبع

الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهو

والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا أولانها جواب سؤال آخر لانه لما قال هي عصاي قيل له ماتصنع بها فاخذ يعدد منافعها (قال ألقها ياموسى) اطرح عصاك لتفزع مما تتكئ عليه فلاتسكن الابناو ترى فيها كنه مافيها من المآرب فتعتمد علينا في المطالب (فالقاها) فطرحها (فاذا هي حية تسعى) تمشي سريعا قيل انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجرة فلما رآها تبتلع كل شئ خاف وانما وصف بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لان الحية اسم جنس تعم على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها أولانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا ولما (قال) له ربه (خذها ولاتخف) بلغ

وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر حقيقتها ومايرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجدمنها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيرا دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذ ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصى تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه ﴿قال القها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى﴾ قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى باعتبار اسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان ﴿قال خذها ولاتخف﴾ فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها

عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له مايأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر واذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقي وكانت تضئ بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿ألقها ياموسى﴾ أي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها ﴿فالقاها﴾ أي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة ﴿فاذا هي حية﴾ صفراء من أعظم مايكون من الحيات ﴿تسعى﴾ أي تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر كانها ثعبان وهو أكبر مايكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى والجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد ابن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم مايكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي ياموسى أقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف ﴿قال خذها﴾ أي بيمينك ﴿ولاتخف﴾

(قال ألقها) من يدك (ياموسى فالقاها) من يده (فاذا هي حية تسعى) تشتد راهعة رأسها تولى موسى هاربا ﴿ قيل
منها (قال) الله له (خذها) ياموسى (ولاتخف

من ذهاب خوفه ان أدخل يده في فها وأخذ بلحيها (سنعيدها) سنردها (سيرتها الاولى) تأنيث الاول والسيرة الحالة التي يكون عليها الانسان غريزية كانت أو مكتسبة وهي في الاصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانتصبت على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الاولى أي في حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت واري ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند

فرعون ثم نبه على آية أخرى فقال

﴿ سنعيدها سيرتها الاولى ﴾ هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه أو على الظرف أي سنعيدها في طريقتها أو على تقدير فعلها أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفعه قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فها واخذ بلحيها ﴿ واضمم يدك الى جناحك ﴾ الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران ﴿ تخرج بيضاء ﴾ كانها مشعة ﴿ من غير سوء ﴾ من غير عابة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه ﴿ آية اخرى ﴾ معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء أو من ضميرها أو مفعول باضمار خذ أو دونك ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ متعلق بهذا المضمر أو بما دل عليه الآية أو القصة أي دللنا بها أو فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا أو مفعول نريك ومن آياتنا حال منها ﴿ اذهب الى فرعون ﴾ بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة ﴿ انه طغى ﴾

قيل كان خوفه لما عرف مالقي آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان أدخل يده في فها وأخذ بلحيها ﴿ سنعيدها سيرتها الاولى ﴾ أي الى هيئتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيأ قال لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا ألقاها عند فرعون * قوله تعالى ﴿ واضمم يدك الى جناحك ﴾ أي الى ابطك وقيل تحت عضدك ﴿ تخرج بيضاء ﴾ أي نيرة مشرقة ﴿ من غير سوء ﴾ أن من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر ﴿ آية أخرى ﴾ أي دلالة أخرى على صدقك سوى العصا ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته * قوله عز وجل ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ أي جاوز الحد في العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثا الى الكل

(واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد جناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران والمعنى ادخلهما تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر (من غير سوء) برص (آية أخرى) لنبوتك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز ان ينتصب آية بفعل محذوف يتعلق به الامر (لنريك من آياتنا الكبرى) أي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغى) جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي وعرف

سنعدها) سنجعلها (سيرتها الاولى) (قا و خا ٢٥ نع) عصا كما كانت (واضمم يدك الى جناحك) أدخل يدك في أبطك (تخرج بيضاء) لها شعاع (من غير سوء) من غير برص (آية أخرى) علامة أخرى مع العصا (لنريك من آياتنا) من علاماتنا (الكبرى) العظمى (اذهب الى فرعون انه طغى) علا

انه كلف أمراعظيما يحتاج الى صدر فسيح (قال رب اشرح لى صدرى) وسعه ليحتمل الوحى والمشاق وردئ الاخلاق من فرعون وجنده (ويسرلى امرى) وسهل على ماامرتنى به من تبليغ الرسالة الى فرعون واشرح لى صدرى آكد من اشرح صدرى لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الاجمال والتفصيل لانه يقول اشرح لى ويسرلى علم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم رفع الابهام بذكر الصدر والامر (واحلل) افتح (عقدة من لسانى) وكان فى لسانه رتة للجمرة التى وضعها على لسانه فى صباه وذلك ان موسى اخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة فى صغره فاراد قتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لايعقل فجعلت فى طشت نارا وفى طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فامال الملك يده الى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها وروى أن يده احترقت واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها ومن لسانى صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى وهذا يشعر بانه لم تزل العقدة بكمالها وأكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولى) عند تبليغ الرسالة

عصى وتكبر ﴿ قال رب اشرح لى صدرى ويسرلى امرى ﴾ لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقى لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لى ابهام المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة ﴿ واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ﴾ فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبى لايفرق بين الجمرة والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها فى فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف فى

لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى ألبسك حلة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وانى أقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لايغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يتنفس الا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ رب اشرح لى صدرى ﴾ أى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لاأخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان أحدا لايقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ﴿ ويسرلى أمرى ﴾ سهل على ماأمرتنى به من تبليغ الرسالة الى فرعون ﴿ واحلل عقدة من لسانى ﴾ وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته آسية ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبى لايعقل وقيل ان أم موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ فى حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب اذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية أيها الملك انه صبى لايعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين فى أحدهما جمر وفى الآخر جوهر فوضعهما بين يدى موسى فاراد أن يأخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة ﴿ يفقهوا قولى ﴾ أى احلل العقدة كى يفهموا قولى

وتكبر وكفر (قال رب اشرح لى صدرى) لين لى قلبى لكى لاأخافه (ويسرلى أمرى) هون على تبلغ ﴿ و ﴾ الرسالة الى فرعون(واحلل عقدة من لسانى) أبسط رتة من لسانى(يفقهوا قولى) لكى

(واجعل لى وزيرا) ظهيرا اعتمد عليه من الوزر الثقل لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أو من الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى أموره اومعينا من الموازرة وهى المعاونة فوزيرا مفعول اول لاجعل والثانى (من اهلى) أولى وزيرا مفعولاه وقوله (هرون) عطف بيان لوزيرا وقوله (أخى) بدل أو عطف بيان آخر ووزيرا وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما عناية بامر الوزارة (أشدد به أزرى) قوبه ظهرى وقيل الازر القوة (وأشركه فى أمرى) اجعله شريكى فى النبوة والرسالة واشدد واشركه على حكاية النفس شامى على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال (كى نسبحك) نصلى لك وننزهك تسبيحا (كثيرا ونذكرك كثيرا) فى الصلوات وخارجها (انك كنت بنا بصيرا) عالما باحوالنا فاجابه الله تعالى حيث (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) أعطيت مسؤلك فالسؤال الطلبة فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز سولك بلاهمز أبو عمرو (ولقد مننا) أنعمنا (عليك مرة) كرة (أخرى) قبل هذه ثم فسرها فقال (اذ أوحينا الى أمك مايوحى) الهاما أو مناما حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك واذ ظرف لمننا ثم فسر مايوحى بقوله (ان اقذفيه) القبه

زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ياموسى ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح منى لسانا * وقوله ولايكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لسانى يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل ﴿ واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى ﴾ يعيننى على ما كلفتنى به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره أو من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلجأ اليه فى اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها فى موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولى صلة أو حال أو لى وزيرا وهرون عطف بيان للوزير أو وزيرا من اهلى ولى تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخى على الوجوه بدل من هرون أو مبتدأ خبره ﴿ اشدد به ازرى واشركه فى امرى ﴾ على لفظ الامر * وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر ﴿ كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ﴾ فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدى الى تكاثر الخير وتزايده ﴿ انك كنت بنا بصيرا ﴾ عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لى فيما امرتنى به ﴿ قال قد اوتيت سؤلك ياموسى ﴾ أى مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول ﴿ ولقد مننا عليك مرة اخرى ﴾ أى انعمنا عليك فى وقت آخر ﴿ اذ اوحينا الى امك ﴾ بالهام أو فى منام أو على لسان نبى فى وقتها أو ملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم ﴿ مايوحى ﴾ مالا يعلم الا بالوحى أو مما ينبغى ان يوحى ولايخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ﴿ ان اقذفيه

﴿ واجعل لى وزيرا من أهلى ﴾ أى معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال ﴿ هرون أخى ﴾ وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لسانا وأجمل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أقنى جعد ﴿ أشدد به أزرى ﴾ أى قوبه ظهرى ﴿ وأشركه فى أمرى ﴾ أى فى امر النبوة وتبليغ الرسالة ﴿ كى نسبحك كثيرا ﴾ أى نصلى لك كثيرا ﴿ ونذكرك كثيرا ﴾ أى نحمدك ونثنى عليك بما أوليتنا من جميل نعمك ﴿ انك كنت بنا بصيرا ﴾ أى خبيرا عليما ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ أى أعطيت جميع ماسألته ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ أى قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى ﴿ اذ أوحينا الى أمك مايوحى ﴾ أى مايلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال ﴿ أن اقذفيه

يفقهوا كلامى (واجعل لى وزيرا) معينا (من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى) قوبه ظهرى (وأشركه) يارب (فى أمرى) فى تبليغ رسالتى الى فرعون (كى نسبحك) نصل لك (كثيرا ونذكرك) بالقلب واللسان (كثيرا انك كنت بنا بصيرا) عالما (قال) الله له (قد أوتيت) أعطيت (سؤلك) ماسألت (ياموسى) فشرح الله له صدره ويسر أمره وبسط لسانه وجعل هرون له معينا (ولقد مننا عليك مرة أخرى) غير هذه (اذ أوحينا الى أمك) ألهمنا أمك (مايوحى) الذى يلهم (أن اقذفيه

(فى التابوت) وان مفسرة لان الوحى بمعنى القول (فاقذفيه فى اليم) النيل (فليلقه اليم بالساحل) الجانب وسمى ساحلا لان الماء يسحله أى يقشره والصيغة أمر ليناسب ماتقدم ومعناه الاخبار أى يلقيه اليم بالساحل (يأخذه عدولى وعدوله)
يعنى فرعون والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يفضى الى تنافر النظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى فى جوف التابوت روى انها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وقيرته ثم ألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا بصبى أصبح الناس وجها فاحبه فرعون حبا شديدا فذلك قوله (وألقيت عليك محبة منى) يتعلق منى بالقيت يعنى انى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب فما رآه أحد الا أحبه قال قتادة كان فى عينى موسى ملاحة ما رآه أحد الا أحبه (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (على عينى) أى لتربى بمرأى منى وأصله من صنع الفرس اى احسن القيام عليه يعنى انا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم

فى التابوت ﴾ بان اقذفيه أو أى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول ﴿ فاقذفيه فى اليم ﴾ والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله

غلام رماه الله بالحسن يافعا

﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض ﴿ يأخذه عدولى وعدوله ﴾ جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة أو لان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل أنها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال ﴿ والقيت عليك محبة منى ﴾ أى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق منى بالقيت أى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أو على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى

فى التابوت ﴾ أى ألهمناها أن اجعليه فى التابوت ﴿ فاقذفيه فى اليم ﴾ يعنى نهر النيل ﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ يعنى شاطئ البحر ﴿ يأخذه عدولى وعدوله ﴾ يعنى فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وشقوقه ثم ألقته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يجئ به الماء فامر الغلمان والجوارى باخراجه فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى ﴿ وألقيت عليك محبة منى ﴾ قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قيل ما رآه أحد الا أحبه لملاحة كانت فى عينى موسى ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به

فى التابوت) ان اطرحى الصبى فى التابوت البردى (فاقذفيه فى اليم) فاطرحى التابوب فى البحر (فليلقه اليم) البحر (ونظر) (بالساحل) على الشط (يأخذه) يرفعه (عدولى) بالدين يعنى فرعون (وعدوله) بالقتل (وألقيت عليك محبة منى) ياموسى من رآك أحبك (ولتصنع على عينى) وما صع باك كاز

يزيد على انه امر منه (اذ تمشى) بدل من اذ اوحينا الان مشى اخته كان منة عليه (اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله) روى ان اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لايقبل ثدى امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه الى نفسه فيربيه وأرادت بذلك المرضعة الام وتذكير الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك)فرددناك (الى أمك) كما وعدناها بقولنا انا رادوه اليك (كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقتلت نفسا) قبطيا كافرا (فنجيناك من الغم) من القود قيل الغم القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى ونجاه من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء بايقاعك فى المحن وتخليصك منها والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أى فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل مايبتلى الله به عباده فتنة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فلبثت سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر لصفوراء وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد (ثم جئت على قدر

﴿ اذ تمشى اختك ﴾ ظرف لالقيت أو لتصنع أو بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع ﴿ فتقول هل ادلكم على من يكفله ﴾ وذلك لانه كان لايقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها ﴿ فرجعناك الى امك ﴾ وفاء بقولنا انا رادوه اليك ﴿ كى تقر عينها ﴾ بلقائك ﴿ ولا تحزن ﴾ هى بفراقك أو انت بفراقها وفقد اشفاقها ﴿ وقتلت نفسا ﴾ نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين ﴿ وفتناك فتونا ﴾ وابتليناك ابتلاء أو انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور فى حجرة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره ﴿ فلبثت سنين فى اهل مدين ﴾ لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثمانى مراحل من مصر ﴿ ثم جئت على قدر ﴾ قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم

ونظر اليه ﴿ اذ تمشى أختك ﴾ واسمها مريم متعرفة خبره ﴿ فتقول هل أدلكم على من يكفله ﴾ أى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لايقبل ثدى امرأة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى ﴿ فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ﴾ أى بلقائك ورؤيتك ﴿ ولا تحزن ﴾ أى وليذهب عنها الحزن ﴿ وقتلت نفسا ﴾ قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنتى عشرة سنة ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ أى من غم القتل وكربه ﴿ وفتناك فتونا ﴾ قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها ان أمه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدى أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا ﴿ فلبثت ﴾ أى مكثت ﴿ سنين فى اهل مدين ﴾ هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى الغنم مهر زوجته صفوراء ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هاربا ﴿ ثم جئت على قدر

فى منظرى (اذ تمشى أختك) فدخلت قصر فرعون (فتقول هل أدلكم على من يكفله) يرضعه (فرجعناك) فرددناك (الى أمك كى تقر عينها) تطيب نفسها (ولا تحزن) على ابنها بالهلاك (وقتلت نفسا) قبطيا (فنجيناك من الغم) من غم القود (وفتناك فتونا) ابتليناك ببلاء مرة بعد مرة (فلبثت) مكثت (سنين) عشر سنين (فى أهل مدين ثم جئت على قدر) على مقدورى بالكلام والرسالة

ياموسى)أى موعدومقدارللرسالةوهوأربعون سنة(واصطنعتك لنفسى) اخترتك واصطفيتك لوحي ورسالتى لتتصرف

على ارادتى ومحبتى قال اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجة

وقته المعين ولامستأخر أوعلى مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء ﴿ياموسى﴾ كرره عقيب ماهوغاية الحكاية للتنبيه على ذلك ﴿ واصطنعتك لنفسى ﴾ واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة عن قربه الملك واستخلصه لنفسه ﴿اذهب انت واخوك بآياتى ﴾ بمعجزاتى ﴿ولاتنيا﴾ ولاتفترا ولاتقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء ﴿فى ذكرى﴾ لاتنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الى ﴿اذهبا الى فرعون انه طغى﴾ امر به اولاموسى وحده وههنا اياه واخاه فلاتكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله ﴿ فقولاله قولا لينا﴾ مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما أواحتراما لماله من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لايهرم بعده وملكا لايزول الا بالموت ﴿لعله يتذكر أو يخشى ﴾ متعلق باذهبا أوقولا أى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولايخيب سعيكما

ياموسى ﴾ أى جئت على القدر الذى قدرت أن تجئ فيه قيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى الانبياء فيه ﴿ واصطنعتك لنفسى ﴾ أى اخترتك واصطفيتك لوحي ورسالتى لتتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لامرى و جعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى الذى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتى ﴾ أى بدلائلى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى عليه السلام ﴿ولاتنيا﴾ أى لاتضعفا وقيل لاتفترا ولاتقصرا ﴿فى ذكرى﴾ أى لاتقصرا فى ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها ﴿ اذهبا الى فرعون انه طغى فقولاله قولا لينا﴾ أى دارياه وارفقابه قال ابن عباس لاتعنفا فى قولكما وقيل كنياه فقولاله ياأبا العباس وقيل ياأبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك الى ان تزكى الآية وقيل انما أمرهما باللطافة لماله من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لايهرم وملكا لاينزع منه الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لايقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقال فرعون صواب ماقلت فغلبه على رأيه وكان هرون بمصر فامر الله موسى أن يأتى هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة وأخبره بما أوحى اليه * وقوله تعالى ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ أى يتعظ ويخاف فيسلم * فان قلت كيف قال لعله يتذكر

والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) بمعجزاتى (ولاتنيا) تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير (فى ذكرى) أى اتخذاذكرى جناحا تطيران به أوأريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذهبا الى فرعون) كرر لان الاول مطلق والثانى مقيد (انه طغى) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فقولاله قولا لينا) الطفاله فى القول لماله من حق تربية موسى أوكنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث ابوالعباس وابوالوليد وابومرة اوعداه شبابا لايهرم بعده وملكا لاينزع عنه الا بالموت اوهو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لعله يتذكر) أى يتعظ ويتأمل فيذعن للحق (أويخشى) أى يخاف ان

الى فرعون (ياموسى واصطنعتك لنفسى) اصطفيتك لنفسى بالرسالة (اذهب أنت وأخوك)

هرون (بآياتى) باليدوالعصا (ولاتنيا فى ذكرى) لاتضعفا ولاتعجزا ولاتفترا فى تبليغ رسالتى الى فرعون(اذهبا (وقد الى فرعون انه طغى) علا وتكبر وكفر(فقولاله قولا لينا)لطيفا لااله الاالله ويقال كنياه(لعله يتذكر) يتعظ(أويخشى) أويسلم

يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة واغا قال لعله يتذكر مع علمه انه لايتذكر لان الترجي لهما أى اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه لعله يتذكر متذكر { أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشى وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لايقطع أمرا دونه وتليت عند يحي بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول أنا الله فكيف بمن قال انت الاله وهذا رفقك بمن قال أنا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه اى عجل (أو أن يطغى) يجاوز الحد فى الاساءة الينا (قال لاتخافا اننى معكما) اى حافظكما وناصركما (اسمع) اقوالكم (وارى) افعالكم قال ابن عباس رضى الله عنهما اسمع دعاءكما فاجيبه وارى مايراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما (فأتياه) اى فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فارسل معنا بنى اسرائيل) اى طلقهم عن الاستعباد والاسترقاق (ولاتعذبهم) بتكاليف

فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لايؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ماحدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول أى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهم فيخشى ﴿قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا﴾ ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل * وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة أى نخاف ان يحمله حامل من استكبار اوخوف على الملك اوشيطان انسى اوجنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية ﴿أوان يطغى﴾ ان يزداد طغيانا فيتجرأ الى ان يقول فيك مالاينبغى لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب ﴿قال لاتخافا اننى معكما﴾ بالحفظ والنصر ﴿اسمع وارى﴾ مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث فى كل حال مايصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لايقدر شئ على معنى اننى حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ ﴿فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل﴾ اطلقهم ﴿ولاتعذبهم﴾ بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل ويقتلون ذكور اولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز

وقد سبق فى علمه انه لايتذكر ولايسلم * قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكرا ويخشى خاش اذا رأى برى والطافى بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق وقرأ رجل عند يحيي بن معاذ الرازى فقولا قولا لينا الآية فبكى يحيي وقال الهى هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله ﴿قالا﴾ يعنى موسى وهرون ﴿ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا﴾ قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة ﴿أو ان يطغى﴾ أى يجاوز الحد فى الاساءة الينا ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿لاتخافا اننى معكما اسمع وارى﴾ قال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وأرى مايراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿فأتياه فقولا انا رسولا ربك﴾ أى ارسلنا اليك ربك ﴿فارسل معنا بنى اسرائيل﴾ أى خل عنهم وأطلقهم من أعمالك ﴿ولا تعذبهم﴾ أى لاتتعبهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء وقطع

(قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط) أن يعجل (علينا) بالضرب (أو ان يطغى) بالقتل (قال) الله لهما (لاتخافا) من الضرب والقتل (انى معكما) معينكما (أسمع) مايرد عليكما (وأرى) صنعه بكما (فأتياه) يعنى فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فارسل معنا بنى اسرائيل) نذهب بهم الى أرضهم (ولاتعذبهم) لاتتعبهم بالعمل وذبح الابناء واستخدام

الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (انا قداوحى الينا أن العذاب) فى الدنيا والعقبى (على من كذب) بالرسل (وتولى) اعرض عن الايمان وهى أرجى آى القرآن لانه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شئ فاتياه وأديا الرسالة وقالا له ماأمرابه (قال فمن ربكما ياموسى) خاطبهما ثم نادى أحدهما لان موسى هو الاصل فى النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه) خلقه أول مفعولى أعطى أى أعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أى أعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذا الانف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرأ نصير خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أى

ان يكون للتدريج فى الدعوة ﴿قدجئناك بآية من ربك﴾ جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قدجئتكم ببينة فائت بآية قال أولو جئتك بشئ مبين ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة فى الدارين لهم ﴿ انا قداوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى﴾ ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق ﴿ قال فمن ربكما ياموسى ﴾ أى بعدما اتياه وقالا له ماامرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا امر بشئ فعله لامحالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى عليهما الصلاة والسلام بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه أو لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله أم انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ﴿ قال ربنا الذى اعطى كل شئ ﴾ من الانواع ﴿خلقه ﴾ صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له أو اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا ٭ وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كل مخلوق مايصلحه ﴿ ثم هدى ﴾ ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا أو طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ماعداه مفتقر اليه منعم عليه فى حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذى

الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك ﴿ قدجئناك بآية من ربك ﴾ قال فرعون وماهى فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قدجئناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على ماادعيناه من الرسالة ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب من أسلم ﴿ انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ أى انما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿فمن ربكما ياموسى﴾ أى فمن الهكما الذى ارسلكما ﴿قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ أى كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطى كل شئ صلاحه وهداه وقيل اعطى كل شئ صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب

أعطى كل شئ مخلوق عطاء (ثم هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة فى الدنيا والسعادة (والمنكح)

النساء لانهم احرار (قدجئناك بآية) بعلامة (من ربك) يعنى باليد وهو أول آية أراها الله فرعون (والسلام على من اتبع الهدى) التوحيد (انا قد أوحى الينا أن العذاب) الدائم (على من كذب) التوحيد (وتولى) عن الايمان (قال) فرعون (فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه) شكله للانسان انسانا وللبعير ناقة وللحمار اتانا وللشاة النعجة (ثم هدى) ثم ألهم الاكل

كفر والخم عن الدخل عليه فلم ير الاصرف الكلام عنه ﴿ قال فمابال القرون الاولى ﴾ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة ﴿ قال علمها عند ربي ﴾ أي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به ﴿ في كتاب ﴾ مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيد. ﴿ لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ والضلال ان تخطئ الشئ في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى ﴿ الذي جعل لكم الارض مهادا ﴾ مرفوع صفة لربي أو خبر لمحذوف أو منصوب على المدح * وقرأ الكوفيون مهدا أي كالمهد تمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد ﴿ وسلك لكم فيها سبلا ﴾ وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها ﴿ وانزل من السماء ماء ﴾ مطرا ﴿ فاخرجنا به ﴾ عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال

والمنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهي الحجرة والحمار الاتان ثم هدى الهمه كيف يأتي الذكر الانثى ﴿ قال ﴾ يعني فرعون ﴿ فما بال القرون الاولى ﴾ أي فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى ﴿ قال ﴾ يعني موسى ﴿ علمها عند ربي ﴾ أي اعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه ﴿ في كتاب ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿ لا يضل ربي ﴾ اي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شئ ﴿ ولا ينسى ﴾ اي فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها ﴿ الذي جعل لكم الارض مهادا ﴾ أي فراشا وقيل مهدها لكم ﴿ وسلك لكم سبلا ﴾ أي ادخل في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها ﴿ وانزل من السماء ماء ﴾ يعني المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى ﴿ فاخرجنا به ﴾ أي [illegible]

ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيأ يقال ضللت الشئ اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطئ في سعادة الناس و شقاوتهم (ولا ينسى) ثوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه (الذي) مرفوع صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح (جعل لكم الارض مهدا) كوفي وغيرهم مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش (وسلك) اي جعل (لكم فيها سبلا) طرقا (وانزل من السماء ماء) اى مطرا (فاخرجنا به) بالماء نقل الكلام من الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع للامتنان وقيل تم كلام موسى ثم اخبر الله تعالى

والشرب والجماع (قال) فرعون لموسى (فما بال) القرون [illegible]

الماضية عندك كيف هلكوا (قال) موسى (قاوخا ٢٦ يع) (علمها) [illegible] المحفوظ (لا يضل ربي) لا يخطئ ولا يذهب عليه [illegible] (ولا ينسى) [illegible] (وسلك) جعل (لكم فيها) في الارض (سبلا) طرقا تذهبون وتجيئون فيها (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) بالمطر

عن نفسه بقوله فاخرجنابه وقيل هذا كلام موسى اى فاخرجنا نحن بالحراثة والغرس (ازواجا) اصنافا (من نبات) هو مصدر سمى به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع (شتى) صفة للازواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى أى انها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى ان أرزاقنا تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر على أكله قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير فى فاخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (ان فى ذلك) فى الذى ذكرت (لآيات) لدلالات (لاولى النهى) لذوى العقول واحدها نهية لانها تنهى عن المحظور أو ينتهى اليها فى الامور (منها) من الارض (خلقناكم) اى اباكم آدم عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة بشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا

او لان النطفة من الاغذية وهى من الارض (وفيها نعيدكم) اذامتم فدفنتم (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة اخرى) مرة اخرى والمراد باخراجهم انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر عدد الله عليهم ماعلق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف النبات التى منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى اصلهم الذى منه تفرعوا وامهم التى منها ولدوا وهى كفاتهم اذاماتوا (ولقد اريناه) اى فرعون (آياتنا كلها) وهى تسع آيات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضادع والدم ونتق الجبل

القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ﴿ ازواجا ﴾ اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض ﴿ من نبات ﴾ بيان وصفة لازواجا وكذلك ﴿ شتى ﴾ ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى أى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال ﴿ كلوا وارعوا انعامكم ﴾ وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى ماهو معدبها الا لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ﴿ ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ﴾ لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية ﴿ منها خلقناكم ﴾ فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ بالموت وتفكيك الاجزاء ﴿ ومنها نخرجكم تارة اخرى ﴾ بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها ﴿ ولقد أريناه آياتنا ﴾ بصرناه اياها أو عرفناه صحتها ﴿ كلها ﴾ تأكيد لشمول الانواع أو لشمول الافراد على ان المراد

﴿ أزواجا ﴾ أى أصنافا ﴿ من نبات شتى ﴾ أى مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ماهو للناس ومنها ماهو للدواب ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ أى أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعى ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الذى ذكر ﴿ لآيات لاولى النهى ﴾ أى لذوى العقول قيل هم الذين ينهون عما حرم الله عليهم ﴿ منها خلقناكم ﴾ أى من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذى يدفن فيه فيذره فى النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ أى عند الموت والدفن ﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ أى يوم القيامة للبعث والحساب ﴿ قوله تعالى ﴿ ولقد أريناه ﴾ يعنى فرعون ﴿ آياتنا كلها ﴾

﴿ يعنى ﴾

(أزواجا) اصنافا (من نبات شتى) مختلفا ألوانه (كلوا) يعنى ماتأكلون (وارعوا) ماترعون (أنعامكم) من عشبها (ان فى ذلك) فى اختلافها وألوانها (لآيات) لعلامات (لاولى النهى) لذوى العقول من الناس (منها) من الارض (خلقناكم) يقول خلقناكم من آدم وآدم من تراب والتراب من الارض (وفيها) وفى الارض (نعيدكم) يقول نقبركم (ومنها) من الارض (نخرجكم) يقول من القبور نخرجكم (تارة أخرى) مرة أخرى بعد الموت للبعث (ولقد أريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من

(فكذب)الآيات (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك ياموسى) فيه دليل على انه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعال والافأى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) فلنعارضنك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أى مكان موعد والضمير فى (لانخلفه) للموعد قرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعد (نحن ولاأنت مكانا) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز

أن لايقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لانخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالكسر حجازى وأبو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت لمكانا أى منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعدكم يوم الزينة) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على تأويل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لامحالة فبذكر الزمان علم المكان وعلى الثانى تقديره وعدكم وعد يوم الزينة (وان يحشر الناس) أى تجمع فى موضع رفع أوجر عطفا على يوم أوالزينة (ضحى) أى وقت

بآياتنا آيات معهودة وهى الآيات التسع المختصة بموسى أوانه عليه السلام اراه آياته وعدد عليه ماأوتى غيره من المعجزات ﴿ فكذب ﴾ موسى من فرط عناده ﴿ وابى ﴾ الايمان والطاعة لعتوه ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا ﴾ رض مصر ﴿ بسحرك ياموسى ﴾ هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لايقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ﴿ فلنأتينك بسحر مثله ﴾ مثل سحرك ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعدا ﴾ وعدا لقوله ﴿ لانخلفه نحن ولاانت ﴾ فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان وانتصاب ﴿ مكانا سوى ﴾ بفعل دل عليه المصدر لابه لانه موصوف أوبانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله ﴿ قال موعدكم يوم الزينة ﴾ من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم أوباضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول أووعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء أويوم النيروز أويوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار ﴿ وان يحشر الناس ضحى ﴾ عطف على اليوم أوعلى الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم

يعنى الآيات التسع التى أعطاها الله تعالى موسى ﴿ فكذب وأبى ﴾ يعنى فرعون وزعم انها سحر وأبى ان يسلم ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ أجئتنا لتخرجنا من أرضنا ﴾ يعنى مصر ﴿ بسحرك ياموسى ﴾ تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها ﴿ فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا ﴾ أى اضرب أجلا وميقاتا ﴿ لانخلفه ﴾ لانجاوزه ﴿ نحن ولاأنت مكانا سوى ﴾ أى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوى مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾ قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون فى كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ أى وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون أبعد من الريبة

الضحوة لتكون ابعد من الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع فى جميع اهل الوبر

الثمرات (فكذب) بالآيات وقال ليس هذا من الله (وأبى) أن يسلم ولم يقبل الآيات (قال) لموسى (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله) مثل ماجئتنا به (فاجعل بيننا وبينك) ياموسى (موعدا) أجلا (لانخلفه) لانجاوزه (نحن ولاانت مكانا سوى) غير هذه ويقال سوى أى عدلا ونصفا بيننا وبينك ان قرئت بضم السين (قال) موسى (موعدكم) أجلكم (يوم الزينة) وهو يوم السوق ويقال يوم العيد ويقال يوم النيروز (وان يحشر) يجمع (الناس) من المدائن (ضحى) ضحوة

والمدر (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (فجمع كيده) مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين أو أربعمائة أو سبعين ألفا (ثم أتى) للموعد (قال لهم موسى)أي للسحرة (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا)لاتدعوا آياته و معجزاته سحرا (فيسحتكم) كوفي غير أبي بكر يهلككم و بفتح الياء والحاء غيرهم والسحت والاسحات بمعنى الاعدام وانتصب على جواب النهي (بعذاب) عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا أي السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أي لاتفتروا على الله كذبا الآية (أمرهم بينهم واسروا النجوى) أي تشاوروا في السر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا الكلام يعني (قالوا ان هذان لساحران) يعني موسى وهرون قرأ أبو عمرو ان هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هي بمعنى ما واللام بمعنى الا أي ماهذان الاساحران دليله قراءة أبي ان ذان الاساحران وغيرهم ان هذان لساحران قيل هي لغة بلحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية في لغتهم بالالف أبدا فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسعدى قال * ان أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها * وقال الزجاج ان بمعنى نعم قال الشاعر * ويقلن شيب قد علا * ك وقد كبرت فقلت انه * أي نعم والهاء للوقف وهذان مبتدأ وساحران خبر (يريدان) مبتدأ محذوف واللام داخلة على المبتدأ المحذوف تقديره هذان لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدأ قال * خالي لانت ومن جرير خاله * قال فعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه

أو ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه ﴿فتولى فرعون فجمع كيده﴾ ما يكاد به يعني السحرة والآتهم ﴿ثم أتى﴾ بالموعد ﴿قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا﴾ بان تدعوا آياته سحرا ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ فيهلككم ويستأصلكم به * وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز ﴿وقد خاب من افترى﴾ كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي تنازعت السحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة ﴿واسروا النجوى﴾ بان موسى ان غلبنا اتبعناه أو تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه قوله ﴿قالوا ان هذان لساحران﴾ تفسير لاسروا النجوى كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية

﴿فتولى فرعون فجمع﴾ يعني فرعون ﴿كيده﴾ يعني مكره وسحره وحيله ﴿ثم أتى﴾ يوم الميعاد ﴿قال لهم موسى﴾ يعني للسحرة التي جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثني عشر الفا ﴿ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب﴾ أي فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى)) أي أي خسر من ادعى مع الله الها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى * قوله تعالى ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في أمر موسى سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ﴿وأسروا النجوى﴾ أي المناجاة ﴿قالوا﴾ قال بعضهم لبعض سرا ﴿ان هذان لساحران﴾ يعني موسى وهرون

(فتولى فرعون) فرجع فرعون الى أهله (فجمع كيده) حيلته وسحرته اثنين وسبعين ساحرا (ثم أتى) الموعد (قال لهم موسى) للسحرة (ويلكم) ضيق الله عليكم الدنيا (لاتفتروا) لاتختلقوا (على الله كذبا فيسحتكم) فيهلككم (بعذاب) من عنده (وقد خاب) خسر (من افترى) اختلق على الله الكذب (فتنازعوا أمرهم بينهم) فتشاوروا فيما بينهم ان غلب علينا موسى آمنا به (وأسروا) هسا (النجوى) من فرعون ثم (قالوا) بالاثنية (ان هذان لساحران) بلغة بني الحرث بن كعب وانما قال ان هذان على اللغة لا على الاعراب يقال قال لهم فرعون ان هذان موسى

أبو على (يريدان ان يخرجاكم من ارضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم) بدينكم وشريعتكم (المثلى) الفضلى تأنيث الامثل
وهو الافضل (فاجمعوا) فاحكموا أى اجعلوه مجمعا عليه حتى لاتختلفوا فاجمعوا أبو عمرو ويعضده فجمع كيده (كيدكم)
هو ما يكاد به (ثم ائتوا صفا) مصطفين حال أمروا بان يأتوا صفا لانه أهيب
فى صدور الرائين (وقد افلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أى السحرة (ياموسى اما أن تلقى) عصاك أولا (واما أن نكون أول من ألقى) ما معنا وموضع أن مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر أو رفع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر القاؤك أو القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معدوكانه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركته وعلم موسى اختيار القائهم أولا حتى (قال بل ألقوا) أنتم اولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) يقال فى اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها وخصت

واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها
وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لاتدخل خبر المبتدأ وقيل اصله
انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لايليق به الحذف
وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هى المخففة
واللام هى الفارقة أو النافية واللام بمعنى الا ﴿ يريدان ان يخرجاكم من ارضكم ﴾
بالاستيلاء عليها ﴿ بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾ بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب
باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم
وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بنى اسرائيل
وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾
فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لايتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده
قوله فجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ﴿ ثم ائتوا صفا ﴾
مصطفين لانه اهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا
واقبلوا عليه اقبالة واحدة ﴿ وقد افلح اليوم من استعلى ﴾ فاز بالمطلوب من غلب وهو
اعتراض ﴿ قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى ﴾ أى بعد ما اتوا مراعاة
للادب وان بما بعدها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف أى اختر القاءك اولا
او القاءنا اوالامر القاؤك أو القاؤنا ﴿ قال بل القوا ﴾ مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة
بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول فى شقهم وتغيير النظم
الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف
بالحق على الباطل فيدمغه ﴿ فاذا حبالهم وعصيهم

﴿ يريدان أن يخرجاكم من أرضكم ﴾ يعنى من مصر ﴿ بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى ﴾ قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس
عنكم وقيل أراد أهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل يعنى يريدان أن يذهبا بهم لانفسهما
وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبدينكم الذى أنتم عليه ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾ أى لاتدعوا شيأ
من كيدكم الا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل
أمركم ﴿ ثم ائتوا صفا ﴾ أى جميعا مصطفين ليكون أشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان
الموعود به ﴿ وقد أفلح اليوم من استعلى ﴾ أى فاز من غلب ﴿ قالوا ﴾ يعنى السحرة ﴿ ياموسى
اما أن تلقى ﴾ أى عصاك ﴿ واما أن نكون أول من ألقى ﴾ أى عصينا ﴿ قال ﴾ يعنى موسى
﴿ بل ألقوا ﴾ يعنى أنتم أولا ﴿ فاذا حبالهم ﴾ فيه اضمار أى فألقوا فاذا حبالهم ﴿ وعصيهم

وهرون لساحران (يريدان أن يخرجاكم) يعنى موسى وهرون (من ارضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم) بدينكم وحالكم
(المثلى) الامثل فالامثل أهل الرأى والشرف (فأجمعوا كيدكم) مكركم وسحركم وعلمكم (ثم ائتوا صفا) جميعا (وقد
أفلح) فاز (اليوم من استعلى قالوا) يعنى السحرة لموسى (ياموسى اما أن تلقى) عصاك الى الارض أولا (واما أن نكون أول من ألقى قال)
لهم موسى (بل ألقوا) أنتم أولا فالقوا اثنين وسبعين عصا واثنين وسبعين حبلا (فاذا حبالهم وعصيهم

في بعض المواضع بان يكون ناصبا فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لاغير والتقدير ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي (يخيل) وبالتاء ابن ذكوان (اليه) الى موسى (من سحرهم انها تسعى) رفع بدل اشتمال من الضمير في يخيل أي يخيل الملقى روى انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أضمر في نفسه خوفا ظنا منه أنها تقصده للجبلة البشرية

الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لاتخف انك انت الاعلى) الغالب القاهر وفي ذكران وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة (والق ما في يمينك تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وتلقف ابن ذكوا الباقون تلقف (ماصنعوا) زورا وافتعلوا أي اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها لاتحتفل بماصنعوا فان ما في يمينك أعظم منها أو تحقيرا أي لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الذي في يمينك فانه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها (انما صنعوا كيد ساحر) كوفي غير عاصم سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر اوهم لتوغلهم في السحر كانهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة أو مصدرية وانما وحد ساحر ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لاالى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد (ولايفلح)

يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ﴾ أي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل بالياء على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل ﴿ فاوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ماهو مقتضى الجبلة البشرية أو من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿ قلنا لاتخف ﴾ ماتوهمت ﴿ انك انت الاعلى ﴾ تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ﴿ والق ما في يمينك ﴾ ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أي لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك أو تعظيما لها أي لاتحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ماهو اعظم منها اثرا فالقه ﴿ تلقف ماصنعوا ﴾ تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال او على الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته والبزي بتشديد التاء ﴿ ان ماصنعوا ﴾ الذي زوروا وافتعلوا ﴿ كيد ساحر ﴾ وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة

يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ قيل انهم لما ألقوا الحبال والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى كان الارض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا في ميل من كل جانب ورآها كانها تسعى ﴿ فاوجس ﴾ أضمر وقيل وجد ﴿ في نفسه خيفة موسى ﴾ قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في أمره فلا يتبعوه ﴿ قلنا لاتخف ﴾ أي قال الله تعالى لموسى لاتخف ﴿ انك أنت الاعلى ﴾ أي الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر ﴿ وألق ما في يمينك ﴾ اي عصاك والمعنى لايخيفك كثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شيأ أعظم منها كلها ﴿ تلقف ﴾ أي تلتقم وتبتلع ﴿ ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ﴾ أي حيلة ساحر

يخيل اليه) أري موسى (من سحرهم انها تسعى) تمضي (فاوجس في نفسه خيفة موسى) يقول أضمر موسى في قلبه الخوف خاف أن لايظفر بهم فيقتلون من آمن به (قلنا)لموسى(لاتخف انك أنت الاعلى) الغالب عليهم (وألق) على الارض ((ما في يمينك) ياموسى (تلقف) تلقم (ماصنعوا) ماطرحوا من العصى والحبال (انما صنعوا) طرحوا (كيد ساحر) عمل

ألاترى الى قوله (ولايفلح الساحر) اى هذا الجنس (حيث أتى) أينما كان فالقى موسى عصاه فتلقفت ماصنعوا فلعظم مارأوا من الآية وقعوا الى السجود فلذلك قوله (فالقى السحرة سجدا) قال الاخفش من سرعة ماسجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم و عصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين روى انهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رؤسهم ثم (قالوا آمنا برب هرون وموسى) وانما قدم هرون هنا وأخر فى الشعراء محافظة للفاصلة ولان الواو لاتوجب ترتيبا (قال آمنتم) بغير مد حفص و بهمزة ممدودة بصرى وشامى وحجازى وبهمزتين غيرهم (له قبل أن آذن لكم) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) لعظيمكم أو لمعلمكم تقول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى (فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعنى لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن المظروف فى الظرف فلهذا قال (ولاصلبنكم فى جذوع النخل)

والكسائى سحر بمعنى ذى سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ﴿ ولايفلح الساحر ﴾ أى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ماأعدت * فى سعى دنيا طالما قدمدت

كأنه قيل انما صنعوا كيد سحرى ﴿ حيث أتى ﴾ حيث كان واين اقبل ﴿ فالقى السحرة سجدا ﴾ أى فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما رأوا ﴿ قالوا آمنا برب هرون وموسى ﴾ قدم هرون لكبر سنه أو لروى الآية أو لان فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها ﴿ قال آمنتم له ﴾ أى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع * وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام ﴿ قبل ان آذن لكم ﴾ فى الايمان له ﴿ انه لكبيركم ﴾ لعظيمكم فى فنكم واعلمكم به أو لاستاذكم ﴿ الذى علمكم السحر ﴾ وانتم تواطأتم على مافعلتم ﴿ فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى حيز النصب على الحال أى لاقطعنها مختلفات * وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾

﴿ ولايفلح الساحر حيث أتى ﴾ أى من الارض وقال ابن عباس لايسعد حيث كان ﴿ فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى ﴾ قال صاحب الكشاف سبحان الله ماأعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا أراهم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم ﴾ أى لرئيسكم وعظيمكم يعنى انه أسحركم وأعلاكم فى صناعة السحر ومعلمكم ﴿ الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ أى أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾ أى على جذوع النخل

سحر (ولايفلح) لايأمن ولاينجو من عذاب الله ولايفوز (الساحر حيث أتى) أينما كان (فالقى السحرة سجدا) سجدوا من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا (قالوا) يعنى السحرة (آمنا برب هرون وموسى قال) لهم فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم) قبل ان آمركم به (انه) يعنى موسى (لكبيركم) عالمكم (الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) على جذوع النخل

و خص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن اينا اشد عذابا) انا على ايمانكم بي أورب موسى على ترك الايمان به وقيل
يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله بغير الله كقوله
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وابقى) أدوم (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاء من البينات) القاطعة الدالة على صدق
موسى (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا أى لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤثرك
مقدم على القسم (فاقض ماانت قاض) فاصنع ماأنت صانع من القتل والصلب

شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ﴿ ولتعلمن اينا ﴾
يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع
موسى والهزؤ به فانه لم يكن من التعذيب في شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به ﴿ اشد عذابا
وابقى ﴾ وادوم عذابا ﴿ قالوا لن نؤثرك ﴾ لن نختارك ﴿ على ماجاءنا ﴾ موسى به ويجوز
ان يكون الضمير فيه لما ﴿ من البينات ﴾ المعجزات الواضحات ﴿ والذى فطرنا ﴾ عطف
على ماجاءنا أو قسم ﴿ فاقض ماانت قاض ﴾ ماانت قاضيه اى صانعه او حاكم به ﴿ انما تقضى
هذه الحيوة الدنيا ﴾ انما تصنع ماتهواه أو تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو
كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة ﴿ انا آمنا
بربنا ليغفر لنا خطايانا ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ وما اكرهتنا عليه من السحر ﴾ في
معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا
فقالوا ماهذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ﴿ والله خير وابقى

﴿ ولتعلمن أينا أشد عذابا ﴾ أى على ايمانكم به أنا أورب موسى على ترك الايمان به
﴿ وأبقى ﴾ أى أدوم ﴿ قالوا ﴾ يعنى السحرة ﴿ لن نؤثرك ﴾ أى لن نختارك
﴿ على ماجاءنا من البينات ﴾ يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد البيضاء والعصا
وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا
رأوا الجنة والنار ورأوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من
البينات ﴿ والذى فطرنا ﴾ قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذى فطرنا
﴿ فاقض ماأنت قاض ﴾ أى فاصنع ماأنت صانع ﴿ انما تقضى هذه الحيوة الدنيا ﴾
أى انما أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب ﴿ انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
وما أكرهتنا عليه من السحر ﴾ فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين
قلت كان فرعون أكرههم في الابتداء على تعلم السحر لكى لا يذهب أصله وقيل كانت السحرة
اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وكان فرعون اكره الذين هم من بنى
اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون أرنا موسى اذا هو نام فاراهم موسى نائما وعصاه
تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم الا ان كرههم على
ان يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر ﴿ والله خير وأبقى ﴾ أى خير منك

قال * وعليهما مسرودتان
قضاهما * أى صنعهما
أى احكم ماأنت حاكم (انما
تقضى هذه الحيوة الدنيا)
أى في هذه الحياة الدنيا
فانتصب على الظرف أى
انما تحكم فينا مدة حياتنا
(انا آمنا بربنا ليغفر لنا
خطايانا وما أكرهتنا
عليه) ما موصلة منصوبة
بالعطف على خطايانا
(من السحر) حال من
ماروى انهم قالوا لفرعون
أرنا موسى نائما ففعل
فوجدوه تحرسه عصاه
فقالوا ماهذا بسحر الساحر
اذا نام بطل سحره فكرهوا
معارضته خوف الفضيحة
فاكرههم فرعون على
الاتيان بالسحر وضر فرعون
جهله به ونفعهم علمهم
بالسحر فكيف بعلم الشرع
(والله خير) ثوابا لمن
أطاعه (وأبقى) عقابا

(ولتعلمن أينا أشد عذابا
وأبقى) أدوم أنا أو رب
موسى وهرون (قالوا) يعنى السحرة لفرعون (لن نؤثرك) لن نختار عبادتك وطاعتك (على ماجاءنا من البينات) (ثوابا)
من الامر والنهى والكتاب والرسول والعلامات (والذى فطرنا) وعلى عبادة الذى خلقنا (فاقض ماأنت قاض) فاصنع ماأنت
صانع واحكم علينا ماأنت حاكم (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) تحكم علينا في الدنيا وليس لك علينا سلطان في الآخرة (انا آمنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا) شركنا (وما أكرهتنا عليه) ما أجبرتنا عليه (من السحر) من تعلم السحر (والله خير وأبقى) ماعند الله من الثوا

لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فان له) للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيي) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فاولئك لهم الدرجات العلى) جمع العلياء (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله قيل هذه الآيات

جزاء أو خير ثوابا وابقى عقابا ﴿ انه ﴾ اى الامر ﴿ من يأت ربه مجرما ﴾ بان يموت على كفره وعصيانه ﴿ فان له جهنم لا يموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيي ﴾ حياة مهنأة ﴿ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات ﴾ فى الدنيا ﴿ فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ المنازل الرفيعة ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من الدرجات ﴿ تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ﴾ حال والعامل فيها معنى الاشارة أو الاستقرار ﴿ وذلك جزاء من تزكى ﴾ تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام من الله ﴿ ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى ﴾ أى من مصر ﴿ فاضرب لهم طريقا ﴾ فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما أو فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله ﴿ فى البحر يبسا ﴾ يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كأن قتود رحلى حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا

أو لتعدده معنى بانه جعل لكل سبط منهم طريقا ﴿ لا تخاف دركا ﴾ حال من المأمور أى

ثوابا وأبقى عقابا وقيل خير منك ان أطيع وابقى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ﴿ انه من يأت ربه مجرما ﴾ قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك ﴿ فان له جهنم لا يموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيي ﴾ حياة ينتفع بها ﴿ ومن يأته مؤمنا ﴾ أى من مات على الايمان ﴿ قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ أى الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله ﴿ جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ أى تطهر من الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله ❊ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وانعما أخرجه الترمذى ❊ قوله وانعما يقال أحسن فلان الى فلان وانعم أى أفضل وزاد فى الاحسان والمعنى انهما منهم وزاد أو تناهيا الى غايته ❊ قوله تعالى ﴿ ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى ﴾ أى أسر بهم ليلا من أرض مصر ﴿ فاضرب لهم طريقا ﴾ أى اجعل لهم طريقا ﴿ فى البحر ﴾ بالضرب بالعصا ﴿ يبسا ﴾ أى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى أيبس لهم الطريق فى البحر ﴿ لا تخاف دركا

الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) لما أراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه أمر موسى ان يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ بهم طريق البحر (فاضرب لهم طريقا فى البحر) اجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما (يبسا) أى يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا (لا تخاف) حال من الضمير فى فاضرب اى اضرب لهم طريقا غير خائف لا تخف جزم على الجواب (دركا) هو اسم من الادراك أى لا يدركك

والكرامة أفضل وأدوم مما تعطينا من المال (انه من يأت ربه) يوم القيامة (مجرما) مشركا بالله (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيي) حياة تنفعه (ومن يأته) يوم القيامة (مؤمنا) مصدقا فى ايمانه (قد عمل الصالحات) فيما بينه وبين ربه (فأولئك لهم الدرجات العلى) ارفعه فى الجنان ثم بين أى الجنان لهم (قاوخا ٢٧ بع) فقال (جنات عدن) وهى دار الرحمن التى خلقها بيده وهى فى وسط الجنان والجنان حولها (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون (وذلك) الجنان والخلد (جزاء من تزكى) ثواب من وحد واصلح (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر) أى سر (بعبادى) أول الليل (فاضرب لهم) بين لهم (طريقا فى البحر يبسا) طريقا يابسا جدا (لا تخاف دركا) ادراك

فرعون وجنوده ولايلحقونك (ولاتخشى) الغرق وعلى قراءة حمزة ولاتخشى استئناف أى وأنت لاتخشى أويكون الالف للاطلاق كما فى وتظنون بالله الظنونا فخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون فى ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله (فاتبعهم فرعون بجنوده) وهو حال أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصابهم من البحر (ماغشيهم) هو من جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم مالايعلم كنهه الاالله عزوجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وماهدى) وما أرشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وماأهديكم الاسبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعد ماأنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله (يابنى اسرائيل) اى أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى وقلنا يابنى اسرائيل (قدأنجيناكم من عدوكم) أى فرعون (وواعدناكم) بايتاء الكتاب (جانب الطور الايمن) وذلك ان الله عزوجل وعد موسى أن يأتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم والايمن نصب لانه صفة جانب وقرئ بالجر على الجوار (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه وقلنا لكم (كلوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم) (ولا)

آمنامن ان يدرككم العدو أوصفة ثانية والعائد محذوف. وقرأحمزة لاتخف على انه جواب الامر ﴿ولاتخشى﴾ استئناف أى وانت لاتخشى أوعطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أوحال بالواو والمعنى ولاتخشى الغرق ﴿فاتبعهم فرعون بجنوده﴾ وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم ﴿فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾ الضمير لجنوده اوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ماسمعت قصته ولايعرف كنهه الاالله. وقرئ فغشاهم ماغشاهم اى غطاهم ماغطاهم والفاعل هو الله تعالى أوماغشيهم أوفرعون لانه الذى ورطهم للهلاك ﴿واضل فرعون قومه وماهدى﴾ أى اضلهم فى الدين وماهداهم وهو تهكم به فى قوله وماهديكم الاسبيل الرشاد أواضلهم فى البحر ومانجا ﴿يابنى اسرائيل﴾ خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا أوللذين منهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بمافعل بآبائهم ﴿قد انجيناكم من عدوكم﴾ فرعون وقومه ﴿وواعدناكم جانب الطور الايمن﴾ لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهى لموسى اوله وللسبعين المختارين للملابسة ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعنى فى التيه ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ لذائذه اوحلالاته. وقرأحمزة والكسائى انجيتكم وواعدتكم

ولاتخشى ﴾ قيل معناه لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر امامك ﴿ فاتبعهم ﴾ أى فلحقهم ﴿ فرعون بجنوده فغشيهم ﴾ أى أصابهم ﴿ من اليم ماغشيهم ﴾ وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم مالم يعلم كنهه الاالله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه ﴿ وأضل فرعون قومه وماهدى ﴾ أى وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وماأهديكم الاسبيل الرشاد * قوله عزوجل ﴿يابنى اسرائيل قدأنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ ذكرهم الله النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه ﴿ كلوا من طيبات مارزقناكم

فرعون (ولاتخشى) من الغرق (فاتبعهم فرعون) فلحقهم فرعون (بجنوده) بجموعه (فغشيهم من اليم) فغشى عليهم البحر (ماغشيهم وأضل فرعون) أهلك فرعون (قومه) فى البحر (وماهدى) ما نجاهم من الغرق ويقال أضلهم عن دين الله ومادلهم الى الصواب (يابنى اسرائيل) ياأولاد يعقوب (قد انجيناكم من عدوكم) من فرعون (وواعدناكم جانب الطور) الجبل (الايمن) عين موسى باعطاء الكتاب (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه (كلوا من طيبات) من حلالات (مارزقناكم)

أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفي غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تتعدوا حدود الله فيه بان تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي أولا يظلم بعضكم بعضا (فيحل عليكم غضبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوطا لانهوض بعده وأصله ان يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف شرف الايمان الى حفرة من حفر النيران قرأ علي فيحل ويحلل الباقون بكسرهما فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه والمضموم في معنى النزول (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) وحد الله تعالى وصدقه فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح (وما أعجلك) أي وأي شيء عجل بك (عن قومك ياموسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي أي شيء أوجب عجلتك استفهام انكار وما مبتدأ وأعجلك الخبر (قال هم أولاء على أثري) أي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجلت اليك رب) أي الى الموعد الذي وعدت (لترضى) لتزداد عني رضا

مارزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ﴿ ولا تطغوا فيه ﴾ فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق ﴿ فيحل عليكم غضبي ﴾ فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل ﴿ واني لغفار لمن تاب ﴾ عن الشرك ﴿ وآمن ﴾ بما يجب الايمان به ﴿ وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ ثم استقام على الهدى المذكور ﴿ وما اعجلك عن قومك ياموسى ﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم ﴿ قال موسى ﴾ ﴿ هم اولاء على اثري ﴾ ما تقدمتهم الا بخطا يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعض ﴿ وعجلت اليك رب لترضى ﴾ فان المسارعة

ولا تطغوا فيه ﴾ قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تتقوا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا ﴿ فيحل عليكم غضبي ﴾ أي يجب عليكم غضبي ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ أي هلك وسقط في النار ﴿ واني لغفار لمن تاب ﴾ قال ابن عباس تاب عن الشرك ﴿ وآمن ﴾ أي وحد الله وصدق رسوله ﴿ وعمل صالحا ﴾ أي أدى الفرائض ﴿ ثم اهتدى ﴾ قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة * قوله عز وجل ﴿ وما أعجلك ﴾ أي وما حملك على العجلة ﴿ عن قومك ياموسى ﴾ وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك ياموسى فاجاب ربه ﴿ قال هم أولاء على اثري ﴾ أي هم بالقرب مني يأتون على أثري من بعدي * فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم أولاء على أثري * قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم أعقبه بجواب السؤال فقال ﴿ وعجلت اليك رب لترضى ﴾

من المن والسلوى (ولا تطغوا فيه) لا تكفروا به ويقال لا ترفعوا للغد (فيحل عليكم) فيجب عليكم (غضبي) سخطي وعذابي ويقال ينزل ان قرأت بضم الحاء (ومن يحلل عليه غضبي) يجب عليه غضبي سخطي وعذابي (فقد هوى) فقد هلك (واني لغفار لمن تاب) من الشرك (وآمن) بالله (وعمل صالحا) خالصا (ثم اهتدى) ثم رأى ثواب عمله حقا ويقال ثم اهتدى الى السنة والجماعة ومات على ذلك فلما ذهب موسى عليه السلام مع السبعين الى الميقات تعجل الى الميعاد قبل السبعين قال الله له (وما اعجلك عن قومك ياموسى قال هم اولاء) يجيئون (على اثري وعجلت اليك رب لترضى) ليزداد

وهـذا دليل على جواز الاجتهاد (قال فانا قدفتناقومك) ألقيناهم فى فتنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون (وأضلهم السامرى) بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال

لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى) من مناجاة ربه (الى قومه غضبان أسـفا) شـديد الغضب أوحزينا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسـفارها سبعون جملا ولاوعد أحسن من ذلك (أفطال عليكم العهد) أى مدة مفارقتى اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أى أردتم أن تفعلوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فاخلفتم موعدى) وعدوه ان يقيموا على أمره وماتركهم عليه من الآيات فاخلفوا موعده باتخاذ العجل (قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا) بفتح الميم

الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك ﴿ قال فانا قدفتنا قومك من بعدك ﴾ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ومانجا من عبادة العجل منهم الااثنى عشر الفا ﴿ واضلهم السامرى ﴾ باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته ،وقرئ واضلهم اى اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجـل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس فى الآية مايدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشئ ان يكون فى علمه ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجـا من كرمان وقيل من اهـل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقـا ﴿ فرجع موسى الى قومه ﴾ بعد مااستوفى الاربعين واخذ التوراة ﴿ غضبان ﴾ عليهم ﴿ اسفا ﴾ حزينا بما فعلوا ﴿ قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ﴾ بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور ﴿ أفطال عليكم العهد ﴾ أى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم ﴿ أم اردتم ان يحل عليكم ﴾ يجب عليكم ﴿ غضب من ربكم ﴾ بعبادة ماهو مثل فى الغباوة ﴿ فاخلفتم موعـدى ﴾ وعدكم اياى بالثبات على الايمـان بالله والقيام على ماامرتكم به وقيـل هو من اخلفت وعـده اذا وجـدت الخلف فيه اى فوجـدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لايناسـب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليـه ولا جوابهم له ﴿ قالوا مااخلفنا موعدك بملكنا ﴾

أى لتزداد رضا ﴿ قال فانا قدفتنا قومك ﴾ أى فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثنى عشر الفا ﴿ من بعـدك ﴾ أى من بعد انطلاقك الى الجبل ﴿ وأضلهم السامرى ﴾ أى دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما أضاف الضلال الى السـامرى لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشـآت تضاف الى منشئها فى الظاهر وان كان الموجد لها فى الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنـا وأضلهم السامرى قيل كان السامرى من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جارا لموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر ﴿ فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا ﴾ أى حزينا جزعا ﴿ قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ﴾ أى صدقا انه يعطيكم التوراة ﴿ أفطال عليكم العهد ﴾ أى مدة مفارقتى اياكم ﴿ أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ﴾ أى أردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه ﴿ فاخلفتم موعدى ﴾ يعنى ماوعدوه من الاقامة على دينه الى أن يرجـع ﴿ قالوا ماأخلفـا موعدك بملكنـا ﴾ أى بملك أمرنا وقيل

رضاك عنى (قال) ياموسى (فانا قدفتنا) ابتلينا (قومك) بعبادة العجل (من بعدك) من بعد انطلاقك الى الجبل (واضلهم السامرى) وامرهم بذلك السامرى (فرجع) فلما رجع (موسى الى قومه) مع السبعين سمع صوت الفتنة فصار (غضبان أسفا) حزينا (باختيارنا) (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) صدقا (أفطال عليكم العهد) أفتجاوزت عنكم المدة (أم أردتم أن يحل عليكم) يجب عليكم (غضب) سخط وعذاب (من ربكم فاختلفتم موعدى) فخالفتم وعدى (قالوا) ياموسى (ماأخلفنا موعدك) ماخالفنا وعدك (بملكنا) بعلمنا متعمدين

مدني وعاصم وبضمها حمزة وعلي وبكسرها غيرهم أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناك موعدك ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده (ولكنا حملنا) بالضم والتشديد حجازي وشامي وحفص وبفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أوزارا من زينة القوم) أثقالا من حلي القبط أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة أن لنا

السامري إنما حبس موسى لشؤم حرمتها لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها فخبأ في حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلا مجوفا فخار بدخول الريح في مجارمنه أشباه العروق وقيل نفخ فيه ترابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فحيي فخار ومالت طباعهم الى الذهب فعبدوه (فقذفناها) في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي (فكذلك ألقى السامري) مامعه من الحلي في النار أو مامعه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام (فأخرج لهم) السامري من الحفرة (عجلا) خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء (جسدا) مجسدا (له خوار) صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل (فقالوا) أي السامري

بأن ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه * وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها من الاصل لغات في مصدر ملكت الشئ ﴿ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم﴾ حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد أو لانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي ﴿فقذفناها﴾ أي في النار ﴿فكذلك القى السامري﴾ أي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا * وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف ﴿فاخرج لهم عجلا جسدا﴾ من تلك الحلي المذابة ﴿له خوار﴾ صوت العجل ﴿فقالوا﴾ يعني السامري ومن افتتن به

باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه ﴿ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم﴾ أي حملنا مع أنفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت أوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الآثام أي حملنا آثاما وذلك أن بني اسرائيل استعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم ﴿فقذفناها﴾ أي ألقيناها قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك ففعلوا ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ أي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس أوقد هرون نارا وقال اقذفوا مامعكم فيها وقيل ان هرون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ماهذا قال اصنع ماينفع ولا يضر فادع لي فقال هرون اللهم اعطه ماسألك على ما في نفسه فألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى ﴿فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار﴾ اختلفوا هل كان الجسد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثاني انه صار حيا وخار كما يخور العجل ﴿فقالوا

(ولكنا حملنا أوزارا) اجراما (من زينة القوم) من حلي آل فرعون فشؤم ذلك حملنا على عبادة العجل (فقذفناها) فطرحنا الحلي في النار (فكذلك ألقى السامري) كما ألقينا (فأخرج لهم) فصاغ لهم السامري من الذهب الذي ألقوا في النار (عجلا جسدا) مجسدا صغيرا بلا روح (له خوار) صوت (فقالوا) أي شئ

واتباعه (هذا الهكم واله موسى) فاجاب عامتهم الاثنى عشر الفا فنسى) أى فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أى نسى السامرى ربه وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر أو نسى السامرى الاستدلال على ان العجل لا يكون الها بدليل قوله

لا يرجع) أى انه لا يرجع فان مخففة من الثقيلة (اليهم قولا) أى لا يجيبهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه الها وقيل انه ما خار الامرة (ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل (هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (ياقوم انما فتنتم به) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعونى) كونوا على دينى الذى هو الحق (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على العجل وعبادته (حتى يرجع الينا موسى) فننظره هل يعبده كما عبدناه وهل صدق

اول ما رآه ﴿ هذا الهكم واله موسى فنسى ﴾ أو فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان ﴿ أفلا يرون ﴾ أفلا يعلمون ﴿ ان لا يرجع اليهم قولا ﴾ انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا *وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ﴿ ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ﴾ ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ﴿ ولقد قال لهم هرون من قبل ﴾ من قبل رجوع موسى عليه الصلاة والسلام أو قول السامرى كأنه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ بالعجل ﴿ وان ربكم الرحمن ﴾ لا غير ﴿ فاتبعونى واطيعوا امرى ﴾ فى الثبات على الدين ﴿ قالوا لن نبرح عليه ﴾ على العجل وعبادته ﴿ عاكفين ﴾ مقيمين ﴿ حتى يرجع الينا موسى ﴾ وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول

هذا الهكم واله موسى ﴾ يعنى قال ذلك السامرى ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا شيأ قط مثله ﴿ فنسى ﴾ قيل هو اخبار عن قول السامرى أى ان موسى نسى الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه فى طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامرى انه نسى الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى يجب الاستدلال به فقال ﴿ أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ﴾ أى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ﴿ ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ﴾ هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل * قوله عز وجل ﴿ ولقد قال لهم هرون من قبل ﴾ أى من قبل رجوع موسى ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ أى ابتليتم بالعجل ﴿ وان ربكم الرحمن فاتبعونى ﴾ على دينى فى عبادة الله ﴿ وأطيعوا أمرى ﴾ أى فى ترك عبادة العجل *اعلم ان هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ أحسن الوجوه لانه زجرهم أولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعونى ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمرى فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهى ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود ﴿ قالوا لن نبرح ﴾ أى لن نزال ﴿ عليه ﴾ أى على عبادة العجل ﴿ عاكفين ﴾ أى مقيمين ﴿ حتى يرجع الينا موسى ﴾

هذا قال لهم السامرى (هذا الهكم واله موسى فنسى) فترك السامرى طاعة الله وأمره ويقال قال السامرى ترك موسى الطريق وأخطأ فقال الله (أفلا يرون) يعنى السامرى وأصحابه (الا يرجع) أن لا يرد (اليهم قولا) جوابا يعنى العجل (ولا يملك لهم) لا يقدر لهم (ضرا) دفع الضرر (ولا نفعا) ولا جر النفع (ولقد قال لهم هرون من قبل) من قبل مجئ موسى عليه السلام (ياقوم انما) (كأنهم) فتنتم به) ابتليتم بالخوار وعبادة العجل ويقال أضللتم أنفسكم بعبادة العجل (وان ربكم الرحمن فاتبعونى) فى دينه (وأطيعوا أمرى) قولى ووصيتى (قالوا لن نبرح عليه) لن نزال على عبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) فلما رجع موسى

السامرى أم لافلما رجع موسى (قال ياهرون مامنعك اذرأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (الاتتبعنى) بالياء فى الوصل والوقف مكى وافقه أبو عمرو ونافع فى الوصل وغيرهم بلاياء أى مادعاك الى ان تتبعنى لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشئ وبين الداعى الى تركه وقيل لامزيدة والمعنى أى شئ منعك أن تتبعنى حين لم يقبلوا قولك و تلحق بى وتخبرنى أومامنعك ان تتبعنى فى الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت أباشره انا لوكنت شاهدا (أفعصيت أمرى) أى الذى أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم اخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة فى الله ملكته (قال يابن أم) وبخفض الميم شامى وكوفى غير حفص وكان لابيه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا وترفيقا (لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى) ثم ذكر عذره فقال (انى خشيت أن تقول) ان قاتلت بعضهم ببعض (فرقت بين بنى اسرائيل) أوخفت أن تقول ان فارقتهم واتبعتك ولحق بى فريق وتبع السامرى فريق فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولى) اخلفنى فى قومى واصلح وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على السامرى منكرا عليه حيث (قال فما خطبك) ماأمرك الذى تخاطب عليه (ياسامرى قال بصرت بمالم يبصروا به) و بالتاء

﴿ قال ياهرون ﴾ أى قال له موسى لمارجع ﴿ مامنعك اذرأيتهم ضلوا ﴾ بعبادة العجل ﴿ ألاتتبعن ﴾ ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أوان تأتى عقبى وتلحقنى ولامزيدة كما فى قوله مامنعك ان لاتسجد ﴿أفعصيت امرى﴾ بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه ﴿ قال يابن ام ﴾ خص الام استعطافا وترفيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام ﴿ لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى ﴾ اى بشعر رأسى قبض عليهما بجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ﴿ انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ﴾ لوقاتلت اوفارقت بعضهم ببعض ﴿ ولم ترقب قولى ﴾ حين قلت اخلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك ﴿ قال فما خطبك ياسامرى ﴾ أى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ماخطبك أى ماطلبك له وماالذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه ﴿ قال بصرت بمالم يبصروا به ﴾ وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بمالم تعلموه

كأنهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل الاقول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله و ﴿ قال ﴾ له ﴿ ياهرون ما منعك اذرأيتهم ضلوا ﴾ أى اشركوا ﴿ ألاتتبعن ﴾ أى تتبع أمرى ووصيتى وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لوكنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه مامنعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما أتوه ﴿ أفعصيت أمرى ﴾ أى خالفت أمرى ﴿ قال يابن أم لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى ﴾ أى بشعر رأسى وكان قد أخذ بذؤابتيه ﴿ انى خشيت ان تقول ﴾ أى لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول ﴿ فرقت بين بنى اسرائيل ﴾ أى خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا فيتقاتلون فتقول فرقت بين بنى اسرائيل ﴿ ولم ترقب قولى ﴾ أى لم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامرى ﴿ قال فما خطبك ﴾ أى فما أمرك و شأنك وماالذى حملك على ماصنعت ﴿ يا سامرى قال ﴾ يعنى السامرى ﴿ بصرت بما لم يبصروا به

(قال) لهرون (ياهرون مامنعك اذرأيتهم ضلوا) الطريق (ألاتتبعن) لم لا تتبع وصيتى ولم تناجزهم القتال (أفعصيت) أفتركت (أمرى) وصيتى (قال) هرون لموسى (يابن أم) ذكر أمه لكى يرفق به ويترحم عليه (لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى) ولابشعر رأسى (انى خشيت) خفت (أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) بالقتال (ولم ترقب قولى) لم تنتظر قدومى فمن ذلك تركت القتال معهم ثم رجع موسى الى السامرى (قال فما خطبك) ما الذى حملك على عبادة العجل (ياسامرى قال) السامرى (بصرت بمالم يبصروا به) أى رأيت

حمزة وعلى قال الزجاج بصر علم وابصر نظر أى علمت مالم يعلمه بنواسرائيل قال موسى وماذاك قال رأيت جبريل على فرس الحياة فالقى فى نفسى ان أقبض من أثره فما ألقيته على شئ الاصار له روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) القبضة المرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرئ فقبضت قبصة فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع (من أثر الرسول) أى من أثر فرس الرسول وقرئ بها (فنبذتها) فطرحتها فى جوف العجل (وكذلك سولت) زينت لى (نفسى) ان أفعله ففعلته اتباعا لهواى وهو اعتراف بالخطأ واعتذار (قال) له موسى (فاذهب) من بيننا طريدا (فان لك فى الحيوة) ماعشت (ان تقول) لمن أراد مخالطتك جاهلا بحالك (لامساس) أى لايمسنى أحد ولا أمسه فمنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق أن يماس أحدا احم الماس والممسوس وكان يهيم فى البرية يصيح لامساس ويقال ان ذلك موجود فى أولاده الى الآن وقيل أراد موسى عليه السلام ان يقتله فمنعه الله تعالى منه لسخائه (وان لك موعدا لن تخلفه) أى لن يخلفك

وفطنت لمالم تفطنوا له وهو ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لا يمس اثره شيأ الا احياه أو رأيت مالم تروه وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل ﴿فقبضت قبضة من اثر الرسول﴾ من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير * وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثانى للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل أو اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور ﴿فنبذتها﴾ فى الحلى المذاب أو فى جوف العجل حتى حيي ﴿وكذلك سولت لى نفسى﴾ زينته وحسنته لى ﴿قال فاذهب فان لك فى الحيوة﴾ عقوبة على ما فعلت ﴿ان تقول لامساس﴾ خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر * وقرئ لامساس كفجار وهو علم للمسة ﴿وان لك موعدا﴾ فى الآخرة ﴿لن تخلفه﴾

فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ أى من تراب حافر فرس جبريل ﴿فنبذتها﴾ أى فقذفتها فى فم العجل فخار * فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورآه من بين سائر الناس * قلت ذكروا فيه وجهين أحدهما ان أمه ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعته فى كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثانى انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامرى من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطئه فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من أثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها فى عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله ﴿وكذلك سولت﴾ أى زينت ﴿لى نفسى﴾ وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعنى الى فعله غيرى واتبعت فيه هواى ﴿قال﴾ يعنى موسى للسامرى ﴿فاذهب فان لك فى الحيوة﴾ أى مادمت حيا ﴿ان تقول لامساس﴾ أى لاتخالط أحدا ولايخالطك أحد فعوقب فى الدنيا بعقوبة ولاشئ أوحش منها ولا أعظم وذلك ان موسى أمر بنى اسرائيل ان لايخالطوه ولايقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضى الله عنهما لامساس لك ولولدك فصار السامرى يهيم فى البرية مع الوحش والسباع لايمس أحدا ولايمسه أحد وقيل كان اذا مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك ﴿وان لك﴾ أى ياسامرى ﴿موعدا﴾ أى بعذابك فى الآخرة ﴿لن تخلفه﴾ قرئ

مالم ير بنواسرائيل قال له موسى وما رأيت دونهم قال رأيت جبريل على فرس بلقاء أنثى وهى دابة الحياة

(فقبضت قبضة من أثر الرسول) من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) فطرحتها [illegible] العجل [illegible] فخار (وكذلك سولت) زينت (لى نفسى قال) له موسى (فاذهب ياسامرى فان لك فى الحياة) ماحييت (أن تقول لامساس) لاتخالط أحدا ولايخالطك (وان لك موعدا) أجلا يوم القيامة (لن تخلفه) لن تجاوزه

لن يخلف كه الله و يجزيك في الآخرة بعدما عاقبك في الدنيا * وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخاف الواعد اياه وسيأتيك لامحالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خالفا * وقرئ بالنون على حكاية قول الله ﴿ وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ﴾ ظلت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا * وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها ﴿ لنحرقنه ﴾ اي بالنار و تؤيده قراءة لنحرقنه أو بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ﴿ ثم لننسفنه ﴾ ثم لنذرينه رمادا أو مبرودا * وقرئ بضم السين ﴿ في اليم نسفا ﴾ فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر ﴿ انما الهكم ﴾ المستحق لعبادتكم ﴿ الله الذي لا اله الا هو ﴾ اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة ﴿ وسع كل شئ علما ﴾ وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة * وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التميز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ نقص عليك من انباء ما قد سبق ﴾ من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس ﴿ من اعرض عنه ﴾ عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل

بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة و قرئ بالفتح أي لن تكذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك ﴿ وانظر الى الهك ﴾ أي الذي تزعم ﴿ الذي ظلت عليه عاكفا ﴾ أي دمت عليه مقيما تعبده ﴿ لنحرقنه ﴾ لنا ر ﴿ ثم لننسفنه ﴾ أي لنذرينه ﴿ في اليم ﴾ في البحر ﴿ نسفا ﴾ روى ان موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه أي لنبردنه فعلى هذا القول لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد ويمكن ان ذلك صار [illegible] ودم [illegible] ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى بيان الدين الحق [illegible] بني اسرائيل ﴿ انما الهكم الله ﴾ أي المستحق للعبادة والتعظيم هو الله ﴿ الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما ﴾ أي وسع علمه كل شئ وقيل يعلم من يعبده ﴿ قوله عز وجل ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ﴾ يعني من أخبار ﴿ ما قد سبق ﴾ يعني الامم الخالية وقيل ما [illegible] الامور [illegible]
[illegible]

وأمله لنا ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا (عاكفا) مقيما (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) لنذرينه (في اليم نسفا) نحرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حباله فظهرت على شفاههم صفرة الذهب (انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما) تمييز أي وسع علمه كل شئ ومحل الكاف في (كذلك) نصب أي مثل ما اقصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الامم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك (وقد آتيناك) أي أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكر

(وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا) أي دمت عليه [illegible] (لنحرقنه) بالنار وقيل [illegible] بالمبرد ثم لننسفنه [illegible] ثم نسفا [illegible]

[illegible]
...اقد سبق) باخبار الامم الماضية (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) واكرمناك بالقرآن فيه خبر الاولين والآخرين (من أعرض عنه)

وهو القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيمة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذى ينقض ظهره ويلقى عليه بهره اولانها جزاء الوزر وهو الاثم (خالدين) حال من الضمير فى يحمل وانما جمع على المعنى ووحد فى فانه حملا على لفظ من (فيه) فى الوزر أى فى جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيمة حملا) ساء فى حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر

تقديره ساء الحمل حملا وزرهم (يوم ينفخ) بدل من يوم القيامة ننفخ أبو عمرو (فى الصور) القرن أو هو جمع صورة أى ننفخ الارواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) حال أى عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافتون) يتسارون (بينهم) أى يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم (ان لبثتم) ما لبثتم فى الدنيا (الاعشرا) أى عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان أيام السرور قصار أو لانها ذهبت عنهم والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء أو لاستطالتهم الآخرة لانها أبدا يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالا منه بقوله (نحن أعلم بما يقولون) (فيما)

عن الله تعالى ﴿ فانه يحمل يوم القيمة وزرا ﴾ عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره أو اثما عظيما ﴿ خالدين فيه ﴾ فى الوزر أو فى حمله والجمع فيه والتوحيد فى اعرض للحمل على المعنى واللفظ ﴿ وساء لهم يوم القيمة حملا ﴾ أى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى ﴿ يوم ننفخ فى الصور ﴾ وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له أو للنافخ • وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله أو ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك • وقرئ فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ ﴾ وقرئ يحشر المجرمون ﴿ زرقا ﴾ زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين أو عميا فان حدقة الاعمى تزراق ﴿ يتخافتون بينهم ﴾ يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ﴿ ان ﴾ ما ﴿ لبثتم الا عشرا ﴾ أى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات أو فى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات ﴿ نحن اعلم بما يقولون ﴾ وهو

ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿ فانه يحمل يوم القيمة وزرا ﴾ أى حملا ثقيلا من الاثم ﴿ خالدين فيه ﴾ أى مقيمين فى عذاب الوزر ﴿ وساء لهم يوم القيمة حملا ﴾ أى بئس ما حملوا أنفسهم من الاثم ﴿ يوم ينفخ فى الصور ﴾ قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لانه أتبعه بقوله ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ أى نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا ﴿ يتخافتون ﴾ أى يتشاورون ﴿ بينهم ﴾ ويتكلمون خفية ﴿ ان لبثتم ﴾ أى مكثتم فى الدنيا ﴿ الا عشرا ﴾ أى عشر ليال وقيل فى القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ أى يتشاورون

من كفر به (فانه يحمل يوم القيمة وزرا) شركا (خالدين فيه) مقيمين فى عقوبة الوزر (وساء لهم يوم القيمة حملا) من الذنوب (يوم ينفخ فى الصور) النفخة الاخرى (ونحشر المجرمين) المشركين (يومئذ زرقا) عميا (يتخافتون بينهم) يتسارون فيما بينهم فى هذا القول يقول بعضهم لبعض (ان لبثتم) ما مكثتم فى القبور (الا عشرا) عشرة ايام (نحن أعلم بما يقولون) فى البعث

ذيقول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا(ان لبثتم الا يوما)وهو كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين (ويسئلونك عن الجبال) سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقديره ان سألوك (فقل)ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى وقوله ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي ويسئلونك عن الروح قل الروح ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو لانها سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء(ينسفها ربي نسفا) أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى

يقلعها (فيذرها) فيذر مقارها أو يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها (قاعا صفصفا) مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمتا) ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان في المعانى كما ان المفتوح في الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن ان يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعانى (يومئذ) أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال اى يوم اذ نسفت وجاز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعى) الى المحشر أى صوت الداعى وهو اسرافيل حين ينادى على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمى الى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب الى صوبه لا يعدلون عنه (لا عوج له) أى لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير

مدة لبثهم ﴿ اذ يقول امثلهم طريقة ﴾ اعدلهم رأيا أو عملا ﴿ أن لبثتم الا يوما ﴾ استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ﴿ ويسئلونك عن الجبال ﴾ عن مآل امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ ينسفها ربي نسفا ﴾ يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها ﴿ فيذرها ﴾ فيذر مقارها أو الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة ﴿ قاعا ﴾ خاليا ﴿ صفصفا ﴾ مستويا كأن اجزاءها على صف واحد ﴿ لا ترى فيها عوجا ولا امتا ﴾ اعوجاجا ولا نتوأ ان تأملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يختص بالمعانى والامت وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين ﴿ يومئذ ﴾ أي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة ﴿ يتبعون الداعى ﴾ داعى الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه ﴿ لا عوج له ﴾ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه

فيما بينهم ﴿ اذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ أى اوفاهم عقلا وأعدلهم قولا ﴿ ان لبثتم الا يوما ﴾ قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم ❊ قوله عز وجل ﴿ ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴾ قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أى يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا ﴿ فيذرها ﴾ أى يدع أماكن الجبال من الارض ﴿ قاعا صفصفا ﴾ أى أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها ﴿ لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ أى لا انخفاضا ولا ارتفاعا أى لا ترى واديا ولا رابية ﴿ يومئذ يتبعون الداعى ﴾ أى صوت الداعى الذى يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك أنه يضع الصور فى فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن ﴿ لا عوج له ﴾

اذ يقول امثلهم طريقة) أفضلهم عقلا وأصوبهم رأيا واصدقهم قولا (ان لبثتم) ما مكثتم فى القبور (الا يوما ويسئلونك) يا محمد صلى الله عليه وسلم سألته بنو ثقيف (عن الجبال) عن حال الجبال يوم القيامة (فقل) لهم يا محمد (ينسفها ربى نسفا) يقلعها ربى قلعا (فيذرها) فيترك الارض (قاعا) مستوية (صفصفا) أملس لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا) واديا ولا شقوقا (ولا أمتا) ولا شبأ شاخصا من الارض ولا نباتا (يومئذ) وهو يوم القيامة (يتبعون الداعى) يسرعون ويقصدون الى الداعى (لا عوج له) لا يميلون يمينا ولا شمالا

انحراف متبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات للرحمن) هيبة واجلالا (فلاتسمع الاهمسا) صوتا خفيفا لتحريك الشفاه وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت أي لاتسمع الاخفق الاقدام ونقلها الى المحشر (يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن) محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف لمضاف اى لاتنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن أى أذن للشافع فى الشفاعة (ورضى

له قولا) أى رضى قولا لاجله بان يكون المشفوع له مسلما أو نصب على المدح لانه مفعول تنفع (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) أى بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير الى ما أو يرجع الضمير الى الله لانه تعالى ليس بمحاط (وعنت) خضعت وذلت ومنه قيل للاسير عان (الوجوه) أى أصحابها (للحى) الذى لايموت وكل حياة يتعقبها الموت فهى كان لم تكن (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق

﴿ وخشعت الاصوات للرحمن ﴾ خفضت لمهابته ﴿ فلاتسمع الاهمسا ﴾ صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر ﴿ يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ﴾ الاستثناء من الشفاعة أى الاشفاعة من اذن أو من اعم المفاعيل أى الامن اذن فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثانى منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن أو من الاذن ﴿ ورضى له قولا ﴾ أى ورضى لمكانه عند الله قوله فى الشفاعة أو رضى لاجله قول الشافع فى شانه أو قوله لاجله وفى شانه ﴿ يعلم ما بين ايديهم ﴾ ما تقدمهم من الاحوال ﴿ وما خلفهم ﴾ وما بعدهم مما يستقبلونه ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين أو لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه ﴿ وعنت الوجوه للحى القيوم ﴾ ذلت وخضعت له خضوع

أى لاعوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا ﴿ وخشعت الاصوات للرحمن ﴾ أى سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع ﴿ فلاتسمع الاهمسا ﴾ وهو الصوت الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل ﴿ يومئذ لاتنفع الشفاعة ﴾ لاحد من الناس ﴿ الا من أذن له الرحمن ﴾ أى الا من اذن له ان يشفع ﴿ ورضى له قولا ﴾ قال ابن عباس يعنى قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لايشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهى لاتحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعى أى يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لاتنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أى أيدى الشافعين وما خلفهم ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ قيل الكناية ترجع الى ما أى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لايعلمونه والمعنى ان العباد لايحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى أى ولا يحيطون بالله علما ﴿ وعنت الوجوه ﴾ أى ذلت وخضعت فى ذلك اليوم وصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لامن صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها تبين فيها [illegible] ﴿ للحى القيوم ﴾ تقدم تفسيره

(وخشعت الاصوات) ذلت الاصوات (للرحمن) لهيبة الرحمن (فلاتسمع) يا محمد (الاهمسا) الا وطأ خفيا كوطء الابل (يومئذ) وهو يوم القيامة (لاتنفع الشفاعة) لاتنفع الملائكة لاحد (الا من أذن له الرحمن) فى الشفاعة (ورضى له قولا) قبل منه لا اله الا الله (يعلم) الله (ما بين أيديهم) بين أيدى الملائكة من أمر الآخرة (وما خلفهم) من أمر الدنيا (ولا يحيطون علما) [illegible] (وقد [illegible] ما بين أيديهم وما خلفهم شيئا الا ما علمهم الله [illegible] الملائكة (وعنت الوجوه) انصبت الوجوه و[illegible] بالسجود ويقال خضعت الوجوه وذلت الوجوه يوم القيامة (للحى) الذى لايموت (القيوم) القائم الذى لابدء

(وقدخاب)يئس من رحمةالله (من حمل ظلما) من حمل الى موقف القيامةشركالان الظلم وضع الشئ في غيرموضعه ولاظلم أشدمن جعل المخلوق شريك من خلقه (ومن يعمل من الصالحات) الصالحات الطاعات (وهو مؤمن) مصدق بماجاء به محمدعليه السلام وفيه دليل أنه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها (فلايخاف) أي فهو لايخاف فلايخف على النهي مكي (ظلما) أن يزاد في سيآته (ولاهضما) ولاينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الانزال (أنزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب (وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن (ذكرا) عظة أو شرفا بايمانهم وقيل أو بمعنى الواو (فتعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام ومشابهة الاجسام (الملك) الذي يحتاج اليه الملوك (الحق) المحق في الالوهية ولما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا واذا [illegible] جبريل بما يوحى اليك من القرآن فتأن [illegible] [illegible] ولا تعجل بالقرآن

[illegible] (وقد خاب) خسر [illegible] حمل ظلما) شركا (ومن يعمل من الصالحات [illegible]

[illegible] (وهو مؤمن) مصدق في ايمانه (فلا يخاف ظلما) بذهاب عمله [illegible] (وكذلك) [illegible] أنزلناه قرآنا عربيا) أنزله جبريل بالقرآن [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ([illegible]) في [illegible] من الوعيد لعلهم يتقون) كي يتقوا [illegible] والشرك [illegible] (أو يحدث لهم ذكرا) [illegible] [illegible] بالظلم [illegible] ([illegible]) [illegible] القرآن [illegible]

العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده ﴿ وقدخاب من حمل ظلما ﴾ وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان مالاجله عنت وجوههم ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ بعض الطاعات ﴿ وهو مؤمن ﴾ لان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات ﴿ فلا يخاف ظلما ﴾ منع ثواب مستحق بالوعد ﴿ ولاهضما ﴾ ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه * وقرئ فلايخف على النهي ﴿ وكذلك ﴾ عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال أو مثل انزال هذه الآيات المضمنة للوعيد ﴿ انزلناه قرآنا عربيا ﴾ كله على هذه الوتيرة ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ مكررين فيه آيات الوعيد ﴿ لعلهم يتقون ﴾ المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة ﴿ او يحدث لهم ذكرا ﴾ عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن ﴿ فتعالى الله ﴾ في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم ﴿ الملك ﴾ النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده ﴿ الحق ﴾ في ملكوته يستحقه لذاته أو الثابت في ذاته وصفاته ﴿ ولا تعجل بالقرآن

﴿ وقدخاب من حمل ظلما ﴾ قال ابن عباس خسر من اشرك ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلايخاف ظلما ولاهضما ﴾ قال ابن عباس معناه لايخاف ان يزاد على سيآته ولاينقص من حسناته وقيل لايؤاخذ بذنب لم يعمله ولاتبطل عنه حسنة عملها * قوله تعالى ﴿ وكذلك أنزلناه ﴾ أي كما بينا في هذه السورة أو هذه الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ أي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض و[illegible] لان الوعد [illegible] [illegible] فتكريره وتصريفه يقتضي بيان الاحكام [illegible] قال تعالى ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات ﴿ أو يحدث لهم ذكرا ﴾ أي انا أنزلنا القرآن ليصيروا متقين يجتنبون مالاينبغي ويحدث لهم القرآن ذكرا [illegible] الساعات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ويتعظون بذكر عقاب [illegible] الامم السالفة [illegible] ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين [illegible] [illegible] المشركين [illegible] [illegible] [illegible] من تنزهه وتمجيده [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا تغير وليس مستفادا من [illegible] [illegible] أول [illegible] ﴿ [illegible] القرآن ﴾ [illegible]

بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ (وقل رب زدنى علما) بالقرآن و معانيه وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم (ولقد عهدنا الى آدم) أى أوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة يقال فى أوامر الملوك و وصاياهم تقدم الملك الى فلان وأوصى اليه وعزم عليه وعهد اليه فعطف قصة آدم على وصرفنا فيه من الوعيد والمعنى واقسم قسما لقد أمرنا اباهم آدم ووصيناه لا يقرب الشجرة (من قبل) من قبل وجودهم فخالف الى ما نهى عنه كما انهم مخالفون يعنى ان أساس أمر بنى آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه (فنسى) العهد اى النهى والانبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذى لو تكلفوا لحفظوه (ولم نجد له عزما) قصدا الى الخلاف لامره اولم يكن آدم من اولى العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما او بمعنى نقيض العدم أى وعدمنا له عزما وله متعلق بنجد (واذقلنا) منصوب باذكر (للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هو السجود اللغوى الذى هو الخضوع والتذلل اوكان آدم كالقبلة لضرب

من قبل ان يقضى اليك وحيه ﴾ نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل عليه السلام ومساوقته فى القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتى بيانه ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ أى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحى اليك تناله لا محالة ﴿ ولقد عهدنا الى آدم ﴾ ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز عليه وعزم وعليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ فى النسيان ﴿ من قبل ﴾ من قبل هذا الزمان ﴿ فنسى ﴾ العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة ﴿ ولم نجد له عزما ﴾ تصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزم وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما أو متعلق بنجد ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ مقدر باذكر أى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين لك

النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة مخافة الانفلات أو النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تعجل بالقرآن أى ولا تعجل بقراءته ﴿ من قبل ان يقضى اليك وحيه ﴾ أى من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدنى علما الى ما علمت فان لك فى كل شئ علما وحكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدنى علما وايمانا ويقينا ＊ قوله عز وجل ﴿ ولقد عهدنا الى آدم ﴾ يعنى أمرناه وأوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدى وتركوا الايمان بى وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى لعلهم يتقون ﴿ فنسى ﴾ أى فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل أراد النسيان الذى هو ضد الذكر ﴿ ولم نجد له عزما ﴾ أى صبرا عما نهى عنه وحفظا لما أمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث أطاع عدوه ابليس الذى حسده وأبى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح أقرب ＊ قوله عز وجل ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

(من قبل ان يقضى اليك وحيه) من قبل ان يفرغ جبريل من قراءة القرآن عليك وكان اذا نزل عليه جبريل بآية لم يفرغ جبريل من آخرها حتى يتكلم رسول الله باولها مخافة ان ينساها فنهاه الله عن ذلك وقال له (وقل) يا محمد (رب زدنى علما) وحفظا وفهما وحكما بالقرآن (فسجدوا)
(ولقد عهدنا الى آدم) أمرنا آدم أن لا يأكل من هذه الشجرة (من قبل) من قبل أكله من الشجرة ويقال من قبل مجئ محمد صلى الله عليه وسلم (فنسى) فترك ما أمر به (ولم نجد له عزما) حزما وعزيمة الرجال (واذقلنا للملائكة) الذين كانوا فى الارض (اسجدوا لآدم)

نعظيم له فيه (فسجدوا الا ابليس) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن
الملائكة لباب الخليقة من الارواح ولا يتناسلون وابليس من نار السموم وانما صح استثناؤه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم
(ابى) مستأنفة كانه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا
وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف

(فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك)

انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات ﴿فسجدوا الا ابليس﴾ قد سبق فيه القول ﴿ابى﴾
جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود
المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن الطاعة ﴿فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما﴾ فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث
يتسبب الشيطان الى اخراجهما ﴿من الجنة فتشقى﴾ افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما
في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها أو محافظة على الفواصل
أو لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ﴿ان لك
ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ فانه بيان وتذكير لماله
في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن
مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اغراض ماعسى ينقطع ويزول منها بذكر
نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من
حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه
وقرأ نافع وابوبكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها ﴿فوسوس اليه الشيطان﴾

فسجدوا الا ابليس أبى﴾ ان يسجد ﴿فقلنا يا آدم ان هذا﴾ أي ابليس ﴿عدو لك ولزوجك﴾
أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له ﴿فلا يخرجنكما
من الجنة فتشقى﴾ أسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم
ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق
جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط الى آدم ثور أحمر فكان
يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه * فان قلت لم أسند الشقاء الى آدم دون
حواء * قلت فيه وجهان احدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما أن في سعادته سعادتهم
لانه القيم عليهم الثاني انه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة
لان الرجل هو الساعي على زوجته ﴿ان لك ألا تجوع فيها﴾ أي في الجنة ﴿ولا تعرى
وانك لا تظمأ فيها﴾ أي تعطش ﴿ولا تضحى﴾ أي تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس
في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والكن هي الامور
التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة وانه مكفي
لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه أهل الدنيا ﴿فوسوس اليه
الشيطان﴾ أي انهى اليه الوسوسة كاسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال

حيث لم يسجد لك ولم ير
فضلك (فلا يخرجنكما من
الجنة) فلا يكونن سببا
لاخراجكما (فتشقى) فتتعب
في طلب القوت ولم يقل
فتشقيا مراعاة لرؤس الآي
اودخلت تبعا ولان الرجل
هو الكافل لنفقة المرأة
وروى انه اهبط الى آدم
ثور أحمر وكان يحرث عليه
ويمسح العرق من جبينه
(ان لك ألا تجوع فيها) في
الجنة (ولا تعرى) عن
الملابس لانها معدة أبدا فيها
(وانك) بالكسر نافع وأبو
بكر عطفا على ان الاولى
وغيرهما بالفتح عطفا على أن
لا تجوع ومحله نصب بان
وجاز للفصل كما تقول ان في
على انك جالس (لا تظمأ
فيها) لا تعطش لوجود الاشربة
فيها (ولا تضحى) لا يصيبك
حر الشمس اذ ليس فيها شمس
فاهلها في ظل ممدود (فوسوس
اليه الشيطان) أي انهى اليه

سجدة التحية (فسجدوا الا
ابليس) رئيسهم (أبى) تعظم

عن السجود لآدم (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجنكما من الجنة) بطاعتكما اياه (فتشقى) [illegible] (ان لك
أن لا تجوع فيها) في الجنة من الطعام (ولا تعرى) من الثياب (وأنك لا تظمأ فيها) لا تعطش فيها (ولا تضحى)
ولا يصيبك حر الشمس ويقال لا تعرق (فوسوس اليه الشيطان) باكل الشجرة

فانهى اليه وسوسته ﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ﴾ الشجرة التي من
أكل منها خلد ولم يمت اصلا فنسبها الى الخلد وهو الخلود لانها سببه بزعمه ﴿ وملك
لا يبلى ﴾ لا يزول ولا يضعف ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة ﴾ اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين ﴿ وعصى
آدم ربه ﴾ بأكل الشجرة ﴿ فغوى ﴾ فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل

﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ﴾ أي على الشجرة التي ان أكلت منها بقيت مخلدا
﴿ وملك لا يبلى ﴾ أي لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشيء الذي رغب الله فيه
آدم رغبه ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على
الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره
وابليس هو عدوه أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر
عرف أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه * وقوله تعالى ﴿ فأكلا منها ﴾ يعني
أكل آدم وحواء من الشجرة ﴿ فبدت لهما سوآتهما ﴾ أي عريا من الثياب التي كانت عليهما
حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ أي
يلزقان بسوآتهما من ورق التين ﴿ وعصى آدم ربه ﴾ أي بأكل الشجرة ﴿ فغوى ﴾
أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عنه
فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال
عصى آدم ولا يجوز ان يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه
يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت
أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده
أتلومني على أمر قدره الله تعالى علي قبل ان يخلقني بأربعين عاما فحج آدم موسى وفي رواية
لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى بأربعين سنة قال فهل
وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال فهل تلومني على ان عملت عملا كتب الله
على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

﴿ الكلام على معنى الحديث وشرحه ﴾

قوله احتج آدم وموسى الحجاج التخاصم يقال حاججت [illegible] أي حاججته
[illegible] أبو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله
تعالى معنى الاجبار والقهر [illegible] ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى
من هذا الوجه [illegible] تقدم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد
واكتسابهم وصدورها [illegible] والقدر اسم لما صدر مقدرا عن
[illegible] الامر [illegible]
[illegible]

الوسوسة كاسراره اليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) اضاف الشجرة الى
الخلد وهو الخلود لان من
أكل منها خلد بزعمه ولا يموت
(وملك لا يبلى) لا يفنى
(فأكلا) اي آدم وحواء
(منها فبدت لهما سوآتهما)
عوراتهما (وطفقا) طفق
يفعل كذا مثل جعل يفعل
وهو ككاد في وقوع الخبر
فعلا مضارعا الا انه للشروع
في اول الامر وكاد للدنو منه
(يخصفان عليهما من ورق الجنة)
اي يلزقان الورق سوآتهما
للتستر وهو ورق التين
(وعصى آدم ربه فغوى)
ضل عن الرأي وعن ابن
عيسى خاب والحاصل ان
العصيان وقوع الفعل
على خلاف الامر والنهي
وقد يكون عمدا فيكون
ذنبا وقد لا يكون عمدا
فيكون زلة ولما وصف فعله
بالعصيان خرج فعله من
ان يكون رشدا فكان غيا

(قال يا آدم هل أدلك على
شجرة الخلد) من أكل منها
خلد ولا يموت (وملك لا
يبلى) اي في ملك لا يفنى
(فأكلا منها) من الشجرة
(فبدت لهما سوآتهما)
فظهرت لهما عوراتهما
(وطفقا) جعلا (يخصفان) [illegible]
[illegible]
(من ورق الجنة) من ورق
التين كيا الزق بعضها الى بعض تساقطت (وعصى آدم ربه) بأكله من الشجرة (فغوى) ترك طريق الهدى ﴿ وتقدم ﴾

الشجرة أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل

وتقدم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها والائمة تلحقهم عليها وجماع القول فى هذا انهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التى خلق لها وانما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلومنى على أمر قدره الله على من قبل ان يخلقنى

فصل فى بيان عصمة الانبياء وماقيل فى ذلك

قال الامام فخر الدين الرازى اختلف الناس فى عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة * أحدها مايقع فى باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم * الثانى مايتعلق بالتبليغ فقط اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض والالارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على أن ذلك لايجوز وقوعه منهم عمدا ولاسهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن * الثالث مايتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لايجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد وأجازه بعضهم على سبيل السهو * الرابع مايقع فى أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة أقوال * أحدها قول من جوز عليهم الكبائر * الثانى قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة * الثالث لايجوزان يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائى * الرابع انه لايقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطأ * الخامس انه لايقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس فى وقت العصمة على ثلاثة أقوال * أحدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة * الثانى قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة * الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لايجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر اصحابنا وابى الهذيل وابى على من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لاصغيرة ولا كبيرة من حين حالتهم النبوة ويدل عليه وجوه * احدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من احاد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية فى الرفعة والشرف * الثانى لو صدر منه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة لكان أقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز [illegible] النبوة والرسالة [illegible] على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضا انه يوم القيامة شاهد على الكل [illegible] من النبى ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال * الرابع ثبت ببديهة [illegible] أقبح عن رفعه الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفته فى عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا [illegible] عليه [illegible] ترجيحا [illegible] واجتمعت الامة على ان [illegible]

لان الغى خلاف الرشد وفى التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على

فلم يصب باكله

اذا انخم من اللبن وفي النبي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ

الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه * الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت أن الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهى وذلك ينافي صدور الذنب عنهم * السادس قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات مناقصة آدم هذه والجواب عنها أن نقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز أن يقال ان آدم حال ماصدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما أي نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم * فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه قلت ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المواخذة بها فهم خائفون وجلون وهي الذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين أي يرونها بالاضافة الى علو

النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر

من الشجرة ما أراده

ثم اجتباه ربه) قربه اليه واصطفاه وقرئ به وأصل الكلمة الجمع يقال جبي الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل توبته وهدى) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) يعنى آدم وحواء (بعضكم) ياذرية آدم (لبعض عدو) بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين (فاما

) كتاب وشريعة (فمن

لاولاده عنها ﴿ ثم اجتباه ربه ﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل معنى الكلمة الجمع ﴿ فتاب عليه ﴾ فقبل توبته لما تاب ﴿ وهدى ﴾ الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة ﴿ قال اهبطا منها جميعا ﴾ الخطاب لآدم وحواء اوله ولابليس ولما كانا اصلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله ﴿ فاما يأتينكم منى هدى ﴾ كتاب ورسول ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ﴾ فى الدنيا ﴿ ولا يشقى ﴾ فى الآخرة ﴿ ومن اعرض عن ذكرى ﴾ عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى ﴿ فان له معيشة ضنكا ﴾ ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل

أحوالهم كالسيآت وسنذكر فى كل موضع مايليق به وماقيل فيه ان شاء الله تعالى ﴿ قوله عزوجل ﴿ ثم اجتباه ربه ﴾ أى اختاره واصطفاه ﴿ فتاب عليه ﴾ أى عاد عليه بالعفو والمغفرة ﴿ وهدى ﴾ أى هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار ﴿ قال اهبطا منها جميعا ﴾ قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما أصل البشر فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا ﴿ فاما يأتينكم منى هدى ﴾ أى كتاب ورسول ﴿ فمن اتبع هداى ﴾ أى الكتاب والرسول ﴿ فلا يضل ولا يشقى ﴾ قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع مافيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل أى فى الدنيا ولا يشقى أى فى الآخرة ﴿ ومن أعرض عن ذكرى ﴾ يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه ﴿ فان له معيشة ضنكا ﴾ روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط فى القبر حتى تختلف أضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ماأعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه

اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى العقبى قال ابن عباس رضى الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة يعنى ان الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه (ومن أعرض عن ذكرى) عن القرآن (فان له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح معيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة

(ثم اجتباه) اصطفاه (ربه) بالتوبة (فتاب عليه) فتجاوز عنه (وهدى) هداه الى التوبة (قال اهبطا منها) من الجنة (جميعا) لآدم وحواء والحية والطاوس (بعضكم لبعض عدو) الحية لبنى آدم وبنو آدم للحية (فاما يأتينكم منى هدى) فحين يأتينكم ياذرية آدم منى هدى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) كتابى ورسولى (فلا يضل) باتباعه اياهما فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) عن توحيدى ويقال كفر بكتابى ورسولى (فان له معيشة ضنكا) عذابا شديدا فى القبر ويقال فى النار

لايعرض أحدكم عن ذكر ربه الاأظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجة عن ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) فى الدنيا (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر فقال (أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أى أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر اليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولانزيل غطاءه عن عينيك (وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره أعمى فى العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أى للحشر على العمى الذى لايزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى (افلم يهدلهم) أى الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون) حال من الضمير المجرور فى لهم (فى مساكنهم) يريد ان قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول

عذاب القبر ﴿ونحشره﴾ قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط ﴿يوم القيمة اعمى﴾ اعمى البصر أو القلب ويؤيد الاول ﴿قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا﴾ وقد امالهما حمزة والكسائى لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير ﴿قال كذلك﴾ أى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال ﴿اتتك آياتنا﴾ واضحة نيرة ﴿فنسيتها﴾ فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها ﴿وكذلك﴾ ومثل تركك اياها ﴿اليوم تنسى﴾ تترك فى العمى والعذاب ﴿وكذلك نجزى من اسرف﴾ بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ بل كذبها وخالفها ﴿ولعذاب الآخرة﴾ وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أى والنار بعد ذلك ﴿اشد وابقى﴾ من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها ﴿أفلم يهدلهم﴾ مسند الى الله أو الرسول أو مادل عليه ﴿كم اهلكنا قبلهم من القرون﴾ أى اهلاكنا اياهم أو الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق مجرى مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون ﴿يمشون فى مساكنهم﴾ ويشاهدون آثار اهلاكهم ﴿ان فى ذلك لآيات لاولى النهى﴾ لذوى

وهو الضنك فى المعيشة وان قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين منها كانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لايشبع ﴿ونحشره يوم القيمة أعمى﴾ قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة ﴿قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا﴾ أى بصيرا بالعين أو بصيرا بالحجة ﴿قال كذلك﴾ أى كما ﴿أتتك آياتنا فنسيتها﴾ أى فتركتها وأعرضت عنها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أى تترك فى النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب ﴿وكذلك نجزى من أسرف﴾ أى كما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك نجزى من أسرف أى أشرك ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد﴾ أى مما نعذبهم الله به فى الدنيا والقبر ﴿وأبقى﴾ أى وأدوم ﴿ قوله تعالى ﴿أفلم يهد لهم﴾ أى أفلم يبين القرآن لكفار مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم﴾ يعنى فى ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط ﴿ان فى ذلك لآيات لاولى النهى﴾ أى لذوى العقول

(ونحشره يوم القيمة أعمى قال) يقول (رب) يارب (لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) فى الدنيا (قال كذلك) هكذا لانك (أتتك آياتنا) كتابنا ورسولنا (فنسيتها) (واولا) فتركت العمل والاقرار بها (وكذلك اليوم تنسى) تترك فى النار (وكذلك) هكذا (نجزى من أسرف) من أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه) يعنى الكتاب والرسول (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أدوم من عذاب الدنيا (أفلم يهد لهم) يبين لاهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) الماضية (يمشون فى مساكنهم) فى منازلهم (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات (لاولى النهى) لذوى العقول من

اذاتفكرواوعلموا أن استئصالهم لكفرهم فلايفعلون مثل مافعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كالزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على مايقولون) فيك (وسبح) وصل (بحمد ربك) فى موضع الحال وأنت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما واقعتان فى النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) أى وتعهد آناء الليل أى ساعاته وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وقدتناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كااختصت فى قوله والصلاة الوسطى عند البعض وانما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لامن الالباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) لعل للمخاطب أى اذكر الله فى هذه الاقات رجاء أن

العقول الناهية عن التغافل والتعامى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهى العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة ﴿ لكان لزاما ﴾ لكان مثل مانزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أواسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم ﴿ واجل مسمى ﴾ عطف على كلمة اى ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم أولعذابهم وهو يوم القيامة أو يدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن فى كان أى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم ﴿ فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك ﴾ وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه أونزهه عن الشرك وسائر مايضيفون اليه من النقائص حامدا له على ماميزك بالهدى معترفا بانه المولى النعم كلها ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ يعنى الفجر ﴿ وقبل غروبها ﴾ يعنى الظهر والعصر لانهما من آخر النهار أو العصر وحده ﴿ ومن آناء الليل ﴾ ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر أو اناء بالفتح والمد ﴿ فسبح ﴾ يعنى المغرب والعشاء واعاقدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا ﴿ واطراف النهار ﴾ تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس

كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين

أو امر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أولان النهار جنس أو بالتطوع فى اجزاء النهار ﴿ لعلك ترضى ﴾ متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ماتبه ترضى

﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ أى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم ﴿ لكان لزاما وأجل مسمى ﴾ تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كالزم القرون الماضية الكافرة ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ نسختها آية السيف ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ أى صل بامر ربك ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ يعنى صلاة الفجر ﴿ وقبل غروبها ﴾ أى صلاة العصر ﴿ ومن آناء الليل ﴾ أى ومن ساعاته ﴿ فسبح ﴾ يعنى فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل ﴿ وأطراف النهار ﴾ يعنى صلاة الظهر سمى وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء ﴿ لعلك ترضى ﴾ أى ترضى ثوابه فى المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أى تعطى ثوابه وقيل يرضاك

الناس (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما) عذابا لهلاكهم (وأجل مسمى) وقت معلوم لهذه الامة (فاصبر على مايقولون) يامحمد عما يقولون من الشتم والتكذيب نسختها آية القتال (وسبح بحمد ربك) صل بامر ربك يامحمد (قبل طلوع الشمس) صلاة الغداة (وقبل غروبها) صلاة الظهر والعصر (ومن آناء الليل) عند دخول الليل (فسبح) فصل صلاة المغرب والعشاء (وأطراف النهار) صلاة الظهر والعصر (لعلك ترضى) لكى تعطى الشفاعة

تنال عند الله مابه ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وأبو بكر أى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك ومد لنظر تطويله وأن لايكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أن يبادر الشئ بالنظر ثم

يغض الطرف ولقد شدد المتقون فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة فى ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لأنهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذى متعنا به و هو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحيوة الدنيا) زينتها وبهجتها وانتصب على الذم أوعلى ابداله من محل به أوعلى ابداله من أزواجا على تقدير ذوى زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أولنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) ثوابه و هو الجنة أوالحلال الكافى (خير وأبقى) مما رزقوا

نفسك وقرأ الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك ﴿ ولا تمدن عينيك ﴾ أى نظر عينيك ﴿ الى ما متعنا به ﴾ استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ﴿ ازواجا منهم ﴾ اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم أى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم أو ناسا منهم ﴿ زهرة الحيوة الدنيا ﴾ منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى اعطينا أو بالبدل من محل به أو من ازواجا بتقدير مضاف ودونه أو بالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة فى الجهرة أو جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهر والدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه ﴿ ورزق ربك ﴾ وما ادخر لك فى الآخرة أو ما رزقك من الهدى والنبوة ﴿ خير ﴾ مما منحهم فى الدنيا ﴿ وابقى ﴾

ربك (ق) عن جرير بن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها *قوله لاتضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لايظلم بعضكم بعضا فى رؤيته و روى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام أى لايزدحم ولاينضم بعضكم الى بعض فى رؤيته والكاف فى قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية لاللمرئى وهى فعل الرائى ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لاترتابون فيه ولاتشكون * قوله عز وجل ﴿ ولا تمدن عينيك ﴾ قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق أو أسلفنى الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لاأبيعه ولاأسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعنى أو أسلفنى لقضيته وانى لامين فى السماء وأمين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أى لاتنظر نظرا تكاد ترده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له ﴿ الى ما متعنا به ﴾ أى اعطينا ﴿ ازواجا ﴾ أى أصنافا ﴿ منهم زهرة الحيوة الدنيا ﴾ أى زينتها وبهجتها ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ أى لنجعل ذلك فتنة لهم بأن نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ﴿ ورزق ربك ﴾ أى فى المعاد فى الجنة ﴿ خير وأبقى ﴾ أى أدوم وقال أبى بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات و من أتبع بصره مافى أيدى الناس طال حزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه

حتى ترضى (ولا تمدن عينيك) ولاتنظرن رغبة (الى ما متعنا به) الى ما أعطينا من المال (أزواجا) رجالا (قوله) (منهم) من بنى قريظة والنضير (زهرة الحيوة الدنيا) زينة الدنيا (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيما أعطيناهم من الزينة (ورزق ربك) الجنة (خير) أفضل (وأبقى) ادوم

(وأمر أهلك) أمتك أو أهل بيتك (بالصلوة واصطبر) أنت داوم (عليها لا نسئلك رزقا) أي لا نسألك ان ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) واياهم فلا تهتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الآخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزني اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله وعن مالك بن دينار مثله وفي بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أي واحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين (وقالوا) أي الكافرون (لولا يأتينا بآية من ربه) هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم يأتهم) أولم تأتهم مدني وحفص وبصري (بينة ما في الصحف الاولى) أي الكتب المتقدمة يعني انهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات وهي مفتقرة الى شهادته على

فانه لا ينقطع ﴿وأمر اهلك بالصلوة﴾ امره بان يأمر اهل بيته أو التابعين له من امته بالصلاة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة ﴿واصطبر عليها﴾ ودوام عليها ﴿لا نسئلك رزقا﴾ أي ان ترزق نفسك ولا اهلك ﴿نحن نرزقك﴾ واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة ﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للتقوى﴾ لذوي التقوى روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه﴾ بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة أو بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم والعمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال ﴿أولم يأتهم بينة ما في الصحف الاولى﴾ من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي به امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم اولم تأتهم بالتاء والباقون

---

* قوله تعالى ﴿وأمر أهلك﴾ أي قومك وقيل من كان على دينك ﴿بالصلوة﴾ أي بالمحافظة عليها ﴿واصطبر عليها﴾ أي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول ﴿لا نسئلك رزقا﴾ أي لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا ﴿نحن نرزقك﴾ أي بل نحن نرزق ونرزقك أهلك ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفي بعض المسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية * قوله تعالى ﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿لولا يأتينا بآية من ربه﴾ أي بالآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة ﴿أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى﴾ أي بيان ما فيها وهو القرآن لانه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما في الصحف ما في التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فجعلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة ما في الصحف الاولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته

مما لهم في الدنيا (وأمر أهلك بالصلوة) عند الشدة (واصطبر عليها) اصبر عليها (لا نسئلك رزقا) أن ترزق نفسك ولا [illegible] (نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) الجنة لمتقي الكفر والشرك والفواحش (وقالوا) يعني أهل مكة (لولا يأتينا) هلا يأتينا محمد (بآية) بعلامة (من ربه أولم تأتهم بينة) بيان (ما في الصحف الاولى) في التوراة والانجيل أن فيهما صفة محمد صلى الله

ربنا لولا) هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبع) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (آياتك من قبل أن نذل) بنزول العذاب (ونخزى) في العقبى (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للعاقبة ولما يؤول اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) أنتم (فستعلمون) اذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحلهما نصب (الصراط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) الى النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الا سورة طه ويس والله أعلم بالصواب

بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أو البينة والتذكير لانها في معنى البرهان أو المراد بها القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل﴾ بالقتل والسبي في الدنيا ﴿ونخزى﴾ بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما ﴿قل كل﴾ اى كل واحد منا ومنكم ﴿متربص﴾ منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم ﴿فتربصوا﴾ وقرئ فتمتعوا ﴿فستعلمون من أصحاب الصراط السوي﴾ المستقيم وقرئ السواء أي الوسط الجيد والسوأى والسوء أي الشر والسوي وهو تصغيره ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلهما الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة أو على اصحاب أو على الصراط على ان المراد به النبي عليه الصلاة والسلام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم اجمعين

﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ أي من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ أي لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت إلينا رسولا يدعونا ﴿فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ بالعذاب والهوان والافتضاح ﴿قل كل متربص﴾ أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى ﴿فتربصوا﴾ أي فانتظروا ﴿فستعلمون﴾ أي اذا جاء أمر الله وقامت القيامة ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ أي المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ أي من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

عليه وسلم ونعته (ولو أنا أهلكناهم) يعني أهل مكة (بعذاب من قبله) من قبل مجيء محمد عليه السلام اليهم بالقرآن (لقالوا) يوم القيامة (ربنا) يا ربنا (لولا) هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك) فنطيع رسولك ونؤمن بكتابك (من قبل أن نذل) نقتل يوم بدر (ونخزى) نعذب بعذاب يوم القيامة (قل) لهم يا محمد (كل) كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لهلاك صاحبه (فتربصوا) فانتظروا (فستعلمون) عند نزول العذاب يوم القيامة (من أصحاب الصراط السوي) العدل (ومن اهتدى) الى الايمان منا أو منكم

الجزء السابع عشر

اللهم حاسبنا حسابا يسيرا

سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ بالاضافة الى مامضى أو عند الله لقوله تعالى * انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل ماهو آت قريب وانما البعيد ماانقرض ومضى واللام صلة لاقترب أو تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله ﴿ وهم فى غفلة ﴾ أى فى غفلة عن الحساب ﴿ معرضون ﴾

تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهى مكية

وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمان وستون

كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ أى وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه ﴿ وهم فى غفلة معرضون ﴾ أى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون

﴿ سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية كوفى واحدى عشرة مدنى وبصرى ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اقترب) دنا (للناس) اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالناس المشركون لان مايتلوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على أعمالهم يعنى يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقلة مابقى بالاضافة الى مامضى ولان كل آت قريب (وهم فى غفلة) عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه فى دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه فى مولاه واعراضه عن دنياه فهو لايفيق الا برؤية المولى والاول انما يفيق فى عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتتنبه للعرض قبل ان تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بقاء رب العالمين

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الانبياء وهى كلها مكية آياتها [illegible] ومائة وثلاثون ﴿ لايتفكرون ﴾ وثلاثون وحروفها اربعة آلاف وثمان ومائة وستون حرفا ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى [illegible] تعالى (اقترب للناس حسابهم) يقول دنا لاهل مكة ماوعدلهم فى الكتاب من العذاب (وهم فى غفلة) عن ذلك (معرضون) مكذبون

(ما يأتيهم من ذكر) شيء من القرآن (من ربهم محدث) في التنزيل اتيانه مبتدأ تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثها (الا استمعوه) من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوه (وهم يلعبون) يستهزؤن به (لاهية) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير في استمعوه ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت (قلوبهم) بلاهية وهي من لها عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها قال أبو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول

بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها (وأسروا) وبالغوا في اخفاء (النجوى) وهي اسم من التناجي ثم أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا ايذانا بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى فقدم عليه أي والذين ظلموا أسروا النجوى (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام

عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ﴿ما يأتيهم من ذكر﴾ ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة ﴿من ربهم﴾ صفة لذكر أو صلة ليأتيهم ﴿محدث﴾ تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا * وقرئ بالرفع حملا على المحل ﴿الا استمعوه وهم يلعبون﴾ يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك ﴿لاهية قلوبهم﴾ أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير ﴿وأسروا النجوى﴾ بالغوا في اخفائها أو جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها ﴿الذين ظلموا﴾ بدل من واو وأسروا للايماء بانهم ظالمون فيما أسروا به أو فاعل له والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم أو منصوب على الذم ﴿هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وانتم تبصرون﴾ باسره في موضع النصب بدلا من النجوى أو مفعولا

لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الأمر بعد الأمر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الأمور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قال النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضافه اليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ﴿الا استمعوه وهم يلعبون﴾ أي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون ﴿لاهية قلوبهم﴾ أي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ أي بالغوا في اخفاء التناجي وهم الذين أشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا فيه فقال تعالى مخبرا عنهم ﴿هل هذا الا بشر مثلكم﴾ يعني أنهم أنكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة ولا يوجب ارسال البشر الى البشر لأن الانسان الى القبول من أشكاله أقرب ﴿أفتأتون السحر﴾ أي أتحضرون السحر وتقبلونه ﴿وأنتم تبصرون﴾ أي تعلمون أنه سحر

به تاركون له (ما يأتيهم) ما يأتي الى نبيهم جبريل (من ذكر) بذكر يعني القرآن (من ربهم محدث) بآية بعد آية وسورة بعد سورة اكان اتيان جبريل وقراءة محمد صلى الله عليه وسلم واستماعهم محدثا لا القرآن (الا استمعوه) الا استمع أهل مكة الى قراءة محمد عليه السلام والقرآن (وهم يلعبون) يهزؤن بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لاهية قلوبهم) غافلة قلوبهم عن أمر الآخرة (وأسروا النجوى) اخفوا التكذيب بمحمد عليه السلام والقرآن فيما بينهم (الذين ظلموا) هم الذين ظلموا وأشركوا أبو جهل وأصحابه يقول بعضهم لبعض (هل هذا) ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (الا بشر) آدمي (مثلكم أفتأتون السحر) أفتصدقون بالسحر والكذب (وأنتم تبصرون) وأنتم

كله فى محل النصب بدل من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا والمعنى انهم اعتقدوا أن الرسول لايكون الاملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون انه سحر (قال ربى) حمزة وعلى وحفص أى قال محمد وغيرهم قل ربى أى قل يا محمد (يعلم القول فى السماء والارض) أى يعلم قول كل قائل هو فى السماء أو الارض سرا كان أو جهرا (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بما فى ضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام رآها فى نومه فتوهمها وحيا من الله اليه ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والبطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا فى دعواه وليس الامر كما يظن (فليأتنا بآية) معجزة (كما أرسل الاولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه فى قوله كما أرسل الاولون من حيث انه فى معنى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى انه لا فرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله

لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه فى ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لايكون الاملكا واستلزموا منه ان ماجاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا فى استنباط مايهدم امره ويظهر فساده للناس عامة ﴿قل ربى يعلم القول فى السماء والارض﴾ جهرا كان أو سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى فى المبالغة * وقرأ حمزة والكسائى وحفص قال بالاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وهو السميع العليم﴾ فلا يخفى عليه ماتسرون ولا ماتضمرون ﴿بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر﴾ اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام الحكاية والابتداء باخرى أو للاضراب عن تحاورهم فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وماظهر عليه من الآيات الى تقاولهم فى امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعرى يخيل الى السامع معانى لاحقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم فى درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه مايناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لايكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وماسمعوا منه كذبا قط وهو ابعد من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق ﴿فليأتنا بآية كما ارسل الاولون﴾ أى كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية

﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ربى يعلم القول فى السماء والارض﴾ أى لايخفى عليه شئ ﴿وهو السميع﴾ لاقوالهم ﴿العليم﴾ بافعالهم * قوله عز وجل ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ يعنى أباطيل وأهاويل رآها فى النوم ﴿بل افتراه﴾ أى اختلقه ﴿بل هو شاعر﴾ وذلك ان المشركين اقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وماجاءكم به شعر ﴿فليأتنا﴾ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ﴿بآية﴾ أى بحجة ان كان صادقا ﴿كما أرسل الاولون﴾ أى من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم

تعلمون بانه سحر او كذب (قل) [illegible] (ربى يعلم القول فى السماء والارض) [illegible] من القول والفعل [illegible] من أهل السماء والارض (وهو السميع) [illegible] أبى جهل واصحابه (العليم) [illegible] (بل قالوا) قال بعضهم (أضغاث أحلام) أباطيل أحلام كاذبة مما أتانا به محمد صلى الله عليه وسلم (بل افتراه) وقال بعضهم بل اختلق محمد عليه السلام القرآن من تلقاء نفسه (بل هو شاعر) وقال بعضهم بل هو شاعر يرويه (فليأتنا بآية) بعلامة (كما أرسل الاولون) من الرسل بالآيات الى قومهم [illegible]

(ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) صفة لقرية عند مجيء الآيات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا (أفهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء مايقترحون لنكثوا أيضا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم (يوحى اليهم) نوحى حفص (فاسئلوا أهل الذكر) العلماء بالكتابين فانهم يعرفون أن الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم لاتعلمون) ذلك ثم بين انه كمن تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وحد الجسد لارادة الجنس (لايأكلون الطعام) صفة لجسدا يعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوى جسد غير طاعمين (وما كانوا خالدين) كانهم قالوا هلا كان ملكا لايطعم ويخلد اما معتقدين أن الملائكة لايموتون أو مسمين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة خلودا (ثم صدقناهم الوعد) بانجائهم والاصل فى الوعد مثل وعدنا [illegible] موسى قومه

﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ من اهل قرية ﴿اهلكناها﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم ﴿أفهم يؤمنون﴾ لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم ﴿وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون﴾ جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى امر النبي عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم أو لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ نفى لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا أبشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر فى الاصل أو على حذف المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشئ واشتداده ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ اى فى الوعد

﴿ما آمنت قبلهم﴾ أى قبل مشركى مكة ﴿من قرية﴾ أى من أهل قرية أتتهم الآيات ﴿أهلكناها﴾ أى بالتكذيب ﴿أفهم يؤمنون﴾ أى ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفيؤمن هؤلاء ﴿ قوله تعالى ﴿وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم﴾ هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى انا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا نوحى اليهم مثلك ﴿فاسئلوا أهل الذكر﴾ يعنى أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لاينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأمر الله المشركين بسؤال اهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن أى فسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن ﴿ان كنتم لاتعلمون﴾ ﴿ قوله عز وجل ﴿وما جعلناهم﴾ أى الرسل ﴿جسدا لا يأكلون الطعام﴾ هذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام ﴿وما كانوا خالدين﴾ أى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم ﴿ثم [illegible] الوعد﴾ أى الذى

فيقول الله (ما آمنت قبلهم) قبل قومك باتيان الآيات (من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) بالتكذيب بالآيات (أفهم يؤمنون) [illegible] الآيات [illegible] (وما أرسلنا قبلك) من الرسل (الا رجالا) من [illegible] الرسل [illegible] (فاسئلوا اهل الذكر) أهل التوراة والانجيل (ان كنتم لاتعلمون) [illegible] (وما جعلناهم جسدا) الانبياء (لا يأكلون الطعام) ولا يشربون الشراب (وما كانوا خالدين) [illegible] ويموتون نزلت فيهم حين قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق [illegible]

اى من قومه (فانجيناهم)مماحل بقومهم (ومن نشاء)هم المؤمنون(وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر ودل الاخبار باهلاك المسرفين على أن من نشاء غيرهم (لقد أنزلنا اليكم) يامعشر قريش (كتابا فيه ذكركم) شرفكم ان عملتم به أو لانه بلسانكم أو فيه موعظتكم أو فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة أى فيه ذكركم صفة لكتابا (أفلا تعقلون)مافضلتكم به على غيركم فتؤمنو (وكم)نصب بقوله(قصمنا)أى أهلكنا (من قرية)أى أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كافرة وهى واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لان القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم فانه كسر بلا ابانة (وأنشأنا)خلقنا (بعدها قوما آخرين) فسكنوا مساكنهم(فلما أحسوا)أى المهلكون (بأسنا) عذابا أى علموا علم حس ومشاهدة (اذاهم منها) من القرية واذا للمفاجأة وهم مبتدأ والخبر(يركضون) يهربون مسرعين والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب أو شبهوا فى سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لا تركضوا) والقائل بعض الملائكة (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) انعمتم فيه من الدنيا واين العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه (ومساكنكم لعلكم تسئلون)أى يقال لهم استهزاءبهم ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم

﴿ فانجيناهم ومن نشاء ﴾ يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو واحد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال ﴿واهلكنا المسرفين ﴾فى الكفر والمعاصى ﴿ لقد انزلنا اليكم ﴾ ياقريش ﴿ كتابا ﴾يعنى القرآن ﴿ فيه ذكركم ﴾ صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ماتطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق ﴿ افلا تعقلون ﴾ فتؤمنون ﴿ وكم قصمنا من قرية ﴾ واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم ﴿ كانت ظالمة﴾ صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه ﴿ وانشأنا بعدها ﴾ بعد اهلاك اهلها ﴿ قوما آخرين ﴾ مكانهم ﴿ فلما احسوا بأسنا ﴾ فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف ﴿ اذاهم منها يركضون ﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم من فرط اسراعهم ﴿ لا تركضوا ﴾ على ارادة القول أى قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك أو من ثمه من المؤمنين ﴿وارجعوا الى ما اترفتم فيه ﴾ من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ﴿ ومساكنكم ﴾ التى كانت لكم ﴿ لعلكم تسئلون ﴾ غدا من اعمالكم أو تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب أو تقصدون

وعدناهم باهلاك أعدائهم ﴿فانجيناهم ومن نشاء ﴾أى من المؤمنين الذين صدقوهم ﴿وأهلكنا المسرفين ﴾ أى المشركين لان المشرك مسرف على نفسه ﴿قوله عزوجل ﴿ لقد أنزلنا اليكم ﴾ أى يامعشر قريش ﴿ كتابا فيه ذكركم ﴾ أى شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ماتحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقل ﴿ قوله تعالى ﴿ وكم قصمنا ﴾أى أهلكنا ﴿ من قرية كانت ظالمة ﴾ أى كافرة والمراد أهل القرية ﴿وأنشأنا بعدها ﴾ أى أحدثنا بعد هلاك أهلها ﴿ قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا ﴾ أى عذابنا بحاسة البصر ﴿ اذاهم منها يركضون ﴾ أى يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب ﴿ لا تركضوا ﴾ أى قيل لهم لا تهربوا ﴿ وارجعوا الى ما أترفتم فيه ﴾ أى تنعمتم فيه من العيش ﴿ ومساكنكم لعلكم تسئلون ﴾

بالنجاة (فانجيناهم) يعنى الانبياء (ومن نشاء) من آمن بالرسل (وأهلكنا المسرفين) المشركين (لقد أنزلنا اليكم) [illegible] الى نبيكم (كتابا) جبريل بكتاب (فيه ذكركم) شرفكم وعزكم ان آمنتم به (أفلا تعقلون) أفلا تصدقون بشرفكم وعزكم (وكم قصمنا) أهلكنا (من قرية) أهل قرية (كانت ظالمة) كافرة مشركة أهلها (وأنشأنا) خلقنا (بعدها) بعد هلاكها (قوما آخرين) فسكنوا) ديارهم (فلما أحسوا بأسنا) رأوا عذابنا [illegible] (اذاهم منها) من [illegible] (يركضون) يهربون ويقال يسرعون أيضا قالت لهم الملائكة (لا تركضوا) لا تهربوا (وارجعوا الى ما أترفتم) أنعمتم (فيه ومساكنكم) [illegible]

ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس فى أنديتكم المعاونة فى نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم أو قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم وأموالكم لعلكم تسئلون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودى من السماء يالثارات الأنبياء وأخذتهم السيوف فثم (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين) اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فمازالت تلك) هى اشارة الى ياويلنا (دعواهم) دعاءهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت

الخبر ويجوز العكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أى الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر (خامدين) ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل أى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا أى جعلته جامعا للطعمين (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) اللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق للهو واللعب وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ومجازى المحسن والمسئ على ما تقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدث بقوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) أى ولدا أو امرأة [illegible]

للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل ﴿ قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين ﴾ لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبى فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يالثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك ﴿ فمازالت تلك دعواهم ﴾ فمازالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول ياويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية ﴿ حتى جعلناهم حصيدا ﴾ مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع ﴿ خامدين ﴾ ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره ﴿ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ﴾ وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسببا لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال ﴿ لو اردنا ان نتخذ لهوا ﴾ ما يتلهى به ويلعب

قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية فى أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا أى لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون شيأ من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فنكم أهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يالثارات الانبياء فلما رأوا ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم ﴿ قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين ﴾ أى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم ﴿ فمازالت تلك دعواهم ﴾ أى تلك الكلمة وهى قولهم ياويلنا ﴿ حتى جعلناهم حصيدا ﴾ أى بالسيوف كما يحصد الزرع ﴿ خامدين ﴾ أى ميتين ﴿ قوله عز وجل ﴿ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ﴾ معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو وانما سويناهم [illegible] التفكر [illegible] خالقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التى لا تعد ولا تحصى ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهوا ﴾

[illegible] (ياويلنا انا كنا ظالمين) بقتل نبينا (فمازالت تلك [illegible]) [illegible] (خامدين) ميتين لا يتحركون هذه قصة أهل قرية [illegible] عليه [illegible] ثم فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم ولم يترك فيهم عينا تطرف (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) [illegible] لاهين بالأمر والنهى ثم نزل فى قولهم الملائكة بنات الله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) بنت ويقال

كأنه ردعلى من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته (لاتخذناه من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كنا فاعلين) اى ان ك
ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته فى حقنا وقيل هو نفى كقوله وان أدرى اى ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضرا
عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه

﴿لاتخذناه من لدنا﴾ من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى ﴿ان كنا فاعلين﴾ ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب أى بل من شاننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده اللهو ﴿فيدمغه﴾ فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله

سأترك منزلى لبنى تميم * والحق بالحجاز فاستريحا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق ﴿فاذا هو زاهق﴾ هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة ﴿وله من فى السموات والارض﴾ خلقا وملكا ﴿ومن عنده﴾ يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم أو لانه اعم منه من وجه أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء فى السماء والارض أو مبتدأ خبره ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ لا يتعظمون عنها

نقذف اى نرمى ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان او بالاسلام على الشرك او بالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان اصل استعمال القذف والدمغ فى الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل والمستعار حسى والمستعار له عقلى فكأنه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوى على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوى الضعيف (فاذا هو) أى الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل مما تصفون) الله من الولد ونحوه (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا فانى يكون شئ منه ولدا له وبينهما تناف ويوقف على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزلا ولا مكانا يعنى الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته

قال ابن عباس اللهو المرأة وعنه انه الولد ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ أى من عندنا من الحور العين لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا فى حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا فى المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ﴿ان كنا فاعلين﴾ أى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية ﴿بل﴾ أى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل ﴿نقذف﴾ أى نرمى ونسلط ﴿بالحق﴾ أى بالايمان ﴿على الباطل﴾ أى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا ﴿فيدمغه﴾ فيهلكه ﴿فاذا هو زاهق﴾ اى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ﴿ولكم الويل﴾ يا معشر الكفار ﴿مما تصفون﴾ الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد ﴿وله من فى السموات والارض﴾ أى عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم ﴿ومن عنده﴾ يعنى الملائكة [illegible] ان كانوا داخلين [illegible] فى السموات [illegible] لا يستكبرون [illegible] لا يتعظمون عنها

زوجة ويقال ولد (لاتخذناه من لدنا) من عندنا من الحور العين (انا كنا) ما كنا (فاعلين) ذلك [illegible] بالحق) [illegible] فاذا هو زاهق) [illegible] الباطل (ولكم) يا معشر الكفار (الويل) [illegible] (مما تصفون) مما تقولون الملائكة بنات الله (وله) [illegible] السموات والارض) من الخلق (ومن عنده) من الملائكة (لا يستكبرون) لا يتعاظمون (عن عبادته) عن طاعته

يستحسرون) ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل يسبحون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع
قلتهم لا تخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا ثم أضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء
ب التي بمعنى بل والهمزة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يحيون الموتى ومن الارض صفة لآلهة لان آلهتهم
كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر وتعبد في الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة أي مدني
متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان غاية

ينشرون زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان أصنامهم تحيي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات لانه يلزم من دعوى الالوهية لها دعوى الانشار لان العاجز عنه لا يصح ان يكون الها اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الياء وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها أي أحياها (لو كان فيهما آلهة الا الله) اي غير الله وصفت آلهة بالا كما وصفت بغير لو قيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل لان لو بمنزلة ان في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكرا

﴿ولا يستحسرون﴾ ولا يعيون فيها واتى بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون ﴿ يسبحون الليل والنهار ﴾ ينزهونه ويعظمونه دائما ﴿لا يفترون﴾ حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ﴿ ام اتخذوا آلهة ﴾ بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم ﴿من الارض ﴾ صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص ﴿هم ينشرون﴾ الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعائهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله﴾ غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا اومعه حلالها على غير كما استثنى بغير حلا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب ﴿لفسدتا﴾ لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه

﴿ ولا يستحسرون ﴾ اي لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ اي لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتر في جميع اوقاتهم لا تخلله فترة بفراغ او شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم ﴿ ام اتخذوا آلهة من الارض ﴾ يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الارض ﴿ هم ينشرون ﴾ اي اي يحيون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل ﴿ لو كان فيهما ﴾ أي في السماء والارض ﴿آلهة الا الله﴾ أي غير الله ﴿لفسدتا ﴾ أي لخربتا وهلك من فيهما لوجود التمانع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب أن يكون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلابد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان أحدهما أراد

يجوز ان يستثنى منه عند المحققين لانه (قا و خا ٣١ بع) لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى ... الا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر ... السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما (لفسدتا) لخربتا ... وجود التمانع وقد قررناه في أصول الكلام

... (ولا يستحسرون) لا يعيون من عبادة الله (يسبحون الليل والنهار) يصلون لله الليل ... (لا يفترون)
... لا يعيون من عبادة الله والاقرار بالله (أم اتخذوا) أم عبدوا يعني أهل مكة (الهة من الارض) في الارض (هم ينشرون) يحيون
... يقال يخلقون (لو كان فيهما آلهة) يعني في السماء والارض اله (الا الله) غير الله (لفسدتا) لفسدتا هو هما

تعاوقت عنه ﴿فسبحان الله رب العرش﴾ المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدابير ومنشأ التقادير ﴿عما يصفون﴾ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ﴿لا يسئل عما يفعل﴾ لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة لذاته ﴿ وهم يسئلون ﴾ لانهم مملوكون

تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أولا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثانى وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما انه لو كان كل واحد منهما قادرا على مالا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لابد وأن يستويا فى القدرة واذا استويا فى القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثانى والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذى وقع مراده يكون قادرا والذى لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضى الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة فى مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضى الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا أو نقول لو قدرنا الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشئ الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثانى والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما فى العالم العلوى والسفلى من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة فى القرآن واعلم ان كل من طعن فى دلالة التمانع ففسر الآية بان المراد لو كان فى السماء والارض آلهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم فى قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به * وأما قوله ﴿ فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد ﴿ لا يسئل عما يفعل ﴾ أى لا يسئل الله عما يفعله ويقضيه فى خلقه ﴿وهم يسئلون ﴾ أى والناس يسئلون عن أعمالهم والمعنى انه لا يسئل عما يحكم فى عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله

ثم نزه ذاته فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لا يسئل عما يفعل) لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقى لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك الملوك ورب الارباب وفعله صواب كله أولى بان لا يعترض عليه (وهم يسئلون) لانهم مملوكون خطاؤن فما أخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم فى كل شئ فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع الى المسيح والملائكة أى هم مسؤلون فكيف يكونون آلهة والالوهية تنافى الجنسيه والمسؤلية

(فسبحان الله رب العرش) السرير (عما يصفون) يقولون على الله من الولد والشريك (لا يسئل عما يفعل) لا يسئل الله عما يقول ويأمر ويفعل (وهم يسئلون) والعباد يسئلون عما يقولون ويعملون

أم اتخذوا من دونه آلهة) الاعادة لزيادة الافادة فالاول للانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل أي وصفتم الله تعالى بان يكون شريك فقيل لمحمد (قل هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك وذا عقلي وهو يأباه كما مر أو نقلي وهو الوحي وهو أيضا يأباه فانكم لاتجدون كتابا من الكتب السماوية الا وفيه توحيده وتنزيهه عن الانداد (هذا) أي القرآن (ذكر من معي) يعني أمته (وذكر من قبلي) يعني أمم الانبياء من قبلي وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه معي حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لايعلمون الحق) أي القرآن وهو نصب بيعلمون وقرئ الحق أي هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه) الا نوحي كوفي غير أبي بكر وحماد (انه لااله الا أنا فاعبدون) وحدوني فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد

مستعبدون والضمير للآلهة اوللعباد ﴿ ام اتخذوا من دونه آلهة ﴾ كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم اوضما لانكار مايكون لهم سندا من النقل الى انكار مايكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية اووجدوا في الكتب الآلهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول مايدل على فساده عقلا وعلى الثاني مايدل على فساده نقلا ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ذلك امامن العقل اومن النقل فانه لايصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا ﴿ هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ﴾ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبعن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدمها ﴿ بل اكثرهم لايعلمون الحق ﴾ ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب ﴿ فهم معرضون ﴾ عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك ﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لااله الا انا فاعبدون ﴾ تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء

تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشئ فعله لم فعلته ۞ قوله عز وجل ﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة ﴾ لما أبطل الله تعالى أن تكون آلهة سواه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ أي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا ﴿ هذا ﴾ يعني القرآن ﴿ ذكر من معي ﴾ أي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيمة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿ وذكر ﴾ أي خبر ﴿ من قبلي ﴾ أي من الامم السالفة ومافعل بهم في الدنيا ومايفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس ذكر من معي القرآن وذكر من قبل التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا أو كان معه آلهة ﴿ بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون ﴾ ۞ قوله عز وجل ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون ﴾ أي فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون أي عن التأمل والتفكر ومايجب عليهم من الايمان بانه لااله الا هو ۞ قوله تعالى

(أم اتخذوا) عبدوا (من دونه) من دون الله (آلهة) اصناما (قل) لهم يا محمد (هاتوا برهانكم) حجتكم بعبادتها (هذا) يعني القرآن (ذكر من معي) خبر من هو معي (وذكر من قبلي) خبر من كان قبلي من المؤمنين والكافرين ليس فيه ان الله ولدا وشريكا (بل أكثرهم) كلهم (لايعلمون الحق) ولا يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فهم معرضون) مكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد (من رسول) مرسل (الا نوحي اليه انه) أي قل لقومك حتى يقولوا (لااله الا أنا فاعبدون) فوحدون

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بانهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أى بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا باولاد اذ العبودية تنافى الولادة (لايسبقونه بالقول) أى بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة والمعنى انهم يتبعون قوله فلايسبق قولهم قوله ولايتقدمون قوله بقولهم (وهم بامره يعملون) أى كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبنى على أمره لايعملون عملا لم يؤمروا به (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) أى ما قدموا وأخروا من أعمالهم (ولايشفعون الا لمن الارتضى) أى لمن رضى الله عنه و قال لااله الاالله (وهم من خشيته مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) من الملائكة (انى اله من دونه) من دون الله انى مدنى وأبو عمرو (فذلك) مبتدأ أى فذلك القائل خبره (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزى الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الالهية فى غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والضحاك قد تحقق الوعيد فى ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه له عن ذلك ﴿ بل عباد ﴾ بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد ﴿ مكرمون ﴾ مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد ﴿ لايسبقونه بالقول ﴾ لايقولون شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لايسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله مالم يقله وانيبت اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لايسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه ﴿ وهم بامره يعملون ﴾ لايعملون قط مالم يأمرهم به ﴿ يعلم مابين ايديهم وماخلفهم ﴾ لايخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ﴿ ولايشفعون الا لمن ارتضى ﴾ ان يشفع له مهابة منه ﴿ وهم من خشيته ﴾ عظمته ومهابته ﴿ مشفقون ﴾ مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدى بعلى فبالعكس ﴿ ومن يقل منهم ﴾ من الملائكة اومن الخلائق ﴿ انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾ يريد به نفى البنوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعى الربوبية ﴿ كذلك نجزى الظالمين ﴾ من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ نزه نفسه عما قالوا ﴿ بل عباد ﴾ أى هم عباد يعنى الملائكة ﴿ مكرمون ﴾ أى أكرمهم الله واصطفاهم ﴿ لايسبقون ﴾ أى لايتقدمونه ﴿ بالقول ﴾ أى لايتكلمون الا بما يأمرهم به ﴿ وهم بامره يعملون ﴾ المعنى انهم لايخالفونه قولا ولا عملا ﴿ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ﴾ أى ماعملوا وماهم عاملون وقيل قوما كان قبل خلقهم ومايكون بعد خلقهم ﴿ ولايشفعون الا لمن ارتضى ﴾ قال ابن عباس الا لمن قال لااله الا الله وقيل الا لمن رضى الله تعالى عنه ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾ أى خائفون وجلون لايأمنون مكره ﴿ ومن يقل منهم انى اله من دونه ﴾ قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان أحدا من الملائكة لم يقل انى اله من دون الله ﴿ فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ﴾ أى الواضعين الالهية والعبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل

(وقالوا) يعنى أهل مكة (اتخذ الرحمن ولدا) بنات من الملائكة (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (بل عباد مكرمون) بل هم عبيد أكرمهم الله بالطاعة يعنى الملائكة (لايسبقونه) لايسبق جبريل عن ميكائيل قبل أن يأمره (أولم) (بالقول) ولا بالفعل (وهم) يعنى الملائكة (بامره يعملون) ويقولون يعنى الملائكة (يعلم مابين أيديهم) من أمر الآخرة (وماخلفهم) من أمر الدنيا (ولايشفعون)يعنى الملائكة يوم القيامة (الا لمن ارتضى) الا لمن رضى الله عنه من أهل التوحيد بتوحيده (وهم) يعنى الملائكة (من خشيته) من هيبته (مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) يعنى من الملائكة ويقال من الخلق (انى اله من دونه) من دون الله (فذلك نجزيه جهنم) فبذلك نجزيه جهنم (كذلك) هكذا (نجزى الظالمين) الكافرين

(أولم يرالذين كفروا) ألم يرمكي (ان السموات والارض كانتا) أي جماعة السموات وجماعة الارض فلذالم يقل كن (رتقا) بمعنى المفعول أي كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح ان يقع موقع مرتوقتين (ففتقناهما) فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جائزان في العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لابد له من مخصص وهو القديم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لافضاء بينهما ففتقناهما أي فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لاتمطر والارض رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل (أفلا يؤمنون) يصدقون بما يشاهدون (وجعلنا في الارض رواسي) جبالا

﴿اولم ير الذين كفروا﴾ اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ﴿ان السموات والارض كانتا رتقا﴾ ذاتي رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ﴿ففتقناهما﴾ بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لافرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لاتمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط اواستفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه اوصيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لايحيي دونه وقرئ حيا على انه صفة كل اومفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان ﴿افلا يؤمنون﴾ مع ظهور الآيات ﴿وجعلنا في الارض رواسي﴾

﴿أولم ير الذين كفروا﴾ أي ألم يعلم الذين كفروا ﴿ان السموات والارض كانتا رتقا﴾ قال ابن عباس كانتا شيأ واحدا ملتزقتين ﴿ففتقناهما﴾ أي فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السموات رتقا لاتمطر والارض رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شيء وقال المفسرون معناه ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ماهو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعني ان أكثر ما على وجه الارض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء ﴿أفلا يؤمنون﴾ أي أفلا يصدقون ﴿وجعلنا في الارض رواسي﴾

(أولم ير) يعلم (الذين كفروا) جحدوا بمحمد عليه السلام والقرآن (أن السموات والارض كانتا رتقا) لم تنزل منها قطرة من مطر ولم ينبت على الارض شيء من النبات ملتزقا بعضها على بعض (ففتقناهما) ففرقناهما وأبنا بعضهما عن بعض بالمطر والنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) خلقنا من ماء الذكر والانثى كل شيء يحتاج الى الماء (أفلا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعني أهل مكة (وجعلنا في الارض رواسي) الجبال

ثوابت من رسا اذا ثبت (ان تميد بهم) لئلا تضطرب بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في لئلا يعلم أهل الكتاب (وجعلنا فيها فجاجا) أي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال من (سبلا) متقدمة فان قلت أي فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الاول للاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني لبيان انه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم (لعلهم يهتدون) ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) في موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه أو محفوظا بالشهب عن الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم (وهم) أي الكفار (عن آياتها) عن الادلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم (معرضون) غير متفكرين فيها فيؤمنون (وهو الذي خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتصرفوا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل (كل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه أي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (في فلك) عن ابن عباس رضي الله عنهما الفلك السماء والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره (يسبحون) يسيرون أي يدورون والجملة في محل النصب على الحال (طاحونة)

ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت ﴿ ان تميد بهم ﴾ كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس ﴿ وجعلنا فيها ﴾ في الارض او الرواسي ﴿ فجاجا سبلا ﴾ مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ الى مصالحهم ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ من الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب ﴿ وهم عن آياتها ﴾ عن احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة ﴿ معرضون ﴾ غير متفكرين ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ بيان لبعض تلك الآيات ﴿ كل في فلك ﴾ اي كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة ﴿ يسبحون ﴾ يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز

أي جبالا ثوابت ﴿ أن تميد بهم ﴾ أي لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فارساها الله وأثبتها بالجبال ﴿ وجعلنا فيها ﴾ أي في الرواسي ﴿ فجاجا ﴾ أي طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين ﴿ سبلا ﴾ هو تفسير الفجاج ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ أي الى مقاصدهم ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ أي من ان يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب ﴿ وهم ﴾ يعني الكفار ﴿ عن آياتها معرضون ﴾ أي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شئ مستدير وجمعه أفلاك وقيل الفلك

الثوابت أوتادا لها (أن تميد بهم) كي لا تميد بهم الارض (وجعلنا فيها) في الارض (فجاجا) أودية (سبلا) طرقا واسعة (لعلهم يهتدون) لكي يهتدوا الى الطرق في الذهاب والمجئ (وجعلنا السماء سقفا) على الارض (محفوظا) من السقوط ويقال محفوظا بالنجوم من الشياطين (وهم) يعني أهل مكة (عن آياتها) عن شمسها وقمرها ونجومها (معرضون) مكذبون لا يتفكرون فيها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر) سخر الشمس والقمر (كل) كل واحد منهما (في فلك يسبحون) في دوران يدورون في مجراه يذهبون

من الشمس والقمر (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) البقاء الدائم (أفان مت) بكسر الميم مدنى وكوفى غير أبى بكر (فهم الخالدون) والفاء الاول لعطف جملة على جملة والثانى لجزاء الشرط كانوا يقدرون انه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا أى قضى الله ان لايخلد فى الدنيا بشرا

فان مت أنت أيبقى هؤلاء (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم) ونختبركم سمى ابتلاء وان كان عالما بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر (والخير) الغنى والنفع (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم على حسب مايوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) مايتخذونك (الاهزوا) مفعول ثان ليتخذونك نزلت فى أبى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف (أهذا الذى يذكر) يعيب (آلهتكم) والذكر يكون بخير وبخلافه فان كان

(وماجعلنا) ماخلقنا (لبشر) من الانبياء (من قبلك الخلد) فى الدنيا (أفان مت) يامحمد (فهم الخالدون) فى الدنيا نزلت هذه الآية فى قولهم ننظر محمدا عليه السلام حتى يموت فنستريح (كل نفس) منفوسة (ذائقة الموت) تذوق الموت (ونبلوكم) نختبركم (بالشر والخير) بالشدة والرخاء (فتنة) كلاهما ابتلاء من الله (والينا ترجعون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم (واذا رآك) يامحمد (الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (ان يتخذونك) يامحمد مايقولون لك (الاهزوا) سخرية يقول بعضهم لبعض (اهذا الذى يذكر) يعيب (آلهتكم

انفرادهما لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع اى جعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم ﴿ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون ﴾ نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفى معناه قوله

فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ماانكره ﴿ ونبلوكم ﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿ بالشر والخير ﴾ بالبلايا والنعم ﴿ فتنة ﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه ﴿ والينا ترجعون ﴾ فنجازيكم حسب مايوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق ﴿ واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك ﴾ ويتخذونك ﴿ الاهزوا ﴾ الامهزوا به ويقولون ﴿ أهذا الذى يذكر آلهتكم ﴾ اى بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لايكون الا بسوء

طاحونة كهيئة فلك المغزل يريد ان الذى تجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لاثقيلة ولاخفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول والحق انه لاسبيل الى معرفة صفة السموات الا باخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية * قوله عز وجل ﴿ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ يعنى الدوام والبقاء فى الدنيا ﴿ أفان مت فهم الخالدون ﴾ نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون نشمت بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لايخلد فى الدنيا بشرا لاأنت ولاهم فان مت أنت أيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم مافى نفسى ولاأعلم مافى نفسك فان الله تعالى حى يموت ولايجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت والآلام العظيمة قبل حلوله ﴿ ونبلوكم ﴾ أى نختبركم ﴿ بالشر والخير ﴾ أى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وماتكرهون ﴿ فتنة ﴾ أى ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون ﴿ والينا ترجعون ﴾ أى للحساب والجزاء * قوله عز وجل ﴿ واذا رآك الذين كفروا ان ﴾ أى ما ﴿ يتخذونك الاهزوا ﴾ أى سخريا قيل نزلت فى أبى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف ﴿ أهذا الذى يذكر آلهتكم ﴾ أى يقول بعضهم لبعض هذا

الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم (وهم بذكر الرحمن) أي بذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية (هم كافرون) لا يصدقون به أصلا فهم أحق ان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن أى بما أنزل عليك من القرآن هم كافرون جاحدون والجملة فى موضع الحال أى يتخذونك هزوا وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله تعالى وكررهم للتأكيد أولان الصلة حالت بينه وبين الخبر فاعيد المبتدأ (خلق الانسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحرث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم الشئ على وقته والظاهر أن المراد الجنس وانه ركب فيه العجلة فكانه خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كانه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم * النخل ينبت بين الماء والعجل * وانما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لانه أعطاه القوة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل حال أى عجلا (سأريكم أياتى) نقماتى (فلا تستعجلون) بالاتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش فى الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) اتيان العذاب أو (سبيل) القيامة (ان كنتم صادقين) قيل هو أحد وجهى

﴿وهم بذكر الرحمن﴾ بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن ﴿هم كافرون﴾ منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر ﴿خلق الانسان من عجل﴾ كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ماطبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى انها نزلت فى النضر بن الحارث حين استعجل العذاب ﴿سأريكم آياتى﴾ نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الآخرة عذاب النار ﴿فلا تستعجلون﴾ بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ وقت وعد العذاب او القيامة ﴿ان كنتم صادقين﴾ يعنون النبى عليه الصلاة

الذى يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب ❁ قوله تعالى ﴿خلق الانسان من عجل﴾ قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح فى رأس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل فى خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شئ فى آخر النهار يوم الجمعة فاسرع فى خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيي الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا طوارا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل اى من طين قال الشاعر * والنخل ينبت بين الماء والعجل * أى بين الماء والطين وقيل أراد بالانسان النوع الانسانى يدل عليه قوله ﴿سأريكم آياتى فلا تستعجلون﴾ وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت فى النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتى أى مواعيدى فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى ﴿ويقولون﴾ يعنى المشركين ﴿متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على

(وهم بذكر الرحمن هم كافرون) جاحدون يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب (خلق الانسان) يعنى آدم (من عجل) مستعجلا ويقال خلق الانسان يعنى النضر بن الحرث من عجل مستعجلا بالعذاب (سأريكم آياتى) علامات وحدانيتى فى الآفاق ويقال سأريكم آياتى عذابى بالسيف يوم بدر (فلا تستعجلون) بالعذاب قبل الاجل (ويقولون) يعنى كفار مكة (متى هذا الوعد) الذى تعدنا يا محمد (ان كنتم صادقين)

استعجالهم (لويعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون) جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلايقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولايجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه عندهم (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجاءة (فتبهتهم) فتحيرهم أى لايكفونها بل تفجأهم وتغلبهم (فلايستطيعون ردها)

دفعها (ولاهم ينظرون) يمهلون (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) فحل ونزل (بالذين سخروا منهم) جزاء (ما كانوا به يستهزؤن) سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له فى الانبياء اسوة وان مايفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء مافعلوا (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أى من عذابه ان أتاكم ليلا

والسلام واصحابه رضى الله عنهم ﴿ لويعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوهم النار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون ﴾ محذوف الجواب وحين مفعول ليعلم اى لو يعلمون الوقت الذى يستجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لايقدرون على دفعها ولايجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ماعليهم حين لايكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك ﴿ بل تأتيهم ﴾ العدة او النار او الساعة ﴿ بغتة ﴾ فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين ﴿ فتبهتهم ﴾ فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا فى قوله ﴿ فلايستطيعون ردها ﴾ لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ يمهلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ وعدله بان مايفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء مافعلوا يعنى جزاءه ﴿ قل ﴾ يا محمد للمستهزئين ﴿ من يكلؤكم ﴾ يحفظكم ﴿ بالليل والنهار من الرحمن ﴾ من بأسه ان اراد بكم وفى لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ

سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين مالهؤلاء المستهزئين فقال تعالى ﴿ لويعلم الذين كفروا حين لايكفون ﴾ أى لايدفعون ﴿ عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ﴾ قيل السياط ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ أى لايمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿ بل تأتيهم ﴾ يعنى الساعة ﴿ بغتة ﴾ أى فجأة ﴿ فتبهتهم ﴾ أى تحيرهم ﴿ فلايستطيعون ردها ﴾ أى صرفها ودفعها عنهم ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ أى لايمهلون للتوبة والمعذرة ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك ﴾ أى يا محمد كما استهزأ بك قومك ﴿ فحاق ﴾ أى نزل وأحاط ﴿ بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ أى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم * قوله تعالى ﴿ قل من يكلؤكم ﴾ أى يحفظكم ﴿ بالليل ﴾ اذا نمتم ﴿ والنهار ﴾ اذا انصرفتم فى معايشكم ﴿ من الرحمن ﴾ قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن

لويعلم الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مالهم فى العذاب لم يستعجلوا به (حين لايكفون) يقول حين العذاب لايقدرون ان يمنعوا (عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم) العذاب (ولاهم ينصرون) يمنعون مما يراد بهم من العذاب (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجأة (فتبهتهم) فتفجؤهم (فلايستطيعون ردها) دفعها عن أنفسهم (ولاهم ينظرون) (قا و خا ۳۲ بع) يؤجلون من العذاب (ولقد استهزئ برسل من قبلك) يقول استهزأ بهم قومهم كما استهزأ بك قومك يا محمد (فحاق) فوجب ودار ونزل (بالذين سخروا منهم) على الانبياء (ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب ويقال نزل بهم العذاب باستهزائهم (قل) يا محمد لاهل مكة (من يكلؤكم) من يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن)

من عذا ب

أونهارا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أى بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمعنى انه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لايصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما فى أم من معنى بل فقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لايستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون فبين ان ماليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) أى ماهم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الامد فقست قلوبهم وظنوا انهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) أى ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها دار اسلام وذكر نأتى يشير بان الله يجريه على أيدى المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين تأتيها غالبة عليها ناقصة

غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته ﴿ بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ لايخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كانوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه من المعرض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد ﴿ لايستطيعون نصر انفسهم ولاهم منا يصحبون ﴾ استئناف بابطال مااعتقدوه فان من لايقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره ﴿ بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ﴾ اضراب عما توهموا ببيان ماهو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لايزالوا كذلك وانه بسبب ماهم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال ﴿ افلا يرون انا نأتى الارض ﴾ ارض الكفرة ﴿ ننقصها من اطرافها ﴾

﴿ بل هم عن ذكر ربهم ﴾ أى عن القرآن ومواعظه ﴿ معرضون ﴾ أى لايتأملون فى شئ منها ﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ﴾ معناه ألهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال ﴿ لايستطيعون نصر أنفسهم ﴾ أى لايقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ﴿ ولاهم منا يصحبون ﴾ قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لايصحبون من الله بخير ﴿ بل متعنا هؤلاء ﴾ يعنى الكفار ﴿ وآباءهم ﴾ أى فى الدنيا بان أنعمنا عليهم وأمهلناهم ﴿ حتى طال عليهم العمر ﴾ أى امتد بهم الزمان فاغتروا ﴿ أفلا يرون ﴾ يعنى هؤلاء المشركين ﴿ انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها ﴾ يعنى ننقص من أطراف المشركين ونزيد فى أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك أرضا فارضا وقرية فقرية والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا فى اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها فى ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المتنعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة فى ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لايقدرون على الامتناع منا

الرحمن ويقال غير الرحمن من عذابه (بل هم عن ذكر ربهم) عن توحيد ربهم وكتاب ربهم (معرضون) ﴿ ومن ﴾ مكذبون به تاركون له (أم لهم آلهة) ألهم آلهة (تمنعهم من دوننا) من عذابنا (لايستطيعون نصر أنفسهم) صرف العذاب عن أنفسهم يعنى الالهة فكيف عن غيرهم (ولاهم منا يصحبون) من عذابنا يجارون فكيف يجيرون غيرهم (بل متعنا) أجلنا (هؤلاء) يعنى أهل مكة (وآباءهم) قبلهم (حتى طال عليهم العمر) الاجل (أفلا يرون) اهل مكة (أنا نأتى الارض) نأخذ الارض (ننقصها) نفتحها لمحمد (من أطرافها) من نواحيها

من أطرافها (أفهم الغالبون) أو كفار مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرنا (قل إنما أنذركم بالوحي) أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بفتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامي على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (إذا ما ينذرون) يخوفون واللام في الصم للعهد وهو إشارة إلى هؤلاء المنذرين والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا ما

دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفحة (ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين) أي ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقروا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بلغ حيث ذكر المس والنفحة لأن النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية رضخه بها مع أن بناءها للمرة وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح لين ونفحه بعطية رضخه والبناء للمرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما في قوله يا أيها الرسل والوزن لصحائف الأعمال في قول (القسط) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط (ليوم القيامة) لأهل

بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين ﴿أفهم الغالبون﴾ رسول الله والمؤمنين ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ بما أوحي إلي ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على أن فيه ضميره وإنما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ﴿إذا ما ينذرون﴾ منصوب بيسمع أو بالدعاء والتقييد به لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ أدنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة ﴿من عذاب ربك﴾ من الذي ينذرون به ﴿ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين﴾ لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ﴿ونضع الموازين القسط﴾ العدل توزن بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة ﴿ليوم القيامة﴾

ومن أرادتنا فيهم ثم قال ﴿أفهم الغالبون﴾ استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إنما أنذركم بالوحي﴾ أي أخوفكم بالقرآن ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ أي يخوفون ﴿ولئن مستهم﴾ أي أصابتهم ﴿نفحة من عذاب ربك﴾ قال ابن عباس طرف وقيل شيء قليل ﴿ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين﴾ دعوا على أنفسهم بالويل بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك * قوله عز وجل ﴿ونضع الموازين القسط﴾ أي ذوات العدل ووصفها بذلك لأن بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها إحضارها ﴿ليوم القيمة﴾ أي لأهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت حسناته بسيآته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الأقوال أنه ميزان واحد وإنما جمع لاعتبار تعدد الأعمال الموزونة به وروي أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق

(أفهم الغالبون) أفهم الآن غالبون على محمد صلى الله عليه وسلم (قل) لهم يا محمد (إنما أنذركم بالوحي) بما أنزل من القرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) من يتصامم عن الدعاء إلى الله ويقال لا تقدر أن تسمع الدعاء من تصامم إن قرأت بضم تاء (إذا ما ينذرون) يخوفون (ولئن مستهم) أصابتهم (نفحة) طرف (من عذاب ربك ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين) على أنفسنا كافرين بالله (ونضع الموازين القسط) العدل (ليوم القيامة) في يوم القيامة ميزان لها كفتان ولسان لا يوزن فيها غير

لجزاء يوم القيامة اولاهله اوفيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر ﴿فلا تظلم نفس شيئا﴾ من حقها اومن الظلم ﴿وان كان مثقال حبة من خردل﴾ اى وان كان العمل اوالظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة ﴿أتينا بها﴾ احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا اومن المواتاة فانهم أتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ اذلامزيد على علمنا وعدلنا

والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال الهى من الذى يقدران يملأ كفته حسنات قال ياداود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة فعلى هذا ففى كيفية وزن الاعمال مع أنها اعراض طريقان أحدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيآت فى كفة والثانى أن يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيآت جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولانقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه فى حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر * وقوله تعالى ﴿فلا تظلم نفس شيأ﴾ اى لاتبخس ممالها وماعليها من خير وشر شيأ ﴿وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها﴾ معناه أنه لاينقص من احسان محسن ولايزاد فى اساءة مسئ وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتينا بها أى أحضرناها لنجازى بها عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لايارب فيقول أفلك عذر فيقول لايارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لااله الاالله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لاتظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولايثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذى السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل فى طى الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت فى الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هى التى توزن لاأن الاعمال تجسد جواهر فتوزن والله أعلم * قوله تعالى ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيأ فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان فى العلم بحيث لايمكن ان يشتبه عليه شئ وفى القدرة بحيث لايعجز عن شئ فحقيق بالعاقل أن يكون بأشد الخوف منه ويروى عن الشبلى انه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا * ثم منوا فأعتقوا

هكذا سمة الملوك * بالمماليك يرفقوا

يوم القيامة أى لاجلهم (فلا تظلم نفس شيأ) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشئ مثقال حبة مثقال بالرفع مدنى وكذا فى لقمان على كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتينا بها) أحضرناها وأنث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه (وكفى بنا حاسبين) عالمين حافظين عن ابن عباس رضى الله عنهما لان من حفظ شيأ حسبه وعلمه

الحسنات والسيئات (فلا تظلم نفس شيأ) لاينقص من حسنات أحد ولايزاد على سيئات أحد (وان كان مثقال حبة من خردل) وزن حبة من خردل (أتينا بها) جئنا بها ويقال جزينا بها (وكفى بنا حاسبين) حافظين وعالمين ويقال مجازين

(ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذكر أي شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج الناس اليه في مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (للمتقين) ومحل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) حال أي يخافونه

(وهم من الساعة) القيمة وأهوالها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) كثير الخير غزير النفع (أنزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ أي جاحدون انه منزل من عند الله (ولقد آتينا ابراهيم رشده) هداه (من قبل) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام (وكنا به) بابراهيم أو برشده (عالمين) أي علمنا انه أهل لما آتيناه (اذ) اما أن تتعلق بآتينا أو برشده (قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل) أي الاصنام المصورة

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾ اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان ﴿الذين يخشون ربهم﴾ صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع ﴿بالغيب﴾ حال من الفاعل او المفعول ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض ﴿وهذا ذكر﴾ يعني القرآن ﴿مبارك﴾ كثير خيره ﴿انزلناه﴾ على محمد عليه الصلاة والسلام ﴿افانتم له منكرون﴾ استفهام توبيخ ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة ﴿من قبل﴾ من قبل موسى وهرون أو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حين قال اني وجهت ﴿وكنا به عالمين﴾ علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات ﴿اذ قال لابيه وقومه﴾ متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله ﴿ماهذه التماثيل﴾

﴿ قوله عز وجل ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان﴾ يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون ﴿وضياء﴾ يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة في وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء ﴿وذكرا للمتقين﴾ يعني يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن أعين الناس ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ أي خائفون ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ أي كما آتينا موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذكرا مباركا أي هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير ﴿أفأنتم﴾ يا أهل مكة ﴿له منكرون﴾ أي جاحدون ﴾ قوله تعالى ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ أي صلاحه وهداه ﴿من قبل﴾ أي من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير ﴿وكنا به عالمين﴾ أي انه من أهل الهداية والنبوة ﴿اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل

(ولقد آتينا) أعطينا (موسى وهرون الفرقان) المخرج من الشبهات ويقال النصرة والدولة على فرعون (وضياء) بيانا من الضلالة (وذكرا) عظة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (الذين يخشون ربهم) يعملون لربهم (بالغيب) وان كان غائبا عنهم (وهم من الساعة) من عذاب الساعة (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) فيه الرحمة والمغفرة لمن آمن به (أنزلناه) أنزلنا جبريل به (أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) جاحدون (ولقد آتينا) أعطينا (ابراهيم رشده) يعني العلم والفهم (من قبل) من قبل بلوغه ويقال أكرمناه بالنبوة من قبل موسى وهرون ويقال من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (وكنا به عالمين) بانه أهل لذلك (اذ قال لابيه) آزر (وقومه) نمروذ بن كنعان وأصحابه (ماهذه التماثيل)

على صورة السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم ليحتر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها (التى أنتم لها عاكفون) أى لاجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان بالدليل على ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) أراد ان المقلدين والمقلدين منخرطون فى سلك ضلال ظاهر لايخفى

على عامل وأكد بانتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع (قالوا اجئتنا بالحق) بالجد (أم أنت من اللاعبين) اى أجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظاما منهم انكاره عليهم واستبعادا لان يكون ماهم عليه ضلالا ثم أضرب عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب مثبتا لربوبية الملك العلام وحدوث الاصنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) أى التماثيل فانى يعبد المخلوق ويترك الخالق (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين وتالله) أصله والله وفى التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطنة نمرود (لأكيدن أصنامكم) لاكسرنها (بعد ان تولوا مدبرين) بعد ذهابكم عنها الى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله انى سقيم أى سأسقم ليتخلف فرجع الى بيت

التى انتم لها عاكفون ﴾ تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لاروح فيها لاتضر ولاتنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها ﴿ قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين ﴾ منخرطون فى سلك ضلال لايخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة انه على حق ﴿ قالوا احئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ﴾ كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ماقاله على وجه الملاعبة فقالوا ابجد تقوله ام تلعب به ﴿ قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن ﴾ اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ماادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم ﴿ وانا على ذلكم ﴾ المذكور من التوحيد ﴿ من الشاهدين ﴾ من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه ﴿ وتالله ﴾ وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب ﴿ لاكيدن اصنامكم ﴾ لاجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل ﴿ بعد ان تولوا ﴾ عنها ﴿ مدبرين ﴾ الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا

يعنى الصور والاصنام ﴿ التى أنتم لها عاكفون ﴾ أى مقيمون على عبادتها ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فاقتدينا بهم ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ﴾ أى فى خطأ بين بعبادتكم اياها ﴿ قالوا اجئتنا بالحق ﴾ أى بالصدق ﴿ أم أنت من اللاعبين ﴾ يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب ﴿ قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن ﴾ أى خلقهن ﴿ وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾ أى على انه الاله الذى يستحق العبادة وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾ أى لامكرن بها ﴿ بعد ان تولوا مدبرين ﴾ أى منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا فى نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم ياابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه الى الارض وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتركوه ومضوا فنادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن فى بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم أصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذى يليه أصغر منه وهكذا الى باب البهو واذاهم قد جعلوا طعاما بين يدى الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى مابين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم يجيبوه قال مالكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الصنم

التصاوير (التى أنتم لها عاكفون) عابدون لها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فنحن نعبدها (قال) لهم ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم) قبلكم (فى ضلال مبين) فى { العظم } كفر وخطأ بين (قالوا) لابراهيم (أجئتنا بالحق) بجد تقول ياابراهيم (أم أنت من اللاعبين) من المستهزئين بنا (قال) ابراهيم (بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) خلقهن (وأنا على ذلكم) على ماقلت لكم (من الشاهدين وتالله) والله قال فى نفسه (لأكيدن) لأكسرن (أصنامكم بعد ان تولوا) تنطلقوا (مدبرين) ذاهبين الى العيد فلما ذهبوا الى عيدهم وتركوا ابراهيم فى مدينتهم دخل

الاصنام (فجعلهم جذاذا) قطعا من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على جمع جذيذ أى مجذوذ كخفيف وخفاف (الا كبيرا لهم) للاصنام أو للكفار أى فكسرها كلها بفأس فى يده الا كبيرها فعلق الفأس فى عنقه (لعلهم اليه) الى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه أو الى ابراهيم ليحتج عليهم أى الى الله لما رأوا عجز آلهتهم (قالو) أى الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك (من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين)

أى ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) الجملتان صفتان لفتى الاأن الاول وهو يذكرهم أى يعيبهم لابد منه للسمع لانك لاتقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع بخلاف الثانى وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لاالمسمى اى الذى يقال له هذا الاسم (قالوا) اى نمرود واشراف قومه (فاتوا به) احضروا ابراهيم (على اعين الناس) فى محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمرأى منهم ومنظر (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه او بما فعله كانهم كرهوا عقابه بلا بينة اويحضروه عقوبتناله فلما احضروه (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم

﴿فجعلهم جذاذا﴾ قطعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة ﴿الا كبيرا لهم﴾ للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه ﴿لعلهم اليه يرجعون﴾ لانه غلب على ظنه انهم لايرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم اولانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك اوالى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ﴿قالوا﴾ حين رجعوا ﴿من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين﴾ بجراءته على الآلهة الحقيقة بالاعظام اوبافراطه فى حطمها اوبتوريط نفسه للهلاك ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع اوصفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر اليه ﴿يقال له ابراهيم﴾ هو ابراهيم ويجوزان يرفع بالفعل لان المراد به الاسم ﴿قالوا فأتوا به على اعين الناس﴾ بمرأى منهم بحيث تمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب ﴿لعلهم يشهدون﴾ بفعله اوقوله اويحضرون عقوبتناله ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم﴾ حين

العظيم علق الفأس فى عنقه وقيل فى يده ثم خرج فذلك قوله تعالى ﴿فجعلهم جذاذا﴾ أى كسرا وقطعا ﴿الا كبيرا لهم﴾ أى تركه ولم يكسره ووضع الفأس فى عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان تتقدان ﴿وقوله﴾ لعلهم اليه يرجعون ﴾ قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه ومايدعوهم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسألونه مالهؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس فى عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم رأوا أصنامهم مكسرة ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين﴾ أى فى تكسيرها واجترائه عليها ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ أى يسبهم ويعيبهم ﴿يقال له ابراهيم﴾ أى هو الذى نظن أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ أى جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس وانما قاله نمرود ﴿لعلهم يشهدون﴾ أى عليه بانه الذى فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه ومايصنع به فلما أتوا به ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم

بيت وثنهم (فجعلهم جذاذا) كسرا (الا كبيرا لهم) لم يكسره (لعلهم اليه يرجعون) من عيدهم ... رجعوا

الى بيت وثنهم ودخلوا بيت وثنهم (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) على آلهتنا (قالوا سمعنا) [illegible] (فتى يذكرهم) بالكسر ويعيبهم (يقال له ابراهيم قالوا) قال لهم نمرود (فأتوا به على أعين الناس) بمحضر الناس (لعلهم يشهدون) على فعله ويقال على قوله ويقال على عقوبته (قالوا) قال له نمرود (أأنت فعلت هذا) الكسر (بآلهتنا يا ابراهيم

قال) ابراهيم (بل فعله) عن الكسائى انه يقف عليه أى فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لايجوز وجاز أن يكون الفاعل مسندا الى الفتى المذكور فى قوله سمعنا فتى يذكرهم أو الى ابراهيم فى قوله ياابرهيم ثم قال (كبيرهم هذا) وهو مبتدأ وخبر والاكثر انه لاوقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف أو بدل ونسب الفعل الى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضى تبكيتا لهم والزاما للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه لايصلح الهـا وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق أنيق أنت كتبت هذا وصاحبك أمى فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لانفيه عنك واثباته للامى لان اثباته للعاجز منكما والامر كائن بينكما استهزاء به واثبات للقادر ويمكن ان يقال غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها اشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ماتنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الهـا ان يقدر على هذا ويحكى انه قال غضب ان تعبد هذه الصغار معه وهو اكبرها فكسرهن اوهو متعلق بشرط لابكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمخبر عنه اى بل فعله كبيرهم ان (على) كانوا ينطقون وقوله فاسئلوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه وانما اضاف نفسه اليهم لاشتراكهم فى الحضور (فاسئلوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وانتم تعلمون عجزهم عنه

احضروه ﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ﴾ اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه اوتقرير النفيه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أنت كتبت هذا فقلت بل كتبته انت اوحكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون ومابينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وماروى انه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم

قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن وأراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله ﴿ فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ﴾ أى حتى يخبروا عن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفى ضمنه أنا فعلت ذلك (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الاثلاث كذبات ثنتين منهن فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختى لفظ الترمذى قيل فى قوله انى سقيم أى سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختى أى فى الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبى صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الاثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الاهذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوى وهذه التأويلات لنفى الكذب عن ابرهيم والاولى هو الاول للحديث ويجوز أن يكون الله أذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف حين أمر مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال فى كل ماأخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها او الحدث محول

قال) ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) الذى الفأس على عنقه (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) يتكلمون حتى يخبروكم من كسرهم

(فرجعوا الى انفسهم) فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما اخذ بمخانقهم (فقالوا انكم انتم الظالمون) على الحقيقة بعبادة مالا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فان من لا يدفع عن رأسه الفاس كيف يدفع عن عابديه البأس (ثم نكسوا على رؤسهم) قال اهل التفسير اجرى الله تعالى الحق على لسانهم فى القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة اى ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قال) محتجا عليهم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ) هو فى موضع المصدر أى نفعا (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر تضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اى لكم ولآلهتكم هذا التأفف أف مدنى وحفص أف مكى وشامى اف غيرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا وصفه لا يجوز ان يكون الها فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه) بالنار لانها اهول ما عاقب به وافظع (وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه

ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ﴿ فرجعوا الى انفسهم ﴾ وراجعوا عقولهم ﴿فقالوا﴾ فقال بعضهم لبعض ﴿انكم انتم الظالمون﴾ بهذا السؤال أو بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ﴿ثم نكسوا على رؤسهم ﴾ انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا أى نكسوا انفسهم ﴿ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴾ فكيف تأمر بسؤالها وهو على ارادة القول ﴿قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم ﴾ انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية ﴿اف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأنف له ﴿أفلا تعقلون﴾ قبح صنيعكم ﴿ قالوا ﴾ اخذا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة ﴿ حرقوه ﴾ فان النار اهول ما يعاقب به ﴿وانصروا آلهتكم ﴾ بالانتقام لها

على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب ﴿ وقوله ﴿ فرجعوا الى أنفسهم ﴾ أى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم ﴿فقالوا﴾ ما نراه الا كما قال ﴿انكم أنتم الظالمون﴾ يعنى بعبادتكم مالا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ﴿ثم نكسوا على رؤسهم ﴾ قال أهل التفسير أجرى الله الحق على ألسنتهم فى القول الاول وهو اقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أى ردوا الى الكفر وقالوا ﴿ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴾ أى فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليه ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ﴾ أى ان عبدتموه ﴿ولا يضركم ﴾ أى ان تركتم عبادته ﴿ أف لكم ﴾ أى تبالكم ﴿ ولما تعبدون من دون الله ﴾ والمعنى انه حقر معبودهم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أى أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ﴾ يعنى انكم

(فرجعوا الى أنفسهم) بالملامة (قا و خا ٣٣ بع) (فقالوا) فقال لهم ملكهم نمروذ (انكم أنتم الظالمون) لابراهيم (ثم نكسوا على رؤسهم) رجعوا الى قولهم الاول وقال نمروذ (لقد علمت) يا ابراهيم (ماهؤلاء ينطقون) عن الاصنام فمن ذلك كسرتهم (قال) ابراهيم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ) ان عبدتموه (ولا يضركم) ان تركتموه (أف لكم) قذر لكم ويقال تبالكم (ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) أليس لكم ذهن انسانية تعلمون انه لا يعبد مالا يضر ولا ينفع (قالوا) قال لهم ملكهم نمروذ (حرقوه) بالنار (وانصروا آلهتكم) انتقموا لآلهتكم

﴿ان كنتم فاعلين﴾ ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمروذ ﴿قلنا يا نار كونى بردا وسلاما﴾ ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات

لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن فيها ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ أى ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذى قال هـذا رجل من الاكراد قيل اسمه هبرين فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح

ذكر القصة فى ذلك

فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ماتطلب لئن أصابته لتحطبن فى نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب من ماله لابراهيم فلما جمعوا ماأرادوا وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيرى فان استغاث باحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا ألقاءه فى النار أتاه خازن المياه وقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن أبى بن كعب ان ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجه فقال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار (ق) عن أم شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الاوزاغ زاد البخارى وكان ينفخ على ابراهيم ﴿قلنا﴾ أى قال الله عز وجل ﴿يا نار كونى بردا وسلاما

(ان كنتم فاعلين) اى ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والا فرطتم فى نصرتها والذى اشار باحراقه نمرود أو رجل من اكراد فارس وقيل انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا بكوثى وجمعوا اشهرا اصناف الخشب ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبى الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وما احرقت النار الا وثاقه وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما) أى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كأن ذاتها برد وسلام

(ان كنتم فاعلين) به شيأ فطرحوه فى النار (قلنا يا نار كونى بردا) باردة من حرك (وسلاما) سليمة من البرد

برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أى وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله ﴿على ابراهيم وارادوا به كيدا﴾ مكرا فى اضراره ﴿فجعلناهم الاخسرين﴾ اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ﴿ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين﴾ اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان

على ابراهيم ﴾ قال ابن عباس لولم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفى بعض الآثار انه لم يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت فلم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد أبدا وقيل أخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم فى ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم منى من الايام التى كنت فى النار قيل و بعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لاتضر احبائى ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقمت ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيته معك مثلك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دينى فقال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه * قوله عز وجل ﴿وأرادوا به كيدا﴾ أى أرادوا أن يكيدوه ﴿فجعلناهم الاخسرين﴾ قيل معناه انهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت فى دماغه بعوضة فاهلكته * قوله تعالى ﴿ونجيناه ولوطا﴾ يعنى من نمرود وقومه ﴿الى الارض التى باركنا فيها للعالمين﴾ يعنى أى ارض الشام

لولم يقل ذلك لاهلكته بردها والمعنى ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شئ قدير (وأرادوا به كيدا) احراقا (فجعلناهم الاخسرين) فارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة فى دماغ نمرود فاهلكته (ونجيناه) أى ابراهيم (ولوطا) ابن أخيه هاران من العراق (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) أى أرض الشام وبركتها ان أكثر الانبياء منها فانتشرت فى العالمين آثارهم الدينية وهى أرض خصب يطيب فيها عيش الغنى والفقير وقيل ما من ماء عذب فى الارض الا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس روى انه نزل بفلسطين

(على ابراهيم) ولو لم يقل سلاما لاحرقه البرد (وأرادوا به كيدا) حرقا (فجعلناهم الاخسرين) الاسفلين (ونجيناه) من النار (ولوطا) نجينا لوطا من الخسف وبلغناهما (الى الارض التى باركنا فيها) بالماء والشجر (للعالمين) وهى ارض المقدس وفلسطين والاردن

أكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه عليه السلام نزل بفسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة﴾ عطية فهي حال منهما أو ولد ولد أو زيادة على ماسأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة ﴿وكلا﴾ يعني الاربعة ﴿جعلنا صالحين﴾ بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين ﴿وجعلناهم أئمة﴾ يقتدى بهم ﴿يهدون﴾ الناس الى الحق ﴿بأمرنا﴾ لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين ﴿واوحينا اليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم عليه

بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال أبي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه مامن ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبي قتادة ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده ❀ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم أخرجه أبو داود أراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها ❀ عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وماذاك يارسول الله قال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذي ❀ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله أين تأمرني قال ههنا ونحا بيده نحو الشام أخرجه الترمذي قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ماصنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجرا الى ربه و معه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى أهلها و ماقرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ❀ قوله تعالى ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة﴾ أي عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى أعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين و زاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ يعني ابراهيم واسحق ويعقوب ﴿وجعلناهم أئمة﴾ أي قدوة يهتدى بهم في الخير ﴿يهدون بامرنا﴾ أي يدعون الناس الى ديننا بامرنا ﴿وأوحينا اليهم فعل الخيرات﴾ أي العمل بالشرائع

مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أي وهبنا له هبة وقيل هي ولد الولد وقد سأل ولدا فاعطيه وأعطى يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال وهي حال من يعقوب (وكلا) أي ابراهيم واسحق و يعقوب وهو المفعول الاول لقوله (جعلنا) والثاني (صالحين) في الدين والنبوة (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في الدين (يهدون) الناس (بامرنا) بوحينا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) وهي جميع الاعمال الصالحة وأصله أن تفعل الخيرات فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك

(ووهبنا له) لابراهيم (اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد الولد (نافلة) فضيلة على الولد (وكلا) يعني ابراهيم واسحق ويعقوب وأولادهم (جعلنا صالحين) في دينهم مرسلين (وجعلناهم أئمة) قادة في الخير (يهدون بامرنا) يدعون الخلق الى أمرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) العمل بالطاعات وبقال الدعاء

قوله (واقام الصلوة وايتاء الزكوة) والاصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء (وكانوا لنا عابدين) لا للاصنام فانتم يامعشر العرب أولاد ابراهيم فاتبعوه فى ذلك (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناه حكما) حكمة وهى مايجب فعله من العمل أو فصلا بين الخصوم أو نبوة (وعلما) فقها (ونجيناه من القرية) من أهلها وهي سدوم (التى كانت تعمل الخبائث) اللواطة والضراط وحذف المارة بالحصى وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وادخلناه فى رحمتنا) فى أهل رحمتنا

أو فى الجنة (انه من الصالحين) أى جزاءله على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم (ونوحا) أى واذكر نوحا (اذ نادى) أى دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) أى دعاءه (فنجيناه وأهله) أى المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم أى من اذاهم (انهم

فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله ﴿ واقام الصلوة وايتاء الزكوة ﴾ وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها ﴿ وكانوا لنا عابدين ﴾ موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة ﴿ ولوطا آتيناه حكما ﴾ حكمة او نبوة أو فصلا بين الخصوم ﴿ وعلما ﴾ بما ينبغى علمه للانبياء ﴿ ونجيناه من القرية ﴾ سدوم ﴿ التى كانت تعمل الخبائث ﴾ يعنى اللواطة وصفها بصفة اهلها أو اسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه ﴿ انهم كانو اقوم سوء فاسقين ﴾ فانه كالتعليل له ﴿ وادخلناه فى رحمتنا ﴾ فى اهل رحمتنا أو فى جنتنا ﴿ انه من الصالحين ﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ ونوحا اذ نادى ﴾ اذ دعا الله على قومه بالهلاك ﴿ من قبل ﴾ من قبل المذكورين ﴿ فاستجبنا له ﴾ دعاءه ﴿ فنجيناه واهله من الكرب العظيم ﴾ من الطوفان أو اذى قومه والكرب الغم الشديد ﴿ ونصرناه ﴾ مطاوعه انتصر أى جعلناه منتصرا ﴿ من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم

﴿ واقام الصلوة ﴾ أى المحافظة عليها ﴿ وايتاء الزكوة ﴾ أى الواجبة وخصهما لان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ﴿ وكانوا لنا عابدين ﴾ أى موحدين * قوله عز وجل ﴿ ولوطا آتيناه حكما ﴾ أى الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة ﴿ وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث ﴾ يعنى قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث اتيان الذكور فى أدبارهم وكانوا يتضارطون فى مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات ﴿ انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه فى رحمتنا ﴾ قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب ﴿ انه من الصالحين ﴾ يعنى الانبياء * قوله تعالى ﴿ ونوحا اذ نادى من قبل ﴾ أى من قبل ابراهيم ولوط ﴿ فاستجبنا له ﴾ أى أجبنا دعاءه ﴿ فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا و أشدهم بلاء والكرب أشد الغم ﴿ ونصرناه ﴾ أى منعناه ﴿ من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على ﴿ انهم

الى لا اله الا الله (واقام الصلوة) اتمام الصلوة (وايتاء الزكوة) اعطاء الزكاة (وكانوا لنا عابدين) مطيعين (ولوطا) أيضا (آتيناه حكما) أعطيناه فهما (وعلما) نبوة (ونجيناه من القرية) من أهل قرية سدوم (التى كانت تعمل) أهلها (الخبائث) يعنى اللواطة (انهم كانوا قوم سوء) فى كفرهم (فاسقين) باللواطة (وأدخلناه) ندخله فى الآخرة (فى رحمتنا) فى جنتنا ويقال أكرمناه فى الدنيا بالنبوة (انه من الصالحين) فى دينهم المرسلين (ونوحا) أيضا أكرمناه بالنبوة (اذ نادى) دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل لوط (فاستجبنا له) الدعاء (فنجيناه وأهله) ومن آمن به (من الكرب العظيم) يعنى الغرق (ونصرناه من القوم) على القوم ويقال نجيناه ان قرأت نصرناه بتشديد الصاد من القوم (الذين كذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا نوح (انهم

كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم (وداود وسليمان) أي واذكرهما (اذ) بدل منهم (يحكمان في الحرث) في الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفشت) دخلت (فيه غنم القوم)ليلا فاكلته وأفسدته والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راع (وكنا

لحكمهم) أرادهما والمتحاكمين اليهما (شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا (ففهمناها) أي الحكومة أو الفتوى (سليمان) وفيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه وقصته ان الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلا فتحاكما الى داود فحكم بالغنم لأهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أي قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم فاما في شريعتنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم بالليل أو بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق أو قائد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص انما ضمنوا لانهم أرسلوها أو نسخ الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار ر"اه مجاهد كان هذا صلحا وما فعله داود كان حكما (القضية)

كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين ﴾ لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر فانهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله تعالى ﴿وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ﴾ في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده ﴿ اذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ رعته ليلا ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين ﴿ففهمناها سليمان ﴾ الضمير للحكومة أو للفتوى وقرئ فافهمناها روى ان داود امر بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واوبارها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم

كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين ﴾ قوله عز وجل ﴿وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو أشبه بالعرف ﴿ اذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ أي رعته ليلا فافسدته وكانت بلا راع ﴿وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان أقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم تبق منه شيأ فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا أرفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي ويروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ماروى حرام بن سعيد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلا وذهب أصحاب الرأي أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى ﴿ففهمناها سليمان ﴾ أي علمناه وألهمناه حكم

كانوا قوم سوء) في كفرهم (فاغرقناهم أجمعين) بالطوفان (وداود وسليمان) أيضا أكرمناهما بالنبوة والحكمة (اذ يحكمان في الحرث) في كرم قوم (اذ نفشت فيه) دخلت فيه ووقعت فيه بالليل (غنم القوم) قوم آخرين (وكنا لحكمهم) لحكم داود وسليمان (شاهدين) عالمين (ففهمناها سليمان) الرفق في القضاء

يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة في العبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار ﴿ وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل

القضية ﴿ وكلا ﴾ يعني داود وسليمان ﴿ آتينا حكما وعلما ﴾ أي بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا صواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة واذا أخطؤا فلا اثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحي واحتج من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهدين على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فاخطأ فله أجر لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم في الخطأ عنه موضوع اذ لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده الواجب في ذلك الضرر في الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى المجني عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ❁ ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احديهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى

والصلح خير (وكلا) من داود وسليمان (آتينا حكما) نبوة (وعلما) معرفة بموجب

والحكم (وكلا) داود وسليمان (آتينا) أعطينا (حكما) فهما (وعلما) نبوة

الحكم (وسخرنا) وذللنا (مع داود الجبال يسبحن) وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) معطوف على الجبال أو مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل فى الاعجاز لانها جماد روى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (وكنا فاعلين) بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع (لتحصنكم) شامى وحفص أى الصنعة وبالنون أبو بكر وحماد أى الله عز وجل وبالياء غيرهم أى اللبوس أو الله عز وجل (من بأسكم) من حرب عدوكم (فهل أنتم شاكرون) استفهام بمعنى الامر أى فاشكروا الله على ذلك (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح (عاصفة) حال أى شديدة الهبوب ووصفت فى موضع آخر بالرخاء لانها تجرى باختياره فكانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته (تجرى بامره) بامر سليمان (الى الارض التى باركنا فيها) بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحى الارض اليها

عليه فى صغره ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ﴾ يقدسن الله معه اما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له أو بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا أو يسبحن ﴿ والطير ﴾ عطف على الجبال او مفعول معه * وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف ﴿ وكنا فاعلين ﴾ لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم ﴿ وعلمناه صنعة لبوس ﴾ عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

قيل كانت صفائح فحلقها وسردها ﴿ لكم ﴾ متعلق بعلم أو صفة للبوس ﴿ ليحصنكم من بأسكم ﴾ بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام أو للبوس وفى قرءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع وفى قراءة ابى بكر ورويس بالنون لله عز وجل ﴿ فهل انتم شاكرون ﴾ ذلك امر اخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ﴿ ولسليمان ﴾ وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاول امر يظهر فى الجبال والطير مع داود بالاضافة اليه ﴿ الريح عاصفة ﴾ شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته ﴿ تجرى بامره ﴾ بمشيئته حال ثانية أو بدل من الاولى أو حال من ضميرها ﴿ الى الارض التى باركنا فيها ﴾ الى الشام رواحا بعد ما سار به منه بكرة

أخرجاه فى الصحيحين * قوله تعالى ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ﴾ أى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشتاق اليه ﴿ وكنا فاعلين ﴾ يعنى ماذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ أى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله ألان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى ﴿ لتحصنكم ﴾ أى تمنعكم ﴿ من بأسكم ﴾ أى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به ﴿ فهل انتم شاكرون ﴾ أى نقول ذلك لداود وأهل بيته * قوله عز وجل ﴿ ولسليمان الريح ﴾ أى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه ﴿ عاصفة ﴾ أى شديدة الهبوب * فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهى الريح اللينة * قلت كانت الريح تحت أمره ان أراد أن تشد اشتدت وان أراد أن تلين لانت ﴿ تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها ﴾ يعنى الشام وذلك لانها كانت تجرى بسليمان

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) مع داود اذا سبح (والطير) أيضا (وكنا فاعلين) بامعاناذلك بهم (وعلمناه صنعة لبوس) يعنى الدروع (لكم ليحصنكم) لتمنعكم (واصحابه) (من بأسكم) من سلاح عدوكم (فهل أنتم شاكرون) نعمته بالدروع (ولسليمان) وسخرنا لسليمان (الريح عاصفة) قاصفة شديدة (تجرى بامره) بامر الله ويقال بامر سليمان من اصطخر (الى الارض التى باركنا فيها) بالماء والشجر وهى الارض المقدسة والاردن وفلسطين

﴿وكنا بكل شئ عالمين﴾ فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ في البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح أو مبتدأ خبره ماقبله وهي نكرة موصوفة ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل

وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام ﴿وكنا بكل شئ عالمين﴾ أي بصحة التدبير فيه وعلمنا ان مايعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه حلقت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولايسمع في ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه مايريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولاتثير ترابا ولاتؤذي طائرا قال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس او من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فنازلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها أسرع الريح تجري بامره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروى ان سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له * قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجن اني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

* قوله عز وجل ﴿ومن الشياطين﴾ أي وسخرنا له من الشياطين ﴿من يغوصون له﴾ أي يدخلون تحت الماء فيخرجون من قعر البحر الجواهر ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ أي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل

(وكنا بكل شئ عالمين) وقد أحاط علمنا بكل شئ فتجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا (ومن الشياطين) أي وسخرنا منهم (من يغوصون له) في البحار بامره لاستخراج الدر ومايكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان

(وكنا بكل شئ) سخرناله (عالمين ومن الشياطين) سخرنا من الشياطين (من يغوصون له) لسليمان البحر فيخرجون من البحر الجواهر (ويعملون عملا) من البنيان (دون ذلك) دون الغواصة

﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ ان يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم ﴿ وايوب اذ نادى ربه

الآية ويتجاوزون فى ذلك الى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ أى حتى لايخرجوا عن أمره وقيل حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا فى النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه خربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع أنسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسده ما عمل ويخربه * قوله تعالى ﴿ وأيوب اذ نادى ربه ﴾ أى دعا ربه

ذكر قصة أيوب عليه السلام

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه فى العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النفر وقيل نغير ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لايحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغى فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لاتصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ آتى عليه قال ابليس اذهب فأتى الابل ورعاتها فأتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار

(وكنا لهم حافظين) ان يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه (وأيوب) أى واذكر أيوب (اذ نادى ربه

(وكنا لهم) للشياطين (حافظين) من أن يهيجوا أحدا على أحد فى زمانه (وأيوب) واذكر أيوب (اذ نادى ربه) دعا ربه

فاحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قيم ممن كانوا عليها على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلى فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك وأحرقتها ومن فيها غيرى فقال أيوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله أعارنيها وهو أولى بها اذا شاء نزعها قال فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل مافعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ماعندكم من القوة فانى لم أكلم قلبه قال عفريت من الجن عندى من القوة مااذا شئت صحت صيحة لايسمعها ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس فأتى الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطتها ثم صاح صيحة فتجثمت أمواتا من عند آخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب فوجده يصلى فقال له مثل القول الاول فرد عليه أيوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندى من القوة ماذا شئت تحولت ريحا عاصفة تنسف كل شئ تأتى عليه قال فأت الفدادين فى الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون فى الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فنسفت كل شئ من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمانهم الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى الى هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم تنجح منه بشئ صعد سريعا حتى وقف فى الموقف الذى يقف فيه وقال الهى ان أيوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانها المصيبة التى لاتقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى أتى بنى أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسين وانطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أمى لم تلدنى فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاء

وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هون على أيوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وأنتن فاخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضة خلق الله كلهم غير امرأته وهى رحمة بنت افرثيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه أصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام منى لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والزمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان أيوب نبى الله وصفوته وخيرته من أهل الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيأ من الكرامة التى أكرمه الله بها ولا ان أيوب قال على الله غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم ان يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول وقد كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم الخشية من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا اشتافوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لابرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس أقوياء

(قال)

قال أيوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني باموالكم لعل الله ان يخلصني أو قربوا عني قربانا لعل الله ان يقبله ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله تعالى بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم فيما خلا توقرونني وأنا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم كنتم أشد علي من مصيبتي ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال يارب لاي شئ خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني ياليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فالحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا وقد وقع علي من البلاء مالو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي أسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي فادلي بعذري واتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودي ياأيوب ان الله يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك نفسك ياأيوب أمرا ما يبلغ لمثله مثلك أين أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها أم على أي شئ وضعت اكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء اين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين كنت مني يوم انبعت الانهار وسكبت البحار أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على أي شئ أرسيتها أم باي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي شئ انشأت السحاب أم هل تدري أين خزانة الثلج أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل وأين خزانة الريح وباي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال وشق الاسماع

والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل على آثار قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض على الهي قد علمت ان كل الذي قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شئ ولا تخفى عليك خافية الهي أوثقني البلاء فتكلمت ولم أملك نفسي فكان البلاء هو الذي انطقني ليت الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم اتكلم بشئ يسخطك ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لعذري وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعينك على أمري فاعني وأتوكل عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفرلي فلن أعود لشئ تكرهه مني قال الله تعالى ياأيوب نفذفيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه تناول وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روى عن أنس يرفعه أن أيوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا يختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أحزنك قال أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالا ولا ولدا ولم يزدد الاصبرا ثم سلطلت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له فأين مكرك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي قالوا من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق ابليس حتى أتى رحمة امرأة أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها أين بعلك ياأمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فعلم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لي هذا ايوب ويبرأ فجاءت تصرخ ياايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب أتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك ارأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما انصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني

انى مسنى الضر ﴾بانى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر
بالفتح شائع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كرض وهزال ﴿ وانت ارحم
الراحمين ﴾ وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض
المطلوب لطفا فى السؤال وكان روميا من اولاد عيص بن اسحق واستنبأه الله واكثر اهله
وماله فابتلاه ربه بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض فى بدنه ثمانى
عشرة سنة اوثلاث عشرة سنة اوسبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته
ماخير بنت ميشا بن يوسف اورحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لودعوت الله
فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة

لاجلدنك مائة جلدة امرتنى ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام
ان اذوق منه شيأ اعزبى دعينى فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام
ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب ﴿ انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾
فقيل له ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء
فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شئ ظاهر الاسقط وعاد شبابه وجماله احسن
ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الاخرج فقام
صحيحا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان عليه وما كان له من اهل ومال الا وقد
ضعفه الله له وذكر لنا ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل
يضمه بيده فأوحى الله اليه ياايوب ألم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال
فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردنى الى من
أكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتأكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة
رأت ولا تلك الحالة التى كانت تعرف واذا الامور قدتغيرت فجعلت تطوف حيث كانت
تعرف واذا الامور قدتغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعين
أيوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله عن أيوب فدعاها وقال ما تريدين يا أمة الله
فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة لا أدرى أضاع أم ما فعل به
فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلى فقال هل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى
على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان
صحيحا قال فانى انا ايوب الذى امرتنى أن اذبح سخلة لابليس وانى اطعت الله وعصيت
الشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين وقال وهب لبث ايوب فى البلاء ثلاث سنين فلما
غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيأ اعترض امرأته فى هيئة ليست كهيئة بنى آدم
فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال لها انت
صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفينى قالت لا قال انا اله الارض وانا الذى
صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركنى فاغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة
رددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندى ثم اراها اياه ببطن الوادى

انى) اى دعابانى (مسنى
الضر)الضر بالفتح الضرر
فى كل شئ وبالضم الضرر
فى النفس من مرض او
هزال (وانت ارحم
الراحمين)الطف فى السؤال
حيث ذكر نفسه بما يوجب
الراحمة وذكر ربه بغاية
الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
فكأنه قال انت اهل ان
ترحم وأيوب اهل ان يرحم
فارحمه واكشف عنه الضر
الذى مسه عن انس رضى
الله عنه اخبر عن ضعفه
حين لم يقدر على النهوض
الى الصلاة ولم يشتك وكيف
يشكو من قيل له انا وجدناه
صابرا نعم العبد وقيل انما
شكا اليه تلذذا بالنجوى
لامنه تضررا بالشكوى
والشكاية اليه غاية القرب
كما ان الشكاية منه غاية البعد

(أنى مسنى الضر) انى أصابتنى
الشدة فى جسدى فارحمنى
ونجنى (وأنت أرحم الراحمين

بلائي مدة رخائي ﴿ فاستجبناله فكشفنا مابه من ضر ﴾ بالشفاء من مرضه ﴿ وآتيناه اهله ومثلهم معهم ﴾ بان ولدله ضعف ما كان أواحي ولده وولدله منهم نوافل

الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى اردعليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بماقال لها ومااراها قال لقداتاك عدوالله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفترعن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدها ماقيل في حقه لوكان لك عندالله منزلة مااصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ماتطعمه فباعت ذؤابتها فأتته بطعام والثالث قول ابليس اني أداويه على أن يقول أنت شفيتني وقيل مسني الضر أي من شماتة الاعداء حتى روي انه قيل له بعد ماعوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الاعداء * فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب * قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبناله والشكوى انما تكون الى الخلق لاالى الخالق بدليل قول يعقوب انما أشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى النــاس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روي ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال أجدني مغموما وأجدني مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل أنا وارأساه * قوله تعالى ﴿ فاستجبناله ﴾ أي اجبنا دعاءه ﴿ فكشفنا مابه من ضر ﴾ وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منهـا ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان ﴿ وآتيناه أهله ومثلهم معهم ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين ردالله اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية آخرى ان الله رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه انه كان له أندران أندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الاخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضا وروي ان الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فتبعها وردها الى أندره فقال له الملك مايكفيك مافي أندرك فقال هذه بركة

(فاستجبناله) أجبنا دعاءه (فكشفنا مابه من ضر) فكشفنا ضره انما عليه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روي ان أيوب عليه السلام كان روميا من ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده باعيانهم ورزقه مثلهم

فاستجبناله) الدعاء (فكشفنا) فرفعنا (مابه من ضر) من شدة (وآتيناه) أعطيناه (أهله) في الجنة الذين هلكوا في الدنيا (ومثلهم معهم) ولدا في الدنيا مثل ماهلكوا في الدنيا

﴿ رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا للعابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم ﴿ واسمعيل وادريس وذا الكفل ﴾ يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه أو له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف ﴿ كل ﴾ كل هؤلاء ﴿ من الصابرين ﴾ على مشاق

من بركاته ربي ولا أشبع من بركاته (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب الم أكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكني لا غنى لي عن بركتك وقيل آتى الله أيوب مثل أهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان أهلك في الآخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه اهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالاهل الاولاد ﴿ رحمة من عندنا ﴾ أي نعمة ﴿ وذكرى للعابدين ﴾ أي عظة وعبرة لهم * قوله عز وجل ﴿ واسمعيل ﴾ هو ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم ﴿ وادريس ﴾ هو اخنوخ ﴿ وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه صبر على الانقياد الى الذبح وأما ادريس فقد تقدمت قصته وأما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من بني اسرائيل وكان ملكا أوحى الله اليه اني اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل انه يصلي الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال لو أستخلف رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل مني ثلاثا أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فأتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني [illegible]

[illegible]

اذا [illegible] قال انهم أخبث قوم [illegible]

معهم (رحمة من عندنا) هو مفعول له (وذكرى للعابدين) يعني رحمة لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه (واسمعيل) بن ابرهيم (وادريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) أي اذكرهم وهو الياس أو ذكريا أو يوشع بن نون وسمي به لانه ذو الحظ من الله والكفل الحظ (كل من الصابرين) أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر

(رحمة) نعمة (من عندنا وذكرى للعابدين) عظة للمؤمنين (واسمعيل وادريس) واذكر اسمعيل وادريس (وذا الكفل كل من الصابرين) على أمر

التكاليف وشدائد النوائب ﴿ وادخلناهم في رحمتنا ﴾ يعني النبوة أو نعمة الآخرة ﴿انهم من الصالحين﴾ الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد ﴿ وذا النون ﴾ وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿ اذ ذهب مغاضبا﴾ لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم

واذاقت جحدوني قال فانطلق فاذا جلست فأتى وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لاتدعن احدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يافلان ألم آمرك قال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتني وفعلت مافعلت لاغضبك فعصمك الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا ﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ يعني ماأنعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب ﴿انهم من الصالحين﴾ * قوله عز وجل ﴿ وذا النون ﴾ أي واذكر صاحب الحوت أضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى ﴿ اذ ذهب مغاضبا ﴾ قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعياء النبي أن سر الى حزقيل الملك وقل له يوجه نبيا قويا فاني ألقي في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك باخراجي قال لاقال فهل سماني الله لك قال لاقال فههنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعدما أوعدهم وكره أن يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم فقال التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع

(وأدخلناهم في رحمتنا) نبوتنا او النعمة في الآخرة (انهم من الصالحين) أي ممن لايشوب صلاحهم كدر الفساد (وذا النون) أي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فاضيف اليه (اذ ذهب مغاضبا) حال أي مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه انه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روى انه برم بقومه لطول ماذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله و بغضا للكفر وأهله وكان عليه ان يصابر و ينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم

الله والمرازى (وأدخلناهم) ندخلهم في الآخرة (في رحمتنا) في جنتنا (انهم من الصالحين) من المرسلين غير ذى الكفل لانه كان رجلا صالحا ولم يكن نبيا (وذا النون) واذكر صاحب الحوت يعني يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) مصارما من الملك

فابتلى ببطن الحوت (فظن أن لن نقدر) نضيق (عليه) وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه دخل يوما على معاوية فقال لقد ضربتنى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا الا بك قال وماهى يامعاوية فقرأ الآية فقال أويظن نبى الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لامن القدرة (فنادى فى الظلمات) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت (أن) أى بأنه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أى (سبحانك انى كنت من الظالمين) لنفسى فى خروجى من قومى قبل أن تأذن لى فى الحديث مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) غم الزلة والوحشة والوحدة (وكذلك ننجى المؤمنين) اذا دعونا واستغاثوا بنا نجى شامى وأبو بكر بادغام النون فى الجيم عند البعض لان النون لا تدغم فى الجيم وقيل تقديره نجى النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل الى المصدر

لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا ﴿ فظن ان لن نقدر عليه ﴾ لن نضيق عليه أو لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا أو خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا ﴿ فنادى فى الظلمات ﴾ فى الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ﴿ ان لا اله الا انت ﴾ بانه لا اله الا انت ﴿ سبحانك ﴾ من ان يعجزك شئ ﴿ انى كنت من الظالمين ﴾ لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾ بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة ﴿ وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفى الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم

تحت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولى العزم من الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أى ان لن نقضى عليه العقوبة قاله ابن عباس فى رواية عنه وقيل معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن أنه يعجزه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه فى بطن الحوت فمكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه فى بطن الحوت ﴿ فنادى فى الظلمات ﴾ أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿ أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ﴾ أى حيث عصيتك وماصنعت من شئ فلم أعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا قال أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم اهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ماهذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفى رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه فى الساحل فذلك قوله تعالى ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾ أى من تلك الظلمات ﴿ وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ أى من الكروب اذا دعونا واستغاثوا

(فظن) يعنى فحسب (أن لن نقدر عليه) بالعقوبة (فنادى فى الظلمات) فى ظلمة البحر ظلمة امعاء السمك وظلمة بطنها (أن لا اله الا أنت سبحانك) تبت اليك (انى كنت من الظالمين) على نفسى حيث غضبت لى أمرك (فاستجبنا له) الدعاء (ونجيناه من الغم) من غم الظلمات (وكذلك) هكذا (ننجى المؤمنين) عند الدعاء

وقرأ ابن عامر وابوبكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية فى تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حروف المضارعة التى لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف فى تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لا يسكن آخره ﴿ وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا ﴾ وحيدا بلا ولد يرثنى ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ فان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه ﴾ اى اصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة ﴿ انهم ﴾ يعنى المتوالدين أو المذكورين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ كانوا يسارعون فى الخيرات ﴾ يبادرون الى ابواب الخيرات ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾

بنا فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن أن لن نقدر عليه ومنها قوله انى كنت من الظالمين قلت أما الجواب الكلى فقد اختلفوا فى هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب المفصل [illegible] قوله اذ ذهب مغاضبا فحمله على انه لقومه أو للملك أولى بحال الانبياء وأما قوله [illegible] تقدم معناه أى [illegible] ذلك أن يونس ظن انه مخير ان [illegible] خرج [illegible] الله تعالى لا يضيق [illegible] هو من نقدر لا من القدرة وأما قوله انى كنت من الظالمين [illegible] وهذا اعتراف عند بعضهم [illegible] لخروجه عن قومه بغير اذن ربه [illegible] بالعذاب على [illegible] وفى هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴿ وزكريا اذ نادى ربه ﴾ أى دعا ربه فقال ﴿ رب لا تذرنى فردا ﴾ أى وحيدا لا ولد لى يساعدنى وارزقنى وارثا ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ هو ثناء على الله بانه الباقى بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾ أى ولدا ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ أى جعلناها ولودا بعد ما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق ﴿ انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ﴾ يعنى الانبياء المذكورين فى هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة فى الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم فى طاعة الله عز وجل ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ [illegible] ضموا الى فعل الطاعة أمرين أحدهما الفزع الى الله

لا يجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل اصله ننجى من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت احدى التاءين فى تنزل الملائكة (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا) سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أى فان لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى فانك خير وارث أى باق (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) ولدا (وأصلحنا له زوجه) جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أى بعد عقرها أو حسنة وكانت سيئة الخلق (انهم) أى الانبياء المذكورين (كانوا يسارعون فى الخيرات) أى انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم فى تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أى

(وزكريا) واذكر يا محمد زكريا (اذ نادى) دعا (ربه رب لا تذرنى) لا تتركنى (فردا) وحيدا بلا معين (وأنت خير الوارثين) المعينين (فاستجبنا له) الدعاء (ووهبنا له يحيى) ولدا صالحا (وأصلحنا له زوجه) بالولد (انهم) يعنى الانبياء ويقال زكريا ويحيى (كانوا يسارعون فى الخيرات) يبادرون الى الطاعات (ويدعوننا رغبا ورهبا) (لمكان)

طمعا وخوفا كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران فى موضع الحال أو المفعول له أى للرغبة فينا والرهبة منه (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتى) أى واذكر التى (أحصنت فرجها) حفظته من الحلال والحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ فى جيب درعها فاحدثنا بذلك النفخ عيسى فى بطنها واضافة الروح اليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول ثان (للعالمين) وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهى ولادتها اياه من غير فحل أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتكم أمة واحدة) لامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام وهى ملة جميع الانبياء وأمة واحدة حال أى متوحدة غير متفرقة والعامل مادل عليه اسم الاشارة أى ان ملة الاسلام هى ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أى ربيتكم اختيارا فاعبدونى شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا ثم توعد هم بان هؤلاء الفرق المختلفة (كل الينا

هكذا وهكذا ويقال يعبدوننا رغبا الى الجنة ورهبا من النار (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين مطيعين (والتى) واذكر التى (أحصنت فرجها) حفظت جيب درعها (فنفخنا فيها من روحنا) فنفخ جبريل فى جيب درعها بامرنا (وجعلناها وابنها آية) علامة وعبرة (للعالمين) لبنى اسرائيل ولدا بلا أب وولادة بلا مس (ان هذه أمتكم أمة واحدة) دينكم دين واحد مرضى (وأنا ربكم) رب واحد (فاعبدون) أطيعون (وتقطعوا أمرهم بينهم) تفرقوا فيما بينهم فى دينهم يعنى اليهود والنصارى والمجوس (كل) كل فرقة (اليا

ذوى رغب أو راغبين فى الثواب راجين الاجابة أو فى الطاعة وخائفين من العقاب أو المعصية ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ مخبتين أو دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال ﴿ والتى احصنت فرجها ﴾ من الحلال والحرام يعنى مريم ﴿ فنفخنا فيها ﴾ أى فى عيسى عليه الصلاة والسلام فيها أى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها ﴿ من روحنا ﴾ من الروح الذى هو بامرنا وحده أو من جهة روحنا يعنى جبرائيل عليه الصلاة والسلام ﴿ وجعلناها وابنها ﴾ اى قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله ﴿ آية للعالمين ﴾ فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ﴿ ان هذه امتكم ﴾ اى ان ملة التوحيد أو الاسلام ملتكم التى يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها ﴿ امة واحدة ﴾ غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع * وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران ﴿ وانا ربكم ﴾ لا اله لكم غيرى ﴿ فاعبدون ﴾ لا غير ﴿ وتقطعوا امرهم بينهم ﴾ صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا فى الدين وجعلوا امره قطعا موزعة تقبيح فعلهم الى غيرهم ﴿ كل ﴾ من الفرق المتحزبة ﴿ الينا

لمكان الرغبة فى ثوابه والرهبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لا ينبسط فى الامور خوفا من الوقوع فى الاثم * قوله تعالى ﴿ والتى أحصنت فرجها ﴾ أى احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسنى بشر ولم أك بغيا وهى مريم بنت عمران ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ أمرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله ﴿ وجعلناها وابنها آية ﴾ أى دلالة ﴿ للعالمين ﴾ على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب * ان قلت هما آيتان فكيف قال آية * قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية واحدة أى ولادتها اياه من غير أب آية * قوله تعالى ﴿ ان هذه أمتكم ﴾ أى ملتكم ودينكم ﴿ أمة واحدة ﴾ أى دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التى هى على مقصد واحد وجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ﴿ وأنا ربكم فاعبدون ﴾ أى لا دين سوى دينى ولا رب لكم غيرى فاعبدونى أى وحدونى ﴿ وتقطعوا أمرهم بينهم ﴾ أى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا وأحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض ﴿ كل الينا

راجعون) فنجازيهم [illegible] (فمن يعمل من الصالحات) شيأ (وهو مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسعيه)
أى فان سعيه مشكور مقبول والكفران مثل فى حرمان الثواب كما ان الشكر مثل فى اعطائه وقد نفى نفى الجنس ليكون
أبلغ (وانا له) لسعى أى الحفظة بامرنا (كاتبون) فى صحيفة عمله فنثيبه به (وحرام) وحرم كوفى غير حفص وخلف
وهما لغتان كحل و حلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون)
والمعنى و ممتنع على مهلك غير ممكن ان لا يرجع الى الله بالبعث أو وحرام على
قرية أهلكناها أى قدرنا
اهلاكهم أو حكمنا
باهلاكهم ذلك وهو المذكور
فى الآية المتقدمة من العمل
الصالح والسعى المشكور
غير المكفور انهم لا يرجعون
من الكفر الى الاسلام
(حتى) هى التى يحكى بعدها
الكلام والكلام المحكى
الجملة من الشرط والجزاء
أعنى (اذا) وما فى حيزها
(فتحت يأجوج ومأجوج)
أى فتح سدهما فحذف
المضاف كما حذف المضاف
الى قرية فتحت شامى وهما
قبيلتان من جنس الانس
يقال الناس عشرة أجزاء
تسعة منها يأجوج ومأجوج
(وهم) راجع الى الناس
المسوقين الى المحشر وقيل
هم يأجوج و مأجوج
يخرجون حين فتح السد
(من كل حدب) نشز
من الارض أى ارتفاع
(ينسلون) يسرعون

راجعون ﴾ فنجازيهم ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ﴾ بالله ورسله ﴿ فلا كفران لسعيه ﴾ فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفى الجنس للمبالغة ﴿ وانا له ﴾ لسعيه ﴿ كاتبون ﴾ مثبتون فى صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما ﴿ وحرام على قرية ﴾ وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ ابو بكر وحمزة والكسائى وحرم بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ وحرم ﴿ اهلكناها ﴾ حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة ﴿ انهم لا يرجعون ﴾ رجوعهم الى التوبة أو الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم أو عدم بعثهم أو لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أى وحرام عليها ذاك وهو المذكور فى الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون ﴿ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ متعلق بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو بلا يرجعون اى يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى هى الجملة الشرطيه وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد ﴿ وهم ﴾ يعنى يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم ﴿ من كل حدب ﴾ نشز من الارض وقرئ حدث وهو القبر ﴿ ينسلون ﴾ يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين

راجعون ﴾ فنجزيهم باعمالهم ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ﴾ أى لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه ﴿ وانا له كاتبون ﴾ أى لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ❁ قوله عز وجل ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ قال ابن عباس معناه وحرام على أهل قرية أهلكناهم أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على أهل قرية حكمنا بهلاكهم أن نقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون ❁ قوله عز وجل ﴿ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة أعشار بنى آدم ﴿ وهم من كل حدب ينسلون ﴾ أى يسرعون النزول من الآكام والتلال وفى هذه الكناية وجهان أحدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ماروى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

راجعون فمن يعمل من
الصالحات) الطاعات فيما بينه وبين ربه (وهو مؤمن) مصدق فى ايمانه (فلا كفران لسعيه) لا ننسى ثواب (الدجال)
عمله بل يثاب عليه (وانا له كاتبون) مجازون ومثبتون ويقال حافظون (وحرام) التوفيق (على قرية) على أهل مكة أبى
جهل وأصحابه (أهلكناها) خذلناها بالكفر (انهم لا يرجعون) من كفرهم الى الايمان ويقال وحرام الرجوع على قرية على أهل
مكة اهلكناها يوم بدر بالقتل انهم لا يرجعون الى الدنيا (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) فحينئذ يخرجون (وهم) يعنى يأجوج
ومأجوج (من كل حدب) من كل اكمة ومكان مرتفع (ينسلون) يخرجون

الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا أنه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشأم والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر لهم السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دراوأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محالين ليس بايديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادا لي لايدان لاحد ان نقاتلهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله فيهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الاملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لايكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة أخرجه مسلم

شرح غريب ألفاظ الحديث

﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ وهو القيامة ﴿ فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا ﴾ جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار ﴿ ياويلنا ﴾ مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول ﴿ قد كنا فى غفلة من هذا ﴾ لم نعلم انه حق ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر

*قوله حتى ظننا فى طائفة النخل أى ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشئ *وقوله فخفض فيه ورفع اى خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به فى أمره وقيل انه خفض من أمره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من أمره *قوله انه شاب قطط أى جعد الشعر *وقوله طافئة أى خارجة عن حدها *قوله انه خارج خلة أى انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتخال الدخول فى الشئ *قوله فعاث أى افسد *قوله *أقدروا له قدره أى قدروا قدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته *وقوله فتروح عليهم سارحتهم أى مواشيهم *وقوله فيصبحون محالين أى مقحطين قد أجدبت أرضهم وغلت أسعارهم *قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها *وقوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أى قطعتين والغرض الهدف الذى يرمى بالنشاب *قوله بين مهرودتين رويت بالدال المهملة وبالمعجمة أى شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران *قوله لا يدان لاحد بقتالهم أى لاقدرة ولا قوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون فى أنوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل *قوله زهمهم اى ريحهم المنتنة *قوله كالزلفة أى كالمرآة وجمعها زلف ويروى بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها *قوله تأكل العصابة أى الجماعة قيل ما بين العشرة الى الاربعين وقحف الرمانة فى الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن (م) والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة *وقوله يتهارجون أى يختلفون والتهارج الاختلاف وأصله القتل *((الوجه الثانى)) *فى تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم * قوله عز وجل ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ أى القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر ﴿ فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ [illegible] الآية ان القيامة اذا قامت شخصت أبصار [illegible] من هول ذلك اليوم ويقولون ﴿ ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا ﴾ [illegible] فى الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ أى فى وضعنا العبادة فى غير موضعها *قوله

(واقترب الوعد الحق) أى القيامة وجواب اذا (فاذا هى) وهى اذا المفاجأة وهى تقع فى المجازاة مسد الفاء كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهى شاخصة أو اذا هى شاخصة كان سديدا وهى ضمير مبهم يوضحه الابصار ويفسره (شاخصة أبصار الذين كفروا) أى مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه (ياويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا فى غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة

(واقترب الوعد الحق) دنا قيام الساعة عند خروجهم من السد (فاذا هى شاخصة) ذليلة لا تكاد تطرف (ابصار الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يقولون (ياويلنا) احسرتنا (قد كنا فى غفلة) فى جهالة (من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) كافرين بمحمد عليه السلام والقرآن

[illegible] (انكم وماتعبدون من دون الله) يعنى الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم له واتباعهم خطواتهم فى حكم عبادتهم (حصب) حطب وقرئ حطب (جهنم أنتم لها واردون) فيها داخلون (لوكان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ماوردوها) ما دخلوا النار (وكل) أى العابد والمعبود (فيها) فى النار (خالدون لهم) للكفار (فيها زفير) أنين وبكاء وعويل (وهم فيها لا يسمعون) شيأما لانهم صاروا صما وفى السماع نوع انس فلم يعطوه (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الاحسن وهى السعادة او البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة نزلت جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش انكم وماتعبدون من دون الله الى قوله خالدون أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على ان قوله وماتعبدون لا يتناولهم لان ما لمن لا يعقل الا انهم أهل عناد فزيد فى البيان (أولئك) يعنى عزيرا والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم

﴿ انكم وماتعبدون من دون الله ﴾ يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنوا مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مأولا بمن أو بما يعمه ويدل عليه ماروى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب ﴿ حصب جهنم ﴾ مايرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر ﴿ انتم لها واردون ﴾ استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها ﴿ لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها ﴾ لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها ﴿ وكل فيها خالدون ﴾ لا خلاص لهم عنها ﴿ لهم فيها زفير ﴾ انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام ﴿ وهم فيها لا يسمعون ﴾ من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون مايسرهم ﴿ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾ الخصلة الحسنى وهى السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشرى بالجنة ﴿ اولئك عنها مبعدون ﴾ لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة

عز وجل ﴿ انكم ﴾ الخطاب للمشركين ﴿ وماتعبدون من دون الله ﴾ يعنى اصنام ﴿ حصب جهنم ﴾ أى حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم فى النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمى ﴿ أنتم لها واردون ﴾ أى فيها داخلون ﴿ لوكان هؤلاء ﴾ يعنى الاصنام ﴿ آلهة ﴾ أى على الحقيقة ﴿ ماوردوها ﴾ أى مادخل الاصنام النار وعابدوها ﴿ وكل فيها خالدون ﴾ يعنى العابدين والمعبودين ﴿ لهم فيها زفير ﴾ قيل الزفير هو ان يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ماينالهم من العذاب ﴿ وهم فيها لا يسمعون ﴾ قال ابن مسعود فى هذه الآية اذا بقى فى النار من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخر ثم تلك التوابيت فى توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولا يرى أحد منهم ان فى النار أحدا يعذب غيره ﴿ قوله تعالى ﴿ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾ قال العلماء ان هنا بمعنى الا أى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى السعادة والعدة الجميلة بالجنة ﴿ أولئك عنها ﴾ أى عن النار ﴿ مبعدون ﴾ قيل الآية عامة فى كل من سبقت له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين

(انكم) يا اهل مكة (وما تعبدون من دون الله) من الاصنام (حصب جهنم) حطب جهنم بلغة الحبشة ا(نتم) يا اهل مكة وماتعبدون من الاصنام (لها واردون) داخلون يعنى جهنم (لوكان هؤلاء) الاصنام (قا و خا ٣٦ بع) (آلهة ماوردوها) مادخلوا النار (وكل) العابد والمعبود (فيها) فى النار داخلون (خالدون) مقيمون دائمون (لهم فيها) فى جهنم (زفير) صوت كصوت الحمار (وهم فيها) فى جهنم يتعاوون (لا يسمعون) صوت الرحمة والشفاعة وصوت الخروج والرخاء ولا يبصرون (ان الذين سبقت) وجبت (لهم منا الحسنى) الجنة يعنى عيسى وعزيرا (أولئك عنها) عن النار (مبعدون) منجون

منا الحسنى جميع المؤمنين لما روى ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم منا العناية في البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية (لايسمعون حسيسها) صوتها الذي يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة في الابعاد عنها أي لايقربونها حتى لايسمعوا صوتها وصوت من فيها (وهم فيما اشتهت انفسهم) من النعيم (خالدون) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لايحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا العامل في (يوم نطوى السماء) لايحزنهم أو تتلقاهم تطوى السماء يزيد وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضد النشر بجمعها ونطويها (كطى السجل) أي الصحيفة

(لايسمعون حسيسها) صوتها (وهم فيما اشتهت) تمنت (انفسهم خالدون) مقيمون في الجنة (لايحزنهم الفزع الاكبر) اذا اطبقت النار وذبح الموت بين الجنة والنار (وتتلقاهم الملائكة) على باب الجنة بالبشرى (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) في الدنيا نزلت من قوله انكم وماتعبدون من دون الله الى ههنا في شأن عبد الله بن الزبعرى السهمي الشاعر وخصومته مع النبي صلى الله عليه وسلم لقبل الاصنام (يوم) وهو يوم القيامة (نطوى السماء) باليمين (كطى السجل) كطى ﴿ للكتاب ﴾

والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول ﴿ لايسمعون حسيسها ﴾ وهو بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به ﴿ وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ﴾ دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص و للاهتمام به ﴿ لايحزنهم الفزع الاكبر ﴾ النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض أو الانصراف الى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ تستقبلهم مهنئين ﴿ هذا يومكم ﴾ يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول ﴿ الذي كنتم توعدون ﴾ في الدنيا ﴿ يوم نطوى السماء ﴾ مقدر باذكر أو ظرف لايحزنهم أو تتلقاهم اوحال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطى ضد النشر أو المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم * وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول ﴿ كطى السجل

عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاثة ثم قام فاقبل عبد الله ابن الزبعرى السهمي فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى انت قلت انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى عزيرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبعرى ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وماتعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لمن لايعقل ﴿ لايسمعون حسيسها ﴾ يعنى صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة ﴿ وهم فيما اشتهت أنفسهم ﴾ أي من النعيم والكرامة ﴿ خالدون ﴾ أي مقيمون * قوله تعالى ﴿ لايحزنهم الفزع الاكبر ﴾ قال ابن عباس يعنى النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادى يا أهل النار خلود بلاموت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون ﴿ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ أي في الدنيا * قوله عز وجل ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل

(للكتب) حمزة وعلى حفص أى للمكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وغيرهم للكتاب اى كما يطوى الطومار للكتابة أى لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطى مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول (كما بدأنا اول خلق نعيده) انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيد وما موصولة

اى نعيده مثل الذى بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأنا اى اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى واول الخلق ايجاده اى فكما اوجده اولا يعيده ثانيا تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء والتنكير فى خلق مثله فى قولك هو اول رجل جاءنى تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا وكذلك معنى اول خلق أول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع (وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة (علينا) أى وعدا كائنا لا محالة (انا كنا فاعلين) ذلك أى محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الاهوال (ولقد كتبنا فى الزبور) كتب داود عليه السلام (من بعد الذكر) التوراة (ان الارض) أى الشأم (يرثها عبادى) ساكنة الياء حمزة غيره بفتح الياء (الصالحون) أى أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور اى المكتوب يعنى ما أنزل

للكتاب ﴿ طيا كطى الطومار لاجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع أى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه ﴿ كما بدأنا اول خلق نعيده ﴾ أى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم او جمعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية واول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره ما بعده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأنا واول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف ﴿ وعدا ﴾ مقدر بفعله تأكيدا لنعيده أو منتصب به لانه عدة بالاعادة ﴿ علينا ﴾ اى علينا انجازه ﴿ انا كنا فاعلين ﴾ ذلك لا محالة ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور ﴾ كتاب داود ﴿ من بعد الذكر ﴾ أى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ﴿ ان الارض ﴾ أى ارض الجنة أو الارض المقدسة ﴿ يرثها عبادى الصالحون ﴾ يعنى عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها

للكتاب ﴿ قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج الذى هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوى السماء كما يطوى السجل الطومار الذى يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر فى ذلك اليوم ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله غرلا أى قلفا ﴿ وقوله تعالى ﴿ وعدا علينا انا كنا فاعلين ﴾ يعنى الاعادة والبعث بعد الموت . قوله تعالى ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ﴾ قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو أم الكتاب الذى عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أى بعد ما كتب فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل ﴿ أن الارض يرثها عبادى الصالحون ﴾

الكاتب (للكتب) الصحيفة (كما بدأنا أول خلق) أول خلقهم من النطفة (نعده) نبعثه من التراب (وعدا علينا) واجبا علينا (أنا كنا فاعلين) محييهم بعد الموت (ولقد كتبنا فى الزبور) فى زبور داود (من بعد الذكر) من بعد التوراة ويقال ولقد كتبنا فى الزبور فى كتب الانبياء من بعد الذكر اللوح المحفوظ (أن الارض) أرض الجنة (يرثها عبادى الصالحون) الموحدون ويقال الارض المقدسة يرثها ينزلها عبادى الصالحون من بنى اسرائيل ويقال الصالحون فى آخر

على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعنى به اللوح لان الكل اوخذوا منه دليله قراءة حمزة وخلف [illegible]
على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض أرض الجنة (ان فى هذا) أى القرآن أوفى المذكور فى هذه السورة من الاخبار
والوعد والوعيد والمواعظ (لبلاغا) لكفاية واصله مايبلغ به البغية (لقوم عابدين) موحدين وهم أمة محمد عليه السلا
(وماأرسلناك الارحمة)

وقال عليه السلام انما أنا رحمة مهداة (للعالمين

لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فانما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين فى الدارين وللكافرين فى الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين فى الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ورحمة مفعول له أوحال أى ذارحمة (قل انما) انما لقصر الحكم على شئ أولقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وفاعل (يوحى الى انما الهكم اله واحد) والتقدير يوحى الى وحدانية الهى ويجوز أن يكون المعنى ان الذى يوحى الى فتكون ماموصولة (فهل أنتم مسلمون) استفهام بمعنى الامر أى أسلموا (فان تولوا) عن الاسلام (فقل آذنتكم) أعلمتكم ماأمرت به (على سواء) حال أى مستوين فى الاعلام به ولم أخصص

أوامة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان فى هذا﴾ فيماذكرنا من الاخبار والمواعظ والمواعيد ﴿لبلاغا﴾ لكفاية أولسبب بلوغ الى البغية ﴿لقوم عابدين﴾ همهم العبادة دون العادة ﴿وماارسلناك الارحمة للعالمين﴾ لان مابعث به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ﴿قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد﴾ أى مايوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس ﴿فهل انتم مسلمون﴾ مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد ممايصح اثباته بالسمع ﴿فان تولوا﴾ عن التوحيد ﴿فقل آذنتكم﴾ اعلمتكم ماامرت به أوحربى لكم ﴿على سواء﴾ مستوين فى الاعلام به أومستوين

يعنى أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب فى اللوح المحفوظ فى كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد ان اراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها ﴿ان فى هذا﴾ أى فى القرآن ﴿لبلاغا﴾ أى وصولا الى البغية يعنى من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى مايرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى ﴿لقوم عابدين﴾ أى مؤمنين لايعبدون أحدا من دون الله تعالى وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون * قوله عزوجل ﴿وماارسلناك الارحمة للعالمين﴾ قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا فى حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وماارسلناك الارحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة ﴿قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون﴾ أى منقادون لمايوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر أى أسلموا ﴿فان تولوا﴾ أعرضوا ولم يسلموا ﴿فقل آذنتكم﴾ أى أعلمتكم بالحرب وأن لاصلح بيننا ﴿على سواء﴾ أى

الزمان (ان فى هذا) القرآن (لبلاغا) لكفاية ويقال عظة بالامر والنهى (لقوم عابدين) موحدين (وماأرسلناك) يامحمد (الارحمة) من العذاب (انذارا) (للعالمين) من الجن والانس من آمن بك ويقال نعمة (قل) يامحمد (انمايوحى الى) فى هذا القرآن (انما الهكم اله واحد) بلاولد ولا شريك (فهل أنتم) ياأهل مكة (مسلمون) مقرون مخلصون بالعبادة والتوحيد (فان تولوا) عن الايمان والاخلاص (فقل) لهم يامحمد (آذنتكم) أعلمتكم فصرت أنا وأنتم (على سواء) على بيان علانية

لم يطلعني عليه ولكني أعلم بأنه كائن لا محالة أولا أدري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون) اى انه عالم بكل شئ يعلم ماتجاهرونني به من الطعن فى الاسلام وماتكتمونه فى صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه (وان أدري لعله فتنة

لعل تأخير العذاب عنكم فى الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واشدد وطأتك على مضر قال رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم يزيد ربى احكم زيد عن يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ماتصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ماجرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم اى الكفار وهو المستعان على مايصفون

انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به أو فى المعاداة أو ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء أي عدل واستقامة رأى بالبرهان النير ﴿ وان ادرى ﴾ ومالادرى ﴿ أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لامحالة ﴿ انه يعلم الجهر من القول ﴾ ماتجاهرون به من الطعن فى الاسلام ﴿ ويعلم ماتكتمون ﴾ من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه ﴿ وان ادري لعله فتنة لكم ﴾ ومالادرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون ﴿ ومتاع الى حين ﴾ وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته ﴿ قل رب احكم بالحق ﴾ اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المتقضى لاستعجال العذاب أو التشديد عليهم * وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام ﴿ وربنا الرحمن ﴾ كثير الرحمة على خلقه ﴿ المستعان ﴾ المطلوب منه المعونة ﴿ على ماتصفون ﴾ من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم * وقرئ بالياء * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن والله تعالى اعلم

انذارا بينا نستوى فى علمه لا أستبد أنا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه يستوى نحن وأنتم فى العلم به وقيل معناه لتستووا فى الايمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره ﴿ وان أدرى ﴾ أى وما أعلم ﴿ أقريب أم بعيد ماتوعدون ﴾ يعنى يوم القيامة لايعلمه الا الله ﴿ انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون ﴾ أى لايغيب عن علمه شئ منكم فى علانيتكم وسركم ﴿ وان أدرى لعله فتنة لكم ﴾ أى لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم بكم ﴿ ومتاع الى حين ﴾ أى تتمتعون الى انقضاء آجالكم ﴿ قل رب احكم ﴾ اى افصل بينى وبين من كذبنى ﴿ بالحق ﴾ أى بالعذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرنى عليهم والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب ﴿ وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون ﴾ أى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا لى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

بغير سر (وان أدرى) ما أدرى (أقريب أم بعيد ماتوعدون) من العذاب (انه يعلم الجهر من القول) والفعل (ويعلم ماتكتمون) ماتسرون من القول والفعل ويعلم بعذابكم متى يكون (وان أدرى) ماأدرى (لعله) يعنى تأخير العذاب (فتنة) بلية (لكم ومتاع) أجل (الى حين) حين العذاب (قل) يامحمد (رب احكم بالحق) اقض بينى وبين أهل مكة بالحق بالعدل (وربنا الرحمن المستعان) نستعين به (على ماتصفون) تقولون من الكذب

﴿ سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ياايها الناس اتقوا ربكم) أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرجوها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ماأمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحريك والازعاج واضافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كأنها هي التي تزلزل الارض على المجاز الحكمي أوالى الظرف لانها تكون فيها كقوله بل ومكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولاحجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيأ فان هذا اسم لها حال وجودها وانتصب (يوم ترونها) أي الزلزلة أو الساعة بقوله (تذهل) تغفل والذهول الغفلة (كل مرضعة عماأرضعت) عن ارضاعها أوعن الذي أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لمايلحقها من الدهشة اذ المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال

﴿ سوره الحج مكية الاست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ياايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة ﴾ تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي اوتحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في أواضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها ﴿ شئ عظيم ﴾ هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لايؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عماارضعت ﴾ تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعلوما اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذادهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وماموصولة

﴿ تفسير سورة الحج وهي مكية غير ست آيات من قوله عزوجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية والف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عزوجل ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ أي احذروا عقابه واعملوا بطاعته ﴿ ان زلزلة الساعة شئ عظيم ﴾ الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولاشئ أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها ﴿ يوم ترونها ﴾ أي الساعة وقيل الزلزلة ﴿ تذهل ﴾ قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى ﴿ كل مرضعة عماأرضعت ﴾ أي كل امرأة معها ولد ترضعه

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الحج وهي كلها مكية الا خمس آيات ومن الناس من يعبد الله على حرف الى آخر الآيتين وقوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى آخر الآيتين والسجدة الاخيرة فهؤلاء الآيات مدنيات وكل شئ في القرآن ياأيها الذين (و) آمنوا فهومدني وكل شئ في القرآن ياأيها الناس فهومكي ومدني ولانجد ياأيها الذين آمنوا مكية * آياتها خمس وسبعون آية وكلماتها ألف ومائتان واحدى وتسعون وحروفها خمسة آلاف ومائة وخمسة وثلاثون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (ياأيها الناس) خاص وعام وههنا عام (اتقوا ربكم) اخشوا ربكم وأطيعوه (ان زلزلة الساعة) قيام الساعة (شئ عظيم)هوله (يوم ترونها) حين ترونها عند النفخة الاولى (تذهل) تشتغل (كل مرضعة) والدة (عماأرضعت)

وصفهابه (ولتضع كل ذات حمل) أى حبلى (حملها) ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل مافى بطنها لغير تمام ﴿ ٢٨٧ ﴾ (وترى الناس) أيها { سورة الحج } الناظر (سكارى) على

أو مصدرية ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها ﴾ جنينها ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ كأنهم سكارى ﴿ وماهم بسكارى ﴾ على الحقيقة ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم * وقرئ ترى من ارتبك قائما أو رأيتك بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل واحد على غيره * وقرأ حمزة والكسائى سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ﴾ نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت

﴿ وتضع كل ذات حمل حملها ﴾ أى تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل مافى بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة فى الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة فى القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد تريد به شدته ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ على التشبيه ﴿ وماهم بسكارى ﴾ على التحقيق ولكن مارهقهم من خوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب ومابعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد فى رواية قالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وانى لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخارى * وفى حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث أبى سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتى سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا * قوله عز وجل ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ﴾ نزلت فى النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان

التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبى نفسى نفسى (وماهم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) فخوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالامالة حمزة وعلى وهو كعطشى فى عطشان روى أنه نزلت الآيتان ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما النبى عليه السلام فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة (ومن الناس من يجادل فى الله) فى دين الله (بغير علم) حال نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى أو هى عامة فى كل من يخاصم فى الدين

عن ولدها (وتضع كل ذات حمل حملها) وتضع الحوامل مافى بطونها من الاولاد (وترى الناس) قيامة (سكارى) نساوى أو ماهم (بسكارى) بالشرب من الشراب (ولكن عذاب الله شديد)

فمن ذلك تحيروا كأنهم سكارى (ومن الناس) وهو النضر بن الحرث (من يجادل فى الله) يخاصم فى دين الله وكتابه (بغير علم) بلا علم

يعنى الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أى لكيلا يعلم شيأ من بعدما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عالما ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وربأت حيث كان يزيد ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن سار للناظرين اليه (ذلك) مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أى

ذكرنا من خلق بنى آدم واحياء الارض مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق أى الثابت الوجود (وانه يحيي الموتى) كما أحيا الارض (وانه على كل شئ قدير) قادر (وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) أى انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلابد أن يفى بما وعد (ومن الناس من يجادل فى الله) فى صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت فى أبى جهل (بغير علم) ضرورى

﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيأ﴾ ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره ﴿وترى الارض هامدة﴾ ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا ﴿فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت بالنبات ﴿وربت﴾ وانتفخت وقرئ ربأت اى ارتفعت ﴿وانبتت من كل زوج﴾ من كل صنف ﴿بهيج﴾ حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره ﴿بان الله هو الحق﴾ اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى به يتحقق الاشياء ﴿وانه يحيي الموتى﴾ وانه يقدر على احيائها والا لما احيي النطفة والارض الميتة ﴿وانه على كل شئ قدير﴾ لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها ﴿وان الساعة آتية لاريب فيها﴾ فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه ﴿وان الله يبعث من فى القبور﴾ بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ تكرير للتأكيد

﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيأ﴾ أى يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيأ فيصير كما كان فى أول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم * ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى ﴿وترى الارض هامدة﴾ أى يابسة لانبات فيها ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء﴾ يعنى المطر ﴿اهتزت﴾ أى تحركت بالنبات ﴿وربت﴾ أى ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات ﴿وأنبتت﴾ هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الارض توسعا ﴿من كل زوج بهيج﴾ أى من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشئ المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى ﴿ذلك﴾ أى ذكرنا ذلك لتعلموا ﴿بأن الله هو الحق﴾ وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع ﴿وأنه يحيي الموت﴾ أى انه اذا لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات ﴿وانه على كل شئ قدير﴾ أى من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات ﴿وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور﴾ أى ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لاشك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق * قوله تعالى ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ يعنى النضر بن الحرث

الهرم (لكى لا يعلم) حتى لا يعقل (من بعد علم) من بعد علمه الاول (شيأ وترى الارض هامدة) منكسرة ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) بالنبات ويقال تحركت واستبشرت بالماء (وربت) انتفخت للنبات (وأنبتت) أخرجت بالماء (من كل زوج بهيج) من كل لون حسن (ذلك) القدرة فى تحويلكم وغير ذلك لتقروا وتعلموا (بان الله هو الحق) بان عبادة الله هى الحق (وانه يحيي الموتى) للنشور (وأنه على كل شئ) من الحياة والموت (قدير وأن الساعة آتية) كائنة (لاريب فيها) لاشك فى كينونتها (وأن الله يبعث من فى القبور) للجزاء والعقاب (ومن الناس من يجادل فى الله) يخاصم فى دين الله وكتابه (بغير علم) بلا علم (ولا هدى)

(ولاهدى) أى استدلال لانه يهدى الى المعرفة (ولاكتاب منير) اى وحى والعلم للانسان من احد هذه الوجوه الثلاثة
(ثانى عطفه) حال أى لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء وعن الحسن ثانى عطفه بفتح العين أى مانع تعطفه الى غيره
(ليضل) تعليل للمجادلة ليضل مكى وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له فى الدنيا خزى) أى القتل يوم بدر (ونذيقه يوم
القيامة عذاب الحريق) اى جم له (ذلك بما قدمت يداك) أى

السبب فى عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليدلان اليد آلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أى وبان الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لافى وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمانينه وهو

ولما نيط به من الدلالة بقوله ﴿ ولاهدى ولاكتاب منير ﴾ على انه لاسند له من استدلال أووحى أوالاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ﴿ ثانى عطفه ﴾ متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد أو معرضا عن الحق استخفافا به . وقرئ بفتح العين أى مانع تعطفه ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ علة للجدال . وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث انه مؤداه كالغرض له ﴿ له فى الدنيا خزى ﴾ وهو ما اصابه يوم بدر ﴿ ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ﴾ المحرق وهو النار ﴿ ذلك بما قدمت يداك ﴾ على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى ﴿ وان الله ليس بظلام للعبيد ﴾ وانما هو مجاز لهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش

(ولاهدى) بلاحجة (ولا كتاب منير) مبين بما يقول (ثانى عطفه) لاويا عنقه معرضا عن الآيات مكذبا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ليضل عن سبيل الله عن دين الله وطاعته (له فى الدنيا خزى) عذاب قتل يوم بدر صبرا (ونذيقه يوم

﴿ ولاهدى ﴾ أى ليس معه من الله بيان ولا رشاد ﴿ ولا كتاب منير ﴾ أى ولا كتاب من الله له نور ﴿ ثانى عطفه ﴾ أى لاوى جنبه وعنقه متبخترا لتكبره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ أى عن دين الله ﴿ له فى الدنيا خزى ﴾ أى عذاب وهوان وهو أنه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبى معيط ﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك ﴾ أى يقال له ذلك ﴿ بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ أى فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أى وجه أراد تصرف فى عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم * قوله عز وجل ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ الآية نزلت فى قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت فى هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على شك وأصله من حرف الشئ وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذى هو غير مستقر فقيل للشاك فى الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكينة وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله

القيامة عذاب الحريق)عذاب النار ويقال العذاب الشديد (ذلك) القتل يوم بدر صبرا (بما قدمت يداك) بما عملت يداك فى الشرك
نزل من قوله ومن الناس من يجادل فى الله الى ههنا فى شأن النضر بن الحرث (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أن يأخذهم بلا جرم (ومن
الناس من يعبد الله على حرف)على وجه تجربة وشك وانتظار نعمة نزلت هذه الآية فى شأن بنى الحلاف منافقى بنى أسد وغطفان

الاشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل في هاء الكناية الاشباع (مهانا) حال أي ذليلا (الامن تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد توبته (فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) أي يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به ان السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ماذكرنا يبدل مخففا البرجمي (وكان الله غفورا) يكفر السيآت (رحيما) يبدلها بالحسنات (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) أي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه يتوب بذلك الى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا

متى تأتنا تلمم بنافي ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ﴿ويخلد فيه مهانا﴾ وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرأ أبو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب ومضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله ﴿ الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ﴾ بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ماسلف منه اوبان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ فلذلك يعفو عن السيآت ويثيب على الحسنات ﴿ومن تاب ﴾ عن المعاصي بتركها والندم عليها ﴿ وعمل صالحا ﴾ يتلافى به مافرط أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة ﴿ فانه يتوب الى الله ﴾ يرجع الى الله بذلك ﴿ متابا ﴾ مرضيا

اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته ﴿ويخلد فيه مهانا﴾ أي ذليلا * قوله تعالى ﴿ الامن تاب ﴾ أي عن ذنبه ﴿ وآمن ﴾ أي بربه ﴿وعمل عملا صالحا ﴾ أي فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لايدعون مع الله الها آخر الآية ثم نزلت الامن تاب فمارأيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل مافرح بها وفرحه بانافتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر * وقوله تعالى ﴿فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سيآتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لايستطع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لاأراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله تعالى يمحو بالندم جميع السيآت ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ﴿ ومن تاب وعمل صالحا ﴾ قيل هذا في التوبة من غير ماسبق ذكره في الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعني أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن ﴿ فانه يتوب الى الله ﴾ أي يعود اليه بعد الموت ﴿ متابا ﴾ أي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافأة وقيل

ويخلد فيه) في العذاب (مهانا) يهان به ذليلا (الا من تاب) من الكفر (وآمن) بالله (وعمل عملا صالحا) خالصا بعد الايمان (فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) يحولهم الله من الكفر الى الايمان ومن (هذه) المعصية الى الطاعة ومن عبادة الاصنام الى عبادته ومن الشر الى الخير (وكان الله غفورا) لمن تاب (رحيما) لمن مات على التوبة (ومن تاب) من الذنوب (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه خالصا من قلبه (فانه يتوب الى الله متابا) مناصحة ويقال يجد ثوابها

محصلا للثواب (والذين لايشهدون الزور) أى الكذب يعنى ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة الى مالم تسوغه

وجود الزيادة فيه وفى مواعظ عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخاطئين أولا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لايشهدون اللهو والغناء (واذا مروا باللغو) بالفحش وكل ماينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به (مروا كراما) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وعن الباقر رضى الله عنه اذا ذكروا الفروج كنوا عنها (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) أى قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) هذا ليس بنفى الخرور بل هو اثبات له ونفى الصمم والعمى ونحوه لايلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء يعنى انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين بآذن واعية مبصرين بعيون راعية لما

عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص ﴿ والذين لايشهدون الزور ﴾ لايقيمون الشهادة الباطلة أو لايحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه ﴿ واذا مروا باللغو ﴾ مايجب ان يلغى ويطرح ﴿ مروا كراما ﴾ معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم ﴾ بالوعظ أو القراءة ﴿ لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لايسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لايلقانى زيد مسلما وقيل الهاء

هذه الآية أيضا فى التوبة عن جميع السيآت ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر أى تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله تعالى * قوله عز وجل ﴿ والذين لايشهدون الزور ﴾ يعنى الشرك وقيل هى شهادة الزور (ق) عن أبى بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به فى الاسواق وقيل لايشهدون الزور يعنى أعياد المشركين وقيل الكذب والنوح وقيل لايساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيقة تحسين الشئ ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق ﴿ واذا مروا باللغو ﴾ هو كان مايجب أن يلغى ويترك ﴿ مروا كراما ﴾ يعنى اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصى كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما أى مسرعين معرضين وهو ان ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ قيل معناه انه ليس فيه نفى الخرور انما هو اثبات له ونفى الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها بآذن واعية وأقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة راعية وقيل معناه لم يخروا أى لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كانهم بآذانهم صمم

مروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا

عند الله (والذين لايشهدون الزور) لايحضرون مجالس الزور (واذا مروا باللغو) بمجالس الباطل (مروا كراما) أعرضوا حلما والذين اذا ذكروا) وعظوا (بآيات ربهم لم يخروا عليها) على آيات الله (صما) لايسمعون (وعميانا) لايبصرون ولكن يسمعون

بذهب لمايغيظ (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزل القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدى من يريد)
أى ولان الله يهدى به الذين يعلم انهم مؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) قيل الاديان خمسة أربعة
للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلاتكون ستة (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) فى الاحوال والاماكن فلايجازيهم جزاء واحدا ولايجمعهم فى موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان أباه قائم (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان (أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الاوض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل

﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الانزال ﴿انزلناه﴾ انزلنا القرآن كله ﴿آيات بينات﴾ واضحات ﴿وان الله يهدى﴾ ولان الله يهدى به أو يثبت على الهدى ﴿من يريد﴾ هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة﴾ بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازى كلا مايليق به ويدخله المحل المعدله وانما دخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد ﴿ان الله على كل شئ شهيد﴾ عالم به مراقب لاحواله ﴿ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض﴾ يتسخر لقدرته ولايتأبى عن تدبيره أو يدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ افرادا

أى فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لايمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد فى أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله فى السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وفى الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لافائدة فيه روى ان الآية نزلت فى قوم من أسد وغطفان دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود مخالفة فقالوا لايمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لاينصر محمد ولايظهر أمره فتنقطع المخالفة بيننا وبين اليهود فلايميرونا ولايؤونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لايجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرنى نصره الله أى من يعطنى أعطاه الله ﴿وكذلك أنزلناه﴾ يعنى القرآن ﴿آيات بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾ يعنى عبدة الاوثان قيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشياطين وهو ماعدا الاسلام ﴿ان الله يفصل بينهم﴾ أى يحكم بينهم ﴿يوم القيامة﴾ وقيل يفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلايجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولايجمعهم فى موطن واحد ﴿ان الله على كل شئ شهيد﴾ أى انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلايجرى فى ذلك الفصل ظلم ولاحيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية فى تفسير سورة البقرة * قوله عز وجل ﴿ألم تر﴾ أى ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك ﴿أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾

فى رزقه (وكذلك) هكذا (أنزلناه آيات) أنزلنا جبريل بآيات (بينات) بالحلال والحرام (وان الله يهدى) يرشد الى دينه (من يريد) من كان أهلا لذلك (ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (والذين هادوا) يهود أهل المدينة (والصابئين) السائحين وهم شعبة من النصارى (والنصارى) يعنى نصارى
أهل نجران السيد والعاقب (والمجوس) عبدة الشمس والنيران (والذين أشركوا) مشركى العرب (ان الله (قيل)
يفصل) يقضى (بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ) من اختلافهم وأعمالهم (شهيد) عالم (ألم تر) ألم تخبر يا محمد فى القرآن (ان الله
يسجد له من فى السموات) من الحلق (ومن فى الارض) من المؤمنين (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) كل

ن الكل يسجدله ولكنا لانقف عليه كما لانقف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون

تسبيحهم وقيل سمى مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له

لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها *وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف أو الجمع بين الساكنين ﴿ وكثير من الناس ﴾ عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب أو فاعل فعل مضمر أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده *وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ﴿ ومن يهن الله ﴾ بالشقاوة ﴿ فماله من مكرم ﴾ يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾ من الاكرام والاهانة ﴿ هذان خصمان ﴾ أى فوجان مختصمان ولذلك قال

قيل سجود هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل ما فى السماء نجم ولاشمس ولاقمر الايقع ساجدا حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه مامن جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التى خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بمطاوعتها أفعال المكلف وهو السجود الذى كل خضوع دونه فان قلت هذا التأويل يبطله قوله ﴿ وكثير من الناس ﴾ فان السجود بالمعنى الذى ذكر عام فى الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذى ذكرته وان كان عاما فى حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود فى الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره وأما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره أيضا فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثانى بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من فى السموات ومن فى الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ماتقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ وهم الكفار أى حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد ظلالهم لله عز وجل ﴿ ومن يهن الله فماله من مكرم ﴾ أى من يذله الله فلا يكرمه أحد ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾ أى يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذى يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

فصل

هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها * قوله عز وجل ﴿ هذان خصمان

سجوده له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذى كل خضوع دونه (وكثير من الناس) أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أى وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابائه السجود (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل مايشاء) من الاكرام والاهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتى قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل مايشاء (هذان خصمان)

هؤلاء يسجدون لله (وكثير من الناس) وجبت لهم الجنة وهم المؤمنون (وكثير حق عليه العذاب) وجب عليهم عذاب النار وهم الكافرون (من يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) بالسعادة ويقال ومن يهن الله بالنكرة فماله من مكرم بالمعرفة (ان الله يفعل مايشاء) بخلقه من

الشقاوة والسعادة والمعرفة والنكرة (هذان خصمان) أهل دينين من المسلمين

﴿اختصموا﴾ حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون ﴿فى ربهم﴾ فى دينه أو فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت

اختصموا فى ربهم ﴾ أى جادلوا فى دينه وأمره واختلفوا فى هذين الخصمين فروى عن قيس ابن عبادة قال سمعت أباذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه فى الصحيحين (خ) عن على بن أبى طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدى الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عبادة فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا فى ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فئة من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء وعبدالله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يامحمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم ياعبيدة بن الحرث وياحمزة بن عبد المطلب وياعلى بن أبى طالب فلما دنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا انفسهم قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلى الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلى باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى أصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما أتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألست شهيدا يارسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم انا أحق بما قال منه حيث يقول

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية فى المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم فى ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أى ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالى لايدخلنى الاضعفاء الناس وسقطهم زاد فى رواية وغراتهم فقال الله عزوجل للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما انت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى

أى فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله (اختصموا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضى الله عنهما رجع الى أهل الاديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم (فى ربهم) فى دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله

واليهود والنصارى (اختصموا فى ربهم) فى دين ربهم فقال كل واحد منهم أنا أولى بالله وبدينه فحكم الله بينهم فقال

(فالذين كفروا) وهو فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كأن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضى لانه كائن لامحالة فهو كالثابت المتحقق (يصب من فوق رؤسهم) بكسر الهاء والميم بصرى وبضمهما حمزة وعلى وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا

لاذابتها (يصهر) يذاب (به) بالحميم (ما فى بطونهم والجلود) أى يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر فى الظاهر والباطن (ولهم مقامع) سياط مختصة بهم (من حديد) يضربون بها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتمال من منها باعادة الجار أو الاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعنى كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن ان النار تضربهم بلهبها فتلقيهم الى أعلاها فضربوا بالمقامع فهو وافيها سبعين خريفا والمراد اعادتهم الى معظم النار لانهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون اليها

﴿ فالذين كفروا ﴾ فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴿ قطعت لهم ﴾ قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ﴿ ثياب من نار ﴾ نيران تحيط بهم احاطة الثياب ﴿ يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ حال من الضمير فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار ﴿ يصهر به ما فى بطونهم والجلود ﴾ أى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم أو من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها مايقمع به أى يكف بعنف ﴿ كلما ارادوا ان يخرجوا منها ﴾ من النار ﴿ من غم ﴾ من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار ﴿ اعيدوا فيها ﴾ أى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لاتكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها

بعضها الى بعض ولايظلم ربك من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقا وللبخارى اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى أولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم ذكره وهو أهل الاديان الستة وأيضا فانه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر مآل الخصمين فقال تعالى ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ﴾ قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شئ اذا حمى أشد حرا منه وسمى باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات من نار ﴿ يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ أى الماء الحار الذى انتهت حرارته ﴿ يصهر به ﴾ أى يذاب بالحميم الذى يصب من فوق رؤسهم ﴿ ما فى بطونهم ﴾ من الشحوم والاحشاء ﴿ والجلود ﴾ عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدهم فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ أى سياط من حديد وهى الجرز من الحديد وفى الخبر لو وقع مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ماأقلوه من الارض ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم ﴾ أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذى يأخذ بأنفاسهم ﴿ أعيدوا فيها ﴾ أى ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا

(فالذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى اليهود والنصارى (قطعت لهم ثياب من نار) قمص وجباب من نار (يصب من فوق رؤسهم) على رؤسهم (الحميم) (قا و خا ٣٨ بع) الماء الحار (يصهر به) يذاب بالحميم (ما فى بطونهم) من الشحوم وغيرها (والجلود) ويذاب به الجلود وغيرها (ولهم مقامع من حديد) حار يضرب على رؤسهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) من غم العذاب (أعيدوا فيها) فى النار بضرب المقامع

(وذوقوا) أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور) جمع اسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) { الجزء السابع عشر } بالنصب

مدني وعاصم وعلى ويؤتو لؤلؤا وبالجر غيرهم عطفا على من ذهب وبترك الهمزة الاولى في كل القرآن أبو بكر وحاد (ولباسهم فيها حرير) ابريسم (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) أي أرشد هؤلاء في الدنيا الى كلمة التوحيد والى صراط الحميد أي الاسلام أو هداهم الله في الآخرة وألهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة والحميد الله المحمود بكل

فيضربون بالمقامع فيهوون فيها ﴿ وذوقوا ﴾ أي وقيل لهم ذوقوا ﴿ عذاب الحريق ﴾ أي النار البالغة في الاحراق ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى وأكده بان احادلحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم ﴿ يحلون فيها ﴾ من حليت المرأة اذا البستها الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد ﴿ من اساور ﴾ صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار ﴿ من ذهب ﴾ بيان له ﴿ ولؤلؤا ﴾ عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها أو اضمارا لناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كادل ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل ﴿ وهدوا الى الطيب من القول ﴾ وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده أو كلمة التوحيد ﴿ وهدوا الى صراط الحميد ﴾ المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه

وذقوا عذاب الحريق ﴾ أي تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ وهو الابريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا ✽ عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (ق) عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ✽ عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ✽ قوله تعالى ﴿ وهدوا ﴾ من الهداية أي أرشدوا ﴿ الى الطيب من القول ﴾ قال ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴿ وهدوا الى صراط الحميد ﴾ أي الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود

(وذوقوا) فيقال لهم ذوقوا (عذاب الحريق) الشديد (ان الله يدخل الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (جنات) بساتين (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانها) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (يحلون فيها) يلبسون في الجنة (من أساور من ذهب) أسورة من ذهب (ولؤلؤا ولباسهم فيها) في الجنة (حرير) لا يوصف فضله (وهدوا الى الطيب من القول) أرشدوا في الدنيا الى القول الطيب لا اله الا الله (في) (وهدوا الى صراط الحميد) ووفقوا للدين المحمود في فعاله ويقال الحميد لمن وحده فهذا قضاء الله فيما بين اليهود والنصارى والمؤمنين في

الاسلام ﴿ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ﴾ لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد به استمرارا لصدود منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية أى معذبون ﴿ والمسجد الحرام ﴾ عطف على اسم الله وأوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله ﴿ الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ﴾ أى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشراء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول أو الحال والعاكف مرتفع به * وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ﴿ ومن يرد فيه ﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول

فى أفعاله * قوله عز وجل ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ أى بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام ﴿ والمسجد الحرام ﴾ أى ويصدون عن المسجد الحرام ﴿ الذى جعلناه للناس ﴾ أى قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا ﴿ سواء العاكف ﴾ أى المقيم ﴿ فيه ﴾ قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاور وأقام به ولزم التعبد فيه ﴿ والباد ﴾ أى الطارئ المنتاب اليه من غيره واختلفوا فى معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادى فى تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية فى تعظيم الكعبة وفى فضل الصلاة فيه والطواف به * وعن جبير بن مطعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا بنى عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادى سواء فى النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير انه لا يزعج أحد أحدا اذا كان قد سبق الى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء فى البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة باحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا أبوابهم فى الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان أرض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والبادى فلما استوى ثبت ان سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعى احتج الشافعى فى ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أضاف الديار الى مالكيها وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها * وقوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه ﴾

الاسلام و يصدون حال من فاعل كفروا أى وهم يصدون أى الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن الى الفقراء فانه يراد به استمرار وجود الاحسان منه فى الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أى ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الذى جعلناه للناس) مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فان أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا تباع دور مكة وان أريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس (سواء) بالنصب حفص مفعول ثان لجعلناه أى جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وغير المقيم بالياء مكى وافقه أبو عمرو فى الوصل وغيره بالرفع على انه خبر والمبتدأ مؤخر أى العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثان وللناس حال (ومن يرد فيه) فى

خصومتهم (ان الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أبو سفيان وأصحابه وانما سماه كافرا لانه لم يكن مؤمنا يومئذ (ويصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دين الله وطاعته (والمسجد الحرام) صرفون محمدا عليه السلام وأصحابه عام الحديبية عن المسجد الحرام للعمرة

(الذى جعلناه) حرما وقبلة (للناس سواء العاكف فيه والباد) يعنى المقيم والغريب سواء شرع (ومن يرد) يعمل (فيه

المسجد الحرام (بالحاد بظلم) حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما فالالحاد العدول عن القصد (نذقه من عذاب أليم) فى الآخرة وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك (واذبوأنا لابراهيم مكان البيت) واذكر يا محمد حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح أرسلها وكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم (أن) هى المفسرة للقول المقدر أى قائلين له (لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى) من الاصنام والاقذار و بفتح الياء مدنى و حفص (للطائفين) لمن يطوف به (والقائمين) والمقيمين بمكة (والركع السجود) المصلين جمع راكع وساجد (وأذن

بالحاد بظلم) على أحد (نذقه من عذاب أليم) وجيع نضربه ضربا شديدا لكى لايعود الى ظلم أحد ويقال نزلت فى شأن عبدالله بن أنس بن حنظل قتل أنصاريا بالمدينة متعمدا وارتد عن الاسلام والتجأ الى مكة فنزل فيه ومن يرد فيه من يلجأ اليه بالحاد بقتل بظلم بشرك نذقه من عذاب أليم وجيع لايطعم ولايسقى ولايؤوى حتى يخرج من الحرم ثم يقام عليه الحد (واذبوأنا لابراهيم) بنا لابراهيم (مكان البيت) (أعلم) الحرام بسحابة وقفت على حياله فبنى ابراهيم البيت على حيال السحابة وأوحينا اليه (أن لاتشرك بى شيأ) من الاصنام (وطهر بيتى) مسجدى من الاوثان (للطائفين) حوله (والقائمين) المقيمين فيه (والركع السجود) لاهل الصلوات من جملة البلدان من كل وجه (وأذن

وقرئ بالفتح من الورود ﴿ بالحاد ﴾ عدول عن القصد ﴿ بظلم ﴾ بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثانى بدل من الاول باعادة الجار أو صلة له أى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام ﴿ نذقه من عذاب اليم ﴾ جواب لمن ﴿ واذبوأنا لابراهيم مكان البيت ﴾ اى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اى واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء اوانطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ماحوله فبناه على اسه القديم ﴿ ان لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة أو مصدرية موصولة بالنهى اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وتطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بيتى بفتح الياء ﴿ واذن

أى فى المسجد الحرام ﴿ بالحاد بظلم ﴾ أى يميل الى الظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شئ كان منهيا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شئ من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيآت بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام فى الحرم الحاد فيه أخرجه ابو داود وقال عبدالله بن مسعود فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم ﴿ نذقه من عذاب أليم ﴾ قال لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه مالم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب اليم قال السدى الا ان يتوب وروى عن عبدالله بن عمرو انه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى ﴿ وأذبوأنا لابراهيم مكان البيت ﴾ قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أى جهة يبنى فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ماحول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدرى فبنى عليه ﴿ أن لاتشرك بى شيأ ﴾ أى عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لاتشرك بى شيأ ﴿ وطهر بيتى ﴾ أى من الشرك والاوثان والاقذار ﴿ للطائفين ﴾ أى الذين يطوفون بالبيت ﴿ والقائمين ﴾ أى المقيمين فيه ﴿ والركع السجود ﴾ أى المصلين * قوله عز وجل ﴿ وأذن ﴾ أى

في الناس بالحج) ناد فيهم والحج هو القصد البليغ الى مقصد منيع وروى انه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاجاب من قدرله أن يحج من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع و الاول أظهر وجواب الامر (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجال كانه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد

صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع وقرأ عبد الله يأتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال لى شيخ فى الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فانتم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة * فقال زر من هويت وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار * لا يمنعنك بعد عن زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار * واللام فى (ليشهدوا) ليحضروا متعلق باذن أو بيأتوك (منافع لهم) نكرها لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادة

﴿ فى الناس ﴾ ناد فيهم وقرئ وآذن ﴿ بالحج ﴾ بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعد اباقبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك فى حجة الوداع ﴿ يأتوك رجالا ﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام * وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله ﴿ يأتين ﴾ صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان اواستئناف فيكون الضمير للناس ﴿ من كل فج ﴾ طريق ﴿ عميق ﴾ بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ﴿ ليشهدوا ﴾ ليحضروا ﴿ منافع لهم ﴾ دينية

أعلم وناد والاذان فى اللغة الاعلام ﴿ فى الناس ﴾ قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة ﴿ بالحج ﴾ فقال ابراهيم عليه السلام ومايبلغ صوتى فقال الله عليك الاذان وعلينا الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وأدخل أصبعيه فى أذنيه وأقبل بوجهه يمنا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس ألا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فالاول من اجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وروى ان ابراهيم صعد أباقبيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم أمر ان يفعل ذلك فى حجة الوداع (م) عن أبى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ﴿ يأتوك رجالا ﴾ أى مشاة على أرجلهم جمع راجل ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ أى ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة تشريفا لهم ﴿ يأتين ﴾ أى جماعة الابل ﴿ من كل فج عميق ﴾ أى من كل طريق بعيد فان أتى مكة حاجا فكانه قد أتى ابراهيم لانه مجيب نداءه * قوله تعالى ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل مايرضى به الله من أمر الدنيا والآخرة

وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع مافيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجر البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على مايستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده ولا يأكل الا من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة

فى الناس) ناد ذريتك (بالحج يأتوك) حتى يجيئوا اليك (رجالا) مشاة على أرجلهم (وعلى كل ضامر) ركبانا على كل ابل مضمر وغيره (يأتين) يجئن (من كل فج عميق) طريق وأرض بعيدة (ليشهدوا منافع لهم) منافع الدنيا والآخرة منافع الآخرة بالدعاء والعبادة ومنافع الدنيا

وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ماسعى في معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يانس به من اوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله و تجهيزه مطيبا بالحنوط ملففا في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كوقف العرصات لا تكلم نفس الا باذنه فهم شقي وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف المنى للمذنبين الى شفاعة الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الايذاء والقتال أنموذج لدار السلام التي هي من نزلها بقي سالما من الفناء والزوال غيران الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما ان الكعبة حفت بمتالف البادية فرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى اللقاء يوم التنادي (ويذكروا اسم الله) عند الذبح (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحمهم الله وعند صاحبيه هي ايام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (على مارزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل من هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أضعفه الاعسار

ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ﴿ ويذكروا اسم الله ﴾ عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله ﴿ في ايام معلومات ﴾ في عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر ﴿ على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر ﴿ فكلوا منها ﴾ من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه اوندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب ﴿ واطعموا البائس ﴾ الذي اصابه بؤس أي شدة ﴿ الفقير ﴾ المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول

﴿ ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ﴾ يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من أجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده ﴿ على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام ﴿ فكلوا منها ﴾ أمر اباحة ليس بواجب و ذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيأ فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبدالله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر علي ماغبر وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها أخرجه مسلم *قوله ماغبر أي ما بقي *قوله ببضعة أي بقطعة واختلف العلماء في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان يأكل منه شيأ قال الشافعي لا يأكل منه شيأ وكذلك ماأوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحق وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند أصحاب الرأي انه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى ﴿ وأطعموا البائس الفقير ﴾ يعني الزمن الذي لا شيء له *قوله تعالى

بالربح والتجارة (ويذكروا اسم الله) ليذكروا اسم الله (في أيام معلومات) معروفات أيام التشريق (على مارزقهم من بهيمة الانعام) على ذبيحة الانعام (فكلوا منها) من الاضاحي (وأطعموا) أعطوا (البائس الفقير) الضرير الزمن المحتاج

(ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذاقاله نفطويه قيل قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم قضاء التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفي بنذره وان لم ينذر أوماينذرونه من أعمال البر في حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيادة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش

وأبي عمرو (بالبيت { سورة الحج } العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده ابراهيم أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية الى كرم الحرية أو لانه أعتق من الغرق لانه رفع ومن الطوفان أو من أيدي الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله أو من أيدي الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما ان العرش مطاف أهل السماء فان الطالب اذا هاجته معية الطرب وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عاين البيت لم يزده التسلي به الا اشتياقا ولم يفده التشفي باستلام الحجر الا احتراقا فيرده الاسف لهفان ويردده اللهف حوله في الدوران وطواف الزيادة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الاسلام حتى لا ير تفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه كما ان عقد الاسلام لا ينحل بازدحام الآثام وترتفع ألف حوبة بتوبة وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الاعمال

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال ﴿وليوفوا نذورهم﴾ ماينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج * وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء ﴿وليطوفوا﴾ طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع ﴿بالبيت العتيق﴾ القديم لانه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث أغبر اذ لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شئ يكون في الحج أي ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذره أو لم ينذره ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى أن ينتهي اليه ويمشي أربعا وهذا الطواف سنة لا شئ على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شئ بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا زاد في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أربعا ثم يصلي سجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أراني الا حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري * قوله عقرى حلقى معناها عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناه مشؤمة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شئ يجري على ألسنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن ينفر

(ثم ليقضوا تفثهم) ليتموا مناسك حجهم حلق الرأس ورمي الجمار وتقليم الاظفار وغير ذلك (وليوفوا نذورهم) وليتموا ما أوجبوا على أنفسهم (وليطوفوا) الطواف الواجب (بالبيت العتيق) أعتق من كل جبار دخل فيه ويقال من غرق الطوفان زمن نوح ويقال هو أول بيت بني ويقال من

وشواهد الاحوال (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أي الامر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمة مالا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا بما يتعلق بالحج

وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعات والحفظ والقيام بمراعاتها (وأحلت لكم الانعام) أي كلها (الا مايتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الا مابين في كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيأ مما أحل كتحريم البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور)

تعالى واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ﴿ذلك﴾ خبر محذوف أي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ احكامه وسائر مالا يحل هتكه أو الحرم ومايتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم ﴿فهو خير له﴾ فالتعظيم خير له ﴿عند ربه﴾ ثوابا ﴿واحلت لكم الانعام الا مايتلى عليكم﴾ الا المتلو عليكم تحريمه وهو ماحرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ماحرمه الله كالبحيرة والسائبة ﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان﴾ فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾

الثالث طواف الوداع لارخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لان الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الفرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك ● قوله عز وجل ﴿ ذلك ﴾ أي الامر ذلك يعني ماذكر من أعمال الحج ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ أي مانهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله مالا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ماوجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها ﴿ فهو خير له عند ربه ﴾ أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة ﴿وأحلت لكم الانعام ﴾ أي ان تأكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم ﴿ الا مايتلى عليكم ﴾ أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية ﴿ فاجتنبوا الرجس من الاوثان ﴾ أي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ أي الكذب والبهتان وقال ابن عباس هي شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم

طاف حوله فقد عتق (ذلك) الذي ذكرت من المناسك عليهم أن يوفوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) مناسك الحج (فهو خير له عند ربه) بالثواب (وأحلت لكم) رخصت لكم (الانعام) ذبيحة الانعام وأكل لحومها (الا مايتلى) الا ماحرم (عليكم) في سورة المائدة مثل الميتة والدم ولحم الخنزير (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فاتركوا شرب الخمر وعبادة الاوثان (واجتنبوا قول الزور) اتركوا قول الباطل والكذب

لان ذلك من اعظم المحرمات واسبقها خطرا ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شئ كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريقة التشبيه يعنى انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لا[illegible] الشرك من باب الزور ا[illegible] المشرك زاعم ان الوثن يحق العبادة (حنفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كحن[illegible] (ومن يشرك بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) الى الار[ض] (فتخطفه الطير) أى تسلبه بسرعة فتخطفه اى تتخطفه مدنى (أو تهوى به الريح) أى تسقطه والهوى السقو[ط] (فى مكان سحيق) بعيد يجو[ز] أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذى هو يوقعه فى الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة

لانهم كانوا يقولون فى تلبيتهم فى الجاهلية (قا و خا ٣٩ يع) لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فنهاهم الله عن ذلك (حنفاء لله) كونوا مسلمين مخلصين لله بالتلبية والحج (غير مشركين به) بالله فى التلبية والحج (ومن يشرك بالله فكأنما خر) وقع (من السماء فتخطفه) فتأخذه (الطير) وتذهب به حيث يشاء (أو تهوى) تذهب (به الريح فى مكان سحيق)

تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع ﴿ حنفاء لله ﴾ مخلصين له ﴿غير مشركين به ﴾ وهما حالان من الواو ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ﴾ لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر ﴿ فتخطفه الطير ﴾ فان الاهواء الرديئة توزع افكاره * وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء ﴿أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى قوله أو كصيب من السماء أو للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون

وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذى وقال قد اختلفوا فى روايته ولا نعرف لايمن سماعا من النبى صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك * قوله تعالى ﴿ حنفاء لله ﴾ أى مخلصين له ﴿غير مشركين به ﴾ فدل ذلك على ان المكلف ينوى بما يأتيه من العبادة الاخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا فى الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا احنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أى حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر ﴾ أى سقط ﴿ من السماء ﴾ الى الارض ﴿ فتخطفه الطير ﴾ أى تسلبه وتذهب به ﴿ أو تهوى به الريح ﴾ أى تميل وتذهب به ﴿ فى مكان سحيق ﴾ أى بعيد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعيد من الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه فى المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه اهلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت اجزاءه فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء فى علوه والذى ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التى تطرحه فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة

المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله ﴾ دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر مابعده وتعظيمها ان تختار حسانا سمانا غالية الاثمان * روى انه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله عنه اهدى نجية طلبت منه بثلاثمائة دينار ﴿ فانها من تقوى القلوب ﴾ فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما ﴿ لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ﴾ اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت أى ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخى فى الوقت لا التراخى فى الرتبة أى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين امامتصل بحديث الانعام والضمير فيه لها أو المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع اليه الاعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف

* قوله عزوجل ﴿ ذلك ﴾ يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ﴿ ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ﴾ أى تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو العلامة التى يعرف بها انها هدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب ﴿ لكم فيها ﴾ أى فى البدن ﴿ منافع ﴾ قيل هى درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها ﴿ الى أجل مسمى ﴾ أى الى أن يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شئ من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم فى الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة الى أجل مسمى يعنى الى أن تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء فى ركوب الهدى فقال مالك والشافعى وأحمد واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يارسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك فى الثانية أو الثالثة أخرجاه فى الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن رى ولدها وقال أصحاب الرأى لا يركبها الا أن يضطر اليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أى بالتجارة والاسواق الى أجل مسمى أى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع اى بالاجر والثواب فى قضاء المناسك الى انقضاء أيام الحج ﴿ ثم محلها الى البيت العتيق ﴾ أى منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر فى حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها أى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق

لانها من معالم الحج أن يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) الى أن تنحر (ثم محلها) أى وقت وجوب نحرها منتهية (الى البيت العتيق) والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت اذ الحرم حريم البيت ومثله فى فى الاتساع قولك بلغت البلد وانما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتعظيمها اتمامها ومحلها الى البيت العتيق

بعيد (ذلك) التباعد لمن أشرك بالله (ومن يعظم شعائر الله) مناسك الحج فيذبح أسمنها وأعظمها (فانها) يعنى ذبيحة أسمنها وأعظمها (من تقوى القلوب) من صفات القلوب واخلاص الرجل (لكم فيها) فى الانعام (منافع) فى ركوبها وألبانها (الى أجل مسمى) الى حين تقلد وتسمى هديا (ثم محلها) منحرها (الى البيت العتيق) ان كانت للعمرة وان

بالفتح على المصدر أي اراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على مارزقهم من بهيمة الانعام) أي عند نحرها وذبحها (فالهكم اله واحد) أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد وفيه دليل على ان ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك وقوله

(فله أسلموا) أي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما

الزيارة ﴿ ولكل امة ﴾ ولكل اهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا أو قربانا يتقربون به الى الله * وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾ دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه عال الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود ﴿ على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما ﴿ فالهكم اله واحد فله اسلموا ﴾ اخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالاشراك ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المتواضعين المخلصين فان الاخبات صفتهم ﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها ﴿ والصابرين على ما اصابهم ﴾ من الكلف والمصائب ﴿ والمقيمي الصلوة ﴾ في اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ في وجوه الخير ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره

يطوفون به طواف الزيارة * قوله تعالى ﴿ ولكل أمة ﴾ أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿ جعلنا منسكا ﴾ قرئ بكسر السين أي مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين ﴿ ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ أي عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ماسواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جاز أكله * قوله عز وجل ﴿ فالهكم اله واحد ﴾ أي سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد ﴿ فله أسلموا ﴾ أي أخلصوا وانقادوا وأطيعوا ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ أي خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى ﴿ والصابرين على ما أصابهم ﴾ أي من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه ﴿ والمقيمي الصلوة ﴾ أي في أوقاتها محافظة عليها ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أي يتصدقون * قوله تعالى ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها

أي خالصا لا تشوبوه باشراك (وبشر المخبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده أي (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبة (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب (والمقيمي الصلوة) في أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفي الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها وهو

كانت للحج والى منى (ولكل أمة) من المؤمنين (جعلنا منسكا) مذبحا لهم لحجهم وعمرتهم (ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام) على ذبيحة الانعام (فالهكم اله واحد) بلا ولد ولا شريك

(فله أسلموا) اخلصوا بالعبادة والتوحيد (وبشر المخبتين) المجتهدين المخلصين بالجنة (الذين اذا ذكر الله) أمروا بامر من قبل الله (وجلت قلوبهم) خافت قلوبهم (والصابرين) وبشر الصابرين أيضا بالجنة (على ما أصابهم) من المرازى والمصائب (والمقيمي الصلوة) وبشر المقيمين للصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها بالجنة أيضا (ومما رزقناهم) من الاموال (ينفقون) يتصدقون ويؤدون زكاتها (والبدن)

كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أى من أعلام الشريعة التى شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثانى مفعولى (جعلنا لكم فيها خير) النفع فى الدنيا والاجر فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) حال من الهاء أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن (فاذا وجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط أى اذا سقطت جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت حركتها (فكلوا منها) ان شئتم (وأطعموا القانع) السائل من قنعت اليه اذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) الذى يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال (كذلك سخرناها لكم) أى كما أمرناكم بنحرها سخرناها لكم أو هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أى ذللناها لكم مع قوتها وعظم اجرامها لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها

﴿جعلناها لكم﴾ ومن رفعه جعله مبتدأ ﴿من شعائر الله﴾ من اعلام دينه التى شرعها الله ﴿لكم فيها خير﴾ منافع دينية ودنيوية ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك ﴿صواف﴾ قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف حافر الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافيا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصواف اى خوالص لوجه الله وصوافى بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ سقطت على الارض وهو كناية عن الموت ﴿فكلوا منها واطعموا القانع﴾ الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده قراءة القنع أو السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال ﴿والمعتر﴾ والمعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه ﴿كذلك﴾ مثل ما وصفنا من نحرها قياما ﴿سخرناها لكم﴾ مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها ﴿لعلكم تشكرون﴾ انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص ﴿لن ينال الله﴾ لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول ﴿لحومها﴾ المتصدق بها ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة بالنحر من حيث

يريد الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ اى من أعلام دينه قيل لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة فى سنامها فيعلم بذلك انها هدى ﴿لكم فيها خير﴾ أى نفع فى الدنيا وثواب فى العقبى ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أى عند نحرها ﴿صواف﴾ أى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها فقال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ أى سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الارض ﴿فكلوا منها﴾ أمر اباحة ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ قيل القانع الجالس فى بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذى يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذى لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذى يسأل والمعتر هو الذى يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجيء الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم ﴿كذلك﴾ أى مثل ما وصفنا من نحرها قياما ﴿سخرناها لكم﴾ أى لتتمكنوا من نحرها ﴿لعلكم تشكرون﴾ أى انعام الله عليكم ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا

يعنى البقر والابل (جعلناها لكم) سخرناها لكم (من شعائر الله) من مناسك الحج لكى تذبحوا (لكم فيها) فى الاضاحى (خير) ثواب (فاذكروا اسم الله عليها) على ذبحها (صواف) خوالص من العيوب ويقال معقولة يدها اليسرى قائمة على ثلاث قوائم وقرئت برفع النون (فاذا وجبت جنوبها) فاذا خرت لجنبها بعد الذبح (فكلوا منها) من الاضاحى (وأطعموا) (البدن) أعطوا (القانع) السائل الذى يقنع باليسير (والمعتر) الذى يعترضك ولا يسألك (كذلك) الذى ذكرت لكم (سخرناها) ذللناها (لكم لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته ورخصته (لن ينال الله) لن يصل الى الله (لحومها ولا دماؤها) وكانوا فى الجاهلية يضربون

ولكن يناله التقوى منكم) أى لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أولن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحروا الابل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا امثل ذلك فنزلت

(كذلك سخرها لكم) أى البدن (لتكبروا الله) لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله (على ماهدا كم) على ما أرشدكم اليه (وبشر المحسنين) الممتثلين أوامره بالثواب (ان الله يدفع) مكي و بصرى و غيرهما يدافع أى يبالغ فى الدفع عنهم (عن الذين آمنوا)أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله (ان الله لايحب كل خوان) فى أمانة الله (كفور) لنعمة الله أى لانه لايحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها (اذن) مدنى و بصرى وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدنى وشامى وحفص والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بانهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا

انها لحوم ودماء ﴿ ولكن يناله التقوى منكم ﴾ ولكن يصيبه مايصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امره تعالى والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت ﴿ كذلك سخرها لكم ﴾ كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله ﴿ لتكبروا الله ﴾ اى لتعرفوا عظمته باقتداره على مالايقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال أو الذبح ﴿ على ماهداكم ﴾ ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وماتحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر ﴿ وبشر المحسنين ﴾ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ﴿ ان الله يدفع عن الذين آمنوا ﴾ غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه ﴿ ان الله لايحب كل خوان ﴾ فى امانة الله ﴿ كفور ﴾ لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم ﴿ اذن ﴾ رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله ﴿ للذين يقاتلون ﴾ المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى للذين يقاتلهم المشركون ﴿ بأنهم ظلموا ﴾ بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها أى لن ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها ﴿ ولكن يناله التقوى منكم ﴾ أى ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهوما أريد به وجه الله ﴿ كذلك سخرها لكم ﴾ يعنى البدن ﴿ لتكبروا الله على ماهداكم ﴾ وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ماهدانا والحمد لله على ماأولانا ﴿ وبشر المحسنين ﴾ قال ابن عباس الموحدين * قوله تعالى ﴿ ان الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم ﴿ ان الله لايحب كل خوان كفور ﴾ أى خوان فى أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور * قوله عز وجل ﴿ أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ﴾ أى أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيؤن من بين مضروب

لحم الاضاحى على حائط البيت وبتلطخون بدمها فنهاهم الله عن ذلك ويقال لايقبل الله لحومها ولا دماءها (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يقبل الاعمال الزاكية الطاهرة منكم (كذلك) هكذا (سخرها) ذللها (لكم لتكبروا الله) لتعظموا الله (على ماهداكم) كما هداكم لدينه وسنته (وبشر المحسنين) بالقول والفعل بالجنة ويقال المحسنين الذبائح (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن كفار مكة (ان الله لايحب كل خوان) خائن (كفور) كافر بالله (أذن للذين يقاتلون) أذن المؤمنين بالقتال مع كفار مكة (بانهم ظلموا) ظلمهم كفار مكة

وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر
بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد مانهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله
على نصرهم) على نصر المؤمنين (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصر وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا
(الذين) فى محل جر بدل من للذين أو نصب باعنى أو رفع باضمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق الا أن
يقولوا ربنا الله) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين لا موجب الاخراج ومثله هل تنقمون
منا الا أن آمنا بالله ومحل ان يقولوا

جر بدلا من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم الا

بسبب قولهم (ولولا دفع الله) دفاع مدنى ويعقوب (الناس بعضهم ببعض لهدمت) وبالتخفيف حجازى (صوامع وبيع وصلوات ومساجد) أى لولا اظهاره وتسليط المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أى كنائس وسميت الكنيسة صلاة لانها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا أو لقربها من التهديم (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فى المساجد أو فى جميع ما تقدم

المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اول آية نزلت فى القتال بعد مانهى عنه فى نيف وسبعين آية ﴿ وان الله على نصرهم لقدير ﴾ وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم ﴿ الذين اخرجوا من ديارهم ﴾ يعنى مكة ﴿ بغير حق ﴾ بغير موجب استحقوا به ﴿ الا ان يقولوا ربنا الله ﴾ على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل منقطع ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿ لهدمت ﴾ لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف ﴿ صوامع ﴾ صوامع الرهابنة ﴿ وبيع ﴾ وبيع النصارى ﴿ وصلوات ﴾ وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها « صلوثا » بالعبرانية فعربت ﴿ ومساجد ﴾ ومساجد المسلمين ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ صفة للاربع

ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية فى قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فاذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا أى بسبب ماظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء ﴿ وان الله على نصرهم لقدير ﴾ فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ﴾ يعنى انهم اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ أى بالجهاد واقامة الحدود ﴿ لهدمت صوامع ﴾ هى معابد الرهبان المتخذة فى الصحراء ﴿ وبيع ﴾ هى معابد النصارى فى البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى ﴿ وصلوات ﴾ هى كنائس اليهود ويسمونها « بالعبرانية صلوثا » ﴿ ومساجد ﴾ يعنى مساجد المسلمين ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ يعنى فى المساجد

(وان الله على نصرهم) على نصر المؤمنين على عدوهم (لقدير الذين أخرجوا من ديارهم) أخرجهم كفار مكة من منازلهم (بغير حق) بلا حق ولا جرم (الا أن يقولوا ربنا الله) الا لقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) فدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمؤمنين عن الكافرين وبالمجاهدين عن القاعدين بغير عذر ولولا ذلك (لهدمت صوامع) صوامع الرهبان (وبيع) كنائس اليهود (وصلوات) بيت نار المجوس لان كل هؤلاء فى مأمن المسلمين (ومساجد) المسلمين (يذكر فيها) فى المساجد (اسم الله) بالتكبير والتهليل (كثيرا

(ولينصرن الله من ينصره) أى ينصر دينه و اولياءه (ان الله لقوى) على نصر اوليائه (عزيز) على انتقام اعدائه (الذين) محله نصب بدل من من ينصره أو جر تابع للذين أخرجوا (ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم فى الارض و بسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله عز و جل أعطاهم التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها الى حكمه وتقديره و فيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه

واعلاء كلمتهم (وان يكذبوك) { سورة الحج } هذه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة اياه أى لست بأوحدى فى التكذيب (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وثمود) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه أو كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك

أو المساجد خصت بها تفضيلا ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ﴿ ان الله لقوى ﴾ على نصرهم ﴿عزيز﴾ لا يمانعه شئ ﴿ الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ﴿ ولله عاقبة الامور﴾ فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده ﴿وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين ﴾ تسلية له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه ﴿وكذب موسى﴾ غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما

ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم فى شريعة كل نبى مكان صلواتهم فهدم فى زمن موسى الكنائس وفى زمن عيسى البيع والصوامع وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أى ينصر دينه ونبيه ﴿ ان الله لقوى﴾ أى على نصر من ينصر دينه ﴿عزيز﴾ أى لا يضام ولا يمتنع مما يريده ❊ قوله عز وجل ﴿ الذين ان مكناهم فى الارض ﴾ أى نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد ﴿ اقاموا الصلوة وأتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون ﴿ ولله عاقبة الامور ﴾ أى آخر أمور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع ❊ قوله تعالى ﴿ وان يكذبوك ﴾ فيه تسلية وتعزية للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك ﴿ فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى ﴾ ❊ فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى ❊ قلت

و لينصرن الله) على عدوه (من ينصره) من ينصر نبيه بالجهاد (ان الله لقوى) بنصرة نبيه ونصرة من ينصر نبيه (عزيز) بالنقمة من أعداء نبيه (الذين ان مكناهم فى الارض) أنزلناهم فى أرض مكة (أقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) اعطوا زكاة أموالهم (وأمروا بالمعروف) بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (ونهوا عن المنكر) عن الكفر والشرك ومخالفة الرسول (ولله عاقبة الامور) والى الله ترجع عواقب الامور فى الآخرة (وان يكذبوك) يا محمد قريش (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) قوم هود هودا (وثمود) قوم صالح صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) قوم شعيب شعيبا (وكذب موسى) كذبه قومه

بغيره (فامليت للكافرين) أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم على كفرهم (فكيف كان نكير) انكارى وتغييرى حيث أبدلتهم بالنعم نقما وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا نكيرى بالياء فى الوصل والوقف يعقوب (فكأين من قرية أهلكناها) أهلكتها بصرى (وهى ظالمة) حال أى وأهلها مشركون (فهى خاوية) ساقطة من خوى النجم اذا سقط (على عروشها) يتعلق بخاوية والمعنى انها ساقطة على سقوفها أى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهى خاوية من الاعراب لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كأين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى أهلكناها (وبئر معطلة) أى متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها أو هى عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا أنها عطلت أى تركت لايستقى منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) مجصص من الشيد الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أى أهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن أربابها والآبار عن ورادها والاظهر ان البئر والقصر على العموم

كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع ﴿ فامليت للكافرين ﴾ فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ﴿ ثم اخذتهم فكيف كان نكير ﴾ أى انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا ﴿ فكأين من قرية اهلكناها ﴾ باهلاك اهلها وقرأ البصريان اهلكها بغير لفظ التعظيم ﴿ وهى ظالمة ﴾ اى اهلها ﴿ فهى خاوية على عروشها ﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف اوخالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر أى هى خالية وهى على عروشها اى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كأى بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع ﴿ وبئر معطلة ﴾ عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لايستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله ﴿ وقصر مشيد ﴾ مرفوع أو مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر فى سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله

فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثانى كأنه قيل بعد ماذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره ﴿ فامليت للكافرين ﴾ أى أمهلتهم واخرت العقوبة عنهم ﴿ ثم أخذتهم ﴾ أى عاقبتهم ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أى انكارى عليهم مافعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه ❁ قوله عز وجل ﴿ فكأين من قرية أهلكتها ﴾ وقرئ أهلكناها على التعظيم ﴿ وهى ظالمة ﴾ أى وأهلها ظالمون ﴿ فهى خاوية ﴾ أى ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ أى على سقوفها ﴿ وبئر معطلة ﴾ أى وكم من بئر معطلة أى متروكة مخلاة عن أهلها ﴿ وقصر مشيد ﴾ أى رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر فى سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا فى نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقى البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت فى بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن

القبط (فامليت للكافرين) فامليت للكافرين فى كفرهم الى الاجل (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان نكير) انظر يا محمد كيف كان تغييرى عليهم بالعقوبة (فكأين من قرية) كم من أهل قرية (بصالح) (أهلكناها) بالعذاب (وهى ظالمة) مشركة كافرة أهلها (فهى خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (وبئر معطلة) وكم من بئر معطلة عطلها أربابها ليس عليها أحد (وقصر مشيد) حصين طويل ليس فيه ساكن ان قرئت بنصب الميم ويقال مجصص ان قرئت

أفلم يسيروا فى الارض)هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا (فتكون قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه الوحى (فانها لاتعمى الابصار ﴿ ٣١٣ ﴾ ولكن تعمى القلوب { سورة الحج } التى فى الصدور) الضمير

تعالى وعطلهما ﴿أفلم يسيروا فى الارض ﴾ حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ مايجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال ﴿ أو آذان يسمعون بها ﴾ مايجب ان يسمع من الوحى والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم ﴿ فانها ﴾ الضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليها والظاهر اقيم مقامه ﴿لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ عن الاعتبار أى ليس الخالل فى مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يارسول الله انا فى الدنيا اعمى أفاكون فى الآخرة اعمى فنزلت فانها لاتعمى الابصار ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ المتوعد به ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لايعجل بالعقوبة ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ بيان لتناهى صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال أولتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة أو من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى

بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمى المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه فى السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم ﴿ قوله تعالى ﴿ أفلم يسيروا فى الارض ﴾ يعنى كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ أى يعلمون بها ﴿ أو آذان يسمعون بها ﴾ يعنى مايذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها ﴿فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ المعنى ان عمى القلب هو الضار فى أمر الدين لاعمى البصر لان البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ نزلت فى النضر بن الحرث ﴿ ولن يخلف الله وعده ﴾ أى انه أنجز ذلك يوم بدر ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ قال ابن عباس يعنى يوما من الايام الستة التى خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من ايام الآخرة يدل عليه ماروى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك

فى فانها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الابصار أى فما عميت أبصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل انسان أربع أعين عينان فى رأسه وعينان فى قلبه فاذا أبصر ما فى القلب وعمى ما فى الرأس لم يضره وان أبصر ما فى الرأس وعمى ما فى القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب ولئلا يقال ان القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شئ (ويستعجلونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كأنه قال ولم يستعجلونك به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) يعدون

بضم الميم وتشديد الياء (أفلم يسيروا فى الارض) أفلم يسافر أهل مكة فى تجاراتهم (فتكون فتصير (لهم قلوب يعقلون بها) التخويف وما صنع بغيره اذا نظروا وتفكروا فيها

(أو آذان يسمعون بها) الحق والتخويف (قا و خا ٤٠ بع) (فانها) يعنى النظرة بغير عبرة ويقال كلمة الشرك (لاتعمى الابصار) من النظر (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) من الحق والهدى (ويستعجلونك) يامحمد (بالعذاب) استعجله نضر بن الحرث قبل أجله (ولن يخلف الله وعده) بالعذاب (وان يوما) من الذى وعد فيه عذابهم (عند ربك كألف سنة مما تعدون) من

طوال (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) أي وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا (ثم أخذتها بالعذاب (والى المصير) أي المرجع الي فلا يفوتني شئ وانما كانت الاولى أي فكأين معطوفة بالفاء وهذه أي وكأين بالواو لان الاولى وقعت بدلا عن فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ماتقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وان

(قل ياأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) وانما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لان الحديث مسوق الى المشركين وياأيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا أو تقديره نذير مبين وبشير فبشر أولا فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أي حسن ثم أنذر فقال (والذين سعوا) سعى في أمر فلان اذا افسده بسعيه (في آياتنا) أي القرآن (معاجزين) حال معجزين حيث كان مكي وأبو عمرو عاجزه سابقه كأن كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان (وقيل)

يعدون بالياء ﴿ وكأين من قرية ﴾ وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ماتقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لامحالة وان تأخيره لعادته تعالى ﴿ امليت لها ﴾ كما امهلتكم ﴿ وهي ظالمة ﴾ مثلكم ﴿ ثم اخذتها ﴾ بالعذاب ﴿ والى المصير ﴾ والى حكمي مرجع الجميع ﴿ قل ياايها الناس انما انا لكم نذير مبين ﴾ اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ﴾ لما ندر منهم ﴿ ورزق كريم ﴾ هي الجنة والكريم من كل نوع مايجمع فضائله ﴿ والذين سعوا في آياتنا ﴾ بالرد والابطال ﴿ معاجزين ﴾ مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق

مقدار خمسمائة سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة وقيل ان يوما من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لايفوته شئ بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع مايستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس ﴿ وكأين من قرية أمليت لها ﴾ أي أمهلتها ﴿ وهي ظالمة ﴾ أي مع استمرار أهلها على الظلم ﴿ ثم أخذتها ﴾ أي أنزلت بهم العذاب ﴿ والى المصير ﴾ يعني مصيرهم الي في الآخرة ففيه وعيد وتهديد ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل ياأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين ﴾ أمر الله رسوله أن يديم لهم التخويف والانذار وأن يقول لهم انما بعثت لكم منذرا ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول انما أنا نذير مبين أردف ذلك بان أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر أيضا مع التوبة ورزق كريم أي لاينقطع أبدا وقيل هو الجنة ﴿ والذين سعوا في آياتنا ﴾ أي عملوا في ابطال آياتنا ﴿ معجزين ﴾ أي مثبطين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين أي معاندين مشاقين

سني الدنيا (وكأين من قرية) وكم من أهل قرية (أمليت لها) أمهلتها الى أجل (وهي ظالمة) مشركة كافرة أهلها (ثم أخذتها) عاقبتها في الدنيا (والى المصير) المرجع في الآخرة (قل ياأيها الناس) ياأهل مكة (انما أنا لكم) من الله (نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الخيرات فيما بينهم وبين ربهم (لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (ورزق كريم) ثواب حسن في الجنة (والذين سعوا في آياتنا) كذبوا بآياتنا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (معاجزين) ليسوا بفائتين

كيدهم للاسلام يتم لهم (اولئك اصحاب الجحيم) اى النار الموقدة (وما ارسلنا من قبلك) من لابتداء الغاية (من رسول) من زائدة لتأكيد النفى (ولا نبى) هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبى بخلاف ما يقول البعض انهما واحد وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر ان يدعو الى شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبى حافظ شرع غيره (الا اذا تمنى) قرأ قال

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين بطلب اعجاز الآخر عن اللحوق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدرة ﴿اولئك اصحاب الجحيم﴾ النار الموقدة وقيل اسم دركة ﴿وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى﴾ الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبى عليه السلام علماء امته بهم فالنبى اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام ﴿الا اذا تمنى﴾ اذا زور فى نفسه ما يهواه ﴿القى الشيطان فى امنيته﴾ فى تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة

وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ * قوله تعالى ﴿وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته﴾ قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم وكان يوما فى مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد الا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم

(ألقى الشيطان فى أمنيته) تلاوته قالوا انه عليه السلام كان فى نادى قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضى لانه لا يخلو اما أن يتكلم النبى عليه السلام بها عمدا وانه لا يجوز لانه كفر لانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبى عليه السلام جبرا بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لان الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ففى حقه أولى أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولانه تعالى قال فى صفة المنزل عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبى صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه عليه السلام هو الذى تكلم بها فيكون هذا القاء فى قراءة النبى عليه السلام وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى عليه السلام ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم أحد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم

من عذابه (أولئك أصحاب الجحيم) أهل النار (وما أرسلنا من قبلك يا محمد (من رسول) مرسل (ولا نبى) محدث ليس بمرسل (الا اذا تمنى) قرأ الرسول أو حدث النبى (ألقى الشيطان فى أمنيته) فى قراءة الرسول وحديث النبى

ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس مالم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فانزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذى كانوا حدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الا بجوار أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ماذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذى يأتيه جبريل بالوحى عيانا ولانبي النبى هو الذى تكون نبوته الهاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا تمنى أى أحب شيأ واشتهاه وحدث به نفسه ممالم يؤمر به ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى مراده وقال ابن عباس اذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى مامن نبي الا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي الا ألقى الشيطان عليه مايرضى قومه فينسخ الله مايلقى الشيطان وقال أكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى تلاوته قال حسان فى عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ماهو به لاقصدا ولاعمدا ولاسهوا ولاغلطا قال الله تعالى وماينطق عن الهوى وقال تعالى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم فى التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة * أحدهما توهين اصل هذه القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا اسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذى يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقائل يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى الصلاة وآخر يقول قرأها وهو فى نادى قومه وآخر يقول قرأها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ماهكذا أقرأتك الى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذى جاء فى الصحيح من حديث عبدالله بن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه الى جبهته قال عبدالله فلقد رأيته بعد قتل كافرا أخرجه البخارى ومسلم وصح

﴿ فينسخ الله مايلقى الشيطان ﴾ فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون اليه والارشاد الى مايزيحه ﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾ ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى امر الآخرة ﴿ والله عليم ﴾ باحوال الناس ﴿ حكيم ﴾ فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه مايقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم

من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخارى فهذا الذى جاء فى الصحيح لم يذكر فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذى ذكره المفسرون عن ابن عباس فى هذه القصة فقد رواه عنه الكلبى وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة * الجواب الثانى وهو من حيث المعنى هو أن الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح الهة غير الله أو ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ماليس منه حتى نبهه جبريل عن ذلك فهذا كله ممتنع فى حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية * الجواب الثالث فى تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ يرتل القران ترتيلا ويفصل الآى تفصيلا كما صح عنه فى قراءته فيحتمل ان الشيطان ترصد لتلك السكتات فدس فيها مااختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبى صلى الله عليه وسلم فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبى صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبى صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل * الجواب الرابع فى تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان التمنى يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أى خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التمنى اشتغل الخاطر فحصل فى السهو فى الافعال الظاهرة وعلى الثانى وهو تفسير التمنى بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى أى تلا وهو مايقع للنبى صلى الله عليه وسلم من السهو فى اسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح فى الحديث لقد أذكرنى كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ فى العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم فى ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم * قوله عز وجل ﴿ فينسخ الله مايلقى الشيطان ﴾ أى يبطله ويذهبه ﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾ أى يثبتها ﴿ والله عليم حكيم ﴾ * قوله عز وجل

(فينسخ الله مايلقى الشيطان) أى يذهب به ويبطله ويخبرانه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان (والله عليم) بما أوحى الى نبيه وبقصد الشيطان (حكيم) لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله تعالى به

(فينسخ الله) يبين الله (مايلقى الشيطان) على لسان نبيه لكى لا يعمل به (ثم يحكم الله) يبين (آياته) لنبيه لكى يعمل بها (والله عليم) بما يلقى الشيطان على لسان نبيه (حكيم) حكم

قومابقوله (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكا وظلمة (وان الظالمين) أى المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (لفى شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله وبدينه وبالآيات (انه) أى القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتخبت) فتطمئن (له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) فيتأولون ما يتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) شك (منه) من القرآن أو من الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعنى يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتى بخير أو شديد لا رحمة فيه أو لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة

لذلك فبرأه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ﴿ليجعل مايلقى الشيطان﴾ علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل ﴿فتنة للذين فى قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ المشركين ﴿وان الظالمين﴾ يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم ﴿لفى شقاق بعيد﴾ عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين ﴿وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك﴾ ان القرآن هو الحق النازل من عند الله أو تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت عادته فى جنس الانس من لدن آدم ﴿فيؤمنوا به﴾ بالقرآن أو بالله ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ بالانقياد والخشية ﴿وان الله لهادى الذين آمنوا﴾ فيما اشكل عليهم ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو نظر صحيح يوصلهم الى ماهو الحق فيه ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية﴾ فى شك ﴿منه﴾ من القرآن أو الرسول أو مما القى الشيطان فى امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ القيامة او الموت أو اشراطها ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يوم

﴿ليجعل مايلقى الشيطان فتنة﴾ أى محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء ﴿الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أى الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون ﴿وان الظالمين لفى شقاق بعيد﴾ أى فى خلاف شديد ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ أى التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله مايشاء ﴿انه الحق من ربك﴾ أى الذى أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك ﴿فيؤمنوا به﴾ أى يعتقدوا انه من الله عز وجل ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أى تسكن اليه ﴿وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم﴾ أى الى طريق قويم وهو الاسلام * قوله عز وجل ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه﴾ أى فى شك من القرآن وقيل من الدين الذى هو صراط مستقيم ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أى فجأة وقيل أراد بالساعة الموت ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أى عذاب

بنسخه (ليجعل مايلقى الشيطان) على لسان نبيه (فتنة) بلية (للذين فى قلوبهم مرض) شك وخلاف لكى يعملوا به (والقاسية قلوبهم) من ذكر الله (وان الظالمين) المشركين الوليد بن المغيرة وأصحابه (لفى شقاق) خلاف ومعاداة (بعيد) عن الحق والهدى (وليعلم) ولكى يعلم تبيان الله (الذين أوتوا العلم) أعطوا (يوم) العلم بالقرآن والتوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (انه) يعنى تبيان الحق هو (الحق من ربك فيؤمنوا به) فيصدقوا تبيان الله (فتخبت له) فتخلص له وتقبله يعنى تبيان الله (قلوبهم وان الله لهادى) حافظ (الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الى صراط مستقيم) الى دين قائم برضاه وهو الاسلام (ولا يزال الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن الوليد بن المغيرة وأصحابه (فى مرية منه) فى شك من القرآن ولكن انظرهم يا محمد (حتى تأتيهم الساعة) قيام الساعة (بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) لا فرح فيه

فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته (الملك يومئذ) أي يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أي يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم (لله) فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أي يقضى ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة فقال (والذين هاجروا

في سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثم قتلوا) في الجهاد قتلوا شامى (أوماتوا) حتف أنفهم (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذى لاينقطع أبدا (وان الله لهو خير الرازقين) لانه المخترع للخلق بلا امثال المتكفل للرزق بلا املال (ليدخلنهم مدخلا) بفتح الميم مدنى والمراد الجنة (يرضونه) لان فيها ماتشتهى الانفس وتلد

حرب يقلون فيه كيوم بدر سمى به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم أولان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا أولانه لاخير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا أولانه لامثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره أوعلى وضعه موضع ضميرها للتهويل ﴿ الملك يومئذ لله ﴾ التنوين فيه ينوب عن الجملة التى دلت عليها الغاية اى يوم تزول مريتهم ﴿ يحكم بينهم ﴾ بالمجازاة والضمير عم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ﴾ وادخال الفاء في خبر الثانى دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا ﴾ في الجهاد ﴿ أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا ﴾ الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا فنزلت ﴿ وان الله لهو خير الرازقين ﴾ فانه يرزق بغير حساب ﴿ ليدخلنهم مدخلا يرضونه ﴾ هو الجنة فيها مايحبونه

يوم لاليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمى عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لاتأتى بخير وقيل لانه لامثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ﴿ الملك يومئذ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ لله ﴾ وحده من غير منازع ولامشارك فيه ﴿ يحكم ﴾ أى يفصل ﴿ بينهم ﴾ ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ﴾ * قوله تعالى ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ﴾ أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه ﴿ ثم قتلوا أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا ﴾ أى لاينقطع أبدا وهو رزق الجنة لان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ﴿ وان الله لهو خير الرازقين ﴾ فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لارازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أى أعطاهم أرزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطى من الرزق مالايقدر عليه غيره ﴿ ليدخلنهم مدخلا يرضونه ﴾ يعنى الجنة يكرمون به ولا يلحقهم فيه مكروه

وهو يوم بدر (الملك) القضاء (يومئذ) يوم القيامة (لله يحكم بينهم) يقضى بين المؤمنين والكافرين (فالذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (فى جنات النعيم) يكرمون بالتحف (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (فأولئك لهم عذاب مهين) يهانون به ويقال شديد (والذين هاجروا في سبيل الله) فى طاعة الله من مكة الى المدينة (ثم قتلوا) [illegible] في سبيل الله (أوماتوا) في سفر أوحضر (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) [illegible] طيبا لاحيائهم (وان الله لهو خير الرازقين) أفضل المطعمين في الدنيا والآخرة (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) لانفسهم ويقال يقبلونه يعنى

الاعين (وان الله لعليم) بأحوال من قضى نحبه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا (حليم) بإمهال من قاتلا معاندا روى ان طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين (ذلك) أي الامر ذلك وما بعده مستانف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) سمى الابتداء بالجزاء عقوبة لملابسته له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه (ثم بغى عليه لينصرنه الله) أي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله ان ينصره (ان الله لعفو) يمحو آثار الذنوب (غفور) يستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفا وأصلح فاجره على الله وأن تعفو أقرب للتقوى فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للافضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغي وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة (ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير) أي ذلك النصر للمظلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج

﴿وان الله لعليم﴾ باحوالهم واحوال معادهم ﴿حليم﴾ لا يعاجل في العقوبة ﴿ذلك﴾ الامر ذلك ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ ولم يزد في الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج أو لانه سببه ﴿ثم بغى عليه﴾ بالمعاودة الى العقوبة ﴿لينصرنه الله﴾ لا محالة ﴿ان الله لعفو غفور﴾ للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ﴿ذلك﴾ اى ذلك النصر ﴿بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها ﴿وان الله سميع﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب ﴿بصير﴾ يرى افعالهما فلا يهملهما

﴿وان الله لعليم﴾ بنياتهم ﴿حليم﴾ بالعفو عنهم * قوله عز وجل ﴿ذلك﴾ أي الامر ذلك الذي قصصنا عليك ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ أي جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ثم بغى عليه﴾ أي ظلم باخراجه من منزله يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم الى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا في المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى ﴿لينصرنه الله ان الله لعفو﴾ أي عن مساوى المؤمنين ﴿غفور﴾ يعني لذنوبهم ﴿ذلك﴾ أي ذلك النصر ﴿بان الله﴾ القادر على ما يشاء فمن قدرته انه ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ في معنى هذا الايلاج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثاني هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى ﴿وان الله سميع بصير﴾

الجنة (وان الله لعليم) بثوابهم وكراماتهم (حليم) بتأخير عقوبة من قتلهم (ذلك) هذا قضاء الله فيما بين المؤمنين (ذلك) والكافرين في الآخرة (ومن عاقب) قاتل وليه (بمثل ما عوقب به) وليه (ثم بغى عليه) ثم تطاول عليه بظلم (لينصرنه الله) يعني المظلوم على الظالم فيقتله ولا يأخذ منه الدية وهو رجل قتل وليه فأخذ من قاتل وليه الدية ثم بغى عليه فقتله أيضا فيقتل ولا يؤخذ منه الدية (ان الله لعفو) متجاوز لمن تاب (غفور) لمن مات على التوبة (ذلك) عقوبة من بغى على أخيه (بان الله يولج الليل في النهار) يزيد الليل على النهار فيكون النهار أطول من الليل (ويولج النهار في الليل) يزيد النهار على الليل فيكون الليل أطول من النهار (وان الله سميع) لمقالة خلقه (بصير) باعمالهم

النهار في الليل اى يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا أو بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما لايخفى عليه مايجرى فيهما على أيدى عباده من الخير والشر والبغى والانصاف وانه سميع لمايقولون ولايشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شئ بشئ في الليالى وان توالت الظلمات (ذلك بان الله هو الحق وأن مايدعون) عراقى غير أبى بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أى ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار واحاطته بما يجرى فيهما وادراكه قولهم وفعلهم بسبب ان الله الحق الثابت الهيته وان كل مايدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لاشئ أعلى منه شانا وأكبر سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض مخضرة) بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل

فاصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم على فلان فاروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوابا للاستفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم تر انى أنعمت عليك فتشكر ان نصبته نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه وان رفعته أثبت شكره (ان الله لطيف) واصل علمه أو فضله الى كل شئ (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا (وان الله لهو الغنى) المستغنى بكمال قدرته (قا و خا ٤١ بج) بعد فناء ما في السموات وما في الارض (الحميد) المحمود بنعمته

﴿ ذلك ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿ بان الله هو الحق ﴾ الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل مايوجد سواه عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما ﴿ وان مايدعون من دونه ﴾ الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانه في معنى الآلهة ﴿ هو الباطل ﴾ المعدوم في حد ذاته أو باطل الالوهية ﴿ وان الله هو العلى ﴾ على الاسياء ﴿ الكبير ﴾ عن ان يكون له شريك لاشئ اعلى منه شانا واكبر منه سلطانا ﴿ ألم تر ان الله انزل من السماء ماء ﴾ استفهام تقرير ولذلك رفع ﴿ فتصبح الارض مخضرة ﴾ عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما في قولك الم تر انى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ﴿ ان الله لطيف ﴾ يصل علمه أو لطفه الى كل ماجل ودق ﴿ خبير ﴾ بالتدابير الظاهرة والباطنة ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ وان الله لهو الغنى ﴾ في ذاته عن كل شئ ﴿ الحميد ﴾ المستوجب للحمد بصفاته

ذلك بان الله هو الحق ﴾ أى ذو الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق ﴿ وان مايدعون ﴾ يعنى المشركين ﴿ من دونه هو الباطل ﴾ يعنى الاصنام التى ليس عندها ضر ولا نفع ﴿ وان الله هو العلى ﴾ أى العالى على كل شئ ﴿ الكبير ﴾ أى العظيم في قدرته وسلطانه ﴾ قوله عز وجل ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ﴾ أى بالنبات ﴿ ان الله لطيف ﴾ أى باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان ﴿ خبير ﴾ أى بما في قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ أى عبيدا وملكا ﴿ وان الله لهو الغنى الحميد ﴾ يعنى الغنى عن عباده الحميد في أفعاله

(ذلك) ... (بأن الله هو الحق) ان عبادة الله هى الحق وان الله هو القوى (وأن ما تدعون) تعبدون (من دونه) من دون الله (هو الباطل) الضعيف (وأن الله هو العلى) أعلى كل شئ (الكبير) أكبر كل شئ (ألم تر) ألم تخبر يا محمد في القرآن (أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض) فتصير الارض (مخضرة) بالنبات (ان الله لطيف) باستخراج النبات (خبير) بمكانه (له ما في السموات وما في الارض) من الخلق (وان الله لهو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود في فعاله ويقال الحميد لمن

قبل ثناء من في السموات ومن في الارض (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض) من البهائم مذللة للركوب في البر (والفلك تجري في البحر بأمره) أي ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفا على ما وتجري حال لها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها (ويمسك السماء أن تقع على الارض) أي يحفظها من أن تقع (الا باذنه) بامره أو بمشيئته (ان الله بالناس لرؤف)بتسخير ما في الارض(رحيم)بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد آلاءه مقرونة باسمائه ليشكروه على آلائه ويذكروه باسمائه وعن أبي حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم في الآيات الثمانية يستجاب لقارئها البتة (وهو الذي أحياكم) في أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لايصال جزائكم (ان الانسان لكفور)لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم أو لا يعرف نعمة الانشاء المبدي للوجود ولا الافناء المقرب الى الموعود ولا الاحياء الموصل الى المقصود (لكل أمة) أهل دين (جعلنا منسكا) مرمانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس شريعة الله اذ هو شريعة كل أمة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعنك) فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك (في الامر) أمر الذبائح أو الدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين مالكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعني

وامهله ﴿ ألم تر ان الله سخر لكم ما في الارض ﴾ جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم ﴿ والفلك ﴾ عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على ابتداء ﴿ تجري في البحر بامره ﴾ حال منها أو خبر ﴿ ويمسك السماء ان تقع على الارض ﴾ من ان تقع أو كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك ﴿ الا باذنه ﴾ الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها لذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ﴿ ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار ﴿ وهو الذي احياكم ﴾ بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ﴿ ثم يميتكم ﴾ اذا جاء اجلكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ في الآخرة ﴿ ان الانسان لكفور ﴾ لجحود لنعم الله مع ظهورها ﴿ لكل امة ﴾ اهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا أو شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا ﴿ هم ناسكوه ﴾ ينسكونه ﴿ فلا ينازعنك ﴾ سائر ارباب الملل ﴿ في الامر ﴾ في امر الدين أو النسائك لانهم بين جهال واهل عناد أو لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات

﴿ ألم تر ان الله سخر لكم ما في الارض ﴾ أي الدواب التي تركب في البر ﴿ والفلك ﴾ أي وسخر لكم السفن ﴿ تجري في البحر بأمره ﴾ يعني سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت ﴿ ويمسك السماء ان تقع ﴾ أي لكيلا تسقط ﴿ على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ يعني انه أنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذا رؤف رحيم بكم ﴿ وهو الذي أحياكم ﴾ أي أنشأكم ولم تكونوا شيأ ﴿ ثم يميتكم ﴾ أي عند انقضاء آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ أي يوم البعث للثواب والعقاب ﴿ ان الانسان لكفور ﴾ أي لجحود لنعم الله عز وجل * قوله تعالى ﴿ لكل أمة جعلنا منسكا ﴾ قال ابن عباس شريعة ﴿ هم ناسكوه ﴾ هم عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة ﴿ فلا ينازعنك في الامر ﴾ أي في أمر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون بايديكم ولا تأكلون مما قتله

وحده (ألم تر) ألم تخبر في القرآن يا محمد (ان الله سخر) ذلل (لكم ما في الارض) من الشجر والدواب (والفلك) (الله) وسخر الفلك يعني السفن (تجري في البحر بأمره) باذنه (ويمسك السماء) يمنع السماء (ان تقع) لكي لا تقع (على الارض الا باذنه) بامره الى يوم القيامة (ان الله بالناس) بالمؤمنين (لرؤف رحيم وهو الذي أحياكم) في ارحام أمهاتكم صغارا (ثم يميتكم) صغارا أو كبارا (ثم يحييكم) للبعث بعد الموت (ان الانسان) يعني الكافر بديل بن ورقاء الخزاعي (لكفور) كافر بالله وبالبعث بعد الموت وبذبيحة المسلمين (لكل أمة) لكل أهل دين (جعلنا منسكا) مذبحا ويقال معبدا (هم ناسكوه) ذابحوه على دينهم (فلا ينازعنك) فلا يخالفك ولا يصرفنك (في الامر) في أمر الذبيحة والتوحيد

لفيته (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادة ربك (انك لعلى هدى مستقيم) طريق قويم ولم يذكر الواو فى لكل امة بخلاف ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآى الواردة فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا (وان جادلوك) مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل الله أعلم بما تعملون) أى فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض) أى كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض (ان ذلك) الموجود فيهما (فى كتاب) فى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) اى علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم أشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به) نزل مكى وبصرى (سلطانا) حجة وبرهانا

الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء أو عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز فى افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته ﴿وادع الى ربك﴾ الى توحيده وعبادته ﴿انك لعلى هدى مستقيم﴾ طريق الى الحق سوى ﴿وان جادلوك﴾ وقد ظهر الحق ولزمت الحجة ﴿فقل الله اعلم بما تعملون﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق ﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب ﴿يوم القيمة﴾ كما يفصل فى الدنيا بالحجج والآيات ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من امر الدين ﴿ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض﴾ فلا يخفى عليه شئ ﴿ان ذلك فى كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمك امرهم بعد علمنا به وحفظنا له ﴿ان ذلك﴾ ان الاحاطة به وثباته فى اللوح المحفوظ أو الحكم بينكم ﴿على الله يسير﴾ لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا﴾ حجة تدل

الله وقيل معناه لا تنازعهم أنت * قوله تعالى ﴿وادع الى ربك﴾ أى الى الايمان به والى دينه ﴿انك لعلى هدى مستقيم﴾ أى على دين واضح قويم ﴿وان جادلوك﴾ أى خاصموك فى أمر الذبح وغيره ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ أى من التكذيب ﴿الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ أى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيمة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وأبى * قوله عز وجل ﴿ألم تر﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة ﴿ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب﴾ أى فى اللوح المحفوظ ﴿ان ذلك﴾ أى علمه بجميعه ﴿على الله يسير﴾ أى هين وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا﴾ أى حجة ظاهرة من دليل سمعى

(وادع الى ربك) الى توحيد ربك (انك لعلى هدى مستقيم) على دين قائم يرضاه وهو الاسلام (وان جادلوك) خاصموك فى أمر الذبيحة والتوحيد لقولهم ان ما ذبح الله أحل مما تذبحون أنتم بسكاكينكم (فقل الله أعلم بما تعملون) فى دينكم من الذبيحة وغيره (الله يحكم) يقضى (بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه) فى أمر الذبيحة والتوحيد (تختلفون) تخالفون (ألم تعلم) يا محمد (أن الله يعلم ما فى السماء) ما يكون فى السماء من الخيرات (والارض) ما يكون من اهل الارض من الخير والشر (ان ذلك فى كتاب) مكتوب فى اللوح المحفوظ (ان ذلك) حفظ ذلك بغير الكتاب (على الله يسير) هين (ويعبدون) يعنى كفار مكة (من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) كتابا ولا

(وماليس لهم به علم)أى لم يتمسكوا فى عبادتهم لهابيرهان سماوى من جهة الوحى ولاحملهم عليها دليل عقلى (وماللظالمين من نصير) ومالذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (واذاتتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر (يكادون يسطون) يبطشون والسطو الوثب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ماتلى عليكم (النار)خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ماهو فقيل النار أى هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن لله تعالى شريكا جارية فى الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى (ياأيها الناس ضرب) بين (مثل فاستمعوا له) لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل ويعقوب (من دون الله) آلهة باطلة

على جواز عبادته ﴿ وماليس لهم به علم ﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله ﴿ وماللظالمين ﴾ ومالذين ارتكبوا مثل هذا الظلم ﴿ من نصير ﴾ يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم ﴿ واذاتتلى عليهم آياتنا ﴾ من القرآن ﴿ بينات ﴾ واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية ﴿ تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير اومايقصدونه من الشر ﴿ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ يثبون يبطشون بهم ﴿ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ﴾ من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم أو مما اصابكم من الضجر بسبب ماتتلوا عليكم ﴿ النار ﴾ اى هو النار كأنه جواب سائل قال ماهو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ﴿ وعدها الله الذين كفروا ﴾ وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا وقعت خبرا أو حالا منها ﴿ وبئس المصير ﴾ النار ﴿ ياأيها الناس ضرب مثل ﴾ بين لكم حال مستغربة اوقصة رائعة لذلك سماها مثلا أو جعل لله مثل اى مثل فى استحقاق العبادة ﴿ فاستمعوا له ﴾ للمثل أو لبيانه استماع تدبر وتفكر ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى الاصنام وقرأ يعقوب

﴿ وماليس لهم به علم ﴾ أى انهم فعلوا مافعلوه عن جهل لاعن علم ولا دليل عقلى ﴿ وما للظالمين ﴾ أى المشركين ﴿ من نصير ﴾ أى مانع يمنعهم من العذاب ﴿ واذاتتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ يعنى القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام ﴿ تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ أى الانكار والكراهة يتبين ذلك فى وجوههم ﴿ يكادون يسطون ﴾ أى يقعون ويبسطون اليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون ﴿ بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ أى بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يامحمد ﴿ أفأنبئكم بشر من ذلكم ﴾ أى بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذى تستمعون ﴿ النار ﴾ أى هى النار ﴿ وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾ قوله تعالى ﴿ ياأيها الناس ضرب مثل ﴾ فان قلت الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل فى الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال فى الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة ﴿ فاستمعوا له ﴾ أى تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل لاينفع والمعنى جعل لى شبيه وشبه بى الاوثان أى جعل المشركون الاصنام شركائى يعبدونها مع بين حالها وصفتها فقال تعالى ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾

عذرا (وماليس لهم به علم) حجة ولا بيان (وماللظالمين) المشركين (من نصير) من مانع من عذاب الله (واذاتتلى) تقرأ (عليهم آياتنا) القرآن (بينات) مبينات بالامر والنهى (تعرف) يامحمد (فى وجوه الذين كفروا) بالقرآن (المنكر) الكراهية من القرآن (يكادون يسطون) يهمون ان يقعوا ويقعوا (بالذين يتلون) يقرؤن (عليهم آياتنا) القرآن (قل) يامحمد لاهل مكة (يعنى) (أفأنبئكم) أخبركم (بشر من ذلكم) مما قلتم للمسلمين فى الدنيا لقولهم مارأينا اهل دين اقل حظا منكم فقال الله قل يامحمد الخ وهى النار وعدها الله الذين كفروا) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأنتم كافرون بمحمد والقرآن (وبئس المصير) صاروا اليه (ياأيها الناس) يعنى أهل مكة (ضرب مثل) بين مثل آلهتكم (فاستمعوا له وأجيبوا له (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) من الاوثان

(لن يخلقوا ذبابا) لن لتا كيد نفى المستقبل وتا كيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كانه قال محال ان يخلقوا وتخصيص
الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره وسمى ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره عاب لاستكباره (ولو اجتمعوا له) لخلق الذباب ومحله النصب
على الحال كانه قيل مستحيل منهم ان يخلقوه الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل فى
تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل
يستحيل منها ان تقدر على اقل ﴿ ٣٢٥ ﴾ ماخلقه الله { سورة الحج } تعالى وأذله ولو اجتمعوا

لبالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين ﴿ لن يخلقوا ذبابا ﴾ لايقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة ما بين النفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ اى للخلق هو بجوابه المقدر فى موضع حال جئ به للمبالغة أى لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين ﴿ وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه ﴾ جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لاتقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لاتقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ مايختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ عابد الصنم ومعبوده أو الذباب يطلب مايسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ماسلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ﴿ ماقدروا الله حق قدره ﴾ ماعرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ماهو ابعد الاشياء عنه

يعنى الاصنام ﴿ لن يخلقوا ذبابا ﴾ أى واحدا فى صغره وضعفه وقلته لانها لاتقدر على ذلك ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ أى لخلقه والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له ﴿ وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه ﴾ قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدى الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب مايسلب من الطيب الذى على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أى لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم ﴿ ماقدروا الله حق قدره ﴾ أى ماعظموه حق عظمته وماعرفوه حق معرفته ولاوصفوه حق صفته حيث أشركوا به مالا يمتنع من الذباب

لذلك (وان يسلبهم الذباب شيأ) شيأ ثانى مفعولى يسلبهم (لايستنقذوه منه) أى هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيأ فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أى الصنم يطلب ماسلب منه (والمطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب (ماقدروا الله حق قدره) ماعرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له

(ان يخلقوا ذبابا) ان يقدروا ان يخلقوا ذبابا (ولو اجتمعوا له) واجتمع العابد والمعبود ماقدروا أن يخلقوا ذبابا (وان يسلبهم) أخذ (الذباب) من الآلهة (شيأ) الطخوا عليها من العسل (لايستنقذوه منه) لايستجيروه ولايخلصوه من الذباب يعنى الآلهة (ضعف الطالب) يعنى الصنم والمطلوب) الذباب ويقال ضعف الطالب العابد والمطلوب المعبود (ماقدروا الله حق قدره) ماعظموا الله حق عظمته ذلك نزلت فى اليهود لقولهم عزير ابن الله ولقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء ولقولهم يد الله مغلولة ولقولهم ان الله استراح بعد افرغ من خلق السموات والارض فرد الله عليهم ذلك وقال ماقدروا الله حق قدره

(ان الله لقوى عزيز) أى ان الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به أو لقوى بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه (الله يصطفى) يختار (من الملائكة رسلا) كجبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم (ومن الناس) رسلا كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته أو سميع لاقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير باحوال الامم فى الرد والقبول (يعلم مابين أيديهم) ما مضى (وما خلفهم) ما لم يأت او وما عملوا وما سيعملوه او امر الآخرة (والى الله ترجع الامور) اى اليه مرجع الامور كلها والذى هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله ترجع شامى وحمزة وعلى (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) فى صلاتكم وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فامروا أن يكون صلاتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الاعمال ليست من الايمان وان هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة (واعبدوا ربكم) واقصدوا بركوع وسجود وجه الله لا الصنم (وافعلوا الخير) قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات

مناسبة ﴿ان الله لقوى﴾ على خلق الممكنات باسرها ﴿عزيز﴾ لا يغلبه شئ وآلهتهم التى يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا﴾ يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى ﴿ومن الناس﴾ يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتها والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ﴿ان الله سميع بصير﴾ مدرك للاشياء كلها ﴿يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم﴾ عالم بواقعها ومترقبها ﴿والى الله ترجع الامور﴾ واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون ﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ فى صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام أو صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها أو اخضعوا لله وخروا له سجدا ﴿واعبدوا ربكم﴾ بسائر ما تعبدكم به ﴿وافعلوا الخير﴾ وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة

ولا ينتصب منه ﴿ان الله لقوى عزيز﴾ أى غالب لا يقهر ، قوله عز وجل ﴿الله يصطفى من الملائكة﴾ أى يختار من الملائكة ﴿رسلا﴾ جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم ﴿ومن الناس﴾ أى ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته ﴿ان الله سميع﴾ أى لاقوالهم ﴿بصير﴾ أى لافعالهم لا تخفى عليه خافية ﴿قوله تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ قال ابن عباس ما قدموا ﴿وما خلفهم﴾ أى ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدى ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم ﴿والى الله ترجع الامور﴾ أى فى الآخرة ، قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أى صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود ﴿واعبدوا ربكم﴾ أى وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة ﴿وافعلوا الخير﴾ قال ابن

(ان الله لقوى) على أعدائه (عزيز) بالنقمة من اليهود (الله يصطفى) يختار (من الملائكة رسلا) بالرسالة يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل (عباس) وملك الموت (ومن الناس) محمد عليه السلام وسائر النبيين (ان الله سميع) بمقالتهم حين قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (بصير) بعقوبتهم (يعلم ما بين أيديهم) من أمر الآخرة (وما خلفهم) من أمر الدنيا يعنى الملائكة (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور فى الآخرة (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) فى الصلاة (واعبدوا) أطيعوا (ربكم وافعلوا الخير) العمل الصالح

الارحام ومكارم الاخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا الظاهر مافيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما ﴿وجاهدوا فى الله﴾ اى لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس * وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ﴿حق جهاده﴾ اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد

عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة

فصل فى حكم سجود التلاوة هنا

لم يختلف العلماء فى السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا فى السجدة الثانية فروى عن عمر وعلى وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبى الدرداء وأبى موسى انهم قالوا فى الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق يدل عليه ماروى عن عقبة ابن عامر قال قلت يارسول الله أفى الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما أخرجه الترمذى وأبو داود وعن عمر بن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجه مالك فى الموطأ وذهب قوم الى ان فى الحج سجدة واحدة وهى الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثورى وأبى حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لاسجدة تلاوة واختلف العلماء فى عدة سجود التلاوة فذهب الشافعى وأحمد وأكثر أهل العلم الى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعى قال فى الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة فى الحج سجدة وأثبت سجدة ص وبه قال أحمد فى احدى الروايتين عنه فعدد السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن احدى عشرة سجدة يدل عليه ماروى عن أبى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى القرآن احدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال اسناده واه ودليل من قال فى القرآن خمس عشرة سجدة ماروى عن عمرو بن العاص قال أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ واذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعى وقال أبو حنيفة هو واجب * قوله عز وجل ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾ أى جاهدوا فى سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قال ابن عباس

دعا المؤمنين أولا الى الصلاة ثم التى هى ذكر خالص لقوله تعالى وأقم الصلوة لذكرى ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى كى تفوزوا وافعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالغزو أو بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر أو هو كلمة حق عند أمير جائر (فى الله) أى فى ذات الله ومن أجله (حق جهاده) وهو ان لا يخاف فى الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله *ويوم شهدناه سليما وعامرا*

(لعلكم تفلحون) [illegible]
[illegible]
(وجاهدوا فى الله حق جهاده) لاعلاء [illegible] حق عمله

مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أولانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله ﴿ هو اجتباكم ﴾ اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله ﴿ وماجعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ اى ضيق بتكليف مايشتد القيام به عليكم. اشارة الى انه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه أوالى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه مااستطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضائق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ﴿ ملة ابيكم ابراهيم ﴾ منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ماقبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم اوعلى الاغراء اوعلى الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة أولان اكثر العرب كانوا من ذريته

وعنه أنه قال لاتخافوا فى الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون فى سبيل الله ولاتخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله مااستطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هى العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى موسى الاشعرى وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد الاكبر روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوى بغير سند قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس ﴿ هو اجتباكم ﴾ أى اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فاى رتبة أعلى من هذا وأى سعادة فوق هذا ﴿ وماجعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ أى ضيق وشدة وهوان المؤمن لايبتلى بشئ من الذنوب الاجعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس فى دين الاسلام مالايجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق فى أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر فى السفر والتيمم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التى رخص الله لعباده قيل أعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وماجعل عليهم فى الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ماكان على بنى اسرائيل من الآصار التى كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة ﴿ ملة أبيكم ابراهيم ﴾ لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم * فان قلت لم يكن ابراهيم أبا للامة كلها فكيف سماه أبا فى قوله ملة أبيكم

(هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) ضيق بل رخص لكم فى جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمم وبالايماء وبالقصر والافطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة (ملة أبيكم ابراهيم) أى اتبعوا ملة أبيكم أونصب على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أبيكم وسماه أبا وان لم يكن أبا للامة كلها لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لامته لان أمة الرسول فى حكم أولاده قال عليه السلام انما أنا لكم مثل الوالد

(هو اجتباكم) اختاركم لدينه (وماجعل عليكم فى الدين) فى أمر الدين (من حرج) من ضيق يقول من لم يستطع ان يصلى قائما فليصل قاعدا ومن لم يستطع ان يصلى قاعدا فليصل مضطجعا يومى ايماء (ملة أبيكم) اتبعوا دين أبيكم (ابراهيم

فغلبوا على غيرهم ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ القرآن فى الكتب المتقدمة ﴿وفى هذا﴾ وفى القرآن والضمير لله تعالى ويدل عليه انه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بمسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ﴿ليكون الرسول﴾ يوم القيامة متعلق بسماكم ﴿شهيدا عليكم﴾ بانه قد بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من اطاع وعصيان من عصى ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل اليهم ﴿فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بانواع الفضل والشرف ﴿واعتصموا بالله﴾ وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولى اموركم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ هو اذ لا مثل له سبحانه فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا ناصر سواه فى الحقيقة ۔ عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

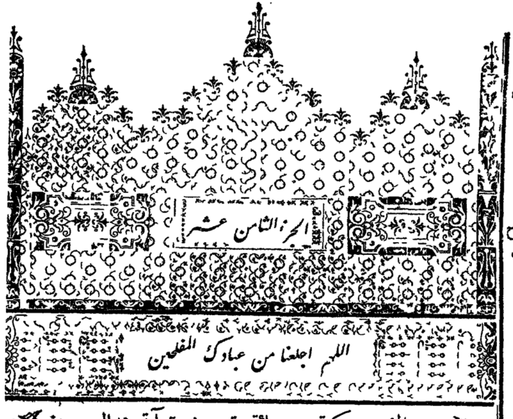
ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو ابو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وأزواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم كالوالد وفى قوله ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ قولان أحدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعنى ان الله سماكم المسلمين فى الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثانى ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعنى ان ابراهيم سماكم المسلمين فى أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا ﴿وفى هذا﴾ أى وفى القرآن سماكم المسلمين ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم﴾ يعنى يوم القيامة ان قد بلغكم ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ يعنى تشهدون يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم ﴿فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله﴾ أى ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما تكره وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة ﴿هو مولاكم﴾ أى وليكم وناصركم وحافظكم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ أى الناصر لكم والله تعالى أعلم

م م

م

أنه قد بلغكم رسالة ربكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم وانما خصكم بهذه الكرامة والاثرة (فاقيموا الصلوة) بواجباتها (وآتوا الزكوة) بشرائطها (واعتصموا بالله) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة (هو مولاكم) أى مالككم وناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى) حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم (ونعم النصير) أى الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب

هو سماكم) الله سماكم (المسلمين من قبل)من قبل هذا القرآن فى كتب الانبياء (وفى هذا) القرآن (ليكون الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (شهيدا عليكم) مزكيا مصدقا لكم (وتكونوا شهداء على الناس) للنبيين (فاقيموا الصلوة) اتموا الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها (وآتوا الزكوة) أعطوا زكاة اموالكم (واعتصموا بالله) تمسكوا بدين الله (قاو خا ٢٤ بع) وكتابه (هو مولاكم) حافظكم (فنعم المولى) الحافظ (ونعم النصير) المانع لكم



سورة المؤمنين مكية وهى مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قدافلح المؤمنون ﴾ قدفازوا باما بيهم وقدثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت على الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون المتوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم * وقرأورش عن نافع قدافلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلونى البراغيث اوعلى الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء

تفسير سورة المؤمنين وهى مكية وهى مائة وثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى سمع عند وجهه دوى كدوى النحل فانزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سرى عنه فقرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذى ✽ قوله عزوجل ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا فى الجنة وقيل الفلاح

﴿ سورة المؤمنين مكية وهى مائة وثمان عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قد أفلح المؤمنون) قد نقيضة لما هى تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهى الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أى فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا والايمان فى اللغة التصديق والمؤمن المصدق لغة وفى الشرع كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن قال عليه السلام خلق الله الجنة فقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا أنا حرام على كل بخيل مراء لانه بالرياء أبطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المؤمنون وهى كلها مكية آياتها مائة وتسع عشرة وكلمها ألف وثمانمائة وأربعون وحروفها أربعة آلاف وثمانمائة وحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) يقول قد فاز ونجا وسعد الموحدون بتوحيد الله أولئك هم الوارثون الجنة دون الكفار ويقال قد فاز ونجا المؤمنون المصدقون بايمانهم والفلاح على وجهين نجاح وبقاء ثم ذكر نعت المؤمنين فقال (الباقى)

 بالجوارح وقيل الخشوع

للمعول ﴿ الذين هم فى صلوتهم خاشعون ﴾ خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم * روى انه عليه السلام كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ﴿ والذين هم عن اللغو ﴾ عما لا يعنيهم من قول وفعل ﴿ معرضون ﴾ لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله ﴿ والذين هم للزكوة فاعلون ﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة ليدل على

البقاء والنجاة ﴿ الذين هم فى صلوتهم خاشعون ﴾ قال ابن عباس مخبتون أذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع فى صلاته لا بد وأن يحصل له الخشوع فى جميع الجوارح فأما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شئ سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف * عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو فى صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفى رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائى وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره الى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم فاشتد قوله فى ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء فى الصلاة فلما نزل الذين هم فى صلوتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشئ من جسده فى الصلاة لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره البغوى بغير سند * عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وقيل الخشوع فى الصلوة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجرى على لسانه من القراءة والذكر * قوله تعالى ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصى وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب ﴿ والذين هم للزكوة فاعلون ﴾ أى الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة هنا

فى الصلاة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وأن لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن أبى الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام واضيفت الصلاة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلى بها وحده وهى عدته وذخيرته وأما المصلى له فغنى عنها (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعنى ان لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع فى الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذى يخرجه المزكى من

(الذين هم فى صلوتهم خاشعون) مخبتون متواضعون لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يرفعون أيديهم فى الصلاة (والذين هم عن اللغو معرضون) عن الباطل والحلف تاركون له (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون

النصاب الى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكى الذى هو التزكية وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين له لان لفظ الفعل يعم جميع الافعال كالضرب والقتل ونحوهما تقول للضارب والقاتل والمزكى فعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل فى العمل فانك تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (الا على أزواجهم) فى موضع الحال أى الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة أى واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم

حافظون فى جميع الاحوال الا فى حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشرة الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وقال الفراء الا من أزواجهم أى زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) أى امائهم ولم يقل من لان المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما تباع البهائم (فانهم غير ملومين) أى لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وامائهم (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فاولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لارادة الشهوة (والذين هم لأماناتهم وعهدهم) لامانتهم مكى وسهل سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وانما تؤدى العيون لا المعانى والمراد به العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون)

انهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل يفعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه أو الثانى على تقدير مضاف ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ لا يبذلونها ﴿الا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم﴾ زوجاتهم أو سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسى أو حال أى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج أو التسرى أو لفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى الى النفس واعظمها خطرا ﴿فانهم غير ملومين﴾ الضمير لحافظون أو لمن دل عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم أو امائهم فانهم غير ملومين على ذلك ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ المستثنى ﴿فاولئك هم العادون﴾ الكاملون فى العدوان ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق ﴿راعون﴾ قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج

هى العمل الصالح والاول أولى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام ﴿الا على ازواجهم﴾ على بمعنى من ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يعنى الاماء والجوارى والآية فى الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها ﴿فانهم غير ملومين﴾ يعنى بعدم حفظ فرجه من امرأته وأمته فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير المأتى وفى حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أى التمس وطلب سوى الازواج والولائد وهن الجوارى المملوكة ﴿فاولئك هم العادون﴾ أى ظالمون المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾

زكاة أموالهم (والذين هم لفروجهم حافظون) يعفون فروجهم عن الحرام (الا على أزواجهم) أربع نسوة (أو ما ملكت أيمانهم) من الولائد بغير عدد (فانهم غير ملومين) بالحلال (فمن ابتغى وراء ذلك) فمن طلب سوى الحلال (فاولئك هم العادون) المعتدون الحلال الى الحرام (والذين هم لأماناتهم) لما ائتمنوا عليه مثل الصوم والوضوء والاغتسال من الجنابة والودائع وأشباه ذلك (وعهدهم) فيما بينهم وبين الله أو بينهم وبين الناس (راعون)

فظفون والراعي القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعي الغنم (والذين هم على صلواتهم) صلاتهم كوفي غير أبي بكر (يحافظون)
امون في أوقاتها واعادة ذكر الصلاة لانها أهم ولأن الخشوع فيها غير المحافظة عليها أولانها وحدت أولا ليفاد الخشوع
جنس الصلاة أية صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض

لامانتهم على الافراد لأمن الالباس أولانها في الاصل مصدر ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به أولا فان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلاة تعظيم لشأنها ﴿اولئك﴾ الجامعون لهذه الصفات ﴿هم الوارثون﴾ الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار ﴿هم فيها خالدون﴾ انث الضمير لانه اسم للجنة أو لطبقتها العليا ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة﴾ من خلاصة سلت من بين الكدر ﴿من طين﴾ متعلق بمحذوف لانه صفة

أي حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فمنها مايكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها مايكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ أي يداومون ويراعون أوقاتها واتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها * فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا * قلت هما ذكران مختلفان فليس تكرارا وصفهم أولا بالخشوع في الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها * قوله عز وجل ﴿أولئك﴾ يعني أهل هذه الصفة ﴿هم الوارثون﴾ يعني يرثون منازل أهل النار من الجنة * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فمن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤل أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ هو أعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سئلتم الله فاسئلوه الفردوس اخرجه الترمذي ﴿هم فيها خالدون﴾ أي لايخرجون منها ولايموتون * قوله عز وجل ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ يعني ولد آدم لان الانسان اسم جنس ﴿من سلالة من طين﴾ قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هي المني لان النطفة تسل من الظهر من طين يعني طين آدم لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو

والواجبات والسنن والنوافل (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار في الحديث مامنكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس) هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أنث الفردوس بتأويل الجنة (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم (من سلالة) من للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل اعا سمي التراب الذي خلق آدم منه سلالة لانه سل من كل تربة (من طين) من للبيان كقوله من الاوثان

حافظون لها بالوفاء (والذين هم على صلواتهم) لاوقات صلواتهم (يحافظون) لها بالوفاء (أولئك) أهل هذه الصفة (هم الوارثون)
لنازلون (الذين يرثون) ينزلون (الفردوس) مقصورة الرحمن والفردوس هو البستان بلسان الرومية (هم فيها خالدون)
في الجنة مقيمون لايموتون ولايخرجون منها (ولقد خلقنا الانسان) ولد آدم (من سلالة) سلة (من طين) والطين هو آدم

الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمى النطفة سلالة أى ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعنى من نطفة مسلولة من طين أى من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نطفة) ماء قليلا (فى قرار) مستقر يعنى الرحم (مكين) حصين

لسلالة أو من بيانية أو بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ﴿ثم جعلناه﴾ ثم جعلنا نسله فحذف المضاف ﴿نطفة﴾ بان خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء ﴿فى قرار مكين﴾ مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ فصيرناها قطعة لحم ﴿فخلقنا المضغة عظاما﴾ بان صلبناها ﴿فكسونا العظام لحما﴾ مما بقى من المضغة أو مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ﴿ثم انشأناه خلقا آخر﴾ هو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر ﴿فتبارك الله﴾ فتعالى شانه فى قدرته وحكمته ﴿احسن الخالقين﴾ المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين

آدم وقوله من سلالة أى سل من كل تربة ﴿ثم جعلناه نطفة﴾ يعنى الذى هو الانسان جعلناه نطفة ﴿فى قرار مكين﴾ أى حريز وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ أى صيرنا النطفة قطعة دم جامد ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ أى جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة ﴿فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما﴾ وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ أى مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان جمادا وناطقا بعد ما كان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشى الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب فى البلاد الى ما بعدها ﴿فتبارك الله﴾ أى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال ﴿أحسن الخالقين﴾ أى المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية

خلقنا النطفة) أى صيرناها بدلالة تعديه الى مفعولين والخلق يتعدى الى مفعول واحد (علقة) قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) لحما قدر ما يمضغ (فخلقنا المضغة عظاما) فصيرناها عظاما (وكسونا العظام لحما) فانبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظما العظم شامى وأبو بكر عظما العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم عن أبى زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذ الانسان ذو عظام كثيرة (ثم أنشأناه) الضمير يعود الى الانسان أو الى المذكور (خلقا آخر) أى خلقنا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا اذا غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره فى قدرته وعلمه (أحسن) بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان أضيف لان المضاف اليه عوض من من (الخالقين) (وبين

(ثم جعلناه) يعنى ماء السلالة (نطفة فى قرار مكين) فى مكان حريز رحم أمه فيكون نطفة أربعين يوما (ثم خلقنا) ثم حولنا (النطفة علقة) دما عبيطا فتكون علقة أربعين يوما (فخلقنا) فحولنا (العلقة مضغة) لحما أربعين يوما (فخلقنا) فحولنا (المضغة عظاما) بلا لحم (فكسونا العظام لحما) أوصالا وعروقا وغير ذلك (ثم أنشأناه خلقا آخر) جعلنا فيه الروح (فتبارك الله احسن الخالقين

مدرين أى أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبدالله بن سعد بن ابى سرح كان
يكتب للنبي عليه السلام فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبدالله
ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الى فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان
بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضى الله عنهما (ثم انكم
بعد ذلك) بعدما ذكرنا
من أمركم (لميتون) عند انقضاء
آجالكم (ثم انكم يوم القيمة
تبعثون) تحيون للجزاء
(ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرائق) جمع طريقة وهى
السموات لانها طرق الملائكة
ومتقلباتهم (وما كنا عن
الخلق غافلين) أراد
بالخلق السموات كانه قال
خلقناها فوقكم وما كنا
غافلين عن حفظها أو أراد
به الناس وانه انما خلقها
فوقهم ليفتح عليهم الارزاق
والبركات منها وما كان
غافلا عنهم وعما يصلحهم
(وأنزلنا من السماء ماء)
مطرا (بقدر) بتقدير
يسلمون معه من المضرة
ويصلون الى المنفعة أو
بمقدار ما علمنا من حاجاتهم
(فاسكناه فى الارض) كقوله
فسلكه ينابيع فى الارض
وقيل جعلناه ثابتا فى الارض
فماء الارض كله من السماء ثم
استأدى شكرهم بقوله
(وانا على ذهاب به

عليه ﴿ثم انكم بعد ذلك لميتون﴾ لسائرون الى الموت لامحالة ولذلك ذكر النعت الذى
للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ﴿ثم انكم يوم القيمة تبعثون﴾ للمحاسبة والمجازاة
﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة
النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقه أو لانها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها
﴿وما كنا عن الخلق﴾ عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو جميع المخلوقات ﴿غافلين﴾
مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر
لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ﴿وانزلنا من السماء ماء بقدر﴾
بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم ﴿فاسكناه﴾ فجعلناه ثابتا
مستقرا ﴿فى الارض وانا على ذهاب به﴾ على ازالته بالافساد أو التصعيد أو التعميق

وبين قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله * قلت الخلق له معان منها
الايجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لايفرى

معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لايفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله
أحسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا
وسمى نفسه خالقا بقوله انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال فتبارك
الله أحسن الخالقين ﴿ثم انكم بعد ذلك﴾ أى بعد ما ذكر من تمام الخلق
﴿لميتون﴾ أى عند انقضاء آجالكم ﴿ثم انكم يوم القيمة تبعثون﴾ أى للحساب
والجزاء * قوله عز وجل ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ أى سبع سموات
طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة فى الصعود والهبوط
﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ أى بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم
فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل
ما تركناهم سدى بغير امر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق
والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أى عن اعمالهم واقوالهم
وضمائرهم لاتخفى علينا خافية ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ أى يعلمه الله من حاجتهم
اليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم فى الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة
﴿فاسكناه فى الارض﴾ يعنى ما يبقى فى الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس فى
الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناه فى الارض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون
والآبار فكل ماء فى الارض من السماء ﴿وانا على ذهاب به

أحكم المحولين (ثم انكم بعد
ذلك لميتون) تموتون (ثم انكم يوم القيمة (قاوخا ٤٣ بع) تبعثون) تحيون (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سبع سموات بعضها
فوق بعض مثل القبة (وما كنا عن الخلق غافلين) تاركين لهم بلا امر ولا نهى (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) من المعيشة وقيل
بمقدار ما يكفيكم (فأسكناه) فادخلناه (فى الارض) فجعلناه منه الركى والعيون والانهار والغدران (وانا على ذهاب به) على غور الماء

أى من الجنات أى من ثمارها ويجوز ان هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها أى انها طعمته وجهته التى منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهى شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يخلوا اما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازى وأبى عمرو للتعريف والعجمة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لان الالف للتأنيث كصحراء

بحيث يتعذر استنباطه ﴿ لقادرون ﴾ كما كنا قادرين على انزاله وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ﴿ فانشأنا لكم به ﴾ بالماء ﴿ جنات من نخيل واعناب لكم فيها ﴾ فى الجنات ﴿ فواكه كثيرة ﴾ تتفكهون بها ﴿ ومنها ﴾ ومن الجنات ثمارها وزروعها ﴿ تأكلون ﴾ تغذيا أو ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اى لكم فى ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه ﴿ وشجرة ﴾ عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء أى ومما انشأ لكم به شجرة ﴿ تخرج من طور سيناء ﴾ جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها أو المركب منهما علماله كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء

لقادرون ﴾ وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل استودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بمافيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوى فى تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن ساق الاسكندرانى عن مسلمة بن على عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى ﴿ فانشأنا لكم به ﴾ أى بالماء ﴿ جنات ﴾ أى بساتين ﴿ من نخيل وأعناب ﴾ انما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا ﴿ لكم فيها ﴾ أى فى الجنات ﴿ فواكه كثيرة ومنها تأكلون ﴾ أى شتاء وصيفا ﴿ وشجرة ﴾ أى وأنشأنا لكم شجرة وهى الزيتون ﴿ تخرج من طور سيناء ﴾ أى من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذى

فى الارض (لقادرون فانشأنا لكم) خلقنا لكم ويقال أنبتنا لكم (به) بالماء (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب) كروم (لكم فيها) فى البساتين (فواكه كثيرة) ألوان فواكه كثيرة (ومنها) من ألوان الثمار (تأكلون وشجرة) تنبت بالمطر شجرة وهى شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) من جبل مشجر والطور هو الجبل بلسان النبط والسيناء هو الجبل (منه)

(تنبت بالدهن) قال الزجاج الباء للحال أى تنبت ومعها الدهن تُنبت مكى وأبو عمرو واما الان أنبت بمعنى نبت كقوله حتى اذا أنبت البقل أو لان مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها وفيه الدهن (وصبغ للآكلين) أى ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى هذه اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هو أول شجرة تنبت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجرة وأفضلها وأجمعها للمنافع (وان لكم فى الانعام) جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وبفتح النون شامى ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان (مما فى بطونها) أى تخرج لكم من بطونها لبنا سائغا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الالبان وهى منافع الاصواف والاوبار والاشعار (ومنها تأكلون) أى لحومها (وعليها) وعلى الانعام فى البر (وعلى الفلك) فى البحر (تحملون) فى أسفاركم وهذا يشير الى ان المراد بالانعام الابل لانها هى المحمول عليها فى العادة فلذا قرنها بالفلك التى هى السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدى زمامها * يريد ناقته

بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامى ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر ﴿ تنبت بالدهن ﴾ أى تنبت ملتبسة بالدهن ومصطحبة له ويجوز ان يكون الباء صلة متعدية لتنبت كما فى قولك ذهبت بزيد * وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فى رواية تنبت وهى اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن * وقرئ * على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر أى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أى يغمس فيه للائتدام * وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ ﴿ وان لكم فى الانعام لعبرة ﴾ تعتبرون بحالها وتستدلون بها ﴿ نسقيكم مما فى بطونها ﴾ من الالبان أو من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للابتداء * وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ﴾ فى ظهورها واصوافها وشعورها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ فتنتفعون باعيانها ﴿ وعليها ﴾ وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة

سفينة بر تحت خدى زمامها

فيكون الضمير فيها كالضمير فى وبعولتهن احق بردهن ﴿ وعلى الفلك تحملون ﴾

منه نودى موسى بين مصر وايلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذى فيه هذا الجبل ﴿ تنبت بالدهن ﴾ أى تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ الصبغ الادام الذى يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى فى هذه الشجرة المباركة ادما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان أول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبقى فى الارض نحو ثلاثة آلاف سنة * قوله عز وجل ﴿ وان لكم فى الانعام لعبرة ﴾ أى آية تعتبرون بها ﴿ نسقيكم مما فى بطونها ﴾ أى البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه منهما شئ فتستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية فى سورة النحل ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ﴾ يعنى كما تنتفعون بها وهى حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل ﴿ وعليها ﴾ أى وعلى الابل ﴿ وعلى الفلك تحملون ﴾ أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر * قوله تعالى

الشجر بلسان الحبشة (تنبت بالدهن) تخرج الدهن (وصبغ للآكلين) وما يصطبغ به الآكل (وان لكم فى الانعام) فى الابل (لعبرة) لعلامة (نسقيكم مما فى بطونها) من ألبانها تخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا (ولكم فيها) فى ركوبها وحملها (منافع كثيرة ومنها) من لحومها وألبانها وأولادها (تأكلون وعليها) على الابل يعنى فى البر (وعلى الفلك) على السفن فى البحر (تحملون) تسافرون

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقوبة الله الذى هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شئ (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى أشرافهم لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أى يطلب الفضل عليكم ويترأس (ولو شاء الله) ارسال رسول (لأنزل ملائكة) لارسل ملائكة (ما سمعنا بهذا) أى بارسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم أنهم رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر (فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة) جنون (فتربصوا به حتى حين) فانتظروا واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلى أمره فان أفاق من جنونه والا قتلتموه (قال رب انصرنى بما كذبون) فلما أيس من ايمانهم دعا الله بالانتقام منهم والمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم اياى اذ فى نصرتى اهلاكهم أو انصرنى بدل ما كذبون كقولك هذا بذاك أى بدل ذاك والمعنى أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم (فأوحينا اليه) أى أجبنا دعاءه فاوحينا اليه (أن اصنع الفلك بأعيننا) أى تصنعه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته اياك أو بحفظنا وكلاءتنا كان معك من الله حفاظا يكلؤنك بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة

فى البر والبحر ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاقهم من زوالها ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غيره بالجر على اللفظ ﴿ أفلا تتقون ﴾ أفلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لا تحصونها ﴿ فقال الملأ ﴾ الاشراف ﴿ الذين كفروا من قومه ﴾ لعوامهم ﴿ ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ﴾ اى يطلب الفضل عليكم ويسودكم ﴿ ولو شاء الله ﴾ ان يرسل رسولا ﴿ لانزل ملائكة ﴾ رسلا ﴿ ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ﴾ يعنون نوحا اى ما سمعنا به انه نبى أو ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفى اله غيره أو من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم أو لانهم كانوا فى فترة متطاولة ﴿ ان هو الا رجل به جنة ﴾ اى جنون ولاجله يقول ذلك ﴿ فتربصوا به ﴾ فاحتملوه وانتظروا ﴿ حتى حين ﴾ لعله يفيق من جنونه ﴿ قال ﴾ بعد ما ايس من ايمانهم ﴿ رب انصرنى ﴾ باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب ﴿ بما كذبون ﴾ بدل تكذيبهم اياى أو بسببه ﴿ فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ﴾ بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد

﴿ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ أى مالكم معبود سواه ﴿ أفلا تتقون ﴾ أى أفلا تخافون عقابه اذا عبدتم غيره ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم ﴾ أى آدمى مثلكم مشارك لكم فى جميع الامور ﴿ يريد أن يتفضل عليكم ﴾ أى انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وأنتم له تبع ﴿ ولو شاء الله لانزل ملائكة ﴾ يعنى بابلاغ الوحى ﴿ ما سمعنا بهذا ﴾ أى الذى يدعونا اليه نوح ﴿ فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة ﴾ أى جنون ﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾ أى الى الموت فتستريحوا منه ﴿ قال رب انصرنى بما كذبون ﴾ أى اعنى باهلاكهم بتكذيبهم اياى ﴿ فاوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ﴾ أى بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له أحد ولا يفسد عليه

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال) لقومه (ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى أمركم أن تؤمنوا به (أفلا تتقون) عبادة غير الله (فقال الملأ) الرؤساء (الذين كفروا من قومه ما هذا) يعنون نوحا (الا بشر) آدمى (مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) بالرسالة والنبوة (ولو شاء الله) أن يرسل الينا رسولا (لانزل ملائكة) أى ملكا من الملائكة (ما سمعنا بهذا) الذى يقول نوح (فى) زمن (آبائنا الاولين ان هو) ما هو يعنون نوحا (الا رجل به جنة) جنون (فتربصوا) فانتظروا (به حتى حين) الى حين يموت (قال) نوح (رب انصرنى) أعنى بالعذاب (بما كذبون) بالرسالة (فاوحينا اليه) أرسلنا اليه جبريل (أن اصنع الفلك) أن خذ فى علاج السفينة (بأعيننا) بمنظر منا

(ووحينا) أمرنا وتعليمنا اياك صنعتها روى انه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر (فاذا جاء أمرنا) أى [illegible] بامرنا (وفار التنور) أى فار الماء من تنور الخبز اى أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ فى الانذار والاعتبار روى انه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة واختلف فى مكانه فقيل فى مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند (فاسلك فيها) فادخل فى السفينة (من كل زوجين) من كل أمة زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى انه لم يحمل الا ما يلد و يبيض من كل حفص والمفضل أى من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادة بيان (وأهلك) ونساءك وأولادك (الا من سبق عليه القول) من الله باهلاكه وهو ابنه واحدى زوجتيه فجئ بعلى مع سبق الضار كما جئ باللام مع سبق النافع فى قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) ولا تسألنى نجاة الذين كفروا فانى أغرقهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا تمكنتم عليها راكبين (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت انت ومن معك فى معنى اذا استويتم لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة

﴿ووحينا﴾ وامرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿فاذا جاء امرنا﴾ بالركوب أو نزول العذاب ﴿وفار التنور﴾ روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها فى هود ﴿فاسلك فيها﴾ فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ماسلككم فى سقر ﴿من كل زوجين اثنين﴾ من كل امتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين. وقرأ حفص من كل بالتنوين أى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد ﴿واهلك﴾ واهل بيتك أو ومن آمن معك ﴿الا من سبق عليه القول منهم﴾ أى القول من الله باهلاكه لكفرة وانما جئ بعلى لان السابق ضار كما جئ باللام حيث كان نافعا فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا﴾ بالدعاء لهم بالانجاء ﴿انهم مغرقون﴾ لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله ﴿فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ كقوله فقطع دابر القوم الذين

عمله ﴿ووحيا﴾ قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها ﴿فاذا جاء أمرنا﴾ أى عذابنا ﴿وفار التنور﴾ قيل هو التنور الذى يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت الماء يفور من التنور ﴿فاسلك فيها﴾ أى فأدخل فى السفينة ﴿من كل زوجين اثنين﴾ أى من كل حيوان ذكر وأنثى ﴿وأهلك﴾ أى وسائر من آمن بك ﴿الا من سبق عليه القول﴾ أى وجب عليه العذاب ﴿منهم﴾ يعنى الكفار وقيل أراد باهله أهل بيته خاصة والذى سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون﴾ قوله عز وجل ﴿فاذا استويت﴾ أى اعتدلت ﴿أنت ومن معك على الفلك﴾ أى فى السفينة ﴿فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ أى الكافرين

(ووحينا) بوحينا اليك (فاذا جاء أمرنا) وقت عذابنا (وفار التنور) نبع الماء من التنور ويقال طلع الفجر (فاسلك فيها) فاحمل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) صنفين اثنين ذكر وأنثى (وأهلك) واحمل أهلك يعنى من آمن بك (الا من سبق) وجب (عليه القول) بالعذاب (منهم ولا تخاطبنى) ولا تراجعنى بالدعاء (فى الذين ظلموا) فى نجاة الذين كفروا من قومك (انهم مغرقون) بالطوفان (فاذا استويت أنت) اذا ركبت أنت (ومن معك) من المؤمنين (على الفلك) على السفينة (فقل الحمد لله) الشكر لله (الذى نجانا من القوم الظالمين) الكافرين

(وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها (رب أنزلنى منزلا) أى انزالا أو موضع انزال منزلا أبو بكر اى مكانا (مباركا وأنت خير المنزلين) والبركة فى السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات (ان فى ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) لعبر أو مواعظ (وان) هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مذكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قومهم نوح (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجىء قصة هود على أثر قصة نوح فى الاعراف وهود والشعراء (فارسلنا فيهم) الارسال يعدى بالى ولم يعد بفى هنا وفى قوله كذلك أرسلناك فى أمة وما أرسلنا فى قرية ولكن الامة والقرية جعلت موضعا للارسال كقول رؤبة * أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) ان مفسرة لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملأ من قومه) ذكر مقالة قوم هود فى جوابه فى الاعراف وهود بغير واو لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت كيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبى صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم (الذين)

ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿وقل رب انزلنى﴾ فى السفينة أو فى الارض ﴿منزلا مباركا﴾ يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقرأ غير ابى بكر منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال ﴿وانت خير المنزلين﴾ ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم ﴿ان فى ذلك﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿لآيات﴾ يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار ﴿وان كنا لمبتلين﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة ﴿ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ هم عاد او ثمود ﴿فارسلنا فيهم رسولا منهم﴾ هودا أو صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم ﴿ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره﴾ تفسير لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ﴿أفلا تتقون﴾ عذاب الله ﴿وقال الملأ من قومه

﴿وقل رب أنزلنى منزلا مباركا﴾ قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء ﴿وأنت خير المنزلين﴾ معناه انه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وأنت خير المنزلين لانه يحفظ من أنزله ويكلؤه فى سائر أحواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك ﴿ان فى ذلك﴾ أى الذى ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله ﴿لآيات﴾ أى دلالات على قدرتنا ﴿وان كنا﴾ أى وما كنا ﴿لمبتلين﴾ أى الا مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكره لننظر ماهم عاملون قبل نزول العذاب بهم * قوله تعالى ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أى من بعد اهلاكهم ﴿قرنا آخرين﴾ يعنى عادا ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾ يعنى هودا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول أصح ﴿أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ أى هذه الطريقة التى انتم عليها مخافة العذاب ﴿وقال الملأ من قومه

(وقل) حين تنزل من السفينة (رب أنزلنى منزلا مباركا) بالماء والشجر (وأنت خير المنزلين) فى الدنيا والآخرة (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات وعبرات لاهل مكة لكى يقتدوا بهم (وان كنا) وقد كنا (لمبتلين) بالبلايا ويقال مختبرين بالعقوبة (ثم أنشأنا من بعدهم) خلقنا من بعد هلاك قوم نوح (قرنا آخرين) قوما آخرين (فارسلنا فيهم) اليهم (رسولا منهم) من نسبهم (أن اعبدوا الله)

يكن بالفاء وجئ بالفاء فى قصة نوح لانه جواب لقوله وقع عقيبه (الذين كفروا)صفة للملا أو لقومه(وكذبوا بلقاء الآخرة) أى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم)ونعماهم(فى الحيوة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ماهذا)أى النبى (الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أى منه فحذف لدلالة ما قبله عليه أى من أين يدعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أى فيما يأمركم به وينهاكم عنه (انكم اذا) واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين ﴿٣٤٣﴾ قاولوهم من قومهم { سورة المؤمنين } (لخاسرون) بالانقياد لمثلكم ومن حقهم انهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أيعدكم انكم اذا متم) بالكسر نافع وحمزة وعلى وحفص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى انكم للتأكيد وحسن ذلك للفصل بين الاول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الاول والتقدير أيعدكم أنكم مخرجون اذا متم وكنتم تراباوعظاما(هيهات هيهات) وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائى يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضمر أى بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو فاعلها ما توعدون واللام زائدة أى بعد ما توعدون

الرسول(الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة)بالبعث بعد الموت(وأترفناهم)أنعمناهم بالمال والولد (فى الحيوة الدنيا ماهذا)يعنون الرسول(الا بشر) آدمى(مثلكم تأكل مما تأكلون منه) كما تأكلون منه(ويشرب مما تشربون) كما تشربون (ولئن أطعتم بشرا) آدميا(مثلكم انكم اذا لخاسرون)جاهلون مغبونون(أيعدكم) هذا الرسول (أنكم اذا متم وكنتم) صرتم (ترابا) بعد الموت(وعظاما)بالية(انكم

﴿ الذين كفروا ﴾ لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال ﴿ وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث ﴿ واترفناهم ﴾ ونعمناهم ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ بكثرة الاموال والاولاد ﴿ ماهذا الا بشر مثلكم ﴾ فى الصفة والحالة ﴿ يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ﴿ ولئن اطعتم بشرا مثلكم ﴾ فيما يأمركم به ﴿ انكم اذا لخاسرون ﴾ حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ﴿أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما﴾ مجردة عن اللحوم والاعصاب ﴿انكم مخرجون﴾ من الاجداث أو من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره أو انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم أو فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم أو انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة ﴿هيهات هيهات﴾ بعد التصديق أو الصحة ﴿ لما توعدون ﴾ أو بعد ما توعدون واللام للبيان كما فى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف

﴿ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ أى بالمصير اليها ﴿ وأترفناهم ﴾ أى نعمناهم ووسعنا عليهم ﴿ فى الحيوة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ أى من مشربكم ﴿ ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ﴾ أى لمغبونون ﴿ أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ﴾ أى من قبوركم أحياء ﴿ هيهات هيهات ﴾ قال ابن عباس أى بعيد بعيد ﴿ لما توعدون ﴾ استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر فى بدء أمرهم وقدرة الله على ايجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه

من البعث (ان هى) هذاضمير لايعلم مايعنى به الابماتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياتنا الدنيا) ثم وضع هى موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لاحياة الاهذه الحياة التى نحن فيها ودنت منا وهذا لان ان النافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لاالتى لنفى الجنس (نموت ونحيا) أى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن فيأتى قرن آخر أوفيه تقديم وتأخير أى نحيا ونموت وهو قراءة أبى وابن مسعود رضى الله عنهما (ومانحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الارجل افترى على الله كذبا) أى ماهو الامفتر على

الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرنى بما كذبون) فاجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عما قليل) قليل صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك مارأيته قديما ولاحديثا وفى معناه عن قريب و مازائدة او بمعنا شئ أوزمن وقيل بدل منها وجواب القسم المحذوف (ليصبحن نادمين) اذاعاينوا مايحل بهم (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يقضى بالحق أى بالعدل (فجعلناهم غثاء) شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حمل السيل مما بلى واسود من الورق والعيدان (فبعدا) فهلا كايقال بعدا بعدا وأبعد أى هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لايستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك (ثم)

وبابدال التاءهاء ﴿ان هى الاحياتنا الدنيا﴾ اصله ان الحياة الاحياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله

هى النفس ماحملتها تتحمل(٢)

ومعناه لاحياة الاهذه الحياة الدنيا لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لاالتى تنفى مابعدها نفى الجنس ﴿نموت ونحيا﴾ يموت بعضنا ويولد بعضنا ﴿ ومانحن بمبعوثين ﴾ بعد الموت ﴿ ان هو ﴾ ماهو ﴿الارجل افترى على الله كذبا ﴾ فيما يدعيه من ارساله أوفيما يعدنا من البعث ﴿ وما نحن له بمؤمنين ﴾ بمصدقين ﴿قال رب انصرنى﴾ عليهم وانتقم لى منهم ﴿ بما كذبون﴾ بسبب تكذيبهم اياى ﴿قال عما قليل﴾ عن زمان قليل وماصلة لتأكيد معنى القلة أونكرة موصوفة ﴿ ليصبحن نادمين ﴾ على التكذيب اذا عاينوا العذاب ﴿ فاخذتهم الصيحة﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح ﴿ بالحق ﴾ بالوجه الثابت الذى لادافع له أو بالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق أو بالوعد الصدق ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك ﴿ فبعدا للقوم الظالمين ﴾ يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا

لايكون أبدا ﴿ ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم ﴿ومانحن بمبعوثين ﴾ أى بعد الموت ﴿ ان هو ﴾ يعنون رسولهم ﴿ الارجل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين ﴾ أى بمصدقين بالبعث بعد الموت ﴿ قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن ﴾ أى ليصيرن ﴿ نادمين ﴾ على كفرهم وتكذيبهم ﴿ فاخذتهم الصيحة بالحق ﴾ يعنى صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ هو مايحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض ﴿ فبعدا ﴾ أى الزمنا بعدا من الرحمة ﴿للقوم الظالمين ﴾ ❁ قوله عز وجل

(ان هى) ماهى (الاحياتنا الدنيا) فى الدنيا (نموت ونحيا) يموت الآباء ويحيا الابناء (ومانحن بمبعوثين)للبعث بعد الموت (ان هو) ماهو يعنون الرسول (الارجل افترى) اختلق (على الله كذبا) بما يقول (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين له بما يقول (قال) الرسول (رب انصرنى) أعنى بالعذاب (بما كذبون) بالرسالة (قال) الله (عما قليل) عن قليل (ليصبحن) ليصيرن (نادمين) بالتكذيب عند العقوبة (فاخذتهم الصيحة بالحق) يعنى صوت جبريل بالعذاب (فجعلناهم) بعد الهلاك (غثاء) يابسا (فبعدا) فسحقا وخيبة من رحمة الله (للقوم الظالمين) الكافرين

(٢) تمامه ٭ والدهر ايام تحود وتعدل

(آجالها) ... (ماسبق من أمة) ...
المكتوب لها والوقت الذى حد لهلاكها وكتب (وماستأخرون) لا تتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترى) ...
كسكرى لان الرسل جماعة ولذا لا ينون لا نه غير منصرف تترى بالتنوين مكى وأبو عمرو ويزيد ...
كارطى وهونصب على الحال متتابعين و حدا بعد واحد

مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بافعال لا تستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ﴿ ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ﴿ ماتسبق من امة اجلها ﴾ الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق ﴿ وماستأخرون ﴾ الاجل ﴿ ثم ارسلنا رسلنا تترى ﴾ متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا ﴿ كلما جاء امة رسولها كذبوه ﴾ اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجئ الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجئ الذى هو منتهاه اليهم ﴿ فاتبعنا بعضهم بعضا ﴾ فى الاهلاك ﴿ وجعلناهم احاديث ﴾ لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أو جمع احدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا ﴿ فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا ﴾ الآيات التسع ﴿ وسلطان مبين ﴾ وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات والآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبى ﴿ الى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾

وتاؤه فيه مابدل من الواو والاصل وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتراث (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما (فأتبعنا) الامم والقرون (بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم احاديث) اخبارا يسمع بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام وتكون جمعا للاحدوثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) بدل من أخاه (بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وملئه فاستكبروا) امتنعوا عن

﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ أى أقواما آخرين ﴿ ماتسبق من أمة أجلها ﴾ أى وقت هلاكها ﴿ وما يستأخرون ﴾ أى عن وقت هلاكهم ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى ﴾ أى متواترين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا ﴾ أى بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى أثر بعض ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ أى سمرا وقصصا يحدث من بعدهم بامرهم وشأنهم ﴿ فبعدا لقوم لا يؤمنون ﴾ ﴾ قوله تعالى ﴿ ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين ﴾ أى حجة بينة كالعصا واليد وغيرهما ﴿ الى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾ أى تعظموا عن الايمان

(ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد هلاكهم (قرونا

آخرين) قرنا بعد قرن من قرن الى قرن (قال وخالد ٤٤ بى) ثمان عشرة سنة والى ثمانون (ماتسبق من أمة) باهلاك من أمة (أجلها) قبل أجلها (وما يستأخرون) عن الاجل (ثم أرسلنا رسلنا تترى) متتابعين واحدا اثر بعض (كلما جاء أمة رسولها) الى أمة رسول (كذبوه) كذبوا ذلك الرسول (فاتبعنا بعضهم بعضا) بالهلاك (وجعلناهم أحاديث) فى من بعدهم يحدث عنهم (فبعدا) فسحقا من رحمة الله (لقوم لا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) حجة بينة (الى فرعون وملئه) قومه (فاستكبروا) عن الايمان

قبول الايمان ترفعا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا) البشر يكون واحدا وجمعا و مثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهما) أي بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان لملك فهو عابد له

(فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق

(ولقد آتينا موسى) أي قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) يعملون بشرائعها ومواعظها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) تدل على قدرتنا على مانشاء لانه خلق من غير نطفة واحد لان الاعجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما) جعلنا مأواهما أي منزلهما (الى ربوة) شامي وعاصم ربوة غيرهما أي أرض مرتفعة وهي بيت المقدس أو دمشق او الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منبسطة اوذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وماء ظاهر جار

عن الايمان والمتابعة ﴿ وكانوا قوما عالين ﴾ متكبرين ﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لايعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون مالايدرك غيرهم ويعلمون مالاينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد ﴿ وقومهما ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ لنا عابدون ﴾ خادمون منقادون كالعباد ﴿ فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴾ بالغرق في بحر قلزم ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ لعلهم ﴾ لعل بني اسرائيل ولايجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم ﴿ يهتدون ﴾ الى المعارف والاحكام ﴿ وجعلنا ابن مريم وامه آية ﴾ بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما أو جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ﴿ وآويناهما الى ربوة ﴾ ارض بيت المقدس فانها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ﴿ ذات قرار ﴾ مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ﴿ ومعين ﴾ وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى

﴿ وكانوا قوما عالين ﴾ أي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم ﴿ فقالوا ﴾ يعني فرعون وقومه ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ يعنون موسى وهرون ﴿ وقومهما لنا عابدون ﴾ أي مطيعون متذللون ﴿ فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴾ أي بالغرق ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ يعني التوراة ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ أي لكي يهتدي به قومه * قوله عز وجل ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ أي دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وأنطقه في المهد * فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين * قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا في هذه الآية فكانت آية واحدة ﴿ وآويناهما الى ربوة ﴾ أي مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل هي الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب الايواء انها فرت بابنها اليها * وقوله ﴿ ذات قرار ﴾ أي منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ﴿ ومعين ﴾

بموسى والآيات (وكانوا قوما عالين) مخالفين لموسى مستكبرين عن الايمان (فقالوا أنؤمن لبشرين) لآدميين يعنون موسى وهرون (مثلنا وقومهما لنا عابدون) مطيعون (فكذبوهما) بالرسالة (فكانوا من المهلكين) فصاروا من المغرقين في اليم (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعني التوراة (لعلهم يهتدون) (هو) لكي يهتدوا بها من الضلالة (وجعلنا ابن مريم) يعني عيسى (وأمه آية) علامة وعبرة ولدا بلا أب وولادة بلا مس (وآويناهم) رجعناهما (الى ربوة) الى مكان مرتفع (ذات قرار) مستو ذات نعيم (ومعين) ماء ظاهر جار وهو دمشق

لى وجه الارض أوانه مفعول أى مدرك بالعين بظهوره من عانه اذا أدركه بعينه أو فعيل لانه نفاع بظهوره وجريه
ن الماعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين فى ازمنة
مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان امرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق
ن يؤخذ به ويعمل عليه اوهو خطاب

لفضله وقيامه مقام الكل فى زمانه وكان يأكل من الغنائم اولعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات ماحل والامر للتكليف اومايستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة (واعملوا صالحا) موافقا للشريعة (انى بما تعملون عليم) فاجازيكم على اعمالكم (وان هذه) كوفى على الاستئناف وان حجازى وبصرى بمعنى ولان اى فاتقون لان هذه اومعطوف على ماقبله اى بما تعملون عليم وبان هذه اوتقديره واعلموا ان هذه (امتكم) أى ملتكم وشريعتكم التى انتم عليها (امة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام وانتصاب امة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وانا ربكم) وحده (فاتقون) فخافوا عقابى فى مخالفتكم امرى

واصله الابعاد فى الشئ أومن الماعون وهو المنفعة لانه نفاع أومفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف مأواها ذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان ﴿ يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ﴾ نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا اويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات أوحكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول مارزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات مايستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال مالا يعصى الله فيه والصافى مالا ينسى الله فيه والقوام مايمسك النفس ويحفظ العقل ﴿ واعملوا صالحا ﴾ فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿ انى بما تعملون عليم ﴾ فاجازيكم عليه ﴿ وان هذه ﴾ اى ولان هذه والمعلل به فاتقون اوواعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف ﴿ امتكم امة احدة ﴾ ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقائد واصول الشرائع اوجماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب امة على الحال ﴿ وانا ربكم فاتقون ﴾ فى شق العصا ومخالفة الكلمة

هو الماء الجارى الذى تراه العيون * قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ﴾ قيل أراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال ﴿ واعملوا صالحا ﴾ أى استقيموا على مايوجبه الشرع ﴿ انى بما تعملون عليم ﴾ فيه تحذير من مخالفة ماأمرهم به واذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلان يكون تحذيرا لغيرهم أولى لما روى عن أبى هريرة ان رسول صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لايقبل الاطيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم * قوله عز وجل ﴿ وان هذه أمتكم ﴾ أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها ﴿ أمة واحدة ﴾ أى ملة واحدة وهى الاسلام ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ أى فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وأنا ربكم

(يا أيها الرسل) يعنى محمدا (كلوا من الطيبات) كلوا من الحلال (واعملوا صالحا) اعمل صالحا فيما بينك وبين ربك (انى بما تعملون) أى بما تعمل يا محمد ويعملون من الخير (عليم) بثوابه (وان هذه أمتكم أمة واحدة) ملتكم ملة واحدة ودينكم دينا واحدا مختارا (وانا ربكم) رب واحد أكرمتكم بذلك (فاتقون) فأطيعون

(فتقطعوا امرهم بينهم) تقطع بمعنى قطع أى قطعوا امردينهم (زبرا) جمع زبوراى كتبامختلفة يعنى جعلوا دينهم اديانا وقيل تفرقوا فى دينهم فرقا كل فرقة تنتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ زبرا جمع زبرة اى قطعا (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المقطعين دينهم (بمالديهم) من الكتاب اوالدين اومن الهوى والرأى (فرحون)

مسرورون معتقدون انهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) جهالتهم وغفلتهم (حتى حين) اى الى ان تقتلوا أويموتوا (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين) ما بمعنى الذى وخبران (نسارع لهم فى الخيرات) والعائد من خبران الى اسمها محذوف أى نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسئلة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو أصلح له فى الدين وقد أخبر ان ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا الاصلح (بل لا يشعرون) بل استدراك لقوله أيحسبون أى انهم اشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا فى ذلك انه استدراج أو مسارعة فى الخير ثم بين ذكر أوليائه فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون)

﴿ فتقطعوا امرهم بينهم ﴾ فتقطعوا إمر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض أو التميز والضمير لمادل عليه الامة من اربابها اولها ﴿ زبرا ﴾ قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فانه مضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حال من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل ﴿ كل حزب ﴾ من المتحزبين ﴿ بما لديهم ﴾ من الدين ﴿ فرحون ﴾ معجبون معتقدون انهم على الحق ﴿ فذرهم فى غمرتهم ﴾ فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها أو لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم ﴿ حتى حين ﴾ الى ان يقتلوا أو يموتوا ﴿ أيحسبون انما نمدهم به ﴾ ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم ﴿ من مال وبنين ﴾ بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره ﴿ نسارع لهم فى الخيرات ﴾ والراجع محذوف والمعنى أيحسبون ان الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم ﴿ بل لا يشعرون ﴾ بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممدبه ويسارع مبنيا للمفعول ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم ﴾ من خوف عذابه ﴿ مشفقون ﴾ حذرون

فاتقون ﴿ فتقطعوا ﴾ أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة ﴿ أمرهم ﴾ أى دينهم ﴿ بينهم زبرا ﴾ أى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أى كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أى مسرورون معجبون بما عندهم من الدين ﴿ فذرهم ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فى غمرتهم ﴾ قال ابن عباس فى كفرهم وضلالهم وقيل فى عمايتهم وغفلتهم ﴿ حتى حين ﴾ أى الى أن يموتوا ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ﴾ أى ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا ﴿ نسارع لهم فى الخيرات ﴾ أى نعجل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا عنهم ﴿ بل لا يشعرون ﴾ أى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ أى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله

(فتقطعوا أمرهم بينهم) فتفرقوا فيما بينهم فى دينهم (زبرا) فرقا فرقا اليهود والنصارى والمشركين والمجوس (كل حزب) (خائفون) كل اهل دين وفرقة (بما لديهم فرحون) معجبون (فذرهم) اتركهم يا محمد (فى غمرتهم) فى جهلهم (حتى حين) الى حين العذاب يوم بدر (أيحسبون) أيظن أهل الفرق (أنما نمدهم به) أنما نعطيهم فى الدنيا (من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات) مسارعة لهم منا فى الخيرات فى الدنيا ويقال فى الآخرة (بل لا يشعرون) أنا مكرمون لهم فى الدنيا ومهينون لهم فى الآخرة ثم بين لمن المسارعة فى الخيرات فى الدنيا فقال (ان الذين هم من خشية ربهم) من عذاب ربهم (مشفقون)

أى خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى بكتب الله كلها لايفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (والذين هم بربهم لايشركون) كمشركى العرب (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يأتون ما أتوا بالقصر أى يفعلون مافعلوا (وقلوبهم وجلة) خائفة ان لاتقبل منهم لقصيرهم (انهم الى ربهم راجعون) الجمهور على ان التقدير لانهم وخبران الذى (اولئك يسارعون

فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) أى لاجل الخيرات سابقون الى الجنات أو لاجلها سبقوا الناس (ولانكلف نفسا الا وسعها) أى طاقتها يعنى ان الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف مالا يطاق (ولدينا كتاب) أى اللوح أو صحيفة الاعمال (ينطق بالحق وهم لايظلمون)

﴿والذين هم بآيات ربهم ﴾ المنصوبة والمنزلة ﴿يؤمنون﴾ بتصديق مدلولها ﴿والذين هم بربهم لايشركون﴾ شركا جليا ولا خفيا ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا أى يفعلون مافعلوه من الطاعات ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ أى خائفة ان لايقبل منهم وان لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به ﴿ انهم الى ربهم راجعون ﴾ لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم ﴿اولئك يسارعون فى الخيرات﴾ يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم ﴿ وهم لها سابقون﴾ لاجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس الى الطاعة أو الثواب أو الجنة أو سابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله تعالى هم لها عاملون ﴿ ولانكلف نفسا الا وسعها ﴾ قدر طاقتها يريد به التحريض على ماوصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ﴿ ولدينا كتاب ﴾ يريد اللوح أو صحيفة الاعمال ﴿ ينطق بالحق ﴾ بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع ﴿ وهم لايظلمون ﴾

خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وأمنا ﴿ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴾ أى يصدقون ﴿ والذين هم بربهم لايشركون والذين يؤتون ما آتوا ﴾ أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ماعملوا من أعمال البر ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ أى خائفة ان ذلك لاينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لاتقبل منهم ﴿ أنهم الى ربهم راجعون ﴾ أى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم ✽ عن عائشة قالت قلت يارسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لايابنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون فى الخيرات أخرجه الترمذى ✽ وقوله ﴿ أولئك يسارعون فى الخيرات ﴾ أى يبادرون الاعمال الصالحة ﴿ وهم لها سابقون ﴾ أى اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات ✽ قوله عز وجل ﴿ ولا نكلف نفسا الا وسعها ﴾ أى طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض ﴿ ولدينا كتاب ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿ ينطق بالحق ﴾ أى يبين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التى تكتبها الحفظة ﴿ وهم لايظلمون ﴾ أى لاينقص من حسناتهم

خائفون لهم منا مسارعة فى الخيرات (والذين هم بآيات ربهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (يؤمنون) يصدقون لهم منا مسارعة فى الخيرات (والذين هم بربهم لايشركون) الاوثان لهم منا مسارعة فى الخيرات (والذين يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا من الصدقة وينفقون ما أنفقوا من المال فى سبيل الله ويقال يعملون ماعملوا من الخيرات (وقلوبهم وجلة) خائفة (انهم الى ربهم راجعون) فى الآخرة فلا يقبل منهم (أولئك) أهل هذه الصفة (يسارعون فى الخيرات) يبادرون فى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) وهم سابقون بالخيرات (ولانكلف نفسا) من العمل (الا وسعها) طاقتها (ولدينا) عندنا (كتاب ينطق) وهو ديوان الحفظة مكتوب فيه حسناتهم وسيآتهم ينطق (بالحق) يشهد عليهم بالصدق والعدل (وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم

لايقرؤن منه يوم القيامة الاماهوصدق وعدل لازيادة فيه ولانقصان ولايظلم منهم أحد بزيادة عقاب أونقصان ثواب أو بتكليف مالاوسع له به (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال من دون ذلك) أي ولهم اعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعليها مقيمون لايفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى اذا أخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهوالقحط سبع سنين حين

دعا عليهم النبي عليه الصلاة والسلام أو قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية (اذاهم يجأرون) يصرخون استغاثة والجؤار الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لاتجأروا اليوم) فان الجؤار غير نافع لكم (انكم منا لاتنصرون) أي من جهتنا لايلحقكم نصر ومعونة (قدكانت آياتي تتلى عليكم) أي القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقرى والنكوص ان يرجع القهقرى وهوأقبح مشية لانه لايرى ماوراءه (مستكبرين) متكبرين على المسلمين حال من تنكصون (به) بالبيت

بزيادة عقاب أونقصان ثواب ﴿بل قلوبهم﴾ قلوب الكفرة ﴿في غمرة﴾ في غفلة غامرة لها ﴿من هذا﴾ من الذى وصف به هؤلاء أومن كتاب الحفظة ﴿ولهم اعمال﴾ خبيثة ﴿من دون ذلك﴾ متجاوزة لما وصفوا به اومتخطية عما هم عليه من الشرك ﴿هم لها عاملون﴾ معتادون فعلها ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم﴾ متنعميهم ﴿بالعذاب﴾ يعني القتل يوم بدر أوالجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة ﴿اذاهم يجأرون﴾ فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهوجواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب ﴿لاتجأروا اليوم﴾ فانه مقدر بالقول أي قيل لهم لاتجأروا اليوم ﴿انكم منا لاتنصرون﴾ تعليل للنهي أي لاتجأروا فانه لاينفعكم اذ لاتمنعون منا أولا يلحقكم نصرة ومعونة من جهتنا ﴿قدكانت آياتي تتلى عليكم﴾ يعني القرآن ﴿فكنتم على اعقابكم تنكصون﴾ تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى ﴿مستكبرين به﴾ الضمير

ولايزاد على سياتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى ﴿بل قلوبهم في غمرة﴾ أي غفلة وجهالة ﴿من هذا﴾ أي القرآن ﴿ولهم أعمال﴾ أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم ﴿من دون ذلك﴾ يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴿هم﴾ يعني الكفار ﴿لها﴾ أي لتلك الاعمال الخبيثة ﴿عاملون﴾ أي لابد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الازل من الشقاوة ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم﴾ أي رؤساءهم وأغنياءهم ﴿بالعذاب﴾ قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هوالجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف ﴿اذاهم يجأرون﴾ أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون ﴿لاتجأروا اليوم﴾ أي لاتجزعوا ولاتضجوا اليوم ﴿انكم منا لاتنصرون﴾ أي لاتمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم ﴿قدكانت آياتي تتلى عليكم﴾ يعني القرآن ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الايمان ﴿مستكبرين به﴾

ولايزاد على سيآتهم (بل قلوبهم) قلوب أهل مكة يعني أباجهل واصحابه (في غمرة) في جهالة وغفلة (من هذا) الكتاب ويقال من هذا القرآن (ولهم أعمال) مقدور ومكتوب عليهم (من دون ذلك) من دون ما أمرهم الله سوى الخير (هم لها عاملون) في الدنيا حتى أجلهم يامحمد (حتى اذا أخذنا مترفيهم) جبابرتهم ورؤساءهم يعني أباجهل بن هشام والوليد بن المغيرة المخزومي وعاص بن وائل السهمي وعتبة وشيبة وأصحابهم (بالعذاب) بالجوع سبع سنين (اذاهم يجأرون) يتضرعون قل لهم يامحمد (لاتجأروا) لاتتضرعوا (اليوم) من عذابنا (انكم منا) من عذابنا (لاتنصرون) لاتمنعون (قدكانت آياتي) القرآن (تتلى) تقرأ وتعرض (عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) الى دينكم الاول تميلون وترجعون (مستكبرين به) متعظمين بالبيت تقولون

او بالحرم لانهم يقولون لايظهر علينا آحد لانا آهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت آو بآياتى لانها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو يتعلق الباء بقوله (سامرا) تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسحرا والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهزيان تهجرون نافع من أهجر فى منطقه اذا أفحش (أفلم يدبروا القول) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) بل أجاءهم مالم يأت آباءهم الاولين فلذلك أنكروه واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق أى عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الابلج

للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره أو لآياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين أو لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله ﴿ سامرا ﴾ أى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر وسمارا ﴿ تهجرون ﴾ من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة أو الهذيان أى تعرضون عن القرآن أو تهذون فى شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ أى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ﴿ أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ﴾ من الرسول والكتاب أو من الامن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله وطاعوه ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم ﴾ بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ فهم له منكرون ﴾ دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا أو ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ارجحهم عقلا واثقبهم نظرا ﴿ بل جاءهم بالحق

قال ابن عباس أى بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أى مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس فى الخوف وقيل مستكبرين به أى بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول أظهر ﴿ سامرا ﴾ يعنى انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله ﴿ تهجرون ﴾ من الاهجار وهو الافحاش فى القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أى تهذون وتقولون مالا تعلمون ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ يعنى أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ﴾ يعنى فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾ قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والامانة ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ أى جنون وليس هو كذلك ﴿ بل جاءهم بالحق ﴾ أى بالصدق والقول الذى لا تخفى صحته وحسنه على عاقل

نحن أهله (سامرا) تقولون السمر حوله (تهجرون) تسبون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقرآن (أفلم يدبروا القول) أفلم يتفكروا فى القرآن وما فيه من الوعيد (أم جاءهم) من الامن والبراءة يعنى أهل مكة (مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم) نسب رسولهم (فهم له منكرون) جاحدون (أم يقولون) بل يقولون (به جنة) جنون (بل جاءهم بالحق) جاءهم محمد صلى الله

والصراط مستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه الى جنون (وأكثرهم للحق كارهون) وفيه دليل على ان أقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للايمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه كابى طالب (ولو اتبع الحق) أى الله (أهواءهم) فيما يعتقدون من الآلهة (لفسدت السموات والارض) كما قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذكر لان غيرهم تبع (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو شرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين الآية (فهم عن ذكرهم معرضون) بسوء اختيارهم (أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير) حجازى وبصرى وعاصم خرجا فخرج على وحمزة شامى خراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى يعنى أم تسئلهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام فحقيق

﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا لكراهته للحق ﴿ولو اتبع الحق اهواءهم﴾ بان كان فى الواقع آلهة شتى ﴿لفسدت السموات والارض ومن فيهن﴾ كما سبق تقريره فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة ﴿بل اتيناهم بذكرهم﴾ بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم او صيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ لا يلتفتون اليه ﴿أم تسألهم﴾ قيل انه قسيم قوله أم به جنة ﴿خرجا﴾ اجرا على اداء الرسالة ﴿فخراج ربك﴾ رزقه فى الدنيا او ثوابه فى العقبى ﴿خير﴾ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة ﴿وهو خير الرازقين﴾ تقرير لخيرية خراجه ﴿وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه

﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ قوله عز وجل ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أى لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون ﴿لفسدت السموات والارض ومن فيهن﴾ أى لفسد العالم ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن ﴿فهم عن ذكرهم﴾ أى شرفهم ﴿معرضون أم تسئلهم﴾ أى على ما جئتهم به ﴿خرجا﴾ أى أجرا وجعلا ﴿فخراج ربك خير﴾ أى ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير ﴿وهو خير الرازقين﴾ تقدم تفسيره ﴿وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ أى الى دين الاسلام

عليه وسلم بالقرآن والتوحيد والرسالة (وأكثرهم للحق) للقرآن (كارهون) جاحدون (ولو اتبع الحق أهواءهم) لو كان الاله بهواهم فى السماء (و) الهو فى الارض اله (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) من الخلق (بل أتيناهم بذكرهم) أنزلنا جبريل الى نبيهم بالقرآن فيه عزهم وشرفهم (فهم عن ذكرهم) عن شرفهم وعزهم (معرضون) مكذبون (أم تسألهم) يا محمد أهل مكة (خرجا) جعلا فلذلك لا يجيبونك (فخراج ربك) فثواب ربك فى الجنة (خير) أفضل مما لهم فى الدنيا (وهو خير الرازقين) أفضل المعطين فى الدنيا (وانك) يا محمد (لتدعوهم الى صراط مستقيم) دين قائم

أن يستحيوا لك (وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب (للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم يعمهون) يترددون يعنى

لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) استشهد على ذلك بانا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أى خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم أى وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان استفعل من الكون أى انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا يزيد (عليهم بابا ذا عذاب شديد) أى باب الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خيرو حاء أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد (قا و خا ٤٥ بع) ليستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فارؤى فيهم

يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة فى هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ماعدا كراهة الحق وقلة الفطنة ﴿وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ عن الصراط السوى ﴿لناكبون﴾ لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ يعنى القحط ﴿ للجوا ﴾ لثبتوا واللجاج التمادى فى الشئ ﴿ فى طغيانهم ﴾ افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين ﴿ يعمهون ﴾ عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ﴿ولقد اخذناهم بالعذاب﴾ يعنى القتل يوم بدر ﴿ فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله ﴿حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل ﴿اذا هم فيه مبلسون﴾ متحيرون آيسون من كل خير حتى

﴿ وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط ﴾ أى عن دين الحق ﴿ لناكبون ﴾ أى لعادلون عنه ومائلون ﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر ﴾ أى قحط وجدوبة ﴿للجوا﴾ أى لتمادوا ﴿فى طغيانهم يعمهون﴾ اى لم ينزعوا عنه ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل الله عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال أنهم قد أكلوا القد والعظام وشكا اليه الضر فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية ﴿ فما استكانوا لربهم ﴾ أى ماخضعوا وماذلوا لربهم ﴿ وما يتضرعون ﴾ أى لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم ﴿ حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد ﴾ قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة ﴿ اذا هم فيه مبلسون﴾ أى آيسون من كل خير

برضاه وهو الاسلام (وان الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (عن الصراط) عن دين الله (لناكبون) مائلون (ولو رحمناهم) يعنى أهل مكة (وكشفنا) رفعنا (ما بهم من ضر) من جوع (للجوا) لتمادوا (فى طغيانهم) فى كفرهم وضلالتهم (يعمهون) يمضون عمهة لايبصرون الحق والهدى (ولقد أخذناهم بالعذاب) بالجوع والقحط (فما استكانوا لربهم) فما خضعوا لربهم بالتوحيد (وما يتضرعون) لايؤمنون (حتى) أجلهم يا محمد (اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع (اذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير

لين مقادة وهم كذلك حتى اذا اغذبوا بتابه جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة) خصها بالذكر لانها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية مالايتعلق بغيرها (قليلا ماتشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم وأسماعكم فى آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيأ (وهو الذى ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (فى الارض واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذى يحيي ويميت) أى يحيي النسم بالانشاء ويميتها بالافناء (وله اختلاف الليل

والنهار) أى مجيء أحدهما عقيب الآخر واختلافهما فى الظلمة والنور أو فى الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره (أفلا تعقلون) فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) أى أهل مكة (مثل ماقال الاولون) أى الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) متنا نافع وحمزة وعلى وحفص (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) مجيء محمد (ان هذا الا اساطير الاولين) جمع

جاءك اعتاهم يستعطفك ﴿وهو الذى انشألكم السمع والابصار﴾ لتحسوا بها مانصب من الآيات ﴿والافئدة﴾ لتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية ﴿قليلا ماتشكرون﴾ تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك و ماصلة للتأكيد ﴿وهو الذى ذرأكم فى الارض﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل ﴿واليه تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ﴿وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ ويختص به تعاقبهما لايقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة أومجازا أولامره وقضائه تعاقبهما أوانتقاص احدهما وازدياد الآخر ﴿أفلاتعقلون﴾ بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها *وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين ﴿بل قالوا﴾ أى كفار مكة ﴿مثل ماقال الاولون﴾ آباؤهم ومن دان بدينهم ﴿قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين﴾ الا اكاذيبهم التى كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل

---

* قوله عزوجل ﴿وهو الذى أنشألكم السمع والابصار والافئدة﴾ أى لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا ﴿قليلا ماتشكرون﴾ أى لم تشكروا هذه النعم ﴿وهو الذى ذرأكم فى الارض﴾ أى خلقكم ﴿واليه تحشرون﴾ أى تبعثون ﴿وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ أى تدبير الليل والنهار فى الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان فى السواد والبياض ﴿أفلا تعقلون﴾ أى ماترون من صنعه فتعتبروا ﴿بل قالوا مثل ماقال الاولون﴾ أى كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه أنكروا البعث مثل ماأنكر الاولون مع وضوح الادلة ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ أى لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب ﴿لقد وعدنا نحن﴾ أى هذا الوعد ﴿وآباؤنا هذا من قبل﴾ أى وعد آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة ﴿ان هذا الا أساطير الاولين﴾ أى أكاذيب الاولين * قوله تعالى

(وهو الذى أنشألكم) خلق لكم ياأهل مكة (السمع) تسمعون به (والابصار) تبصرون بها (والافئدة) يعنى القلوب تعقلون بها (قليلا ماتشكرون) فشكركم فيما صنع اليكم قليل ياأهل مكة (وهو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم (وهو الذى يحيي) للبعث (ويميت) فى الدنيا (وله) (قل) اختلاف الليل والنهار) تقليب الليل والنهار وذهابهما ومجيئهما وزيادتهما ونقصانهما وظلمة الليل وضوء النهار كل هذا آية لكم بان الله يحيي الموتى (أفلا تعقلون) أفلا تصدقون بالبعث بعد الموت (بل قالوا) كذبوا بالبعث بعد الموت يعنى كفار مكة (مثل ماقال الاولون) مثل ما كذب الاولون بالبعث بعد الموت (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا) صرنا ترابا رميما (وعظاما) بالية (أئنا لمبعوثون) لمحيون بعد الموت (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) الذى تعدنا يامحمد (من قبل) من قبل ماوعدتنا (ان هذا) ماهذا الذى تقول يامحمد (الا أساطير الاولين) أحاديث الاولين

أسطار جمع سطر وهي ما كتبه الاولون مما لاحقيقة له وجمع أسطور أوفق ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام باقامة الحجة على المشركين بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوا (قل أفلا تذكرون) فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية أفلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلي وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به أو أفلا تتقون في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء (قل من بيده ملكوت كل شئ) والواو والتاء للمبالغة

فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر ﴿ قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل العلم أو من العالمين بذلك فيكون استهانة لهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال ﴿ سيقولون لله ﴾ لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها ﴿ قل ﴾ أي بعد ماقالوا ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على ايجادها ثانيا فان بدأ الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ فانها اعظم من ذلك ﴿ سيقولون لله ﴾ وقرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على مايقتضيه لفظ السؤال ﴿ قل أفلا تتقون ﴾ عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته ﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ ﴾ ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه ﴿ وهو يجير ﴾ يغيث من يشاء ويحرسه ﴿ ولا يجار عليه ﴾ ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ﴿ ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ فمن اين

فتنبئ عن عظم الملك (وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه احدا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) تخدعون عن الحق أو عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذا

﴿ قل ﴾ أي يا محمد لاهل مكة ﴿ لمن الارض ومن فيها ﴾ من الخلق ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أي خالقها ومالكها ﴿ سيقولون لله ﴾ أي لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد اذا أقروا بذلك ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أي فتعلموا ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ﴾ أي عبادة غيره وقيل معناه أفلا تحذرون عقابه ﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ ﴾ أي ملك كل شئ ﴿ وهو يجير ﴾ أي يؤمن من يشاء ﴿ ولا يجار عليه ﴾ أي لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمتنع منه من أراده بسوء ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أي فاجيبوا ﴿ سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ أي فأنى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم

في دهرهم وكذبهم (قل) لكفار مكة يا محمد (لمن الارض ومن فيها) من الخلق أجيبوا (ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل) لهم يا محمد (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون فتطيعون الله (قل) لهم أيضا يا محمد (من رب) خالق (السموات السبع ورب العرش العظيم) السرير الكريم (سيقولون لله) الله خلقها (قل) لهم يا محمد (أفلا تتقون) عبادة غير الله (قل) لهم أيضا يا محمد (من بيده ملكوت كل شئ) خزائن كل شئ (وهو يجير) يقضي (ولا يجار عليه) لا يقضى عليه ويقال هو يجير الخلق من عذابه ولا يجار عليه لا يجير احد أحدا من عذابه أجيبوا (ان كنتم تعلمون سيقولون لله) بيد الله بقدرة الله ذلك كله (قل) لهم يا محمد (فأنى تسحرون) من أين تكذبون على الله ويقال انظر يا محمد كيف يصرفون بالكذب ان قرأت بضم التاء

السؤال لمن وكذا الثانى والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لأنك اذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان لقول الشاعر

اذا قيل من رب المزالف والقرى * ورب الجياد الجرد قيل لخالد

أى لمن المزالف ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان (بل أتيناهم بالحق) بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) فى قولهم اتخذ الله ولدا ودعاءهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (مااتخذ الله من ولد) لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك فى الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بالذى خلقه فاستبد به ولتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر (ولعلى بعضهم

على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ولا يقال اذا لاتدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم) بالجر صفة لله وبالرفع مدنى وكوفى بر حفص خبر مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اماترينى مايوعدون)

تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة ﴿ بل آتيناهم بالحق ﴾ من التوحيد والوعد بالنشور ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ حيث انكروا ذلك ﴿ مااتخذ الله من ولد ﴾ لتقدسه عن مماثلة احد ﴿ وما كان معه من اله ﴾ يساهمه فى الالوهية ﴿ اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض ﴾ جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ماقبله عليه اى لوكان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب وظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ من الولد والشريك لماسبق من الدليل على فساده ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم فى انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه ﴿ فتعالى عما يشركون ﴾ بالفاء ﴿ قل رب اماترينى ﴾ ان كان لابد من ان ترينى لان ما والنون للتأكيد ﴿ مايوعدون ﴾ من العذاب فى الدنيا والآخرة

الحق باطلا ﴿ بل أتيناهم بالحق ﴾ أى بالصدق ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ أى فيما يدعون من الشريك والولد ﴿ مااتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ﴾ أى من شريك ﴿ اذا لذهب كل اله بما خلق ﴾ أى لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ماخلقه هو ﴿ ولعلى بعضهم على بعض ﴾ أى طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ويقدر على كل شئ ثم نزه نفسه تعالى فقال ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ أى من اثبات الولد والشريك ﴿ عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ أى تعظم من أن يوصف بما لا يليق به * قوله عز وجل ﴿ قل رب ﴾ أى يارب ﴿ اماترينى مايوعدون ﴾ أى ماوعدتهم من العذاب

(بل أتيناهم بالحق) أرسلنا جبريل الى نبيهم بالقرآن فيه أن ليس لله ولد ولا شريك (وانهم لكاذبون) فى قولهم (رب) ان الملائكة بنات الله (مااتخذ الله من ولد) من بنى آدم ولا بنات من الملائكة (وما كان معه من اله) من شريك (اذا) لوكان كما يقولون (لذهب كل اله بما خلق) الى نفسه فاستولى كل اله على ماخلق (ولعلى بعضهم على بعض) لغلب بعضهم على بعض (سبحان الله) نزه نفسه ويقال ارتفع وتبرأ (عما يصفون) يقولون من الكذب (عالم الغيب) ماغاب عن العباد ويقال مايكون (والشهادة) ماعلمه العباد ويقال ماكان (فتعالى) فتبرأ (عما يشركون) به من الاوثان (قل) يامحمد (رب) يارب (اماترينى مايوعدون) من

ماوالنون مؤكدان أى ان كان لابد من ان تريني ماتعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (رب فلا تجعلنى في القوم الظالمين) أى فلا تجعلنى قرينا لهم ولا تعذبنى بعذابهم عن الحسن رضى الله عنه أخبره الله ان له في أمته نقمة ولم يخبره متى وقتها فامر أن يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ماعلم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذقام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء فى فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وانا على أن نريك مانعدهم لقادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ماوعد ان تأملتم فاوجه هذا الانكار (ادفع بالتى) بالخصلة التى (هى أحسن السيئة) هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك أو الفحش بالسلام اوالمنكر بالموعظة وقيل وهى منسوخة بآية السيف وقيل محكمة اذ المداراة محثوث عليها مالم تؤد الى ثلم دين (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) من وساوسهم ونخساتهم والهمزة النخس والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصى كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشى (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه بالتعوذ من أن يحضروه أصلا أو عند تلاوة القرآن أو عند

﴿ رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين ﴾ قرينا لهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس أو لان شؤم الظلمة قد يحيق بما وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له فى امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار ﴿ وانا على ان نريك مانعدهم لقادرون ﴾ لكنا نؤخره علما بان بعضهم أو بعض اعقابهم يؤمنون أو لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ﴿ ادفع بالتى هى احسن السيئة ﴾ وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل ﴿ نحن اعلم بما يصفون ﴾ أى بما يصفونك به أو بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم ﴿ وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ﴾ وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصى بهمز الراضة الدواب على المشى والجمع للمرات اولتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه ﴿ واعوذ بك رب ان يحضرون ﴾ ويحوموا حولى فى شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القران وحلول

﴿ رب ﴾ أى يارب ﴿ فلا تجعلنى فى القوم الظالمين ﴾ أى لا تهلكنى بهلاكهم ﴿ وانا على أن نريك مانعدهم ﴾ أى من العذاب ﴿ لقادرون ادفع بالتى هى أحسن ﴾ أى بالخلة التى هى أحسن وهى الصفح والاعراض والصبر ﴿ السيئة ﴾ يعنى أذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف ﴿ نحن أعلم بما يصفون ﴾ أى يكذبون ويقولون من الشرك ✽ قوله عز وجل ﴿ وقل رب أعوذ بك ﴾ أى امتنع واعتصم بك ﴿ من همزات الشياطين ﴾ قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصى ﴿ وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ أى فى شئ من أمورى وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له ✽ عن جبير بن مطعم

العذاب (رب) يارب (فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) مع القوم الكافرين يوم بدر (وانا على أن نريك) يا محمد (مانعدهم) من العذاب يوم بدر (لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة) يقول ادفع بلا اله الا الله كلمة الشرك عن أبى جهل وأصحابه ويقال بالسلام كلمة القبيح عن نفسك (نحن أعلم بما يصفون) من الكذب (وقل رب أعوذ بك) اعتصم بك (من همزات) نزغات (الشياطين) التى يصرع بها الرجل (وأعوذ بك رب أن يحضرون) من ان يحضرونى يعنى الشياطين فى الصلاة وعند القراءة

النزع (حتى اذاجاء أحدهم الموت) حتى يتعلق بيصفون أى لايزالون يشركون الى وقت مجيء الموت اولايزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت ومابينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه منهم (قال رب ارجعون) أى ردونى الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) فى الموضع الذى تركت وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ماتمنى أن يرجع الى أهل ولاالى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط لعلى ساكنة الياء كوفى وسهل ويعقوب (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها كلمة) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لامحالة لايخليها ولايسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (ومن ورائهم) أى امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الى يوم يبعثون)

الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه ﴿ حتى اذا جاء احدهم الموت ﴾ متعلق بيصفون ومابينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون ﴿ قال ﴾ تحسرا على مافرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر ﴿ رب ارجعون ﴾ ردونى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل قفا واطرقا ﴿ لعلى اعمل صالحا فيما تركت ﴾ فى الايمان الذى تركته أى لعلى آتى بالايمان واعمل فيه وقيل فى المال اوفى الدنيا وعنه عليه السلام اذاعاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون ﴿ كلا ﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعادلها ﴿ انها كلمة ﴾ يعنى قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض ﴿ هو قائلها ﴾ لامحالة لتسلط الحسرة عليه ﴿ ومن ورائهم ﴾ امامهم والضمير للجماعة ﴿ برزخ ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ يوم

أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمرو لاأدرى أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ فى متن الحديث ونزيده ايضاحا قوله نفثه الشعر أى لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة الموتة الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم أخبر الله عزوجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى ﴿ حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ﴾ قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولا ثم رجع الى مسئلة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون ﴿ لعلى أعمل صالحا فيما تركت ﴾ أى ضيعت وقيل تركت أى منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لااله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ماتمنى ان يرجع الى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب ﴿ كلا ﴾ كلمة ردع وزجر أى لايرجع اليها ﴿ انها ﴾ يعنى مسألته الرجعة ﴿ كلمة هو قائلها ﴾ أى لاينالها ﴿ ومن ورائهم برزخ ﴾ أى من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز ﴿ الى يوم يبعثون ﴾

وعند الموت (حتى اذاجاء أحدهم) يعنى كفار مكة (الموت) يعنى ملك الموت وأعوانه لقبض روحهم (قال رب ارجعون) الى الدنيا (لعلى أعمل صالحا) واومن بك (فيما تركت) فى الذى تركت فى الدنيا وكذبت به (كلا) حقالا يرد الى الدنيا (انها) يعنى الرجعة (كلمة هو قائلها) يتكلم بها صاحبها ولا ﴿ معناه ﴾ تنفعه (ومن ورائهم) قدامهم (برزخ) يعنى القبر (الى يوم يبعثون) من القبور

ألم يردنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لماعلم ان لارجوع بعد البعث الا الى الآخرة (فاذا نفخ فى الصور) قيل انها النفخة الثانية (فلاانساب بينهم يومئذ) وبالادغام أبو عمرو لاجتماع المثلين وان كانا من كلمتين يعنى يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولايكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء

القيامة وهو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لماعلم انه لارجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة ﴿فاذا نفخ فى الصور﴾ لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيدان الصور ايضا جمع الصورة ﴿فلا انساب بينهم﴾ تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه أو يفتخرون بها ﴿يومئذ﴾ كما يفعلون اليوم ﴿ولا يتساءلون﴾ ولايسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لايناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ موزونات عقائده واعماله اى ومن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر ﴿فاولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالنجاة والدرجات ﴿ومن خفت موازينه﴾ اى ومن لم يكن له مايكون له وزن وهم الكفار لقوله فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴿فاولئك الذين خسروا انفسهم﴾ غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها ﴿فى جهنم خالدون﴾ بدل من الصلة أو خبر ثان لاولئك ﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا

معناه ان بينهم وبين الرجعة حجابا ومانعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم انه لارجعة يوم البعث الا الى الآخرة ✽ قوله تعالى ﴿فاذا نفخ فى الصور فلاانساب بينهم﴾ قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض فلا أنساب بينهم ﴿يومئذ ولا يتساءلون﴾ ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلاأنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلاأنساب بينهم أى لايتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون فى الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا من أنت ومن أى قبيلة أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع ✽ فان قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال فى موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ✽ قلت قال ابن عباس ان للقيامة أحوالا ومواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون افاقة فيتساءلون ✽ قوله عز وجل ﴿فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا﴾ أى غبنوا ﴿أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح﴾ أى تسفع وقيل تحرق ﴿وجوههم النار﴾

من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا لان كلا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيامة مواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهى الموزونات من الاعمال الصالحة التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا (فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه) بالسيئات والمراد الكفار (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) أى تحرق (وجوههم النار

(فاذا نفخ فى الصور) نفخة البعث (فلاانساب بينهم) فلانفع بينهم بالنسب (يومئذ) يوم القيامة (ولا يتساءلون) عن ذلك (فمن ثقلت موازينه) ميزانه من الحسنات (فأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (ومن خفت موازينه) ميزانه من الحسنات (فأولئك الذين خسروا) غبنوا (أنفسهم فى جهنم خالدون) مقيمون دائمون لايموتون ولايخرجون منها (تلفح وجوههم النار) تضرب

وهم فيها كالحون)عابسون فيقال لهم(ألم تكن آياتى) أى القرآن (تتلى عليكم) فى الدنيا (فكنتم بها تكذبون) تزعمون أنها ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا) ملكتنا (شقوتنا) شقاوتنا حمزة وعلى وكلاهما مصدر أى شقينا بأعمالنا السيئة التى عملناها وقول أهل التأويل

غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذى علم انه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا فى الفعل وهذا لانهم انما يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط فى أمره فلا يحمل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنا قوما ضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنا منها) أى من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسؤا فيها) اسكتوا اسكوت ذلة وهوان (ولا تكلمون) فى رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير أن يحضرون ارجعون ولا تكلمون بالياء فى الوصل والوقف

﴿ وهم فيها كالحون ﴾ من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان ٭ وقرئ كلحون ﴿ ألم تكن آياتى تتلى عليكم ﴾ على اضمار القول اى يقال لهم الم تكن ﴿ فكنتم بها تكذبون ﴾ تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائى شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة ﴿ وكنا قوما ضالين ﴾ عن الحق ﴿ ربنا اخرجنا منها ﴾ من النار ﴿ فان عدنا ﴾ الى التكذيب ﴿ فانا ظالمون ﴾ لانفسنا ﴿ قال اخسؤا فيها ﴾ اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ﴿ ولا تكلمون ﴾ فى رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا الى اجل قريب فيجابون أولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسأوا فيها ثم

وهم فيها كالحون ﴾ أى عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوى على النار ٭ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب ٭ قوله تعالى ﴿ ألم تكن آياتى تتلى عليكم ﴾ يعنى قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها ﴿ فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ أى التى كتبت علينا فلم نهتد ﴿ وكنا قوما ضالين ﴾ أى عن الهدى ﴿ ربنا اخرجنا منها ﴾ أى من النار ﴿ فان عدنا ﴾ أى لما تكره ﴿ فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ﴾ أى ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ ﴿ ولا تكلمون ﴾ أى فى رفع العذاب فانى لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو ان أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فايئس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق ذكره البغوى بغير سند وأخرجه الترمذى بمعناه عن أبى الدرداء ٭ قوله فما يئس القوم بعد ذلك بكلمة أى سكتوا ولم تكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم

وجوههم وتحرق عظامهم وتأكل لحومهم النار (وهم فيها) فى النار (كالحون) وكلحهم سواد وجوههم وزرقة أعينهم (ألم تكن) يقول الله لهم ألم تكن (آياتى) القرآن (تتلى عليكم) فى الدنيا

(فكنتم بها) بالآيات (تكذبون) تجحدون (قالوا) الكفار وهم فى النار (ربنا) يا ربنا (غلبت علينا شقوتنا) التى (انه) كتبت علينا فى اللوح المحفوظ فلم نؤمن (وكنا قوما ضالين) كافرين (ربنا) يا ربنا (أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى الكفر (فانا ظالمون) على أنفسنا (قال) الله لهم (اخسؤا فيها) اصغروا فى النار (ولا تكلمون) لا تسألونى الخروج

يعقوب وغيره بلاياء(انه) ان الامر والشأن (كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) مفعول ثان وبالضم مدنى وحمزة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر الأن فى ياء النسبه مبالغة قيل هم الصحابة رضى الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى انسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) بصبرهم

(انهم) أى لانهم (هم الفائزون) ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا أى جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى اثنين وجزاهم بما صبروا جنة انهم حمزة وعلى على الاستئناف أى انهم هم الفائزون لا أنتم (قال) أى الله او المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مكى وحمزة وعلى أمر المالك ان يسألهم (كم لبثتم فى الارض) فى الدنيا (عدد سنين) أى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولماهم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر مامر عليه من ايام الدعة (فاسئل العادين) أى

لايكون لهم فيها الازفير وشهيق وعواء ﴿انه﴾ ان الشأن وقرئ بالفتح اى لانه ﴿كان فريق من عبادى﴾ يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا﴾ هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية ﴿حتى انسوكم ذكرى﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى اوليائى ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ استهزاء بهم ﴿انى جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على اذاكم ﴿انهم هم الفائزون﴾ فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئنافا ﴿قال﴾ اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك أو لبعض رؤساء اهل النار ﴿كم لبثتم فى الارض﴾ أحياء اوامواتا فى القبور ﴿عدد سنين﴾ تمييز لكم ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ استقصار لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار أو لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار أو لانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم ﴿فاسئل العادين﴾ الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها أو الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون مانقول والعادين أى القدماء المعمرين

﴿انه كان فريق من عبادى﴾ يعنى المؤمنين ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا﴾ أى تسخرون منهم وتستهزؤن بهم ﴿حتى انسوكم ذكرى﴾ أى انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكرى ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ نزل فى كفار قريش كانو يستهزؤن بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله ﴿انى جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ أى على اذاكم واستهزائكم فى الدنيا ﴿انهم هم الفائزون﴾ أى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة ﴿قال﴾ يعنى ان الله قال للكفار يوم البعث ﴿كم لبثتم فى الارض﴾ أى فى الدنيا وفى القبور ﴿عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ معناه انهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا لعظم ماهم بصدده من العذاب ﴿فاسئل العادين﴾ يعنى الملائكة الذين يحفظون أعمال بنى آدم ويحصونها

من النار (انه كان فريق) طائفة (من عبادى) المؤمنين (يقولون ربنا) يا ربنا (آمنا) بك وبكتابك ورسولك (فاغفر لنا) ذنوبنا (وارحمنا) فلا تعذبنا (قا و خا ٤٦ بع) (وأنت خير الراحمين) أنت أرحم علينا من الوالدين (فاتخذتموهم سخريا) استهزاء (حتى أنسوكم ذكرى) حتى شغلكم ذلك عن توحيدى وطاعتى (وكنتم منهم تضحكون) عليهم تستهزؤن (انى جزيتهم اليوم) الجنة (بما صبروا) على طاعتى وعلى أذاكم (انهم هم الفائزون) فازوا بالجنة ونجوا من النار نزلت هذه الآية فى أبى جهل وأصحابه لاستهزائهم على سلمان واصحابه (قال) الله لهم (كم لبثتم) مكثتم (فى الارض) فى القبور (عدد سنين) الشهور والايام (قالوا لبثنا يوما) ثم شكوا فى ذلك فقالوا (أو بعض يوم) ثم قالوا لاندرى ذلك (فاسئل العادين) الحفظة

الحساب أو الملائكة الذين يعدون اعمار العباد واعمالهم فسل بلا همز مكي وعلى (قال ان لبثتم الا قليلا) أي ما لبثتم الا زمنا قليلا أو لبثا قليلا (لو انكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى في تقالهم لسنى لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليه قل ان حمزة وعلى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) حال أي عابثين أو مفعول له أي للعبث (وانكم الينا لا ترجعون) وبفتح التا وكسر الجيم حمزة وعلى ويعقوب وهو معطوف على انما خلقناكم أو على عبثا أي للعبث ولنترككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار

التكليف الى دار الجزاء * فنثيب المحسن ونعاقب المسيء (فتعالى الله) عن ان يخلق عبثا (الملك الحق) الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان) أي لا حجة (له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقوله من أحسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فان الله مثيبه أو صفة لازمة جيء بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لا ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان

فانهم ايضا يستقصرون ﴿ قال ﴾ وفى قراءة الكوفيين قل ﴿ ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون ﴾ تصديق لهم في مقالهم ﴿ أفحسبتم انما خلقناكم عبثا ﴾ توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اى انا لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث ﴿ وانكم الينا لا ترجعون ﴾ معطوف على انما خلقناكم أو عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال ﴿ لا اله الا هو ﴾ فان ما عداه عبيد ﴿ رب العرش الكريم ﴾ الذى يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم اولنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة لرب ﴿ ومن يدع مع الله الها آخر ﴾ يعبده افرادا أو اشراكا ﴿ لا برهان له به ﴾ صفة اخرى لا له لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك

عليهم ﴿ قال ان لبثتم ﴾ أي ما لبثتم في الدنيا ﴿ الا قليلا ﴾ سماه قليلا لان المرء وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة ﴿ لو انكم كنتم تعلمون ﴾ أي قدر لبثكم في الدنيا * قوله عز وجل ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ أي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة أوامر الله عز وجل ﴿ وأنكم الينا لا ترجعون ﴾ أي في دار الآخرة للجزاء روى البغوى بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أي هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات ﴿ لا اله الا هو رب العرش الكريم ﴾ أي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات ﴿ ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ﴾ أي لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في

ويقال ملك الموت وأعوانه (قال) الله لهم (ان لبثتم) ما مكثتم في القبور (الا قليلا) عند مكثكم في النار (لو أنكم كنتم تعلمون) ذلك يقول ان كنتم تصدقون قولي ويقال يقول الله لهم لو انكم ان كنتم في الدنيا تعلمون تصدقون أنبيائي اذا لعلمتم ان لبثتم ما مكثتم في القبور الا قليلا (دعوى) مقدم ومؤخر (أفحسبتم) أفظننتم يا أهل مكة (أنما خلقناكم عبثا) هملا بلا أمر ولا نهى ولا ثواب ولا عقاب (وأنكم الينا لا ترجعون) بعد الموت (فتعالى الله) ارتفع وتبرأ عن الولد والشريك (الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) السرير الحسن (ومن يدع) يعبد (مع الله الها آخر) من الاوثان (لا برهان له به) لا حجة له مما

(فانما حسابه)أى جزاؤه وهذا جزاء الشرط(عندربه) أى فهو يجازيه لا محالة(انه لايفلح الكافرون)جعل فاتحة السورة قدأفلح المؤمنون وخاتمتها انه لايفلح الكافرون فشتان مابين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وانت خيرالراحمين) لان رحمته اذا أدركت أحدا اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لاتغنيه عن رحمته

﴿سورة النور مدنية وهى ستون وأربع آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾(سورة)خبر مبتدأ محذوف أى هذه السورة (أنزلناها)صفة لها وقرأ طلحة سورة على زيدا ضربته أو على أتل سورة والسورة الجامعة لجمل آيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها)أى فرضنا أحكامها التى فيها واصل الفرض{سورة النور} القطع أى جعلناها مقطوعا بها وبالتشديد مكى وابو عمرو للمبالغة فى الايجاب وتوكيد أو لان فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى دلائل واضحات (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا وبتخفيف الذال حمزة وعلى وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزانى) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أى فيما فرض عليكم الزانية والزانى أى جلدهما أو الخبر فاجلدوا أو دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط وتقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرأ عيسى ابن عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر

﴿فانما حسابه عند ربه﴾ فهو مجازله مقدار ما يستحقه ﴿انه لايفلح الكافرون﴾ ان الشأن وقرئ بالفتح على التعليل أو الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال ﴿وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين﴾ * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت * وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر * وروى ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم

﴿سورة النور مدنية وهى ثنتان او اربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة﴾ أى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة ﴿انزلناها﴾ صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل أو دونك أو نحوه ﴿وفرضناها﴾ وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة فى ايجابها ﴿وانزلنا فيها آيات بينات﴾ واضحات الدلالة ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال ﴿الزانية والزانى﴾ اى فيما فرضنا

دعوى الشرك ﴿فانما حسابه﴾ أى جزاؤه ﴿عند ربه﴾ أى هو مجازيه بعمله ﴿انه لايفلح الكافرون﴾ أى لا يسعد من جحد وكذب ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾

﴿تفسير سورة النور وهى مدنية وهى اثنتان وقيل اربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ أى أوجبنا ما فيها من الاحكام وألزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ أى واضحات ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى تتعظون * قوله تعالى ﴿الزانية والزانى

يعبد من دون الله (فانما حسابه) عذابه (عند ربه) فى الآخرة (انه لايفلح) لا يأمن ولا ينجو (الكافرون) من عذاب الله (وقل) يا محمد (رب اغفر) تجاوز عن أمتى (وارحم) أمتى فلا تعذبهم (وأنت خير الراحمين) أرحم الراحمين ﴿ومن السورة التى يذكر فيها النور وهى كلها مدنية آياتها أربع وستون آية وكلماتها ألف وثلاثمائة وستة عشر وحروفها خمسة آلاف وتسعمائة وثمانون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سورة أنزلناها) يقول أنزلنا جبريل بها برد الهاء اليها (وفرضناها) بينا فيها الحلال والحرام (وأنزلنا فيها) بينا فيها (آيات بينات) بالامر والنهى والفرائض والحدود (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا بالامر والنهى فلا تعطلوا الحدود (الزانية والزانى) وهما بكران زنيا

(فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه لايبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطا للائمة لان اقامة الحد من الدين وهي على الكل الا انهم لايمكنهم الاجتماع فينوب الا منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن اذ حكم المحصن الرجم وشرائط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لان الفاء انما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافى والتغريب المروى منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والاذى فى قوله فامسكوهن فى البيوت وقوله فآذوهما بهذه الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رحمة والفتح لغة وهى قراءة مكى وقيل الرأفة فى دفع المكروه والرحمة فى ايصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ولا يأخذهم اللين فى استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (فى دين الله) أى فى طاعة الله أو حكمه (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج وألهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر أى فاجلدوا

اوانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر ﴿ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئتا بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية مايدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا أو مردودا وله فى العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذى يقتص له من المسلم ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة ﴾ رحمة ﴿ فى دين الله ﴾ فى طاعته واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها * وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وحدوده

فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة فى وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان فى الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا أى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أى الزانية والزانى مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة التغريب الى رأى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المرأة ولا تغرب وان كان الزانى محصنا فعليه الرجم ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة ﴾ أى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وقيل معنى الرأفة ان تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرية أى القذف ويخفف فى حد الشرب وقيل يجتهد فى حد الزنا ويخفف دون ذلك فى حد الفرية ويخفف دون ذلك فى حد الشرب ﴿ فى دين الله ﴾ أى فى حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال يا بنى ان الله لم يأمرنى بقتلها وقد ضربت فاوجعت ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ معناه ان المؤمن لا تأخذه الرأفة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج وألهاب التغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود

(فاجلدوا كل واحد منهما) بالزنا (مائة جلدة) سوط (ولا تأخذكم بهما) باقامة الحد عليهما (رأفة) رقة (فى دين الله) فى تنفيذ حكم الله عليهما (ان كنتم) اذ كنتم (تؤمنون بالله واليوم الآخر) بالبعث { وليشهد }

ولاتعطلوا الحد (وليشهدعذابهما) وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجروا وأقلها ثلاثة أوأربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول شئ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة الى اربعين رجلا (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني لاينكح الازانية أومشركة والزانية لاينكحها الازان أومشرك) أي الخبيث الذي من شأنه الزنا لايرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في خبيثة من شكله أوفي مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لايرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أوالمشركين فالآية تزهيد في نكاح البغايا اذ الزنا عديل الشرك في القبح والايمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما في أول الاسلام ثم نسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير الزاني يستقذر الزانية ولايشتهيها وهو صحيح لكنه يقتضي اذا قولك الزاني لايزني الابزانيـة والزانية لايزني بها الازان وسئل صلى الله عليه وسلم عمن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال اوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر

ومعنى الثانيـة صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا لان تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ماجنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لانها لولم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه الخاطب ومنه بدء الطلب وقرئ لاينكح بالجزم على النهي وفي المرفوع أيضا معنى النهي ولكن أبلغ وآكد ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهما جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لايدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها (وحرم ذلك على المؤمنين) أي الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا أو لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة

وهو من باب التهييج ﴿ وليشهد عـذابهما طـائفة من المؤمنين ﴾ زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شئ من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد أواثنان والمراد جمع يحصل به التشهير ﴿ الزاني لاينكح الازانية أومشركة والزانية لاينكحها الازان أومشرك ﴾ اذ الغالب ان المائل الى الزنا لايرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لايرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لاتنكح الامن زان أومشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك

﴿ وليشهد ﴾ أي وليحضر ﴿ عذابهما ﴾ أي حدهما اذا أقيم عليهما ﴿ طائفة ﴾ أي نفر ﴿ من المؤمنين ﴾ قيل أقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا ﴿ قوله عز وجل ﴿ الزاني لاينكح الازانية أومشركة والزانية لاينكحها الازان أومشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون

بعد الموت (وليشهد عذابهما) وليحضر عند اقامة الحد عليهما (طائفة من المؤمنين) رجلا أو رجلان فصاعدا لكي يحفظوا الحد (الزاني) من أهل الكتاب المعلن به (لاينكح) لايتزوج (الازانية) من ولائد أهل الكتاب (أومشركة) من ولائد مشركي العرب (والزانية) من ولائد أهل الكتاب أومن ولائد المشركين (لاينكحها) لايتزوجها (الازان) من أهل الكتاب (أومشرك) من مشركي العرب (وحرم ذلك) التزويج يعني تزويج ولائد أهل الكتاب وولائد احرار المشركين (على المؤمنين) نزلت هذه الآية في قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يتزوجوا ولائد أهل الكتاب وولائد أحرار المشركين كن بالمدينة زناة معلنات بالزنا راغبة في كسبهن فلما نزلت هذه الآية تركوا ذلك ويقال الزاني من أهل القبلة أو من أهل الكتاب لاينكح لايزني الازانية الا بزانية مثلها أو من أهل الكتاب أومشركة من مشركي العرب والزانية من أهل القبلة او من أهـل الكتاب او من مشركي العرب لاينكحها لايزني بها الازان من أهل القبلة او من أهل الكتاب أو مشرك من مشركي العرب وحرم ذلك الزنا على المؤمنين

من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه اومنسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤل الى نهي الزاني

المدينة وفيهم فقراء لامال لهم ولاعشائر وفي المدينة نساء بغايا هن أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات و هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفهن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فانزل الله عزوجل هذه الآية و روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أنكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيأ فنزلت الزاني لاينكح الا زانية اومشركة والزانية لاينكحها الا زان أومشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبوداود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لايزني الابزانية أومشركة والزانية لاتزني الا بزان أومشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امرأتي لاتمنع يد لامس فقال طلقها قال اني أحبها و هي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث أبوداود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت و روى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الآية ان الفاجر الخبيث لايرغب في نكاح الصالحة من النساء وانما يرغب في نكاح

لزوانى والقحاب (والذين يرمون المحصنات) وبكسر الصاد على اى يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلفات والقذف
يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بان يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزوانى ولاشتراط

عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزنى بها الا زان وهو فاسد ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهداء بقوله ﴿ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ والقذف بغيره مثل يافاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أو لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة وليكن ضربه اخف من ضرب الزانى لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة﴾ اى شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم فى القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده ﴿ابدا﴾ مالم يتب وعند ابى حنيفة الى آخر عمره ﴿واولئك هم الفاسقون﴾ المحكوم بفسقهم ﴿الا الذين تابوا

اربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أى ثم لم يأتوا باربعة شهود يشهدون على الزنا لان القذف بغير الزنا بان يقول يافاسق يا آكل الربا يكفى فيه شاهدان وعليه التعزير وشروط احصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة فى وجوب حد القذف (فاجلدوهم ثمانين جلدة) ان كان القاذف حرا ونصب ثمانين نصب المصادر كما نصب مائة جلدة وجلدة نصب على التمييز (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) نكر شهادة فى موضع النفى فتعم كل شهادة ورد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد أو بعضه على ماعرف وعند الشافعى رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فعندنا جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد ورد الشهادة على التأبيد وهو مدة حياتهم (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل فى حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله (الا الذين تابوا

فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب فى نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب فى نكاح فاسق خبيث مثلها أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أى صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزوانى وترك الرغبة فى الصالحات العفائف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية * قوله تعالى ﴿والذين يرمون﴾ أى يقذفون بالزنا ﴿المحصنات﴾ يعنى المسلمات الحرائر العفائف ﴿ثم لم يأتوا باربعة شهداء﴾ أى يشهدون على الزنا ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ بيان حكم الآية ان من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يا زانى أو يا زانية أو زنيت فيجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حرا وان كان عبدا يجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى فى عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر ويا خبيث أو يا مؤاجر أو قال امرأتى لا ترديد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا الا أن يريد ذلك وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فازنيت أو ليست امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعى وأبى حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال أحمد هو قذف فى حال الغضب دون حال الرضا * وقوله تعالى ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفاسق لا يقع الا على صاحب كبيرة ﴿الا الذين تابوا

(والذين يرمون المحصنات) يقذفون الحرائر المسلمات العفائف بالفرية (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أحرار عدول مسلمين (فاجلدوهم) بالفرية (ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) العاصون بالفرية (الا الذين تابوا

من بعد ذلك ﴾ عن القذف ﴿ واصلحوا ﴾ اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذا الامر ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ علة للاستثناء ﴿ والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم ﴾ نزلت في هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على ان الا بمعنى غير ﴿ فشهادة احدهم اربع شهادات ﴾ قالواجب شهادة احدهم أو فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة ﴿ بالله ﴾ متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها ﴿ انه لمن الصادقين ﴾ أي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا

من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾ اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان ابن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل أن يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردونها في أحسن حاليه وتقبلونها في شر حاليه وذهب الشافعي الى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا قلت معنى أبدا ما دام مصرا على القذف لان أبد كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا يراد بذلك ما دام على كفره فاذا أسلم قبلت شهادته ● قوله عز وجل ﴿ والذين يرمون ﴾ أي يقذفون ﴿ أزواجهم ولم يكن لهم شهداء ﴾ أي يشهدون على صحة ما قالوا ﴿ الا أنفسهم ﴾ اي غير انفسهم ﴿ فشهادة أحدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ﴾ سبب نزول هذه الآية ما روي عن سهل بن سعد الساعدي ان عويمرا العجلاني جاء الى عاصم بن عدي فقال العاصم

بالجملة الثانية أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم ● ولما ذكر حكم قذف الاجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (والذين يرمون أزواجهم) اي يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) اي لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (الا أنفسهم) يرتفع على البدل من شهداء (فشهادة أحدهم أربع) بالرفع كوفي غير أبي بكر على انه خبر والمبتدأ فشهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة أحدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا

من بعد ذلك) من بعد القرية (وأصلحوا) فيما بينهم وبين ربهم (فان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة نزلت هذه الآية من أولها الى ههنا في شأن عبد الله بن أبي وأصحابه (والذين يرمون أزواجهم)

ارأيت لوان رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال ياعاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتنى بخير قدكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التى سألت عنها فقال عويمر والله لاأنتهى حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يارسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يارسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه فى الصحيحين زاد فى رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه * قوله اسحم اى اسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها * وقوله خدلج الساقين اى ممتلئ الساقين غليظهما * وقوله كأنه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالارض ، واراد بها فى الحديث المبالغة فى قصره (خ) عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امرأته عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم البينة اوحد فى ظهرك فقال يارسول الله اذا رأى أحد على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد فى ظهرك فقال هلال بن أمية والذى بعثك بالحق انى لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهرى من الحد فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاآ فقام هلال بن أمية فشهد والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لاأفضح قومى سائر اليوم فمضت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا مامضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن وفى رواية غير البخارى عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لى ان أهيجه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتى بأربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت مارأيت ان فى ظهرى لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿والخامسة﴾ والشهادة الخامسة ﴿ان لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت

(والخامسة) لاخلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والتقدير والشهادة الخامسة (ان لعنت الله عليه) فهي مبتدأ وخبر (ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا

(والخامسة ان لعنت الله عليه) وفي المرة الخامسة يقول لعنة الله على الرجل (ان كان من الكاذبين) فيما قال عليها

يامعشر الانصار ألا تسمعون مايقول سيدكم قالوا لاتلمه فانه رجل غيور ماتزوج امرأة قط الابكرا ولاطلق امرأة له واجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يارسول الله بابي أنت وأمي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فامسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يارسول الله اني جئت الى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يارسول الله اني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الاحقا واني لأرجو أن يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فبينما هم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر ياهلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يارسول الله قد صدقت وماقلت الاحقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة ياهلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لايعذبني الله عليها كما لم يحدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد ﴿والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لاأفضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولايدعى لاب ولايرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به

حدالزنا على المرأة لقوله ﴿ ويدرأ عنها العذاب ﴾ أى الحد ﴿ ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ﴾ فيما رماها به ﴿ والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾

غلاما كأنه جل أورق على الشبه المكروه وكان أميرا بمصر لايدرى من أبوه الاورق هو الابيض وروى ابن عباس ان عويمرا لما لاعن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودى الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية أشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة أشهد بالله انها لحبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال فى الرابعة أشهد بالله انى ماقربتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومى فقامت فقالت أشهد بالله ماأنا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت فى الثانية أشهد بالله انه مارأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الثالثة اشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الرابعة اشهد بالله انه مارآنى قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الخامسة غضب الله على خولة تعنى نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لى فى أمرهما رأى ثم قال تحينوا الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذى رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق بشريك ❁ بيان حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الاجنبية وجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف أجنبيا أو اجنبية يقام عليه الحد الا أن يأتى باربعة يشهدون بالزنا أو يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفى الزوجة اذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه الحد فاللعان فى قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا ربما لايمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترفت هى بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه واذا أراد الامام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله انى لمن الصادقين فيما رميت به زوجتى فلانة من الزنا وان كان قذفها برجل بعينه سماه فى اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الحمل لمن الزنا ماهو منى ويقول فى الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة من كلمات من غير تلقين الامام لاتحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج ❁ قوله عز وجل ﴿ ويدرأ ﴾ أى يدفع ﴿ عنها العذاب ﴾ أى الحد ﴿ ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾ حكم الآية ان الزوج اذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا فان أرادت

شهادات بالله انه) ان الزوج (لمن الكاذبين) فيما رمانى به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان) أى الزوج (من الصادقين) فيما رمانى به من الزنا ونصب حفص الخامسة عطفا على أربع شهادات وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله خبره وخفف نافع ان لعنت الله وان غضب الله بكسر الضاد وهما فى حكم المثقلة وان غضب الله سهل ويعقوب وحفص وجعل الغضب فى جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جرى اللعن على ألسنتهن وسقوط وقوعه عن قلوبهن فذكر الغضب فى جانبهن ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالايمان مقرونة باللعن قائمة مقام

(ويدرأ) يعنى يدفع الحاكم (عنها العذاب) عن المرأة العذاب بالرجم (أن تشهد أربع شهادات بالله) اذا حلفت المرأة أربع مرات بالله الذى لا اله الا هو (انه) يعنى زوجها (لمن الكاذبين) فيما قال عليها (والخامسة أن غضب الله عليها) على المرأة (أن كان) زوجها (من الصادقين) فيما يقول عليها

في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء ومابعدها الخبر أو بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان لعنة الله و ان غضب الله بتخفيف النون فيهما ورفع التاء وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ﴾ متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ﴿ ان الذين جاؤا بالافك ﴾ بابلغ مايكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها وذلك انه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول

اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة على غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الاحدا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأى لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخرين اللعان حجة صدقه وا لقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبى اذا قعد عن اقامة البينة وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفى النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تأبيد التحريم وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا أكذب نفسه جاز له أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة اذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان اوعبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثورى والشافعي وأكثر أهل العلم وقال الزهرى والاوزاعى وأصحاب الرأى لا يجرى اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان أحد الزوجين رقيقا أو ذميا أو محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجرى اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم أو نائبه ويغلظ اللعان باربعة اشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر جماعة من الناس أما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشئ منها وأما المكان فهو ان يلاعن في أشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر وأما الجمع فأقله أربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان * قوله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ أى لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان ﴿ وان الله تواب ﴾ أى يعود على من يرجع عن المعاصى بالرحمة ﴿ حكيم ﴾ أى فيما فرضه من الحدود * قوله عز وجل ﴿ ان الذين جاؤا بالافك

قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا التعنا كما بين في النهر لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضي بينهما وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة بائنة وعند أبي يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد ونزلت آية اللعان في هلال ابن امية اوعويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتي خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبي صلى الله عليه وسلم بينهما (ولولا فضل الله) تفضله (عليكم ورحمته) نعمته (وان الله تواب حكيم) جواب لولا محذوف أي لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ مايكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى عنها قالت عائشة فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو

(ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته) لبين الكاذب منكم (وأن الله تواب) متجاوز لمن تاب (حكيم) حكم اللعان بين المرأة والرجل بالقرينة نزلت هذه الآية في عاصم بن عدى الانصارى ابتلى بهذا (ان الذين جاؤا بالافك) تكلموا بالكذب (عصبة)

بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان ابن المعطل السلمى رضى الله عنه قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به ﴿ عصبة منكم ﴾ جماعة منكم وهى من العشرة الى

عصبة منكم ﴾ الآيات سبب نزولها ماروى عن ابن شهاب قال حدثنى عروة ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ماقالوا وكلهم حدثنى طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيها خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل فى هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان ابن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا معرسين وفى رواية موغرين فى نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك وأشعر بشئ من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أرى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع

بعدما نزلوا فهلك فى من هلك فاعتللت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبى أم مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها فاخبرتنى بالافك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند أبوى لا يرقألى دمع وما اكتحل بنوم وهما يظنان ان الدمع فالق كبدى حتى قال عليه الصلاة والسلام ابشرى ياحميراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك (عصبة) جماعة من العشرة الى الاربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبى رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم (منكم) من جماعة المسلمين وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين

(عصبة) جماعة (منكم) نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وحسان بن ثابت الانصارى ومسطح ابن اثاثة ابن خالة أبى بكر الصديق وعباد بن عبد المطلب وحمنة بنت جحش الاسدية فيما قالوا على عائشة وصفوان بن المعطل من الفرية

الاربعين وكذلك العصابة يريدعبدالله بن ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح ابن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبر ان وقوله

وهى متبرزنا وكنا لانخرج الاليلا الى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نمشى فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت ياهنتاه أولم تسمعى ماقال قلت وماقال فاخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت له أتأذن لى أن آتى أبوى قالت وأنا حينئذ أريد ان أتيقن الخبر من قبلهما فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت أبوى فقلت لامى يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يابنية هونى على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقألى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله قالت فاما أسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يارسول الله ولانعلم والله الاخيرا وأما على بن أبى طالب فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك من عائشة قالت له بريرة لاوالذى بعثك بالحق ان رأيت منها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتى الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبى ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى وفى رواية فى أهل بيتى فوالله ماعلمت على أهلى الاخيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الاخيرا وماكان يدخل على أهلى الا معى قالت فقام سعد بن معاذ أحد بنى عبد الاشهل فقال أنا أعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعنى ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى

الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومى ذلك لايرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتى المقبلة لايرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندى أبواى وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن ان البكاء فالق كبدى قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى اذا استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى فبينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى ماقيل قبلها وقد مكث شهرا لايوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة وقلت لابى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ماأدرى ما أقول لرسول الله فقلت لامى أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ماأدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لاأقرأ كثيرا من القرآن انى والله لقد علمت انكم سمعتم ماتحدث به الناس حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لاتصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله ماأجدلى ولكم مثلا الا أبا يوسف اذقال فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا والله حينئذ أعلم انى بريئة وان الله مبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله فى شأنى وحيايتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بامر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولاخرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى أنزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها أن قال لى ياعائشة احمدى الله وفى رواية قال أبشرى ياعائشة اما الله فقد برأك فقالت لى أمى قومى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لاوالله لاأقوم اليه ولاأحمد الاالله هو الذى أنزل براءتى قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات فانزل الله عز وجل هذه الآيات فى براءتى قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه و فقره والله لا أنفق عليه شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة فانزل الله ولايأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح الذى كان يجرى عليه وقال والله لاانزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يازينب ماعلمت أومارأيت فقالت يارسول الله أحمى سمعى

وبصرى والله ماعلمت عليها الاخيرا قالت عائشة وهى التى كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذى بلغنى من حديث هؤلاء الرهط زاد فى رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل له ماقيل ليقول سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد فى سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق على صحته أخرجاه فى الصحيحين زاد البخارى فى رواية عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبدالله بن أبى ابن سلول وقال عروة أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقرره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لى من أهل الافك الاحسان بن ثابت ومسطح ابن أثاثة وحمنة بنت جحش فى ناس آخرين لاعلم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعرا ببيت من أبياته فقال

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأى عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح اويهاجى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حل غريب الفاظ هذا الحديث

*قوله وكلهم حدثنى طائفة اى قطعة من حديثها *قوله كان اوعى اى احفظ له *قولها آذن اى اعلم بالرحيل *قولها فاذا عقد لى من جزع اظفار هو نوع من الخرز وهو الحجر اليمانى المعروف *قولها لم يهبلن اى يكثر لحمهن من السمن فيثقلن *قولها انما يأكلن العلقة من الطعام هو بضم العين اى البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق *قولها وليس بها منهم داع ولامجيب اى ليس بها احد لامن يدعو ولامن يرد جوابا *قولها فتيممت اى قصدت *قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر فى آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله *قولها باسترجاعه هو قوله انا لله وانا اليه راجعون *قولها فخمرت اى غطيت وجهى بجلبابى اى ازارى *قولها موغرين فى نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة اى اولها *قولها والناس يفيضون اى يخوضون ويتحدثون *قولها وهو يريبنى يقال رابنى الشئ يريبنى أى شككت فيه *قولها ولاأرى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف أى الرفق بها واللطف فى الافعال الرفق وفى الاقوال لين الكلام *قولها حتى نقهت أى أفقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالى والمرط كساء من صوف أوخز *قولها تعس مسطح أى عثر وهو من الدعاء على الانسان أى سقط لوجهه *قولها ياهنتاه أى يابلهاء كانها نسبها الى البله وقلة المعرفة *قولها لايرقألى دمع أى لاينقطع وقول بريرة ان رأيت بمعنى النفى أى مارأيت منها أمرا أغمصه بالصاد المهملة أى أعيبه والداجن

﴿لاتحسبوه شرالكم﴾ مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم والهاء للافك ﴿بل هو خيرالكم﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا ﴿لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم﴾ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به ﴿والذى تولى كبره﴾ معظمه * وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه

الشاة التى تألف البيت وتقيم به * قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى أى من يقوم بعذرى ان أنا كافأته على سوء صنيعه ان عاتبت أو عاقبت فلا تلومونى على ذلك * قولها وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه أى من قبيلته * قولها ولكن احتملته الحمية أى حمله الغضب والانفة والتعصب على الجهل للقرابة * قولها فتثاور الحيان أى ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة * قولها فلم يزل يخفضهم أى يهون عليهم ويسكن * قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت ألممت قيل هو من اللمم وهو صغائر الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل * قولها قلص دمعى أى انقطع جريانه * قولها ما رام أى ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسرى عنه أى كشف عنه وقول زينب أحمى سمعى وبصرى أى أمنعهما من أن أخبر بما لم أسمع ولم أبصر * قولها وهى التى كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أى منعها من الوقوع فى الشر بالورع * وقول الرجل ما كشفت من كنف أى من ستر أنثى * قوله ويستوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه * وقول حسان فى عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأة حصان أى متعففة رزان أى ثابتة ما تزن أى ترمى ولا تتهم بريبة أى بأمر يريب الناس حيية وتصبح غرثى أى جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب أحدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل * وقول عائشة فى حسان انه كان ينافح أى يناضل ويخاصم عن الله ورسوله * وأما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك أى بالكذب والافك أسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك عصبة أى جماعة منكم أى عبدالله بن أبى ابن سلول ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيدالله فان قلت عبدالله بن أبى بن سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم * قلت كان ينسب الى الايمان فى الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين ﴿لاتحسبوه شرالكم﴾ يعنى الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولابويها وللنبى صلى الله عليه وسلم ولصفوان ﴿بل هو خيرلكم﴾ يعنى ان الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم ﴿لكل امرئ منهم﴾ أى من العصبة الكاذبة ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه ﴿والذى تولى كبره﴾ أى تحمل معظمه وبدأ بالخوض

(لاتحسبوه) أى الافك (شرالكم) عندالله (بل هو خيرلكم) لان الله أثابكم عليه وأنزل فى البراءة منه ثمانى عشرة آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أى على كل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت (والذى تولى كبره) أى عظمه

(لاتحسبوه) يعنى القذف لعائشة وصفوان (شرالكم) فى الآخرة (بل هو خيرلكم) فى الثواب (لكل امرئ منهم) ممن خاض فى أمر عائشة وصفوان بن المعطل (ما اكتسب من الاثم) على قدر ما خاض فيه (والذى تولى كبره) اشاع وأعظم المقالة

عبد الله بن أبي (منهم) أي من العصبة (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله مانجت منه ولانجا منها ثم وعظ الخائضين فقال (لولا) هلا (اذ سمعتموه) أي الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا أنفسكم (خيرا) عفافا وصلاحا ذلك نحو ما يروى ان عمر رضي الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام أنا قاطع بكذب المنافقين لان الله عصمك من وقوع الذباب على جلدك لانه يقع على النجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف لايعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان ان الله ماأوقع ظلك على الارض لئلا يضع انسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجتك وكذا قال علي رضي الله عنه ان جبريل أخبرك ان على نعليك قذرا وأمرك باخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لايأمرك باخراجها تقدير ان تكون متلطخة بشيء من الفواحش وروى ان أبا أيوب الانصاري قال لامرأته ألا ترين مايقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوأ فقال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ماخنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات وليدل (فأولئك) التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لايصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوانه (وقالوا هذا افك مبين) كذب ظاهر لايليق بهما (لولا جاؤا عليه باربعة شهداء) هلا جاؤا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء (فاذ لم يأتوا بالشهداء)

﴿ منهم ﴾ من الخائضين وهو ابن أبي فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين ﴿ له عذاب عظيم ﴾ في الآخرة أو في الدنيا بان جلدوا وصار ابن أبي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لاينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لايخلوا باوله ﴿ وقالوا هذا افك مبين ﴾ كما يقول المتيقن المطلع على الحال ﴿ لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء

فيه وأقام باشاعته وهو عبد الله بن أبي بن سلول ﴿ منهم ﴾ من العصبة ﴿ له عذاب عظيم ﴾ يعني عذاب النار في الآخرة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين ﴿ قوله عز وجل ﴿ لولا اذ سمعتموه ﴾ أي الحديث الكذب وهو قول أهل الافك ﴿ ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم ﴾ باخوانهم وأهل دينهم ﴿ خيرا ﴾ والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول أهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمؤمنين ﴿ وقالوا هذا افك مبين ﴾ أي كذب بين لا حقيقة له ﴿ لولا ﴾ أي هلا ﴿ جاؤا عليه ﴾ أي على مازعموا ﴿ بأربعة شهداء ﴾ أي يشهدون بذلك ﴿ فاذ لم يأتوا بالشهداء

فيه وهو عبد الله بن أبي (منهم له عذاب عظيم) في الدنيا بالحد وفي الآخرة بالنار (لولا) هلا (اذ سمعتموه) قذف عائشة وصفوان (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بامهاتهم (خيرا) يقول هلا ظننتم بعائشة أم المؤمنين كما تظنون بامهاتكم (وقالوا) هلا قلتم (هذا) القذف (افك مبين) كذب بين (لولا جاؤا عليه) هلا جاؤا على ماقالوا (باربعة شهداء) عدول فيصدقونهم بذلك (فاذ لم يأتوا بالشهداء) باربعة شهداء

الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاؤها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره بخلاف ما تقدم أى

ولولا أنى قضيت ان أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جلتها الامهال للتوبة وان أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ماخضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض فى الحديث وخاض واندفع (اذ) ظرف لمسكم أو لافضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلق القول وتلقنه وتلقفه (بألسنتكم) أى ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه (وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم) انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم (وتحسبونه) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها (هينا) صغيرة (وهو عند الله عظيم) كبيرة جزع

فاولئك عند الله هم الكاذبون﴾ من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان مالا حجة عليه كذب عند الله اى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة﴾ لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم ﴿لمسكم﴾ عاجلا ﴿فيما افضتم فيه﴾ خضتم فيه ﴿عذاب عظيم﴾ يستحقر دونه اللوم والجلد ﴿اذ﴾ ظرف لمسكم أو افضتم ﴿تلقونه بألسنتكم﴾ يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه ﴿ وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم ﴾ اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم ﴿وتحسبونه هينا﴾ سهلا لا تبعة له ﴿ وهو عند الله عظيم ﴾ فى الوزر واستجراء العذاب فهذه ثلاثة آثام

فاولئك عند الله ﴾ أى فى حكم الله ﴿ هم الكاذبون﴾ وهذا من باب الزواجر * فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت * قلت قيل هذا فى حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فاولئك هم الكاذبون فى غيبى وعلمى وقيل معناه فاولئك عند الله فى حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يأت بالشهود يجب زجره * قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ معناه لولا انى قضيت ان أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جلتها الامهال للتوبة وان أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ماخضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب ﴿ اذ تلقونه بألسنتكم ﴾ أى يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض ﴿ وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم ﴾ أى من غير ان تعلموا انه حق ﴿ وتحسبونه هينا ﴾ أى وتظنون انه سهل لا اثم فيه ﴿ وهو عند الله عظيم ﴾ أى فى الوزر

(فأولئك عند الله هم الكاذبون) ثم نزل فى شأن الذين لم يقذفوا عائشة وصفوان بن المعطل ولكن خاضوا فيه (ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم) لاصابكم (فيما أفضتم فيه) خضتم فى شأن عائشة وصفوان (عذاب عظيم) شديد فى الدنيا والآخرة (اذ تلقونه بألسنتكم) اذ يرويه بعضكم عن بعض (وتقولون بافواهكم) بالسنتكم (ماليس لكم به علم) حجة وبيان (وتحسبونه) يعنى قذف عائشة وصفوان (هينا) ذنبا هينا (وهو عند الله عظيم)

بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم (ولولا) وهلا (اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شأنا وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفائدة تقديم الظرف انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم قدم والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الافك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا (سبحانك) للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وانما جاز ان تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لان النبي مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات (هذا بهتان) زور يبهت من يسمع (عظيم) وذكر فيما تقدم هذا افك مبين ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة في التبري (يعظكم الله أن تعودوا) في أن تعودوا (لمثله) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه (أبدا) ما دمتم احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصاد عن كل قبيح (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة (والله عليم) بكم وباعمالكم (حكيم) يجزي على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين (قيل) آمنوا) أي ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الاشاعة ومحبة

مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ﴿ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا﴾ ما ينبغي وما يصح لنا ﴿ان نتكلم بهذا﴾ يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سبحانك﴾ تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان تكون حرم نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله ﴿هذا بهتان عظيم﴾ لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ﴿يعظكم الله ان تعودوا لمثله﴾ كراهة ان تعودوا لمثله أو في ان تعودوا ﴿ابدا﴾ ما دمتم احياء مكلفين ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا ﴿والله عليم﴾ بالاحوال كلها ﴿حكيم﴾ في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ﴿ان الذين يحبون﴾ يريدون ﴿ان تشيع﴾ ان تنتشر ﴿الفاحشة في الذين آمنوا

﴿ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك﴾ قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه ﴿هذا بهتان عظيم﴾ أي كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه روى ان أم أيوب الانصاري قالت لابي أيوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ﴿يعظكم الله﴾ قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ﴿ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات﴾ أي في الامر والنهي ﴿والله عليم﴾ أي بامر عائشة وصفوان ﴿حكيم﴾ أي حكم ببراءتهما * قوله عز وجل ﴿ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة﴾ أي يظهر الزنا ويذيع ﴿في الذين آمنوا﴾

في العقوبة (ولولا) هلا (اذ سمعتموه) قذف عائشة وصفوان (قلتم ما يكون لنا) ما يجوز لنا (أن نتكلم بهذا) الكذب (سبحانك هذا بهتان عظيم) كذب عظيم (يعظكم الله) يخوفكم الله وينهاكم (أن تعودوا لمثله) أن لا تعودوا الى مثله (ابدا ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) مصدقين (ويبين الله لكم الآيات) بالامر والنهي (والله عليم) بعقابكم (حكيم) فيما حكم عليكم من الحد (ان الذين يحبون) يعني عبد الله بن أبي وأصحابه (ان تشيع) ان تظهر (الفاحشة في الذين آمنوا)

لهـا (لهم عذاب أليم فى الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبى وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بالنار وعدها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وسرائر الصدور (وأنتم لاتعلمون أى انه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة فى المنة عليهم والتوبيخ

لهم (وان الله رؤف) ﴿ سورة النور ﴾ حيث أظهر براءة المقذوف

وأثاب (رحيم) بغفرانه جناية القاذف اذا تاب (ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) أى آثاره ووساوسه بالاصغاء الى الافك والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) فان الشيطان (يأمر بالفحشاء) ما أفرط قبحه (والمنكر) ماتنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك (ولكن الله يزكى من يشاء) يطهر

لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ﴾ بالحد والسعير الى غير ذلك ﴿ والله يعلم ﴾ ما فى الضمائر ﴿ وانتم لاتعلمون ﴾ فعاقبوا فى الدنيا على مادل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله ﴿ وان الله رؤف رحيم ﴾ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة ﴿ ياايها الذين آمنوا لاتتبعو خطوات الشيطان ﴾ باشاعة الفاحشة * وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ماافرط قبحه والمنكر ماانكره الشرع ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿ مازكا ﴾ ماطهر من دنسها ﴿ منكم من احد أبدا ﴾ آخر الدهر ﴿ ولكن الله يزكى من يشاء ﴾

قيل الآية مخصوصة عن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من أحب ان تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل فى حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين ﴿ لهم عذاب أليم فى الدنيا ﴾ يعنى الحد والذم على فعله ﴿ والآخرة ﴾ أى وفى الآخرة لهم النار ﴿ والله يعلم ﴾ أى كذبهم وبراءة عائشة وماخاضوا فيه من سخط الله ﴿ وأنتم لاتعلمون ﴾ وقيل معناه يعلم مافى قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وأنتم لاتعلمون ذلك ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ أى لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة ﴿ وان الله رؤف رحيم ﴾ * قوله تعالى ﴿ ياايها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أى آثاره ومسالكه ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ أى بالقبائح من الاقوال والافعال وكل مايكرهه الله عزوجل والآية عامة فى حق كل أحد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا ﴾ أى ماطهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ماصلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين خاضوا فى الافك ومعناه ماطهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذى فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ماقبل توبة أحد منكم أبدا ﴿ ولكن الله يزكى ﴾ أى يطهر ﴿ من يشاء ﴾ من الذنب بالرحمة والمغفرة

عائشة وصفوان (لهم عذاب أليم) بالضرب (فى الدنيا والآخرة) بالنار لعبد الله ابن أبى خاصة (والله يعلم) ان عائشة وصفوان لم يزنيا (وأنتم لاتعلمون) ذلك (ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته) على من لم يقذف عائشة وصفوان (وان الله رؤف رحيم) بالمؤمنين ثم نهاهم عن متابعة الشيطان فقال (ياأيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لاتتبعوا خطوات الشيطان) تزيين الشيطان ووسوسته (ومن يتبع خطوات الشيطان) تزيين الشيطان ووسوسته (فانه يأمر بالفحشاء) بالقبيح من العمل والقول (والمنكر) مالا يعرف فى شريعة ولا فى سنة (ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحمته) بالعصمة والتوفيق (مازكى) ماوحد وصلح (منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى) يوفق ويصلح (من يشاء) من كان اهلا لذلك

التائبين بقبول توبتهم اذا أخلصوها (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم وأحوالهم (ولا يأتل) ولا يحلف من ...
اذاحلف افتعال من الالية أولايقصر من الالو (أولوالفضل منكم) فى الدين (والسعة) فى الدنيا (ان يؤتوا) أى لايؤتوا انكان من الالية (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) أى لايحلفوا على ان لايحسنوا الى المستحقين للاحسان أولايقصروا فى { الجزء الثامن عشر } أن يحسنوا اليهم ﴿ ٣٨٢ ﴾ وان كانت بينهم و بينهم شحناء لجناية

اقترفوها (وليعفوا وليصفحوا) العفو الستر والصفح الاعراض أى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة (ألا تحبون ان يغفرالله لكم) فليفعلوا بهم مايرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بادب الله واغفروا وارحموا نزلت فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لاينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى عائشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قال بلى أحب ان يغفرالله لى و رد الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف

(والله سميع) لمقالتكم (عليم) بكم باعمالكم ثم نزل فى شأن أبى بكر حين حلف انه لاينفق على ذوى قرابته لقبل ماخاضوا فى أمر عائشة يعنى مسطحا وأصحابه فقال

يحمله على التوبة وقبولها ﴿والله سميع﴾ لمقالتهم ﴿عليم﴾ بنياتهم ﴿ ولا يأتل ﴾ ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل فى ابى بكر رضى الله عنه وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ﴿ اولوا الفضل منكم ﴾ فى الدين ﴿والسعة﴾ فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرفه رضى الله عنه ﴿ان يؤتوا ﴾ على ان لا يؤتوا اوفى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿ اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك أولموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ فى تعليل المقصود ﴿ وليعفوا ﴾ ما فرط منهم ﴿وليصفحوا﴾ بالاغماض عنه ﴿ألا تحبون ان يغفر الله لكم ﴾ على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم ﴿والله غفور رحيم﴾ مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ العفائف

﴿والله سميع ﴾ أى لاقوالكم ﴿عليم ﴾ أى بما فى قلوبكم * قوله عز وجل ﴿ ولا يأتل ﴾ أى ولا يحلف من الالية وهى القسم ﴿ أولوا الفضل منكم والسعة ﴾ يعنى الغنى يعنى ابا بكر الصديق ﴿ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ يعنى مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبى بكر الصديق حلف أبو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه الآية ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ أى عن خوض مسطح فى أمر عائشة ﴿ألا تحبون﴾ يخاطب أبا بكر ﴿ أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قال بلى انا أحب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح بنفقته التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها عنه أبدا وفى الآية أدلة على فضل أبى بكر الصديق لان الفضل المذكور فى الآية ذكره تعالى فى معرض المدح وذكره بلفظ الجمع فى قوله أولوا الفضل وقوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته منها انه احتمل الاذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال فى حق أبى بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان أبا بكر كان ثانى اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع الاخلاق وفى الآية دليل على ان من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير ويكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه * قوله تعالى ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ أى العفائف

(ولا يأتل) لا ينبغى أن يحلف (أولوا الفضل منكم) بالبذل (والسعة) بالمال (أن يؤتوا أولى القربى) ان لا يؤتوا (الغافلات) أى لا يعطوا أو لا ينفقوا على ذوى القرابة وكان مسطح ابن خالته (والمساكين) وكان مسكينا (والمهاجرين فى سبيل الله) فى طاعة الله وكان مهاجريا (وليعفوا) بتركوا (وليصفحوا) بتجاوزوا (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) الا تحب يا أبا بكر أن يغفر الله لك (والله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب فقال أبو بكر بلى أحب يارب فألطف بقرابته وأحسن اليهم بعد ما نزلت هذه الآية ثم نزل فى شأن عبدالله بن أبى وأصحابه الذين خاضوا فى أمر عائشة وصفوان فقال (ان الذين يرمون) بالزنا (المحصنات) الحرائر

(الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضى الله عنهما هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع المؤمنات اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت عائشة رضى الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكانه قذفهن (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان

لم يتوبوا والعامل في (يوم تشهد عليهم) يعذبون وبالياء حمزة وعلى (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أى بما أفكوا أو بهتوا والعامل في (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبي يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بان ينتصب على المدح (ويعلمون) عند ذلك (ان الله هو الحق المبين) لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله تعالى في القرآن في شئ من المعاصي تغليظه في افك عائشة رضى الله عنها فاوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وماذاك الا ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الافك

﴿ الغافلات ﴾ عما قذفن به ﴿ المؤمنات ﴾ بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن ابي ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ لما طعنوا فيهن ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة رضى الله عنها ﴿ يوم تشهد عليهم ﴾ ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف * وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل ﴿ السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ﴾ يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ جزاءهم المستحق ﴿ ويعلمون ﴾ لمعاينتهم الامر ﴿ ان الله هو الحق المبين ﴾ الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه اوذو الحق البين اى العادل الظاهر

﴿ الغافلات ﴾ أى عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضى الله عنها ﴿ المؤمنات ﴾ وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها ﴿ لعنوا ﴾ أى عذبوا ﴿ في الدنيا ﴾ بالحد ﴿ والآخرة ﴾ أى وفي الآخرة بالنار ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ وهذا في حق عبدالله بن أبي بن سلول المنافق وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا للآية ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم ﴾ هذا قبل ان يختم على أفواههم ﴿ وأيديهم وأرجلهم ﴾ يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدى والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله ﴿ بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ أى جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل ﴿ ويعلمون ان الله هو الحق المبين ﴾ أى الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شئ وقيل معناه يبين لهم حقية ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبدالله بن أبي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين * قوله عز وجل

(الغافلات) عن الزنا العفائف (المؤمنات) المصدقات بتوحيد الله يعني عائشة (لعنوا) عذبوا (في الدنيا) بالجلد (والآخرة) بالنار يعني عبدالله بن أبي (ولهم عذاب عظيم) شديد أشد مما يكون في الدنيا يعني عبدالله بن أبي وأصحابه (يوم) وهو يوم القيامة (تشهد عليهم) على عبدالله بن أبي وأصحابه (ألسنتهم) بما قالوا (وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) في الدنيا (يومئذ) يوم القيامة (يوفيهم الله دينهم الحق) يوفرهم الله جزاء أعمالهم بالعدل (ويعلمون أن الله) يعني أن ماقال الله في الدنيا (هو الحق المبين) ونزل فيهم

ولقد برأ الله تعالى أربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم رضى الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآى العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها و بين تبرئة أولئك وماذلك الا لاظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على انافة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبيثات) من القول تقال (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون) أى فيهم وأولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضى الله عنها ومارميت به من قول لايطابق حالها فى النزاهة وبالطيب ويجوز أن يكون اشارة الى أهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وان يراد بالخبيثات

الخبائث يتزوجن الخباث والخباث تتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) مستأنف أو خبر بعد خبر (ورزق كريم) فى الجنة ودخل ابن عباس رضى الله عنهما على عائشة رضى الله عنها فى مرضها وهى خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لاتخافى لانك لاتقدمين الاعلى مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشى عليها فرحا بماتلا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة نزل جبريل بصورتى فى راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام ان يتزوجنى وتزوجنى بكرا وماتزوج بكرا غيرى وتوفى عليه الصلاة والسلام ورأسه فى حجرى وقبر فى بيتى ولقد حفته الملائكة فى بيتى (ان) وينزل عليه الوحى وأنا فى لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذرى من

عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لامحالة ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ أى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله ﴿اولئك﴾ يعنى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان رضى الله عنهم ﴿مبرؤن مما يقولون﴾ اذلو صدق لم تكن زوجته عليه السلام ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مبرأون مما يقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات اى مبرأون من ان يقولوا مثل قولهم ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ يعنى الجنة ولقد برأ الله اربعة

﴿الخبيثات للخبيثين﴾ قال أكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس ومثله ﴿والخبيثون﴾ اى من الناس ﴿للخبيثات﴾ من القول ﴿والطيبات﴾ أى من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لايليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لايليق الا بالطيب من الناس وعائشة لايليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح ومايليق بها وقيل معناه لايتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولايتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برؤها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبدالله بن أبى المنافق والشاكين فى الدين والطيبات من النساء ﴿للطيبين والطيبون للطيبات﴾ يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿أولئك مبرؤن﴾ يعنى عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون ﴿مما يقولون﴾ يعنى أصحاب الافك ﴿لهم مغفرة﴾ أى عفو لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعنى الجنة روى

أيضا (الخبيثات) من القول والفعل (للخبيثين) من الرجال والنساء ويقال بهم تليق (والخبيثون) من الرجال والنساء (للخبيثات) من القول والفعل يتبعون ويقال بهم تليق ويقال الخبيثات من النساء حمنة بنت جحش الاسدية التى خاضت فى أمر عائشة للخبيثين من الرجال عبدالله بن أبى وأصحابه وحسان بن ثابت تشبه والخبيثون من الرجال عبدالله بن أبى وأصحابه للخبيثات من النساء اللاتى خضن فى أمر عائشة تشبه (والطيبات) من القول والفعل (للطيبين) من الرجال والنساء ويقال بهم تليق (والطيبون) من الرجال والنساء (للطيبات) من القول والفعل يتبعون ويقال بهم تليق ويقال والطيبات من النساء يعنى عائشة للطيبين من الرجال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم تشبه والطيبون من الرجال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم للطيبات يعنى عائشة تشبه (أولئك) عائشه وصفوان (مبرؤن مما يقولون) عليهم من الفرية (لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (ورزق كريم) فى الجنة يقول اذا أثنى على الرجل والمرأة ثناء حسنا

وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان معتذرا فى حقها * حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح
غرثى من لحوم الغوافل * حليلة خير الناس دينا ومنصبا * نبي الهدى

بار بعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغات وماذلك الالاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم ﴾ التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لايدخلان الاباذن ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله اولا يؤذن له اومن الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لايؤذن له فاذا اذن له استأنس اوتتعرفوا هل ثمه انسان من الانس ﴿ وتسلموا على اهلها ﴾ بان تقولوا السلام عليكم أأدخل * وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات

ان عائشة كانت تفتخر باشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها فى سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروى انه أتى بصورتها فى راحته ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم تتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحى وهى معه فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء * قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسأنسوا ﴾ أى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفى هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس فى اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل فى البيت انسان فيؤذنه انى داخل وقيل هو من آنست أى أبصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة أو يتنحنح حتى يعرف أهل البيت ﴿ وتسلموا على اهلها ﴾ بيان حكم الآية انه لايدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلفوا فى أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم كما فى الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وكذا هو فى مصحف ابن مسعود وروى عن كندبن حنبل قال دخلت على النبى صلى الله تعالى علىه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذى وعن ربعى بن حراش قال جاء رجل من بنى عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى البيت فقال أألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أأدخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن ابى سعيد وابى بن كعب عن ابى موسى قال أبو سعيد كنت فى مجلس من مجالس الانصار اذ جاء أبو موسى كانه مذعور فقال استأذنت على عمر

والمكرمات الفواضل * عقيلة حى من لؤى بن غالب * كرام المساعى مجدها غير زائل * مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل شين وباطل * (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أى بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها (حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرأ به والاستئناس فى الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشئ اذا أبصره ظاهرا مكشوفا أى حتى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح (وتسلموا على أهلها) والتسلم ان يقول السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فان أذن له والا رجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم والا فالاستئذان

وكانا أهلا لذلك صدق به عليهما ويقول من سمعهما كذلك واذا أثنى على الرجل والمرأة الخبيثين ثناء سيأ وكانا اهلا له صدق به عليهما ويقول من سمعهما كذلك ثم نهاهم عن دخول بعضهم على بعض بغير اذن فقال (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

(لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) ليس لكم (قا و خا ٤٩ بع) ان تدخلوا بيوتا (حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها) ثم تستأنسوا فيقول

(ذلكم) أى الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجـاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن فكان الرجل من
أهـل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخـل

فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحـد (لعلكم تذكرون) أى قيل لكم هذا لكى تذكروا وتتعظوا وتعملوا ما امرتم به فى باب الاستئذان (فان لم تجدوا فيها) فى البيوت (أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم أوفان لم تجدوا فيها أحدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوهـا الا باذن أهلها لان التصرف فى ملك الغـير لابد من أن يكون برضاه (وان قيل لكم ارجعوا) أى اذا كان فيهـا قوم فقالوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تلحوا فى اطلاق الاذن وتلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة فاذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك وعن أبى عبيد ماقرعت بابا على عالم قط (هو أزكى لكم) أى الرجوع

فان اذن له دخل والارجع ﴿ذلكم خير لكم﴾ اى الاستئذان أو التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة أو من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا أو حييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى عليه السلام أأستأذن على امى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ متعلق بمحذوف اى انزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم ﴿فان لم تجدوا فيها احدا﴾ يأذن لكم ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق اوغرق أو كان فيه منكر ونحوها ﴿وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ ولا تلحوا ﴿هو ازكى لكم﴾ الرجوع

ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت قال مامنعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم قال ابى بن كعب فوالله لا يقوم معك الا أصغر القوم فكنت اصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثانى مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع ❁ عن عبدالله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود ❁ وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن أخرجه ابو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم وقال ابو موسى الاشعرى وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ماروى عن عطاء بن يسـار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أأستأذن على امى قال نعم فقال الرجل انى معها فى البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل انى خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك فى الموطأ مرسلا ❁ وقوله تعالى ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ أى فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير اذن ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أى هذه الآدب فتعملوا بها ❁ قوله عز وجل ﴿ فان لم تجدوا فيها ﴾ أى فى البيوت ﴿ أحدا ﴾ أى يأذن لكم فى دخولها ﴿ فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ﴾ أى فى الدخول ﴿ وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾ يعنى اذا كان فى البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما ﴿ هو أزكى لكم ﴾ أى الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فان للناس أحوالا

ادخل مقدم ومؤخر (ذلكم) التسليم والاستئذان (خير لكم) واصلح (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا فلا يدخل بعضكم على بعض بغير اذن (فان لم تجدوا فيها) فى البيوت (أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها) بغير اذن (وحاجات) (حتى يؤذن لكم) بالدخول (وان قيل لكم ارجعوا) ان ردوكم (فارجعوا) ولا تقوموا على أبواب الناس (هو) الرجوع (ازكى لكم)

في أن تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ماليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار (فيها متاع لكم) أي منفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ماتبدون وما تكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على

اطهر لكم مما لايخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة اوانفع لدينكم ودنياكم ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فيعلم ماتأتون وماتذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ﴿ليس علكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾ كالربط والخانات والحوانيت ﴿فيها متاع﴾ استمتاع ﴿لكم﴾ كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها ﴿والله يعلم ماتبدون وماتكتمون﴾ وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على عورات ﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم﴾ اي مايكون نحو محرم

وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فليستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتي دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولايستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني بمكانك فيقول هكذا أمرنا ان نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من حجر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل وفي رواية يحك به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته ففقأت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة أخرى جناح ﴿والله بما تعملون عليم﴾ أي من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ﴿ليس عليكم جناح﴾ أي اثم ﴿ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾ أي بغير استئذان ﴿فيها متاع لكم﴾ أي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استئذان ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾ * قوله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ أي عما لايحل النظر اليه قيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لايجب الغض عما يحل اليه النظر وانما أمروا ان يغضوا عما لايحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ياعلي لاتتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاينظر الرجل الى

اصلح لكم من ان تقوموا على ابواب الناس (والله بما تعملون) من الاستئذان وغيره (عليم) ثم رخص لهم في الدخول في بيوت غير بيوتهم بغير اذن وهي الخانات على الطرق فقال (ليس عليكم جناح) حرج (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) ليس فيها ساكن معلوم مثل الخانات وغير ذلك (فيها متاع لكم) منفعة لكم من الحر والبرد في الشتاء والصيف (والله يعلم ماتبدون) من الاستئذان والتسليم (وماتكتمون) من الجواب والاذن ثم أمرهم بحفظ العين والفرج فقال (قل للمؤمنين) يا محمد (يغضوا من أبصارهم) يكفوا أبصارهم عن الحرام ومن صلة في الكلام

مايحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنا لان الزنا لارخصة فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفها وقدميها فى رواية والى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين (ذلك) أى غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أى أطهر من دنس الاثم (ان الله خبير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهيب يعنى انه خبير باحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فعليهم اذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أمرن بغض الابصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الاجنبى الى ما تحت سرته الى ركبتيه وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر الى المرأة الا الى مثل ذلك وغض بصرها من الاجانب أصلا أولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين (ولا يبدين زينتهن) الزينة ما تزينت به المرأة من حلى أو كحل أو خضاب والمعنى لا يظهرن مواضع الزينة وهى الحلى ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها لا اظهارها ومواضعها الا لاظهار أعيانها ومواضعها الرأس والاذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال (الى)

﴿ويحفظوا فروجهم﴾ الا على ازواجهم أو ماملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج هنا خاصة سترها ﴿ذلك ازكى لهم﴾ انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ﴿ان الله خبير بما يصنعون﴾ لا يخفى عليه احالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة وسكون ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن﴾ فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ﴿ويحفظن فروجهن﴾ بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن

عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضى الرجل الى الرجل فى ثوب واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة فى ثوب واحد * وقوله تعالى ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ أى عما لا يحل قال أبو العالية كل ما فى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا فى هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه * فان قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج * قلت فيه دلالة على ان أمر النظر أوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وثديهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات فى البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكفاك ان أبيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه * فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج * قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أى غض البصر وحفظ الفرج ﴿ان الله خبير بما يصنعون﴾ أى انه خبير باحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم * قوله عز وجل ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ اى عما لا يحل لهن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحرث اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يارسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه أخرجه الترمذى وأبو داود * قوله تعالى ﴿ولا يبدين﴾ أى يظهرن ﴿زينتهن﴾ أى لغير محرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب فى الرجل والسوار فى المعصم والقرط فى الاذن والقلائد فى العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبى النظر اليها والمراد من الزينة النظر

(ويحفظوا فروجهم) عن الحرام (ذلك) حفظ العين والفرج (ازكى) اصلح (لهم) وخير لهم (ان الله خبير بما يصنعون) من الخير والشر (وقل) يامحمد (للمؤمنات يغضضن) يكففن (من ابصارهن) عن الحرام ورؤية الرجال ومن صلة فى الكلام (ويحفظن فروجهن) عن الحرام (ولا يبدين) ولا يظهرن (زينتهن) الدملوج والوشاح

(الا ماظهر منها) الا ماجرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففي سترها حرج بين فان المرأة لاتجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن (وليضربن) وليضعن من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه (بخمرهن) جمع خمار (على جيوبهن) بضم الجيم مدني وبصري وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن ان يسدلنها من قدامهن حتى تغطيهن (ولايبدين زينتهن) أي مواضع الزينة الباطنة كالصدور الساق والرأس ونحوها (الا لبعولتهن) لازواجهن جمع بعل (أو آبائهن) ويدخل فيهم الاجداد (او آباء بعولتهن) فقد صاروا محارم (أو أبنائهن) ويدخل فيهم النوافل (او ابناء بعولتهن) فقد صاروا محارم ايضا (او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة (او نسائهن) اى

مواضعها لمن لايحل ان تبدى له ﴿ الا ماظهر منها ﴾ عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو مايعم المحاسن الخلقية والزينة والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لايحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا الضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ سترا الاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم ﴿ ولايبدين زينتهن ﴾ كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لايحل له ﴿ الا لبعولتهن ﴾ فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن او ابنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن او بني اخواتهن ﴾ لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن مايبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان اولان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم ﴿ او نسائهن ﴾ يعني المؤمنات فان الكافرات لايتحرجن عن وصفهن للرجال او

الى مواضعها من البدن ﴿ الا ماظهر منها ﴾ أي من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيأ من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة ﴿ وليضربن بخمرهن ﴾ أي ليلقين بمقانعهن ﴿ على جيوبهن ﴾ أي موضع الجيب وهو النحر والصدر أي ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف أو خز أو كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع ﴿ ولايبدين زينتهن ﴾ يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ماعدا الوجه والكفين ﴿ الا لبعولتهن ﴾ قال ابن عباس لايضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني أخوانهن أو بني أخواتهن ﴾ فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولاينظرون الى مابين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن زوجته غير أنه يكره له النظر الى فرجها ﴿ أو نسائهن ﴾ أي المؤمنات من أهل دينهن أراد به أنه

(الا ماظهر منها) من ثيابها (وليضربن بخمرهن) يرخين قناعهن (على جيوبهن) على صدورهن ونحورهن وليشددن ذلك ثم ذكر الزينة أيضا فقال (ولايبدين زينتهن) الدملوج والوشاح وغير ذلك (الا لبعولتهن) أزواجهن (أو آبائهن) في النسب أو اللبن (أو آباء بعولتهن) أو آباء ازواجهن (أو ابنائهن) في النسب أو الابن (أو أبناء بعولتهن) ابناء أزواجهن من غيرهن (أو اخوانهن) في النسب أو اللبن (أو بني اخوانهن) في النسب أو اللبن (أو بني اخواتهن) في النسب أو اللبن (أو نسائهن) نساء

النساء كلهن وللعلماء فى ذلك خلاف ﴿ أو ماملكت ايمانهن ﴾ يعم الاماء والعبيد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى منها ﴿ أو التابعين غير اولى الاربة من الرجال ﴾ أى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾

يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الا مابين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولانها أجنبية فى الدين فكانت أبعد من الرجل الاجنبى كتب عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء ﴿ أو ماملكت أيمانهن ﴾ قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا مابين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة و روى أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها و اذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك و غلامك وقيل هو كالاجنبى معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد ﴿ أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال ﴾ قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة و قرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم فى النساء وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذى لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصى وقيل هو الشيخ الهرم الذى ذهبت شهوته وقيل هو المخنث (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ماههنا لا يدخل عليكن فاحجبوه زاد أبو داود فى رواية وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم * قوله أقبلت باربع أى ان لها فى بطنها أربع عكن فهى تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ أى لم يكشفوا عن عورات النساء

امائهن ولا يحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع منها خصيا كان او عنينا او فحلا و قال سعيد بن المسيب لاتغرنكم سورة النور فانها فى الاماء دون الذكور وعن عائشة رضى الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها (او التابعين غير) بالنصب شامى ويزيد وابو بكر على الاستثناء او الحال وغيرهم بالجر على البدل او على الوصفية (اولى الاربة) الحاجة الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيأ من امرهن او شيوخ صلحاء او العنين او الخصى او المخنث وفى الاثر انه المجبوب والاول الوجه (من الرجال) حال (او الطفل الذين) هو جنس فصلح ان يراد به الجمع (لم يظهروا على عورات النساء)

اهل دينهن المسلمات لانه لا يحل لها أن تراها متجردة يهودية أو نصرانية أو مجوسية (أو ماملكت ايمانهن) من الاماء دون العبيد (أو التابعين) لازواجهن (غير أولى الاربة) الشهوة (من الرجال) والنساء يعنى الخصى والشيخ الكبير الفانى (أو الطفل) يعنى الصغير (الذين لم يظهروا) على عورات النساء) لم يطيقوا

المجامعة مع النساء ولا النساء معهم من الصغر ولا يعلمون من أمر الرجال والنساء شيأ فلا بأس بان يرى زينتهن ﴿للجماع﴾

لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشئ اذا اطلع عليه اولم يبلغوا اوان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوى عليه
(ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم انها ذات
خلخال فنهين عن ذلك اذ اسماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمى صوت الحلى وسواسا

لعدم تميز هم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ﴿ ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت ﴿ وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون ﴾ اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر ايه المؤمنون وفى الزخرف ياايه الساحر وفى الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء فى الوصل فى الثلاثة وبفتحها ووقف ابو عمرو والكسائى عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الالف ﴿ وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ﴾

للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبى مالم يحتلم ﴿ ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة فى مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذى لاجله نهى عنه أن يعلم به ما عليهن من الحلى وغيره ﴿ وتوبوا الى الله جميعا ﴾ أى من التقصير الواقع فى أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة فى هذه السورة قيل أن اوامر الله ونواهيه فى كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار وعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى ﴿ أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ (م) عن الاغر الاغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفرلى وتب على انك انت تواب الرحيم مائة مرة اخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشى (ق) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه ❁ قوله عز وجل ﴿ وأنكحوا الايامى منكم ﴾ جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لازوج له من رجالكم ونسائكم ﴿ والصالحين من عبادكم ﴾ اى من عبيدكم ﴿ وامائكم ﴾ بيان حكم الآية الامر المذكور فى الآية امر

(وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون) ايه شامى اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء ولان بعدها الفا فى التقدير (لعلكم تفلحون) العبد لا يخلو عن سهو وتقصير فى اوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العصيان لا ينافى الايمان (وأنكحوا الايامى منكم) الايامى جمع ايم وهو من لازوج له رجلا كان اوامرأة بكرا كان اوثيبا واصله ايايم فقلبت (والصالحين) اى الخيرين اوالمؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وامائكم) اى من غلمانكم وجواريكم والامر للندب اذ النكاح

هؤلاء بغير ريبة (ولا يضربن بأرجلهن) احداهما

بالاخرى لتقرع الخلخال بالخلخال (ليعلم) لكى يعلم ويظهر (ما يخفين من زينتهن) ما يوارين من زينتهن يعنى الخلاخل عند الغريب
(وتوبوا الى الله جميعا) من جميع الذنوب الصغائر والكبائر (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخط والعذاب ثم دلهم
على تزويج البنين والبنات والاخوة والاخوات ممن ليس لهم ازواج فقال (وأنكحوا) زوجوا (الايامى منكم) بناتكم وأخواتكم
ويقال بنيكم واخوانكم ممن ليس لهم أزواج (والصالحين من عبادكم) وزوجوا الصالحين من عبيدكم (وامائكم

لمانهى عماعسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لايستبدان به اذ لو استبدا لماوجب على الولى والمولى والايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان أو انثى بكرا كان أو ثيبا قال

فان تنكحى انكح وان تتأيمى * وان كنت افتى منكم اتأيم

وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ﴿ ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ رد لماعسى ان يمنع من النكاح والمعنى لايمنعن

ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع ايضا والوجاء بكسر الواو رض الانثيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم فى قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل * عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائى (م) عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة امامن لاتتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعى وعند أصحاب الرأى النكاح أفضل قال الشافعى قد ذكر الله عبدا أكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذى لايأتى النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفى الآية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعى وعمر ابن عبد العزيز واليه ذهب الثورى والاوزاعى وعبد الله بن المبارك والشافعى واحمد واسحق وجوز أصحاب الرأى للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولى شرط فى النكاح ماروى عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكاح الابولى أخرجه أبو داود والترمذى ولهما عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان تشاحوا فالسلطان ولى من لاولى له * وقوله تعالى ﴿ ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم

مندوب اليه (ان يكونوا فقراء) من المال (يغنهم الله من فضله) بالكفاية و القناعة او باجتماع الرزقين وفى الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضى الله عنه روى مثله

ان يكونوا) يعنى الاحرار (فقراء يغنهم الله من فضله) من رزقه

(الله)

فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح اووعد من الله بالاغناء لقوله عليه السـلام * اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروط بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ﴿ والله واسع ﴾ ذوسعة لاتنفد نعمته اذلاتنتهى قدرته ﴿ عليم ﴾ يبسـط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته ﴿ وليستعفف ﴾ وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة ﴿ الذين لايجدون نكاحا ﴾ اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ماينكح به وبالوجدان التمكن منه ﴿ حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ فيجدوا مايتزوجون به ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال اولانه مما يكتب لتأجيله اومن الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض ﴿ مماملكت ايمانكم ﴾ عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره ﴿ فكاتبوهم ﴾ اومفعـول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلاتجب كغيرهـا واحتجاج الحنفية

الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان تكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ﴿ والله واسع ﴾ أى أنه ذوالافضال والجود ﴿ عليم ﴾ أى بمـا يصلح خلقه من الرزق * قوله تعالى ﴿ وليستعفف الذين لايجدون نكاحا ﴾ أى ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لايجدون ماينكحون به من الصـداق والنفقة ﴿ حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ أى يوسـع عليهم من رزقه ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ أى يطلبون المكاتبة ﴿ مماملكت أيمانكم فكاتبوهم ﴾ سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحويطب بن عبدالعزى سأل مولاه أن يكاتبه فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين فى الحرب

بيان حكم الآية وكيفية المكاتبة

وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك فى نجمين أوفى نجوم معلومة فى كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المـال فما فضل فى يده من المال فهوله وتبعه أولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى العتق واذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق ومافى يده من المال فهو لسيده لماروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسـلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فانه اغض للبصر واحصـن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان تقدر عليـه (والذين يبتغون الكتاب مماملكت أيمانكم) أى المماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء ومنصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى ان تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك اوكتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق (قا و خا ٥٠ بع) ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطـلاقه الامر

(والله واسع) برزقه للحر والعبد (عليم) بارزاقهما (وليستعفف) عن الزنا (الذين لايجدون نكاحا)سعة للتزوج (حتى يغنيهم الله من فضله) من رزقه نزلت فى حويطب بن عبدالعزى فى شأن غلام له سأل كتابته فلم يكاتب (والذين يبتغون الكتاب)يطلبون منكم المكاتبة (مماملكت أيمانكم) يعنى عبيدكم (فكاتبوهم

باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لم يوجد عند المحل ﴿ان علمتم فيهم خيرا﴾ امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيأ من اموالهم وفي معناه حط شئ

المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أخرجه ابو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فابى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فابى فضربه بالدرة وقال فكاتبوهم ﴿ان علمتم فيهم خيرا﴾ فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ولا يجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روى ان عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال ألك مال قال لا قال تريد أن تطعمني أوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا يمتنع من المكاتبة اذا كان هكذا وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلا بالغا فاما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيأ وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر [illegible] ما أحب وقال [illegible] هو أمر استحباب والوجوب اظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم [illegible] الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث لجميع الناس على

وفي الرقاب وعند الشافعي رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولاه حويطبا أن يكاتبه فابى فنزلت واعلم ان العبيد أربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون في التجارة ومكاتب وآبق فمثال الاول ولي العزلة الذي حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثاني ولي العشيرة فهو يجيء الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطي في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل في الغضب والرضا ميزانه والقصد في الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعه ومنجاه والقرآن كتاب الاذن من مولاه هو كائن في الناس بظواهره بائن منهم بسرائره فقد هجرهم فيه اليه عليهم

ان علمتم فيهم خيرا) صلاحا ووفاء (وآتوهم) أعطوهم خطاب لجملة الناس (من مال الله الذي آتاكم) اعطاكم حتى يؤدوا مكاتبتهم ويقال حث المولى على ترك الثلث عن مكاتبه ثم نزل في شأن عبد الله بن أبي وأصحابه كان لهم ولائد [illegible] مؤنتهم

فى الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهرا وماهو منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام يأكل مايأكلون ويشرب مايشربون ومايدريهم انه ضيف الله يرى السموات والارض قائمات بامره وكانه قيل فيه

فان اتفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

فحال ولى العزلة أصفى وأحلى وحال ولى العشرة أوفى وأعلى ونزل الاول من الثانى فى حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان أما النبى عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين فباطن أحواله مهتدى ولى العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولى العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى المائتين درهما خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زورة فكانه شترى نفسه من ربه بهذه النجوم

المرتبة فيسعى فى فكاك رقبته خوفا من البقاء فى ربقة العبودية وطمعا فى فتح باب الحرية ليسرح فى رياض الجنة فيتمتع بحباه ويفعل ماشاؤه وبهواه والرابع الآبق فما أكثرهم فمنهم القاضى الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائى والواعظ الذى لا يفعل مايقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل مالا ينفعه يصول فضلا عن السارق والزانى والغاصب فمنهم أخبر النبى عليه الصلاة والسلام ان الله لينصر هذا الدين بقوم لاخلاق لهم فى الآخرة (ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء) كان لابن ابى ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة وأروى وقتيلة

من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل مايتمول وعن على رضى الله تعالى عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشترى ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى حدث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ﴿ولاتكرهوا فتياتكم﴾ اماءكم ﴿على البغاء﴾ على الزنى كانت لعبدالله بن ابى ست جوار يكرههن على الزنى وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ان اردن تحصنا﴾ تعففا شرط للاكراه فانه لايوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز

مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا أولم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبدالعزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعى وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء مابقى عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعى والحسن وبه قال مالك والثورى وأصحاب الرأى ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتتبعه أولاده وأكسابه كما فى الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها مالم يعجز المكاتب عن أداء النجوم ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿ولاتكرهوا فتياتكم﴾ أى اماءكم ﴿على البغاء﴾ أى الزنا ﴿ان أردن تحصنا﴾ الآية (م) عن جابر قال كان عبدالله بن أبى بن سلول يقول لجارية له اذهبى فابغينا شيأ قال فانزل الله ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفى رواية أخرى ان جارية لعبدالله بن أبى يقال لها مسيكة وأخرى يقال له أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء

بكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر لبغت (ان أردن تحصنا) تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا الشرط لان الاكراه لايكون الامع ارادة التحصن فآمر المطيعة للبغاء لايسمى مكرها ولا أمره اكراها ولانها نزلت على سبب فوقع النهى على تلك الصفة

يجبرونهن على الزنا لقبل كسبهن وأولادهن فنهاهم الله عن ذلك وحرم عليهم فقال (ولا تكرهوا) ولا تجبروا تيانكم) ولائدكم (على البغاء) على الزنا والفجور (ان أردن) بعدما أردن (تحصنا) تعففا

وفيه توبيخ للموالى اى اذا رغبن فى التحصن فانتم أحق بذلك (لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) أى لتبتغوا بإكراههن على الزنا
اجورهن أولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم،

أى لهن وفى مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله لهن والله ولعل الاكراه كان دون مااعتبرته الشريعة وهو الذى يخاف منه التلف فكانت آثمة أولهم اذا تابوا (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء حجازى وبصرى وأبو بكر وحماد والمراد الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الاحكام والحدود وجاز أن يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف أى أجرى مجرى المعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسرها غيرهم أى بينت هى الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل * قد بين الصبح لذى عينين * (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) ومثلا من أمثال من قبلكم أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة) ماوعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولاتأخذكم بهما

ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ اى لهن اوله ان تاب والاول اوفق للظاهر ولمافى مصحف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلاحاجة الى المغفرة لان الاكراه لاينافى المؤاخذة بالذات ولذا حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ﴿ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات﴾ يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود * وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص فى هذا وفى الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة رضى الله تعالى عنها فانها كقصة يوسف ومريم ﴿وموعظة

الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون انزلت فى عبدالله بن أبى بن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا الضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذى نحن فيه لايخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا أن ندعه فانزل الله هذه الآية وروى ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لانفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف العلماء فى معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال أحدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذى ذكر فى سبب نزول الآية فخرج النهى على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثانى انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لايتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغى بالطبع طوعا الثالث أن ان بمعنى اذا أى اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لايجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذا كنتم مؤمنين القول الرابع ان فى هذه الآية تقديما وتأخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم ان أردن تحصنا ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء ﴿لتبتغوا﴾ أى لتطلبوا ﴿عرض الحيوة الدنيا﴾ أى من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن ﴿ومن يكرههن﴾ يعنى على الزنا ﴿فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ يعنى بالمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله * قوله تعالى ﴿ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات﴾ أى من الحلال والحرام ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ أى شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم مالحق من كان قبلهم من المكذبين ﴿وموعظة

عن الزنا (لتبتغوا) لتطلبوا بذلك (عرض الحيوة الدنيا)

من كسبهن وأولادهن (ومن يكرههن) يجبرهن يعنى الولائد على الزنا (فان الله من بعد اكراههن) وتوبتهن (غفور) (للمتقين) متجاوز (رحيم) بعد الموت (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) يقول أنزلنا جبريل الى نبيكم بآيات مبينات بالحلال والحرام والامر والنهى عن الزنا والفواحش (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) صفة الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين والكافرين (وموعظة)

للمتقين﴾ يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته ﴿الله نور السموات والارض﴾ النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبوساطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض * وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنهما من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به يدرك او يدرك اهلهما من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركته لها في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله عنهما معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما ﴿مثل نوره﴾ صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره ﴿كمشكاة﴾ كصفة مشكاة وهي الكوة غير النافذة ﴿فيها مصباح﴾ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح

للمتقين﴾ أي المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر ﴿ قوله عز وجل ﴿الله نور السموات والارض﴾ قال ابن عباس معناه الله هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله عن مرو ليلة * فقد سار عنها نورها وجمالها

﴿مثل نوره﴾ أي مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا ﴿كمشكوة﴾ هي الكوة التي لا منفذ لها وقيل هي بلغة الحبشة ﴿فيها مصباح﴾ أي سراج وأصله من الضوء

أي هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض وجاز ان المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة (كمشكوة) كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أي سراج

نهيا (للمتقين) عن الزنا والفواحش ثم ذكر كرامته للمؤمنين ومنته عليهم فقال (الله نور السموات والارض) هادي أهل السموات والارض والهدى من الله على وجهين التبيان والتعريف ويقال الله مزين السموات بالنجوم والارض بالنبات والمياه ويقال الله منور قلوب أهل السموات وأهل الارض

ن المؤمنين (مثل نوره) نور المؤمنين ويقال مثل نور الله في قلب المؤمن (كمشكاة) ككوة (فيها مصباح) مقدم

ضخم ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج شامي بكسر الزاء (الزجاجة كأنها كوكب دري) مضيء بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو وعلى كأنه يدرأ الظلام ضوءه وبالضم والهمزة أبوبكر وحمزة شبه في زهرته باحد الكواكب الدراري كالمشترى والزهرة ونحوهما (توقد) بالتخفيف حمزة وعلى وأبو بكر الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامي ونافع وحفص ويوقد بالتشديد مكي وبصري أي هذا المصباح (من شجرة) أي ابتداء ثقوبه من زيت شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لانها نبتت في الارض التي بورك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام (زيتونة) بدل من شجرة نعتها (لاشرقية ولا غربية) أي منبتها الشأم يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشأم وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس

القنيلة المشتعلة ﴿المصباح في زجاجة﴾ في قنديل من الزجاج ﴿الزجاجة كانها كوكب دري﴾ مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر اوفعيل كريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه اوبعض ضوئه بعضا من لمعانه الاانه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا ﴿توقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشأنها ؛ وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابوبكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بمعنى تتوقد يوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب ﴿لاشرقية ولا غربية﴾ تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى

﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال وفي ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري أي شديد الانارة نسب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان الكوكب أضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدري أحد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد وقيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب ﴿توقد﴾ أي اتقد المصباح ﴿من شجرة مباركة زيتونة﴾ أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو أصفى الادهان وأضوؤها وقيل انها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشأم لانها هي الارض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة أخرجه الترمذي * قوله ﴿لاشرقية ولاغربية﴾ أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عندطلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها أضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست في مقنأة لا تصيبها

ومؤخر يقول كمشكاة كمصباح وهو السراج (المصباح) السراج (في زجاجة) في قنديل من جوهر (الزجاجة) القنديل في مشكاة وهي كوة غير نافذة بلغة الحبشة (كأنها) يعني الزجاجة (كوكب دري) نجم مضيء من هذه (الشمس) الانجم الخمسة عطارد والمشترى والزهرة وبهرام وزحل هذه الانجم كلها درية (يوقد من شجرة) أخذ دهن القنديل من دهن شجرة (مباركة زيتونة) وهي شجرة الزيتون (لاشرقية ولاغربية) بفلاة على تلعة لا يصيبها ظل الشرق ولا ظل الغرب ويقال بمكان لا تصيبها الشمس حين طلعت

اولاثابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون اولا مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفى الحديث لاخير فى شجرة ولانبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى ﴿ يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ﴾ اى يكاد يضئ بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وميضه ﴿ نور على نور ﴾ نور متضاعف فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل عليه الآيات المبينات فى جلاء مدلولها وظهور ماتضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة اوتشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيا لاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس اوتمثيل لمانورالله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابى

الشمس ولافى مضحاة لايصيبها الظل فهى لاتضرها شمس ولاظل وقيل معناه انها معتدلة ليست فى شرق يضرها الحر ولافى غرب يضرها البرد وقيل معناه هى شامية لان الشأم وسط الارض لاشرقى ولاغربى وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لانها لوكانت فى الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره ﴿ يكاد زيتها يضئ ﴾ أى من صفائه ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾ أى قبل أن تمسه النار ﴿ نور على نور ﴾ أى نور المصباح على نور الزجاجة

﴿ فصل فى بيان التمثيل المذكور فى الآية ﴾

اختلف أهل العلم فى معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت فى الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التى فيها زجاجة صافية وفى تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية فى الصفاء والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا فى صفائه وصلح ان يجعل مثالا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرنى عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هى شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم به أنه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضئ ولو لم تمسسه نار وروى عن ابن عمر فى هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعله الله فيه لاشرقية ولاغربية لايهودى ولانصرانى توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظى المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان أكثر الانبياء من صلبه لاشرقية ولاغربية يعنى ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق

فى وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشى جميعا فهى شرقية وغربية (يكاد زيتها) دهنها (يضئ ولو لم تمسسه نار) وصف الزيت بالصفاء والوميض وانه لتلألؤه يكاد يضىء من غير نار (نور على نور) أى هذا النور الذى شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوى النور وهذا لان المصباح اذا كان فى مكان متضائق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون بدنئ محسوس معهود لابعلى غير معاين ولامشهود فابو تمام لما قال فى المأمون

ولاحين غربت (يكاد زيتها) زيت الشجرة (يضئ) من وراء قشرها (ولو لم تمسسه) وان لم تمسسه (نار نور على نور) فهو النور على النور المصباح نور والقنديل نور والزيت نور

مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي يتوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم مالم تعلم والقوة القدسية التي يتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى * ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا * بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها الكوى ووجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لابالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لاتكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية اولوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيئ بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم

يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال أبي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ماجعله الله فيه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لاتصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شئ من الفتن فهو بين أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضئ أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال أبي أي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضئ قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضئ أي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تتضح وان لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول

اقدام عمرو في سماحة حاتم * وحلم أحنف في ذكاء اياس

قيل له ان الخليفة فوق من مثلته بهم فقال مرتجلا

لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

(يهدى الله لنوره) أي هذا النور الثابت (من يشاء) من عباده أي يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله أو بنظره في الدليل (ويضرب الله الامثال للناس) تقريبا الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شيء عليم) فيبين كل شيء بما يمكن ان يعلم به وقال ابن عباس رضي الله عنهما مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة وقرأ أبي مثل نور المؤمن (في بيوت) يتعلق بمشكاة أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بتوقد أي توقد في بيوت أو بيسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف أي سبحوا في بيوت

يهدى الله لنوره) يكرم الله بنوره يعني المعرفة ويقال يكرم الله بدينه (من يشاء) من كان أهلا لذلك ويقال مثل نوره نور محمد صلى الله عليه وسلم في أصلاب آبائه على هذا الوصف الى قوله {سورة النور} توقد من شجرة مباركة يقول كان نور محمد في ابراهيم حنيفا مسلما زيتونة دين حنيفية لا شرقية ولا غربية لم يكن ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا يكاد زيتها يقول تكاد أعمال ابراهيم تضيء في أصلاب آبائه على هذا الوصف الى قوله توقد من شجرة مباركة يقول كانه نور محمد صلى الله عليه وسلم ولو لم تمسسه نار أي لو لم يكن ابراهيم نبيا لكان له هذا النور أيضا ويقال لو لم تمسسه نار لو لم يكرم الله ابراهيم لم يكن له هذا النور ويقال لو لم يكرم الله عبده المؤمن بهذا النور لم يكن له (قا و خا ٥١ بع) هذا النور (ويضرب الله الامثال للناس) هكذا يبين الله صفة المعرفة للناس (والله بكل شيء) من كرامته لعباده (عليم) وهذا مثل ضربه الله للمعرفة وبين منفعتها ومدحتها لكي يشكروا بها يقول كما ان السراج نور يهتدى به كذلك المعرفة نور يهتدى بها وكما ان القنديل نور ينتفع به كذلك المعرفة نور يهتدى بها وكما ان الكواكب الدرية يهتدى بها في ظلمات البر والبحر كذلك المعرفة يهتدى بها في ظلمات الكفر والشرك وكما ان دهن القنديل من زيتونة مباركة كذلك المعرفة من الله تعالى لعبده وكما ان الزيتونة لا شرقية ولا غربية كذلك دين المؤمن حنيفي لا يهودي ولا نصراني وكما ان زيت الشجرة نور مضيء وان لم تصبه النار فكذلك شرائع ايمان المؤمنين ممدوح وان لم يكن معها غيرها من الفضائل وكما ان السراج والقنديل والمشكاة نور على نور كذلك المعرفة نور وقلب المؤمن نور وصدره نور ومدخله نور ومخرجه نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء يكرم الله بهذا النور من كان أهلا لذلك فهذا وصف الله للمعرفة (في بيوت) يقول هذه القناديل معلقة في بيوت

مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور ﴿يهدى الله لنوره﴾ لهذا النور الثاقب ﴿من يشاء﴾ فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا ﴿والله بكل شيء عليم﴾ معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن يكترث بها ﴿في بيوت﴾ متعلق بما قبله أي كمشكاة في بيوت أو توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون لحير أو مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا

القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور وقوله تعالى ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة ﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ أي يبين الله الاشياء للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك ﴿والله بكل شيء عليم﴾ قوله عز وجل ﴿في بيوت﴾ أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس

لصلاة المؤمنين أو ابدانهم بالمساجد ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظم ﴿اذن الله ان ترفع﴾ بالبناء او التعظيم ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى افعاله والمباحثة فى احكامه ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ ينزهونه اى يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو ﴿ لاتلهيهم تجارة ﴾ لاتشغلهم معاملة رابحة ﴿ولا بيع عن ذكر الله﴾ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة أو بافراد ماهو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا

المساجد بيوت الله فى الارض تضئ لاهل السماء كما تضئ النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها الا نبى الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا ﴿أذن الله أن ترفع﴾ أى تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال ابن عباس يتلى فيها كتابه ﴿يسبح له فيها﴾ أى يصلى له فيها ﴿بالغدو والآصال﴾ أى بالغداة والعشى قال أهل التفسير اراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتى تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر * عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى والآصال صلاة العصر * عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته مطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لايعنيه الا ذاك كان أجره كاجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لالغو بينهما كتاب فى عليين أخرجه أبو داود ﴿ رجال ﴾ قيل خص الرجال بالذكر فى هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة ﴿لاتلهيهم﴾ أى لا تشغلهم ﴿تجارة﴾ وقيل خص التجارة بالذكر لانها أعظم مايشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ماباعه الرجل على يده ﴿ ولا بيع ﴾ أى ولا يشغلهم بيع ﴿عن ذكر الله﴾ أى

(أذن الله) أى أمر (ان ترفع) تبنى كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد من الرفعة أو تعظم وعن الحسن ما أمر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه أو هو عام فى كل ذكر (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أى يصلى له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين وانما وحد الغدو لان صلاته واحدة وفى الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشى (رجال) فاعل يسبح يسبح شامى وأبو بكر ويسند الى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح أى يسبح له (لاتلهيهم) لاتشغلهم (تجارة) فى السفر (ولا بيع) فى الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعدما عم لانه أوغل فى الالهاء من الشراء لان الربح فى البيعة الرابحة متيقن وفى الشراء مظنون (عن ذكر الله) باللسان والقلب

ويقال بيوت (أذن الله) أمر الله (ان ترفع) أن تبنى وهى المساجد (ويذكر فيها) فى المساجد (اسمه) توحيده (يسبح له) يصلى لله (فيها) فى المساجد (بالغدو) غدوة صلاة الفجر (والآصال) عشية صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء (رجال لاتلهيهم) لاتشغلهم (تجارة) فى الجلب (ولا بيع) يدا بيد (عن ذكر الله) عن طاعة الله ويقال عن الاوقات الخمس { حضور

واقام الصلوة) أى وعن اقامة الصلاة التاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمع الفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت (وايتاء الزكوة) ﴿٤٠٣﴾ أى وعن ايتاء ﴿سورة النور﴾ الزكاة والمعنى لاتجارة لهم حتى تلهيهم كاولياء العزلة أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا اليها غير متثاقلين كاولياء العشرة (يخافون يوما) أى يوم القيامة ويخافون حال من الضمير فى تلهيهم أو صفة أخرى لرجال (تتقلب فيه القلوب) بلوغها الى الحناجر (والابصار) بالشخوص والزرقة أو تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله) أى يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أى يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل فى حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فالمذكور

جلبه وفيه ايماء بانهم تجار ﴿واقام الصلوة﴾ عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله

واخلفوك عد الامر الذى وعدوا

﴿وايتاء الزكوة﴾ مايجب اخراجه من المال للمستحقين ﴿يخافون يوما﴾ مع ماهم عليه من الذكر والطاعة ﴿تتقلب فيه القلوب والابصار﴾ تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه وتبصر الابصار مالم تكن تبصر أو تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من أى ناحية يؤخذبهم ويؤتى كتابهم ﴿ليجزيهم الله﴾ متعلق بيسبح أو لاتلهيهم أو يخافون ﴿احسن ماعملوا﴾ احسن جزاء ماعملوا الموعود لهم من الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ اشياء لم يعدهم بها على اعمالهم ولم تخطر ببالهم ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ

حضور المساجد لاقامة الصلوات ﴿وأقام الصلوة﴾ يعنى اقامة الصلاة فى وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لايكون من مقيمى الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان فى السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة ﴿وايتاء الزكوة﴾ يعنى المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لايحبسونها ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار﴾ يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ماعبدوا الله حق عبادته قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من أى ناحية يؤخذبهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب فى الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلاينزل ولايخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته ﴿ليجزيهم الله أحسن ماعملوا﴾ يعنى انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ماعملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهى الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لايجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعمائة ضعف ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى يجزيهم باحسن أعمالهم ولايقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله ﴿قوله تعالى

(واقام الصلوة) اتمام الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها ومايجب فيها فى مواقيتها (وايتاء الزكوة) أى أداء زكاة أموالهم (يخافون يوما) عذاب يوم وهو يوم القيامة (تتقلب فيه القلوب والابصار) حالا بعد حال يعرفون حينا ولايعرفون حينا (ليجزيهم الله أحسن ماعملوا) باحسان ماعملوا فى الدنيا (ويزيدهم من فضله) من كرامته بواحده تسعة (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بلاتقرير ولان

فى قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الارض كانه ماء يجرى (بقيعة) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كجيرة فى جار (يحسبه الظمآن) يظنه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) اى جاء الى ما توهم انه ماء (لم يجده شيأ) كما ظنه (ووجد الله) أى جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما أى يجد مغفرته ورحمته (عنده) عند الكافر (فوفاه حسابه) أى أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا وحد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لان ما هو آت قريب شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتمسا الدين فى الجاهلية فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات

المثيئة وسعة الاحسان ﴿ والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة ﴾ والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمع كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة ﴿ يحسبه الظمأن ماء ﴾ أى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة ﴿ حتى اذا جاءه ﴾ جاء ما توهمه ماء أو موضعه ﴿ لم يجده شيأ ﴾ مما ظنه ﴿ ووجد الله عنده ﴾ عقابه أو زبانيته أو وجده محاسبا اياه ﴿ فوفاه حسابه ﴾ استعراضا أو مجازاة ﴿ والله سريع الحساب ﴾ لا يشغله حساب عن حساب روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر ﴿ أو كظلمات ﴾ عطف على كسراب وأو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لجج البحر والامواج والسحاب أو للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ لما ضرب مثلا لحال المؤمن وانه فى الدنيا والآخرة فى نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر فى البرارى يظنه من رآه ماء فاذا قرب منه لم ير شيأ والقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب ﴿ يحسبه ﴾ أى يتوهمه ﴿ الظمآن ﴾ أى العطشان ﴿ ماء حتى اذا جاءه ﴾ أى جاء ما قدر انه ماء وقيل جاء الى موضع السراب ﴿ لم يجده شيأ ﴾ أى لم يجده على ما قدر وظنه ووجه التشبيه ان الذى يأتى به الكافر من أعمال البر يعتقد ان له ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب فى البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيأ فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده أغنى عنه شيأ ولا نفعه ﴿ ووجد الله عنده ﴾ أى وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله ﴿ فوفاه حسابه ﴾ اى جزاء عمله ﴿ والله سريع الحساب ﴾ معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى ﴿ أو كظلمات ﴾ أعلم الله سبحانه وتعالى ان أعمال الكفار ان كانت حسنة فهى كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهى

هنداز ولامنة (والذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أعمالهم) مثل أعمالهم فى الآخرة (كسراب بقيعة) فى بقاع من الارض (يحسبه الظمآن ماء) العطشان ماء من البعد (حتى اذا جاءه لم يجده شيأ) (كظلمات) من الشراب فكذلك لا يجد الكافر من ثواب عمله شيأ يوم القيامة (ووجد الله عنده) ووجد عند الله عقوبة ذنوبه ويقال وجد الله مستعد العذابه (فوفاه حسابه) فوفره عذابه (والله سريع الحساب) شديد العذاب ويقال اذا حاسب فحسابه سريع (أو كظلمات

فى بحر)أوهنا كاوفى أو كصيب (لجى) عميق كثيرالماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر (يغشاه) يغشى البحر اومن فيه أى يعلوه ويغطيه (موج) هوما ارتفع من الماء (من فوقه موج) اى من فوق الموج موج آخر (من فوقه سحاب) من فوق الموج الاعلى سحاب (ظلمات) أى هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج

(اذا أخرج يده) أى الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة فى لم يرها

وان كانت قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا وكالسراب فى الآخرة ﴿ فى بحر لجى ﴾ ذى لج أى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء ﴿ يغشاه ﴾ يغشى البحر ﴿ موج من فوقه موج ﴾ أى امواج مترادفة متراكمة ﴿ من فوقه ﴾ من فوق الموج الثانى ﴿ سحاب ﴾ غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ﴿ ظلمات ﴾ أى هذه ظلمات ﴿ بعضها فوق بعض ﴾ وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى أو باضافة السحاب اليها فى رواية البزى ﴿ اذا اخرج يده ﴾ وهى اقرب مايرى اليه ﴿ لم يكد يراها ﴾ لم يقرب ان يراها فضلا ان يرها كقوله ذى الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

والضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا ﴾ ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها ﴿ فماله من نور ﴾ بخلاف الموفق الذى له نور على نور ﴿ ألم تر ﴾ ألم تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحى أو الاستدلال ﴿ ان الله

كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم فى فسادها وجهالتهم فيها كظلمات ﴿ فى بحر لجى ﴾ أى عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه ﴿ يغشاه ﴾ أى يعلوه ﴿ موج من فوقه موج ﴾ أى متراكم ﴿ من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ﴾ معناه ان البحر اللجى يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى ﴿ اذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ أى لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من أقرب شئ يراه الانسان قال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجى قلبه وبالموج مايغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال ابى بن كعب الكافر يتقلب فى خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة فى النار ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴾ قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادى له قيل نزلت هذه الآية فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين فى الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة فى حق جميع الكفار * قوله عز وجل ﴿ ألم تر ان الله

أى لم يقرب ان يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم أولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيأ ولم يكفه خيبة وكدا ان لم يجد شيأ كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج فى الحديث خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان فى الايقان (أن الله

فى بحر لجى) يقال مثل النكرة فى قلب الكافر كظلمة فى بحر لجى فى غمر عميق (يغشاه) يعلوه يعنى البحر (موج من فوقه موج) آخر (من فوقه) من فوق الموج الثانى (سحاب) كذلك قلب الكافر مثل النكرة فى قلبه كظلمة البحر ومثل قلبه كالبحر اللجى ومثل صدره كالموج الهائل ومثل أعماله كسحاب لا ينتفع لقول الله ختم الله طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فهذه (ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها) من شدة الظلمة فكذلك الكافر لايبصر الحق والهدى من شدة ظلمة قلبه (ومن لم يجعل الله له نورا) معرفة فى الدنيا (فماله من نور) من معرفة فى الآخرة ويقال ومن لم يكرمه الله بالايمان فى الدنيا فماله من ايمان فى الآخرة (ألم تر) ألم تخبر فى القرآن يا محمد (ان الله

يسبح له من فى السموات والارض ﴾ ينزه ذاته عن كل نقص و آفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال ﴿ والطير ﴾ على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله ﴿ صافات ﴾ فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف فى الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسطة حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره ﴿ كل ﴾ كل واحد مما ذكر أو من الطير ﴿ قدعلم صلوته وتسبيحه ﴾ أى قدعلم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا أو طبعا لقوله تعالى ﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾ أو علم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه يبعد ان يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة فى اسباب تعيشها لا تكاد تهتدى اليها العقلاء ﴿ ولله ملك السموات والارض ﴾ فانه الخالق لهما وما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب ﴿ والى الله المصير ﴾ واليه مرجع الجميع ﴿ ألم تر ان الله يزجى سحابا ﴾ يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز ﴿ ثم يجعله ركاما ﴾ متراكما بعضه فوق بعض ﴿ فترى الودق ﴾ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله ﴿ وينزل من السماء ﴾ من الغمام وكل ما علاك فهو سماء ﴿ من جبال

يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات ﴾ أى باسطات اجنحتهن فى الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من فى السموات والارض ﴿ كل قدعلم صلاته وتسبيحه ﴾ قيل الصلوة لبنى آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قدعلم صلاة نفسه وتسبيحه ﴿ والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض ﴾ أى ان جميع الموجودات ملكه وفى تصرفه وعنه نشئت ومنه بدأت فهو واجد الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها احد سواه ﴿ والى الله المصير ﴾ اى والى الله مرجع العباد بعد الموت ۞ قوله تعالى ﴿ ألم تر ان الله يزجى ﴾ أى يسوق ﴿ سحابا ﴾ بامره الى حيث يشاء من ارضه وبلاده ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ اى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض ﴿ ثم يجعله ركاما ﴾ أى متراكما بعضه فوق بعض ﴿ فترى الودق ﴾ أى المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ أى من وسطه وهو مخارج القطر ﴿ وينزل من السماء من جبال

لا يعزب عن علمه شئ)ولله ملك السموات والارض(لانه خالقهما ومن ملك شيأ فبتمليكه اياه)والى الله المصير(مرجع الكل)ألم تر أن الله يزجى (يسوق الى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة دليله (ثم يؤلف بينه) وتذكيره للفظ أى يضم بعضه الى بعض)ثم يجعله ركاما (متراكما بعضه فوق بعض)فترى الودق(المطر)يخرج من خلاله (من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال فى جبل (وينزل) وينزل مكى ومدنى وبصرى (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من للتبعيض لان

يسبح له) يصلى لله (من فى السموات) من الملائكة (والارض) من المؤمنين (والطير) ويسبح الطير (صافات) مفتوحات الاجنحة (كل) كل واحد منهم (قدعلم صلوته)من يصلى له (وتسبيحه) من يسبح ويقال قدعلم الله صلاة من يصلى وتسبيح من يسبح (والله عليم بما يفعلون) من الخير والشر (ولله ملك) خزائن (السموات) المطر (والارض) النبات (والى الله المصير) المرجع بعد الموت (ألم تر) ألم تخبر (فيها) فى القرآن يا محمد (أن الله يزجى) يسوق (سحابا ثم يؤلف بينه) يضم بين السحاب (ثم يجعله ركاما) بعضه على بعض يقول يجعله ركاما ثم يؤلفه مقدم ومؤخر (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) ينزل من خلال السحاب (وينزل من السماء من جبال

فيها ﴾ من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها أو جودها ﴿ من برد ﴾ بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله ﴿ فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ﴾ والضمير للبرد ﴿ يكاد سنا برقه ﴾ ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع ﴿ يذهب بالابصار ﴾ بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال قدرته من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء ﴿ يقلب الله الليل والنار ﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص احدهما وزيادة الآخر أو بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك ﴿ ان فى ذلك ﴾ فيما تقدم ذكره ﴿ لعبرة لاولى الابصار ﴾ لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته

فيها من برد ﴾ قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان فى السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال فى الكثرة من برد * فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة * قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ماينزله الله بعض تلك الجبال التى فى السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد ﴿ فيصيب به ﴾ أى البرد ﴿ من يشاء ﴾ فيهلكه وأمواله ﴿ ويصرفه عمن يشاء ﴾ أى فلا يضره ﴿ يكاد سنا برقه ﴾ أى ضوء برق السحاب ﴿ يذهب بالابصار ﴾ أى من شدة ضوئه وبريقه ﴿ يقلب الله الليل والنهار ﴾ أى يصرفهما فى اختلافهما وتعاقبهما فيأتى بالليل ويذهب بالنهار ويأتى بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذمونه فى أشعارهم فقيل لهم لاتسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم * وقوله تعالى ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الذى ذكر من هذه الاشياء ﴿ لعبرة لاولى الابصار ﴾ أى دلالة لاهل العقول

من جبال فيها من برد أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الارض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) ى يصيب الانسان وزرعه (ويصرفه عمن يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه (يكاد سنا برقه) ضوءه (يذهب بالابصار) يخطفها يذهب يزيد على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما فى الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان فى ذلك) فى ازجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار (لعبرة لاولى الابصار) لذوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من فى السموات

فيها من برد) يقول ينزل من جبال فى السماء بردا (فيصيب به) فيعذب الله بالبرد (من يشاء) من كان أهلا لذلك (ويصرفه) يصرف عذابه (عمن يشاء يكاد سنا برقه) ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) من شدة نوره (يقلب الله الليل والنهار) يذهب بالليل ويجئ بالنهار ويذهب بالنهار ويجئ بالليل فهذا تقليبهما (ان فى ذلك) فيما ذكرت من تقليب الليل والنهار وغير ذلك (لعبرة) لعلامة (لاولى الابصار) فى الدنيا ويقال

والارض ومايطير بينهماودعاءهم لهوتسخير السحاب الى آخر ماذكرفهى براهين لائحةعلى وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظروتدبرثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خلق كل) خالق كل حمزة وعلى (دابة) كل حيوان يدب على وجه الارض (من ماء) اى من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أومن ماء مخصوص وهوالنطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها اناسى وهو كقوله يسقى بماء واحـد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وهذا دليل على ان لها خالقا ومدبرا والا لم

تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى لان المقصود ثمه ان أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا ان أول ماخلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فاعطى ماوراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثمه قيل (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية والحوت وسمى الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال فى الامر المستمر قد مشى هـذا الامر أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالبهائم وقـدم ماهو أعرف فى القدرة وهو الماشى بغير آلة مشى من أرجل أوغيرها ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (يخلق الله مايشاء) كيف (ان)

وتنزهه عن الحاجة ومايفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة ﴿والله خلق كل دابة﴾ حيوان يدب على الارض *وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة ﴿من ماء﴾ هو جزؤ مادته اوماء مخصوص هـو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات مالايتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق ﴿فمنهم من يمشى على بطنه﴾ كالحية وانما سمى الزحف مشيا على الاستعارة أو المشاكلة ﴿ومنهم من يمشى على رجلين﴾ كالانس والطير ﴿ومنهم من يمشى على اربع﴾ كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذامشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ماهو اعرف فى القدرة ﴿ يخلق الله مايشاء ﴾ مماذكر وممالم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور

والبصائر على قدرة الله وتوحيده * قوله عز وجل ﴿ والله خلق كل دابة من ماء﴾ أى من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد فى الدنيا ولاتدخل فيه الملائكة والجن لانا لانشاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من المـاء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحـا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينـا فخلق منه آدم ﴿ فمنهم من يمشى على بطنه﴾ أى كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك ﴿ ومنهم من يمشى على رجلين ﴾ يعنى مثـل بنى آدم والطير ﴿ ومنهم من يمشى على أربع ﴾ يعنى كالبهـائم والسبـاع *فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة *قلت ذلك المخلوق من غير نطفة لابد ان يكون من شئ وذلك الشئ أصله من الماء فكان من الماء *فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم استعمل فى غير العقلاء *قلت ذكر الله تعالى مالايعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعـا أولى *فان قلت لم قدم مايمشى على بطنه على غيره من المخلوقات *قلت قدم الاعجب والاعرف فى القدرة وهو المـاشى بغير آلة المشى وهى الارجل والقوائم ثم ذكر مايمشى على رجلين ثم مايمشى على أربع *فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفى الحيوان مايمشى على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وماله أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على أربع فى المشى *والباقى تبع لها ﴿يخلق الله مايشاء﴾ أى ممالايعقل ولايعلم

فى العين (والله خلق كل دابة) عـلى وجه الارض (من ماء) من ماء الذكر والانثى (فمنهم من يمشى على بطنه) الحية وأشباهها (ومنهم من يمشى على رجلين) الانسان وأشباهه (ومنهم من يمشى على أربع) الدواب (يخلق الله مايشاء) كما يشاء

يشاء (ان الله على كل شئ قدير) لا يتعذر عليه شئ (لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدى من يشاء) بلطفه ومشيئته (الى صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذى يوصل الى جنته والآيات لالزام حجته لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) بالسنتهم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض

عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك)

والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ فيفعل مايشاء ﴿لقد انزلنا آيات مبينات﴾ للحقائق بانواع الدلائل ﴿والله يهدى من يشاء﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول﴾ نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبى عليه الصلاة والسلام وقيل فى مغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى ارض فابى ان يحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿واطعنا﴾ أى واطعنا لهما ﴿ثم يتولى﴾ بالامتناع عن قبول حكمه ﴿فريق منهم من بعد ذلك﴾ بعد قولهم هذا ﴿ وما اولئك بالمؤمنين﴾ اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو الى الفريق المتولى منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان أو الثابتون عليه ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أى ليحكم النبى صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا أو المدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة

﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ أى هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق مايشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام ﴿والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾ يعنى الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته * قوله تعالى ﴿ويقولون﴾ يعنى المنافقين ﴿آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ أى يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ أى يعرض عن طاعة الله ورسوله ﴿من بعد ذلك﴾ أى من بعد قولهم آمنا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى ﴿ وما أولئك بالمؤمنين﴾ نزلت هذه الآية فى بشر المنافق كان بينه وبين يهودى خصومة فى أرض فقال اليهودى نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل الله هذه الآية ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أى الرسول يحكم بحكم الله بينهم

أى من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أى المخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنا واطعنا لا الى الفريق المتولى وحده وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لاعتقادهم مايعتقد هؤلاء والاعراض وان كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) أى الى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد (ليحكم) الرسول (بينهم

(ان الله على كل شئ قدير) من الخلق وغيره (لقد أنزلنا آيات مبينات) يقول أنزلنا جبريل بآيات مبينات بالامر والنهى (والله يهدى) يرشد الى دينه (من يشاء) ويكرم من كان أهلا لذلك (الى صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام ثم نزل فى شأن قوم عثمان بن عفان حين قالوا لعثمان لاتذهب مع على للقضاء (قا و خا ٥٢ بع) عند النبى صلى الله عليه وسلم فى خصومة فى قطعة أرض كانت بينهما لانه يميل اليه فذمهم الله بذلك وقال (ويقولون) قوم عثمان بن عفان (آمنا بالله وبالرسول) صدقنا بايماننا بالله وبالرسول (وأطعنا) ما أمرنا به (ثم يتولى فريق) طائفة (منهم) من قوم عثمان (من بعد ذلك) من بعد ماقالوا هذه الكلمة عن حكم الله (وما أولئك بالمؤمنين) بالمصدقين فى ايمانهم (واذا دعوا الى الله) الى كتاب الله (ورسوله ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب

اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى أرض فجعل اليهودى يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا (وان يكن لهم الحق) أى اذا كان الحق لهم على غيرهم (يأتوا اليه) الى الرسول (مذعنين) حال أى مسرعين فى الطاعة طلبا لحقهم لا رضا بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ماوجب لهم فى ذمة الخصم (أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) قسم الامر فى صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته أو خائفين الحيف فى قضائه ثم أبطل خوفهم حيفة بقوله (بل اولئك هم الظالمون) أى لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما فى التعريف و ان يقولوا أوغل بخلاف قول المؤمنين (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم) النبى عليه الصلاة والسلام ليحكم أى ليفعل الحكم (بينهم) بحكم الله الذى أنزل عليه (ان يقولوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (وأولئك ﴿ اى ﴾

حكم الله تعالى ﴿ اذا فريق منهم معرضون ﴾ فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه ﴿ وان يكن لهم الحق ﴾ أى الحكم لا عليهم ﴿ يأتوا اليه مذعنين ﴾ منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا أو لمذعنين وتقديمه للاختصاص ﴿ أفى قلوبهم مرض ﴾ كفر أو ميل الى الظلم ﴿ أم ارتابوا ﴾ بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك ﴿ أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ فى الحكومة ﴿ بل اولئك هم الظالمون ﴾ اضراب عن القسمين الاخرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم أو فى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم أو متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته صلى الله عليه وسلم يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه ﴿ انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك

﴿ اذا فريق منهم معرضون ﴾ يعنى عن الحكم وقيل عن الاجابة ﴿ وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين ﴾ أى مطيعين منقادين لحكمه أى اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا ﴿ أفى قلوبهم مرض ﴾ أى كفر ونفاق ﴿ أم ارتابوا ﴾ أى شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك ﴿ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ أى يظلم ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ أى لانفسهم باعراضهم عن الحق ﴿ قوله عز وجل ﴿ انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ﴾ أى الى كتاب الله ﴿ ورسوله ليحكم بينهم ﴾ هذا تعليم أدب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغى أن يكونوا وهو ﴿ ان يقولوا سمعنا ﴾ أى الدعاء ﴿ وأطعنا ﴾ أى بالاجابة ﴿ وأولئك ﴾

الله بحكم الله (اذا فريق) طائفة (منهم معرضون) عن كتاب الله وحكم الرسول (وان يكن لهم) لقوم عثمان (الحق) القضاء (يأتوا اليه) الى النبى صلى الله عليه وسلم (مذعنين) مسرعين طائعين (أفى قلوبهم مرض) شك ونفاق (أم ارتابوا) بل شكوا بالله وبرسوله (أم يخافون) أيخافون (أن يحيف الله) بجور الله (عليهم ورسوله) فى الحكم (بل أولئك هم الظالمون) الضارون لانفسهم وكانوا منافقين فى ايمانهم ثم ذكر قول المخلصين فقال (انما كان قول المؤمنين) المخلصين كقول عثمان حيث قال لعلى بل أجئ معك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قضى لنا رضيت به فمدحه الله بذلك وقال انما كان قول المؤمنين المخلصين (اذا دعوا الى الله) الى كتاب الله (ورسوله) وسنة رسوله (ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب الله بحكم الله (أن يقولوا سمعنا) أجبنا (وأطعنا) ما أمرنا (وأولئك

هم المفلحون) الفائزون(ومن يطع الله) فى فرائضه(ورسوله) فى سنته (ويخش الله) على مامضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل (فاولئك هم الفائزون) وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامعة لاسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر بنية الوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم (وأقسموا بالله جهد ايمانهم) أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا (سورة النور) فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا (قل لاتقسموا) لاتحلفوا كاذبين لانه معصية (طاعة معروفة) أمثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أى الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لايشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها (ان الله خبير بما تعملون) يعلم

هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب يعنى عثمان بن عفان ونزل فى عثمان أيضا لقوله والله لئن شئت يارسول الله لاخرجن من مالى كله فقال الله (ومن يطع الله ورسوله) فى الحكم (ويخش الله) فيما مضى (ويتقه) فيما بقى (فأولئك هم الفائزون) فازوا بالجنة ونجوا من النار (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) حلف بالله عثمان جهد يمينه (لئن أمرتهم ليخرجن) من ماله كله (قل) لهم يا محمد (لاتقسموا) لاتحلفوا (طاعة معروفة) هى طاعة معروفة حسنة ان فعلتم ولكن اطيعوا طاعة معروفة معلومة التى أوجبت عليكم (ان الله خبير بما تعملون) من الخير والشر

هم المفلحون ﴾ على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ماينبغى بعد انكاره لما لاينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ فيما يأمرانه أو فى الفرائض والسنن ﴿ويخش الله﴾ على ماصدر عنه من الذنوب ﴿ويتقه﴾ فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلاياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف ﴿ فاولئك هم الفائزون ﴾ بالنعيم المقيم ﴿ واقسموا بالله جهد ايمانهم ﴾ انكار للامتناع عن حكمه ﴿ لئن امرتهم ﴾ بالخروج عن ديارهم واموالهم ﴿ ليخرجن ﴾ جواب لاقسموا على الحكاية ﴿قل لاتقسموا ﴾ على الكذب ﴿طاعة معروفة ﴾ أى المطلوب منكم طاعة معروفة لااليمين والطاعة النفاقية المنكرة أو طاعة معروفة امثل منها أو لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ﴿ان الله خبير بما تعملون ﴾ فلايخفى عليه سرائركم

أى من هذه صفته ﴿ هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ﴾ قال ابن عباس فيما ساءه وسره ﴿ ويخش الله ﴾ أى ماعمل من الذنوب ﴿ ويتقه ﴾ أى فيما بعد ﴿ فاولئك هم الفائزون ﴾ أى الناجون ۞ قوله تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ قيل جهد اليمين أن يحلف بالله ولايزيد على ذلك شيأ ﴿ لئن أمرتهم ليخرجن ﴾ وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لانرضى بحكمك فقال الله تعالى ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لاتقسموا ﴾ أى لاتحلفوا وتم الكلام ثم ابتدأ فقال ﴿ طاعة معروفة ﴾ أى هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهى معروفة أى امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون مالاتفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لايوافقها الفعل ﴿ان الله خبير بما تعملون ﴾ أى من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل

ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم (قل أطيعوا الله واطيعوا الرسول) صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات هو أبلغ في تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه (وان تطيعوه تهتدوا) أي وان اطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر في توليكم والنفع عائذان اليكم وما على الرسول الا أن يبلغ ماله نفع في قلوبكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعيض (ليستخلفنهم في الارض) أي أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح انه عام لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل (كما استخلف) سيحلف ابو بكر (الذين من قبلهم وليمكنن لهم

﴿ قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول ﴾ امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم ﴿ فان تولوا فانما عليه ﴾ أي على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ما حمل ﴾ من التبليغ ﴿ وعليكم ما حملتم ﴾ من الامتثال ﴿ وان تطيعوه ﴾ في حكمه ﴿ تهتدوا ﴾ الى الحق ﴿ وما على الرسول الا البلاغ المبين ﴾ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللامة أوله ولمن معه ومن للبيان ﴿ ليستخلفنهم في الارض ﴾ ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم أو الوعد في تحققه منزل منزلة القسم ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشأم بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا كسروا الالف ﴿ وليمكنن لهم

﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ يعني بقلوبكم وصدق نياتكم ﴿ فان تولوا ﴾ أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله ﴿ فانما عليه ﴾ أي على الرسول ﴿ ما حمل ﴾ أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة ﴿ وعليكم ما حملتم ﴾ أي ما كلفتم من الاجابة والطاعة ﴿ وان تطيعوه تهتدوا ﴾ أي تصيبوا الحق والرشد في طاعته ﴿ وما على الرسول الا البلاغ المبين ﴾ أي التبليغ الواضح البين * قوله عز وجل ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ﴾ قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ أي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بني اسرائيل واهلك الجبابرة بمصر والشأم وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿ وليمكنن لهم

(قل) يا محمد لقوم عثمان (اطيعوا الله) في الفرائض (وأطيعوا الرسول) في السنن والحكم (فان تولوا) أعرضوا عن طاعتهما (فانما عليه ما حمل) ما أمر من التبليغ (وعليكم ﴿ دونهم ﴾ ما حملتم) ما أمرتم من الاجابة (وان تطيعوه) تطيعوا الله فيما أمركم (تهتدوا) من الضلالة (وما على الرسول الا البلاغ المبين) عن الله (وعد الله الذين آمنوا منكم) يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (ليستخلفنهم في الارض) بعضهم على اثر بعض (كما استخلف الذين من قبلهم) من بني اسرائيل يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ويقال لننزلنهم أرض مكة كما أنزلنا الذين من قبلهم من بني اسرائيل أرضهم بعدما أهلك عدوهم (وليمكنن لهم) ليظهرن لهم

دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم)وليبدلنهم بالتخفيف مكي وابوبكر (من بعد خوفهم امنا) وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض و يجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين أورثهم مصر والشأم بعد اهلاك الجبابرة وان يعز الدين المرتضى و هو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتعضيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل

نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لاتغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة و ملكوا خزائنهم و استولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه أقسم الله ليستخلفنهم (يعبدونني) ان جعلته استئنافا فلا محل له كانه قيل مالهم يستخلفون و يؤمنون فقال يعبدونني موحدين ويجوز ان تكون حالا بدلا من الحال الاولى وان جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فمحله النصب (لايشركون بي شيأ) حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني موحدين ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الاولى

دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم ﴾ من الاعداء وقرأ ابن كثير وابوبكر بالتخفيف ﴿ امنا ﴾ منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ماهو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منهم في الآخرة ﴿ يعبدونني ﴾ حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن ﴿ لايشركون بي شيأ ﴾ حال من الواو أي يعبدونني

دينهم الذي ارتضى ﴾ أي اختاره ﴿ لهم ﴾ قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني ﴾ آمنين ﴿ لايشركون بي شيأ ﴾ فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الارض (خ) عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال ياعدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحدا الا الله قلت فيما بيني و بين نفسي فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ماقال أبو القاسم صلى الله

(دينهم الذي ارتضى لهم) رضي واختار لهم (وليبدلنهم) بمكة (من بعد خوفهم) من العدو (أمنا) بعد هلاك عدوهم (يعبدونني) اي يعبدونني بمكة (لايشركون بي شيأ)من الاوثان

تعالى فكفرت بانعم الله (فاؤلئك هم الفاسقون) هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وان طال (وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول) فيما يدعوكم اليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها (لعلكم ترحمون) أي لكي ترحموا فانها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض)

غير مشركين ﴿ ومن كفر ﴾ ومن ارتد أو كفر هذه النعمة ﴿ بعد ذلك ﴾ بعد الوعد أو حصول الخلافة ﴿ فاولئك هم الفاسقون ﴾ الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات أو كفروا تلك النعمة العظيمة ﴿ واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول ﴾ في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكريرا لامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة هي فيه بقوله ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ كما علق به الهدى ﴿ لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ﴾ لاتحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى كما هو في القراءة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى ولا يحسبن الكفار في الارض احدا

عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين ﴿ عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلى ستا قال على قلت لحماد القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ولهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة اشهر ثم نزل عنها والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ﴿ ومن كفر بعد ذلك ﴾ أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ أي العاصون قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا ﴿ عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال لما أريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك خارجا خير لي منك داخلا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل ان تقتلوا فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا ﴿ قوله تعالى ﴿ وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ أي افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة ﴿ لاتحسبن الذين كفروا معجزين ﴾ أي فائتين عنا ﴿ في الارض

(ومن كفر بعد ذلك) التمكين والتبديل (فأولئك هم الفاسقون) العاصون (وأقيموا الصلوة) تموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) أعطوا زكاة أموالكم (وأطيعوا الرسول) في الحكم (لعلكم ترحمون) لكي ترحموا فلا تعذبوا (لاتحسبن) يا محمد (الذين كفروا) كفار مكة (معجزين في الارض) فائتين في الارض من عذاب الله (و)

يعجز الله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه أولايحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث ﴿ومأواهم النار﴾ عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا اليسعوا معجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ﴿ولبئس المصير﴾ المأوى الذى يصيرون اليه ﴿ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لماروى ان غلام اسماء بنت ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعوا عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لايدخلوا هذه الساعات علينا الاباذن ثم انطلق معه الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ﴿ثلاث مرات﴾ فى اليوم والليلة مرة ﴿من قبل صلوة الفجر﴾ لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات أو الرفع

ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾ قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ﴾ قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الامر وفيه قولان أحدهما انه على الندب والاستحباب والثانى انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت أيمانكم يعنى العبيد والاماء ﴿ والذين لم يبلغوا الحلم منكم ﴾ يعنى الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم و هو سن التميز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال أبو حنيفة لايكون بالغا حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعى وأبو يوسف ومحمد واحمد فى الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجرى عليه الاحكام وان لم يحتلم ﴿ثلاث مرات﴾ أى ليستأذنوا فى ثلاثة أوقات ﴿من قبل صلوة الفجر

الذين كفروا و معجزين (ومأواهم النار) معطوف على لاتحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار (ولبئس المصير) أى المرجع النار (ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمر بأن يستأذن العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أى الاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفا (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة وهى (من قبل صلوة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ماينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة

(ومأواهم) مصيرهم (النار) فى الآخرة (ولبئس المصير) صاروا اليه مع الشياطين نزلت هذه الآية فى أبى جهل وأصحابه ثم نزل حين قال عمر رضى الله عنه وددت أن الله نهى ابناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا فى العورات الثلاث الا باذن فقال (ياأيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ليستأذنكم) فى الدخول عليكم (الذين ملكت أيمانكم) العبيد الصغار (والذين لم يبلغوا الحلم) الاحتلام (منكم) من أحراركم (ثلاث مرات) فى ثلاث ساعات (من قبل صلوة الفجر) من حين ينفجر الصبح الى حين تصلى صلاة الفجر

(وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة)وهى نصف النهار فى اليقظ لانها وقت وضع الثياب للقيلولة (ومن بعد صلوة العشاء) لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أى هى أوقات ثلاث عورات فحذف المبتدأ والمضاف وبالنصب كوفى غير حفص بدلا من ثلاث مرات أى اوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الانسان يختل تستره فيها والعورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخول فى هذه الساعات الا باذن فانطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذرهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس

عليكم ولا عليهم جناح

بعدهن) أى لا اثم عليكم ولا على المذكورين فى الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة فى ترك الاستئذان فى هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم) أى هم طوافون بحوائج البيت (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التى قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعنى ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان فى كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع فى الشرع بالنص (كذلك يبين الله لكم الآيات) اى كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التى احتجتم الى بيانها (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) فى بيان

خبرا لمحذوف أى هى من قبل صلاة الفجر ﴿ وحين تضعون ثيابكم ﴾ لليقظة للقيلولة ﴿ من الظهيرة ﴾ بيان للحين ﴿ ومن بعد صلوة العشاء ﴾ لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ اى هى ثلاث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره مابعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات ﴿ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ﴾ بعد هذه الاوقات فى ترك الاستئذان وليس فيه ماينافى آية الاستئذان فينسخها لانه فى الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك فى الاحرار البالغين ﴿ طوافون عليكم ﴾ أى هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاث وغيرها بانها عورات ﴿ بعضكم على بعض ﴾ بعضكم طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿ يبين الله لكم الآيات ﴾ أى الاحكام ﴿ والله عليم ﴾ باحوالكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يشرع لكم

وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴾ أى وقت المقيل ﴿ ومن بعد صلوة العشاء ﴾ وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان مالا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستئذان فى هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن فى جميع الاوقات ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ﴿ ليس عليكم ولا عليهم ﴾ يعنى العبيد والخدم والصبيان ﴿ جناح ﴾ أى حرج فى الدخول عليكم بغير استئذان ﴿ بعدهن ﴾ أى بعد هذه الاوقات الثلاثة ﴿ طوافون عليكم ﴾ أى العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون فى أشغالكم بغير اذن ﴿ بعضكم على بعض ﴾ أى يطوف بعضكم على بعض ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾ اختلف العلماء فى حكم هذه الآية

(وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) عند القيلولة الى ان تصلى صلاة الظهر (ومن بعد صلوة العشاء) الاخيرة (فقيل) الى حين طلوع الفجر (ثلاث عورات) ثلاث خلوات (لكم) ثم رخصهم بعد ذلك فى الدخول عليهم بغير اذن فقال (ليس عليكم) على أرباب البيوت (ولا عليهم) على الابناء والخدام الصغار دون الكبار (جناح) حرج (بعدهن) بعد هذه الثلاث العورات (طوافون عليكم) للخدمة (بعضكم على بعض) يدخل بعضكم على بعض بغير اذن وأما الكبار من العبيد والابناء فينبغى لهم أن يستأذنوا بالدخول على آبائهم ومماليكهم فى كل حين (كذلك) هكذا (يبين الله لكم الآيات) الامر والنهى كما بين الله هذا (والله عليم) أعلم بصلاحكم (حكيم) حكم

مراده (واذا بلغ الاطفال منكم) أى الاحرار دون المماليك (الحلم) أى الاحتلام أى اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا الا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم فى الدخول بغير اذن الا فى العورات الثلاث فاذا اعتاد

الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا فى جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هى منسوخة والله ماهى بمنسوخة وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم) فيما يبين من الاحكام (حكيم) بمصالح الانام (والقواعد) جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض أى اللاتى قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (من النساء) حال (اللاتى لا يرجون نكاحا) يطمعن فيه وهى فى محل الرفع صفة للمبتدأ وهى القواعد والخبر

﴿ واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين قبلهم ﴾ من الذين بلغوا من قبلهم فى الاوقات كلها واستدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ كرره تأكيدا ومبالغة فى الامر بالاستئذان ﴿ والقواعد من النساء ﴾ العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل ﴿ اللاتى لا يرجون نكاحا ﴾ لا يطمعن فيه لكبرهن

فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة أن نفرا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى فى هذه الآية التى أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فامرهم الله تعالى بالاستئذان فى تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفى رواية عنه نحوه وزاد فرأى ان ذلك أغنى عن الاستئذان فى تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى ابن أبى عائشة قال سألت الشعبى عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هى قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير فى هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بيتا واذا حضر القسمة أولو القربى الآية وقوله عز وجل ﴿ واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ﴾ أى الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا ﴿ فليستاذنوا ﴾ أى يستاذنوا فى جميع الاوقات فى الدخول عليكم ﴿ كما استأذن الذين من قبلهم ﴾ أى الاحرار الكبار ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ أى دلالاته وقيل أحكامه ﴿ والله عليم ﴾ أى بأمور خلقه ﴿ حكيم ﴾ بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فانما أنزلت هذه الآية فى ذلك وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره ✽ قوله ﴿ والقواعد من النساء ﴾ يعنى اللاتى قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن ﴿ اللاتى لا يرجون نكاحا ﴾ أى لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتى اذا رآهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهى محل الشهوة فلا تدخل فى حكم هذه الآية

عليكم بالاستئذان للصبيان الصغار فى العورات الثلاث ثم ذكر الكبار دون الصغار

فقال (واذا بلغ الاطفال منكم) من أحراركم (قا و خا ٥٣ بع) وعبيدكم (الحلم) الاحتلام (فليستأذنوا) عليكم فى كل حين (كما استأذن الذين من قبلهم) من اخوانهم المذكورين (كذلك) هكذا (يبين الله لكم آياته) أمره ونهيه كما بين هذا (والله عليم) بصلاحكم (حكيم) حكم على الكبار بالاستئذان فى كل حين (والقواعد من النساء) العجائز (اللاتى) يئسن من المحيض اللاتى (لا يرجون نكاحا) لا يتزوجهن ولا يحتجن الى الزوج

(فليس عليهن جناح) اثم ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط بسبب الالف واللام (ان يضعن) في أن يضعن (ثيابهن) أي الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار (غير) حال (متبرجات بزينة) أي غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أي لايقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار مايجب اخفاؤه (وأن يستعففن) أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ خبره (خير لهن والله سميع) لمايعلن (عليم) بمايقصدن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لاتكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة

﴿ فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن ﴾ أي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي اولوصفها به ﴿ غير متبرجات بزينة ﴾ غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه في قوله ولايبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار مايخفى من قولهم سفينة بارجة لاغطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لايغيب منه شئ الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ﴿ وان يستعففن خير لهن ﴾ من الوضع لانه ابعد من التهمة ﴿ والله سميع ﴾ لمقالتهن للرجال ﴿ عليم ﴾ بمقصودهن ﴿ ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ نفى لما كانوا

﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ أي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه ﴿ غير متبرجات بزينة ﴾ أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها مايجب عليها أن تستره ﴿ وأن يستعففن ﴾ أي فلايلقين الجلباب ولا الرداء ﴿ خير لهن والله سميع عليم ﴾ ﴿ قوله عز وجل ﴿ ليس على الاعمى حرج ﴾ اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقدنهانا الله عز وجل عن أكل الاموال بالباطل والاعمى لايبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لايتمكن من الجلوس ولايستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على بمعنى في أي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمى يقول ربما آكل أكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمى ربما أجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصا لهؤلاء في الاكل من بيوت من سماهم الله في باقي الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شئ ذهب بهم الى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله تعالى فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لاندخلها وأصحابها غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله ﴿ ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾

(فليس عليهن) على العجائز (جناح) حرج (أن يضعن ثيابهن) من ثيابهن الرداء عند الغريب (غير متبرجات بزينة) من غير أن يتزين أن يظهرن ماعليهن من الزينة عند الغريب (وأن يستعففن) بالرداء عند الغريب (خير لهن من) أن يضعنه (والله سميع) لمقالتهن (عليم) بأعمالهن ثم نزل حين تحرجوا من المؤاكلة مع بعضهم بعضا مخافة الظلم لما (وقوله) أنزل قوله ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بالظلم وخافوا من ذلك فرخص لهم المؤاكلة مع بعضهم بعضا فقال (ليس على الاعمى حرج) يقول ليس على من أكل مع الاعمى حرج مأثم (ولا على الاعرج حرج) ليس على من أكل مع الاعرج حرج مأثم (ولا على المريض حرج) وليس على من أكل مع

ثم (ولا على أنفسكم) أى حرج (أن تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت أولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولهذا
لم يذكر الاولاد فى الآية وقدقال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لابيك أو بيوت أزواجكم لان الزوجين صارا كنفس
واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أوبيوت آبائكم أوبيوت أمهاتكم أوبيوت اخوانكم أوبيوت اخواتكم أوبيوت
أعمامكم أو بيوت عماتكم أوبيوت أخوالكم اوبيوت خالاتكم) لان الاذن من
هؤلاء ثابت دلالة (أوما ملكتم مفاتحه) جمع مفتح وهومايفتح به الغلق قال ابن عباس رضى الله عنهما هو وكيل الرجل و قيمه فى ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته و يشرب من لبن ماشيته وأريد بملك المفاتح كونها فى يده وحفظه وقيل أريد به بيت عبده لان العبد ومافى يده لمولاه (أوصديقكم) يعنى أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك فى مودته وتصدق فى مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ماشاء فاذا حضر مولاها فاخبرته أعتقها سرورا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس

يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لايكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت بأذن اوقرينة اوكان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام *وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لايلائم ماقبله ولامابعده ﴿ ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم ﴾ من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان اطيب مايأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ﴿أوبيوت آبائكم أوبيوت امهاتكم أوبيوت اخوانكم أوبيوت اخواتكم أوبيوت اعمامكم أوبيوت عماتكم أوبيوت اخوالكم أوبيوت خالاتكم أوماملكتم مفاتحه﴾ وهو مايكون تحت ايديكم وتصرفكم من صيعة أوماشية وكالة اوحفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو مايفتح به وقرئ مفتاحه ﴿ أوصديقكم ﴾ أوبيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم

وقوله تعالى ﴿ ولا على أنفسكم ﴾ كلام مستأنف قيل لما نزلت ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لايحل لاحدنا أن يأكل عند أحد فانزل الله تعالى ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ﴾ أى لاحرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت أولادكم ونسب بيوت الاولاد الى الآباء لما جاء فى الحديث أنت ومالك لابيك ﴿أوبيوت آبائكم أوبيوت أمهاتكم أوبيوت اخوانكم أوبيوت أخواتكم أوبيوت اعمامكم أوبيوت عماتكم أوبيوت أخوالكم أوبيوت خالاتكم أوماملكتم مفاتحه ﴾ قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته لابأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولايحمل ولايدخر وقيل يعنى بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزائن ويجوز أن يكون المفتاح الذى يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلابأس أن يأكل الشئ اليسير وقيل ماملكتم مفاتحه أى ماخزنتموه عندكم وماملكتموه ﴿ أوصديقكم ﴾ الصديق هوالذى صدقك فى المودة قال ابن عباس نزلت فى الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان آكل من

المريض حرج مأثم (ولا على أنفسكم) حرج مأثم (ان تأكلوا من بيوتكم) من بيوت أبنائكم بغير اذن بالعدل
والانصاف (أوبيوت آبائكم أوبيوت أمهاتكم أوبيوت اخوانكم) من كل وجه (أوبيوت أخوانكم) من كل وجه (أوبيوت
أعمامكم) اخوة آبائكم (أوبيوت عماتكم) أخوات آبائكم (أوبيوت أخوالكم) اخوة أمهاتكم (أوبيوت خالاتكم)
أخوات أمهاتكم (أوماملكتم مفاتحه) خزائن ماعندكم من المال يعنى العبيد والاماء (أوصديقكم) فى الخلطة نزل أوصديقكم
فى مالك بن زيد والحرث بن عمار

واسربه وهو يقع على الواحد والجمع كالخلط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانهم يعتادون التبسط بينهم اوكان ذلك في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لاقطع بسرقة مال المحرم ﴿ ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا ﴾ مجتمعين أو متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لايأكلون الامعه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع في القزازة والنهمة ﴿ فاذا دخلتم بيوتا ﴾ من هذه البيوت ﴿ فسلموا على انفسكم ﴾ على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة ﴿ تحية من عند الله ﴾ ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون من صلة للتحية فانه طلب الحياة وهي من عنده تعالى وانتصابها على المصدر لانها بمعنى التسليم ﴿ مباركة ﴾ لانها ترجى بها زيادة الخير والثواب ﴿ طيبة ﴾ يطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك فصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين

طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا ﴿ ليس عليكم جناح أن تأكلو جميعا أو أشتاتا ﴾ نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لايأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلايشرب من ألبانها حتى يأتي من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد احدا أكل وقال ابن عباس كان الغنى يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله انى لاجنح أى اتحرج ان آكل معك وانا غنى وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لايأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤا جميعا أى مجتمعين أو أشتاتا أى متفرقين ﴿ فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم ﴾ أى ليسلم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿ تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب

من يؤا كله أكل ضرورة أو في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لايأكلون الامع ضيفهم أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أى فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة أو بيوتا فارغة أو مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب بسلموا لانها في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا (من عند الله) أى ثابتة بامره مشروعة من لدنه أولان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق

وكانا صديقين (ليس عليكم جناح) مأثم (أن تأكلوا جميعا) مجتمعين بالعدل والانصاف (أو أشتاتا) متفرقين ودخل في هذه الآية الاعمى والاعرج والمريض وغير ذلك (فاذا دخلتم بيوتا)يعنى بيوتكم أو المساجد وليس فيها أحد (والاجر) (فسلموا على أنفسكم) فقولوا السلام علينا من ربنا (تحية من عند الله) كرامة من الله لكم (مباركة) بالثواب (طيبة) بالمغفرة

(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لكي تعقلوا وتفهموا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع) أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أي ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه

جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث عاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وضمنه شيأ آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا (فاذا استأذنوك) في الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام

﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ اى الحق والخير فى الامور ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى الكاملون فى الايمان ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ من صميم قلوبهم ﴿ واذا كانوا معه على امر جامع ﴾ كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع ﴿ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾ يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته المميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ﴿ ان الذين يستأذنوك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ﴾ فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك ﴿ فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ﴾ مايعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر ﴿ فأذن لمن شئت منهم ﴾ تفويض للامر الى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه عليه الصلاة السلام ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان

والاجر ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ أى عن الله أمره ونهيه وآدابه ﴿ قوله عز وجل ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه ﴾ أى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ على أمر جامع ﴾ أى يجمعهم من حرب أوصلاة حضرت أوجمعة أوعيد أوجماعة أوتشاور فى امر نزل ﴿ لم يذهبوا ﴾ أى لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له ﴿ حتى يستاذنوه ﴾ قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أوعذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن مأذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لايخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا فى المسجد فتحيض امرأة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان ﴿ ان الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا أستاذنوك لبعض شأنهم ﴾ أى أمرهم ﴿ فأذن لم شئت منهم ﴾ أى فى الانصراف والمعنى ان شئت فاذن وان شئت فلا تأذن

(كذلك) هكذا (يبين الله لكم الآيات) الامر والنهى كما بين هذا (لعلكم تعقلون) لكى تعقلوا ماأمرتم به (انما المؤمنون) المصدقون فى ايمانهم (الذين آمنوا بالله ورسوله) فى السر والعلانية (واذا كانوا معه) مع النبى صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) فى يوم الجمعة أوفى غزوة (لم يذهبوا) لم يخرجوا من المسجد ولم يرجعوا من الغزو (حتى يستأذنوه) يعنى حتى يستأذنوا النبى صلى الله عليه وسلم (ان الذين يستأذنونك) يا محمد بالرجوع عن غزوة تبوك وكان ذلك عمر بن الخطاب استأذن النبى صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى المدينة لعلة كانت به (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فى السر والعلانية (فاذا استأذنوك) يا محمد المخلصون (لبعض شأنهم) حاجتهم (فأذن لمن شئت منهم) من

(واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل ان لا يستأذن قالوا وينبغى ان يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعى أو لاتجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يانبى الله يارسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلا قليلا (منكم لواذا) حال أى ملاوذين اللواذ والملاوذة هو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أى ينسلون عن الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير فى أمره لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر المخلصين (واستغفر لهم الله) فيما ذهبوا (ان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم) أى لا تدعوا الرسول باسمه يا محمد (كدعاء بعضكم بعضا) باسمه ولكن عظموه ووقروه وشرفوه وقولوا له يانبى الله ويارسول الله ويا أبا القاسم (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) يخرجون منكم من المسجد (لواذا) يلوذ بعضكم بعضا وكان المنافقون اذا خرجوا من المسجد خرجوا بغير اذن اذا لم يرهم أحد (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال عن أمر الله

المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا ﴿ واستغفر لهم الله ﴾ بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ﴿ ان الله غفور ﴾ لفرطات العباد ﴿ رحيم ﴾ بالتيسير عليهم ﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ لاتقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته عليه السلام واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لاتجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يانبى الله ويارسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت أو لاتجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب أو لاتجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ﴾ ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل ﴿ لواذا ﴾ ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج أو بلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن امره ﴾ يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين

﴿ واستغفر لهم الله ﴾ أى ان رأيت لهم عذرا فى الخروج عن الجماعة ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ قوله عز وجل ﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لاتدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يانبى الله يارسول الله فى لين وتواضع ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون ﴾ أى يخرجون ﴿ منكم لواذا ﴾ أى يستتر بعضهم ببعض ويروغ فى خفية فيذهب قيل كانوا فى حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا أى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ أى يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه

(أن تصيبهم فتنة) محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباغ النعم استدراجا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والآية تدل على أن الامر للايجاب (ألا ان لله ما في السموات والارض) ألا تنبيه على ان لا يخالفوا أمر من له ما في السموات والارض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم

الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجهدون في سترها (ويوم يرجعون اليه) وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب أي ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما أبطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (والله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه خافية وروى ابن عباس رضي الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لاسلمت والله أعلم ﴿ سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له في الحقيقة أو للرسول فانه المقصود بالذكر ﴿ ان تصيبهم فتنة ﴾ محنة في الدنيا ﴿ أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب ﴿ ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ﴾ ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾ يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ لا يخفى عليه خافية * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

﴿ سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ان تصيبهم فتنة ﴾ أي لئلا تصيبهم فتنة أي بلاء في الدنيا ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ أي وجيع في الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى ﴿ ألا ان لله ما في السموات والارض ﴾ أي ملكا وعبيدا ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ أي من الايمان والنفاق ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ أي من الخير والشر ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الفرقان وهي مكية وسبع وسبعون آية وثمانمائة ﴾

﴿ واثنتان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبمائة وثلاثون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(ان تصيبهم فتنة) بلية (أو يصيبهم عذاب أليم) بالضرب (الا ان لله ما في السموات والارض) من الخلق (قد يعلم) أي يعلم الله (ما أنتم عليه)من الكفر والايمان والتصديق والتكذيب والاخلاص والنفاق والاستقامة والميل وغير ذلك (ويوم يرجعون اليه) الى الله وهو يوم القيامة (فينبئهم) يخبرهم الله (بما عملوا) في الدنيا (والله بكل شئ) من أعمالهم (عليم) ﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الفرقان وهي كلها مكية آياتها سبع وتسعون آية وكلماتها ثمانمائة واثنتان وتسعون وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وستون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في

(تبارك) تفاعل من البركة وهى كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر وتزايد عن كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله وهى كلمة تعظيم لم تستعمل الالله وحده والمستعمل منه الماضى فحسب (الذى نزل الفرقان) هو مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أولانه لم ينزل جملة ولكن مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض فى الانزال ألا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيرا) منذرا أى مخوفا أو انذارا كالنكيرة بمعنى الانكار ومنه قوله

تعالى فكيف كان عذابى ونذر (الذى) رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو على الابدال من الذى نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به أو نصب على المدح (له ملك السموات والارض) على الخلوص (ولم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى فى عزير والمسيح عليهما السلام (ولم يكن له شريك فى الملك) كما زعمت الثنوية (وخلق كل شئ) أى أحدث كل شئ وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن ولا شبهة فيه لمن يقول ان الله شئ ويقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على ان لفظ شئ اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة فى (فقدره)

﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ﴾ تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير أو تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزاله الفرقان لما فيه من كثرة الخير اولدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذ فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو بين المحق والمبطل باعجازه أو لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كقوله لقد انزلنا اليكم آيات اوالانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ﴿ ليكون ﴾ العبد او الفرقان ﴿ للعالمين ﴾ للجن والانس ﴿ نذيرا ﴾ منذرا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة ﴿ الذى له ملك السموات والارض ﴾ بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ﴿ ولم يتخذ ولدا ﴾ كزعم النصارى ﴿ ولم يكن له شريك فى الملك ﴾ كقول الثنوية أثبت له الملك مطلقا ونفى مايقوم مقامه ومايقاومه فيه ثم نبه على مايدل عليه فقال ﴿ وخلق كل شئ ﴾ احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه

﴿ قوله عز وجل ﴿ تبارك ﴾ تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم ﴿ الذى نزل الفرقان ﴾ أى القرآن سماه فرقانا لانه فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا فى أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق ﴿ على عبده ﴾ يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ ليكون للعالمين ﴾ أى للانس والجن ﴿ نذيرا ﴾ قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ الذى له ملك السموات والارض ﴾ أى هو المتصرف فيهما كيف يشاء ﴿ ولم يتخذ ولدا ﴾ أى هو الفرد فى وحدانيته وفيه رد على النصارى ﴿ ولم يكن له شريك فى الملك ﴾ أى هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام ﴿ وخلق كل شئ ﴾ مما تطلق عليه صفة المخلوق

قوله تعالى (تبارك) يقول ذو بركة ويقال تبارك تعالى وارتفع وتبرأ عن الولد والشريك (الذى نزل الفرقان) نزل جبريل بالقرآن (على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون) محمد صلى الله عليه وسلم (للعالمين) الجن والانس (نذيرا) رسولا مخوفا بالقرآن (الذى له ملك) خزائن (السموات) المطر (والارض) النبات (ولم يتخذ ولدا) كما قالت اليهود والنصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كما قال مشركو العرب فيماريه (وخلق كل شئ) عبدوه وغير ماعبدوه

خلق افعال العباد (فقدره تقديرا) فهياه لما يصلح له بلا خلل فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل الذى تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى الدين والدنيا أو قدره للبقاء الى أمد معلوم (واتخذوا) الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين أو لدلالة نذيرا عليهم لانهم المنذرون (من دونه آلهة) أى الاصنام (لايخلقون شيأ وهم يخلقون) أى انهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة

الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة ﴿ فقدره تقديرا ﴾ فقدره وهيأه لما ارادمنه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك أو فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شئ فقدره فى ايجاده حتى لايكون متفاوتا ﴿ واتخذوا من دونه آلهة ﴾ لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ فى الرد على المخالفين فيهما ﴿ لايخلقون شيأ وهم يخلقون ﴾ لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ﴿ ولايملكون ﴾ ولايستطيعون ﴿ لانفسهم ضرا ﴾ دفع ضر ﴿ ولانفعا ﴾ ولا جلب نفع ﴿ ولا يملكون موتا ولاحيوة ولا نشورا ﴾ ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء ﴿ وقال الذين كفروا ان هذا الا افك ﴾ كذب مصروف عن وجهه ﴿ افتراه ﴾ اختلقه ﴿ واعانه عليه قوم آخرون ﴾ أى اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر ﴿ فقد جاؤا ظلما ﴾ بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود ﴿ وزورا ﴾ بنسبة ماهو برئ منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته

﴿ فقدره تقديرا ﴾ أى سواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شئ تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق * قوله تعالى ﴿ واتخذوا ﴾ يعنى عبدة الاوثان ﴿ من دونه آلهة ﴾ يعنى الاصنام ﴿ لايخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ﴾ أى دفع ضر ولا جر نفع ﴿ ولا يملكون موتا ﴾ أى اماتة ﴿ ولاحيوة ﴾ اى احياء ﴿ ولانشورا ﴾ أى بعثا بعد الموت ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى النضر بن الحرث واصحابه ﴿ ان هذا ﴾ أى ماهذا القرآن ﴿ الا افك ﴾ أى كذب ﴿ افتراه ﴾ أى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وأعانه عليه قوم آخرون ﴾ قيل هم اليهود وقيل عبيد بن الحضر الحبشى الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى ﴿ فقد جاؤا ﴾ يعنى قائلى هذه المقالة ﴿ ظلما وزورا ﴾ أى بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء

لايقدرون على خلق شئ وهم يخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يملكون موتا) اماتة (ولاحيوة) أى احياء (ولانشورا) احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها (وقال الذين كفروا ان هذا) ماهذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه (وأعانه عليه قوم آخرون) أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومى قاله النضر ابن الحرث (فقد جاؤا ظلما وزورا) هذا اخبار من الله

(فقدره تقديرا) فقدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم بالتقدير ويقال قدر لكل ذكر أنثى (واتخذوا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (من دونه) من دون الله (آلهة) يعبدونها (لايخلقون شيأ) لايقدرون أن يخلقوا شيأ (وهم يخلقون) (قا و ل ٥٤ يع) وهى مخلوقة منحوتة يعنى الاصنام (ولا يملكون لانفسهم) يعنى الاصنام (ضرا) دفع الضرر (ولانفعا) جر النفع الى أنفسهم ولا الى غيرهم (ولا يملكون موتا) لايقدرون أن ينقصوا من الحياة (ولاحيوة) ولا ان يزيدوا فى الحياة ويقال ولا يملكون موتا لايقدرون ان يخلقوا نطفة ولاحياة ولا ان يجعلوا فيها الروح (ولانشورا) بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) كفار مكة (ان هذا) ماهذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (وأعانه عليه) على اختلاقه (قوم آخرون) جبر ويسار وأبو فكيهة الرومى (فقد جاؤا ظلما) شركا (وزورا) كذبا

ردالكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل فى معنى فعل فيعدى تعديتها أو حذف الجار وأوصل الفعل أى بظلم وزور وظلمهم ان جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ماهو برئ منه اليه (وقالوا أساطير الاولين) أى هو أحاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع اسطار وأسطورة كاحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه (فهى تملى عليه) أى تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا

(أنزله) أى القرآن (الذى يعلم السر فى السموات والارض) أى يعلم كل سر خفى فى السموات والارض يعنى ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التى يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيما) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها بمكابرتهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم اياه بالرسول سخرية منهم كانهم قالوا أى شئ لهذا الزاعم انه رسول (يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق) حال والعامل

﴿ وقالوا اساطير الاولين ﴾ ما سطره المتقدمون ﴿ اكتتبها ﴾ كتبها لنفسه أو استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امى واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه ﴿ فهى تملى عليه بكرة واصيلا ﴾ ليحفظها فانه امى لا يقدر ان يكرر من الكتاب أو ليكتب ﴿ قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ﴾ لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين ﴿ انه كان غفورا رحيما ﴾ فلذلك لا يعجل فى عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا ﴿ وقالوا مال هذا الرسول ﴾ ما لهذا الذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ﴿ يأكل الطعام ﴾ كما نأكل ﴿ ويمشى فى الاسواق ﴾ لطلب المعاش كما نمشى والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله

﴿ وقالوا أساطير الاولين اكتتبها ﴾ يعنى النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان تكتب له لانه كان لا يكتب ﴿ فهى تملى عليه ﴾ أى تقرأ عليه ليحفظها لانه لا يكتب ﴿ بكرة وأصيلا ﴾ يعنى غدوة وعشية قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ أنزله ﴾ يعنى القرآن ﴿ الذى يعلم السر ﴾ أى الغيب ﴿ فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما ﴾ أى لولا ذلك لعاجلهم بعذابه ﴿ وقالوا مال هذا الرسول ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يأكل الطعام ﴾ أى كما نأكل نحن ﴿ ويمشى فى الاسواق ﴾ أى يلتمس المعاش كما نمشى نحن واذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لا يأكل ولا يملك لان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبتذل وما قالوه فاسد لان أكله الطعام لكونه آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته فى التوراة ولم يكن سخابا فى الاسواق وليس شئ من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك

(وقالوا) يعنى النضر وأصحابه (أساطير الاولين) هذا القرآن أحاديث الاولين فى دهرهم وكذبهم (اكتتبها) استقرأها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار (فهى تملى عليه) تقرأ على محمد صلى الله عليه وسلم (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا (قل) لهم يامحمد (لولا) (أنزله) يعنى أنزل جبريل بالقرآن (الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا) لمن تاب منهم (رحيما) لمن مات على التوبة (وقالوا) أبو جهل وأصحابه والنضر وأصحابه وأمية بن خلف وأصحابه (مال هذا الرسول) ماهذا الرسول (يأكل الطعام) كما نأكل (ويمشى فى الاسواق) يتردد ويمشى فى الطريق كما نتردد

فيها هذا (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أي ان صح انه رسول الله فماله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا الى ان يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة علي وحمزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل و هو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا بمعنى هلا

واحد ﴿ لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴾ لنعلم صدقه بتصديق الملك ﴿ أو يلقى اليه كنز ﴾ فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش ﴿ أو تكون له جنة يأكل منها ﴾ هذا على سبيل التنزل أي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كالدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه *وقرأ حمزة والكسائي بالنون والضمير للكفار ﴿ وقال الظالمون ﴾ وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ﴿ ان تتبعون ﴾ ما تتبعون ﴿ الا رجلا مسحورا ﴾ سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أي بشرا لا ملكا ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ أي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة ﴿ فضلوا ﴾ عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ الى القدح في نبوتك أو الى الرشد والهدى ﴿ تبارك الذي ان شاء جعل لك ﴾ في الدنيا ﴿ خيرا من ذلك ﴾ مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى ﴿ جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ بدل من خيرا ﴿ ويجعل لك قصورا ﴾ عطف على محل الجزاء *وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر

﴿ لولا أنزل اليه ملك ﴾ أي يصدقه ويشهد له ﴿ فيكون معه نذيرا ﴾ أي داعيا ﴿ أو يلقى اليه كنز ﴾ أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التصرف في طلب المعاش ﴿ أو تكون له جنة ﴾ أي بستان ﴿ يأكل منها ﴾ أي هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له كنز ﴿ وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ أي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق ﴿ انظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف ضربوا لك الامثال ﴾ أي الاشباه التي لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج ﴿ فضلوا ﴾ أي عن الحق ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ الى الهدى ومخرجا عن الضلالة * قوله تعالى ﴿ تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك ﴾ أي من الذي قالوا وأفضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال ﴿ جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ﴾ أي بيوتا مشيدة * عن أبي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي

حكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين في قوله (وقال الظالمون) اياهم باعيانهم غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن أو ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك (انظر كيف ضربوا) بينوا (لك الامثال) الاشباه أي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) فلا يجدون طريقا اليه (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا)

وتمشي (لولا) هلا (أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) معينا يخبره بما يراد به من سوء (أو يلقى اليه كنز) أو ينزل عليه مال فيستعين به (أو تكون له جنة) بستان (يأكل منها) فيشبع (وقال الظالمون) المشركون أبو جهل والنضر وأمية وأصحابهم (ان تتبعون) محمدا لا تتبعون (الا رجلا مسحورا) مغلوب العقل مجنونا (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) كيف بينوا وسموا لك الاسماء ساحر وكاهن وكذاب وشاعر ومجنون ويقال كيف شبهوك بالمسحور (فضلوا) فضلت حيلهم فاخطؤا (فلا يستطيعون سبيلا) مخرجا مما قالوا فيك ولا حجة على ما قالوا لك (تبارك) يقول تعالى (الذي ان شاء) قد شاء (جعل لك خيرا من ذلك) مما قالوا (جنات) بساتين في الآخرة (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (ويجعل لك قصورا)

الشرط اذاوقع ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ماحكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أومتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ماوعدك فى الآخرة وهم لايؤمنون بها (وأعتدنالمن كذب بالساعة سعيرا) وهيأنا للمكذبين بهانارا شديدة فى الاستعار (اذارأتهم) أى النار أى قابلتهم (من مكان بعيد) أى اذا كانت منهم بمرأى الناظرين فى البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أى سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر أواذارأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار

وقد جعل لك قصورا فى الجنة من الذهب والفضة خيرالك مماقالوا لوكان ذلك فى الدنيا ويقال ان شاء الله يجعل لك فى الدنيا ماقالوا من القصور والبساتين يعنى يفتح لك الحصون والمدائن فى الشرق والغرب برغم

بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لاغائب مالى ولاحرم

ويجوز ان يكون استئنافا بوعدما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فطعنوا فيك بفقرك أو فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة أو فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعدالله لك فى الآخرة أو فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه أعجب منه ﴿واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ نارا شديدة الاستعار وقيل هواسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان ﴿اذا رأتهم﴾ اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لاتتراأى ناراهما أى لاتتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار أوجهنم ﴿من مكان بعيد﴾ وهواقصى مايمكن ان يرى منه ﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على

ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لايارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أوقال ثلاثا أونحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك * عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوشئت لسارت معى جبال مكة ذهبا جاءنى ملك ان حجزته لتسارى الكعبة فقال يامحمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبياملكا فنظرت الى جبريل فاشار الى انضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لايأكل متكئا يقول أناعبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكرهذين الحديثين البغوى بسنده * قوله تعالى ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ أى القيامة ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ أى نارا مسعرة ﴿اذارأتهم من مكان بعيد﴾ قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام * فان قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهوقوله اذارأتهم * قلت يجوز أن يخلق الله لها حيا وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها ﴿سمعوا لها تغيظا﴾ أى غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب ﴿وزفيرا﴾ أى صوتا * فان قلت كيف يسمع التغيظ * قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أى وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلايبقى ملك مقرب ولانبى مرسل الاخر لوجهه

الكفار (بل كذبوا بالساعة) ولكن كذبوا بقيام الساعة (واعتدنالمن كذب بالساعة) بقيام الساعة (سعيرا) نارا وقودا (واذا رأتهم) النار (من مكان بعيد) من مسيرة خمسمائة عام (سمعوا لها) للنار (تغيظا) كتغيظ بنى آدم (وزفيرا) صوتا كصوت

(وإذا ألقوا منها) من النار (مكانا ضيقا) ضيقا مكي فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح (مقرنين) أي وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم في الاغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد (دعوا هنالك) حينئذ (ثبورا) هلاكا أي قالوا واثبوراه أي تعال ياثبوراه فهذا حينك فيقال لهم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أي انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير (قل أذلك خير) أي المذكور من صفة النار خير (أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي وعدها فالراجع الى الموصول محذوف وانما قال أذلك خير ولا خير في النار توبيخا للكفار (كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا وانما قيل كانت لان ماوعد الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا في اللوح قبل ان خلقهم (لهم فيها مايشاؤن) أي مايشاؤنه

حذف المضاف ﴿ وإذا القوا منها مكانا ﴾ في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ﴿ ضيقا ﴾ لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض ﴿ وقرأ ابن كثير بسكون الراء ﴿ مقرنين ﴾ قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل ﴿ دعوا هنالك ﴾ في ذلك المكان ﴿ ثبورا ﴾ هلاكا أي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون ياثبوراه تعال فهذا حينك ﴿ لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ﴾ فيقال لهم ذلك ﴿ وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته أو لانه يتجدد لقوله تعالى * كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أو لانه لاينقطع فهو في كل وقت ثبور ﴿ قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون ﴾ الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم أو الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها أو التمييز عن جنات الدنيا ﴿ كانت لهم ﴾ في علم الله أو اللوح أو لان ماوعده الله في تحققه كالواقع ﴿ جزاء ﴾ على اعمالهم بالوعد ﴿ ومصيرا ﴾ ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم ﴿ لهم فيها مايشاؤن ﴾ مايشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على مايليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لايدرك شيأ مما يدركه الكامل بالتشهي وفيه تنبيه

﴿ وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا ﴾ قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح ﴿ مقرنين ﴾ أي مصفدين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل ﴿ دعوا هنالك ثبورا ﴾ قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفي الحديث ان أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم فيقال لهم ﴿ لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ هكذا ذكره البغوي بغير سند وقيل معناه هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة * قوله عز وجل ﴿ قل أذلك خير ﴾ أي الذي ذكرت من صفة النار وأهلها ﴿ أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا ﴾ أي ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى ﴿ لهم فيها مايشاؤن ﴾ أي ان جميع المرادات لاتحصل الا في الجنة لا في غيرها * فان قلت قد يشتهي الانسان شيأ وهو

الجار (وإذا ألقوا منها) في النار القوا (مكانا ضيقا) كضيق الزج في الرمح (مقرنين) مسلسلين مع الشياطين (دعوا هنالك) عند ذلك التضيق (ثبورا) ويلا يقولون واويلاه واثبوراه يقول الله لهم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) ويلا واحدا (وادعوا ثبورا كثيرا) بما أصابكم (قل) يا محمد لاهل مكة لابي جهل وأصحابه (أذلك) الذي ذكرت من الويل والثبور والسعير (خير أم جنة الخلد) لمحمد وأصحابه (التي وعد المتقون) الكفر والشرك والفواحش (كانت) صارت (لهم) جنة الخلد (جزاء ومصيرا) في الآخرة (لهم فيها) في الجنة (مايشاؤن) مايتمنون ويشتهون

(خالدين) حال من الضمير في يشاؤن والضمير في (كان) لمايشاؤن (على ربك وعدا) اى موعودا (مسئولا) مطلوبا أوحقيقا ان يسأل أو قد سئله المؤمنون والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم

جنات عدن التى وعدتهم (ويوم نحشرهم) للبعث عند الجمهور وبالياء مكي ويزيد ويعقوب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي يعنى الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانهم أريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم (فيقول) وبالنون شامى (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بادخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما لم يقل أأضللتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل وزيدانتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلابد ذكرهم وايلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسؤل عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤل عنه ان يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد (قالوا)

على كل المرادات لاتحصل الا في الجنة ﴿خالدين﴾ حال من احد ضمائرهم ﴿كان على ربك وعدا مسئولا﴾ الضمير في كان لمايشاؤن والوعد الموعود أى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسئل ويطلب اومسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومافى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولايلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ﴿ويوم نحشرهم﴾ للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء ﴿ومايعبدون من دون الله﴾ يعم كل معبود سواه واستعمال ما ماالان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولايعرف أولانه اريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم أولتغليب الاصنام تحقيرا أواعتبارا لغلبة عبادها أويخص الملائكة وعزير والمسيح بقرينة السؤال والجواب أوالاصنام ينطقها الله أوتتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدى والارجل ﴿فيقول﴾ اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون ﴿أأنتم اضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم عبادى أم ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لاشبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضلوا للمبالغة

لايحصل في الجنة كان يشتهى الولد ونحوه وليس هو في الجنة * قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره ﴿خالدين﴾ أى في نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى

أشد الغم عندى في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

﴿كان على ربك وعدا مسؤلا﴾ أى مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم * قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم ومايعبدون من دون الله﴾ يعنى من الملائكة والانس والجن مثل عيسى وعزير وقيل يعنى الاصنام ثم يخاطبهم ﴿فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ أى أخطؤا الطريق

(خالدين) مقيمين في الجنة لايموتون ولايخرجون (كان على ربك وعدا مسؤلا) سئلوه فاعطاهم (ويوم) وهو يوم القيامة (نحشرهم) يعنى عبدة الاوثان (ومايعبدون من دون الله) من الاصنام (فيقول) الله للاصنام ويقال للملائكة (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) عن طاعتى وأمرتموهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) تركوا الطريق وعبدوكم

حسرتهم (قالوا سبحانك) تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك نتخذ يزيد واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو اتخذوا وليا والى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي لواحد وهو من أولياء والاصل ان نتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفي والقراءة الثانية من المتعدي الى المفعولين فالمفعول الاول مابني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء لان من لا تزاد في المفعول الثاني بل في الاول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي (ولكن متعتهم وآباءهم) بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكر الله والايمان به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أي هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(بما تقولون) بقولكم فيهم انهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم

﴿قالوا سبحانك﴾ تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة أو انبياء معصومون أو جمادات لا تقدر على شئ أو اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده أو تنزيها لله عن الانداد ﴿ما كان ينبغي لنا﴾ ما كان يصح لنا ﴿ان نتخذ من دونك من اولياء﴾ للعصمة أو لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات ﴿حتى نسوا الذكر﴾ حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناده الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة ﴿وكانوا﴾ في قضائك ﴿قوما بورا﴾ هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعائذ وعوذ ﴿فقد كذبوكم﴾ التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون ﴿بما تقولون﴾ في قولكم انهم آلهة أو هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في أو مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك

﴿قالوا﴾ يعني المعبودين ﴿سبحانك﴾ نزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ أي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا ﴿حتى نسوا الذكر﴾ معناه تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه ﴿وكانوا قوما بورا﴾ معناه هلكى أي غلب عليهم الشقاء والخذلان ﴿فقد كذبوكم﴾ هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون ﴿بما تقولون﴾ أي انهم آلهة

بهوى أنفسهم (قالوا) يعني الاصنام (سبحانك) نزهوه (ما كان ينبغي لنا) يستحق لنا (أن نتخذ) نعبد (من دونك من اولياء) أربابا ويقال قالوا يعني الملائكة سبحانك نزهوه ما كان ينبغي لنا لا يجوز لنا أن نتخذ نعبد من دونك من أولياء أربابا فكيف جاز لنا أن نأمرهم بان يعبدونا (ولكن متعتهم) أجلتهم في الكفر (وآباءهم) قبلهم (حتى نسوا الذكر) حتى تركوا التوحيد وطاعتك (وكانوا قوما بورا) هلكى فاسدة القلوب فيقول الله لعبدة الاصنام (فقد كذبوكم بما تقولون

(فما يستطعون صرفا ولا نصرا) أى فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالتاء حفص أى فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أى يشرك لان الظلم وضع الشى فى غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (نذقه عذابا كبيرا) فسر بالخلود فى النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج

(وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) كسرت ان لاجل اللام فى الخبر والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أى من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام معلوم أى وما منا أحد قيل هو احتجاج على من قال مالهذا الرسول الله يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وتسلية للنبى عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه فى الاسواق يعنى انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء

ما كان ينبغى لنا ﴿ فما يستطيعون ﴾ اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين ﴿ صرفا ﴾ دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف أى يحتال ﴿ ولا نصرا ﴾ يعينكم عليه ﴿ ومن يظلم منكم ﴾ ايها المكلفون ﴿ نذقه عذابا كبيرا ﴾ هى النار والشرط وان عم كل من كفر أو فسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا ﴿ وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ﴾ أى الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان تكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون أى تمشيهم حوائجهم أو الناس ﴿ وجعلنا بعضكم ﴾ ايها الناس ﴿ لبعض فتنة ﴾ ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العدواة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه

﴿ فما يستطيعون ﴾ أى الآلهة ﴿ صرفا ﴾ أى صرف العذاب عن أنفسهم ﴿ ولا نصرا ﴾ أى ولا نصر أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم ﴿ ومن يظلم منكم ﴾ أى يشرك ﴿ نذقه عذابا كبيرا ﴾ قوله عز وجل ﴿ وما أرسلنا قبلك ﴾ أى يا محمد ﴿ من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ﴾ قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلى يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ﴾ أى بلية قال ابن عباس أى جعلنا بعضكم بلاء بعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا أنتم الهدى قيل نزلت فى ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا أراد أن يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت فى أبى جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمى والنضر بن الحرث وذلك انهم رأوا أباذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قد أسلموا قبلهم فقالوا انسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت فى ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا وأراذلنا فقال الله

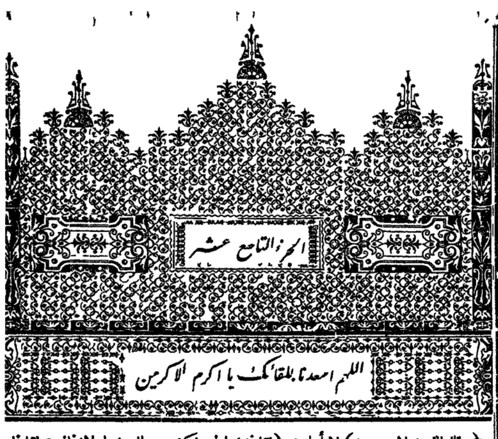
فما تستطيعون) يعنى الكفار (صرفا) صرف الملائكة ويقال صرف الاصنام عن شهادتهم عليهم أو صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) منعا (ومن يظلم مكم) يكفر منكم يا معشر المؤمنين ويقال من يستقم منكم على الكفر يا معشر الكفار (نذقه عذابا كبيرا) فى النار (وما أرسلنا) تعالى قبلك) يا محمد (من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام) كما أكل جوابا لقولهم مالهذا الرسول أكل الطعام (ويمشون فى الاسواق) فى الطرق كما تمشى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) بلية ابتلينا العربى بالمولى والشريف بالوضيع والغنى بالفقير يقول الله لابى جهل

وفيه دليل على القضاء والقدر ﴿اتصبرون﴾ علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله * ليبلوكم ايكم احسن عملا * اوحث على الصبر على ما افتتنوا به ﴿وكان ربك بصيرا﴾ بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره

تعالى لهؤلاء المؤمنين ﴿أتصبرون﴾ أى على هذه الحالة من الفقر والشدة والأذى وقيل ان الغنى فتنة الفقير يقول مالى لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع ﴿وكان ربك بصيرا﴾ أى لمن صبر ولمن جزع (ق) عن أبى هريرة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه فى المال والجسم لفظ البخارى ولمسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم

(أتصبرون) على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبرون فيزداد غمكم وحكى أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا فراى خصيا فى مواكب ومراكب فخضر بباله شئ فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبرا ربنا أى وجعلتك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا (وكان ربك بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلى به أو بمن يصبر ويجزع

وأصحابه (أتصبرون) مع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سلمان وأصحابه حتى تكونوا معهم فى الدين والامر سواء شرعا تجلسون معهم (وكان ربك بصيرا) بانهم لا يصبرون على ذلك ويقال أتصبرون يا معشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على اذاهم حتى أوفيكم ثواب الصابرين وكان ربك بصيرا بمن يؤمن وبمن لا يؤمن منهم



﴿وقال الذين لا يرجون﴾ لا يأملون ﴿لقاءنا﴾ بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول ﴿لولا﴾ هلا ﴿انزل علينا الملائكة﴾ فيخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونون رسلا الينا ﴿او نرى ربنا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه ﴿لقد استكبروا فى انفسهم﴾ اى فى شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك ﴿وعتوا﴾ وتجاوزوا الحد فى الظلم ﴿عتوا كبيرا﴾ بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله

وجارة جساس ابأنا بنابها ۰ كليبا علت ناب كليب بواؤها

﴿يوم يرون الملائكة﴾ الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه

﴿قوله عز وجل ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ اى لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ فتخبرنا ان محمدا صادق ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا بذلك ﴿لقد استكبروا﴾ أى تعظموا ﴿فى أنفسهم﴾ بهذه المقالة ﴿وعتوا عتوا كبيرا﴾ أى طغوا وقيل عتوا فى القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به ﴿قوله تعالى ﴿يوم يرون الملائكة﴾ أى عند الموت وقيل يوم القيامة

(وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لانهم كفرة لا يؤمنون بالبعث أو لا يخافون عقابنا أما لان الراجى قلق فيما يرجوه كالخائف أو لان الرجاء فى لغة تهامة الخوف (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ودعوى رسالته (أو نرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر فبالغ فى افراطه أى انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام فى لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) اى يوم الموت أو يوم البعث ويوم

(وقال الذين لا يرجون لقاءنا) البعث بعد الموت يعنى أبا جهل وأصحابه (لولا أنزل) هلا أنزل (علينا الملائكة) فيخبرونا بان الله أرسلك الينا (أو نرى ربنا) فنسأله عنك (لقد استكبروا فى أنفسهم) عن الايمان ويقال حيث سألوا رؤية الرب (وعتوا عتوا كبيرا) ابوا عن الايمان اباء كبيرا ويقال اجترؤا اجتراء كبيرا حيث سألوا (لا بشرى) نزول الملائكة عليهم (يوم) وهو يوم القيامة (يرون الملائكة) عند الموت

لا بشرى [illegible] يقولون لهم الملائكة منصوب بما دل عليه (لا بشرى) اى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله (يومئذ) تكرير [illegible] يرون
وباضمار اذكر اى اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل فى المضاف
ولا بشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفى بلا لا يعمل فيما قبل لا (للمجرمين) ظاهر فى موضع ضمير أو عام يتناولهم
بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسماء يتناول أكمل المسميات

﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ﴿ويقولون حجرا محجورا﴾ عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى * وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى

﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المؤمن ﴿ويقولون حجرا محجورا﴾ قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة أو رأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة * قوله عز وجل ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل﴾ يعنى من أعمال البر التى عملوها فى حال الكفر ﴿فجعلناه هباء منثورا﴾ أى باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد والهباء هو ما يرى فى الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدى ولا يرى فى الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس رضى الله عنهما هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار

(ويقولون) أى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها ومحجورا لتأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى أشيائه وقصد الى ما تحت يديه وافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل اهل الجنة على اهل

لا بشرى (يومئذ للمجرمين) للمشركين بالجنة (ويقولون) يعنى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما البشرى بالجنة على الكافرين ويقال ويقولون يعنى الكفار عند رؤية الملائكة حجرا محجورا بعدا بعيدا بيننا وبينكم (وقدمنا) عمدنا (الى ما عملوا من عمل) خير فى الدنيا (فجعلناه) فى الآخرة (هباء منثورا) كتراب من حوافر الدواب ويقال كشئ يجول فى ضوء الشمس اذا دخلت فى كوة

النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) تميز والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم ولا نوم في الجنة ولكنه سمى مكان استراحتهم الى الحور مقيلا

على طريق التشبيه وروى انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي لفظ الاحسن تهكم بهم (ويوم) واذكر يوم (تشقق السماء) والاصل تتشقق فحذف التاء كوفي وأبو عمرو وغيرهم أدغمها في الشين (بالغمام) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شققت السنام بالشفرة فانشق بها (ونزل الملائكة تنزيلا) و ننزل الملائكة مكي وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد (الملك) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى الا ملكه (للرحمن) خبره (وكان) ذلك اليوم (يوما على الكافرين عسيرا) شديد يقال عسر عليه فهو عسير يرى ولايستطاع أن يمس

كونوا قردة خاسئين ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا﴾ مكانا يستقر فيه في أكثر الاوقات للتجالس والتحادث ﴿وأحسن مقيلا﴾ مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوز له من مكان القيلولة على التشبيه اولانه لايخلو من ذلك غالبا اذلانوم في الجنة وفي احسن رمز الى مايتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر اوالزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب مايتخيل من الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ماللمترفين في الدنيا روى انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ﴿ويوم تشقق السماء﴾ اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب ﴿بالغمام﴾ بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله * هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴿ونزل الملائكة تنزيلا﴾ في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وأنزل ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولايبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر اوصفة والخبر يومئذ اوللرحمن ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ شديدا

* قوله تعالى ﴿أصحاب الجنة يومئذ﴾ أي يوم القيامة ﴿خير مستقرا﴾ أي من هؤلاء المشركين المستكبرين ﴿وأحسن مقيلا﴾ أي موضع القائلة وذلك ان أهل الجنة لايمر بهم يوم القيامة الا قدر من اول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لاينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لانوم فيها قال ابن عباس رضي الله عنهما الحساب في ذلك اليوم في أوله ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس * قوله تعالى ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم ﴿ونزل الملائكة تنزيلا﴾ قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الارض من الانس والجن ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على اهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لاملك يقضي غيره ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ أي شديدا

(أصحاب الجنة) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (يومئذ) وهو يوم القيامة (خير مستقرا) منزلا (وأحسن مقيلا) (وفيه) مبيتا من منزل ابي جهل وأصحابه ومبيتهم (ويوم تشقق السماء بالغمام) عن الغمام لنزول الرب بلا كيف (ونزل الملائكة تنزيلا) الاول فالاول (الملك) القضاء (يومئذ الحق) العدل (للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا عسره وشدد ذلك اليوم على

﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾ من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابى معيط كان يكثر مجالسة النبى عليه الصلاة والسلام فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ابيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات ﴿ يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ﴾ طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة ﴿ ياويلتا ﴾ وقرئ بالياء على الاصل ﴿ ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا ﴾ يعنى من اضله وفلان كناية

وفيه دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء فى الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا * قوله تعالى ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾ أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لأبى ابن خلف فلما أخبر أبى بن خلف قال له ياعقبة صبأت قال لا والله ماصبأت ولكن دخل على رجل فابى أن يأكل طعامى الا أن أشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا الذى أرضى عنك أبدا الا أن تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا أراك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبى بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل لما بزق عقبة فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه فى وجهه فاحترق خداه فكان أثر ذلك فى وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبى معيط خليل أمية بن خلف فاسلم عقبة فقال له أمية وجهى من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعنى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف على يديه أى ندما وأسفا على ما فرط فى جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذى صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده أكلها على ما فعل تحسرا وندامة ﴿ يقول ياليتنى اتخذت ﴾ أى فى الدنيا ﴿ مع الرسول سبيلا ﴾ أى ليتنى اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا الى الهداية ﴿ ياويلتا ﴾ دعا على نفسه بالويل ﴿ ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ﴾ قيل يعنى أبى بن خلف

حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها فى الدنيا (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة مالا يجده عند لفظ المكنى عنه واللام فى الظالم للعهد وأريد به عقبة لما بين أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار (يقول ياليتنى اتخذت) فى الدنيا (مع الرسول) محمد عليه الصلاة والسلام (سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (ياويلتا) وقرئ ياويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام فان أريد بالظالم عقبة لما روى انه اتخذ ضيافة فدعا اليها

الكافرين (ويوم يعض الظالم) الكافر عقبة بن أبى معيط (على يديه) على انامله (يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) استقمت على دين الرسول (ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) مصافيا فى الدين أبى بن خلف

رسول الله عليه الصلاة والسلام فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبي بن خلف وهو خليله وجهي من وجهك حرام الا ان ترجع فارتد فالمعنى ياليتني لم اتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا

كان لخليله اسم علم لامحالة فجعله كناية عنه

وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلنى عن الذكر) أى عن ذكر الله أو القرآن أو الايمان (بعد اذجاءنى) من الله (وكان الشيطان) أى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضله الشيطان أو ابليس لانه الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول (للانسان) المطيع له (خذولا) هو مبالغة من الخذلان أى من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وقال الرسول) أى محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفى هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسليا ووعده النصرة عليهم فقال (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين

عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس ﴿ لقد اضلنى عن الذكر ﴾ عن ذكر الله اوكتابه اوموعظة الرسول اوكلمة الشهادة ﴿ بعد اذجاءنى ﴾ وتمكنت منه ﴿ وكان الشيطان ﴾ يعنى الخليل المضل اوابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول اوكل من تشيطن من جن وانس ﴿ للانسان خذولا ﴾ يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان ﴿ وقال الرسول ﴾ محمد يومئذ اوفى الدنيا بثا الى الله تعالى ﴿ يارب ان قومى ﴾ قريشا ﴿ اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾ بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه اوهجروا والغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين ﴾ كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو

﴿ لقد أضلنى عن الذكر ﴾ أى عن الايمان والقرآن ﴿ بعد اذجاءنى ﴾ يعنى الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وكان الشيطان ﴾ وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس ﴿ للانسان خذولا ﴾ أى كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام فى كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما ان تحترق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة ❁ عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذى ❁ ولهما عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى ❁ قوله عزوجل ﴿ وقال الرسول ﴾ يعنى ويقول الرسول فى ذلك اليوم ﴿ يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾ أى متروكا واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عزوجل يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى فقال ﴿ وكذلك جعلنا ﴾ أى وكما جعلت لك أعداء من مشركى مكة وهم قومك كذلك جعلنا ﴿ لكل نبى عدوا من المجرمين ﴾ أى المشركين والمعنى لايكبرن عليك ذلك

الجمحى (لقد أضلنى عن الذكر) عن التوحيد والطاعة (بعد اذجاءنى) محمد صلى الله عليه وسلم بالتوحيد (وكان الشيطان للانسان خذولا) (فان) خاذلا يخذله عند مايحتاج اليه (وقال الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) مسبوبا متروكا لم يقروا به ولم يعملوا بما فيه (وكذلك) كما جعلنا أبا جهل عدوا لك (جعلنا لكل نبي) قبلك (عدوا من المجرمين)

وكفى بربك هاديا ونصيرا) أى كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا والباء زائدة أى وكفى ربك هاديا وهو تمييز (وقال الذين كفروا) أى قريش أو اليهود (لولا نزل عليه القرآن جملة) حال من القرآن أى مجتمعا (واحدة) يعنى هلا أنزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق وهو فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان أمر الاعجاز والاحتجاج به لايختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا ونزل هنا بمعنى أنزل والالكان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لانهم تحدوا بالاتيان بسورة واحدة من أصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج والى الحجج (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين وذلك فى كذلك اشارة الى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لان معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا فاعلم أن ذلك (لنثبت به) بتفريقه (فؤادك) حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيأ بعد شئ وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب (قا وخا ٥٦ بع) يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل

يحتمل الواحد والجمع ﴿وكفى بربك هاديا﴾ الى طريق قهرهم ﴿ونصيرا﴾ لك عليهم ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن﴾ أى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله ﴿جملة واحدة﴾ دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لاطائل تحته لان الاعجاز لايختلف بنزوله جملة أو متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ أى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان عليه الصلاة والسلام اميا وكانوا يكتبون فلو القى اليه جملة تعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لايتأتى الاشيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال ثبت به فؤادك ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين تتعلق بمحذوف ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ وقرأناه عليك شيأ بعد شئ على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة أو ثلاث

فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فانى ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى ﴿وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ * قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ أى كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى ﴿كذلك﴾ فعلنا ذلك ﴿لنثبت به فؤادك﴾ أى أنزلناه مفرقا لنقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤن وأنزلنا القرآن على نبى أمى لايكتب ولايقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ماهو جواب لمن سأل عن أمور تحدث فى أوقات مختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ قال ابن عباس وبيناه

من مشركى قومه (وكفى بربك هاديا) حافظا (ونصيرا) مانعا مما يراد بك (وقال الذين كفروا) أبو جهل واصحابه (لولا) هلا (نزل عليه القرآن جملة واحدة) كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود (كذلك) يقول أنزلنا اليك جبريل بالقرآن متفرقا (لنثبت به فؤادك) لتطيب به نفسك ونحفظ به قلبك (ورتلناه ترتيلا) بيناه تبيانا

الذى تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه أى قدرناه آية بعد آية ووقفة بعد وقفة أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه بترسل و تثبت أو بيناه تبيينا والترتيل التبيين فى ترسل و تثبت (ولايأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل فى البطلان (الا جئناك بالحق) الا أتيناك بالجواب الحق الذى لامحيد عنه (وأحسن تفسيرا) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أى من سؤالهم وانما حذف من مثلهم لان فى الكلام دليلا عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمرا وان كان عمرو أحسن وجها فيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام ووضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أولا يأتونك

بحال وصفة عجيبة يقولون هلا انزل عليك القرآن جملة الا أعطيناك من الاحوال مايحق لك فى حكمتنا ان تعطاه وماهو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شئ منها أدخل فى الاعجاز من ان ينزل كله جملة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر) الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وشر خبر اولئك واولئك مع شر خبر الذين أو التقدير هم الذين أو أعنى الذين وأولئك مستأنف (مكانا) أى مكانة ومنزلة أو مسكنا ومنزلا (وأضل سبيلا) أى وأخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازى والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم (اخطأ) تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه ومنزلته وسبيلكم أضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذى أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على

وعشرين واصل الترتيل فى الاسنان وهو تفلجها ﴿ ولايأتونك بمثل ﴾ سؤال عجيب كأنه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوتك ﴿ الا جئناك بالحق ﴾ الدافع له فى جوابه ﴿ واحسن تفسيرا ﴾ وبما هو احسن بيانا أو معنى من سؤالهم أولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال مايحق لك فى حكمتنا وماهو احسن كشفا لما بعثت له ﴿ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ﴾ أى مقلوبين أو مسحوبين اليها أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها * وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره ﴿ اولئك شر مكانا واضل سبيلا ﴾ والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولايعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يؤمئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد

بيانا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية ﴿ ولايأتونك ﴾ يعنى يامحمد هؤلاء المشركون ﴿ بمثل ﴾ أى يضربونه لك فى أبطال أمرك ﴿ الا جئناك بالحق ﴾ أى بما ترد به ماجاؤا به من المثل وتبطله فسمى مايوردون من الشبه مثلا وسمى مايدفع به الشبه حقا ﴿ وأحسن تفسيرا ﴾ أى أحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر مآل هؤلاء المشركين فقال تعالى ﴿ الذين ﴾ أى هم الذين ﴿ يحشرون ﴾ أى يساقون ويجرون ﴿ على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا ﴾ أى منزلا ومصيرا ﴿ وأضل سبيلا ﴾ أى

بالامر والنهى ويقال أنزلنا جبريل به متفرقا آية بعد آية (ولا يأتونك) يامحمد (بمثل) بصفة وحجة وبيان (الا جئناك بالحق) بصفة وبيان وحجة فيها نقض حجتهم (واحسن تفسيرا) تبيانا وحجة من حجتهم (الذين يحشرون) يجرون (على وجوههم) يوم القيامة (الى جهنم) يعنى اباجهل واصحابه (أولئك شر مكانا) منزلا فى الآخرة وعملا فى الدنيا (واضل سبيلا)

وبشيراً ونذيراً (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة كما آتيناك القرآن (وجعلنا معه أخاه هرون) بدل او عطف بيان (وزيرا) هو فى اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لاتنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضها (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه وتقديره فذهبا اليهم وانذرا فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة أعنى الزام الحجة ببعثة

الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح) أى ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحا و ادريس وشيثا أوكان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أوقصتهم (للناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعتدنا) وهيأنا (للظالمين) لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم الا انه أراد تظليمهم فاظهر أوهو عام لكل من ظلم ظلم شرك و يتناولهم بعمومه (عذابا اليما) أى النار (وعادا) دمرنا عادا (وثمود) حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تأويل الحى أولانه اسم الاب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا أوهم أصحاب الاخدود والرس

المجازى للمبالغة ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا﴾ يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولاينافى ذلك مشاركته فى النبوة لان المتشاركين فى الامر متوازران عليه ﴿فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿بآياتنا فدمرناهم تدميرا﴾ اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لاالوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ كذبوا نوحا ومن قبله أونوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل اوبعثة الرسل مطلقا كالبراهمة ﴿اغرقناهم﴾ بالطوفان ﴿وجعلناهم﴾ وجعلنا اغراقهم أوقصتهم ﴿للناس آية﴾ عبرة ﴿واعتدنا للظالمين عذابا اليما﴾ يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم ﴿وعادا وثمود﴾ عطف على هم فى جعلناهم أوعلى الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرأ حمزة وحفص وثمود على تأويل القبيلة ﴿واصحاب الرس﴾ قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهى

اخطأ طريقا * قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا﴾ أى معينا وظهيرا ﴿فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعنى القبط ﴿فدمرناهم﴾ فيه اضمار أى فكذبوهما فدمرناهم ﴿تدميرا﴾ أى اهلكناهم اهلاكا ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ أى رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع ﴿أغرقناهم وجعلناهم للناس آية﴾ أى عبرة لمن بعدهم ﴿وأعتدنا للظالمين﴾ فى الآخرة ﴿عذابا اليما﴾ أى سوى ماحل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا ﴿وعادا وثمود﴾ أى أهلكنا عادا وثمود ﴿واصحاب الرس﴾ قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولا عليها وكانوا أصحاب مواش يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وآذوا شعيبا فبينماهم حول البئر فى منازلهم انهارت البئر و خسف بهم وبديارهم ورباعهم

عن الحق والهدى (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) معينا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) التسع يعنى فرعون وقومه القبط فلم يؤمنوا (فدمرناهم تدميرا) أهلكناهم اهلاكا بالغرق (وقوم نوح) اهلكنا (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحا وجملة الرسل (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم للناس آية) عبرة لكيلا يقتدوا بهم (وأعتدنا للظالمين) للمشركين مشركى مكة (عذابا أليما) وجيعا فى النار (وعادا) أهلكنا قوم هود (وثمود) قوم صالح (وأصحاب الرس)

الاخدود(وقرونا)وأهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور(كثيرا) لايعلمها الاالله أرسل اليهم فكذبوهم فاهلكوا (وكلا ضربناله الامثال) بيناله القصص العجيبة من قصص الاولين (وكلا تبرنا تتبيرا) أى أهلكنا اهلاكا وكلا الاول منصوب بمادل عليه ضربناله الامثال وهو أنذرنا أوحذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له

(ولقد أتوا) يعنى أهل مكة (على القرية) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا مع أهلها و بقيت واحدة (التى أمطرت مطر السوء) أى أمطر الله عليها الحجارة يعنى ان قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم الشأم على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والاصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أى امطار السوء (أفلم يكونوا يرونها)أما شاهدوا ذلك بابصارهم عند سفرهم الشأم فيتفكروا فيؤمنوا (بل كانوا لايرجون نشورا) بل كانوا اقوما كفرة بالبعث لايخافون بعثا فلايؤمنون أولايأملون نشورا كمايأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب أعمالهم (واذا رأوك ان يتخذونك) ان نافية (الاهزوا) اتخذوه

قوم شعيب (وقرونا بين ذلك كثيرا)لم نسمهم اهلكناهم (وكلا ضربناله الامثال) بينا لكل قرن عذاب القرون الذين قبلهم فلم يؤمنوا (وكلا تبرنا تتبيرا)اهلكناهم اهلاكا بعضهم على اثر بعض (ولقد أتوا) مضوا (اصحابه) كفار مكة (على القرية) قريات لوط (التى امطرت مطر السوء) يعنى الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) مافعل بها و بأهلها فلايكذبونك بما تقول لهم (بل كانوا لايرجون نشورا) لايخافون البعث بعد الموت (واذا رأوك) كفار مكة (ان يتخذونك الاهزوا) مايقولون لك الا

البئر المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتح اودمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه فى بئر ﴿ وقرونا ﴾ واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون ﴿ بين ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر ﴿ كثيرا ﴾ لايعلمها الاالله ﴿ وكلا ضربناله الامثال ﴾ بيناله القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال ﴿ وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ فتتنا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بمادل عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ عن الضمير ﴿ ولقد اتوا ﴾ يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام ﴿ على القرية التى امطرت مطر السوء ﴾ يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة ﴿ أفلم يكونوا يرونها ﴾ فى مرار مرورهم فيتعظون بمايرون فيها من آثار عذاب الله ﴿ بل كانوا لايرجون نشورا ﴾ بل كانوا كفرة لايتوقعون نشورا ولاعاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروابها كما مرت ركابهم اولايأملون نشورا كمايأمله المؤمنون طمعا فى الثواب أولايخافونه على اللغة التهامية ﴿ واذا رأوك ان يتخذونك الاهزؤا ﴾ مايتخذونك الاموضع هزؤ

وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبى يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود ﴿ وقرونا بين ذلك كثيرا ﴾ أى وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد و ثمود و أصحاب الرس ﴿ وكلا ضربناله الامثال ﴾ أى فى الاشباه فى اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الابعد الانذار ﴿ وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ أى أهلكناهم هلاكا ✽ قوله تعالى ﴿ ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء ﴾ يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى خمس قرى أهلك الله منها أربعا ونجت واحدة وهى أصغرها وكان أهلها لايعملون العمل الخبيث ﴿ أفلم يكونوا يرونها) يعنى اذا مروابها فى اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشأم ﴿ بل كانوا لايرجون نشورا ﴾ أى لايخافون بعثا ✽ قوله تعالى ﴿ واذا رأوك ان يتخذونك الاهزؤا ﴾ نزلت فى أبى جهل كان اذا مر مع

هزؤا فى معنى استهزأ به واصل اتخذه موضع هزؤا أو مهزؤا به (أهذا الذى) محكى بعد القول المضمر وهذا الاستصغار واستهزاء أى قائلين أهذا الذى (بعث الله رسولا) والمحذوف حال والعائد الى الذى محذوف أى بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعيد

ودلالة على انهم لايفوتونه وان طالت مدة الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال اذ لا يضل غيره الا من هو ضال فى نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أى من أطاع فيما يأتى ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الاول وعبد الثانى وعن الحسن هو فى كل متبع هواه (أفأنت تكون عليه وكيلا) أى حفيظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبليغ فقط (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون

او مهزؤا به ﴿ أهذا الذى بعث الله رسولا ﴾ محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذى زعم انه بعث الله رسولا ﴿ ان كاد ﴾ انه كاد ﴿ ليضلنا عن آلهتنا ﴾ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة مايورد مما نسبق الى الذهن بانها حجج ومعجزات ﴿ لولا ان صبرنا عليها ﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ﴾ كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى مايلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لايهملهم وان املهم ﴿ أرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ بان اطاعه وبنى عليه دينه لايسمع حجة ولايبصر دليلا وانما قدم المفعول الثانى للعناية به ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾ حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثانى للانكار ﴿ أم تحسب ﴾ بل اتحسب ﴿ ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ﴾ فتجدى لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه

أصحابه قال مستهزئا ﴿ أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا ﴾ أى قد قارب ان يضلنا ﴿ عن ﴾ عبادة ﴿ آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ﴾ أى على عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها لصرفنا عنها ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب ﴾ أى فى الآخرة عيانا ﴿ من أضل سبيلا ﴾ أى أخطأ طريقا ﴿ أرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رماه وأخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ماحاله عندى وقيل الهوى اله يعبد ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾ أى حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة مايهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبى نسختها آية القتال ﴿ أم تحسب ان أكثرهم يسمعون ﴾ أى ماتقول سماع طالب الافهام ﴿ أو يعقلون ﴾ أى مايعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التى تقدمت لانهم لشدة عنادهم لايسمعون القول واذا سمعوه لاينفكرون فيه فكأنهم لاسمع لهم ولاعقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام

استهزاء وسخرية يقولون (أهذا الذى بعث الله رسولا) الينا (ان كاد) قد كاد (ليضلنا) ليصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادة آلهتنا (لولا ان صبرنا عليها) ثبتنا على عبادتها (وسوف يعلمون) وهذا وعيد من الله لهم (حين يرون العذاب من أضل سبيلا) دينا وحجة (أرأيت) يا محمد (من اتخذ الهه هواه) من عبد الهه بهوى نفسه يعنى النضر وأصحابه (أفأنت) يا محمد (تكون عليه وكيلا) حفيظا من الخروج الى هذا الفساد نسختها آية الجهاد ويقال كفيلا بالعذاب (أم تحسب) يا محمد (ان أكثرهم يسمعون) الحق (أو يعقلون) الحق اذا استمعوا الى كلامك

ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) ام منقطعة معناه بل اتحسب كأن هذه المذمة اشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لايلقون الى استماع الحق أذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ماينفعها وتجتنب مايضرها وتهتدى لمراعيها

ومشاربها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولايهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى وقالوا الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى مجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس والهوى فضلته الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الاحب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان فيهم من آمن (ألم ترالى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته (كيف مدالظل) أى بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لانه ظل ممدود لاشمس معه ولاظلمة وهو كما قال فى ظل الجنة وظل ممدود اذلاشمس معه ولا ظلمة (ولوشاء لجعله ساكنا) أى دائما لايزول ولاتذهبه (ثم)

كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ﴿ ان هم الا كالانعام ﴾ فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات ﴿ بل هم اضل سبيلا ﴾ من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ماينفعها وتجتنب مايضرها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولايعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولايطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولايتقون العقاب الذى هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لاتضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدى الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولاذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم ﴿ ألم ترالى ربك ﴾ الم تنظر الى صنعه ﴿ كيف مدالظل ﴾ كيف بسطه أو ألم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مدالظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ﴿ ولوشاء لجعله ساكنا ﴾ ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع

فقال تعالى ﴿ان هم﴾ أى ماهم ﴿الا كالانعام﴾ أى فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى ﴿ بل هم أضل سبيلا ﴾ لان البهائم تهتدى لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لايعرفون طريق الحق ولايطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لايفعلون ذلك * قوله تعالى ﴿ ألم ترالى ربك كيف مدالظل ﴾ هو مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لاشمس معه ﴿ ولوشاء لجعله ساكنا ﴾ أى دائما ثابتا لايزول ولاتذهبه الشمس

(ان هم) ماهم بفهم الحق (الا كالانعام) كالبهائم لاتعقل الا الاكل والشرب فهم كذلك فى استماع الحق (بل هم أضل سبيلا) عن الحجة والدين لانه ليس على البهائم السبيل والحجة (ألم ترالى ربك) الم تنظر الى صنع ربك (كيف مدالظل) كيف بسط الظل بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس من المشرق الى المغرب (ولوشاء لجعله ساكنا) لتركه دائما يعنى

الشمس (ألم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا)لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أى أخذنا ذلك الظل الممدود (الينا)الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا أى جزأ فجزأ بالشمس التى تأتى عليه وجاء بثم لتفاضل مابين الامور فكان الثانى أعظم من الاول والثالث أعظم من الثانى شبه تباعد ما بينهما

مابين الحوادث فى الوقت واحد ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ﴾ فانه لايظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام أولا يوجد ولايتفاوت الا بسبب حركتها ﴿ ثم قبضناه الينا ﴾ أى أزلناه بايقاع الشمس موقعه لماعبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف ﴿ قبضا يسيرا ﴾ قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به مالايحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاصل الامور او لتفاضل مبادى اوقات ظهورها وقيل مد الظل لمابنى السماء بلانير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليل طريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى ان ينتهى غاية نقصانه أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظلل عليها ﴿ وهو الذى جعل لكم الليل لباسا ﴾ شبه ظلامه باللباس فى ستره ﴿ والنوم سباتا ﴾ راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع أو موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت ﴿ وجعل النهار نشورا ﴾ ذا نشور أى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان رضى الله عنه يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر ﴿ وهو الذى ارسل الرياح ﴾ وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس ﴿ نشرا ﴾ ناشرات للسحاب جمع نشور * وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على أنه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر

﴿ ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ﴾ معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها ﴿ ثم قبضناه ﴾ يعنى الظل ﴿ الينا قبضا يسيرا ﴾ أى بالشمس التى تأتى عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأ قبضا خفيفا ﴿ وهو الذى جعل لكم الليل لباسا ﴾ أى سترا تستترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شئ كاللباس الذى يشتمل على لابسه ﴿ والنوم سباتا ﴾ أى راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم ﴿ وجعل النهار نشورا ﴾ أى يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال ﴿ وهو الذى أرسل الرياح نشرا

(وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام الساتر كاللباس (والنوم سباتا) راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور فى مقابلته (وجعل النهار نشورا) اذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان فى الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفى النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى أرسل الرياح)الريح مكى والمراد به الجنس (نشرا) تخفيف

الظل لاشمس معه (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) حيثما تكون الشمس يكون الظل قبل ذلك ويقال دليلا تتلوه (ثم قبضناه) يعنى الظل (الينا قبضا يسيرا) هينا ويقال خفيا (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) ملبسا يلبس كل شئ فيه (والنوم سباتا)استراحة لابدانكم (وجعل النهار نشورا) مطلبا للمعايشكم (وهو الذى أرسل الرياح بشرا) طيبا

﴿ بين يدى رحمته ﴾ يعنى قدام المطر ﴿ وانزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالصبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتميم لمنة فيما بعد فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها

بين يدى رحمته ﴾ يعنى المطر ﴿ وانزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ الطهور هو الطاهر فى نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى واراد به المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأى الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى أن الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة وان وقع فى الماء شئ غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيأ لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث فى قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيأ يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد اوصافه نظر ان كان الواقع شيأ طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيأ نجسا نظر فيه فان كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادى يدل عليه ماروى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون فى الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذى وهذا قول الشافعى وأحمد واسحق وجماعة من أهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير أحد أوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعى والزهرى واحتجوا بما روى عن أبى سعيد الخدرى قال قيل يارسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شئ وفى رواية قالت قلت يارسول الله أيتوضأ من بئر بضاعة وهى بئر تطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الماء طهور

بشر جمع بشور (بين يدى رحمته) أى قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وأنزلنا من السماء ماء مطرا (طهورا) بليغا فى طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لاصلاة الا بطهور أى بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والافليس فعول من التفعيل فى شئ وقياسه على ماهو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعد وان

(بين يدى رحمته) قدام المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) يطهر ولا يطهر

كان لازما فلازم (لنحيي به) بالمطر (بلده ميتا) ذكر ميتا على ارادة البلد أو المكان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) أي ونسقي الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من أنعاما وأناسي أي انعاما وأناسي مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان وقرأ المفضل والبرجمي ونسقيه والاناسي جمع انسي على القياس ككرسي وكراسي وانسان وأصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وأدغمت وقدم احياء الارض على سقي الانعام والاناسي لان حياتها سبب لحياتهما وتخصيص الانعام من الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فيهم غنية عن سقي السماء واعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقي الاناسي من جلة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا ان من حقهم ان يؤثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط الاحياء (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا) ليذكروا حمزة وعلي يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس (قا و خا ٥٧ بع) في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا (فابى أكثر

فبواطنهم بذلك اولى ﴿لنحيي به بلدة ميتا﴾ بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد ﴿ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا﴾ يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية أو في الانهار والمنابع ﴿ليذكروا﴾ ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره أو ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم *وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف مخففة ﴿فأبى أكثر

لا ينجسه شئ * وقوله تعالى ﴿لنحيي به﴾ أي بالمطر ﴿بلدة ميتا﴾ قيل اراد به موضع البلدة ﴿ونسقيه مما خلقنا﴾ أي نسق من ذلك الماء ﴿انعاما وأناسي كثيرا﴾ أي بشرا كثيرا والاناسي جمع انسي وقيل جمع انسان * قوله عز وجل ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ يعني المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روي مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروي عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح ﴿ليذكروا﴾ أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى ﴿فابى أكثر

(لنحيي به بلدة ميتا) مكانا لا نبات فيه (ونسقيه مما خلقنا أنعاما) بهائم (وأناسي كثيرا) خلقا كثيرا من الناس (ولقد صرفناه بينهم) يعني المطر قسمنا عاما بعد عام (ليذكروا) لكي يتعظوا بذلك (فابى أكثر

الناس الا كفورا) فأبى أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها أو صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فأبوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما مامن عام أقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لانه لايختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب فى تنكير البلدة والانعام والاناسى ومن نسب الامطار الى الانواء وجحد ان تكون هى والانواء من خلق الله تعالى كفر وان رأى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواء امارات

ودلالات عليها لم يكفر (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين) أى لو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا فى كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا ان نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة الى كافة العالمين فقصرنا الامر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم ولذا خوطب بالجمع يا أيها الرسل فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشديد ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على جميع الانبياء فآثر رضائى على جميع الاهواء وأريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم (وجاهدهم به) أى بالله يعنى بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أى جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه (جهادا كبيرا) عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز أن يرجع (شديدا) الضمير فى به الى مادل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة

الناس الا كفورا ﴾ الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لايرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ﴿ ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ﴾ نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ فيما يريدونك عليه وهو تهييج له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين ﴿ وجاهدهم به ﴾ بالقرآن أو بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم ﴿ جهادا كبيرا ﴾ لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف أو لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة

الناس الا كفورا ﴾ أى جحودا وكفرهم هو انهم اذا امطروا قالوا مطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهنى انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى أثر سماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب ﴿ قوله تعالى ﴿ ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ﴾ أى رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة تستوجب بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم ﴿ وجاهدهم به ﴾ أى بالقرآن ﴿ جهادا كبيرا ﴾ أى

الناس الا كفورا) لم يقبلوا واستقاموا على الكفر بالله وبنعمته (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية) الى كل أهل قرية (نذيرا) رسولا مخوفا ولكن جعلناك كافة للناس رسولا لكى يكون الثواب والكرامة كلاهما لك (فلا تطع الكافرين) أبا جهل وأصحابه بما يأمرونك (وجاهدهم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) بالسيف

(وهوالذى مرج البحرين) خلاهمـا متجـاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة اذاخليتهـا ترعى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين (هذا) أى أحدهمـا (عـذب فرات) صفة لعذب أى شديد العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة (وهـذا ملح أجاج) صفة لملح أى شديد الملوحة (وجعـل بينهما برزخا) حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهمـا التمازج فهما فى الظـاهر مختلطـان

(وحجرا محجورا) وسترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا (وهوالذى خلق من الماء) أى النطفة (بشرا) انسانا (فجعله نسبا وصهرا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى وقيل فجعله نسبا أى قرابة وصهرا مصاهرة يعنى الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان التواصل يقع بها وبالمصاهرة لان التوالد يكون بهما (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم) ان عبدوه

(وهوالذى مرج البحرين) أرسل البحرين (هذاعذب فرات) حلو طيب (وهذا ملح أجاج) مر مالح زعاق (وجعل بينهما) بين المالح والطيب (برزخا) حاجزا

القرى ﴿وهوالذى مرج البحرين ﴾ خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لايتمازجان من مرج دابتـه اذا خلاها ﴿ هذا عذب فرات ﴾ قامع للعطش من فرط عذوبته ﴿ وهذا ملح اجاج ﴾ بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ حاجزا من قدرته ﴿ وحجرا محجورا ﴾ وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر مايقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العـذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشـابهت فى الكيفية ﴿ وهوالذى خلق من الماء بشرا ﴾ يعنى الذى خمر به طينة آدم أو جعله جزأ من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيآت بسهولة أو النطفة ﴿ فجعله نسبا وصهرا ﴾ أى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴿ وكان ربك قديرا ﴾ حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقـابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ﴿ ويعبدون من دون الله مالاينفعهم

شديدا * قوله تعالى ﴿وهوالذى مرج البحرين﴾ أى خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر وقيل ارسلهما فى مجاريهما ﴿هذا عذب فرات ﴾أى شديد العذوبة يميل الى الحلاوة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أى شديد الملوحة وقيل مر ﴿ وجعل بينهما برزخا ﴾ أى حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب ﴿وحجرا محجورا﴾ أى سترا ممنوعا فلا يبغى أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب * قوله تعالى ﴿ وهوالذى خلق من الماء﴾ أى من النطفة ﴿بشرا فجعله نسبا وصهرا﴾ أى جعله ذا نسب وصهر وقيل النسب مالايحل نكاحه والصهر مايحل نكاحه والنسب مايوجب الحرمة والصهر مالا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطـة التى تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا ويجمعهـا قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيـانه فى تفسـير سورة النساء ﴿وكان ربك قديرا﴾ على ماأراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى ﴿ويعبدون من دون الله﴾ يعنى هؤلاء المشركين ﴿ مالاينفعهم ﴾ أى ان

(وحجرا محجورا) حراما محرما من أن يغير أحدهما طعم صاحبه (وهوالذى خلق من الماء) من ماء الذكر والانثى (بشرا) خلقا كثيرا (فجعله نسبا) مالايحل تزويجه من القرابة (وصهرا) مايحل التزويج من القرابة وغيرها (وكان ربك) بما خلق من الحلال والحرام (قديرا ويعبدون) كفار مكة (من دون الله مالا ينفعهم) فى الدنيا

(ولا يضرهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه) على معصية ربه (ظهيرا) معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمن (وما ارسلناك الا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على التبليغ (من أجر) جعل (الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه من الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كأنه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لي ورضائي به كرضا المثاب ولعمري انه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه بالايمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالانفاق الى ضار به سبيلا فليفعل وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم اليه أجرا الا اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك أجري لان الله يأجرني عليه (وتوكل على الحي الذي لا يموت) اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا يعني ثق به وأسند أمرك اليه في استكفاء شرورهم ولا تتكل على حي يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه في كل (عليه)

ولا يضرهم ﴾ يعني الاصنام أو كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ﴿ وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا ﴾ للمؤمنين والكافرين ﴿قل ما اسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا ﴿من اجر الا من شاء﴾ الا فعل من شاء ﴿ ان يتخذ الى ربه سبيلا ﴾ ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين

عبدوه ﴿ولا يضرهم﴾ أي ان تركوه ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيرا ﴾ أي معينا أعان الشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت اليه وقيل أراد بالكافر أبا جهل والاصح انه عام في كل كافر * وقوله تعالى ﴿وما أرسلناك الا مبشرا﴾ أي بالثواب على الايمان والطاعة ﴿ ونذيرا ﴾ منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية ﴿ قل﴾ يا محمد ﴿ ما أسئلكم عليه ﴾ أي على تبليغ الوحي ﴿من أجر﴾ فتقولوا انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه ﴿الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا﴾ معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسي أجرا ولكن أمنع من انفاق المال الا في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته * قوله عز وجل ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ معناه انه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لا يطلب منهم أجرا البتة أمره ان يتوكل

والآخرة عبادته وطاعته (ولا يضرهم) في الدنيا والآخرة معصيته وترك عبادته (وكان الكافر) أبو جهل (على ربه ظهيرا) خارجيا ويقال عونا للكافرين على ربه بالكفر (وما أرسلناك) يا محمد لاهل مكة (الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (قل) يا محمد لاهل مكة (ما أسئلكم عليه) على التوحيد والقرآن (من أجر) من جعل ولا رزق (الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) طريقا بالايمان ويقال الا من شاء ان يوحد ويتخذ بذلك التوحيد الى ربه سبيلا مرجعا فيجد ثوابه (وتوكل) يا محمد (على الحي الذي لا يموت) ولا تتوكل على الاحياء الذين يموتون مثل أبي طالب وخديجة ولا على الاموات

أمر (وسبح) من أن يكل الى غيره من توكل عليه (بحمده) بتوفيقه الذى يوجب الحمد أوقل سبحان الله وبحمده أونزهه عن كل العيوب بالثناء عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعنى انه خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أى فى مدة مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذ ليل و نهار روى عن مجاهد

أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وانما خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على ان يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت (ثم استوى على العرش الرحمن) أى هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف أوبدل من الضمير فى استوى أوالذى خلق مبتدأ والرحمن خبره (فاسئل) بلاهمزة مكى وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلة فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أو صلة (خبيرا) ويكون خبيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أوفاسأل رجلا خبيرا به و برحمته أوالرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره و من ثمه كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة (واذا قيل لهم) أى اذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين (اسجدوا للرحمن)

يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم ﴿ وسبح بحمده ﴾ ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه ﴿ وكفى به بذنوب عباده ﴾ ماظهر منها وما بطن ﴿ خبيرا ﴾ مطلعا فلا عليك ان آمنوا أو كفروا ﴿ الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ﴾ قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج ﴿ الرحمن ﴾ خبر للذين ان جعلته مبتدأ أو لمحذوف ان جعلته صفة للحى أو بدل من المستكن فى استوى وقرئ بالجر على انه صفة للحى ﴿ فاسئل به خبيرا ﴾ فاسئل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبريل أو من وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء مايرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر مابعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن

عليه فى جميع أموره و انما قال على الحى الذى لايموت لان من توكل على حى يموت انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فانه حى لايموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولايضيع البتة ﴿ وسبح بحمده ﴾ أى صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله ﴿ وكفى به بذنوب عباده خبيرا ﴾ يعنى انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لايحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافأتهم و فيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمتم على مخالفة أمر كفاكم علمه فى مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة * قوله عز وجل ﴿ الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا ﴾ أى فاسئل الخبير بذلك يعنى بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل معناه أيها الانسان لاترجع فى طلب العلم بهذا الى غيرى وقيل معناه فاسئل عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن

الذين لاحركة لهم (وسبح بحمده) صل بامره (وكفى به) بالله (بذنوب عباده خبيرا) عالما (الذى خلق السموات والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (فى ستة أيام) من ايام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة مما تعدون أول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (ثم استوى) استقر (على العرش) ويقال امتلأ به العرش (الرحمن) مقدم ومؤخر يقول استوى الرحمن على العرش (فاسئل به) بذلك (خبيرا) بالله عالما ويقال فاسأل عن الله أهل العلم يخبروك (واذا قيل لهم) لكفار مكة (اسجدوا للرحمن) اخضعوا للرحمن بالتوحيد

صلوا لله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أى لانعرف الرحمن فنسجدله فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما كانو يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أوعن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم (أنسجد لما تأمرنا) للذى تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به يأمرنا على وحمزة كان بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو فقد عاندوا لان معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لاغاية بعدها فى الرحمة لان فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان فى نهاية العطش (وزادهم) قول اسجدوا للرحمن (نفورا) تباعدا عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) هى منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت وللقمر بيت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والجدى والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التى هى القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هى النجوم الكبار لظهورها (وجعل فيها) (اى) فى السماء (سراجا) يعنى الشمس لتوقدها سرجا حمزة وعلى اى نجوما (وقمرا منيرا) مضيأ بالليل (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر

قالوا وما الرحمن ﴾ لانهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ أى للذى تأمرناه يعنى تأمرنا بسجوده اولامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائى يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض ﴿ وزادهم ﴾ اى الأمر بالسجود للرحمن ﴿ نفورا ﴾ عن الايمان ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ﴾ يعنى البروج الاثنى عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار ﴿ وقمرا منيرا ﴾ مضيئا بالليل وقرئ وقمرا أى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴾ أى ذوى خلفة

قالوا وما الرحمن ﴾ أى ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ انت يا محمد ﴿ وزادهم ﴾ أى قول القائل اسجدوا للرحمن ﴿ نفورا ﴾ أى عن الايمان والسجود

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند سماعها وقراءتها ❁ قوله تعالى ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ﴾ قيل البروج هى النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هى البروج الاثنا عشر التى هى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التى هى القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ يعنى الشمس ﴿ وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴾ قال

(قالوا وما الرحمن) ما نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب (أنسجد لما يأمرنا) الكذاب (وزادهم) ذكر الرحمن ويقال القرآن ويقال دعوة النبى صلى الله عليه وسلم (نفورا) تباعدا عن الايمان (تبارك) ذو بركة (الذى جعل فى السماء بروجا) نجوما ويقال قصورا (وجعل فيها) فى السماء (سراجا) شمسا مضيأ لبنى آدم بالنهار (وقمرا منيرا) مضيأ لبنى آدم بالليل (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة)

والمعنى جعلهما ذوى خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه فى قضاء مافاته من الورد (لمن أراد ان يذكر) يتدبر فى تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر حمزة و خلف أى يذكر الله أو المنسى فيقضى (أو أراد شكورا) أى يشكر نعمة ربه عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره (الذين يمشون) أو أولئك يجزون والذين يمشون ومابعدهما صفة والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصف أوليائه بعد ماوصف أعداءه (على الارض هونا) حال أوصفة للمشى أى هينين أومشيا هينا والهون الرفق واللين أى يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب فى الاسواق ولقوله ويمشون فى الاسواق (واذا خاطبهم الجاهلون) أى السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاما) سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والافك أو تسلما منكم نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسلم وقيل نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك فالاغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا و مروءة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهى ان يدركك الليل نمت

يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى لمن يعمل فيه أو بان يعتقبا لقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة ﴿لمن اراد ان يذكر﴾ ان يتذكر آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم ان لابد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد ﴿أو اراد شكورا﴾ ان يشكر الله على مافيه من النعم أوليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه ﴿وعباد الرحمن﴾ مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة أو ﴿الذين يمشون على الارض﴾ واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل أو لانهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار ﴿هونا﴾ هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع ﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ تسليما منكم ومتاركة لكم لاخير بيننا وبينكم ولا شرا وسدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ فى الصلاة وتخصيصهم البيتوتة لان العبادة بالليل احز وابعد من الرياء وتأخير

ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله فى أحدهما قضاه فى الآخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتتنى الصلاة الليلة قال ادرك مافاتك من ليلتك فى نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا أبيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان فى الضياء والظلمة والزيادة والنقصان ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أى يتذكر و يتعظ ﴿أو أراد شكورا﴾ يعنى شكر نعمة ربه عليه فيهما * قوله عز وجل ﴿وعباد الرحمن﴾ قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله ﴿الذين يمشون على الارض هونا﴾ يعنى بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة ﴿واذا خاطبهم الجاهلون﴾ يعنى السفهاء بما يكرهونه ﴿قالوا سلاما﴾ أى سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا و ليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال ويروى عن الحسن البصرى انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا و قياما﴾ قال هذا وصف

مختلفة بعضها البعض (لمن أراد أن يذكر) أن يتعظ باختلافهما (أو أراد شكورا) عملا صالحا ماترك بالليل يعمل بالنهار وماترك بالنهار يعمل بالليل (وعباد الرحمن) خواص الرحمن (الذين يمشون على الارض هونا) تواضعا من مخافة الله (واذا خاطبهم الجاهلون) واذا كلمهم الكفار والفساق (وقالوا سلاما) ردوا معروفا وقالوا سدادا من القول (والذين يبيتون لربهم) بالصلاة (سجدا وقياما) فى

أولم تنم وقالوا من قرأ شيأ من القرآن فى صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) هلاكا لازما ومنه الغريم لملازمته وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرعون

الى الله فى صرف العذاب عنهم (انها ساءت مستقرا ومقاما) أى ان جهنم وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد فى النفقة أو لم يأكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المعاصى فالاسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى فى غير حق فقد أسرف (ولم يقتروا) بضم التاء كوفى وبضم الياء وكسر التاء مدنى وشامى وبفتح الياء وكسر التاء مكى وبصرى والقتر والاقتار والتقتير (الآية) التضييق الذى هو نقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والاقتار (قواما) أى عدلا

القيام للروى وهو جمع قائم أو مصدر اجرى مجراه ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ﴾ لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم و وثوقهم على استمرار حالهم ﴿ انها ساءت مستقرا ومقاما ﴾ أى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز المخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان أو احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى أو تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ ولم يقتروا ﴾ ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء والكل واحد ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ وسطا وعدلا

ليلهم والمعنى يبيتون لربهم فى الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليله * قوله عز وجل ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما﴾ أى ملحادا ثما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظى سأل الله الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوه فاغرمهم فبقوا فى النار وقال كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم ﴿انها﴾ يعنى جهنم ﴿ساءت﴾ بئست ﴿مستقرا ومقاما﴾ أى موضع قرار واقامة ﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ قيل الاسراف النفقة فى معصية الله وان قلت والاقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد فى الانفاق حتى يدخل فى حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو ان لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ أى قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه

صلاة الليل (والذين يقولون ربنا) يا ربنا (اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) لازما ملحا (انها ساءت مستقرا) منزلا (ومقاما) مثوى * ثم ذكر نفقاتهم فقال (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم ينفقوا فى المعصية (ولم يقتروا) ولم يمنعوا من الحق (وكان بين ذلك) بين الاسراف والتقتير (قواما) وسطا عدلا

بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أى بين ذلك قواما خبر ان وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية وسأل عبدالملك بن مروان عمر بن عبدالعزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبدالملك انه أراد ما فى هذه الآية وقيل أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى الرجل شيأ الا

أكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) أى لا يشركون (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) أى حرمها يعنى حرم قتلها (الا بالحق) بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعى فى الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله مما أنتم عليه (ومن يفعل ذلك) أى المذكور (يلق أثاما) جزاء الاثم (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هى لقاء الاثام كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا *

فجزم تلمم لانه بمعنى تأتنا اذ الاتيان هو الالمام يضعف مكى ويزيد ويعقوب يضعف شامى نضاعف ابو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف (قا و خا ٥٨ بع) (له العذاب يوم القيمة) أى يعذب على مرور الايام فى الآخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك

سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سوا لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان لكان أو حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ على نفسه ﴿ والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله ﴾ أى حرمها بمعنى حرم قتلها ﴿ الا بالحق ﴾ متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون ﴿ ولا يزنون ﴾ نفى عنهم امهات المعاصى بعدما أثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴾ جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام أى صعب ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيمة ﴾ بدل من يلق لانه فى لانه فى معنا كقوله

الآية فى صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترون به العورة ويقيهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا أن لا يشتهى شيأ الا اشتراه فاكله ﴿ والذين لا يدعون مع الله الها آخر ﴾ (ق) عن ابن عباس ان اناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر ﴿ ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ﴾ ونزل قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبدالله بن مسعود قال قال رجل يارسول الله أى الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴾ اى ومن يفعل شيأ من ذلك يلق أثاما قال ابن عباس اثاما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام واد فى جهنم ويروى فى الحديث ان الغى والاثام بئران فى جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيمة ﴾ وسبب تضعيف العذاب ان المشرك

(والذين لا يدعون مع الله) لا يعبدون مع الله (الها آخر) من الاصنام (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) قتلها ولا يستحلون قتلها (الا بالحق) بالرجم والقصاص والارتداد (ولا يزنون) ولا يستحلون الزنا (ومن يفعل ذلك) استحلالا (يلق أثاما) واديا فى النار ويقال جبا (يضاعف له العذاب يوم القيمة

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾ وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضعف وقرأ ابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب ومضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله ﴿ الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ﴾ بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية فى النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ فلذلك يعفو عن السيآت ويثيب على الحسنات ﴿ ومن تاب ﴾ عن المعاصى بتركها والندم عليها ﴿ وعمل صالحا ﴾ يتلافى به ما فرط أو خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة ﴿ فانه يتوب الى الله ﴾ يرجع الى الله بذلك ﴿ متابا ﴾ مرضيا

اذا ارتكب المعاصى مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾ أى ذليلا ● قوله تعالى ﴿ الا من تاب ﴾ أى عن ذنبه ﴿ وآمن ﴾ أى بربه ﴿ وعمل عملا صالحا ﴾ أى فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ثم نزلت الا من تاب فما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل ما فرح بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ● وقوله تعالى ﴿ فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الاعمال فى الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سيآتهم التى عملوها فى الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله تعالى يمحو بالندم جميع السيآت ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ﴿ ومن تاب وعمل صالحا ﴾ قيل هذا فى التوبة من غير ما سبق ذكره فى الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعنى أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن ﴿ فانه يتوب الى الله ﴾ أى يعود اليه بعد الموت ﴿ متابا ﴾ أى حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الاولى وهى قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافأة وقيل

الاشباع بهذه الكلمة مبالغة فى الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل فى هاء الكناية الاشباع (مهانا) حال أى ذليلا (الا من تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس فى موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد توبته (فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) أى يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به ان السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل مخففا البرجمى (وكان الله غفورا) يكفر السيآت (رحيما) يبدلها بالحسنات (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) أى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه يتوب بذلك الى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا

ويخلد فيه) فى العذاب (مهانا) يهان به ذليلا (الا من تاب) من الكفر (وآمن) بالله (وعمل عملا صالحا) خالصا بعد الايمان (فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) يحولهم الله من الكفر الى الايمان ومن {هذه} المعصية الى الطاعة ومن عبادة الاصنام الى عبادته ومن الشر الى الخير (وكان الله غفورا) لمن تاب (رحيما) لمن مات على التوبة (ومن تاب) من الذنوب (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه خالصا من قلبه (فانه يتوب الى الله متابا) مناصحة ويقال يجد ثوابها

محصلا للثواب (والذين لايشهدون الزور) أي الكذب يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة الى مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الآثام لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب

وجود الزيادة فيه وفي مواعظ عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخاطئين أولا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لايشهدون اللهو والغناء (واذا مروا باللغو) بالفحش وكل ماينبغي أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به (مروا كراما) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وعن الباقر رضي الله عنه اذا ذكروا الفروج كنوا عنها (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) أي قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) هذا ليس بنفي الخرور بل هو اثبات له ونفي الصمم والعمى ونحوه لايلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء يعني انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين بآذن واعية مبصرين بعيون راعية لما

عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص ﴿ والذين لايشهدون الزور ﴾ لايقيمون الشهادة الباطلة أو لايحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه ﴿ واذا مروا باللغو ﴾ مايجب ان يلغى ويطرح ﴿ مروا كراما ﴾ معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم ﴾ بالوعظ أو القراءة ﴿ لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لايسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لايلقاني زيد مسلما وقيل الهاء

هذه الآية أيضا في التوبة عن جميع السيآت ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر أي تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله تعالى ✽ قوله عز وجل ﴿ والذين لايشهدون الزور ﴾ يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وقيل لايشهدون الزور يعني أعياد المشركين وقيل الكذب والنوح وقيل لايساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيقة تحسين الشئ ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق ﴿ واذا مروا باللغو ﴾ هو كل مايجب أن يلغى ويترك ﴿ مروا كراما ﴾ يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما أي مسرعين معرضين وهو ان ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ قيل معناه انه ليس فيه نفي الخرور انما هو اثبات له ونفي الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها بآذن واعية وأقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة راعية وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كأنهم بآذانهم صمم

أمروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا

عند الله (والذين لايشهدون الزور) لايحضرون مجالس الزور (واذا مروا باللغو) بمجالس الباطل (مروا كراما) أعرضوا حلما (والذين اذا ذكروا) وعظوا (بآيات ربهم لم يخروا عليها) على آيات الله (صما) لايسمعون (وعميانا) لايبصرون ولكن يسمعون

(والذين يقولون ربناهب لنا من أزواجنا) من للبيان كانه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا (وذرياتنا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد أو للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ماتقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا أبو عمرو وكوفى غير حفص لارادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قرة أعين) وانما نكر لاجل تنكير القرة لان المضاف لاسبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل أعين على القلة دون عيون

لان المراد أعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال فى تنكير أعين أنها أعين خاصة وهى أعين المتقين والمعنى انهم سألوا ربهم ان يرزقهم أزواجا وأعقابا عملا لله تعالى يسرون بمكانهم وتقربهم عيونهم وقيل ليس شىء أقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين اماما) أى أئمة يقتدون بنا فى الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس او اجعل كل واحد منا اماما قيل فى الآية مايدل على ان الرياسة فى الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها (أولئك يجزون الغرفة) أى الغرفات وهى العلالى فى الجنه فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم فى الغرفات آمنون (بما صبروا) أى بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى { عن }

للمعاصى المدلول عليها باللغو ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهل فى طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية أو بيانية كقولك رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر ذريتنا وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص ويعقوب ذرياتنا بالالف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم ﴿ واجعلنا للمتقين اماما ﴾ يقتدون بنا فى امر الدين باقاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر فى اصله أو لان المراد واجعل كل واحد منها أو لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم ﴿ اولئك يجزون الغرفة ﴾ اعلى مواضع الجنة وهى اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هى من اسماء الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات

وبأعينهم عمى بل يسمعون مايذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه ﴿ قوله عز وجل ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ أى ابرار اتقياء صالحين فيقرون اعيننا بذلك قيل ليس شىء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه فى الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره ﴿ واجعلنا للمتقين اماما ﴾ أى أئمة يقتدون فى الخير بنا وقيل معناه نقتدى بالمتقين ويقتدى بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه انهم سألوا الله أن يبلغهم فى الطاعات المبلغ الذى يشار اليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة فى الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم ﴿ اولئك يجزون ﴾ أى يثابون ﴿ الغرفة ﴾ الدرجة العالية الرفيعة فى الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت فى الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ أى على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل عما صبروا

ويبصرون (والذين يقولون ربنا) ياربنا (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين) يقول اجعل أزواجنا وذرياتنا صالحين لكى تقر أعيننا بهم (واجعلنا للمتقين اماما) اجعلنا صالحين لكى يقتدوا بنا (أولئك) أهل هذه الصفة (يجزون الغرفة) الدرجات العلى فى الجنة (بما صبروا) على طاعة الله والفقر والمرازى

الفقر وغيرذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفى غيرحفص (تحية) دعاء بالتعمير (وسلاما) ودعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أويحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسنت) أى الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهى فى مقابلة ساءت مستقرا ومقاما (قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) ماتضمنة لمعنى الاستفهام وهى فى محل النصب

ومعناه مايصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام أو لولا عبادتكم له أى انه خلقكم لعبادته كقوله وماخلقت الجن والانس الاليعبدون أى الاعتبار عند ربكم لعبادتكم أوما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم (فقد كذبتم) رسولى ياأهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزاما) أى ذالزام أو ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك مايعبأ مايبالى بمغفرتكم لو دعاؤكم معه الها آخر

﴿ ويلقون فيها تحية وسلاما ﴾ دعاء بالتعمير والسلامة أى تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أويحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه أوتبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يلقون من لقى ﴿ خالدين فيها ﴾ لايموتون ولايخرجون ﴿ حسنت مستقرا ومقاما ﴾ مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا ﴿ قل مايعبأ بكم ربى ﴾ مايصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته أو لايعتد بكم ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل اى عبأ يعبؤكم ﴿ فقد كذبتم ﴾ بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب ﴿ فسوف يكون لزاما ﴾ يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لامحالة اواثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لايكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرى لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت

عن الشهوات ﴿ ويلقون فيها تحية ﴾ أى ملكا وقيل بقاء دائما ﴿ وسلاما ﴾ أى يسلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما أى سلامة من الآفات * قوله تعالى ﴿ خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ﴾ أى موضع قرار واقامة * قوله تعالى ﴿ قل مايعبأ بكم ربى ﴾ أى مايصنع ومايفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء وقيل معناه أى وزن ومقدار لكم عنده ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ اياه قيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا دعاؤه اياكم الى الايمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه مايعبأ بخلقكم ربى لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى مايعبأ أى مايبالى بمغفرتكم ربى لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ماخلقتكم ولى اليكم حاجة الا أن تسألونى فاعطيكم وتستغفرونى فاغفر لكم ﴿ فقد كذبتم ﴾ أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعنى ان الله دعاكم الى توحيده وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان ﴿ فسوف يكون لزاما ﴾ هذا تهديد لهم أى يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلايعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب يعنى انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس

(ويلقون فيها) فى الجنة (تحية) من الله (وسلاما) يلقونهم بذلك الملائكة بالتحية والسلام من الله اذا دخلوا فى الجنة (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لايموتون ولايخرجون منها (حسنت مستقرا) منزلا (ومقاما) مثوى (قل) يامحمد لاهل مكة (مايعبأ بكم ربى) مايصنع باجسامكم وصوركم ربى (لولا دعاؤكم) ان امركم بالتوحيد (فقد كذبتم) محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن (فسوف) وهذا وعيد من الله لهم (يكون لزاما) عذاب يوم بدر بالقتل والضرب والسبى يعنى فقد كذبتم بنبيكم فسوف يكون

﴿سورة الشعراء مكية وهي مائتان وعشرون وسبع آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طسم) طس

ويس وحم ممالة كوفي غير الاعشى والبرجي وحفص ويظهر النون عند الميم يزيد وحمزة وغيرهما يدغمها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لعلك باخع) قاتل ولعل للاشفاق (نفسك) من الحزن يعني أشفق على نفسك ان تقتلها حسرة وحزنا على ما فاتك من اسلام قومك (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو لامتناع ايمانهم

(١) عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لاريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وست أو سبع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم﴾ قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة أو القرآن على ما مر في اول البقرة ﴿لعلك باخع نفسك﴾ قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار ذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها ﴿ان لايكونوا مؤمنين﴾ لئلا يؤمنوا او خيفة ان لايؤمنوا

قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الشعراء وهي مكية الا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا روى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿طسم﴾ قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه ﴿تلك آيات﴾ أي هذه الآيات آيات ﴿الكتاب المبين﴾ قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي قاتل نفسك ﴿أن لايكونوا مؤمنين﴾ أي ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم

العذاب عليكم لزاما

﴿ومن السورة التي يذكر فيها الشعراء وهي كلها مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وعشرون آية وكلماتها ألف ومائتان وسبع وستون وحروفها خمسة آلاف وخمسمائة واثنان واربعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (طسم) يقول الطاء طوله وقدرته والسين سناؤه والميم ملكه ويقال قسم أقسم به (تلك آيات الكتاب المبين) يقول أقسم ان هذه السورة آيات القرآن المبين بالحلال والحرام والامر والنهي (لعلك باخع نفسك) قاتل (قاتل) نفسك يا محمد بالحزن عليهم (ألا يكونوا مؤمنين) بان لايكونوا مؤمنين يعني قريشا وكان حريصا على ايمانهم يحب ايمانهم

(١) قال في العناية والحديث المذكور موضوع

﴿ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية﴾ دلالة ملجئة الى الايمان أو بلية قاصرة عليه ﴿فظلت اعناقهم لها خاضعين﴾ منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لوقيل انزلنا بدله لصح ﴿ومايأتيهم من ذكر﴾ موعظة أو طائفة من القرآن ﴿من الرحمن﴾ يوحيه الى نبيه ﴿محدث﴾ مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير ﴿الا كانوا عنه معرضين﴾ الاجددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه ﴿فقد كذبوا﴾ أي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا فى تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله ﴿فسيأتيهم﴾ أي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ﴿انباء ما كانوا به يستهزؤن﴾ من انه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف امره ﴿أولم يروا الى الارض﴾ أولم ينظروا الى عجائبها ﴿كم انبتنا فيها من كل زوج﴾ صنف ﴿كريم﴾ محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون منبثة منبهة على انه مامن نبت الاوله فائدة اما وحده اومع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم

فانزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ أي لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوى أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لوشاء الله لاراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق * قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين * فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أولما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم أي فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أي جماعة * قوله تعالى ﴿ومايأتيهم من ذكر من الرحمن﴾ أي وعظ وتذكير ﴿محدث﴾ أي محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما انزل شئ من القرآن بعد شئ فهو أحدث من الاول ﴿الا كانوا عنه معرضين﴾ أو عن الايمان به ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم﴾ أي فسوف يأتيهم ﴿أنباء﴾ أي أخبار وعواقب ﴿ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الارض﴾ يعنى المشركين ﴿كم أنبتنا فيها﴾ أي بعد ان لم يكن فيها نبات ﴿من كل زوج كريم﴾ أي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام وقال الشعبى

عنهما نزلت فينا وفى بنى أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة (ومايأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أي ومايجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الاجددوا اعراضا عنه وكفرا به (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسيأتيهم) فسيعلمون (أنباء) اخبار (ماكانوا به يستهزون) وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر اويوم القيامة ماالشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التى كانت خافية عليهم (أولم يروا الى الارض كم انبتنا) كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام وفائدة الجمع بين كلتى الكثرة

(ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) علامة (فظلت) فصارت (أعناقهم لها خاضعين) ذليلين (ومايأتيهم من ذكر) مايأتى جبريل الى نبيهم بقرآن (من الرحمن محدث) باتيان محدث بعضه على اثر بعض (الا كانوا عنه معرضين) مكذبين بالقرآن (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن (فسيأتيهم أنباء) أخبار (ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب ويقال خبر عقوبة استهزائهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولم يروا) كفار مكة (الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج) من كل لون (كريم)

والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه على كمال قدرته (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أى ان فى انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى ايمانهم (وان ربك لهو العزيز) فى انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم وآية مع الاخبار بكثرتها لان ذلك مشار به الى مصدر أنبتنا أو المراد ان فى كل واحد من تلك الازواج لآية أى آية (واذ) مفعول به أى اذكر اذ (نادى) دعا (ربك موسى ان ائت) أن بمعنى اى (القوم ﴿الجزء التاسع عشر﴾ الظالمين) أنفسهم بالكفر ﴿٤٦٤﴾ وبنى اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد (ألا يتقون) اى ائتهم زاجرا فقد آن لهم ان يتقوا وهى كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير فى الظالمين اى يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال (قال رب انى اخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع (ان يكذبون ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى مستأنف اوعطف على اخاف (ولا ينطلق لسانى) بان تغلبنى الحية على مارى من المحال واسمع من الجدال وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون والخوف متعلق بهذه الثلاثة على

لكثرتها ﴿وان فى ذلك﴾ ان فى انبات تلك الاصناف أو فى كل واحد ﴿لآية﴾ على ان منبتها تام القدرة والحكمة وسابغ النعمة والرحمة ﴿وما كان اكثرهم مؤمنين﴾ فى علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿الرحيم﴾ حيث امهلهم أو العزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن ﴿واذ نادى ربك موسى﴾ مقدر باذكر أو ظرف لما بعد ﴿ان ائت﴾ أى ائت أو بان ائت ﴿القوم الظالمين﴾ بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم ﴿قوم فرعون﴾ بدل من الاول أو عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك ﴿ألا يتقون﴾ استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا ﴿قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى

الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ﴿ان فى ذلك﴾ أى الذى ذكر ﴿لآية﴾ تدل على أنه واحد أى دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أى سبق علمى فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ أى المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ ذو الرحمة لاوليائه * قوله تعالى ﴿واذ نادى﴾ أى واذكر يا محمد اذ نادى ﴿ربك موسى﴾ أى حين رأى الشجرة والنار ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى وظلموا بنى اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب ﴿قوم فرعون﴾ يعنى القبط ﴿ألا يتقون﴾ أى يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به ﴿قال﴾ يعنى موسى ﴿رب﴾ أى يارب ﴿انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى﴾ أى بتكذيبهم اياى ﴿ولا ينطلق لسانى﴾ أى

حسن فى المنظر (ان فى ذلك) فى اختلاف ألوانه (لآية) لعلامة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين (للعقدة) وكلهم كانوا كافرين من هلك يوم بدر (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة منهم (الرحيم) بالمؤمنين (واذ نادى) اذ دعا (ربك موسى) ويقال أمر ربك موسى (ان ائت القوم الظالمين) الكافرين (قوم فرعون) بدل من القوم (ألا يتقون) فقل لهم الا يتقون عبادة غير الله (قال) موسى (رب انى أخاف أن يكذبون) فى الرسالة (ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى ويقال يجبن قلبى (ولا ينطلق لسانى) لا يستقيم لسانى من مهابته

هـذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع (فارسل الى هرون) اى ارسل اليه جبريل واجعله نبيا يعيننى على الرسالة وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشأم ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفا فى الامتثال بل التماس عون فى تبليغ الرسالة وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر وكفى بطلب العون دليلا عـلى التقبل لا على التعلل (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب بقتل القبطى فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كاسمى جزاء السيئة سيئة (فاخاف ﴿ ٤٦٥ ﴾ أن يقتلون) { سورة الشعراء } أى يقتلونى به قصاصا وليس هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل اداء الرسالة ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا فى قوله (قال كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فاجابه بقوله اذهبا أى جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت وهرون (بآياتنا) مع آياتنا وهى اليد والعصا وغير ذلك (انا معكم) أى معكما بالعون والنصرة ومع من ارسلتما اليه بالعلم والقدرة (مستمعون) خبر لان ومعكم لغو أوهما خبران أى سامعون والاستماع فى غير هذا الاصغاء للسماع يقال استمع فلان حديثه أى أصغى اليه (قا و خا ٥٩ بع) ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) لم يثن الرسول كاثنى فى قوله انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى

فارسل الى هرون﴾ رتب استدعاء ضم اخيه اليه وإشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عنـد ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ماخاف عنه ﴿ولهم على ذنب﴾ أى تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع ﴿فاخاف ان يقتلون﴾ به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هـو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذاك استمـداد واستظهار فى امر الدعوة وقوله ﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا﴾ اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف عـلى الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته ﴿انا معكم﴾ يعنى موسى وهارون وفرعون ﴿مستمعون﴾ سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هـو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهـو خبر ثان أو الخبر وحـده ومعكم لغو ﴿ فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ﴾

للعقدة التى كانت على لسانه ﴿ فارسل الى هرون ﴾ ليوازرنى ويعيننى على تبليغ الرسالة ﴿ولهم على ذنب﴾ أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى ﴿فاخاف أن يقتلون﴾ أى به ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿ كلا﴾ أى لن يقتلوك ﴿فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون﴾ أى سامعون ما تقولون وما يقال لكم * فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع فى قوله معكم وهما اثنان * قلت أجراهما مجرى الجماعة وهو جائز فى لغة العرب ﴿فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين﴾ فان قلت هلا ثنى الرسول كما فى قوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك * قلت الرسول قد يكون بمعنى

(فارسل الى هرون) فارسل معى هرون يكون عونا لى ويقال فأرسل الى هرون جبريل ليكون معى معينا (ولهم على ذنب) قصاص بقتلى القبطى (فاخاف أن يقتلون) به (قال) الله (كلا) حقا ياموسى لا اسلطهم عليكما بالقتل (فاذهبا بآياتنا) التسع اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والصفادع والدم ونقص من الثمرات والسنين (انا معكم) معينكما (مستمعون) أسمع ما يقول لكما (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) اليك

الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى في الوصف به الواحد والتثنية والجمع ولانهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كانهما رسول واحد أو أريد ان كل واحد

منا (أن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول (معنا بنى اسرائيل) يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فأتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك (قال ألم نربك فينا وليدا) وانما حذف فأتيا فرعون فقالا اختصارا والوليد الصبي لقرب عهده من الولادة أى ألم تكن صغيرا فربيناك (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى فعرض اذا كان ملكا (وانت من الكافرين) بنعمتى حيث قتلت خبازى أوكنت على ديننا الذى تسميه كفرا وهذا افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعايشهم

افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بسر ولا ارسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى أو لاتحادهما للاخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به أو لانه اراد ان كل واحد منا ﴿ ان ارسل معنا بنى اسرائيل ﴾ أى قولا ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشأم ﴿ قال ﴾ أى فرعون لموسى بعد ما آتياه فقالاله ذلك ﴿ ألم نربك فينا ﴾ فى منزلنا ﴿ وليدا ﴾ طفلا سمى به لقربه من الولادة ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغرق خمسين ﴿ وفعلت فعلتك التى فعلت ﴾ يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز ﴿ وانت من الكافرين ﴾ بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى أو ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية

المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذو رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بشئ ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة وقيل انهما لاتفاقهما فى الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين ﴿ أن ارسل معنا بنى اسرائيل ﴾ أى خلهم وأطلقهم معنا الى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مصر وهارون بها فاخبره بذلك ۞ وفى القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفى يده عصاه والمكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارون ان الله قد أرسلنى الى فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمتنع لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال أنا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون و قال ان مجنونا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة فى الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون واديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته ف ﴿ قال ﴾ له ﴿ ألم نربك فينا وليدا ﴾ أى صبيا ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ أى ثلاثين سنة ﴿ وفعلت فعلتك التى فعلت ﴾ يعنى قتل القبطى ﴿ وأنت من الكافرين ﴾ قال أكثر المفسرين

والى قومك (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) ولا تعذبهم فنظر فرعون الى موسى (قال ألم نربك فينا وليدا) صغيرا ياموسى (ولبثت) مكثت (فينا من عمرك سنين) ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) قتلت النفس التى قتلت (وأنت من الكافرين)

بالتعيير (قال فعلتها اذا) اى اذذاك (وانا من الضالين)الجاهلين بانها تبلغ القتل والضال عن الشئ هو الذاهب عن معرفته

أو الناسين من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين

و اذا جواب وجزاء معا وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاءله لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناه انك جازيت

نعمتى بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة

بان تجازى بنحو ذلك الجزاء (ففررت منكم) الى مدين (لما خفتكم) أن تقتلونى وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية (فوهب لى ربى حكما) نبوة وعلما فزال عن الجهل والضلالة (وجعلنى من المرسلين) من جملة رسله (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من أصله وابى ان تسمى نعمة لانها نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه أبواه فكان فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من حجر أبويه اذا حققت وتعبيدهم وتذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير فى تمنها وعبدت وجمع فى منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ماهى الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أى تعبيدك بنى اسرائيل

فهو حال من احدى التاء ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون فى دينهم ﴿ قال فعلتها اذا وانا من الضالين ﴾ من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه أو من المخطئين لانه لم يتعمد قتله أو الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب أو الناسين من قوله ان تضل احداهما ﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما ﴾ حكمة ﴿ وجعلنى من المرسلين ﴾ رداولا بذلك ماوبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ماعده عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال ﴿ وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل ﴾ أى وتلك التربية نعمة تمنها على بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم بذبح ابناءهم فانهم السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى او تلك نعمة تمنها على وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف أو بدل نعمة أو الجر باضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار

من الجاحدين لنعمتى وحق تربيتى يقول ربيناك فينا فكافأتنا أن قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا وهى رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لاقبل النبوة ولابعدها وقيل معناه وأنت من الكافرين بفرعون والهيته ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ فعلتها اذا وأنا من الضالين ﴾ أى من الجاهلين بان ذلك يؤدى الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين ﴿ ففررت منكم ﴾ أى الى مدين ﴿ لما خفتكم فوهب لى ربى حكما ﴾ يعنى النبوة وقيل العلم والفهم ﴿ وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل ﴾ أى اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بنى اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بنى اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية أو تلك نعمة على طريق الاستفهام فحذفت الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

بنعمتى الساعة (قال) موسى (فعلتها اذا وأنا من الضالين) من الجاهلين بنعمتك على (ففررت) فهربت (منكم لما خفتكم) على نفسى بالقتل (فوهب لى ربى حكما) فهما وعلما ونبوة (وجعلنى من المرسلين) اليك والى قومك (وتلك نعمة) هذه نعمة (تمنها على) يافرعون ولا تذكر جفالك على (أن عبدت) بان استعبدت (بنى اسرائيل)

نعمة تمنها على (قال فرعون ومارب العالمين) أى انك تدعى انك رسول رب العالمين فاصفته لانك اذا أردت السؤا
عن صفة زيد تقول مازيد تعنى أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب نص عليه صاحب
الكشاف وغيره (قال) موسى مجيباله على وفق سؤاله (رب السموات والارض ومابينهما) أى ومابين الجنسين (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا أوان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والالم ينفع والايقان العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لايقال الله موقن (قال) أى فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (ألا تستمعون) معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وان لهما ربا فاحتاج موسى الى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين)

قال فرعون) لموسى (ومارب العالمين) من رب العالمين ياموسى اياى تعنى (قال) موسى (رب السموات والارض) يقول رب العالمين هورب السموات والارض
(ومابينهما) من الخلق والعجائب (ان كنتم موقنين) مصدقين بان الله خلقهما (قال) فرعون (لمن حوله) من الجلساء (ألا (يعنى)
تستمعون) الى مايقول موسى وكان حوله مائتان وخمسون رجلا جلوسا عليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب وكانوا خاصته قالو
لموسى من رب السموات والارض الذى تدعونا اليه ياموسى (قال) موسى (ربكم) هوربكم (ورب آبائكم الاولين

منه ومن ملئه ﴿ قال فرعون ومارب العالمين ﴾ لما سمع جواب ماطعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل ﴿قال رب السموات والارض ومابينهما ﴾ عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ﴿ ان كنتم موقنين ﴾ أى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدألابد وان يكون مبدألسائر الممكنات مايمكن ان يحس بها ومالايمكن والالزم تعددالواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لايمكن تعريفه الابلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب فى ذاته ﴿قال لمن حوله الا تستمعون ﴾ جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله أو يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية أو غير معلوم افتقارها الى مؤثر ﴿ قال ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ عدولا الى مالايمكن ان يتوهم

لم أنس يوم الرحيل وقفتها * وطرفها من دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة * تتركنى هكذا وتنطلق

أى أتتركنى والمعى أتمن على ان ربيتنى وتنسى جنايتك على بنى اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو يريد كيف تمن على بالتربية وقد استعبدت قومى ومن أهين قومه فقد ذل فتعبد بنى اسرائيل قد أحبط حسناتك الى ولو لم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى تربينى وتكفلنى ولكان لى من أهلى من يربينى ولم يلقونى فى اليم ﴿ قال فرعون ومارب العالمين ﴾ يقول أى شئ رب العالمين الذى تزعم انك رسوله أى يستوصفه الهه الذى ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشئ والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه وأجابه بذكر افعاله وآثار قدرته التى تعجز الخلائق عن الاتيان بمثلها ﴿ قال رب السموات والارض ومابينهما ان كنتم موقنين ﴾ أنه خالقهما فاعرفوا انه لايمكن تعريفه الابما ذكرته لكم فان أيقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا انه لاجواب لكم عن هذا السؤال الاماذكرته من الجواب وقال أهل المعانى أى كما توقنون هذه الاشياء التى تعاينونها فايقنوا ان اله الخلق هوالله تعالى الذى خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون فى جواب موسى ﴿قال لمن حوله ﴾ أى من أشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة ﴿ ألا تستمعون ﴾ وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعنى انى انما اطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبنى بافعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى فى البيان ﴿قال ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ يعنى ان موسى ذكر ماهو أقرب اليهم فقال ربكم

أي هو خالقكم و خالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم و انما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) أي فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) حيث يزعم ان فى الوجود الها غيرى وكان فرعون ينكره الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فتستدلون بما اقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عم أولا بخلق السموات والارض و ما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه و من ولد منه وماشاهد من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال معجبا لهم من جواب موسى أتستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فجننه فرعون زاعما انه حائد عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الاول مبينا ان الفرد الحقيقى انما يعرف بالصفات وان السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة فى قوله تعالى ان كنتم تعقلون أى ان كان لكم عقل علمكم انه لا تمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت الها غيرى) أى غيرى الها (لأجعلنك من المسجونين) أى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك

فيه مثله ويشك فى افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل ﴿ قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ﴾ اسأله عن شئ ويجيبنى عن آخر وسماه رسولا على السخرية ﴿ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ﴾ تشاهدون كل يوم انه يأتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ﴿ ان كنتم تعقلون ﴾ ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم وخشانتهم عارضهم بمثل مقاتلهم ﴿ قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾ عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله ألا تسمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا أو اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام فى المسجونين للعهد أى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى

يعنى أنه خالقكم وخالق آبائكم الاولين ﴿قال﴾ يعنى فرعون ﴿ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون﴾ يعنى المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذى يدعى الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه ويتكلم بكلام لا نقبله ولا نعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد فى البيان ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون﴾ فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت ﴿ قال ﴾ فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق ﴿ لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾ قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه فى مكان يهوى فيه الى الارض وحده

قال) فرعون لجلسائه (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) قالوا الى من تدعونا اليه يا موسى ومن ربنا ورب آبائنا الاولين (قال) موسى (رب المشرق) هو رب المشرق (والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) تصدقون ذلك (قال) فرعون لموسى (لئن اتخذت) عبدت (الهاغيرى) يا موسى (لأجعلنك من المسجونين) من المحبوسين فى السجن وكان سجنه أشد من القتل وكان اذا سجن أحدا طرحه فى مكان وحده فردا لا يسمع فيه شيأ ولا ينظر فيه

أشدمن القتل وأشدولوقيل لأسجننك لم يؤدهذا المعنى وان كان أخصر (قال أولوجئتك) الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى أتفعل بى ذلك ولوجئتك (بشى مبين) أى جائيا بالمعجزة (قال فائت به) بالذى يبين صدقك (ان كنت من الصادقين) ان لك بينة وجواب الشرط مقدر أى فاحضره (فالقى عصاه فاذاهى ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لاشئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر روى ان العصا ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلك ألا أخذتها فاخذها فعادت عصا (ونزع يده فاذاهى بيضاء للناظرين) فيه دليل على ان بياضها كان شيأ يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريا روى ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال لفرعون ماهذه قال فرعون يدك فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال) أى فرعون (للملأ حوله) هو منصوب نصبين نصب فى اللفظ والعامل فيه مايقدر فى الظرف ونصب فى المحل وهو النصب على الحال من الملأ أى كائنين حوله والعامل فيه قال (ان هذا لساحر عليم) بالسحر ثم أغوى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا) منصوب لانه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تأمرون) تشيرون فى أمره من حبس أوقتل من المؤامرة وهى المشاورة أو من الامر الذى هو ضد النهى لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى (قالوا)

هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننك ﴿قال أولوجئتك بشئ مبين﴾ أى أتفعل ذلك ولوجئتك بشئ بين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل ﴿قال فائت به ان كنت من الصادقين﴾ فى ان لك بينة او فى دعواك فان مدعى النبوة لابد له من حجة ﴿فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين﴾ ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ﴿ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين﴾ روى ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق ﴿قال للملأ حوله﴾ مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ﴿ان هذا لساحر عليم﴾ فائق فى علم السحر ﴿يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ بهره سلطان المعجزة حتى

فردا لايسمع ولايبصر فيه ﴿قال﴾ له موسى حين توعده بالسجن ﴿أولوجئتك بشئ مبين﴾ أى بآية بينة والمعنى أتفعل ذلك ولوجئتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان ﴿قال﴾ يعنى فرعون ﴿فائت به﴾ أى انا لن نسجنك حينئذ ﴿ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذاهى ثعبان مبين﴾ قيل انها لما صارت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذى أرسلك ألا أخذتها فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها فى جيبه ثم اخرجها فاذاهى بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله ﴿ونزع يده فاذاهى بيضاء للناظرين﴾ فعند ذلك ﴿قال﴾ فرعون ﴿للملأ حوله ان هذا﴾ يعنى موسى ﴿لساحر عليم﴾ وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال ﴿يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره﴾ قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى ﴿فماذا تأمرون﴾ يعنى ماراًيكم فيه وماالذى أعمله فعند ذلك

شيأ يهوله به (قال) موسى (أولوجئتك) يافرعون (بشئ مبين) بآية بينة على ماأقول (قال) فرعون (فائت به) ياموسى (ان كنت من الصادقين) بانك رسول الى والى قومى (فألقى) موسى (عصاه فاذاهى ثعبان) حية صفراء ذكر (مبين) عظيم أعظم مايكون من الحيات قال فرعون هذه آية بينة فهل غيرهذه (ونزع يده) أخرج موسى يده من ابط (فاذاهى بيضاء للناظرين) لها ضوء كضوء الشمس تعجب الناظرين اليها (قال) فرعون (للملأ حوله ان هذا) الرسول (لساحر عليم) حاذق بالسحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم) مصر (بسحره فماذا تأمرون)

الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأخاه) أخر امرهما ولا تباغت قتلهما خوفا من الفتنة (وابعث فى المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأتوك بكل سحار عليم) فجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أى يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة فى قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ماوقت به أى حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أى اجتمعوا وهو استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم (لعلنا نتبع السحرة)

فى دينهم (ان كانوا هم الغالبين) اى غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلى ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم) وبكسر العين على وهما لغتان (وانكم اذا لمن المقربين) أى قال فرعون نعم لكم أجر عندى وتكونون مع ذلك من المقربين عندى فى المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم أئن لنا لاجرا فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله انكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت اذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب

حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه ﴿ قالوا ارجه واخاه ﴾ اى اخر امرهما وقيل احبسهما ﴿ وابعث فى المدائن حاشرين ﴾ شرطا يحشرون السحرة ﴿ يأتوك بكل سحار عليم ﴾ ليفضلوا عليه فى هذا الفن واما لها ابن عامر والكسائى وابو عمرو وقرئ بكل ساحر ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾ لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿ وقيل للناس هل انتم مجتمعون ﴾ فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب اخا عون ابن مخراق

اى ابعث احدهما الينا سريعا ﴿ لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ﴾ لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى ﴿ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين ﴾ التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على

﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ اى اخره واخاه ﴿ وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ﴾ قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة فى أمره ولكن أخره واجعله سحرة ليقاوموه ولا تثبت له عليك حجة ﴿ قوله تعالى ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾ يعنى يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت فى أول يوم من السنة وهو النيروز ﴿ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ﴾ أى لتنظروا ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة ﴿ لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ﴾ لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء ﴿ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ﴾ طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله وأكده بقوله ﴿ قال نعم وانكم اذا لمن المقربين

تشيرون على به (قالوا أرجه) أحبسه (وأخاه) ولا تقتلهما (وابعث فى المدائن) الى مدائن الساحرين (حاشرين) الشرط (يأتوك بكل سحار) ساحر (عليم) حاذق بسحره فيصنعون مثل ما يصنع موسى (فجمع السحرة) أثنان وسبعون ساحرا (لميقات يوم معلوم) لميعاد يوم معروف وهو يوم السوق ويقال يوم عيدهم ويقال يوم نيروزهم (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة) دين السحرة (ان كانوا هم الغالبين) على موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا) جعلا من المال (ان كنا نحن الغالبين) على موسى (قال) فرعون (نعم) لكم عندى ذلك (وانكم اذا لمن المقربين) فى القدر والمنزلة

والجزاء (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته (فالقوا حبالهم) سبعين ألف حبل
(وعصيهم) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصا (وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون)
أقسموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية (فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تبتلع (ما يأفكون) ما يقلبونه عن
وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون فى حبالهم وعصيهم أنها حيات
تسعى (فالقى السحرة
ساجدين) عبر عن الخرور
بالالقاء بطريق المشاكلة
لانه ذكر مع الالقاآت
ولانهم لسرعة ما سجدوا
صاروا كانهم ألقوا (قالوا
آمنا برب العالمين) عن
عكرمة رضى الله عنه أصبحوا
سحرة وأمسوا شهداء
(رب موسى وهرون)
عطف بيان لرب العالمين
لان فرعون كان يدعى
الربوبية فارادوا ان يعزلوه
وقيل ان فرعون لما سمع
منهم آمنا برب العالمين
قال اياى عنيتم قالوا رب
موسى وهرون (قال
آمنتم له قبل ان آذن لكم)
بذلك (انه لكبيركم الذى
علمكم السحر) وقد تواطأتم
على أمر ومكر (فلسوف
تعلمون) وبال ما فعلتم ثم
صرح فقال (لأقطعن ايديكم
وأرجلكم من خلاف) من
أجل خلاف ظهر منكم
(ولأصلبنكم أجمعين) كانه

ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ﴿ قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ﴾ أى بعد ما قالوا له اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق ﴿ فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ﴾ اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم ولاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر ﴿ فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ﴾ تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ﴿ ما يأفكون ﴾ ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة ﴿ فألقى السحرة ساجدين ﴾ لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لا حقيقة له وان التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ بدل من القى بدل الاشتمال أو حال باضمار قد ﴿ رب موسى وهرون ﴾ ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما ﴿ قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر ﴾ فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم أو فوادعكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر وروح أآمنتم بهمزتين ﴿ فلسوف تعلمون ﴾ وبال ما فعلتم به وقوله ﴿ لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين ﴾

قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون ﴾ أى بعظمة فرعون ﴿ انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون ﴾ أى ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هى كما كانت أول مرة ﴿ فالقى السحرة ساجدين ﴾ قيل انهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم ﴿ قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ﴾ وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله ﴿ قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون ﴾ فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال ﴿ لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين

والدخول على (قال لهم موسى)
للسحرة (ألقوا ما أنتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم) اثنين وسبعين حبلا واثنين وسبعين عصا (وقالوا) يعنى السحرة (قالوا)
(بعزة) بمنعة (فرعون انا لنحن الغالبون) على موسى (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تلقم (ما يأفكون) ما أفكهم من
السحر (فألقى السحرة ساجدين) سجدوا من سرعة سجودهم كانهم ألقوا لما ذهبت حبالهم وعصيهم علموا أنه من الله (قالوا آمنا
برب العالمين) قال لهم فرعون اياى تعنون قالوا (رب موسى وهرون قال) فرعون (آمنتم به) صدقتم به (قبل ان آذن لكم) آمركم به
(انه) يعنى موسى (لكبيركم) عالمكم (الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون) ماذا أفعل بكم (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد
اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم أجمعين) على

ان يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لان كنا (اول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون أرادوا لاضرر علينا في ذلك بل لنا أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا أو لاضير علينا فيما تتوعدنا به انه لابد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وارجاها أو ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان (وأحينا الى موسى أن أسر) وبوصل الهمزة حجازي (بعبادي) بني اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بنبيه أي سربهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعني اني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر الملائكة ان لايدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري (فارسل فرعون في المدائن حاشرين)

بيان له ﴿قالوا لاضير﴾ لاضرر علينا في ذلك ﴿انا الى ربنا منقلبون﴾ بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت وقتلك انفعها وارجاها ﴿انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا﴾ لان كنا ﴿اول المؤمنين﴾ من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة. وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي ﴿واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي﴾ وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الاعتوا وفسادا * وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى *وقرئ ان سر من السير ﴿انكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسربهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لايدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فاغرقهم ﴿فارسل فرعون﴾ حين اخبر بسراهم ﴿في المدائن حاشرين﴾

قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون ﴾ أي لاضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا لانا ننقلب ونصير الى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم ﴿انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ أي الكفر والسحر ﴿ أن ﴾ أي لان ﴿ كنا أول المؤمنين ﴾ أي من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع * قوله تعالى ﴿ وأوحينا الى موسى أن اسر بعبادي انكم متبعون﴾ أي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قيل أوحى الله الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أهل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر الملائكة فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وآمرهم ان لايدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا ﴿ فارسل فرعون في المدائن حاشرين ﴾ يعني الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن ألف مدينة واثني عشر ألف قرية فارسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف وخرج فرعون في الكرسي العظيم في مائتي ألف ملك مسورين مع

على شاطئ نهر مصر (قالوا لاضير) لايضرنا (قا و خا ٦٠ بع) في الآخرة ماتصنع بنا في الدنيا (انا الى ربنا منقلبون) راجعون الى الله والى ثوابه (انا نطمع) نرجو (أن يغفر لنا ربنا خطايانا) شركنا (أن كنا) بأن كنا (أول المؤمنين) بموسى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي) أن أدلج بعبادي ليلا من آمن بك من بني اسرائيل (انكم متبعون) يدرككم فرعون وقومه (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين)

آى جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة أو أراد بالقلة الذلة لاقلة العدد أى انهم لقلتهم لايبالى بهم ولا تتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا لكثرة من معه فعن الضحاك

كانوا سبعة آلاف ألف ألف (وانهم لنا لغائظون) أى انهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهى خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم أبكارنا (وانا لجميع حاذرون) شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر الذى يجدد حذره وقيل المؤدى فى السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعنى ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور (فاخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وأنهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لاينفقون منها فى طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) بهى بهيج وعن ابن عباس رضى الله عنهما الشرط (ان هؤلاء) أصحاب موسى (لشرذمة قليلون) فئة قليلة (وانهم لنا لغائظون) مبغضون أحرجونا (وانا لجميع حاذرون) شاكون ممدون بالسلاح (فاخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) ماء طاهر (وكنوز) أموال (ومقام كريم) منازل حسنة (بالذهب)

العساكر ليتبعوهم ﴿ ان هؤلاء لشرذمة قليلون ﴾ على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روى انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل ﴿ وانهم لنا لغائظون ﴾ لفاعلون مايغيظنا ﴿ وانا لجميع حذرون ﴾ وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور اشاروا اولا الى عدم مايمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به مايكسر سلطانه وقرأ ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال

احب الصبى السوء من اجل امه * وابغضه من بغضها وهو حادر

او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم ﴿ فاخرجناهم ﴾ بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه ﴿ من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ﴾ يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية

كل ملك ألف فلذلك قال ﴿ ان هؤلاء لشرذمة قليلون ﴾ قال أهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولايحصى عدد أصحاب فرعون ﴿ وانهم لنا لغائظون ﴾ الغيظ الغضب يعنى انهم أغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم أبكارنا وذهابهم باموالنا التى استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير اذن منا ﴿ وانا لجميع حذرون ﴾ أى خائفون من شرهم وقرئ حاذرون أى ذوو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذى يحذرك الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذى لاتلقاه الا خائفا ﴿ فاخرجناهم من جنات وعيون ﴾ قيل كانت البساتين ممتدة فى حافتى النيل فيها عيون وأنها رجارية ﴿ وكنوز ﴾ يعنى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا الانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق فى عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى ﴿ ومقام كريم ﴾ أى مجلس حسن قيل أراد مجالس الامراء والرؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديباج مخوصة

المنابر (كذلك) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى الامر كذلك (وأورثناها بنى اسرائيل) عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم (فاتبعوهم) فلحقوهم فاتبعوهم يزيد (مشرقين) حال أى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طلوعها

﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذى كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف ﴿ واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم ﴾ وقرئ فاتبعوهم ﴿ مشرقين ﴾ داخلين فى وقت شروق الشمس ﴿ فلما تراأى الجمعان ﴾ تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر * وقرئ تراءت الفئتان ﴿ قال اصحاب موسى انا لمدركون ﴾ لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم ﴿ قال كلا ﴾ لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ﴿ ان معى ربى ﴾ بالحفظ والنصرة ﴿ سيهدين ﴾ طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع ﴿ فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر ﴾ القلزم اوالنيل ﴿ فانفلق ﴾ اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك ﴿ فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب ﴿ وازلفنا ﴾ وقربنا ﴿ ثم الآخرين ﴾ فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم

بالذهب والمعنى أنا أخرجناهم من بساتينهم التى فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة ﴿ كذلك ﴾ أى كما وصفنا ﴿ وأورثناها بنى اسرائيل ﴾ وذلك ان الله عز وجل رد بنى اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاماكن الحسنة ﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾ أى لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ أى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه ﴿ قال أصحاب موسى انا لمدركون ﴾ أى سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم ﴿ قال ﴾ يعنى موسى لثقته بوعد الله تعالى اياه ﴿ كلا ﴾ أى لن يدركونا ﴿ ان معى ربى سيهدين ﴾ أى يدلنى على طريق النجاة ﴿ فاوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ﴾ أى فضربه فانشق ﴿ فكان كل فرق ﴾ أى قطعة من الماء ﴿ كالطود ﴾ أى الجبل ﴿ العظيم ﴾ قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمى بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء لا يوارى حافر دابته وقال الذى يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب فى الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده ﴿ وأزلفنا ثم الآخرين ﴾

أى ادرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى قرب أن يلحقنا عدونا وامامنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله اياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم (ان معى) معى حفص (ربى سيهدين) أى سيهدينى طريق النجاة واضرارهم سيهدينى بالياء يعقوب (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) أى القلزم أو النيل (فانفلق) أى فضرب فانفلق وانشق فصار اثنى عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أى جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المطاد فى السماء (وأزلفنا ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم

(كذلك) أفعل بمن عصانى (وأورثناها) يعنى مصر (بنى اسرائيل) بعد هلاكهم (فاتبعوهم مشرقين) عند طلوع الشمس (فلما تراءى) ظهر (الجمعان) جمع موسى وجمع فرعون (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى ادركونا يا موسى (قال) موسى (كلا) حقا لا يدركونا (ان معى ربى سيهدين) سينجينى منهم ويهدينى الى الطريق (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) فضرب (فانفلق) فانشق فصار فيه اثنا عشر طريقا (فكان كل فرق) كل طريق (كالطود العظيم) كالجبل العظيم (وأزلفنا ثم الآخرين)

فرعون أى قربناهم من بنى اسرائيل أو من البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكواكب فى الآجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا فى الهلاك مع اختلاف طوالعهم روى ان جبريل عليه السلام كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم باولكم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع لموسى أين أمرت فهذا البحر امامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك

يامن كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ (ان فى ذلك) أى فيما فعلنا بموسى وفرعون (لآية) لعبرة عجيبة لاتوصف (وما كان أكثرهم) أى المغرقين (مؤمنين) قالوا لم يؤمن منهم الا آسية وخرقيل مؤمن آل فرعون ومريم التى دلت موسى على قبر يوسف (وان ربك لهو العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام على أوليائه (واتل عليهم) على مشركى قريش (نبأ ابراهيم) خبره (اذقال لابيه وقومه) قوم ابراهيم أو قوم الاب (ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون وابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سألهم ليريهم ان مايعبدونه ليس بمستحق للعبادة (قالوا نعبد أصناما) وجواب ما تعبدون أصناما كيسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وانما زادوا نعبد فى الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد (فنظل لها عاكفين) فنقيم على عبادتها طول

مداخلهم ﴿ وانجينا موسى ومن معه اجمعين ﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ﴿ ثم اغرقنا الآخرين ﴾ باطباقه عليهم ﴿ ان فى ذلك لآية ﴾ واية آية ﴿ وما كان اكثرهم مؤمنين ﴾ وماتنبه عليها اكثرهم اذلم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط وبنواسرائيل بعدمانجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ﴿ وان ربك لهو العزيز ﴾ المنتقم من اعدائه ﴿ الرحيم ﴾ باوليائه ﴿ واتل عليهم ﴾ على مشركى العرب ﴿ نبأ ابراهيم اذقال لابيه وقومه ما تعبدون ﴾ سألهم ليريهم ان مايعبدونه لايستحق العبادة ﴿ قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين ﴾

أى قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم أولكم ويقول للقبط رويدا يلحق آخركم أولكم فكان بنواسرائيل يقولون مارأينا أحسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون مارأينا أحسن دعة من هذا الرجل ﴿ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا الآخرين ﴾ يعنى انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا فى البحر انطبق عليهم فاغرقهم ﴿ ان فى ذلك لآية ﴾ يعنى ماحدث فى البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ يعنى أهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا آسية امرأة فرعون وخرقيل مؤمن آل فرعون ومريم ابنة ماموبا التى دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر ﴿ وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ ابراهيم اذقال لابيه وقومه ماتعبدون ﴾ أى أى شئ تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة للاصنام ليريهم أن مايعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ ﴿ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴾ أى نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل

يقول حبسنا فرعون وقومه فى الضبابة ويقال فى البحر وكلهم كانوا كافرين (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه فى اليم (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين اذ أنجاهم من الغرق (واتل) اقرأ (عليهم) على قومك قريش (نبأ ابراهيم) خبر ابراهيم فى القرآن (اذقال لابيه) آزر (وقومه) عبدة الاوثان (ما تعبدون قالوا نعبد أصناما) آلهة (فنظل لها عاكفين) فنصير لها

[illegible] قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو نظل للدوام (قال) أى ابراهيم (هل يسمعونكم) [illegible]
[illegible] على حذف المضاف لدلالة (اذ تدعون) عليه (أو ينفعونكم) ان عبدتموها (أو يضرون) أى ان تركتم عبادتها (قالوا بل)
اضراب أى لاتسمع ولاتنفع ولاتضر ولانعبدها لشئ من ذلك ولكن (وجدنا

آباءنا كذلك يفعلون) فقلدناهم (قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) الاولون (فانهم) أى الاصنام (عدولى) العدو والصديق يجيآن فى معنى الوحدة والجماعة يعنى لوعبدتهم لكانوا أعداء لى فى يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفرآء هو من المقلوب أى فانى عدوهم وفى قوله عدولى دون لكم زيادة نصح ليكون أدعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عدولكم لم يكن بتلك المثابة (الارب العالمين) استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين (الذى خلقنى) بالتكوين فى القرار المكين (فهو يهدين) لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال فى يهدينى مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهدينى للاهم الافضل

فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ﴿ قال هل يسمعونكم ﴾ يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة ﴿ اذ تدعون ﴾ عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا معاذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها ﴿ او ينفعونكم ﴾ على عبادتكم لها ﴿ او يضرون ﴾ من اعرض عنها ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضرر او نفع والتجأوا الى التقليد ﴿ قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون ﴾ فان التقدم لايدل على الصحة ولاينقلب به الباطل حقا ﴿ فانهم عدولى ﴾ يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق مايتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب ﴿ الارب العالمين ﴾ استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبدالله ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ لانه يهدى كل مخلوق لماخلق له من امور المعاش والمعاد كما قال * والذى قدر فهدى * هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية

﴿ قال هل يسمعونكم ﴾ أى يسمعون دعاءكم ﴿ اذ تدعون أو ينفعونكم ﴾ يعنى بالرزق ﴿ أو يضرون ﴾ أى ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لزمتهم الحجة القاطعة ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ المعنى انها لاتسمع قولا ولاتجلب نفعا ولاتدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا فى ذلك وفى الآية دليل على ابطال التقليد فى الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال ﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون ﴾ أى الاولون ﴿ فانهم عدولى ﴾ أى أعداء لى وانما وحده على ارادة الجنس * فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى جمادات لاتعقل * قلت معناه فانهم عدولى يوم القيامة لوعبدتهم فى الدنيا وقيل ان الكفار لماعبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء أطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فانى عدولهم لان من عاديته فقد عاداك ﴿ الارب العالمين ﴾ أى ولكن رب العالمين فانه ربى وولي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل ماتعبدون أعداء لى الارب العالمين ثم وصف معبوده الذى يستحق العبادة فقال ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ الى

عابدين مقيمين على عبادتها (قال) لهم ابراهيم (هل يسمعونكم اذ تدعون) يقول هل يجيبكم الآلهة اذا دعوتموهم (أو ينفعونكم) فى معايشكم اذا أطعتموهم (أو يضرون) فى معايشكم اذا عصيتموهم (قالوا) لا (بل وجدنا) ولكن وجدنا (آباءنا كذلك يفعلون) يعبدونها فنحن نعبدها نقتدى بهم (قال) ابراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) وما كان يعبد آباؤكم الاولون (فانهم عدولى) تبرأ منهم (الارب العالمين) الا من كان منهم يعبد رب العالمين (الذى خلقنى) من النطفة (فهو يهدين) يحفظنى على الدين ويرشدنى الى

والاثم الاكل أو الذى خلقنى لاسباب خدمته فهو يهدينى الى آداب خلته (والذى هو يطعمنى) أضاف الاطعام الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام (ويسقين) قال ابن عطاء هو الذى يحيينى بطعامه ويروينى بشرابه (واذا مرضت) وانما لم يقل أمرضنى لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه مايقتضى الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤية الخلق (فهو يشفين) بمشاهدة الحق

قال الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو يشفين بكشف منة الافضال (والذى يميتنى ثم يحيين) ولم يقل اذا مات لانه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء لوعد اللقاء وأدخل ثم فى الاحياء لتراخيه عن الافناء وأدخل الفاء فى الهداية والشفاء لانهما يعقبان الخلق والمرض لامعا (والذى أطمع) طمع العبد فى الموالى بالا فضال لاعلى الاستحقاق بالسؤال (ان يغفرلى خطيئتى) قيل هو قوله انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربى للنازع هى أختى لسارة وماهى الا معاريض جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم فى طلب المغفرة (يوم الدين) يوم الجزاء (رب هب لى حكما) حكمة أو حكما بين الناس بالحق

الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله ﴿والذى هو يطعمنى ويسقين﴾ على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ماقبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلاة مستقلة باقتضاء الحكم ﴿ واذا مرضت فهو يشفين ﴾ عطفه على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لايحس به لاضرر فيه انما الضرر فى مقدماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى تستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انوع المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم ﴿والذى يميتنى ثم يحيين﴾ فى الآخرة ﴿والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين﴾ ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لان يغفرلهم مايفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هى اختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا ﴿رب هب لى حكما﴾ كمالا فى العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق

طريق النجاة ﴿ والذى هو يطعمنى ويسقين ﴾ أى يرزقنى ويغذينى بالطعام والشراب ﴿واذا مرضت﴾ أصابنى مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفاء من الله ﴿ فهو يشفين ﴾ أى يبرئنى ويعافينى من المرض ﴿ والذى يميتنى ثم يحيين ﴾ أى يميتنى فى الدنيا ثم يحيينى فى الآخرة ﴿ والذى أطمع ﴾ أى أرجو ﴿ أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين ﴾ أى يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعاله قال لاينفع انه لم يقل يوما رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه أنه لايصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال ﴿رب هب لى حكما﴾ قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم

الحق والهدى (والذى هو يطعمنى)يرزقنى ويشبعنى اذا جعت (ويسقين) يروينى اذا عطشت (واذا مرضت فهو يشفين) من المرض اذا مرضت (والذى يميتنى) فى الدنيا (ثم يحيين) يوم القيامة (والذى أطمع)أرجو (أن يغفرلى خطيئتى) ذنبى (يوم الدين) يوم الحساب وكانت خطيئته قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لامرأته هذه أختى (رب هب لى حكما) فهما (والحقنى)

اوتبوة لان النبى عليه السلام ذوحكمة وذوحكم بين عباد الله (وألحقنى بالصالحين) أى الانبياء ولقد أجابه حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ثناء حسنا وذكرا جيلا فى الامم التى تجئ بعدى فاعطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به (واجعلنى من) يتعلق بمحذوف أى وارثا من (ورثة جنة النعيم) أى من الباقين فيها (واغفر لابى) اجعله أهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه (انه كان من الضالين) الكافرين (ولا تخزنى) الاخزاء من الخزى وهو الهوان أو من الخزاية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بينا (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد لانه معلوم أو للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه أى ولا تخزنى فى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول (ولا بنون) أحدا (الا من أتى الله بقلب سليم) عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى فى قلوبهم مرض

﴿والحقنى بالصالحين﴾ ووفقنى للكمال فى العمل لانتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك مامن امة الاوهم محبون له مثنون عليه اوصادقا من ذريتى يجدد اصل دينى ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿واجعلنى من ورثة جنة النعيم﴾ فى الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها ﴿واغفر لابى﴾ بالهداية والتوفيق للايمان ﴿انه كان من الضالين﴾ عن طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفى الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به اولانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ﴿ولا تخزنى﴾ بمعاتبتى على مافرطت او بنقص رتبتى عن رتبة بعض الوراث اوبتعذيبى لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا اوبتعذيب والدى اوببعثه فى عداد الضالين وهو من الخزى بمعنى الهوان اومن الخزاية بمعنى الحياء ﴿يوم يبعثون﴾ الضمير للعباد لانهم معلومون اوللضالين ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم﴾ اى لا ينفعان احدا الامخلصا سليم القلب

﴿ والحقنى بالصالحين ﴾ أى بمن سلف قبلى من الانبياء فى المنزلة والدرجة العالية ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ أى ثناء حسنا وذكرا جيلا وقبولا عاما فى الامم التى تجئ بعدى فاعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويثنون عليه ﴿ واجعلنى من ورثة جنة النعيم ﴾ أى ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى ﴿واغفر لابى انه كان من الضالين﴾ قيل دعا لابيه على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴿ولا تخزنى﴾ أى ولا تفضحنى ﴿يوم يبعثون﴾ وهو يوم القيامة ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ﴾ أى خالص

أى ان المال اذا صرف فى وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به و بهم سليم القلب أوجعل المال والبنون فى المعنى الغنى كانه قيل يوم ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما ان غناه فى دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع و يجوز على هذا الا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكرامه ثم جعله صفة له فى قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وما أحسن مارتب عليه السلامة من كلامه مع المشركين حيث سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم اقبل على آلهتهم فابطل

وعلما (وألحقنى بالصالحين) بآبائى المرسلين فى الجنة (واجعل لى لسان صدق) ثناء حسنا (فى الآخرين) فى الباقين بعدى (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) من نازلى جنة النعيم (واغفر لابى) اهد أبى (انه كان من الضالين) انه كان ضالا كافرا (ولا تخزنى) لا تعذبنى (يوم يبعثون) من القبور (يوم لا ينفع مال) كثرة المال (ولا بنون) كثرة البنين (الا من أتى الله بقلب سليم) خالص من الذنب وحب الدنيا ويقال سليم من بغض أصحاب النبى صلى

امرها بانها لا تبصر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فاخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شانه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا (وأزلفت الجنة للمتقين) أى قربت عطف جملة أى تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها (وبرزت الجحيم) أى أظهرت حتى يكاد يأخذهم لهبها (للغاوين) للكافرين (وقيل لهم أينما كنتم تعبدون

من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) يوبخون على اشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار (فكبكبوا) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) فى الجحيم (هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كانه اذا ألقى فى جهنم ينكب مرة اثر مرة حتى يستقر فى قعرها نعوذ بالله منها (وجنود ابليس أجمعون) شياطينه أو متبعوه من عصاة الانس والجن (قالوا وهم فيها يختصمون) يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين

عن الكفر والميل الى المعاصى وسائر آفاته اولا ينفعان الامال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله فى سبيل البر وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاءله يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنى الاغناء وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه ﴿وازلفت الجنة للمتقين﴾ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم محشورون اليها ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ﴿وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿او ينتصرون﴾ بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾ اى الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من القى فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها ﴿وجنود ابليس﴾ متبعوه من عصاة الثقلين اوشياطينه ﴿اجمعون﴾ تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده والا للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه فى قوله ﴿قالوا وهم فيها يختصمون

من الشك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالى من البدعة المطمئن الى السنة ﴿وأزلفت الجنة﴾ أى قربت ﴿للمتقين وبرزت الجحيم﴾ أى أظهرت ﴿للغاوين﴾ أى للكافرين ﴿وقيل لهم﴾ يعنى يوم القيامة ﴿أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم﴾ أى يمنعونكم من عذاب الله ﴿أو ينتصرون﴾ لانفسهم ﴿فكبكبوا﴾ قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم ﴿فيها﴾ أى فى جهنم ﴿هم والغاوون﴾ يعنى الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين ﴿وجنود ابليس أجمعون﴾ يعنى اتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾ يعنى العابدين ﴿والمعبودين﴾

الله عليه وسلم (وأزلفت الجنة) قربت الجنة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش فصارت لهم منزلا (وبرزت الجحيم) أظهرت ويقال لاحت الجحيم (للغاوين) للكافرين فصارت لهم منزلا (وقيل لهم) لعبدة الاوثان (أينما كنتم تعبدون من دون الله) فى الدنيا من الاصنام (هل ينصرونكم) هل يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) يمتنعون بأنفسهم من العذاب (فكبكبوا فيها) فطرحوا فيها وجمعوا فى النار (هم) كفار مكة وسائر كفار الانس (والغاوون) كفار الجن وآلهتهم (وجنود ابليس) ذرية ابليس (أجمعون) وهم الشياطين (قالوا) يعنى الكفار (وهم فيها) فى النار (يختصمون) مع آلهتهم ورؤسائهم وذرية ابليس

(تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم) نعدلكم أيها الاصنام (برب العالمين) فى العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أى رؤساؤهم الذين أضلوهم أو ابليس وجنوده ومن سن الشرك (فمالنا من شافعين) كالمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء اذ لا يتصادق فى الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فمالنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام الذى يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وأما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع (فلو ان لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو فى مثل هذا بمعنى التمنى كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقى (ان فى ذلك) فيما ذكر من الانباء (لآية)

تالله ان كنا لفى ضلال مبين ﴾ على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب فى قوله ﴿ اذ نسويكم برب العالمين ﴾ اى فى استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبدأ ضلالهم معترفون بانهما كهم فى الضلالة متحسرون عليها ﴿ وما اضلنا الا المجرمون فمالنا من شافعين ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ﴿ ولا صديق حميم ﴾ اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فمالنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم شفعاء واصدقاء اووقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء أو لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل ﴿ فلو ان لنا كرة ﴾ تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير أو شرط حذف جوابه ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ جواب التمنى أو عطف على كرة أى لو ان لنا ان نكر فنكون ﴿ ان فى ذلك ﴾ اى فيما ذكر من قصة ابراهيم ﴿ لآية ﴾ لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير

والمعبودين ﴿ تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم ﴾ أى نعدلكم ﴿ برب العالمين ﴾ فنعبدكم ﴿ وما أضلنا ﴾ يعنى دعانا الى الضلال ﴿ الا المجرمون ﴾ يعنى من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعنى ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وأنواع المعاصى ﴿ فمالنا من شافعين ﴾ يعنى من يشفع لنا يعنى كما ان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء ﴿ ولا صديق حميم ﴾ أى قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق فى المودة مع موافقة الدين ❁ عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول فى الجنة ما فعل بصديقى فلان وصديقه فى الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقى فمالنا من من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوى باسناد الثعلبى وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة ﴿ فلو أن لنا كرة ﴾ أى رجعة الى الدنيا ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ أى انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم ﴿ ان فى ذلك لآية

(تالله) والله (ان كنا) قد كنا (لفى ضلال مبين) (قا و خا ٦١ بع) فى خطأ بين فى الدنيا (اذ نسويكم) نعدلكم (برب العالمين) فى العبادة (وما أضلنا) ماصرفنا عن الايمان والطاعة (الا المجرمون) المشركون قبلنا الذين اقتدينا بهم (فمالنا) فليس لنا أحد (من شافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين يشفع لنا (ولا صديق حميم) لاذى قرابة يهمه أمرنا (فلو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) مع المؤمنين بالايمان (ان فى ذلك) فيما ذكرت من حالهم (لآية)

أى لعبرة لمن اعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) فيه ان فريقا منهم آمنوا (وان ربك لهو العزيز) المنتقم ممن كذب ابراهيم بنار الجحيم (الرحيم) المسلم كل ذى قلب سليم الى جنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذكر ويؤنث قيل ولد نوح فى زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد به نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الادابة أو برد أو كانوا ينكرون بعث الرسل اصلا فلذا جمع اولان من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما فى هذه السورة (اذ قال لهم اخوهم) نسبا لا دينا (نوح ألا تتقون) خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام (انى لكم رسول امين) كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام فى قريش (فاتقوا الله

واطيعون) فيما آمركم به وادعوكم اليه من الحق (وما اسئلكم عليه) على هذا الامر (من اجر) جزاء (ان اجرى) بالفتح مدنى وشامى وابو عمرو وحفص (الا على رب العالمين) فلذلك اريد (فاتقوا الله واطيعون) كرره ليقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الاول كونه أمينا فيما بينهم وعلة الثانى حسم طمعه منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتى وأمانتى فاتقوا ثم اذا عرفتم احترازى من الاجر

الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول ﴿ وما كان أكثرهم ﴾ أكثر قومه ﴿ مؤمنين ﴾ به ﴿ وان ربك لهو العزيز ﴾ القادر على تعجيل الانتقام ﴿ الرحيم ﴾ بالامهال لكى يؤمنوا هم أو واحد من ذريتهم ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ القوم مؤنث ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم المرسلين ﴿ اذ قال لهم اخوهم نوح ﴾ لانه كان منهم ﴿ ألا تتقون ﴾ الله فتتركوا عبادة غيره ﴿ انى لكم رسول امين ﴾ مشهور بالامانة فيكم ﴿ فاتقوا الله واطيعون ﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله ﴿ وما اسئلكم عليه ﴾ على ما انا عليه من الدعاء والنصح ﴿ من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون ﴾ كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف

وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ أى مع هذه الدلائل والآيات ﴿ وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أى المنتقم الذى لا يغالب وهو فى وصف عزته رحيم * قوله عز وجل ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ أى كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة * فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقى القصص * قلت لان دين الرسل واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم ﴿ اذ قال لهم أخوهم نوح ﴾ أى أخوهم فى النسب لا فى الدين ﴿ ألا تتقون ﴾ أى ألا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصى ﴿ انى لكم رسول أمين ﴾ أى على الوحى وكان معروفا عندهم بالامانة ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى بطاعته وعبادته ﴿ وأطيعون ﴾ أى فيما أمرتكم به من الايمان والتوحيد ﴿ وما اسئلكم عليه من اجر ﴾ اى من جعل وجزاء ﴿ ان اجرى ﴾ أى ثوابى ﴿ الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون ﴾ قيل كرره ليؤكده عليهم

لعلامة وعبرة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لو رجعوا الى الدنيا ويقال لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة منهم (الرحيم) بالمؤمنين (كذبت قوم نوح المرسلين) نوحا وجملة المرسلين الذين ذكرهم نوح (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (نوح) ولم يكن أخاهم فى الدين ولكن (ويقرره) كان من قرابتهم (ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم) من الله (رسول أمين) على الرسالة ويقال قد كنت فيكم أمينا قبل هذا فكيف تتهمونى اليوم (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما آمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمرى ودينى (وما أسئلكم عليه) على التوحيد (من أجر) من رزق (ان أجرى) ما رزقى (الا على رب العالمين فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما آمركم من التوبة والايمان (وأطيعون)

فاتقوا الله (قالوا أنؤمن لك واتبعك) الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وابطال (الارذلون) السفلة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة لا تزرى بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس واوضعهم نسبا ومازالات اتباع الانبياء كذلك (قال) وما علمى) وأى شئ أعلم

اذا اجتمعا ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون ﴾ الاقلون جاها ومالا جمع ارذل على الصحة • وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعه فلذلك ﴿ قال وما علمى بما كانوا يعملون ﴾ انهم عملوه اخلاصا أو طمعا فى طعمه وما على الاعتبار الظاهر ﴿ ان حسابهم الا على ربى ﴾ ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها ﴿ لو تشعرون ﴾ لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون مالا تعلمون ﴿ وما انا بطارد المؤمنين ﴾ جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ﴿ ان انا الا نذير مبين ﴾ كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أو ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا على ان اطردهم لاسترضائكم ﴿ قالوا لئن لم تنته يانوح ﴾ عما تقول ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ من المشتومين أو المضروبين بالحجارة ﴿ قال رب ان قومى كذبون ﴾ اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه ﴿ فافتح بينى وبينهم فتحا ﴾ فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ﴿ ونجنى

• (بما كانوا يعملون) من الصناعات انما أطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس فى قلوبهم ما يظهرونه فقال ما على الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على ما فى قلوبهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أى ليس من شأنى ان أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا فى ايمانكم (ان أنا الا نذير مبين) ما على الا أن انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انهم كذبونى فى وحيك ورسالتك (فافتح بينى وبينهم فتحا) أى فاحكم بينى وبينهم حكما

ويقرره فى نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول ألا تتقون الله فى مخالفتى وأنا رسول الله ومعنى الثانى ألا تتقون الله فى مخالفتى وانى لست آخذ منكم أجرا ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون ﴾ أى السفلة قال ابن عباس يعنى القافة وقيل هم الحاكة والاساكفة ﴿ قال ﴾ يعنى نوحا ﴿ وما علمى بما كانوا يعملون ﴾ أى وما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس على من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شئ انما كلفت ان أدعوهم الى الله تعالى ومالى الا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر فى الديانات وقيل معناه انى لم أعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم ﴿ ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون ﴾ أى لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنائعهم ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ أى عنى وقد آمنوا ﴿ ان أنا الا نذير مبين ﴾ معناه أخوف من كذبنى فمن آمن فهو القريب منى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى ﴿ قالوا لئن لم تنته يانوح ﴾ أى عما تقول ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ أى من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من المشتومين ﴿ قال رب ان قومى كذبون فافتح ﴾ أى احكم ﴿ بينى وبينهم فتحا ﴾ أى حكما ﴿ ونجنى

والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات (ونجنى

اتبعوا وصيتى (قالوا أنؤمن لك) أنصدقك يانوح (واتبعك الارذلون) سفلتنا وضعفاؤنا أطردهم حتى نؤمن بك (قال) نوح (وما علمى بما كانوا يعملون) ما علمت انهم يوفقون أو أنتم (ان حسابهم) ما ثوابهم ومؤنتهم (الا على ربى لو تشعرون) لو تعلمون ذلك (وما أنا بطارد المؤمنين) عن عبادة الله (ان أنا الا نذير مبين) ما أنا الا رسول مخوف بلغة تعلمونها (قالوا لئن لم تنته يانوح) عن مقالتك (لتكونن من المرجومين) من المقتولين كما قتلنا من آمن بك من الغرباء (قال) نوح (رب ان قومى كذبون) فى الرسالة وقتلوا من آمن بى من الغرباء (فافتح بينى وبينهم فتحا) فاقض بينى وبينهم قضاء بالعدل (ونجنى

ومن معى) معى حفص (من المؤمنين) من عذاب عملهم (فأنجيناه ومن معه فى الفلك) الفلك السفينة وجمعه فلك فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد (المشحون) المملوء ومنه شحنة البلد أى الذى يملؤه كفاية (ثم أغرقنا بعد) أى بعد انجاء نوح ومن آمن (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز) المنتقم باهانة من جحد واصر (الرحيم) المنعم باعانة من وحد وأقر (كذبت عاد المرسلين) هى قبيلة وفى الاصل اسم رجل هو أبو القبيلة (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى

لكم رسول أمين فاتقوا الله) فى تكذيب الرسول الامين (واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) لبرج حمام اوبناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون بمن مربهم (تعبثون) تلعبون (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء اوقصورا مشيدة أوحصونا (لعلكم تخلدون) ترجون

ومن معى من المؤمنين ﴾ من قصدهم أو شؤم عملهم ﴿ فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ﴾ المملوء ﴿ ثم اغرقنا بعد ﴾ بعد انجائه ﴿ الباقين ﴾ من قومه ﴿ ان فى ذلك لآية ﴾ شاعت وتواترت ﴿ وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين ﴾ انثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم ﴿ اذ قال لهم اخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين ﴾ تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه وبعده عن عقابه وان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرؤن عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية ﴿ أتبنون بكل ريع ﴾ بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها ﴿ آية ﴾ علما للمارة ﴿ تعبثون ﴾ ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى اسفارهم فلايحتاجون اليها أو بروج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم أو قصورا يفتخرون بها ﴿ وتتخذون مصانع ﴾ مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا ﴿ لعلكم تخلدون ﴾ فتحكمون بنيانها

ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ﴾ أى الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان ﴿ ثم أغرقنا بعد الباقين ﴾ أى بعد انجاء نوح ومن معه ﴿ ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ * قوله تعالى ﴿ كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين ﴾ أى أمين على الرسالة فكيف تتهمونى اليوم ﴿ فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع ﴾ قال ابن عباس أى بكل شرف وفى رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع ﴿ آية ﴾ أى علامة وهى العلم ﴿ تعبثون ﴾ أى بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فأنكر عليهم هو باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام ﴿ وتتخذون مصانع ﴾ قال ابن عباس أبنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل مآخذ الماء يعنى الحياض ﴿ لعلكم تخلدون ﴾ أى كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون

ومن معى من المؤمنين) من عذابهم (فانجيناه ومن معه) من المؤمنين (فى الفلك المشحون) فى السفينة المجهزة الموقرة المملوءة التى لم يبق الا رفعها (ثم أغرقنا بعد) بعد ما ركب نوح فى السفينة (الباقين) من قومه (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة منهم اذ أغرقهم بالطوفان (الرحيم) بالمؤمنين اذ نجاهم من الغرق (كذبت عاد المرسلين) قوم هود وهود ا وجملة المرسلين الذين ذكرهم هود (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (هود ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من ﴿ واذا ﴾ الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) فيما أمرتكم (وما أسئلكم عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (ان أجرى) ما ثوابى (الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية) بكل طريق علامة (تعبثون) تضربون وتأخذون ثياب من مر بكم من الغرباء وهم العشارون على الطرق وله وجه آخر يقول أتبنون بكل ريع بكل سوق آية علامة تعبثون تسخرون بمن مر بكم (وتتخذون مصانع) المنازل والقصور والحياض (لعلكم) كأنكم (تخلدون) فى الدنيا

الخلود في الدنيا (واذا بطشتم) أخذتم أخذ العقوبة (بطشتم جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله) في البطش (واطيعون) فيما أدعوكم اليه (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) من النعم ثم عددها عليهم فقال (أمدكم بانعام وبنين) قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان عصيتمونه

(قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآى (ان هذا الا خلق الاولين) ماهذا الذي نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابنية الا عادة الاولين أومانحن عليه دين الاولين الاخلق الاولين مكي وبصري ويزيد وعلى أي ماجئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم أساطير الاولين أو خلقنا كخلق الاولين نموت ونحيا كما حيوا (ومانحن بمعذبين) في الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أي هودا (فاهلكناهم

﴿ واذا بطشتم ﴾ بسوط أو سيف ﴿ بطشتم جبارين ﴾ متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة ﴿ فاتقوا الله ﴾ بترك هذه الاشياء ﴿ واطيعون ﴾ فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم ﴿ واتقوا الذي امدكم بما تعلمون ﴾ كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في ألا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال ﴿ امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ﴾ ثم او عدهم فقال ﴿ انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ﴿ ان هذا الا خلق الاولين ﴾ ماهذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين اوما خلقنا هذا الا خلقهم نحيي ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى ماهذا الذي جئت به الاعادة الاولين كانوا يلفقون مثله اوما هذا الذي نحن عليه من الدين الاخلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أوما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الاعادة قديمة لم يزل الناس عليها ﴿ ومانحن بمعذبين ﴾ على مانحن عليه ﴿ فكذبوه فاهلكناهم ﴾ بسبب

﴿ واذا بطشتم ﴾ أي واذا أخذتم وسطوتم ﴿ بطشتم جبارين ﴾ أي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر ﴿ واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ﴾ أي اعطاكم من الخير ماتعلمون ثم ذكر ماأعطاهم فقال ﴿ أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ﴾ فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم ﴿ اني أخاف عليكم ﴾ قال ابن عباس ان عصيتموني ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ فكان جوابهم أن ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ أي انهم أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما أورده من المواعظ والواعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ﴿ ان هذا الا خلق الاولين ﴾ قرئ بفتح الخاء أي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ماعاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم ﴿ ومانحن بمعذبين ﴾ أي انهم أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد ﴿ فكذبوه فاهلكناهم

لا تخلدون (واذا بطشتم بطشتم جبارين) واذا أخذتم بالعقوبة أخذتم بعقوبة الجبارين تضربون وتقتلون على الغضب (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمري (واتقوا الذي) اخشوا الذي (أمدكم) اعطاكم (بما تعلمون) ثم بين ما اعطاهم فقال (أمدكم بانعام وبنين) أعطاكم أنعاما وبنين (وجنات) بساتين (وعيون) ماء طاهر (اني أخاف عليكم) اعلم أن يكون عليكم (عذاب يوم عظيم) في النار ان لم تتوبوا من الكفر والشرك وعبادة الاوثان (قالوا سواء علينا أوعظت) أنهيتنا (أم لم تكن من الواعظين) من الناهين لنا (ان هذا) ماهذا الذي نحن عليه (الا خلق الاولين) دين الاولين دين آبائنا الاولين ويقال ان هذا الذي تقول الا خلق الاولين الا اختلاق الاولين (ومانحن بمعذبين) كما تقول على هذا الدين (فكذبوه) بالرسالة وبما قال لهم (فاهلكناهم) بالريح

بريح صرصر عاتية ﴿ ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون ﴾ انكار لان يتركوا خالدين فى نعيمهم لا يزالون عنه ﴿ فيما ههنا ﴾ فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم ﴿ آمنين ﴾ من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله ﴿ فى جنات وعيون ﴾ وهذا أيضا اجمال ثم تفصيل ﴿ وزروع ونخل ﴾ وعطف نخل على جنات مع ان الجنة تتناول النخل أول شئ تفضيلا للنخل على سائر الشجر ﴿ طلعها ﴾ هو ما يخرج من النخل كنصل السيف ﴿ هضيم ﴾ لين نضيج كأنه قال ونخل قد ارطب ثمره ﴿ وتنحتون ﴾ تنقبون ﴿ من الجبال بيوتا فارهين ﴾

التكذيب بريح صرصر ﴿ ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين ﴾ انكار لان يتركوا كذلك أو تذكير بالنعمة فى تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله ﴿ فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم ﴾ لطيف لين للطف الثمر أو لان النخل انثى وطلع اناث النخل هو الطف ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات أو لان المراد بها غيرها من الاشجار ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ﴾ بطرين أو حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلبه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ ﴿ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين ﴾ استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا ﴿ الذين يفسدون فى الارض ﴾ وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف

شامى وكوفى حاذقين حال وغيرهم فرهين أشرين والفراهة الكيس والنشاط ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين ﴾ الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمى والمراد الآمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه فى العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل ﴿ الذين يفسدون فى الارض ﴾

ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ قوله تعالى ﴿ كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين ﴾ أى فى الدنيا من العذاب ﴿ فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها ﴾ أى ثمرها الذى يطلع منها ﴿ هضيم ﴾ قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الذى دخل بعضه فى بعض من النضج أو النعومة وقيل هو المدرك ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين ﴾ وقرئ فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرهين معجبين بصنعكم ﴿ فاتقوا الله وأطيعوا ولا تطيعوا أمر المسرفين ﴾ قال ابن عباس أى المشركين وقيل يعنى التسعة الذين عقروا الناقة ﴿ الذين يفسدون فى الارض ﴾

﴿ ان فى ذلك ﴾ فيما فعلنا بهم ﴿ لآية ﴾ لعلامة وعبرة لمن بعدهم ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين ﴿ وان ربك لهو العزيز ﴾ بالنقمة من الكفار ﴿ الرحيم ﴾ بالمؤمنين اذ نجاهم من العذاب بالريح ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ قوم صالح صالحا وجملة المرسلين الذين أخبرهم صالح ﴿ اذ قال لهم أخوهم ﴾ نبيهم ﴿ صالح ألا تتقون ﴾ عبادة غير الله ﴿ انى لكم رسول ﴾ من الله ﴿ أمين ﴾ على الرسالة ﴿ أى ﴾ ﴿ فاتقوا الله ﴾ فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان ﴿ وأطيعون ﴾ اتبعوا أمرى ودينى ﴿ وما أسئلكم عليه ﴾ على التوحيد ﴿ من أجر ﴾ من جعل ورزق ﴿ ان أجرى ﴾ ما ثوابى ﴿ الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا ﴾ فى هذه النعم ﴿ آمنين ﴾ من الموت والزوال والعذاب ﴿ فى جنات ﴾ فى بساتين ﴿ وعيون ﴾ ماء طاهر ﴿ وزروع ﴾ حروث ﴿ ونخل طلعها ﴾ ثمرها ﴿ هضيم ﴾ لين لطيف نضيج ﴿ وتنحتون من الجبال ﴾ الجبال ﴿ بيوتا فارهين ﴾ حاذقين ويقال معجبين بضيعكم متكبرين ان قرأت بغير الالف ﴿ فاتقوا الله ﴾ فاخشوا الله فيما أمركم ﴿ وأطيعون ﴾ اتبعوا أمرى ووصيتى ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين ﴾ قول المشركين ﴿ الذين يفسدون فى الارض ﴾

بالظلم والكفر (ولا يصلحون) بالايمان والعدل والمعنى ان فسادهم مصمت ليس معه شئ من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر (ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تزاحمكم هى فيه روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبا مثلها فى العظم وصدرها ستون ذراعا واذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهايأة لان قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم

من المهايأة (ولا تمسوها بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فعقروها) عقرها قدار ولكنهم راضون به فأضيف اليهم روى ان عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فاخذهم العذاب) المقدم ذكره (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

﴿ولا يصلحون﴾ على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم ﴿قالوا انما أنت من المسحرين﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم أو من ذوى السحر وهى الرئة أى من الاناسى فيكون ﴿ما أنت الا بشر مثلنا﴾ تأكيدا له ﴿فأت بآية ان كنت من الصادقين﴾ فى دعواك ﴿قال هذه ناقة﴾ اى بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿لها شرب﴾ نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها فى شربها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ كضرب وعقر ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب ﴿فعقروها﴾ اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا ﴿فاصبحوا نادمين﴾ على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم ﴿فاخذهم العذاب﴾ أى العذاب الموعود ﴿ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما

أى بالمعاصى ﴿ولا يصلحون﴾ أى لا يطيعون الله فيما امرهم ﴿قالوا انما أنت من المسحرين﴾ أى من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ﴿ما أنت الا بشر مثلنا﴾ والمعنى أنت بشر مثلنا ولست بملك ﴿فأت بآية﴾ يعنى على صحة ما تقول ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعنى انك رسول الينا ﴿قال هذه ناقة لها شرب﴾ أى حظ من الماء ﴿ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء﴾ أى بعقر ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ أى على عقرها لما رأوا العذاب ﴿فاخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾

بالكفر والشرك والدعاء الى غير عبادة الله (ولا يصلحون) لا يأمرون بالصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) المجوفين سوقة مثلنا لست بملك ولا نبى (ما أنت الا بشر) آدمى (مثلنا) تأكل وتشرب كما نأكل ونشرب (فأت بآية) بعلامة على ما تقول (ان كنت من الصادقين) بمجئ العذاب وانك رسول الينا (قال) لهم صالح (هذه ناقة) علامة لكم لنبوتى (لها شرب) يوم من الماء (ولكم شرب يوم) من الماء (معلوم) بالنوبة يوم لها ويوم لكم (ولا تمسوها بسوء) بعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) كبير (فعقروها) فقتلوها (فأصبحوا) صاروا (نادمين) على قتلها (فأخذهم العذاب) بعد ثلاثة ايام (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك) يا محمد (لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين

كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من اجران أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) أراد بالعالمين الناس أتطؤن الذكور من الناس مع كثرة الاناس أو أتطؤن أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران أى أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ماينكح من الحيوان (وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم) من تبيين لما خلق أو تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن أجازه فقد اخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) العادى المتعدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد أى بل أنتم قوم أحق بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن انكارك علينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال انى لعملكم من القالين) هو أبلغ من أن يقول قال فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم فى العلم والقلى البغض يقلى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاه من حيث الدين (رب نجنى وأهلى مما يعملون)

عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين ﴾ اى اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لايشارككم فيه غيركم أو اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس ﴿ وتذرون ماخلق لكم ربكم ﴾ لاجل استمتاعكم ﴿ من ازواجكم ﴾ لبيان ماخلق ان اريد به جنس الاناث أو للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا ﴿ بل انتم قوم عادون ﴾ متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة ﴿ قالوا لئن لم تنته يالوط ﴾ عما تدعيه أو عن نهينا او تقبيح امرنا ﴿ لتكونن من المخرجين ﴾ من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال ﴿ قال انى لعملكم من القالين ﴾ من المبغضين غاية البغض لااقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جملتهم ﴿ رب نجنى واهلى مما يعملون ﴾ أى من شؤمه وعذابه

قوله عز وجل ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين ﴾ يعنى نكاح الرجال من بنى آدم ﴿ وتذرون ماخلق لكم ربكم من ازواجكم ﴾ يعنى أتتركون العضو المباح من النساء وتميلون الى ادبار الرجال ﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾ أى معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام ﴿ قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين ﴾ أى من قريتنا ﴿ قال انى لعملكم من القالين ﴾ أى من التاركين المبغضين ﴿ رب نجنى واهلى مما يعملون ﴾ أى من العمل الخبيث قال الله تعالى

(كذبت قوم لوط المرسلين) لوطا وجملة المرسلين الذين أخبرهم لوط (اذ قال لهم أخوهم) نبيهم (لوط ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم به من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمرى ودينى (وما أسئلكم عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (ان أجرى) ماثوابى (الا على رب العالمين أتأتون الذكران) أدبار الرجال (من العالمين) من بين العالمين (وتذرون ماخلق لكم ربكم) ماأحل لكم ربكم (من أزواجكم) من فروج نسائكم (بل أنتم قوم عادون) تعتدون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن مقالتك (لتكونن من المخرجين) من أرضنا سذوم (قال) لوط (انى لعملكم) الخبيث (من القالين) المبغضين (رب نجنى وأهلى مما يعملون) (فنجيناه

من عقوبة عليهم (فنجيناه وأهله أجمعين) يعني بناته ومن آمن معه (الاعجوزا) هي امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم العاصي واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم وان لم تشاركهم في الايمان (في الغابرين) صفة لها أي في الباقين في العذاب فلم تنج منه والغابر في اللغة الباقي كانه قيل الاعجوزا غابرة أي مقدرا غبورها اذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم (ثم دمرنا الآخرين)والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم (وأمطرنا عليهم مطرا) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم الله وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة (فساء) فاعله (مطر

المنذرين) والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم بل المراد جنس الكافرين (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة) بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازي و شامي وكذا في ص علم لبلد قيل أصحاب الايكة هم أهل مدين التجؤ الى غيضة اذ ألح عليهم الوهج والاصح انهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين ففي الحديث ان شعيبا أخا مدين رسل اليهم والى أصحاب الايكة (المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون (قا و خا ٦٢ بع) وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين

﴿ فنجيناه واهله اجمعين ﴾ أهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم ﴿ الا عجوزا ﴾ هي امرأة لوط ﴿ في الغابرين ﴾ مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت في القرية فانها لم تخرج مع لوط ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ اهلكناهم ﴿ وامطرنا عليهم مطرا ﴾ قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم ﴿ فساء مطر المنذرين ﴾ اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ﴿ ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين ﴾ الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال ﴿ اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ﴾ ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الالف اتباعا للفظ ﴿ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين

﴿ فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا ﴾ أي امرأته ﴿ في الغابرين ﴾ أي بقيت في المهلكين ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ أي أهلكناهم ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ يعني الكبريت والنار ﴿ فساء مطر المنذرين ان في ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين و ان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ قوله عز وجل ﴿ كذب أصحاب الايكة المرسلين ﴾ أي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد ﴿ اذ قال لهم شعيب ﴾ لم يقل لهم أخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين و أرسل اليهم ﴿ ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين ﴾ انما كانت

فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا)امرأته المنافقة (في الغابرين) تخلفت مع الباقين بالهلاك (ثم دمرنا الآخرين)أهلكنا الباقين من قومه (وأمطرنا عليهم) على شذاذهم ومسافريهم (مطرا) حجارة (فساء مطر المنذرين) بئس المطر بالحجارة لمن أنذرهم لوط فلم يؤمنوا (ان في ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكافرين (الرحيم) بالمؤمنين (كذب أصحاب الايكة المرسلين) قوم شعيب شعيبا وجملة المرسلين (اذ قال لهم شعيب ألا تتقون) عبادة غير الله (اني لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما أمركم من التوبة والايمان (وأطيعون) اتبعوا أمري ووصيتي (وما أسئلكم عليه) على التوحيد (من أجر) من جعل (ان أجري) ما ثوابي (الا على رب العالمين

أوفوا الكيل) أتموه (ولاتكونوا من المخسرين) ولاتنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو مأمور به وطفيف وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شئ عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهي الميزان أو القبان فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلان وإلا فهو رباعي (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولاتعثوا في الارض مفسدين) ولا تبالغوا فيها في الافساد نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثا في الارض اذا أفسد وعثي في الارض لغة في عثا (واتقوا الذي خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أي اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة (الاولين) الماضين (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا)

ادخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف الرسالة عندهم التسحير والبشرية وتركها في قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم (وان نظنك لمن الكاذبين) ان مخففة من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه لان أصلهما ان يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا (فأسقط علينا كسفا) كسفا حفص وهما جمعا كسفة وهي القطعة وكسفه قطعه (من السماء) أي السحاب أو الظلة (ان كنت من الصادقين) أي ان كنت صادقا انك نبي فادع الله أن يسقط (أي) علينا كسفا من السماء عقوبة (قال ربي) بفتح الياء حجازي وأبو عمرو وبسكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أي ان الله أعلم

اوفوا الكيل﴾ اتموه ﴿ولاتكونوا من المخسرين﴾ حقوق الناس بالتطفيف ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ﴿ولا تبخسوا الناس اشياءهم﴾ ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم ﴿ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين﴾ وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق ﴿قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا﴾ اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه ﴿وان نظنك لمن الكاذبين﴾ في دعواك ﴿فأسقط علينا كسفا من السماء﴾ قطعة منها ولعله جواب لما اشعربه الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين ﴿ان كنت من الصادقين﴾ في دعواك ﴿قال ربي اعلم بما تعملون﴾

دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة ﴿أوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين﴾ أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ أي بالميزان العدل ﴿المستقيم ولاتبخسوا الناس اشياءهم ولاتعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين﴾ يعني الخليقة والامم المتقدمة ﴿قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا﴾ أي قطعا ﴿من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون﴾

أوفوا الكيل) أتموا الكيل والوزن (ولاتكونوا من المخسرين) من ناقصي الكيل والوزن وكانوا مسيئين بالكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بميزان العدل (ولاتبخسوا الناس أشياءهم) لاتنقصوا حقوق الناس في الكيل والوزن (ولاتعثوا في الارض مفسدين) لاتعملوا بالمعاصي في الارض والفساد بنقص الكيل والوزن والدعاء الى غير عبادة الله (واتقوا) اخشوا (الذي خلقكم والجبلة الاولين) خلق الاولين قبلكم (قالوا انما أنت من المسحرين) من المجوفين سوقة مثلنا لست بملك ولا نبي (وما أنت الا بشر) آدمي (مثلنا) تأكل وتشرب كما نأكل ونشرب (وان نظنك) وقد نظنك (لمن الكاذبين) على ما تقول (فأسقط علينا كسفا) قطعا (من السماء) من العذاب (ان كنت من الصادقين) بمجيء العذاب (قال) شعيب (ربي أعلم بما تعملون) في الكفر

باعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فان أراد أن يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة) هى سحابة أظلتهم بعدما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب

وبعذابه فينزل عليكم مااوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لامحالة ﴿ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة ﴾ على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم واظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا ﴿ انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لامؤاخذة على تكذيبهم ﴿ وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك ﴾ تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لايكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرائيل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابوبكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاء ونصب الروح

أى من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الى وما على الا الدعوة والتبليغ ﴿ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ﴾ وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا ﴿ ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ وقد تقدم الكلام على هذه القصص فى سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله أعلم بمراده ❁ قوله عز وجل ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لتنزيل رب العالمين ﴾ يعنى ان فيه من أخبار الامم الماضية مايدل على أنه من رب العالمين ﴿ نزل به الروح الامين ﴾ يعنى جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه أمينا لانه مؤتمن على وحيه لانبياء ﴿ على قلبك ﴾ يعنى على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولاتنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب فى الحقيقة وانه موضع التميز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب أخرجاه فى الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزن يتغير

يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد كرر فى هذه السورة فى اول كل قصة وآخرها ماكرر تقريرا لمعانيها فى الصدور ليكون أبلغ فى الوعظ والزجر ولان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت جديرة بان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به (وانه) أى القرآن (لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به) مخفف والفاعل (الروح الامين) أى جبريل لانه أمين على الوحى الذى فيه الحياة حجازى وأبوعمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى أى جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية (على قلبك) اى حفظك وفهمك اياه وأثبته فى قلبك اثبات مالاينسى كقوله

وأعلم بكم وبعذابكم فكذبوه بالرسالة (فأخذهم عذاب يوم الظلة) وقف العذاب فوقهم كسحابة فأحرقهم بحرها (انه كان عذاب يوم عظيم) شديد عليهم بالعذاب (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يكونوا مؤمنين وكلهم كانوا كافرين (وان ربك لهو العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل) لتكليم (رب العالمين نزل به الروح الامين) نزل الله بالقرآن جبريل الامين على الرسالة الى أنبيائه (على قلبك)

سنقرئك فلا تنسى (لتكون من المنذرين بلسان عربى) بلغة قريش وجرهم (مبين) فصيح ومصحح عما صحفته العامة والباء اما ان يتعلق بالمنذرين أى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام أو بنزل أى نزله بلسان عربى لتنذر به لانه لو نزله بلسان أعجمى لتجافوا عنه أصلا و لقالوا مانصنع بما لانفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولوكان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أجراس حروف لاتفهم معانيها ولاتعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التى نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرا الا الى معانى الكلام وان كلم بغيرها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها وان كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير انه نزل على قلبه

لنزوله بلسان عربى مبين (وانه) وان القرآن (لفى زبر الاولين) يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها و فيه دليل على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة (أولم تكن لهم آية) شامى جعلت آية اسم كان وخبره (ان يعلمه) أى القرآن لوجود ذكره فى التوراة وقيل فى يكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل آية وان يعلمه بدل منها أوخبر مبتدأ محذوف أى أولم تحصل لهم آية وغيره يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بنى اسرائيل آية (ولا) (علمؤا بنى اسرائيل) كعبدالله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنابه أنه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وخط فى المصحف علمؤا بواو قبل الالف (ولو نزلناه على بعض الاعجمين)

والامين ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ عما يؤدى الى عذاب من فعل أو ترك ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ واضح المعنى لئلا يقولوا مانصنع بما لانفهم فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿ وانه لفى زبر الاولين ﴾ وان ذكره أو معناه لفى الكتب المتقدمة ﴿ أو لم يكن لهم آية ﴾ على صحة القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ان يعلمه علمؤا بنى اسرائيل ﴾ ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل اوالفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال أو ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ﴿ ولو نزلناه على بعض الاعجمين ﴾ كما هو زيادة فى اعجازه أو بلغة العجم .

حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكلف مشروط بالعقل والفهم ❊ وقوله تعالى ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ أى المخوفين ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا مافيه ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ﴿ لفى زبر الاولين ﴾ أى كتب الاولين ﴿ أولم يكن لهم آية ﴾ يعنى أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ان يعلمه ﴾ يعنى يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ علمؤا بنى اسرائيل ﴾ قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد فى التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبدالله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد ❊ قوله تعالى ﴿ ولو نزلناه ﴾ يعنى القرآن ﴿ على بعض الاعجمين ﴾ جمع أعجمى وهو الذى لايفصح

على قدر حفظك ويقال حين تلاه عليك (لتكون من المنذرين) من المخوفين بالقرآن (بلسان عربى مبين) يقول القرآن على مجرى لغة العربية ويقال نبئهم يامحمد بلغتهم (وانه) يعنى نعت القرآن ومحمد عليه السلام (لفى زبر الاولين) مكتوب فى كتب الانبياء قبلك (أولم يكن لهم) لاهل مكة (آية) علامة لنبوة محمد عليه السلام (أن يعلمه) أن يخبرهم (علمؤا بنى اسرائيل) حيث سألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فأخبروهم بذلك (ولو نزلناه) نزلنا جبريل بالقرآن (على بعض الاعجمين)

جمع أعجم وهو الذى لايفصح وكذلك الاعجمى الاأن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لايفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمى شبهوه بمن لايفصح ولايبين والعجمى الذى من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن الاعجميين وقيل الاعجمين تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون أى الاشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه عجماء (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) والمعنى انا أنزلنا القرآن على رجل عربى مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذى لايحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أى أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (فى قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا انهم اختيار الكفر والاصرار عليه يعنى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وقررناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عماهم عليه من كفربه والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المعتزلة فى خلق أفعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله (لايؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكناه فى قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثبات

﴿ فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة ﴿ كذلك سلكناه ﴾ ادخلناه ﴿ فى قلوب المجرمين ﴾ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا ﴿ لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ﴾ الملجئ الى الايمان ﴿ فيأتيهم بغتة ﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ باتيانه ﴿ فيقولوا هل نحن منظرون ﴾ تحسرا وتأسفا ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ فيقولون امطر علينا

ولايحسن العربية وان كان عربيا فى النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربى اللسان ﴿ فقرأه عليهم ﴾ يعنى القرآن ﴿ ما كانوا به مؤمنين ﴾ أى لقالوا لانفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب ﴿ كذلك سلكناه ﴾ قال ابن عباس يعنى أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿ فى قلوب المجرمين لايؤمنون به ﴾ أى القرآن ﴿ حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون ﴾ أى لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾

كونه مكذبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع مايقرر هذا المعنى من أنهم لايزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أى سلكناه فيها غير مؤمن به (حتى يروا العذاب الاليم) المراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان بأس فلا ينفعهم (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) باتيانه (فيقولوا) وفيأتيهم معطوفان على يروا (هل نحن منظرون) يسألون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها (أفبعذابنا يستعجلون)

على رجل لايتكلم بالعربية (فقرأه عليهم) على قريش (ما كانوا به) بالقرآن (مؤمنين) لانهم لم يؤمنوا بما كان بلغتهم فكيف يؤمنون بما لم يكن بلغتهم (كذلك) هكذا (سلكناه) تركنا التكذيب (فى قلوب المجرمين) المشركين أبى جهل وأصحابه (لا يؤمنون به) لكى لايؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (حتى يروا العذاب الاليم) الوجيع (فيأتيهم) العذاب (بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) بنزول العذاب عليهم (فيقولوا) عند نزول العذاب عليهم (هل نحن منظرون) مؤجلون من العذاب (أفبعذابنا يستعجلون)

توبيخ لهم وانكار عليهم قولهم فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيي بن المعاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن الى مألوفاته والله تعالى يقول (أفرأيت ان متعناهم سنين) قيل هي ستو مدة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ماينفعهم حينئذ مامضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم * وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما في وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة لان أنذر واذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لاجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعدما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا (وما) مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقى القرآن على محمد أنزل (وما تنزلت به) أي القرآن (الشياطين وما ينبغي لهم

حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة ﴿ أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه ﴿ وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ﴾ انذروا اهلها الزاما للحجة ﴿ ذكرى ﴾ تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها في معنى الانذار أو الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا أو بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار ﴿ وماتنزلت به الشياطين ﴾ كما زعم المشركون انه من قبيل مايلقي الشياطين على الكهنة ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ وما يصح

قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفبعذابنا يستعجلون ﴿ أفرأيت ان متعناهم سنين ﴾ أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ﴿ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴾ يعني العذاب ﴿ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيأ ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط ﴿ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ﴾ أي رسل ينذرونهم ﴿ ذكرى ﴾ أي تذكرة ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم ﴿ وماتنزلت به الشياطين ﴾ يعني ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ أن ينزلوا بالقرآن

بمجيئة (أفرأيت) يا محمد (ان متعناهم سنين) في كفرهم (ثم جاءهم) بل جاءهم (ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يمتعون) يؤجلون (وما أهلكنا من قرية) من أهل قرية (الا لها منذرون) رسل مخوفون (ذكرى) يذكرونهم من عذاب الله (وما كنا ظالمين) بهلاكهم (وما تنزلت به) بالقرآن (الشياطين) على عهد محمد عليه السلام (وما ينبغي لهم) ماهم الشياطين له بأهل

لهم ان يتنزلوا به ﴿ وما يستطيعون ﴾ وما يقدرون ﴿ انهم عن السمع ﴾ لكلام الملائكة ﴿ لمعزولون ﴾ لانه مشروط بمشاركة فى صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لايمكن تلقيها الامن الملائكة ﴿ فلاتدع مع الله الهـا آخر فتكون من المعذبين ﴾ تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم

﴿ ومايستطيعون ﴾ أى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال ﴿ انهم عن السمع لمعزولون ﴾ أى محجوبون بالرمى بالشهب فلايصلون الى استراق السمع ﴿ فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولو اتخذت الها غيرى لعذبتك ۞ قوله ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾ روى محمد بن اسحق بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياعلى أن الله أمرنى ان أنذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت انى متى اباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يامحمد ان لاتفعل ماتؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسامن لبن ثم اجمع لى بنى عبدالمطلب حتى أبلغهم ماامرت به ففعلت ماأمرنى به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجـلا أوينقصونه فيهم أعمـامه أبوطـالب وحمزة والعباس وأبولهب فلمـا اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعت فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى مالهم بشىء من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليـأكل مثل ماقدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحـد ليشرب مثله فلمـا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبولهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقال الغد ياعلى فان هـذا الرجـل قدسبقنى الى ماسمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فاعددلنا من الطعام مثل ماصنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسـول الله صلى الله عليه وسـلم فقال يابنى عبدالمطلب انى قدجئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقدأمرنى الله عز وجل ان أدعوكم اليه فايكم يوازرنى على امرى هذا ويكون أخى ووصيي وخليفتى فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وأنا أحدثهم سنا فقلت انا ياسـول الله أكون وزيرك عليـه فاخذ برقبتى ثم قال هذا أخى ووصيي وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقـام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد

ومايستطيعون) ومايتسهل لهم ولايقـدرون عليه (انهم عن السمع لمعزولون) لممنـوعون بالشـهب (فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) مورد النهى لغيره عـلى التعريض والتحريك له عـلى زيادة الاخـلاص (وأنذر عشيرتك الاقربين) خصهم لنفى التهمة اذ الانسـان يساهل قرابتـه أوليعلموا أنه لايغنى عنهم من الله شيأ وان النجاة فى اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب وقال يابنى عبدالمطلب يابنى هاشم يابنى عبـد منـاف ياعبـاس عم النبي ياصـفية عمـة رسـول الله انى لا أملك لكم من الله شيأ

(ومايستطيعون) وما يقدرون على ذلك (انهم) يعنى الشياطين (عن السمع) عن الاستماع للوحى (لمعزولون) لممنوعون (فلاتدع) فلا تعبد (مع الله الها آخر) من الاوثان (فتكون من المعذبين) فى النار (وانذر عشيرتك الاقربين) فى الرحم

ان يسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان أو المصدقون باللسان ﴿ فان عصوك ﴾ ولم يتبعوك ﴿ فقل اني بريء مما تعملون ﴾ مما تعملونه أو من اعمالكم ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب الشرط ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ الى التهجد

أمرك أن تسمع لعلي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ماهو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين قال يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لاأغني عنكم من الله شيأ يابني عبد المطلب لاأغني عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لاأغني عنك من الله شيأ وياصفية عمة رسول الله لاأغني عنك من الله شيأ و يا فاطمة بنت رسول الله سليني ماشئت من مالي لا أغني عنك من الله شيأ (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير ابن عمرو قالا لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه أولا وبالاقرب فالاقرب من أهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع ﴿ واخفض ﴾ أي ألن ﴿ جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ فان قلت مامعنى التبعيض في قوله من المؤمنين * قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم وألسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم وهم المنافقون ﴿ فان عصوك ﴾ أي فيما تأمرهم به ﴿ فقل اني بريء مما تعملون ﴾ أي من الكفر والمخالفة ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذي يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ الى

للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب (لمن اتبعك من المؤمنين) من عشيرتك وغيرهم (فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون) يعني أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل على العزيز الرحيم) على الذي يقهر أعداءك بعزته و ينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال الجنيد رضي الله عنه التوكل ان تقبل بالكلية عما دونه فان حاجتك اليه في الدارين فتوكل مدني وشامي عطف على فقل او فلاتدع (الذي يراك حين تقوم) متهجدا

(واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك للمؤمنين (فان عصوك) قريش (فقل اني بريء مما تعملون) وتقولون في كفركم (وتوكل على العزيز) بالنقمة من أعدائه (الرحيم) بك وبالمؤمنين (الذي يراك حين تقوم) الى الصلاة (صلاتك)

(وتقلبك)اى ويرى تقلبك (فى الساجدين) فى المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ماهو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لايشعرون وليعلم انهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة فى القرآن فقال لايحضرنى فتلا له هذه

لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله هون عليه معاناة مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له اذ لامشقة على من يعلم أنه يعمل بمرأى مولاه وهو كقوله بعينى مايتحمل المتحملون من أجلى ونزل جوابا لقول المشركين ان الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل أنبئكم) أى هل أخبركم أيها المشركون (على من تنزل الشياطين) ثم نبأ فقال (تنزل على كل أفاك أثيم) مرتكب للآثام وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الافاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملأ الاعلى فيحفظون بعض مايتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به (قا و خا ٦٣ بع) الى أوليائهم ويلقون حال اى تنزل ملقين السمع أو صفة لكل أفاك لانه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجزاء أو استئناف فلا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به

﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر مايصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعد ان وصفه بان من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه ﴿ انه هو السميع ﴾ بما تقوله ﴿ العليم ﴾ بما تنويه ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ﴾ لما بين ان القرآن لايصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لايصلح لان تنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله ﴿ يلقون السمع واكثرهم كاذبون ﴾

صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ قال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك فى المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله مايخفى على خشوعكم ولاركوعكم انى لاراكم من وراء ظهرى وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك فى أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقلبك فى اصلاب الانبياء من نبى الى نبى حتى أخرجك فى هذه الامة ﴿ انه هو السميع ﴾ أى لقولك ودعائك ﴿ العليم ﴾ أى بنيتك وعملك قل يامحمد ﴿ هل أنبئكم ﴾ أى أخبركم ﴿ على من تنزل الشياطين ﴾ هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى ﴿ تنزل على كل أفاك ﴾ أى كذاب ﴿ أثيم ﴾ أى فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يلقون ذلك الى أوليائهم من الانس وهو قوله تعالى ﴿ يلقون السمع ﴾ اى مايسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ لانهم يخلطون به كذبا كثيرا

(وتقلبك فى الساجدين) مع أهل الصلاة فى الركوع والسجود والقيام ويقال فى أصلاب آبائك الاولين (انه هو السميع) لمقالتهم (العليم) بهم وبأعمالهم (هل أنبئكم) أخبركم (على من تنزل الشياطين) بالكهانة (تنزل على كل أفاك أثيم) فاجر كاهن وهو مسيلمة الكذاب وطليحة (يلقون السمع) يستمعون الى كلام الملائكة يعنى الشياطين (وأكثرهم كاذبون) يستمعون

اليهم لانهم يسمعونهم مالم يسمعوا و قيل يلقون الى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين ويتلقون وحيهم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين مالم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر الافك ولايدل ذلك على انهم لاينطقون الا بالافك فأراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم وانما فرق بين وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهن أخوات لانه اذا فرق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية

بهن كما اذا احدثث حديثا وفى صدرك اهتمام بشئ فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع اليه. ونزل فيمن كان يقول الشعر و يقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم (والشعراء) مبتدأ خبره (يتبعهم الغاوون) اى لايتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب ومدح من لايستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون اى السفهاء أوالراوون أوالشياطين أوالمشركون قال الزجاج اذا مدح أوهجا شاعر بما لايكون وأحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم نافع (ألم ترأنهم فى كل واد) من الكلام (يهيمون) خبر أن أى فى كل فن من الكذب يتحدثون أو فى كل لغو وباطل يخوضون والهائم

أى الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لايطابق اكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لاعلى نحو ماتكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو افهامهم ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله ﴿ألم تر انهم فى كل واد يهيمون﴾ لان اكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحقه والاطراء فيه واليه اشار

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبدالله بن الزبعرى السهمى و هبيرة بن ابى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عمرو بن عبدالله الجمحى وأمية بن أبى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد و قالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين و قيل هم السفهاء الضالون وفى رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية ﴿ألم ترأنهم فى كل واد﴾ من اودية الكلام ﴿يهيمون﴾ يعنى حائرين وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهب

الذاهب على وجهه لامقصد له وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس (على) على عنترة و أبخلهم على حاتم عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبى مصرعات • وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عنى الحد بقوله

واحدا ويجعلون له مائة ثم يخبرون بذلك الكهنة (والشعراء) عبدالله بن الزبعرى وأصحابه يقولون الشعر (يتبعهم الغاوون) الراوون يروون عنهم (ألم تر) ألم تخبر يا محمد (انهم) يعنى الشعراء (فى كل واد) فى كل فن ووجه (يهيمون) يذهبون ويأخذون يذمون

بقوله ﴿ وانهم يقولون مالايفعلون ﴾ وكانه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى
واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام
الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام
لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها
لبعه بعضد ﴿ الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾

على وجهه لامقصدله وقال ابن عباس فى كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل
ويهجون بالباطل و قيل انهم يمدحون الشئ ثم يذمونه لايطلبون الحق والصدق
فالوادى مثل لفنون الكلام والغوض فى المعانى والقوافى ﴿ وأنهم يقولون مالايفعلون ﴾
أى انهم يكذبون فى شعرهم و قيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم
لايفعلونه ويذمون البخل وهم يصرون عليه ويهجون الناس بادنى شئ صدرمنهم (ق)
عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف احدكم قيحا
حتى يريه خيرله من أن يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر
الكفار ويهجون وينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت
وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى ﴿ الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾
روى ان كعب بن مالك قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل فى الشعر ما أنزل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسفيه و لسانه والذى نفسى بيده
لكأن ماترمونهم به نضح النبل * عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله
عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول
الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه ياعمر فلهى أسرع فيهم من نضح
النبل أخرجه الترمذى والنسائى وقال الترمذى و قد روى فى غير هذا الحديث ان
النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا
أصح عند بعض أهل الحدث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة
القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة
سنة ثمان والله اعلم (ق) عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة
لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس
مانافح أوفاخر عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اهجوا قريشا فانه أشد عليها من رشق النبل فأرسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم
فلم يرض فارسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان

(وانهم يقولون مالايفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف فى الوعد * ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضى الله عنهم

ويمدحون (وانهم يقولون) فى شعرهم (مالايفعلون) أناوأنا وليس كذلك ويقال مالا يقدرون أن يفعلوا وكلاهما غاويان الشاعر والراوى (الاالذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن حسان بن ثابت وأصحابه (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم

قال قدآن لكم أن ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الاديم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان أبابكر أعلم قريش بأنسابها وان لى فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال يارسول الله قد لخص لى نسبك والذى بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لايزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا * رسول الله شيمته الوفاء
فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع من طرفى كداء
يبارين الاعنة مصعدات * على أكتافها الاسل الظلماء
تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فان أعرضتم عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لضراب يوم * يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد * سباب أوقتال أوهجاء
فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

فصل فى مدح الشعر

(خ) عن أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا و ان من الشعر حكما أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت وراء النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا قال هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد فى رواية لقدكاد يسلم فى شعره * عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبى كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان على أشعر منهما وروى عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستنشده فى المسجد فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومى فاستنشده القصيدة التى قالها فقال

(وذكروا الله كثيرا) أى كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والادب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور (وانتصروا) وهجوا (من بعد ماظلموا) هجوا اى ردوا الهجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك وختم السورة بما يقطع أكباد المتدبرين وهو قوله (وسيعلم) ومافيه من الوعيد البليغ و قوله (الذين ظلموا) و اطلاقه وقوله (أى منقلب ينقلبون) وابهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله تعالى عنه حين عهد اليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عنا ما الذى فاته منا وأى منصوب بينقلبون على المصدر لا بيعلم لان أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أى ينقلبون اى الانقلاب

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان صلى الله عليه وسلم يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب ابن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل ﴿ وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ﴾ تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد قال ابوبكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ باى منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * وعن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمين

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث أو اربع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أمن آل نعمى أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فأنشده القصيدة الى آخرها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة * قوله تعالى ﴿ وذكروا الله كثيرا ﴾ أى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ﴿ وانتصروا من بعد ماظلموا ﴾ أى انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا ﴾ أى أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وهو الطاهر المطهر من الهجاء ﴿ أى منقلب ينقلبون ﴾ أى أى مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النمل وهى ماتئان وثلاثون وست آيات ﴾

﴿ وألف وثلاثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف ﴾

﴿ وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

(وذكروا الله كثيرا) فى الشعر (وانتصروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالرد على الكفار (من بعد ماظلموا) هجوا هجاهم الكفار (وسيعلم الذين ظلموا) هجوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (أى منقلب ينقلبون) أى مرجع يرجعون فى الآخرة وهى النار يعنى ان لم يؤمنوا بطس والقرآن الحكيم والله تعالى أعلم باسرار كتابه ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها النمل وهى كلها مكية آياتها أربع وتسعون آية وكلماتها ألف ومائة وتسع وأربعون وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ أي وآيات كتاب مبين وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اللوح وآياته انه قد خط فيه كل ماهو كائن فهو يبين للناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته انه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى نحو هذا فعل السخي والجواد ونكر الكتاب ليكون أفخم له وقيل انما أنكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثمه لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى وبشرى) في محل النصب على الحال من آيات أي هداية وبشارة فالعامل فيهما في تلك من معنى الاشارة أو الجر على انه بدل من كتاب أو صفة له أو الرفع على هي هدى وبشرى أو على البدل من آيات أو على ان يكون خبرا بعد خبر لتلك أي تلك آيات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلوة) يديمون على فرائضها وسننها (ويؤتون الزكوة) يؤدون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الاهؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (واللذات)

﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ماهو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود أو القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام أو لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف ﴿ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ﴾ الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ من تمة الصلة والواو للحال أو للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه أو جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ﴿ ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم ﴾ زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس أو الاعمال الحسنة

* قوله عز وجل ﴿ طس تلك آيات القرآن ﴾ أي هذه آيات القرآن ﴿ وكتاب مبين ﴾ أي وآيات كتاب مبين ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ أي هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة ﴿ الذين يقيمون الصلوة ﴾ أي الخمس بشرائطها ﴿ ويؤتون الزكوة ﴾ اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ يعني ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة ﴿ ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم ﴾ أي القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم في القلب بما فيه المنافع

وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (طس) يقول طا طوله وسين سناؤه ويقال قسم أقسم به (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) ان هذه السورة آيات القرآن وكتاب مبين بالحلال والحرام (هدى) من الضلالة (وبشرى) بالجنة (للمؤمنين) المصدقين في ايمانهم ثم بين نعتهم فقال (الذين يقيمون الصلوة) يتمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها ومايجب فيها في مواقيتها (ويؤتون الزكوة) يعطون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت والجنة والنار (هم يوقنون) يصدقون (ان الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت أبا جهل وأصحابه (زينا لهم أعمالهم) في الكفر

(فهم يعمهون) يترددون فى ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الاعمال (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أى حكيم وأى عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب باذكر كانه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لاهله) لزوجته ومن معه عند مسيره من مدين الى مصر (امكثوا انى آنست) أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر)عن حال الطريق لانه كان قد ضله (أو آتيكم بشهاب) بالتنوين كوفى أى شعلة مضيئة (قبس)نار مقبوسة بدل أو صفة وغيرهم بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلى آتيكم فى القصص مع ان أحدهما ترج والآخر تيقن لان الراجى اذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه بسين التسويف عدة لاهله انه يأتيهم به وان أبطأ أوكانت المسافة بعيدة وبأو لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الالفاظ فى هاتين الصورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير

التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها ﴿ فهم يعمهون ﴾ عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع ﴿ اولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ كالقتل والاسر يوم بدر ﴿ وهم فى الآخرة هم الاخسرون ﴾ اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة ﴿ وانك لتلقى القرآن ﴾ لتؤتاه ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾ أى حكيم وأى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله ﴿ اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا ﴾ أى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم ﴿ سآتيكم منها بخبر ﴾ أى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة أو الوعد بالاتيان وان ابطأ ﴿ أو آتيكم بشهاب قبس ﴾ شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه أو

واللذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات ﴿ فهم يعمهون ﴾ أى يترددون فيها متحيرين ﴿ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ أى أشده وهو القتل والاسر ﴿ وهم فى الآخرة هم الاخسرون ﴾ أى انهم خسروا أنفسهم وأهليهم وساروا الى النار * قوله تعالى ﴿ وانك لتلقى القرآن ﴾ أى تؤتاه وتلقنه وحيا ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾ أى حكيم عليم بما أنزل اليك * فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم * قلت الحكمة هى العلم بالامور العلمية فقط والعلم أعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية أشرف ﴿ اذ قال ﴾ أى واذكر يا محمد اذ قال ﴿ موسى لاهله ﴾ أى فى مسيره بأهله من مدين الى مصر ﴿ انى آنست ﴾ أى أبصرت ﴿ نارا سآتيكم منها بخبر ﴾ أى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق ﴿ أو آتيكم بشهاب قبس ﴾ الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذى فى أحد طرفيه

(فهم يعمهون) يمضون عمهة لا يبصرون (أولئك) أهل هذه الصفة (الذين لهم سوء العذاب) شدة العذاب فى النار (وهم فى الآخرة) يوم القيامة (هم الاخسرون) المغبونون بذهاب الجنة ودخول النار (وانك) يا محمد (لتلقى القرآن) يقول ينزل عليك جبريل بالقرآن (من لدن) من عند (حكيم) فى أمره وقضائه (عليم) بخلقه (اذ قال موسى لاهله) حيث تحير فى الطريق (انى آنست نارا) رأيت نارا عن يسار الطريق امكثوا ههنا (سآتيكم) حتى آتيكم (منها) من عند النار (بخبر) عن الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) بشعلة مقتبسة

وصفه لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعبادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة ﴿ فلما جاءها نودي ان بورك ﴾ أي بورك فان النداء فيه معنى القول أو بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة ﴿ من في النار ومن حولها ﴾ من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء واموانا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم ينتشر بركته في اقطار الشام ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمته ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته ﴿ ياموسى انه انا الله ﴾ الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له ﴿ العزيز الحكيم ﴾ صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد

نار ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ أي تستدفئون من البرد وكان في شدة الشتاء ﴿ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ﴾ أي بورك على من في النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من في طلب النار وهو موسى ﴿ ومن حولها ﴾ وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملائكة وذلك ان النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك من في النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمعه من جهتها كما روى انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعين بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهي احدى حجب الله عز وجل كما صح في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله ﴿ ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ قيل معناه ان موسى قال من المنادي قال انه أنا الله وهذا تمهيد

نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشري لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة او مفسرة لان في النداء معنى القول أي قيل له بورك أي قدس أو جعل فيه البركة والخير (من في النار ومن حولها) أي بورك من في مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أي موسى لحدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه (وسبحان الله رب العالمين) هو من جملة ما نودي فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم) الضمير في انه للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر أو

(لعلكم تصطلون) لكي تدفؤا وكان في شدة من الشتاء (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) يقول بوركت النار (ومن حولها) من الملائكة وهكذا قراءة أبي وعبد الله بن مسعود ويقال تبارك من نور هذا النور ويقال بورك من في

الطلب بعني موسى من اقام حوله من الملائكة (وسبحان الله) نزه نفسه (رب العالمين) سيد الجن والانس (ياموسى (انه) الذي دعاك (أنا الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن بي (الحكيم) في أمري وقضائي أمرت أن لا يعبد غيري

يرجع الى مادل عليه ماقبله أى ان مكلمك أنا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يديه من المعجزات (وألق عصاك) لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودى أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له ألق عصاك ويدل عليه ماذكر في سورة القصص وان ألق عصاك بعد قوله ان ياموسى انى أنا الله على تكرير حرف التفسير (فلما رآها تهتز) تتحرك حال من الهاء في رآها (كأنها جان) حية صغيرة حال من الضمير في تهتز (ولى) موسى (مدبرا) أدبر عنها وجعلها تلي ظهره خوفا من وثوب الحية عليه (ولم يعقب) ولم يلتفت أولم يرجع يقال قدعقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودى (ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون) اى لايخاف عندي المرسلون حال خطابي اياهم أو لايخاف لدى المرسلون من غيرى (الامن ظلم) أى لكن من ظلم من غيرهم لان الانبياء لايظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من المرسلين فجاء غيرما أذنت له مما يجوز على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام (ثم بدل حسنا) أى اتبع توبة (بعد سوء) زلة (فانى غفور رحيم) أقبل توبته واغفر زلته

عن الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل مايفعله بحكمة وتدبير ﴿ والق عصاك ﴾ عطف على بورك اى نودى ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان ياموسى انى انا الله بتكرير أن ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ تتحرك باضطراب ﴿ كأنها جان ﴾ حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ﴿ ولى مدبرا ولم يعقب ﴾ ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله ﴿ ياموسى لاتخف ﴾ أى من غيرى ثقة بى أو مطلقا لقوله ﴿ انى لايخاف لدى المرسلون ﴾ حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس من الله أو لايكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه ﴿ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم ﴾ استثناء منقطع استدرك به مايختلج في الصدور من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ماسطاها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أى من ظلم ثم بدل

لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله ﴿ وألق عصاك ﴾ تقديره فالقاها فصارت حية ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أى تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ وهي الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها ﴿ ولى مدبرا ﴾ أى هرب من الخوف ﴿ ولم يعقب ﴾ أى لم يرجع ولم يلتفت * قال الله تعالى ﴿ ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون ﴾ يريد اذا آمنتهم لايخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله ﴿ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم ﴾ قيل هو مايصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى انى ظلمت نفسى ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انما أخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لايخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لايجوز عليهم الظلم بل هو

وأرجو ما يحقق أمنيتى وكأنه تعريض بما قال (قا و خا ٦٤ بع) موسى حين قتل القبطى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له

(و[illegible] أتاها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية صغيرة [illegible] كبيرة (ولى مدبرا) أدبر هاربا منها (ولم يعقب) لم يلتفت اليها [illegible] قال الله (ياموسى لاتخف) منها (انى لايخاف لدى) عندي (المرسلون الامن ظلم) ولا من ظلم (ثم بدل حسنا بعد سوء) ثم تاب بعد ذلك فانه ينبغى له أن لايخاف أيضا (فانى غفور) متجاوز لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة

(وادخل يدك فى جيبك) جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) برص وبيضاء ومن غير سوء حالان (فى تسع آيات) كلام مستأنف وفى يتعلق بمحذوف أى اذهب فى تسع آيات أو والق عصاك وادخل يدك فى جلة تسع آيات (الى فرعون وقومه) الى يتعلق بمحذوف أى مرسلا الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن أمر الله كافرين (فلما جاءتهم آياتنا)أى معجزاتنا (مبصرة)حال أى ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها لملابستهم اياها بالنظر والتفكر فيها أو جعلت كانها تبصر فتهدى لان الاعمى لايقدر على الاهتداء فضلا أن يهدى غيره ومنه قولهم كلمة عيناء وعوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى (قالوا هذا سحر مبين) ظاهر لمن تأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين (وجحدوا بها) قيل الجحود لايكون الا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشئ للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر فى شرح التأويلات وذكر فى الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو فى (واستيقنتها) للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان أبلغ من الايقان (أنفسهم) أى جحدوها بالسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم

ذنبه بالتوبة ﴿ وادخل يدك فى جيبك ﴾ لانه كان مدرعة صوف لا كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب أى يقطع ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ آفة كبرص ﴿ فى تسع آيات ﴾ فى جلتها أو معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به ﴿ الى فرعون وقومه ﴾ وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ تعليل للارسال ﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ بان جاءهم موسى بها ﴿مبصرة﴾ بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لاتهتدى فضلا عن ان تهدى أو مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ واضح سحريته ﴿وجحدوا بها﴾ وكذبوا بها ﴿واستيقنتها انفسهم﴾ وقد استيقنتها لان الواو للحال

استثناء من المتروك ومعناه لايخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم أى اغفر له وأزيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا ومعناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فانى غفور رحيم ثم ان الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى ﴿ وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء ﴾ قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبها وأخرجها فاذا هى تبرق مثل شعاع الشمس أو البرق ﴿ من غير سوء ﴾ أى من غير برص ﴿ فى تسع آيات ﴾ أى آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وقيل فى بمعنى من أى من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع ﴿ الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ أى خارجين عن الطاعة ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ﴾ أى بينة واضحة يبصرونها ﴿ قالوا هذا ﴾ أى الذى نراه ﴿ سحر مبين ﴾ أى ظاهر ﴿ وجحدوا بها ﴾ أى أنكروا الآيات ولم يقروا انها من عند الله ﴿ واستيقنتها أنفسهم ﴾ أى علموا انها من عند الله والمعنى أنهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم

(وادخل يدك فى جيبك) فى ابطك (تخرج بيضاء من غير سوء) [illegible] (فى تسع آيات) [illegible] (الى فرعون وقومه) [illegible] (انهم كانوا قوما فاسقين) [illegible] (فلما جاءتهم [illegible] آياتنا (مبصرة) بينة [illegible] على أثر بعض (قالوا هذا سحر مبين) كذب بين ما جئتنا به يا موسى (وجحدوا بها) [illegible] (واستيقنتها أنفسهم) بعد ما استيقنت أنفسهم أنها من الله

(ظلما) حال من الضمير فى جحدوا وأى ظلم أفحش من ظلم من استيقن انها آيات من عند الله ثم سماها سحرا بينا (وعلوا) ترفعا عن الايمان بما جاءبه موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق هنا والاحراق ثمة (ولقد آتينا) أعطينا (داود وسليمان علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا والمراد علم الدين والحكم (وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) والآيات حجة لنا على المعتزلة فى ترك الاصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيته فشكر وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذى فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفصل عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم وان من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباده وماسماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء الا لمداناتهم لهم فى الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضى الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضى الله عنه (وورث سليمان داود) وورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا اوتى النبوة مثل أبيه فكانه ورثه والا فالنبوة لا تورث (وقال ياأيها الناس علمنا منطق الطير) تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير والمنطق كل مايصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض روى أنه صاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يامذنبين وصاح خطاف

﴿ظلما﴾ لانفسهم ﴿وعلوا﴾ ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع أو علما اى علم ﴿وقالا الحمد لله﴾ عطفه بالواو اشعارا بان ماقالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكرا له مافعلا وقالا الحمد لله ﴿الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ يعنى من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير ﴿وورث سليمان داود﴾ النبوة أو العلم أو الملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر ﴿وقال ياأيها الناس علمنا منطق الطير

وضمائرهم ﴿ظلما وعلوا﴾ أى شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاءبه موسى ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعنى الغرق ﴿قوله تعالى﴾ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ أى علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب ﴿وقالا الحمد لله الذى فضلنا﴾ أى بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما أو لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل انهما لم يفضلا أنفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع ﴿قوله تعالى﴾ ﴿وورث سليمان داود﴾ يعنى نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ماأعطى داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى ﴿وقال﴾ يعنى سليمان ﴿ياأيها الناس علمنا منطق الطير﴾ سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون مايقول هذا قالوا لا قال انه يقول

(ظلما) خلافا واعتداء (وعلوا) يقول عتوا وتكبرا (فانظر) يامحمد (كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر المشركين فرعون وقومه كيف أهلكناهم فى البحر (ولقد آتينا) أعطينا (داود) ابن ايشا (وسليمان) ابن داود (علما) وفهما بالنبوة والقضاء (وقالا) كلاهما (الحمد لله) الشكر والمنة لله (الذى فضلنا) بالعلم والنبوة (على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود) ملك داود من بين أولاده وكان لداود تسعة عشر بنين (وقال) سليمان (ياأيها الناس علمنا) فهمنا (منطق الطير) كلام الطير

واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت

لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان عليه السلام على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء ان أخبرتنا بها آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا أخبرنا ما تقول القنبرة في صفيرها والديك في صعقه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبرة فتقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في لجج البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فيقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور فانه يقول اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فأسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد القارئ * وقوله تعالى ﴿ وأوتينا من كل شيء ﴾ أي كثيرا أوتي الانبياء والملوك وقال ابن عباس

فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأة تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس (وأوتينا من كل شيء) المراد به كثرة ما أوتي كما يقول فلان يعلم كل شيء وقوله وأوتيت من كل شيء

(وأوتينا) أعطينا (من كل شيء) علم كل شيء في مملكتي

(ان هذا لهو الفضل المبين) قوله وارد على سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا والنون في علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) روى ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة

وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا

باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ماهو من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ماحكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه اوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ماأوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ ﴿ ان هذا لهو الفضل المبين ﴾ الذي لايخفى على احد ﴿ وحشر ﴾ وجمع ﴿ لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ﴾ يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا

من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين ﴿ ان هذا لهو الفضل المبين ﴾ أي الزيادة الظاهرة على ماأعطى غيرنا وروى ان سليمان أعطى مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك أربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع وأعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شئ وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة ﴿ وحشر ﴾ أي جمع ﴿ لسليمان جنوده من الجن والانس والطير ﴾ من الاماكن المختلفة في مسير له ﴿ فهم يوزعون ﴾ أي يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء ترد أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها الانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثناعشر ألف خطوة والبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة [illegible] أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة مكوحة يعني حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فيرفعه ثم يأمر الرخاء فتسيره وأوحى الله

من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبر في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لايقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أن لايتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال اني جئت اليك لئلا تتمنى مالاتقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة

يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه مايزع السلطان أكثر مما يزع القرآن

(ان هذا لهو الفضل المبين) المن العظيم من الله على (وحشر) سخر وجمع (لسليمان جنوده) جموعه (من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى اجتمعوا

(حتى اذا أتوا على وادي النمل) أي ساروا حتى اذا بلغوا وادي النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدى بعلى لان اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء (قالت نملة) عرجاء تسمى طاخية ومنذرة وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فسأله أبو حنيفة رضي الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فأفحم فقال أبو حنيفة رضي الله عنه كانت أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولى العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو نهي مستأنف وهو في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهن عن البروز والوقوف على طريقة لا أرينك ههنا أي لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لانه من ضرورات الشعر (سليمان وجنوده) قيل أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ (وهم لا يشعرون) لا يعلمون بمكانكم أي لو شعروا ن

﴿حتى اذا اتوا على وادي النمل﴾ واد بالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من علي أو لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفذه وبلغ آخره كأنهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي ﴿قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة ﴿وهم لا يشعرون﴾

اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح وأخبرتك به * قوله عز وجل ﴿حتى اذا أتوا على وادي النمل﴾ أي أشرفوا على وادي النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يا رب أبكاني هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله اليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي الي وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وافرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف وأتى على وادي النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشأم وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور انه النمل الصغير [illegible] كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمى ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين فخوطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك ﴿لا يحطمنكم﴾ أي لا يكسرنكم ﴿سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ [illegible]

(حتى اذا أتوا على وادي النمل) بأرض الشام مضوا على وادي النمل (قالت نملة) عرجاء [illegible] (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) جحركم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم ولا يدوسنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) بكم ويقال وهم يعني جنود سليمان لا يشعرون

لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا من قولها) متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها

أو فرحا لظهور عدله وضاحكا

انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف أي فهم سليمان والقوم لايشعرون ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها أو سرورا مما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره ﴿ وقال رب أوزعني ان اشكر نعمتك ﴾ اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اى أكفه وارتبطه لاينفلت عني بحيث لاانفك عنه * وقرأ البزى وورش بفتح ياء اوزعني ﴿ التى انعمت على وعلى والدى ﴾ ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة أو تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴿ وان اعمل صالحا ترضاه ﴾ تماما للشكر واستدامة للنعمة ﴿ وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ فى عدادهم الجنة ﴿ وتفقد الطير ﴾ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد ﴿ فقال مالى لا ارى الهدهد

ان سليمان نبى ليس فيه جبروتية ولاظلم ومعنى الآية انكم لولم تدخلوا وطؤكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لايتكلم أحد بشئ الاجلته الريح حتى تلقيه الى مسامع سليمان فلما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم * فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح * قلت كانهم أرادوا النزول عند منقطع الوادى فلذلك قالت نملة لايحطمنكم سليمان وجنوده لانهم مادامت الريح تحملهم لايخاف حطمهم ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ قيل أكثر ضحك الانبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت مارأيت النبى صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم * عن عبدالله ابن الحرث بن جزء قال مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى * فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان * قلت شيآن أحدهما مادل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لايشعرون يعنى انهم لو شعروا مايفعلون الثانى سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من ادراك سمعه ماقالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع مالاعهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ماانعم به عليه ﴿ وقال رب أوزعنى ﴾ أى ألهمنى ﴿ أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ أى أدخلنى فى جملتهم وأثبت اسمى مع أسمائهم واحشرنى فى زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم و اسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل أدخلنى الجنة مع عبادك الصالحين * قوله عز وجل ﴿ وتفقد الطير ﴾ أى طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب مافقد من الطير ﴿ فقال مالى لا أرى الهدهد ﴾ وكان سبب

حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك وأكثر ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعنى) ألهمنى وحقيقته كفنى عن الاشياء الاعن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك التى انعمت على) من النبوة والملك والعلم (وعلى والدى) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وأن أعمل صالحا ترضاه) فى بقية عمرى (وأدخلنى برحمتك) وأدخلنى الجنة برحمتك لابصالح عملى اذلا يدخل الجنة أحد الا برحمته كما جاء فى الحديث (فى عبادك الصالحين) أى فى زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى ان النملة أحست بصوت الجنود ولاتعلم انهم فى الهواء فامر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة (وتفقد الطير فقال مالى) مكى وعلى وعاصم وغيرهم بسكون الياء والتفقد طلب ما غاب عنك (لا أرى الهدهد

(فتبسم) سليمان (ضاحكا) تعجبا (من قولها) من قول النملة لانه علم كلامها دون جنوده (وقال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك) أودى شكر نعمتك (التى أنعمت على) منت على بالتوحيد (وعلى والدى) بالتوحيد (وان اعمل صالحا) خالصا (ترضاه) تقبله (وادخلنى برحمتك) فضلك (فى عبادك الصالحين) مع عبادك المرسلين الجنة (وتفقد الطير) طلب الطير فلم ير الهدهد مكانه (فقال مالى لا أرى الهدهد)

أم كان من الغائبين) أم بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالى لاأراه على معنى انه لايراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما حج خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلى فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا

وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصده فناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض وقال يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه (لأعذبنه عذابا شديدا) بنتف ريشه والقائه فى الشمس أو بالتفريق بينه وبين الفه أو بالزامه خدمة اقرانه أو بالحبس مع أضداده وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد أو بايداعه القفص أو بطرحه بين يدى النمل ليأكله وحل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم و الطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير لم يتم التسخير الا بالتأدب والسياسة (أو لأذبحنه أو ليأتينى) بالنون الثقيلة ليشاكل قوله لاعذبنه

أم كان من الغائبين ﴾ أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولايراه لساتر أو غيره فقال مالى لااراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾ كنتف ريشه والقائه فى الشمس أو حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده فى قفص ﴿ أو لأذبحنه ﴾ ليعتبر به ابناء جنسه ﴿ أو ليأتينى بسلطان مبين ﴾ بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على احد الاو [illegible] بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أو ليأتيننى بنونين الاولى مفتوحة مشددة

تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنده الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى فى الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فتجىء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق ياوصاف انظر ماتقول ان الصبى منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجىء الهدهد وهو لايبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفى رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدله على الماء فقال مالى لاأرى الهدهد تقديره انه مع جنوده وهو لايراه ثم انه أدركه الشك فقال ﴿ أم كان من الغائبين ﴾ أى أكان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾ قيل هو أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه فى الشمس ممعطا لايمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص ولاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه ﴿ أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين ﴾ أى بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم [illegible] للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله ان يقيم وكان فى كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة

وحذف نون العماد للتخفيف ليأتينى بنونين مكى الاولى للتأكيد والثانية للعماد (بسلطان مبين) بحجة له [illegible] فيها عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله [illegible] [illegible] الهدهد وهو مشكل لانه من أين درى انه يأتى بسلطان حتى قال والله ليأتينى بسلطان [illegible] [illegible] يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولاذبح وان لم يكن كان أحدهما [illegible]

مكانه (أم كان من الغائبين) يقول ان كان من الغائبين من بين الطيور (لأعذبنه عذابا شديدا) [illegible] ريشه [illegible] الطير هذا (أو لأذبحنه) بالسكين (أو ليأتينى بسلطان مبين) بعذر بين

ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من اشراف قومه ان هذا
المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصرة على جميع من ناواه وتبلغ هيبته
مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لاتأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين
يتدين يانبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه
يانبي الله قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام
بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوالا أي وقت
الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى
فلما نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها
فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان
اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من أين أقبلت واين تريد قال
أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال و من سليمان بن داود قال ملك
الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن اين أنت يا يعفير قال أنا من
هذه البلاد قال ومن ملكها قال أمرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما
ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك
على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها ولها
اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى
تنظر الى ملكها قال اخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء
قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه
ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس
والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن
الهدهد فقال أصلح الله الملك ماأدري أين هو وماأرسلته الى مكان فغضب سليمان
وقال لاعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له علي بالهدهد هذه
الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم
التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد
أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك واقدرك على ألا مارحمتني
ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك أمك ان نبي الله قد حلف
أن يعذبك أو ان يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه
النسر والطير فقالوا ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله واخبروه بما قال
سليمان فقال الهدهد أوما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال أو ليأتيني بسلطان مبين قال نجوت
اذا فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يانبي
الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا
لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال
يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم قال ماالذي

﴿ فمكث غير بعيد ﴾ زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف ﴿ فقال احطت بما لم تحط به ﴾ يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان فى ادنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق ﴿ وجئتك من سبأ ﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة ﴿ بنبأ يقين ﴾ بخبر محقق روى انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا فطار معه لينظر ماوصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ماحكى ولعل فى عجائب قدرة الله وماخص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها ﴿ انى وجدت امرأة تملكهم ﴾ يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير فى تملكهم لسبأ أو

أبطأك عنى فقال الهدهد ماأخبر الله عنه بقوله تعالى ﴿ فمكث غير بعيد ﴾ معناه أى غير طويل ﴿ فقال أحطت بما لم تحط به ﴾ أى علمت مالم تعلم وبلغت مالم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان أدنى خلق الله قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا له فى ترك الاعجاب والاحاطة بالشئ علما أن يعلم من جميع جهاته حتى لايخفى عليه منه معلوم ﴿ وجئتك من سبأ ﴾ قيل هو اسم للبلد وهى مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة ﴿ بنبأ ﴾ أى بخبر ﴿ يقين ﴾ فقال سليمان وماذاك فقال ﴿ انى ﴾ أى الهدهد ﴿ وجدت امرأة تملكهم ﴾ هى بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لى وأبى ان يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت وأطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه قال لاتخف أنا الحية البيضاء التى أحييتنى والاسود الذى قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال

ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما أوتى من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له فى علمه و فيه دليل بطلان قول الرافضة ان الامام لايخفى عليه شئ ولايكون فى زمانه أحد أعلم منه (وجئتك من سبأ) غير منصرف أبو عمرو جعله اسما للقبيلة أو المدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحى أو الاب الاكبر (بنبأ يقين) النبأ الخبر الذى له شأن وقوله من سبأ بنبأ من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى ههنا ألا ترى انه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال (انى وجدت امرأة) هى بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها مالك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى (تملكهم) راجع الى سبأ على تأويل القول أو

(فمكث غير بعيد) فلبث غير طويل حتى جاءه (فقال أحطت بما لم تحط به) بلغت الى مالم تبلغ وعلمت مالم تعلم (المال)
أيها الملك (وجئتك من سبأ) من مدينة سبأ (بنبأ يقين) بخبر حق عجب (انى وجدت امرأة تملكهم) يقال لها

لاهلها ﴿ واوتيت من كل شئ ﴾ يحتاج اليه الملوك ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ عظمه بالنسبة اليها أو الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ كأنهم كانوا يعبدونها ﴿ وزين لهم الشيطان اعمالهم ﴾ عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ سبيل الحق والصواب

المال لاحاجة لى به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء فى الحديث ان أحد أبوى بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت فى الملك وطلبت قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وأبى آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال انه ابن أخى الملك وكان خبيثا سيئ السيرة فى أهل مملكته حتى كان يمديده الى حريم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فارسلت اليه فعرضت نفسها عليه فاجابها الملك وقال مامنعنى ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لأرغب عنك لانك كفؤ كريم فاجمع رجال أهلى واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها فقالوا الانراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت فى فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت فى ملأ كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت الى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت الى وزرائه واحضرتهم وقرعتهم وقالت أما كان فيكم من أنف لكريمته أو كرائم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا الانرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها (خ) عن أبى بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة * قوله تعالى ﴿ وأوتيت من كل شئ ﴾ يعنى ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ أى سرير ضخم عال * فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على مارأى من عظمة ملك سليمان * قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين فى ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا * قوله عزوجل اخبارا عن الهدهد ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ المزين هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ أى عن طريق الحق الذى هو دين الاسلام

مايليق بحالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعا فى ثمانين ذراعا وطوله فى الهواء ثمانون ذراعا وكان من ذهب وفضة وكان مرصعا بأنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد اخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أى سبيل التوحيد

بلقيس (وأوتيت من كل شئ) أعطيت علم كل شئ فى بلدها (ولها عرش عظيم) حسن كبير عليه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة كذا وكذا (وجدتها وقومها يسجدون للشمس) يعبدون الشمس (من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادتهم للشمس (فصدهم عن السبيل) فصرفهم الشيطان عن طريق الحق

(فهم لايهتدون) الى الحق ولايبعد من الهدهد التهدى الى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهاما من الله له كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لايكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها (ألايسجدوا) بالتشديد أى فصدهم عن السبيل لئلا يسجدون فحذف الجار مع أن أو أدغمت النون فى اللام و يجوز أن تكون

لامزيدة ويكون المعنى فهم لايهتدون الى أن يسجدوا وبالتخفيف يزيد و على وتقديره ألا ياهؤلاء اسجدوا فألا للتنبيه و يكون يا للنداء ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف الا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لايهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا أو وقف على الايا ثم ابتدأ اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا بخلاف مايقوله الزجاج انه لايجب السجود مع التشديد لان مواضع السجدة اما أمر بها أو مدح للآتى بها أو ذم لتاركها واحدى القراءتين أمر والاخرى ذم للتارك (لله الذى يخرج الخبء) سمى المخبأ بالمصدر (فى السموات والارض) قتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) وبالتاء فيهما على وحفص (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وصف الهدهد عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض

﴿فهم لايهتدون﴾ اليه ﴿ألا يسجدوا لله﴾ فصدهم لان لايسجدوا او زين لهم ان لايسجدوا على انه بدل من اعمالهم أولا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اى الا ياقوم اسجدوا كقوله

وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق واصيبى

وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله أو من سليمان والوقف على لايهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لاعند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب ﴿الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبأ ما خفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج مافى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته * وقرأ حفص والكسائى ماتخفون وماتعلنون بالتاء ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ الذى هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين

﴿فهم لايهتدون﴾ أى الى الصواب ﴿ألا يسجدوا﴾ قرئ بالتخفيف ومعناه الا يا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا ﴿لله الذى يخرج الخبء﴾ يعنى الخفى المخبأ ﴿فى السموات والارض﴾ قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات ﴿ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لايستحق العبادة الا من هو قادر على من فى السموات والارض عالم بجميع المعلومات ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ أى هو المستحق للعبادة والسجود لاغيره

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها * فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما * قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد

ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك الى ههنا كلام الهدهد فلما فرغ (من)

والهدى (فهم لايهتدون) سبيل الحق والهدى (ألايسجدوا لله الذى) وقد قالت لهم ألا يا هؤلاء اسجدوا لله ويقال هذا قول سليمان يقول لم لايسجدون لله الذى (يخرج الخبء) ما خبئ (فى السموات) من المطر (والارض) من النبات (ويعلم ما يخفون ما يسرون من الخير والشر (وما يعلنون) يظهرون من الخير والشر (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) السرير الكبير

من كلامه (قال) سليمان للهدهد (سننظر) من النظر الذى هو التأمل (أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا انهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبدالله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وطبعه بالمسك

العظيمين بون عظيم ﴿قال سننظر﴾ سنتعرف من النظر بمعنى التأمل ﴿أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ أى أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل ﴿اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم﴾ ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾

من كلامه ﴿ قال ﴾ سليمان ﴿ سننظر أصدقت ﴾ أى فيما أخبرت ﴿ أم كنت من الكاذبين ﴾ ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبدالله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد أن لاتعلوا على وأتونى مسلمين قيل لم يزد على مانص الله فى كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد ﴿اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم﴾ انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم ﴿ ثم تول عنهم ﴾ أى تنح عنهم فقف قريبا منهم ﴿ فانظر ماذا يرجعون ﴾ أى يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أى انصرف الى فاخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بارض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد علقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فأتى الهدهد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فالقى الكتاب فى حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت هى حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا

وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فالقه) بسكون الهاء تخفيفا أبو عمرو وعاصم وحمزة ويختلسها كسرة التدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب فالقهى باثبات الياء غيرهم (اليهم) الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها فى قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون مايقولونه بمسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ما الذى يردونه من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب بمقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهى راقدة وتوارى فى الكوة فانتبهت فزعة أو أتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة وألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم

(قال) سليمان للهدهد (سننظر) فى مقالتك (أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم) عليهم (ثم تول عنهم) تنح عنهم حيث لا يرونك (فانظر ماذا يرجعون) يقولون ويردون ويجيبون كتابى ففعل كما أمره سليمان فأخذت بقليس كتاب سليمان وخرجت الى

(قالت) لقومها خاضعة خائفة (ياأيها الملأ انى)وبفتح الياء مدنى (ألقى الى كتاب كريم) حسن مضمونه ومافيه أو مختوم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر بسم الله الرحمن الرحيم أولانه من عند ملك كريم(انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) هو تبيين لما ألقى اليها كأنها لما قالت انى ألقى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وماهو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وأن فى (ألاتعلوا) لاتترفعوا (على)ولاتتكبروا كاتفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا يعنى أى امشوا (وأتونى مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الانبياء مبنية على الايجاز والاختصار (قالت ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى) أشيروا على فى الامر الذى نزل بى والفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء فى السن والمراد هنا بالفتوى الاشارة عليها بما عندهم من الرأى وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب أنفسهم ليمالؤها ويقوموا معها (ماكنت قاطعة امرا) فاصلة أو ممضية حكما (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح فى موضع الرفع وهذا فى موضع النصب واصله تشهدوننى فحذفت النون الاولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء فى الوصل والوقف يعقوب اى تحضرونى اوتشيرونى اوتشهدوا انه صواب اى لاابت الامر الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا (قالوا)

ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول ﴿قالت﴾ أى بعد ماالقى اليها ﴿ ياأيها الملأ انى القى الى كتاب كريم﴾ لكرم مضمونه أو مرسله أو لانه كان مختوما أو لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به ﴿انه من سليمان﴾ استئناف كأنه قيل لها ممن هو وماهو فقالت انه أى ان الكتاب أو العنوان من سليمان ﴿وانه﴾ أى وان المكتوب أو المضمون وقرئتا بالفتح على الابدال من كتاب أو التعليل لكرمه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ان لاتعلوا على ﴾ ان مفسرة أو مصدرية فتكون بصلته خبر محذوف أى هو أو المقصود ان لاتعلوا أو بدل من كتاب ﴿واتونى مسلمين﴾ مؤمنين أو منقادين وهذا الكلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا أو التزاما والنهى عن الترفع الذى هو ام الرذائل والامر بالاسلام والجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة ﴿قالت ياأيها الملأ افتونى فى امرى ﴾ اجيبونى فى امرى الفتوى واذكروا ماتستصوبون فيه ﴿ ما كنت قاطعة امرا ﴾ ماابت امرا ﴿حتى تشهدون﴾ الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالؤها على الاجابة

وأخذوا مجالسهم ﴿ قالت ﴾ لهم بلقيس ﴿ ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم ﴾ قيل سمته كريما لانه كان مختوما وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أى شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت ﴿ انه من سليمان ﴾ قرأت المكتوب فيه فقالت ﴿وانه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله * قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت مافى الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ألاتعلوا على﴾ قال ابن عباس لاتتكبروا على والمعنى لاتمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والكبر ﴿ وأتونى مسلمين ﴾ أى طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد ﴿ قالت ياأيها الملأ أفتونى فى امرى ﴾ أى أشيروا على فيما عرض لى ﴿ ما كنت قاطعة امرا ﴾ أى قاضية وفاصلة ﴿ حتى تشهدون ﴾ أى تحضرون

قومها(قالت ياأيها الملأ)الرؤساء (انى ألقى الى كتاب كريم) مختوم (انه) عنوانه(من سليمان وانه)أول سطره(بسم الله الرحمن الرحيم ألاتعلوا على)أن لاتتكبروا على(وأتونى مسلمين)مستسلمين مصالحين وأشياء كانت فيه مكتوبة (قالت ياأيها الملأ) الرؤساء(أفتونى فى أمرى)اخبرونى عن أمرى ويقال شاوروا لى(ما كنت قاطعة أمرا)فاعلة أمرا(حتى تشهدون)تحضرونى

كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) مجيبين لها (نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد) ارادوا بالقوة قوة الاجساد والآلات وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب (والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) اى موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او أرادوا نحن من ابناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نتبع رأيك فلما أحست منهم الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة ورتبت الجواب فزيفت أولا ماذكروه و أرتهم الخطأ فيه

حيث (قالت) ﴿ انّ الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (افسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أذلوا اعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التى لا تتغير لانها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأى السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعى فى الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (وانى مرسلة اليهم بهدية) أى مرسلة رسلا بهدية (فناظرة) فمنتظرة (بم) أى بما لان الالف تحذف مع حرف الجر فى الاستفهام (يرجع المرسلون) بقبولها أم بردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها

﴿ قالوا نحن اولوا قوة ﴾ بالاجساد والعدد ﴿ واولوا بأس شديد ﴾ نجدة وشجاعة ﴿ والامر اليك ﴾ موكول ﴿ فانظرى ماذا تأمرين ﴾ من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك ﴿ قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها ﴾ تزييف لما احست منهم عن الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام خططهم فيسرع الى افساد مايصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها ﴿ وجعلوا أعزة اهلها اذلة ﴾ بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عزوجل ﴿ وانى مرسلة اليهم بهدية ﴾ بيان لما ترى تقديمه للمصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذرين

﴿ قالوا ﴾ يعنى الملأ مجيبين لها ﴿ نحن اولوا قوة ﴾ أى فى الجسم على القتال ﴿ وأولوا بأس شديد ﴾ أى عند الحرب وقيل أراد بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال أى ان أمرتهم بذلك ثم قالوا ﴿ والامر اليك ﴾ أيتها الملكة أى فى القتال وتركه ﴿ فانظرى ماذا تأمرين ﴾ أى تجدينا مطيعين لامرك ﴿ قالت ﴾ بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال ومايؤل اليه أمره ﴿ ان الملوك اذا دخلوا قرية ﴾ أى عنوة ﴿ افسدوها ﴾ أى خربوها ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ أى أهانوا أشرافها وكبراءها كى يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ أى كما قالت هى يفعلون وقيل هو من قولها وهو للتأكيد لما قالت ثم قالت ﴿ وانى مرسلة اليهم بهدية ﴾ أى الى سليمان وقومه أصانعه بها على ملكى وأختبره بها أملك هو أم نبى فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه فى دينه وهو قولها ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها فاهدت

وتشاورونى (قالوا نحن أولوا قوة) بالسلاح (وأولوا بأس شديد) القتال (والامر اليك) يقول أمرنا لامرك تبع (فانظرى ماذا تأمرين) حتى نفعل ماتأمرينا ثم نطقت بحكمة (قالت ان الملوك) ملوك الارض (اذا دخلوا قرية) عنوة بالحرب والقتال (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالضرب والقتل وغير ذلك (وكذلك يفعلون) قال الله كذلك يفعلون يعنى ملوك الارض بالكبرياء (وانى مرسلة اليهم) الى سليمان (بهدية فناظرة) فأنتظر (بم يرجع المرسلون) الرسل

عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا اعظم شأنه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق واخبر

وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت فى ايديهم أساور الذهب وفى اعناقهم أطواق الذهب وفى آذانهم أقرطة وشنوفا مرصعات انواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة يتيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحق قبل أن تفتحه واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل فى الخرزة خيطا من غير علاج أنس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلاظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك أمره ومنظره فانا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبى فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا لبن الذهب والفضة وان يخلوا مقدار تلك اللبنات التى معهم وأن يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أى دواب البر والبحر أحسن فقالوا يانبى الله ماراينا أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة واعراف ونواص قال على بها الساعة فأتوا بها قال شدوها بين عين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسى على يمين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين والوحش والطير والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان رأوا أول الامر الدواب التى لا يرى مثلها تروث فى لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم وخبؤا مامعهم من الهدايا وقيل ان سليمان

ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه فبعث خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعث رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما فى الحق واثقب الدرة ثقبا واسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وان رأيته بشاشا لطيفا فهو نبى فاقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كله فامر سليمان الجن فضربوا لبنات الذهب والفضة وفرشوها فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فامر الارضة

(فرش)

بماعليه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية ﴿ فلما جاء سليمان ﴾ أي الرسول أوما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا ﴿ قال أتمدونني بمال ﴾ خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء ﴿ فما آتاني الله ﴾ من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء وباسقاطها الباقون وبامالتها الكسائي وحده ﴿ خير مما آتاكم ﴾ فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي ﴿ بل انتم بهديتكم تفرحون ﴾ لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم أو بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على

فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال ابن الحق فاتى به فحركه فجاءه جبريل فاخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى ﴿ فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله ﴾ أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك ﴿ خير ﴾ أي أفضل ﴿ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ معناه أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى

رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أتمدونني بمال) بنونين واثبات الياء في الوصل والوقف مكي وسهل وافقهما مدني وأبو عمرو في الوصل أتمدوني حمزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل (فما آتاني الله) من النبوة والملك والنعمة وبفتح الياء مدني وأبو عمرو وحفص (خير مما آتاكم) من زخارف الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان ترد هي التي أهداها أو أهديت اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف

(فلما جاء سليمان) رسولها الى سليمان (قال) (قا و خا ٦٦ يع) سليمان (أتمدونن بمال) هدية (فما آتاني الله) أعطاني الله من الملك والنبوة (خير) أفضل (مما آتاكم) أعطاكم من المال (بل أنتم بهديتكم تفرحون) ان اردت

حالكم وما ارضى منكم بشيء ولاأفرح به الابالايمان وترك المجوسية والفرق بين قولك أتمدونني بمال وانا اغنى منكم وبين ان تقوله بالفاء انى اذاقلته بالواو جعلت مخاطبي عالما بزيادتي في الغنى وهومع ذلك يمدني بمال واذاقلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فانا اخبره الساعة بمالا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك مافعلت فانى غنى عنه وعليه ورد فما آتاني الله ووجه الاضراب انه لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهوانهم لايعرفون سبب

رضناولانفرح الان يهدي اليهم حظ من الدنيا التي لايعلمون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول اوالهدهد محملا كتابا آخر اليهم ائت بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) لاطاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لايقدرون أن يقابلوهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة وهم صاغرون) الذل ان يذهب عنهم ماكانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا في أسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هونبي ومالنا به طاقة ثم جعلت عرشها فى آخر سبعة أبيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك لانظر ما الذى تدعو اليه وشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) أراد أن يريها بذلك بعض ماخصه (انها) الله تعالى به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أوأراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه انها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أوأراد ان يؤتى به فينكر

حالهم فى تصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ﴿ ارجع ﴾ ايها الرسول ﴿ اليهم ﴾ الى بلقيس وقومها ﴿ فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ﴾ لاطاقة لهم بمقاومتها ولاقدرة بهم على مقاتلتها وقرئ بهم ﴿ ولنخرجنهم منها ﴾ من سبأ ﴿ اذلة ﴾ بذهاب ماكانوا فيه من العز ﴿ وهم صاغرون ﴾ اسراء مهانون ﴿ قال ياايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها ﴾ اراد بذلك ان يريها بعض ماخصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره ﴿ قبل ان يأتوني مسلمين ﴾ فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها

بعض وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتى لان الله قد أعطانى منها مالم يعط أحدا ومع ذلك أكرمنى بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد ﴿ ارجع اليهم ﴾ أى بالهدية ﴿ فلنأتينهم بجنود لاقبل ﴾ أى لاطاقة ﴿ لهم بها ولنخرجنهم منها ﴾ أى من أرض سبأ ﴿ أذلة وهم صاغرون ﴾ أى ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها أى من عند سليمان وبلغوها ماقال سليمان قالت والله لقد عرفت ماهذا بملك ومالنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما الذى تدعو اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته فى آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى لايخلص اليه أحد ثم أمرت مناديا ينادى فى أهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لايبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع وهجا قريبا منه قال ماهذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ﴾ قال ابن عباس يعنى طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان فى احضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم

اليكم (ارجع اليهم) بهديتهم (فلنأتينهم بجنود) بجموع (لاقبل لهم بها) لاطاقة لهم بها (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة) مغلولة ايديهم الى اعناقهم (وهم صاغرون) ذليلون (قال) سليمان (ياأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) بسريرها (قبل أن يأتونى مسلمين) مستسلمين مصالحين

ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها (قال عفريت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (وانى عليه) على حمله (لقوى أمين) آتى به كما هو لا آخذ منه شيأ ولا ابدله فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب) أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت أو جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو آصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الاصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب وهو ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام أو ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لااله الاأنت وقيل كان له علم بمجارى الغيوب الهاما (أنا آتيك به) بالعرش وآتيك فى الموضعين يجوز ان يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش فى مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل ان يرتد طرفه

(قال عفريت) شديد (من الجن) يقال له عمرو (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) من مجلسك للقضاء وكان مجلس قضائه الى انتصاف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوى أمين) على مافيه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة قال سليمان بل أريد أسرع من هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب) اسم الله الاعظم ياحى ياقيوم وهو آصف بن برخيا (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قبل أن يبلغ اليك الشئ الذى رأيته

﴿ قال عفريت ﴾ خبيث مارد ﴿ من الجن ﴾ بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا ﴿ انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك ﴾ مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار ﴿ وانى عليه ﴾ على حمله ﴿ لقوى أمين ﴾ لااختزل منه شيأ ولا ابدله ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب ﴾ آصف بن برخيا وزيره أو الخضر او جبريل أو ملك ايده الله به أو سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى ﴿ انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ﴾ للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو اراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له مالا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد

انها ان أسلمت يحرم عليه مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه لانه أعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد وقيل اراد أن يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ وهو المارد القوى وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أى مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له فى الغداة مجلس يقضى فيه الى متسع النهار وقيل نصفه ﴿ وانى عليه ﴾ أى على حمله ﴿ لقوى أمين ﴾ أى على مافيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب ﴾ قيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف ابن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بنى اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذى كلمه فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم أولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش مالا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذى دعا به ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحى ياقيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لااله الاأنت ائتنى بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الارض حتى نبع من بين يدى سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسى سليمان فقال ما قال ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ﴾ قال سليمان هات قال أنت النبى ابن النبى

(فلما رآه) أي العرش (مستقرا عنده) ثابتا لديه غير مضطرب (قال هذا) أي حصول مرادي وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف (من فضل ربي) على واحسانه الي بلا استحقاق مني بل هو فضل خالص من العوض صاف عن الغرض (ليبلوني أأشكر) ليمتحنني أأشكر انعامه (أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران

ويرتبط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر و استدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله تعالى متقلص عما قريب اذا أنت لم ترج لله وقارا أي لم تشكر لله نعمته (ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (وان ربي غني) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطي ما كان منا من الشكر فهو لنا و ما كان منه من النعمة فهو الينا وله المنة و الفضل علينا (قال نكروا لها عرشها) غيروا أي اجعلوا مقدمه مؤخره و أعلاه أسفله (ننظر) بالجزم على الجواب (أتهتدي) الى معرفة عرشها أو للجواب الصواب اذا سألت عنه (أم تكون من الذين لايهتدون

بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا ٭ لقلبك يوما اتعبتك المناظر

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه ﴿ فلما رآه ﴾ رأى العرش ﴿ مستقرا عنده ﴾ حاصلا بين يديه ﴿ قال ﴾ تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى ﴿ هذا من فضل ربي ﴾ تفضل به علي من غير استحقاق و لاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء ﴿ ليبلوني أأشكر ﴾ بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ﴿ أم أكفر ﴾ بان اجد نفسي في البين أو اقصر في اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء ﴿ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ﴾ لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ﴿ ومن كفر فان ربي غني ﴾ عن شكره ﴿ كريم ﴾ بالانعام عليه ثانيا ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ بتغيير هيئته وشكله ﴿ ننظر ﴾ جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف ﴿ أتهتدي ﴾ أم تكون من الذين لايهتدون ﴾ الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحرس

وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت ﴿ فلما رآه ﴾ يعني رأى سليمان العرش ﴿ مستقرا عنده ﴾ أي محولا اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿ قال هذا من فضل ربي ليبلوني ﴾ يعني التمكن من حصول المراد ﴿ أأشكر ﴾ أي نعمته علي ﴿ أم أكفر ﴾ فلا أشكرها ﴿ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ﴾ أي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ﴿ ومن كفر فان ربي غني ﴾ أي عن شكره لايضره ذلك الكفران ﴿ كريم ﴾ أي بالافضال عليه لايقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ يعني غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته قيل هو أن يزاد فيه أو ينقص منه وقيل انما يجعل أسفله اعلاه ويجعل مكان الجوهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر أحمر ﴿ ننظر أتهتدي ﴾ الى معرفة عرشها ﴿ أم تكون من الذين لايهتدون ﴾ الى معرفته وانما

من بعيد (فلما رآه مستقرا) ثابتا (عنده) يعني عرشها عنده (قال) لآصف (هذا من فضل ربي) من منة ربي (ليبلوني) ليختبرني (أأشكر) (ـ ـل) نعمته (أم أكفر) أم أترك شكر نعمته (ومن شكر) نعمته (فانما يشكر لنفسه) ثواب ربا (ومن كفر) ترك شكر نعمته (فان ربي غني) عن شكره (كريم) متجاوز لمن تاب لايعجل بالعقوبة (قال نكروا لها عرشها) غيروا سريرها فزيدوا فيه وانقصوا منه (ننظر أتهتدي) أتعرف (أم تكون من الذين لايهتدون)

فلما جاءت) بلقيس (قيل أهكذا عرشك) ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قالت كأنه هو) فاجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للامرين

اولما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك

﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ﴾ تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل ﴿ قالت كأنه هو ﴾ ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها ﴿ واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمه من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ماجاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ اى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام أو وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان ﴿ انها كانت من قوم كافرين ﴾

حمل سليمان على ذلك ماقال وهب و محمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى اليه اسرار الجن لان أمها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان و ذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح ﴿ فلما جاءت قيل ﴾ لها ﴿ أهكذا عرشك قالت كأنه هو ﴾ قيل انها عرفته و لكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لانها تركته في بيت عليه سبعة أبواب مغلقة و المفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت ﴿ وأوتينا العلم من قبلها ﴾ أي من قبل الآية في العرش ﴿ وكنا مسلمين ﴾ أي منقادين منطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أي بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبلها اى من قبل الآية في العرش وكنا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله * قوله تعالى ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ أى أى منعتها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه ﴿ انها كانت من قوم كافرين ﴾ أخبر الله أنها كانت من قوم

شبهت عليهم بقولها كانه هو مع انها علمت انه عرشها (واوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أي واوتينا العلم بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة اى احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكنا مسلمين) منقادين لك مطيعين لامرك أو من كلام سليمان وملائه عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ماجاء من عنده قبل علمها أو اوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أي وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (انها كانت من قوم كافرين) أو كلام

لا يعرفون (فلما جاءت قيل) قال لها سليمان (أهكذا عرشك) سريرك شبهوه عليها (قالت كأنه هو) شبهتموه على

(وأوتينا العلم من قبلها) فقال سليمان قد أعطاني الله بتغيير سريرها ومجيئه من قبل مجيئها (وكنا مسلمين) أى مخلصين من قبل مجيئها (وصدها) صرفها سليمان ويقال صرفها الله (ما كانت) عما كانت (تعبد من دون الله) يعني الشمس (انها كانت من قوم كافرين) المجوس

كلام مبتدأ أي قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل أو صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل (قيل لها ادخلى الصرح) أي القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) سأقيها بالهمزة مكي روى ان سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما

لامره وتحقيقا لنبوته وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد فقالوا لمان فى عقلها شيأ وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء فصرف بصره (قال) لها (انه صرح ممرد) مملس مستو ومنه الامرد (من قوارير) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فازالته فنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة الشمس (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) (ولا) قال المحققون لايحتمل أن يحتال سليمان لينظر الى ساقيها وهى اجنبية فلا يصح القول بمثله

وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول أى صدها نشوؤها بين اظهر الكفار أو التعليل له ﴿ قيل لها ادخلى الصرح ﴾ القصر وقيل عرصة الدار ﴿فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ﴾ روى انه أمر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماءا راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير براوية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق واسؤق ﴿قال انه﴾ ان ماتظنينه ماء ﴿صرح ممرد﴾ مملس ﴿ من قوارير ﴾ من الزجاج ﴿قالت رب انى ظلمت نفسى﴾ بعبادتى الشمس وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة ﴿واسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾

يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس ﴿قيل لها ادخلى الصرح﴾ وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش وأراد أن ينظر الى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهما لما اخبرته الجن ان رجليها كحافر حمار وهى شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء والقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره فى صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت فى الوصفاء والوصائف فلما جلس على السرير دعا بلقيس ولما جاءت قيل لها ادخلى الصرح ﴿ فلما رأته حسبته لجة ﴾ أى ماء عظيما ﴿ وكشفت عن ساقيها ﴾ لتخوض الماء الى سليمان فاذا هى أحسن النساء ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها ﴿ قال انه صرح ممرد ﴾ أى مملس ﴿ من قوارير ﴾ زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة ﴿ قالت رب انى ظلمت نفسى ﴾ بعبادة غيرك ﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ أى أخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت فى نفسها ان سليمان يريد أن يغرقنى وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب انى ظلمت نفسى بذلك الظن واختلفوا فى أمر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر فى الكتاب

(قيل لها ادخلى الصرح) القصر (فلما رأته حسبته لجة) ماء غمرا يعنى كثيرا (وكشفت) رفعت ثيابها (عن ساقيها قال) لها سليمان (انه صرح) قصر (ممرد) أملس (من قوارير) تحته ماء فلا تخافى واعبرى عليه (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادتى الشمس (وأسلمت مع سليمان) على يدى سليمان (لله رب العالمين) سيد الجن والانس

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) فى النسب (صالحا) بدل (أن اعبدوا الله) بكسر النون فى الوصل عاصم وحمزة وبصرى وبضم النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله وحدوه (فاذا) (هم) مبتدأ (فريقان)

خبر (يختصمون) صفة وهى العامل فى اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معى وهو مبين فى قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب الذى توعدون (قبل الحسنة) قبل التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم (لعلكم ترحمون) بالاجابة (قالوا اطيرنا بك) تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى

فيما امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها أو زوجها من ذى تبع ملك همدان ﴿ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله﴾ بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء ﴿فاذاهم فريقان يختصمون﴾ ففاجأوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين ﴿قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا ﴿قبل الحسنة﴾ قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ ﴿لولا تستغفرون الله﴾ قبل نزوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ بقبولها فانها لاتقبل حينئذ ﴿قالوا اطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿بك﴾

ولا فى خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره مارأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة انى لم يمسنى حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لاندرى فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهى سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها فى كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك اياه فقالت ومثلى يانبى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قومى الملك والسلطان قال نعم انه لايكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك أن تحرمى ما أحل الله قالت فان كان ولابد فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن و ملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة ملك الجن و قال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد الى أن مات سليمان وحال الحول و علم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذى تبع وملك بلقيس وبقى الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ﴿ قوله عز وجل ﴿ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله﴾ أى وحدوه لاتشركوا به شيأ ﴿فاذاهم فريقان﴾ أى مؤمن وكافر ﴿يختصمون﴾ أى فى الدين كل فريق يقول الحق معنا ﴿قال﴾ يعنى صالحا للفريق المكذب ﴿ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ أى بالبلاء والعقوبة ﴿قبل الحسنة﴾ أى العافية والرحمة ﴿لولا﴾ أى هلا ﴿تستغفرون الله﴾ أى بالتوبة اليه من الكفر ﴿لعلكم ترحمون﴾ أى لاتعذبون فى الدنيا ﴿قالوا اطيرنا﴾ أى تشاءمنا ﴿بك﴾

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم) نبيهم (صالحا أن اعبدوا الله) ان قل لهم وحدوا الله وتوبوا اليه من الكفر والشرك (فاذاهم فريقان) فصاروا فرقتين مؤمنة وكافرة (يختصمون) يتخاصمون فى الدين (قال) صالح للفرقة الكافرة (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب (قبل الحسنة) قبل العافية والرحمة (لولا تستغفرون الله) هلا تتوبون من الشرك والكفر وتوحدون الله (لعلكم ترحمون) لكى ترحموا فلا تعذبوا (قالوا اطيرنا بك)

الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء (ومن معك) من المؤمنين (قال طائركم عندالله) أى سببكم الذى يجىء منه خيركم وشركم عندالله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب عندالله فانما نزل بكم مانزل عقوبة لكم وفتنة ومنه كل انسان ألزمناه طائره فى عنقه وأصله ان المسافر اذا مر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيامن واذا مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون وتعذبون بدينكم (وكان فى المدينة) مدينة ثمود وهى الحجر (تسعة رهط) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكأنه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة الى العشرة وعن أبى دؤاد رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا أبناء أشرافهم (يفسدون فى الارض ولا يصلحون) يعنى ان شأنهم الافساد البحت لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا تقاسموا بالله) تحالفوا خبر فى محل الحال باضمار قد أى قالوا متقاسمين أو امر أى أمر بعضهم بعضا بالقسم (لنبيتنه) لنقتلنه بياتا أى ليلا (وأهله) ولده و تبعه (ثم لنقولن لوليه) لولى دمه لتبيتنه بالتاء وبضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة و على (ماشهدنا) ماحضرنا (مهلك اهله) حفص مهلك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالاول (و)

ومن معك ﴾ اذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم ﴿ قال طائركم ﴾ سببكم الذى جاء منه شركم ﴿ عندالله ﴾ وهو قدره او عملكم المكتوب عنده ﴿ بل انتم قوم تفتنون ﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ماهو الداعى اليه ﴿ وكان فى المدينة تسعة رهط ﴾ تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة أو السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة ﴿ يفسدون فى الارض ولا يصلحون ﴾ أى شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح ﴿ قالوا ﴾ اى قال بعضهم لبعض ﴿ تقاسموا بالله ﴾ امر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا باضمار قد ﴿ لنبيتنه واهله ﴾ لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ﴿ ثم لنقولن ﴾ فيه القراآت الثلاث ﴿ لوليه ﴾ لولى دمه ﴿ ماشهدنا مهلك اهله ﴾ فضلا ان تولينا

ومن معك ﴾ قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك ﴿ قال طائركم عندالله ﴾ أى مايصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمى طائرا لانه لاشئ أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذى اتاكم من عندالله بكفركم وقيل طائركم أى عملكم عندالله سمى طائرا لسرعة صعوده الى السماء ﴿ بل أنتم قوم تفتنون ﴾ قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون * قوله تعالى ﴿ وكان فى المدينة ﴾ يعنى مدينة ثمود وهى الحجر ﴿ تسعة رهط ﴾ يعنى من أبناء أشرافهم ﴿ يفسدون فى الارض ﴾ أى بالمعاصى ﴿ ولا يصلحون ﴾ أى لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف ﴿ قالوا تقاسموا بالله ﴾ يعنى يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم ﴿ لنبيتنه ﴾ أى لنقتلنه ليلا ﴿ أهله ﴾ يعنى قومه الذين آمنوا معه ﴿ ثم لنقولن لوليه ﴾ أى لولى دمه ﴿ ماشهدنا ﴾ أى ماحضرنا ﴿ مهلك أهله ﴾ أى ماندرى من قتله ولا اهلاك أهله

تشاء منا بك (ومن معك) من قومك يعنون شدتنا من شؤمك ومن شؤم من آمن بك (قال) صالح (طائركم) شدتكم ورخاؤكم (عندالله) من عندالله (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بالشدة والرخاء ويقال تخذلون ولا توفقون (وكان فى المدينة تسعة رهط) نفر من الفساق من أبناء رؤسائهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وأصحابهما (يفسدون فى الارض) بالمعاصى (ولا يصلحون) لا يأمرون بالصلاح ولا يعملون به (قالوا تقاسموا بالله) يقول توافقوا وتحالفوا بالله ثم قال (لنبيتنه وأهله) لندخلن عليه وعلى أهله ليلا ولنقتلنه وأهله (ثم لنقولن لوليه) لورثته وقرابته (ماشهدنا مهلك أهله) قتل صالح

موضع الهلاك والثانى المصدر مهلك غيرهم من أهلك وهوالاهلاك أو مكان الاهلاك أى لم نتعرض لاهله فكيف
تعرضنا له أوماحضرنا موضع اهلاكه فكيف توليناه (وانا الصادقون) فيما ذكرنا (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون)
مكرهم ما أحضروه من تدبير القتل لصالح وأهله ومكرالله اهلاكهم من حيث لايشعرون شبه بمكرالماكر على سبيل
الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن
نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث فخرجوا

الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه

اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قدجاء مصدراء كمرجع وقرأ أبوبكر بالفتح فيكون مصدرا ﴿وانا لصادقون﴾ ونحلف انا الصادقون أو والحال انا الصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشرله عرفا أو لانا ماشهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك مارأيت ثمة رجلا بل رجلين ﴿ومكروا مكرا﴾ بهذه المواضعة ﴿ومكرنا مكرا﴾ بان جعلناها سببا لاهلاكهم ﴿وهم لايشعرون﴾ بذلك روى انه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثالث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله ﴿ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انادمرناهم وقومهم اجمعين ﴾ وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانادمرناهم استئناف أو خبر محذوف لاخبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انادمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبرله وكيف حال ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ خالية من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم ﴿ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون﴾ فيتعظون ﴿ وانجينا الذين آمنوا ﴾ صالحا ومن معه ﴿ وكانوا يتقون ﴾ الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة

ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم فى مكانه و نجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انادمرناهم) بفتح الالف كوفى وسهل و بكسرها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هى تدميرهم أو نصبه على معنى لانا أو على أنه خبر كان أى فكان عاقبة مكرهم الدمار (وقومهم أجمعين) بالصيحة (فتلك بيوتهم خاوية) ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط أو خالية من الخواء وهى حال عمل فيها مادل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان فى ذلك) فيما فعل بثمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون (قاو خا ٦٧ بع) (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك أوامره وكانوا

﴿ وانا لصادقون ﴾ أى فى قولنا ماشاهدنا ذلك ﴿ ومكروا مكرا ﴾ أى غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح وأهله ﴿ومكرنا مكرا﴾ أى جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب ﴿ وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنادمرناهم ﴾ أى اهلكناهم أى التسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فأتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم وسيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة ﴿ وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾ أى بظلمهم وكفرهم ﴿ ان فى ذلك لآية ﴾ أى لعبرة ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى قدرتنا ﴿ وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

صالح وأهله (وانا لصادقون) يصدقوننا فى قولنا ولا يردقولنا أحد (ومكروا مكرا) أرادوا قتل صالح ومن آمن معه (ومكرنا مكرا) أردنا قتلهم (وهم لايشعرون) بمكرنا ويقال قتلتهم الملائكة فى دار صالح بالحجارة وهم لايشعرون من الملائكة (فانظر) يامحمد (كيف كان عاقبة مكرهم) عقوبة مكرهم بصالح (أنا دمرناهم) أهلكناهم بالحجارة (وقومهم أجمعين) وأهلكنا قومهم أجمعين (فتلك بيوتهم خاوية) خالية ساقطة (بما ظلموا) أشركوا (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآية) لعلامة وعبرة (لقوم يعلمون) يصدقون ما فعل بهم (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) الكفر والشرك

﴿ولوطا﴾ واذكر لوطا أو وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه ﴿اذ قال لقومه﴾ بدل على الاول ظرف على الثانى ﴿أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون﴾ تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح أو يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون الفحش ﴿ائنكم لتأتون الرجال شهوة﴾ بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة فى المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر ﴿من دون النساء﴾ اللاتى خلقن لذلك ﴿بل انتم قوم تجهلون﴾ تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطب

يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف ✱ قوله تعالى ﴿ ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ أى الفعلة القبيحة ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ أى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم ﴿ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ﴾ ✱فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا ✱قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها

من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها فى ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وانهماكا فى المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال (أئنكم) بهمزتين كوفى وشامى (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أى ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر والانثى للانثى فهو مضادة لله فى حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة فى قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى اذ الاصل أن يكون الكلام بين الحاضرين

والفواحش وقتل الناقة (ولوطا) أرسلنا لوطا الى قومه (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) اللواط (وأنتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة (أئنكم لتأتون الرجال) أدبار الرجال (شهوة) اشتهاء لكم (من دون النساء) من فروج النساء (بل أنتم قوم تجهلون) أمر الله

(فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى لوطا ومتبعيه فخبر كان جواب واسمه أن قالوا (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وقيل هو استهزاء كقوله انك لانت الحليم الرشيد (فانجيناه) فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهله الا امرأته قدرناها) بالتشديد سوى حماد وأبى بكر أى قدرنا كونها (من الغابرين) من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم فى كل امر ذى بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما او هو خطاب للوط عليه السلام بان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من

الجزء العشرون

الا ام اجعلنا من المتطهرين

﴿ فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون ﴾ يتنزهون عن افعالنا أو عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا ﴿ فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين ﴾ قدرنا كونها من الباقين فى العذاب ﴿ وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾ مر مثله ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ امر رسوله عليه السلام بعد ماقص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وماخص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من

﴿ فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون ﴾ يعنى من أدبار الرجال ﴿ فانجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين ﴾ أى قضينا عليها بان جعلناها من الباقين فى العذاب ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ أى الحجارة ﴿ فساء ﴾ أى فبئس ﴿ مطر المنذرين ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله

(فما كان جواب قومه) فلم يكن جواب قومه (الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) لوطا وابنتيه زعورا وربا (من قريتكم) سدوم (انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله) ابنتيه (الا امرأته) المنافقة (قدرناها من الغابرين) يقول قدرنا عليها ان تكون من المتخلفين بالهلاك (وأمطرنا عليهم) على شذاذهم ومسافريهم (على (مطرا) حجارة (فساء) فبئس (مطر المنذرين) من أنذرهم لوط فلم يؤمنوا (قل) يا محمد (الحمد لله) الشكر والمنة لله على هلاكهم (وسلام) سعادة وسلامة (على عباده الذين اصطفى) اختارهم الله بالنبوة ويقال اصطفاهم الله بالاسلام وهم أمة محمد صلى الله عليه

ذنوبهم (آلله خير أما يشركون) بالياء بصري وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيأ على شئ الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل

وأكرم ثم ﴿ سورة النمل ﴾ عدد سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم فى أما يشركون وأمن خلق السموات أن تلك متصلة اذ المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ (وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فأنبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده (به) بالماء (حدائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة

عبيده شكرا على ما انعم عليه وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين أو لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك ﴿ آلله خير أما يشركون ﴾ الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء ﴿ أمن ﴾ بل أمن ﴿ خلق السموات والارض ﴾ التى هى اصول الكائنات ومبادى المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله ﴿ وانزل لكم ﴾ لاجلكم ﴿ من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾ عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ﴿ ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ﴾ شجر الحدائق وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة

على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين ﴿ آلله خير أما يشركون ﴾ فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده أم الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لاغنائه عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيأ عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته ❁ والنوع الاول قوله تعالى ﴿ أمن خلق السموات والارض ﴾ ذكر أعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى آلاصنام خير أم الذى خلق السموات والارض ❁ ثم ذكر نعمه فقال ﴿ وأنزل لكم من السماء ماء ﴾ يعنى المطر ﴿ فانبتنا به حدائق ﴾ أى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة ﴿ ذات بهجة ﴾ أى ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ يعنى ما ينبغى لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بان أغرسها وأسقيها الماء فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة

وسلم (آلله خير) قل يا محمد لاهل مكة أعبادة الله أفضل (أما يشركون) اما عبادة ما يشركون بالله من الاوثان (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فانبتنا به) بالمطر (حدائق) بساتين ما أحيط عليها من النخل والشجر (ذات بهجة) ذات منظر حسن (ما كان لكم) مقدرة (أن تنبتوا شجرها) شجر

الانبغاء أراد ان تأتى ذلك محال من غيره (أأله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له (بل هم قوم يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم (أمن جعل الارض) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (وجعل خلالها) ظرف أى وسطها وهو المفعول الثانى والاول (أنهارا) وبين البحرين مثله (وجعل لها) للارض (رواسى) جبالا تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذاب والمالح (حاجزا) مانعا ان يختلطا (أأله مع الله بل أكثرهم لايعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) الاضطرار افتعال من الضرورة وهى الحالة المحوجة الى اللجا يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض او فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله او المذنب اذا استغفر أو المظلوم اذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضر أو الجور (ويجعلكم خلفاء الارض) أى فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط

﴿ أأله مع الله ﴾ أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ آالها باضمار فعل مثل اتدعون أو اتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين ﴿ بل هم قوم يعدلون ﴾ عن الحق الذى هو التوحيد ﴿ أمن جعل الارض قرارا ﴾ بدل من من خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها ﴿ وجعل خلالها ﴾ اوساطها ﴿ انهارا ﴾ جارية ﴿ وجعل لها رواسى ﴾ جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع ﴿ وجعل بين البحرين ﴾ العذب والمالح أو خليجى فارس والروم ﴿ حاجزا ﴾ برزخا وقدمر بيانه فى الفرقان ﴿ أأله مع الله بل اكثرهم لايعلمون ﴾ الحق فيشركون به ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ المضطر الذى احوجه شدة مابه الى الالتجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ﴿ ويكشف السوء ﴾ ويدفع عن الانسان مايسوءه ﴿ ويجعلكم خلفاء الارض ﴾

والزروع تسقى بماء واحد لايقدر عليه الا الله تعالى ولا يتأتى لاحد وأن يأتى ذلك لغيره محال ﴿ أأله مع الله ﴾ يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه ﴿ بل ﴾ يعنى ليس معه اله ولا شريك ﴿ هم قوم ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ يعدلون ﴾ يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل * النوع الثانى قوله عز وجل ﴿ أمن جعل الارض قرارا ﴾ أى دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لاتميد باهلها ﴿ وجعل خلالها أنهارا ﴾ أى وسطها بانهار تطرد بالمياه ﴿ وجعل لها رواسى ﴾ أى جبالا ثوابت ﴿ وجعل بين البحرين ﴾ يعنى العذب والملح ﴿ حاجزا ﴾ أى مانعا لايختلط أحدهما بالآخر ﴿ أأله مع الله بل أكثرهم لايعلمون ﴾ أى توحيد ربهم وقدرته وسلطانه * النوع الثالث قوله تعالى ﴿ أمن يجيب المضطر ﴾ أى المكروب المجهود وقيل المضرور بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر يعنى اذا نزلت باحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر ﴿ اذا دعاه ﴾ يعنى فيكشف ضره ﴿ ويكشف السوء ﴾ أى الضر لانه لايقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذى لايعجز والقاهر الذى لايغلب ولا ينازع ﴿ ويجعلكم خلفاء الارض ﴾ اى سكانها وذلك انه ورثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن فى الارض

البساتين (أأله مع الله) سوى الله فعل ذلك (بل هم قوم يعدلون) به الاصنام (أمن جعل الارض قرارا) (أأله) مسكنا (وجعل خلالها أنهارا) وسطها أنهارا (وجعل لها) للارض (رواسى) الجبال الثوابت أوتادا لها (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا لايختلطان (أأله مع الله) سوى الله فعل ذلك (بل أكثرهم لايعلمون) لايصدقون (أمن يجيب المضطر) فى البلاء (اذا دعاه) بدفع البلا (ويكشف السوء) بدفع البلاء (ويجعلكم خلفاء الارض) سكان الارض بعد هلاك أهلها

أأله مع الله قليلا ماتذكرون)وبالياء أبوعمرو وبالتخفيف حمزة وعلى وحفص ومامزيدة أى تذكرون تذكرا قليلا(أمن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (فى ظلمات البر والبحر) ليلا وبعلامات فى الارض نهارا(ومن يرسل الرياح)الريح مكى وحمزة وعلى (بشرا) من البشارة وقدمر فى الاعراف (بين يدى رحمته) قدام المطر (أأله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق) ننشأ الخلق (ثم ﴿ يعيده) واناعاقيل لهم ثم { } يعيده وهم منكرون للاعادة

خلفاء فيها بان ورثكم سلكناها والتصرف فيها ممن قبلكم ﴿ أأله مع الله ﴾ الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة ﴿ قليلا ماتذكرون ﴾ اى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابوعمرو وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وبتخفيف الذال ﴿ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ﴾ بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى اضافها الى البر والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لامنار بها ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ يعنى المطر ولو صح ان السبب الاكثرى فى تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلاشك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب ﴿ أأله مع الله ﴾ يقدر على مثل ذلك ﴿ تعالى الله عما يشركون ﴾ تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق ﴿ أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ﴿ ومن يرزقكم من السماء والارض ﴾ أى باسباب سماوية وارضية ﴿ أأله مع الله ﴾ يفعل ذلك ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ان غيره يقدر على شئ من ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية ﴿ قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ﴾ لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ماهو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم او متصل

﴿ أأله مع الله قليلا ماتذكرون ﴾ أى تتعظون ﴿ النوع الرابع قوله عزوجل ﴿ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ﴾ أى يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين فى البر والبحر ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ أى قدام المطر ﴿ أأله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ ﴿ النوع الخامس قوله تعالى ﴿ أمن يبدؤ الخلق ﴾ أى نطفا فى الارحام ﴿ ثم يعيده ﴾ بعد الموت ﴿ ومن يرزقكم من السماء والارض ﴾ أى من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات ﴿ أأله مع الله قل هاتوا برهانكم ﴾ أى حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ ﴿ قوله تعالى ﴿ قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ﴾ نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذى يعلم الغيب وحده

لانه أزيحت عللهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار (ومن يرزقكم من السماء) أى المطر (والارض) أى ومن الارض النبات (أأله مع الله قل هاتوا برهانكم) حجتكم على اشراككم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم ان مع الله الها آخر (قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو مالم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل من من والمعنى لايعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يتعالى على ان يكون ممن فى السموات والارض ولكنه جاء على لغة بنى تميم

(أأله مع الله) سوى الله فعل ذلك (قليلا ماتذكرون) ماتتعظون قليلا ولا كثيرا (أمن يهديكم) ينجيكم (فى ظلمات البر والبحر) من شدائد البر والبحر اذا سافرتم (ومن يرسل الرياح بشرا) طيبة (بين يدى رحمته) قدام المطر (أأله مع الله) سوى الله فعل ذلك(تعالى الله) تبرأ الله (عما يشركون) به من الاوثان (أمن يبدؤ الخلق) يبتدئه من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أأله مع الله) سوى الله فعل ذلك (قل هاتوا برهانكم) حجتكم (ان كنتم صادقين) ان مع الله آلهة شتى (قل)يا محمد لاهل مكة (لايعلم من فى السموات) من الملائكة (والارض) من الخلق(الغيب) متى قيام الساعة و نزول العذاب (الا الله

حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في الدار أحد الاحمار وقالت عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيان) متى (يبعثون) ينشرون (بل ادرك) مكي وبصري ويزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك عن الاعشى افتعل بل ادارك غيرهم استحكم وأصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد ألف الوصل ليمكن التكلم بها (علمهم في الآخرة) أي في شأن الآخرة ومعناها والمعنى ان أسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها عمون) والاضرابات ثلاث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم أولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا أبلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تداركه بنو فلان اذا تتابعوا

على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولى العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف ﴿ وما يشعرون ايان يبعثون ﴾ متى ينشرون مركبة من اى وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة ﴿ بل ادرك علمهم في الآخرة ﴾ لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآل لهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي ﴿ بل هم في شك منها ﴾ كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا ﴿ بل هم منها عمون ﴾ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك بالف بينهما وبل ادرك وبل اتدارك وبلى ادرك وبلى آأدرك وام ادرك

ويعلم متى تقوم الساعة ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ يعني ان من في السموات وهم الملائكة ومن في الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك ﴿ بل ادارك علمهم ﴾ اي بلغ ولحق علمهم ﴿ في الآخرة ﴾ هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى ﴿ بل هم في شك منها ﴾ أي هم اليوم في شك من الساعة ﴿ بل هم منها عمون ﴾ جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في

وما يشعرون) وما يعلم الخلق (أيان يبعثون) متى يبعثون من القبور (بل ادارك علمهم في الآخرة) يقول اجتمع علمهم على ان الآخرة تكون (بل هم في شك منها) من قيام الساعة (بل هم منها) من قيام الساعة (عمون)

في الهلاك ﴿ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ من قبورنا أحياء وتكرير حرف الاستفهام في إذا وإنا في قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل في إذا ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج لان اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو ان أو لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جرى مجرى التوكيد أي البعث ﴿ نحن وآباؤنا من قبل ﴾ من قبل محمد صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفي المؤمنين نحن وآباؤنا على هذا ليدل على ان المقصود بالذكر هو البعث هنا وثمة المبعوثون ﴿ ان هذا الا أساطير الاولين ﴾ ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ أي آخر أمر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيآتهم أغرقوا ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا ﴿ ولا تكن في ضيق ﴾ في حرج صدر ﴿ مما يمكرون ﴾ من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وهو قراءة (قا و خا ٦٨ بع) غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾

وأم تبارك وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فانكار وما فيه بل فاثبات لشعورهم وتفسيره بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم ﴿ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث أو من حال الفناء الى الحياة *وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون بنونين على الخبر ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ﴾ من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام ﴿ ان هذا الا أساطير الاولين ﴾ التي هي كالاسمار ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ على تكذيبهم واعراضهم ﴿ ولا تكن في ضيق ﴾ في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق ﴿ مما يمكرون ﴾ من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ العذاب الموعود

الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا * قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أي مشركو مكة ﴿ أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ أي من قبورنا أحياء ﴿ لقد وعدنا هذا ﴾ أي هذا البعث ﴿ نحن وآباؤنا من قبل ﴾ أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشيء ﴿ ان هذا ﴾ أي ما هذا ﴿ الا أساطير الاولين ﴾ أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ﴾ أي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك ﴿ ولا تكن في ضيق مما يمكرون ﴾ نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا اعقاب مكة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد

عمي لا يبصرون ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ كفار مكة ﴿ أئذا كنا ﴾ صرنا ﴿ ترابا ﴾ رميما ﴿ وآباؤنا ﴾ قبلنا ﴿ أئنا لمخرجون ﴾ من القبور لمحيون ﴿ لقد وعدنا هذا ﴾ الذي تعدنا ﴿ نحن وآباؤنا من قبل ﴾ من قبلنا ﴿ ان هذا ﴾ ما هذا الذي تعدنا يا محمد ﴿ الا أساطير الاولين ﴾ أحاديث الاولين ﴿ قل ﴾ يا محمد لاهل مكة ﴿ سيروا ﴾ سافروا ﴿ في الارض فانظروا ﴾ فاعتبروا ﴿ كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ آخر أمر المشركين ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ يا محمد ان لم يؤمنوا ويقال ولا تحزن عليهم بالهلاك ﴿ ولا تكن في ضيق ﴾ ولا تضيق صدرك يا محمد ﴿ مما يمكرون ﴾ مما يقولون ويصنعون ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ الذي تعدنا

أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالمكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم و ازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وحده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده (وان ربك لذو فضل) أي افضال (على الناس) بترك المعاجلة بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم

ليعلم ما تكن) تخفي (صدورهم وما يعلنون) يظهرون من القول فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر أو انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال كننت الشيء وأكننته اذا استرته وأخفيته (ومامن غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما كالتاء في العافية والعاقبة ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية كانه قال ومامن شيء شديد الغيبوبة الاوقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) ... اختلفوا في المسيح فتحزبوا

﴿ ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم ﴾ تبعكم ولحقكم واللام فيه مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ بعض الذي تستعجلون ﴾ حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ﴾ بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل ﴿ ولكن اكثرهم لا يشكرون ﴾ لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوعه ﴿ وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم ﴾ ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت ﴿ ومايعلنون ﴾ من عداوتك فيجازيهم عليه ﴿ ومامن غائبة في السماء والارض ﴾ خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة ﴿ الا في كتاب مبين ﴾ بين أو مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح أو القضاء على الاستعارة ﴿ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾

ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف ﴾ أي دنا وقرب ﴿ لكم ﴾ وقيل معناه ردفكم ﴿ بعض الذي تستعجلون ﴾ أي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر ﴿ قوله عز وجل ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ﴾ يعني على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ أي ذلك ﴿ وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم ﴾ أي تخفي ﴿ وما يعلنون ﴾ أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وما من غائبة ﴾ أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشيء غائب ﴿ في السماء والارض الا في كتاب مبين ﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل ﴾ أي يبين لهم ﴿ أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ أي من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض نزل القرآن

يا محمد (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين ... لكم) قرب لكم (بعض الذي تستعجلون) ... العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تأخير العذاب ... والعداوة (وما يعلنون) ما يظهرون من الكفر ... السماء والارض (الا في كتاب مبين) الا مكتوب ... اسرائيل) يبين لبني اسرائيل اليهود والنصارى (أكثر الذي هم فيه يختلفون) كل الذي هم

فيه احزابا ووقع بينهم التناكر فى اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان مااختلفوا فيه لوانصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين) لمن انصف منهم وآمن اى من بنى اسرائيل اومنهم ومن غيرهم (ان ربك يقضى بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (بحكمه) بعدله لانه لايقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين (فتوكل على الله) امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين

وعلل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح الذى لايتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته (انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم) لما كانوا لايعون مايسمعون ولابه ينتفعون شبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس و بالصم الذين ينعق بهم فلايسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولايقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى ثم اكد حال الصم بقوله اذا و لوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعى بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا فى الروم ومالانت تهدى العمى وكذا فى الروم حمزة (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا)

كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح ﴿ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ فانهم المنتفعون به ﴿ ان ربك يقضى بينهم ﴾ بين بنى اسرائيل ﴿ بحكمه ﴾ بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه ﴿ وهو العزيز ﴾ فلا يرد قضاؤه ﴿ العليم ﴾ بحقيقة مايقضى فيه وحكمه ﴿ فتوكل على الله ﴾ ولاتبال بمعاداتهم ﴿ انك على الحق المبين ﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره ﴿ انك لاتسمع الموتى ﴾ تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع مايتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله ﴿ ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد * وقرأ ابن كثير ولايسمع الصم الدعاء ﴿ وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ حيث الهداية لاتحصل الا بالبصر وقرأ حمزة ومالانت تهدى العمى ﴿ ان تسمع ﴾ اى مايجدى اسماعك ﴿ الامن يؤمن بآياتنا ﴾ من هو فى علم الله كذلك

ببيان مااختلفوا فيه ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم ﴾ أى يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين فى الدين يوم القيامة ﴿ بحكمه ﴾ أى الحق ﴿ وهو العزيز ﴾ الممتنع الذى لايرد له أمر ﴿ العليم ﴾ أى باحوالهم فلايخفى عليه شئ منها ﴿ فتوكل على الله ﴾ أى فثق به ﴿ انك على الحق المبين ﴾ أى البين ﴿ انك لاتسمع الموتى ﴾ يعنى موتى القلوب وهم الكفار ﴿ ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ أى معرضين * فان قلت مامعنى مدبرين والاصم لايسمع صوتا سواء أقبل أوأدبر * قلت هو تأكيد ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أى يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذى لاسبيل الى سماعه وكالاصم الذى لايسمع ولايفهم ﴿ وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ معناه ماأنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان ﴿ ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا ﴾ الا من يصدق بالقرآن أنه من الله

فيه فى الدين يختلفون (وانه) يعنى القرآن (لهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (للمؤمنين) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان ربك يقضى بينهم) بين اليهود والنصارى (بحكمه) وقضائه يوم القيامة (وهو العزيز) بالنقمة منهم (العليم) بهم وبعقوبتهم (فتوكل) ياحمد (على الله انك على الحق المبين) على الدين الظاهر وهو الاسلام (انك) يامحمد (لاتسمع الموتى) بالقلوب ويقال كأنه ميت (ولاتسمع الصم) بالقلوب ويقال المتصامم (الدعاء) دعوتك الى الحق والهدى (اذا ولوا) أعرضوا (مدبرين) عن الحق والهدى (وماأنت) يامحمد (بهادى العمى عن ضلالتهم) الى الهدى (ان تسمع) ماتسمع دعوتك (الا من يؤمن بآياتنا) بكتابنا ورسولنا

﴿ فهم مسلمون ﴾ مخلصون من اسلم وجهه لله ﴿ واذا وقع القول عليهم ﴾ اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب ﴿ اخرجنا لهم دابة من الارض ﴾ وهى الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انه عليه الصلاة والسلام سئل من مخرجها فقال

﴿ فهم مسلمون ﴾ أى مخلصون ﴿ قوله تعالى ﴿ واذا وقع القول عليهم ﴾ يعنى اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك فى آخر الزمان قبل قيام الساعة ﴿ اخرجنا لهم دابة من الارض ﴾ (م) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبتها والاخرى على أثرها قريبا ٥ عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج دابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ٥ وروى البغوى باسناده عن الثعلبى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر تخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم بينا الناس يوما فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعنى المسجد الحرام لم يرعهم الا وهى فى ناحية المسجد تدنو وتربو [illegible] وما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج [illegible] فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم [illegible] رأسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكوكب الدرى ثم ولت فى الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب [illegible] فيعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلى [illegible] فتسمه فى وجهه فيتجاور الناس فى ديارهم ويصطحبون فى [illegible] فى الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر [illegible] الثعلبى عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة [illegible] من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة [illegible] المسلمون اذ تضطرب الارض وتنشق [illegible] ما يخرج منها رأسها لمعة ذات وبر وريش [illegible] الناس مؤمنا وكافرا فاما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درى [illegible]

اى ما يجدى اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته اى يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعنى جعله سالما لله خالصا له (واذا وقع القول عليهم) سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة (اخرجنا لهم دابة من الارض)

(فهم مسلمون) مخلصون بالعبادة والتوحيد (واذا وقع) وجب (القول عليهم) بالسخط والعذاب (أخرجنا لهم دابة من الارض) بين الصفا والمروة رأس عصا موسى ويقال لها عصا موسى

تكلمهم) هى الجساسة فى الحديث طولها ستون ذراعا لايدركها طالب ولايفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا

من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام ﴿ تكلمهم ﴾ من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم فى انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ﴿ ان الناس كانوا بآياتنا ﴾ خروجها وسائر أحوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن ﴿ لا يوقنون ﴾ لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله أو علة خروجها أو تكلمها وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح على حذف الجار ﴿ ويوم نحشر من كل امة فوجا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ممن يكذب بآياتنا ﴾ بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبى واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ﴿ حتى اذا جاؤا ﴾ الى المحشر

وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قال قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يارسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها فى الارض وروى عن على قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير تخبر من رآها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون ﴿ تكلمهم ﴾ أى بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى ﴿ ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ تخبر الناس عن أهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزى سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر قوله تعالى ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾ أى نحشر من كل قرن جماعة ﴿ ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴾ أى يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار ﴿ حتى اذا جاؤا ﴾ يعنى يوم القيامة

فتكلمهم بالعربية فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أى لا يوقنون بخروجى لان خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام أو بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح أن كوفى وسهل على حذف الجار أى تكلمهم بان وغيرهم كسروا لان الكلام بمعنى القول أو باضمار القول أى تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من للتبعيض أى واذكر يوم نجمع من كل أمة من الامم زمرة (ممن يكذب) من للتبيين (بآياتنا) المنزلة على أنبيائنا (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب

(تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا) بآيات ربنا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال بخروج الدابة (لا يوقنون) لا يصدقون وان رأت منصب الناس تضربهم وتجرحهم (ويوم) وهو يوم القيامة (نحشر من كل أمة) من كل أهل دين (فوجا) جماعة (ممن يكذب بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (فهم يوزعون) فول يحبس أولهم على آخرهم (حتى اذا جاؤا)

والسؤال (قال) لهم تعالى تهديدا (أكذبتم بآياتي) المنزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال كأنه قال أكذبتم بآياتي بادئ الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن

النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الابصار للنهار وهو لاهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه لم يعلموا أنا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولابد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلابد من دار أخرى للثواب والعقاب (ويوم) واذكر يوم (ينفخ في الصور) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ اسرافيل عليه السلام (ففزع من في السموات ومن في الارض) اختير فزع على يفزع

﴿قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما﴾ الواو للحال أي أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو التكذيب أو للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ﴿ووقع القول عليهم﴾ حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله ﴿فهم لا ينطقون﴾ باعتذار لشغلهم بالعذاب ﴿ألم يروا﴾ ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى [illegible] الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب [illegible] لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم ﴿انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾ بالنوم والقرار ﴿والنهار مبصرا﴾ فان اصله ليبصروا فيه [illegible] حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ لدلالتها على الامور الثلاثة ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ في الصور أو [illegible] لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ﴿ففزع من في السموات ومن في الارض﴾

﴿قال﴾ الله تعالى لهم ﴿أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما﴾ أي [illegible] ماذا كنتم تعملون ﴿ أي حين لم تتفكروا [illegible] تتفكروا في صحتها بل كنتم بها جاهلين ﴿ووقع القول﴾ أي وجب العذاب [illegible] أي بما أشركوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ أي بحجة [illegible] اي انا خلقنا ﴿الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ أي مضيئا [illegible] على البعث بعد الموت لان القادر على تقلب [illegible] الاعادة بعد الموت ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ [illegible] قوله تعالى ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ هو [illegible] اسرافيل [illegible] القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب [illegible] الاجساد ﴿ففزع﴾ أي فصعق ﴿من في السموات ومن في الارض﴾ [illegible] اندماق عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور [illegible]

اجتمعوا (قال) الله لهم (أكذبتم بآياتي) بكتابي ورسولي (ولم تحيطوا بها علما) يقول جحدتم ولم تعلموا انها ليست مني (أم ماذا كنتم [illegible]) والشرك (ووقع القول) وجب القول (عليهم) باستحقوا العذاب (بما ظلموا) بما كفروا [illegible] (أو لم يروا) كفار مكة (أنا جعلنا الليل) مسكنا (ليسكنوا) ليستقروا (فيه والنهار مبصرا) [illegible] فيه لمنافعهم (لآيات) لعلامات (لقوم يؤمنون) يصدقون (ويوم ينفخ في الصور) وهي [illegible] في السموات) من الملائكة (ومن في الارض)

لاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لامحالة والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله)

لامن ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك

من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ﴿ الا من شاء الله ﴾ ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك ﴿ وكل آتوه ﴾ حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية أو راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ أتاه على توحيد لفظ الكل ﴿ داخرين ﴾ صاغرين وقرئ دخرين ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ ثابتة في مكانها ﴿ وهي تمر مر السحاب ﴾ في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها

ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين ﴿ الا من شاء الله ﴾ روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقيل هي جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة وروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقي ياملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي من خلقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت ياملك الموت فيموت فيقول ياجبريل من بقي فيقول تباركت فتعاليت ياذا الجلال والاكرام بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الفاني فيقول الله ياجبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطي السجل للكتاب ثم يقول الله أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد يقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاكون أول من رفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى [illegible] ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب [illegible] الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية . وقوله تعالى [illegible] أحياء عند ربهم [illegible] (آتوه) أي جاؤه (داخرين) أي [illegible] (وترى الجبال تحسبها جامدة) أي [illegible] واقفة [illegible] [illegible] مر السحاب حتى تقع على الارض [illegible] وذلك [illegible]

الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله (وكل اتوه) حمزة وحفص وخلف آتوه غيرهم وأصله آتيوه (داخرين) حال أي صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف ورجوعهم الى أمره تعالى انقيادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين شامي وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة من جمد في مكانه اذا لم يبرح (وهي تمر) حال من الضمير المنصوب في تحسبها (مر السحاب) أي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي

من الخلق (الا من شاء الله) من أهل السماء جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون في [illegible] (وكل) يعني اهل السماء وأهل الارض (أتوه داخرين) آتوا الله يوم القيامة صاغرين [illegible] (وترى الجبال) يا محمد في النفخة الاولى (تحسبها جامدة) ساكنة مستقرة (وهي تمر مر السحاب) في الهواء تسير سيرا

سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لاتكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

بارعن مثل الطود تحسب انهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) مصدر عمل فيه مادل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله فكأنه قيل

صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل (الذي أتقن كل شئ) أي أحكم خلقه (انه خبير بما يفعلون) مكى وبصرى غير سهل وأبو بكر غير يحيى وغيرهم بالتاء أي انه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أي بقول لا اله الا الله عند الجمهور (فله خير منها) أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لايكون خير بمعنى أفضل ويكون منها في موضع رفع صفة لخير أي بسببها (وهم من فزع) كوفي أي من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة (آمنون) أمن يعدي بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله (ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت) ألقيت (وجوههم في النار) يقال كبت الرجل ألقيته على وجهه أي ألقوا على رؤسهم في

﴿صنع الله﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله ﴿الذى اتقن كل شئ﴾ احكم خلقه وسواه على ما ينبغي ﴿انه خبير بما تفعلون﴾ عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو الجنة * وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول مايلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وأمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ قيل بالشرك ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى في قوله ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة

عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لايرى لعظمه ﴿صنع الله الذى أتقن كل شئ﴾ يعنى ان الله تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء اى أتقنها وأحكمها وأتى بها على وجه الحكمة والصواب ﴿انه خبير بما تفعلون﴾ ... قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة﴾ أي بكلمة الاخلاص وهي شهادة أن لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل ﴿فله خير منها﴾ قال ابن عباس فمنها يصل الى الخير بمعنى انه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب أما ان يكون له شئ خير من الايمان فلا لانه لا شئ خير من لا اله الا الله وقيل هو جزاء الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه ... رضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف أعطاه الله ... [illegible]

[illegible] أصحابنا لان الحسنة استحقاق العبد والتفضيل ... [illegible]

من فزع يومئذ آمنون﴾ فان قلت كيف نفى الفزع هنا ... [illegible]

... الارض ... ان الفزع ... [illegible]

... وان كان المحسن ... [illegible]

... آمنون ... [illegible]

... ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ ... بالشرك ... [illegible]

(صنع الله) ... الذى أتقن كل شئ ... من الخلق (انه خبير) عالم (بما تفعلون) ... [illegible]

خيروا ثمر (من جاء بالحسنة) من جاء يوم القيامة بلا اله الا الله مخلصا بها (فله خير منها) ... [illegible]

يومئذ آمنون) وهم آمنون من الفزع والعذاب اذا أطبقت النار (ومن جاء بالسيئة) بالشرك بالله (فكبت) قلبت ... في النار

النار أو عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها أى ألقوا فى النار ويقال لهم تبكيتا عند الكب (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك والمعاصى (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذى حرمها) جعلها حرما آمنا يأمن فيها اللاجئ اليها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها (وله كل شئ) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين له (وان أتلوا القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك أمر رسوله بان يقول أمرت ان أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين ﴿ ٥٤٥ ﴾ على ملة الاسلام { سورة النمل } وان أتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاده اليه وأعظمها عنده وأشار اليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها (فمن اهتدى) باتباعه اياى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الشركاء عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحى (فانما يهتدى لنفسه) فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أى ومن ضل ولم يتبعنى (قا و خا ٦٩ بع) فلا على وما أنا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين

﴿هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ على الالتفات أو باضمار القول اى قيل لهم ذلك ﴿انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها﴾ امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعدما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التى حرمها ﴿وله كل شئ﴾ خلقا وملكا ﴿وامرت ان اكون من المسلمين﴾ المنقادين أو الثابتين على ملة الاسلام ﴿وان اتلوا القرآن﴾ وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ أو اتابعه وقرئ واتل عليهم وان اتل ﴿فمن اهتدى﴾ باتباعه اياى فى ذلك ﴿فانما يهتدى لنفسه﴾ فان منافعه عائدة اليه ﴿ومن ضل﴾ بمخالفتى ﴿فقل انما انا من المنذرين﴾ فلا على من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت

عن جميع البدن كأنه قال كبوا وطرحوا جميعهم فى النار ﴿هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ أى تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون فى الدنيا من الشرك ❁ وقوله تعالى ﴿ انما امرت ﴾ يعنى يقول الله تعالى لرسوله قل انما امرت ﴿ان أعبد رب هذه البلدة ﴾ يعنى امرت ان أخص بعبادتى وتوحيدى الله الذى هو رب هذه البلدة يعنى مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه ﴿الذى حرمها﴾ أى جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذى حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لا من الاصنام ﴿ وله كل شئ ﴾ أى خلقا وملكا ﴿ وأمرت ان أكون من المسلمين ﴾ لله المطيعين له ﴿ وان أتلوا القرآن ﴾ أى امرت ان أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ﴾ أى نفع اهتدائه يرجع اليه ﴿ ومن ضل ﴾ أى عن الايمان وأخطأ طريق الهدى ﴿ فقل انما أنا من المنذرين ❁ أى من المخوفين وما على الا البلاغ

ل تجزون) فى الآخرة (الا ما كنتم تعملون) فى الدنيا قل يا محمد (انما أمرت ان أعبد) أوحد (رب هذه البلدة) يعنى مكة الذى حرمها) جعلها حرما (وله كل شئ) من الخلق (وأمرت ان أكون من المسلمين) مع المسلمين على دينهم (وأن أتلوا القرآن) رت ان اقرأ عليكم القرآن (فمن اهتدى) آمن بما فى القرآن (فانما يهتدى) يؤمن (لنفسه) ثواب ذلك لنفسه (ومن ضل) كفر بالقرآن (فقل) يا محمد (انما أنا من المنذرين) المخوفين من النار بالقرآن ثم أمره بعد ذلك بالقتال فقال

(و قل الحمدلله سيريكم آياته فتعرفونها) ثم أمره أن يحمد الله على ماخوله من نعمة النبوة التى لاتوازيها نعمة وان يهدد أعداءه ء سيريهم الله من آياته فى الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وماحل بهم من نقمات الله فى الدنيا (ومار بك بغافل عما تعملون) بالتاء مدنى وشامى وحفص و يعقوب خطاب لاهل مكة وبالياء غيرهم أى كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لايجوزان عليه

سورة القصص مكية ثمانون وثمان آيات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ يقال بان الشئ وأبان بمعنى واحد ويقال ابنته فأبان لازم و متعد أى مبين خيره و بركته او مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاخلاص والتوحيد (نتلوا عليك) نقرأ عليك أى يقرؤه جبريل بامرنا ومفعول نتلو

(وقل) يامحمد (الحمدلله) الشكر لله والوحدانية لله (سيريكم آياته) علامات وحدانيته وقدرته بالعذاب يوم بدر (فتعرفونها) فتعلمون أن مايقول لكم محمد عليه السلام حق وصدق (وما ربك بغافل) ساه (عما تعملون) فى الكفر و الشرك يعنى كفار قريش هذا وعيد لهم من الله فى الكفر والشرك ويقال بتارك عقوبة ماتعملون من المكر والخيانة والفساد

ومن السورة التى يذكر فيها القصص وهى كلها مكية الاقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد

﴿ وقل الحمدلله ﴾ على نعمة النبوة أو على ماعلمني ووفقني للعمل به ﴿ سيريكم آياته ﴾ القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض أو فى الآخرة ﴿ فتعرفونها ﴾ فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لاتنفعكم المعرفة ﴿ وماربك بغافل عما تعملون ﴾ فلاتحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ فى السبعة بالياء عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لااله الاالله

سورة القصص مكية وقيل الاقوله الذين آتيناهم الكتاب الى

قوله الجاهلين وهى ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك﴾ نقرأ بقراءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى

نسختها آية القتال ﴿ وقل الحمدلله ﴾ أى على جميع نعمه وقيل على ما وفقنى من القيام باداء الرسالة والانذار ﴿ سيريكم آياته ﴾ الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ماأراهم من القتل والسبى وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته فى السموات والارض وفى انفسكم ﴿ فتعرفونها ﴾ أى فتعرفون الآيات والدلالات ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة القصص وهى مكية الاقوله تعالى الذين

آتيناهم الكتاب الى قوله لانبتغى الجاهلين وفيها آية

نزلت بين مكة والمدينة وهى قوله ان الذى فرض

عليك القرآن لرادك الى معاد وهى ثمان

وثمانون آية وأربعمائة واحدى وأربعون

كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ طسم تلك ﴾ اشارة الى آيات السورة ﴿ آيات الكتاب المبين ﴾ قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ نتلوا عليك

فانها نزلت بالجحفة بين مكة والمدينة آياتها ثمان وثمانون وكلماتها أربعمائة واحدى واربعون وحروفها خمسة آلاف (...)
وثمانمائة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (طسم) [illegible] منازله ورفعته [illegible] ملكه ويقال قسم أقسم به (تلك آيات الكتاب المبين) ان هذه السورة آيات القرآن المبين بالحلال والحرام والامر والنهى (نتلوا عليك

(من نبأ موسى وفرعون) أي نتلو عليك بعض خبرهما(بالحق) حال أي محقين(لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم(ان فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون(علا) طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية (في الارض) أي أرض مملكته يعني مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه أو فرقا مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى فأكرم القبطي وأهان الاسرائيلي(يستضعف طائفة منهم)هم بنو اسرائيل(يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) أي يترك البنات احياء للخدمة وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فانه ان

صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فامعنى القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف (انه كان من المفسدين) أي ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب(ونريد أن نمن) نتفضل وهو دليل لنا في مسئلة الاصلح وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له أو حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وارادة الله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) قادة يقتدى بهم في الخير اوقادة الى الخير اوولاة وملوكا

نزله مجازا ﴿ من نبأ موسى وفرعون ﴾ بعض نبئهما مفعول نتلو ﴿ بالحق ﴾ محقين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم المنتفعون به ﴿ ان فرعون علا في الارض ﴾ استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر ﴿ وجعل اهلها شيعا ﴾ فرقا يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل أو احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ وهم بنو أسرائيل والجملة حال من فاعل جعل أو صفة شيعا أو استئناف وقوله ﴿ يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم ﴾ بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه ﴿ انه كان من المفسدين ﴾ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ﴿ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ﴾ ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ أو حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجرى مجرى المقارن ﴿ ونجعلهم أئمة ﴾ مقدمين في امر الدارين

من نبأ ﴾ أي خبر ﴿ موسى وفرعون بالحق ﴾ أي بالصدق ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أي يصدقون بالقرآن ﴿ ان فرعون علا ﴾ أي تجبر وتكبر ﴿ في الارض ﴾ أي أرض مصر ﴿ وجعل اهلها شيعا ﴾ أي فرقا في أنواع الخدمة والتسخير ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ﴾ سمى هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم ﴿ انه كان من المفسدين ﴾ أي بالقتل والتجبر في الارض ﴿ ونريد أن نمن ﴾ أي ننعم ﴿ على الذين استضعفوا في الارض ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ ونجعلهم أئمة ﴾ أي قادة في الخير يقتدى بهم و قيل ولاة ملوكا

من نبأ موسى وفرعون بالحق) بالقرآن (لقوم يؤمنون) يصدقون بك وبالقرآن (ان فرعون علا) خالف وتجبر وكفر (في الارض) أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا فرقا (يستضعف) يقهر (طائفة منهم) من بني اسرائيل (يذبح أبناءهم) صغارا (ويستحيي نساءهم) يستخدمهم كبارا (انه كان من المفسدين) في كفره بالقتل والدعاء الى غير عبادة الله (ونريد) بارسال موسى اليهم وهلاك عدوهم (أن نمن)ننزلهم بالنجاة (على الذين استضعفوا) قهروا وهم بنو اسرائيل (في الارض) أرض مصر (ونجعلهم أئمة) قادة في الخير

(ونجعلهم الوارثين) أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (ونمكن) مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم في الارض) أي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لاتنبو بهم ويسلطهم وينفذ أمرهم (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون ومابعده وبالياء ورفع فرعون ومابعده على وجزة أي يرون منهم ماحذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون أورفع على الاستئناف (منهم) من بني اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لان الصلة لاتتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقي من الضرر (واوحينا الى ام موسى) بالالهام اوبالرؤيا اوباخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحي رسالة ولاتكون هي رسولا (ان ارضعيه) ان بمعنى اي أومصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فالقيه في اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولاتخافي) من الغرق والضياع (ولا تحزني) بفراقه (انا رادوه اليك) بوجه لطيف لتربيته (وجاعلوه من المرسلين) وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده اليها وجعله

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لما كان في ملك فرعون وقومه ﴿ونمكن لهم في الارض﴾ ارض مصر والشأم واصل التمكين ان تجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ من بني اسرائيل ﴿ما كانوا يحذرون﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع ﴿واوحينا الى ام موسى﴾ بالهام اورؤيا ﴿ان ارضعيه﴾ ماامكنك اخفاؤه ﴿فاذا خفت عليه﴾ بان يحس به ﴿فالقيه في اليم﴾ في البحر يريد النيل ﴿ولاتخافي﴾ عليه ضيعة ولاشدة ﴿ولاتحزني﴾ لفراقه ﴿انا رادوه اليك﴾ عن قريب بحيث تأمنين عليه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ يعني املاك فرعون وقومه بان نجعلهم في مساكنهم ﴿ونمكن لهم في الارض﴾ أي نوطن لهم أرض مصر والشأم و نجعلها لهم سكنا ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ أي يخافون وذلك انهم أخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون * قوله تعالى ﴿واوحينا الى أم موسى﴾ هو وحي الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوي بن يعقوب ﴿ان أرضعيه﴾ قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل أربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لايبكي ولايتحرك في حجرها ﴿فاذا خفت عليه﴾ أي الذبح ﴿فالقيه في اليم﴾ أي في البحر وأراد به نيل مصر ﴿ولا تخافي﴾ أي عليه من الغرق وقيل الضيعة ﴿ولاتحزني﴾ أي على فراقه ﴿انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾ قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي و لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام

ذكر القصة في ذلك

قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي اليوم فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها ياهذه ماجئت اليك حين دعوتني الا من ادى قتل ولدك ولكن وجدت

(ونجعلهم الوارثين) وارثي أرض مصر (ونمكن لهم) ونملكهم (في الارض) أرض مصر (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) جوعهما (منهم) من موسى وبني اسرائيل (لابنك) (ما كانوا يحذرون) من ذهاب الملك (وأوحينا الى أم موسى) ألهمنا أم موسى يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب (أن أرضعيه) أن ارضعي هذا الصبي (فاذا خفت عليه) أن يضع (وألقيه في اليم) فاطرحيه في التابوت والتابوت في البحر (ولاتخافي) من الغرق (ولاتحزني) من الضيعة أن لا يرد اليك (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) لى فرعون وقومه

مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل

لابنك حبا ماوجدت حب شئ مثل حبه فاحفظي ابنك فاني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤا الى بابها ليدخلوا الى أم موسى فقالت أخته ياأماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ماأدخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فأين الصبي فقالت لاأدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها أن تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ماتصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي أخبؤه في التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الامناء مايقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره أن لايدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الى الامين ففتش النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لاتتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولارقيب عليها ولاقابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم ألقته في اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لاتبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت

من المرسلين وروى انه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ماجئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ماتصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهي لاتدري مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى اليها بالقائه في اليم فالقته في اليم بعدان ارضعته ثلاثة اشهر

(فالتقطه آل فرعون) أخذه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أي ليصير الأمر الى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ماتلده الوالدة وهي لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة

(وحزنا) وحزنا على وجزة وهما لغتان كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطين بتخفيف خاطئين أبو جعفر أي كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك) روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت الى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومه هو الذي تحذر منه فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة ولي ولك صفتان لقرة (لا تقتلوه)

﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا والكسائي حزنا ﴿ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ ﴿وقالت امرأت فرعون﴾ اي لفرعون حين اخرجته من التابوت ﴿قرة عين لي ولك﴾ هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه أو لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه

فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا لشيء في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منه لبنا فالقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمي به في البحر فزعا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لان مو هو الماء وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الالتقاط وجود الشيء من غير طلب ﴿ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ أي عاقبة أمرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ﴿ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أي آثمين وقيل هو من الخطأ ومعناه انهم لم يشعروا انه الذي يذهب بملكهم ﴿وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك﴾

(فالتقطه) فرفعه (آل فرعون) جواري فرعون من بين الماء والشجر فاخذنه وذهبن به الى امرأة فرعون (ليكون لهم عدوا) من بعد ما يجيء اليهم بالرسالة (وحزنا) بذهاب ملكهم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) مشركين (وقالت امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم وكانت عمة موسى (قرة عين لي) هذا الغلام (ولك)

(لاتقتلوه) خاطبته الخطاب الملوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء (او نتخذه ولدا) أو نتبناه فانه أهل لان يكون ولدا للملوك (وهم لايشعرون) حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه

فرعون كذا وهم لايشعرون انهم على خطأ عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وماأحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعانى والبيان (وأصبح) وصار (فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه فى يد فرعون (ان كادت لتبدى به) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وأنه ولدها قيل لما رأت الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول واابناه وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول واابناه شفقة عليه وان مخففة من الثقيلة أى انها كادت (لولا أن ربطنا على قلبها) لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بالهام الصبر (لتكون من المؤمنين)

الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث انه قال لك لالى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله كما هداها ﴿ لاتقتلوه ﴾ خطاب بلفظ الجمع للتعظيم ﴿ عسى ان ينفعنا ﴾ فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه ﴿ أو نتخذه ولدا ﴾ أو نتبناه فانه اهل له ﴿ وهم لايشعرون ﴾ حال من الملتقطين أومن القائلة والمقول له اى وهم لايشعرون انهم على الخطأ فى التقاطه أو فى طمع النفع منه والتبنى له أومن احد ضميرى نتخذه على ان الضمير للناس أى وهم لايشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه ﴿ واصبح فؤاد أم موسى فارغا ﴾ صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اى خلاء لاعقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر اومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ﴿ ان كادت لتبدى به ﴾ انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط الضجرة أو الفرح بتبنيه ﴿ لولا ان ربطنا على قلبها ﴾ بالصبر والثبات ﴿ لتكون من المؤمنين ﴾ من المصدقين بوعد الله أومن

لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لايشعرون ﴾ قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبرانى من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهى قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح الولدان هذه السنة فدعه يكون عندى وقيل انها قالت انه أتانا من أرض أخرى وليس هو من بنى اسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال فى موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذى كتبه الله عليه ﴿ قوله تعالى ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ﴾ أى خاليا من كل شئ الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحى الذى أوحى الله عزوجل اليها حين أمرها أن تلقيه فى اليم ولاتخاف ولاتحزن والعهد الذى عهد اليها أن يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته فى البحر وأغرقته ولما أتاها الخبر بان فرعون أصابه فى النيل قالت انه قد وقع فى يد عدوه الذى فررت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها ﴿ ان كادت لتبدى به ﴾ أى لتصرح انه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابنى وقيل كادت تبدى بالوحى الذى أوحى الله اليها أن يرده عليها ﴿ لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ أى بالعصمة والصبر والتثبيت ﴿ لتكون من المؤمنين ﴾ أى من المصدقين بوعد الله اياها

يا فرعون (لاتقتلوه عسى أن ينفعنا) فى ضيعتنا (أو نتخذه ولدا) أو نتبناه (وهم لا يشعرون) بنو اسرائيل لايعلمون انه ليس منا ويقال وهم لايشعرون ان هلاكهم على يديه (وأصبح فؤاد أم

موسى) صار قلب أم موسى يوحانذ (فارغا) من كل هم وذكر الاهم موسى وذكر موسى (ان كادت) قد كادت (لتبدى به) لتظهر به تقول هذا ابنى بعدما انتسب به الى فرعون (لولا أن ربطنا) حفظنا (على قلبها) بالصبر (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله ان يكون

من المصدقين بوعدنا وهو انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف أى لابدته أو فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون تـ
ان كادت لتبدى بانه ولدها الا انها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث
به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنى فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئ
ونهت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت لاخته) مريم (قصيه)
اتبعى أثره لتعلمى خبره (فبصرت به) أى أبصرته (عن جنب) عن بعد حال من الضمير فى
أو من الضمير فى بصرت (وهم لايشعرون) انها أخته (وحرمنا عليه المراضع) تحريم منع لا تحريم شرع أى منعناه أن يرضع ثديا غير ثدى أمه وكان لا يقبل ثدى مرضع حتى أهمهم ذلك. والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدى أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أثره أو من قبل أن ترده على أمه (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم (على أهل بيت يكفلونه) أى موسى (لكم وهم له ناصحون) النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد روى انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها
حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى أمها بامرهم فجاءت (فيها)
بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس

الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وعطفه * وقرئ مؤسى اجراء للضمة فى جار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وحوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله ﴿ وقالت لاخته ﴾ مريم ﴿ قصيه ﴾ اتبعى أثره وتتبعى خبره ﴿ فبصرت به عن جنب ﴾ عن بعد وقرئ عن جانب وهو بمعناه ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ انها تقص أو انها اخته ﴿ وحرمنا عليه المراضع ﴾ ومعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه يعنى الثدى ﴿ من قبل ﴾ من قبل قصصها اثره ﴿ فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم ﴾ لاجلكم ﴿ وهم له ناصحون ﴾ لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتى بمن يكفله فأتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي

﴿ وقالت لاخته ﴾ أى لمريم أخت موسى ﴿ قصيه ﴾ أى اتبعى أثره حتى تعطى خبره ﴿ فبصرت به عن جنب ﴾ أى عن بعد قيل كانت تمشى جانبا وتنظره اختلاسا ترى انها لا تنظره ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ انها أخته وانها ترقبه ﴿ وحرمنا عليه المراضع ﴾ المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم فى طلب من يرضعه لهم ﴿ من قبل ﴾ أى قبل مجئ أم موسى وذلك لما رأته أخت موسى التى أرسلتها أمه فى طلب ذلك ﴿ فقالت ﴾ يعنى أخت موسى ﴿ هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ﴾ أى يضمونه ويرضعونه وهى امرأة قتل ولدها فاحب ما تدعى اليه أن تجد صغيرا ترضعه ﴿ وهم له ناصحون ﴾ أى لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة فى سرور الملك واتصالنا به وقيل قالوا من هم قالت أمى قالوا أو لامك ولد قالت نعم هرون وكان هرون ولد فى السنة التى لا يقتل

من المرسلين (وقالت) يعنى أم موسى (لاخته) لاخت موسى تسمى مريم (قصيه) اتبعى أثره (فبصرت به) بالغلام (عن جنب)
عن بعد (وهم لايشعرون) لا يعلمون انها أخت موسى (وحرمنا عليه) على موسى (المراضع) ألبان النساء (من قبل) من قبل مجئ
أمه (فقالت) أخت موسى لآل فرعون (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) يرضعونه لكم هذا الغلام (وهم له ناصحون)
حافظون بالتربية فدلت على امه

والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى أمرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وأنجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقر فى علمها انه سيكون نبيا وذلك قوله (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) أى وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وأباح لها ما تأخذه من الدينار كل يوم كما قال السدى لانه مال حربى لا أنه أجرة على ارضاع ولدها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أى لتعلم ان وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون

ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت (ولما بلغ أشده) بلغ موسى نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وأنعم عند سيبويه (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وهو اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبى الا على رأس أربعين سنة (آتيناه حكما) نبوة (وعلما) فقها اوعلما بمصالح الدارين (وكذلك نجزى المحسنين) اى كما فعلنا بموسى وامه نفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله تعالى ايتاء العلم والحكمة مجازاة على الاحسان لانهما يؤديان الى الجنة التى هى جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لانه تعالى قال ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم جهالا اذ لم يعملوا بالعلم (قاوخا ٧٠ بع) (ودخل المدينة) اى مصر (على حين غفلة من اهلها) حال من الفاعل اى مختفيا ... اروقت القائلة ... انتصاف النهار ... لما نبوءته اخذ يكلمهم بالحق وينكر ... فخافوه ... فلا يدخل المدينة

الا قليلا فدفعه اليها وجرى عليها رجعت الى بيتها من يومها وهو قوله ﴿ فرددناه الى امه كى تقر عينها ﴾ بولدها ﴿ ولا تحزن ﴾ بفراقه ﴿ ولتعلم ان وعد الله حق ﴾ علم مشاهدة ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ مبلغه الذى لا يزيد عليه نشوءه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ ويروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين ﴿ واستوى ﴾ قدره او عقله ﴿ آتيناه حكما ﴾ اى نبوة ﴿ وعلما ﴾ بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة ﴿ وكذلك ﴾ مثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه ﴿ نجزى المحسنين ﴾ على احسانهم ﴿ ودخل المدينة ﴾ ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل من منف او حابين او عين شمس من نواحيها ﴿ على حين غفلة من اهلها ﴾ فى وقت لا يعتاد

فيها قالوا صدقت فانبذنا بها فانطلقت اليها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبى ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا فقيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى ﴿ فرددناه الى أمه كى تقر عينها ﴾ أى برد موسى اليها ﴿ ولا تحزن ﴾ أى ولئلا تحزن ﴿ ولتعلم ان وعد الله حق ﴾ أى برده اليها ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ان الله وعدها أن يرده اليها ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ قيل الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة ﴿ واستوى ﴾ أى بلغ أربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل ﴿ آتيناه حكما وعلما ﴾ أى عقلا وفهما فى الدين فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا ﴿ وكذلك نجزى المحسنين ﴾

قوله تعالى ﴿ ودخل المدينة ﴾ يعنى موسى والمدينة قيل هى مدينة من أعمال مصر وقيل هى قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين شمس ﴿ على حين غفلة من أهلها ﴾ قيل هى نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت ان موسى

... عينها) بطيب نفسها بموسى (ولا تحزن) على ... (ولتعلم ان وعد الله) بان يرده اليها (حق) ... (ولكن أكثرهم) ... (لا يعلمون) ذلك ... ثمانى عشرة سنة (واستوى) ... ثلاثا وأربعين ... (آتيناه حكما) ... (وعلما) نبوة (وكذلك) هكذا (نجزى المحسنين) ... بالعلم والحكمة (ودخل المدينة على حين غفلة) اشتغال (من أهلها) عند القيلولة ويقال بعد صلاة

الاعلى تغفل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل قيل هو السامرى وشيع

الرسل أتباعه وأنصاره من مخالفيه من القبط وهو

فاتون وقيل فيهما هذا وهذا وان كانا غائبين على سبيل الحكاية أى اذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه (فاستغاثه) فاستنصره (الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه أو بأطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه كان مستأمنا فيهم ولايحل قتل الكافر الحربى المستأمن أو لانه قتله قبل أن يؤذن له فى القتال وعن ابن جريج ليس لنبى أن يقتل مالم

أصابعه وتمتشن عليها فالكزة لكزة (فقضى عليه) الموت فخر ميتا (قال) موسى (هذا من عمل الشيطان) [illegible]

دخلها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾ احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والإشارة على الحكاية ﴿فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه﴾ فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه ﴿فوكزه موسى﴾ فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه أى فضرب به صدره ﴿فقضى عليه﴾ فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ لانه لم يؤمر بقتل الكفار اولانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم

كان يسمى ابن فرعون وكان يركب فى مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فأدركه المقيل بأرض منف فدخلها وليس فى أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بنى اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ماهو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم فى دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لايدخل قرية الاخائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر باخراجه من مدينته فخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعنى عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن على انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ أى يتخاصمان ويتنازعان ﴿هذا من شيعته﴾ أى من بنى اسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ أى من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذى كان من الشيعة هو السامرى والذى من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطى يريد ان يأخذ الاسرائيلى يحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط ﴿فاستغاثه الذى من شيعته﴾ يعنى الاسرائيلى ﴿على الذى من عدوه﴾ يعنى الفرعونى والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله أن يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه [illegible]

[illegible] موسى من بنى اسرائيل [illegible]

[illegible] للفرعونى خل سبيله [illegible]

وقال الفرعونى [illegible]

فى [illegible] ﴿فوكزه موسى﴾ أى ضربه بجمع كفه [illegible]

الوكز الدفع باطراف الاصابع ﴿فقضى عليه﴾ أى قتله [illegible]

عليه ولم يكن قصده القتل [illegible] هذا من عمل الشيطان

المغرب (فوجد فيها) فى المدينة (رجلين) اسرائيليا وقبطيا (يقتتلان) يتنازعان ويتحاربان بينهما (هذا من شيعته) من شيعة موسى الاسرائيلى (وهذا من عدوه) من عدو موسى القبطى (فاستغاثه الذى من شيعته) [illegible] (على الذى من عدوه) [illegible] موسى (فوكزه موسى) [illegible]

بس ر انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب) يارب (اني ظلمت نفسي) بفعل صار قتلا (فاغفر لي)
لي (فغفر له) زلته (انه هو الغفور) باقالة الزلل (الرحيم) بازالة الخجل (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا) معينا
للمجرمين) الكافرين رب بما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامك على بالمغفرة لاتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين
أو استعطاف كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون
ان عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد (فاصبح في المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به (يترقب) حال أي يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه أو الاخبار أو ما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله (فاذا الذي) اذا للمفاجأة وما بعدها مبتدأ (استنصره) أي موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلي الذي خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي آخر (قال له موسى) أي للاسرائيلي (انك لغوى مبين) أي

في استعظام محقرات فرطت منهم ﴿انه عدو مضل مبين﴾ ظاهر العداوة ﴿قال رب اني ظلمت نفسي﴾ بقتله ﴿فاغفر لي﴾ ذنبي ﴿فغفر له﴾ باستغفاره ﴿انه هو الغفور﴾ لذنوب عباده ﴿الرحيم﴾ بهم ﴿قال رب بما انعمت على﴾ قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لأتوبن ﴿فلن اكون ظهيرا للمجرمين﴾ او استعطاف اي بحق انعامك على اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين اوليائك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك ﴿فاصبح في المدينة خائفا يترقب﴾ يترصد الاستقادة ﴿فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه﴾ يستغيثه مشتق من الصراخ ﴿قال له موسى انك لغوى مبين﴾ مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل

انه عدو مضل مبين﴾ أي بين الضلالة وقيل في قوله هذا اشارة الى المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان وحزبه ﴿قال رب اني ظلمت نفسي﴾ أي بقتل القبطي من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب * وقوله ﴿فاغفر لي﴾ أي ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به فقال فاغفر لي أي فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون ﴿فغفر له﴾ أي فستره عن الوصول الى فرعون ﴿انه هو الغفور الرحيم قال رب بما﴾ أي بالمغفرة والستر الذي ﴿أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾ معناه فانا لا أكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني أي لم يقل فلم أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين ﴿فاصبح في المدينة﴾ أي التي قتل فيها القبطي ﴿خائفا يترقب﴾ أي ينتظر سوأ والترقب انتظار المكروه وقيل ينظر متى يؤخذ به ﴿فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه﴾ أي يستغيث به من بعد قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي ﴿قال له موسى﴾ للاسرائيلي ﴿انك لغوى مبين﴾ أي ظاهر الغواية قاتلت

الشيطان (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة وندم
على قتله (قال رب اني ظلمت نفسي) بقتل النفس (فاغفر لي) ذنبي تجاوز عني (فغفر له انه هو الغفور) المتجاوز (الرحيم) لمن تاب (قال
رب بما أنعمت على) منت على بالمعرفة والتوحيد والمغفرة (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) فلا تجعلني عونا للمشركين لفرعون
وقومه (فأصبح) فصار (في المدينة خائفا) من قتل القبطي (يترقب) ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذي استنصره) استعان به
(بالامس) على القبطي (يستصرخه) يستغيثه على آخر من القبط (قال له) للاسرائيلي (موسى انك لغوى مبين) مجادل بين

ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالامس رجلا نقتلته بسببك والرشد في التدبير أن لا يفعل فعلا يفضي الى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته (فلما أن أراد) موسى (أن يبطش بالذي) بالقبطي الذي (هو عدو لهما) لموسى والاسرائيلي لانه ليس على دينهما أو لان القبط كانوا أعداء بني اسرائيل (قال) الاسرائيلي لموسى عليه السلام وقد توهم انه أراد اخذه لا اخذ القبطي اذ قال له انك لغوي مبين (ياموسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا) يعني القبطي (بالامس ان تريد) ما تريد (الا ان تكون جبارا) اى ﴿ الجزء العشرون ﴾ قتالا بالغضب ﴿ ٥٥٦ ﴾ (في الارض) أرض مصر (وما تريد ان تكون من المصلحين) في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفشى على موسى عليه السلام علم القبطي ان قاتله موسى فاخبر فرعون فهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسعى) صفة لرجل أوحال من رجل لانه وصف بقوله من أقصى المدينة (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بذلك

آخر ﴿ فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما ﴾ لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل ﴿ قال ياموسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ﴾ قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش به والقبطي وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ﴿ ان تريد ﴾ ما تريد ﴿ الا ان تكون جبارا في الارض ﴾ تطاول على الناس ولا تنظر العواقب ﴿ وما تريد ان تكون من المصلحين ﴾ بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال ﴿ وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى ﴾ يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف ﴿ قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا

رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ﴾ وذلك ان موسى أخذته الغيرة والرقة للاسرائيلي فمد يده ليبطش بالقبطي فظن الاسرائيلي انه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوي مبين ﴿ قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ﴾ معناه انه لم يكن علم أحد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفشى عليه الاسرائيلي ذلك فسمع القبطي وأتى فرعون فاخبره بذلك ﴿ ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض ﴾ أي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاظم ولا يتواضع لامر الله تعالى ﴿ وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ ولما فشا ان موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى فقال انه مؤمن آل فرعون وقيل حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ أي يسرع في مشيه وأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى وأخبره وأنذره بما سمع ﴿ قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ﴾ أي يتشاورون فيك [illegible] وقيل يأمر بعضهم بعضا [illegible]

الجدال واقبل عليه بالعون (فلما أن اراد أن يبطش) ان يأخذ (بالذي هو عدو لهما) القبطي ظن الاسرائيلي انه يريده (قال) أي الاسرائيلي (ياموسى أتريد أن تقتلني) اليوم (كما قتلت نفسا) قبطيا (بالامس ان تريد) ما تريد (الا أن تكون جبارا) قتالا (في الارض) في أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) من [illegible] [illegible] الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر [illegible] رجل [illegible] وهو حزقيل (من أقصى المدينة) من [illegible] ويقال من وسط المدينة (يسعى) يسرع ويسند في مشيه (قال ياموسى ان الملأ) أو المؤمنون (يأتمرون بك) [illegible] [illegible] (ليقتلوك)

أو يتشاورون بسببك والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بامر (فاخرج) من المدينة (انى لك من الناصحين) لك بيان وليس بصلة الناصحين لان الصلة لاتتقدم على الموصول كانه قال انى من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقيالك ومرحبالك (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) التعرض له فى الطريق أو ان يلحقه من يقتله (قال رب نجنى من القوم الظالمين) أى قوم فرعون (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها والتوجه الاقبال على الشيء و مدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون بينها و بين مصر مسيرة ثمانية ايام قال ابن عباس رضى الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الاحسن الظن بربه (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين (ولما ورد) وصل (ماء مدين) ماءهم الذى يسقون منه وكان بئرا (وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من أناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تطردان غنمهما عن الماء لان على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقى أو لئلا تختلط أغنامهما باغنامهم والذود الطرد و الدفع

من المتشاورين بأمر الآخر ويأتمر ﴿فاخرج انى لك من الناصحين﴾ اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لايتقدم على الموصول ﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفا يترقب﴾ لحوق طالب ﴿قال رب نجنى من القوم الظالمين﴾ خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان ﴿قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل﴾ توكلا على الله وحسن ظن به وكان لايعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ فى اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا فى الآخرين ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها ﴿وجد عليه﴾ وجد فوق شفيرها ﴿امة من الناس﴾ جماعة كثيرة مختلفين ﴿يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ فى مكان اسفل من مكانهم ﴿امرأتين تذودان﴾ تمنعان اغنامهما من الماء لئلا

﴿فاخرج﴾ أى من المدينة ﴿انى لك من الناصحين﴾ أى فى الامر بالخروج ﴿فخرج منها﴾ يعنى موسى ﴿خائفا﴾ على نفسه من آل فرعون ﴿يترقب﴾ أى ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ الى الله تعالى لعلمه انه لاملجأ الا اليه ﴿قال رب نجنى من القوم الظالمين﴾ أى الكافرين * قوله تعالى ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أى قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع فى نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان اهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته فى بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى ﴿قال﴾ يعنى موسى ﴿عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل﴾ أى قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها [illegible] جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين * قوله عزوجل ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم ﴿وجد عليه﴾ أى على الماء ﴿أمة﴾ أى جماعة ﴿من الناس يسقون﴾ أى مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ أى سوى الجماعة وقيل [illegible] الجماعة ﴿امرأتين تذودان﴾ أى تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس

[illegible] المدينة (انى لك من الناصحين) من المشفقين (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) ينتظر و يلتفت متى يلحق [illegible] (رب نجنى من القوم الظالمين) أهل مصر (ولما توجه تلقاء مدين) سار نحو مدين خاف أن يخطئ الطريق [illegible] (ربى أن يهدينى) أى يرشدنى (سواء السبيل) قصد الطريق نحو مدين (ولما ورد) بلغ (ماء مدين) [illegible] على الماء (أمة) جماعة (من الناس) أربعين رجلا (يسقون) غنمهم (ووجد من دونهم) من ورائهم (امرأتين تذودان) [illegible] الماء [illegible] حتى يفرغ القوم

(قال ما خطبكما) ماشأنكما وحقيقته ما مخطوبكما اى ما مطلوبكما من الذيادة فسمى المخطوب خطبا (قالتا لانسقى) غنمنا (حتى يصدر الرعاء)مواشيهم يصدر شامى ويزيد وأبو عمرو أى يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ)لايمكنه سقى الاغنام (كبير)فى حال أو فى السن لايقدر على رعى الغنم أبدتا اليه عذرهما فى قولهما السقى بانفسهما (فسقى لهما)فسقى غنمهما لاجلهما رغبة فى المعروف واغاثة للماهوف روى انه نحى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وترك

المفعول فى يسقون وتذودان ولانسقى وفسقى لان الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لان مذودهما غنم و مسقيهم ابل مثلا وكذا فى لانسقى وفسقى فالمقصود هو السقى لا المسقى ووجه مطابقة جوابهما سؤاله انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك انا امرأتان مستورتان ضعيفتان لانقدر على مزاحمة الرجال ونستحى من الاختلاط بهم فلابد لنا من تأخير السقى الى ان يفرغوا وانما رضى شعيب عليه السلام لابنتيه بسقى الماشية لان هذا الامر فى نفسه ليس بمحظور والدين لاياباه وأما المروءة فعادات الناس فى ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة(ثم تولى الى الظل)أى ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة فى الدنيا بخلاف مايقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه انس بالشكوى اذ لانقص فى الشكوى الى المولى (فقال رب انى لما) لاى شئ (أنزلت الى من خير)قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) محتاج وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى

لئلا تختلط باغنامهم ﴿قال ما خطبكما﴾ ماشأنكما تذودان ﴿قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء﴾ يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان مايدل على عفتهما ويدعوه الى السقى لهما ثمدونه *وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اى ينصرف *وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال ﴿وابونا شيخ كبير﴾ كبير السن لايستطيع ان يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا ﴿فسقى لهما﴾ مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لايقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ماكان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ﴿ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى﴾ لاى شئ انزلت الى ﴿من خير﴾ قليل اوكثير وحمله الاكثرون على الطعام ﴿فقير﴾ محتاج

وتخلولهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط باغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن ان تند وتذهب والقول الاول أولى لما بعده وهو قوله ﴿ قال ﴾ يعنى موسى للمرأتين ﴿ماخطبكما﴾ أى ماشأنكما لاتسقيان مواشيكما مع الناس ﴿قالتا لانسقى﴾ أى أغنامنا ﴿ حتى يصدر الرعاء ﴾ أى حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى انا امرأتان لانستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا نحن مواشينا من فضل مابقى منهم فى الحوض ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ أى لايقدر أن يسقى مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقى الغنم قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو يبرون ابن أخى شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقربهما لايطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى ﴿فسقى لهما ثم تولى الى الظل﴾ أى عدل الى أصل شجرة فجلس فى ظلها من شدة الحر وهو جائع ﴿ فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير﴾ معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس ان موسى سأل الله فلقة خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال

(قال)لهما موسى (ماخطبكما)ما بالكما لاتسقيان غنمكما (قالتا لانسقى)لانقدر أن نسقى غنمنا (حتى يصدر الرعاء)حتى تفرغ القوم ثم نسقى (وأبونا شيخ كبير)ليس له أحد بعثه غيرنا (فسقى لهما)فسقى موسى غنمهما وذهبتا الى أبيهما فأخبرتا اباهما عن خبر موسى (ثم تولى) موسى (الى الظل)ظل الشجرة ويقال ظل حائط ويقال كن (فقال) موسى (رب انى لما أنزلت الى)ماقدرت لى (من خير)من طعام (فقير)

سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بظهره بطنه ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون فى ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الانوار (فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك

لنا) على استحياء فى موضع

سائل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما انزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك ﴿فجاءته احداهما تمشى على استحياء﴾ اى مستحية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهى التى تزوجها موسى ﴿قالت ان ابى يدعوك ليجزيك﴾ ليكافئك ﴿اجر ما سقيت لنا﴾ جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل روى انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذا عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدى بشئ لم يحرم اخذه ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يريد فرعون وقومه

لئن قال موسى رب انى لما انزلت الى من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه الى قال الله تعالى ﴿فجاءته احداهما تمشى على استحياء﴾ قيل هى الكبرى واسمها صفوراء وقيل صفراء وقيل بل هى الصغرى واسمها ليا وقيل صفيراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافئه وقيل لانها رسول أبيها ﴿قالت ان ابى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ قيل لما سمع موسى ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعا لم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق اذا أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نطلب على [illegible] من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكنها عادتى [illegible] [illegible] نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] موسى [illegible] فقص عليه القصص أى أخبره بأمره أجمع [illegible] [illegible] [illegible] فرعون [illegible] قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين [illegible]

الحال أى مستحية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا فاتته مستحية قد استترت بكم درعها وما فى ما سقيت مصدرية أى جزاء سقيك. روى انهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى عليه السلام فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق (فلما جاءه وقص عليه القصص) أى قصته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص (قال) له (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) اذ لا سلطان لفرعون بارضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد [illegible] [illegible] أنثى ولمنى

(فجاءته احداهما) [illegible] الصغرى واسمها صفورا

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ليجزيك) ليعطيك [illegible] [illegible] (فلما جاءه) موسى الى أبيها [illegible] بن أخى شعيب [illegible] شعيب قبل ذلك (وقص عليه) على [illegible] (القصص) [illegible] من فرعون وغير ذلك (قال) له [illegible] (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) أهل مصر

مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والورع وأما أخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على انه روى انها لما قالت ليجزيك كره ذلك وانما أجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألست جائعا قال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نبيع دينا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من نزل بنا فأكل (قالت احداهما يا أبت استأجره) اتخذه أجيرا لرعى الغنم روى ان أكبرهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هى التى ذهبت به و طلبت الى أبيها أن يستاجره وهى التى زوجها

(ان خير من استأجرت القوى الامين) فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشى خلفه وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على ان أمانته وقوته أمر ان متحققان وقولها ان خير من استأجرت القوى الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أن الكفاية والامانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوى فى دينه الامين فى جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجارى مجرى المثل عن ان تقول استأجره لقوته وأمانته وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر فى عمر (قال انى أريد أن أنكحك)

﴿قالت احداهما﴾ يعنى التى استدعته ﴿يا أبت استأجره﴾ لرعى الغنم ﴿ان خير من استأجرت القوى الامين﴾ تعليل جامع يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امين مجرب معروف وروى ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه ﴿قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى﴾ على ان تأجر نفسك منى او تكون لى اجيرا او تثيبنى من اجرك الله ﴿ثمانى حجج﴾ ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية ثمانى حجج ﴿فان اتممت عشرا﴾ عملت عشر حجج ﴿فمن عندك﴾ فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندى الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه ولعله جرى على اجرة معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفى الاخير ان تبرع له بعد العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك ﴿وما اريد ان اشق عليك﴾ بالزام اتمام العشر او المناقشة

من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين ﴿قالت احداهما يا أبت استأجره﴾ أى اتخذه أجيرا ليرعى أغنامنا ﴿ان خير من استأجرت القوى الامين﴾ يعنى ان خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته فانه قال لى امشى خلفى حتى لا تصف الريح بدنك ﴿قال﴾ شعيب عند ذلك ﴿انى أريد أن أنكحك﴾ اى أزوجك ﴿احدى ابنتى هاتين﴾ قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء وهى التى ذهبت فى طلب موسى ﴿على أن تأجرنى ثمانى حجج﴾ أى تكون لى أجيرا ثمانى سنين ﴿فان أتممت عشرا فمن عندك﴾ أى فان أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ أى الزمك تمام العشر

انى أريد أن أنكحك) زوجك (احدى ابنتى هاتين) قوله [illegible] تكون هاتان [illegible] لم يكن ذلك عقد نكاح [illegible] أنكحك (على أن تأجرنى) تكون أجيرا لى [illegible] حجج) [illegible] والتزويج على رعى غنم جائز [illegible] بخلاف التزويج [illegible] (فان أتممت عشرا) أى عمل عشر حجج (فمن عندك) [illegible] أو اتمامه من عندك ولا أحتمه عليك [illegible]

(قالت احداهما) [illegible] (ان خير من استأجرت القوى الامين) [illegible] على الامانة (قال) [illegible] (انى أريد أن أنكحك) أزوجك يا موسى (احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى) [illegible] فى غنمى (ثمانى حجج) ثمانى سنين (فان أتممت عشرا) عشر سنين (فمن عندك) الزيادة (وما أريد أن أشق عليك) بالزيادة

أتم الاجلين وحقيقة قولهم شققت عليك وشق عليه الامر أن الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لانه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ذلك (قال) موسى (ذلك) مبتدأ وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر (بيني وبينك) يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا أنا فيما شرطت على ولا انت فيما شرطت على نفسك ثم قال (أيما الاجلين قضيت) أي أي اجل قضيت من الاجلين يعني العشرة او الثمانية وأي نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لابهام أي وهي شرطية وجوابها ﴿٥٦١﴾ (فلا عدوان على) أي لا {سورة القصص} يعتدى على في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في ايهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفاء وكما ان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل (والله على ما نقول وكيل) هو من وكل اليه الامر وعدى بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد والرقيب روى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما اصبح قال له

في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك في مزاولته ﴿ستجدني ان شاء الله من الصالحين﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة ﴿قال ذلك بيني وبينك﴾ اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ﴿أيما الاجلين﴾ اطولهما أو اقصرهما ﴿قضيت﴾ وفيتك اياه ﴿فلا عدوان على﴾ فلا يعتدى على بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني أو فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم على وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان على * وقرئ ايما كقوله

تنظرت نصرا والسماكين ايهما * على من الغيث استهلت مواطره

واي الاجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أي أي الاجلين جردت عزمي لقضائه وقرئ عدوان بالكسر ﴿والله على ما نقول﴾ من المشارطة ﴿وكيل﴾

الا ان تتبرع ﴿ستجدني ان شاء الله من الصالحين﴾ أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿ذلك بيني وبينك﴾ أي ما شرطت على فلك وما شرطت من تزوج احداهما فلي والامر بيننا على ذلك ﴿أيما الاجلين قضيت﴾ أي أي الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة ﴿فلا عدوان على﴾ أي لا ظلم على بان أطالب باكثر منه ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس شهيد بيني وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى قلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما لان رسول الله اذا قال فعل وروى عن ابي ذر مرفوعا اذا سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما و اذا سئلت اي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استأجره فتزوج صغراهما وقضى

شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ (قا و خا ٧١ بع) على يمينك فان الكلأ وان كان بها أكثر الا ان فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا التنين قد أقبل فحاربته العصا حتى [illegible] الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم و [illegible] بلون غزيرة الالبان فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام [illegible] الى [illegible] في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ثم سق [illegible] كلهن أدرع ودرعاء فوفى له

ستجدني ان شاء الله من الصالحين) بالوفاء (قال) موسى (ذلك) الشرط (بيني وبينك أيما الاجلين قضيت) الثمان أو العشر فلا عدوان على) فلا سبيل لك على (والله على ما نقول) من الشرط والوفاء (وكيل) شهيد

شاهد حفيظ ﴿ فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله ﴾ بامرأته روى انه قضى اقصى اجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع ﴿ آنس من جانب الطور نارا ﴾ ابصر من الجهة التى تلى الطور ﴿ قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر ﴾ بخبر الطريق ﴿ أو جذوة ﴾ عود غليظ سواء كانت فى رأسه نارا ولم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لهـا * جزل الجذى غير خوار ولا دعر

والقى على قيس من النار جذوة * شـديدا عليهـا حرها والتهابها

ولذلك بينه بقوله ﴿ من النار ﴾ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ تستدفئون بها ﴿ فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن ﴾ أتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى ﴿ فى البقعة المباركة ﴾ متصل بالشاطئ أو صلة لنودى ﴿ من الشجرة ﴾ بدل من شاطئ

اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروى شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليـه بصره فقال الله له ماهذا البكاء أشـوقا الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يارب و لكن شـوقا الى لقائك فاوحى الله اليـه ان يكن ذلك فهنيأ لك لقائى ياشعيب لذلك اخدمتك كليمى موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبى الا اكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبى من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ماولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيبا أراد ان يجازى موسى على حسن رعيه اكراما له وصلة لابنته فقال له انى قد وهبت لك من ولد أغنامى كل أبلق وبلقاء فى هذه السنة فاوحى الله تعالى الى موسى فى النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت حملها مابين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام * قوله عز وجل ﴿ فلما قضى موسى الاجل ﴾ أى أتمه وفرغ منه ﴿ وسار بأهله ﴾ قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين أخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر فأذن له فسار باهله أى بزوجته قاصدا الى مصر ﴿ آنس ﴾ أى أبصر ﴿ من جانب الطور نارا ﴾ وذلك انه كان فى البرية فى ليلة مظلمة شـديدة البرد وأخذ امرأته الطلق ﴿ قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر ﴾ أى عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق ﴿ أو جذوة من النار ﴾ أى قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذى اشتعل بعضه ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ أى تستدفئون ﴿ فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن ﴾ يعنى من جانب الوادى الذى عن يمين موسى ﴿ فى البقعة المباركة ﴾ جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة ﴿ من الشجرة ﴾ أى من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت

كذا فى الرواية [illegible] (وسار بأهله) بامرأته نحو مصر قال ابن عطاء لما تم أجل المحنـة ودنا أيام الزلفـة وظهرت أنوار النبوة سار باهله ليشتركوا معـه فى لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل الطريق (أو جـذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودى من شـاطئ الوادى الايمن) بالنسبة الى موسى (فى البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) العناب أو العوسج

(فلما قضى موسى الاجل) عشر سنين (وسار بأهله) نحو مصر (آنس من جانب الطور نارا) رأى عن يسار الطريق نارا (قال لأهله امكثوا) انزلوا ههنا (انى آنست) رأيت (نارا لعلى آتيكم منها) من عند النار (بخبر) عن الطريق وقد كان تحير فى الطريق (أو جذوة) قطعة (من النار لعلكم تصطلون) لكى تدفؤا اذ كانوا فى شدة من الشتاء (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) عن يمين موسى (فى البقعة المباركة) بالماء والشجر (من الشجرة)

(أن ياموسى) أن مفسرة أو مخففة من الثقيلة (انى أنا الله رب العالمين) قال جعفر أبصر نارا دلته على الانوار لانه رأى النور فى هيئة النار فلما دنا منها شملته أنوار القدس واحاطت به جلابيب الانس فخوطب بالطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا أعطى ما سأل وأمن مما خاف والجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن فعاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت فى رأسه نار أولم تكن ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب (وان ألق عصاك) ونودى ان ألق عصاك فالقاها فقلبها الله ثعبانا (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية فى سعيها وهى ثعبان فى جثتها (ولى مدبرا ولم يعقب) يرجع فقيل له (ياموسى أقبل ولاتخف انك من الآمنين) أى أمنت من أن ينالك مكروه من الحية (اسلك) أدخل (يدك فى جيبك) جيب قميصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك من الرهب) حجازى بفتحتين وبصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل الخوف والمعنى

بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ﴿ ان ياموسى ﴾ اى ياموسى ﴿ انى انا الله رب العالمين ﴾ هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود ﴿ وان الق عصاك فلما رآها تهتز ﴾ فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز ﴿ كأنها جان ﴾ فى الهيئة والجثة أو فى السرعة ﴿ ولى مدبرا ﴾ منهزما من الخوف ﴿ ولم يعقب ﴾ ولم يرجع ﴿ ياموسى ﴾ نودى ياموسى ﴿ اقبل ولاتخف انك من الآمنين ﴾ من المخاوف فانه لايخاف لدى المرسلون ﴿ اسلك يدك فى جيبك ﴾ أدخلها ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ عيب ﴿ واضمم اليك جناحك ﴾ يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه ﴿ من الرهب ﴾ من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف

سمرة خضراء ترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن عباس انها العناب ﴿ أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين ﴾ قيل ان موسى لما رأى النار فى الشجرة الخضراء علم أنه لايقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق فى نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال انى سمعته بجميع اجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لايقدر عليه أحد الا الله تعالى ﴿ وأن ألق عصاك ﴾ أى فالقاها ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أى تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ هى الحية الصغيرة والمعنى انها فى سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة ﴿ ولى مدبرا ﴾ أى هاربا منها ﴿ ولم يعقب ﴾ أى ولم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا بلعتها حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودى عند ذلك ﴿ ياموسى أقبل ولاتخف انك من الآمنين ﴾ * قوله عز وجل ﴿ اسلك يدك ﴾ أى أدخل يدك ﴿ فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ أى برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ﴿ واضمم اليك جناحك من الرهب ﴾ اى من الخوف والمعنى اذا هالك

من نحو الشجرة (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) سيد الجن والانس (وان ألق عصاك) من يدك (فلما رآها) بعدما ألقاها (تهتز) تتحرك رافعة رأسها (كأنها جان) حية لاصغيرة ولا كبيرة (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) لم يلتفت اليها قال الله (ياموسى أقبل) اليها (ولاتخف) منها (انك من الآمنين) من شرها فاخذها موسى فاذا هى عصا كما كانت الله له (اسلك) أدخل (يدك فى جيبك) فى ابطك ياموسى (تخرج بيضاء) لها ضوء كضوء الشمس (من غير سوء) من غير برص واضمم اليك جناحك) أدخل يدك فى ابطك بعد ذلك (من الرهب) من الفرق اذا أرهبت بها

واضمم يدك الى صدرك يذهب مابك من فرق أى لاجل الحية عن ابن عباس رضى الله عنهما كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى و اتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ماهو غضاضة عليك واظهار معجزة أخرى و المراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه أو أريد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لايضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أى اذا

أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك واسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذ الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك فى طه أدخل يمناك تحت يسراك (فذانك) مخففا مثنى ذاك ومشددا مكى وابو عمرو مثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (برهانان) حجتان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة (من ربك الى فرعون وملئه) أى ارسلناك الى فرعون (أى) وملئه بهاتين الآيتين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون) به بغير ياء وبالياء يعقوب (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى) حفص (ردأ) حال أى عونا يقال ردأته أعنته و بلاهمز

فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات ﴿فذانك﴾ اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس ﴿برهانان﴾ حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن ﴿من ربك﴾ مرسلا بهما ﴿الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ فكانوا احقاء بان يرسل اليهم ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون﴾ بها ﴿واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردأ﴾ معينا وهو فى الاصل اسم مايعان به كالدفئ وقرأ نافع ردا بالتخفيف

امر يدك وماتراه من شعاعها فادخلها فى جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس أمر الله موسى أن يضم يده الى صدره فيذهب عنه مانا له من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه و قيل المراد من ضم الجناح السكون أى سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده فى كمه ﴿فذانك﴾ يعنى العصا واليد البيضاء ﴿برهانان﴾ أى آيتان ﴿من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ أى خارجين عن الحق ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا﴾ يعنى القبطى ﴿فاخاف ان يقتلون﴾ اى به ﴿واخى هرون هو افصح منى لسانا﴾ أى بيانا وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجمرة فى فيه ﴿فارسله معى ردأ﴾

الناس (فذانك برهانان) فهاتان حجتان (من ربك الى فرعون وملئه) قومه (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين مفسدين فى شركهم (قال) موسى (رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون) بدلها (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا) أبين منى كلاما وكان على لسان موسى رتة (فارسله معى ردأ) معينا

مدنى (يصدقنى) عاصم وحمزة صفة أى ردأ مصدقالى وغيرهما بالجزم جواب لارسله و معنى تصديقه موسى اعانته اياه بزيادةالبيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لاان يقول له صدقت ألا ترى الى قوله هوأفصح منى لسانا فارسله وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لالقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان (انى أخاف أن يكذبون) يكذبونى فى الحالين يعقوب (قال سنشد عضدك باخيك) سنقويك به اذاليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على

(ونجعل لكما سلطانا) غلبة وتسلطا وهيبة فى قلوب الاعداء (فلايصلون اليكما بآياتنا) الباء تتعلق بيصلون أى لايصلون اليكما بسبب آياتنا وتم الكلام أو فنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا . أو بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو هو بيان للغالبون لاصلة أو قسم جوابه لايصلون مقدما عليه (أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ماهذا الا سحر مفترى) أى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (وماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم يعنى ماحدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار

﴿ يصدقنى ﴾ بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة ﴿ انى اخاف ان يكذبون ﴾ ولسانى لايطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسنداليه اسناد الفعل الى السبب وقرعاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف ﴿ قال سنشد عضدك باخيك ﴾ سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ﴿ ونجعل لكما سلطانا ﴾ غلبة أو حجة ﴿ فلايصلون اليكما ﴾ باستيلاء أو حجاج ﴿ بآياتنا ﴾ متعلق بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما بها أو بمعنى لايصلون اى تمتنعون منهم أو قسم جوابه لايصلون أو بيان للغالبون فى قوله ﴿ انتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ بمعنى انه صلة لما بينه أو صلة له على ان اللام فيه للتعريف لابمعنى الذى ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى ﴾ سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر ﴿ وماسمعنا بهذا ﴾ يعنون السحر أو ادعاء النبوة ﴿ فى آبائنا الاولين ﴾ كائنا فى ايامهم ﴿ وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ فيعلم انى محق وانتم مبطلون ۞ وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال ماقاله جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فتميز صحيحهما من الفاسد ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا

أى عونا ﴿ يصدقنى ﴾ يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد ﴿ انى اخاف ان يكذبون ﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿ قال سنشد عضدك باخيك ﴾ أى سنقويك به وكان هرون بمصر ﴿ ونجعل لكما سلطانا ﴾ أى حجة وبرهانا ﴿ فلايصلون اليكما ﴾ أى بقتل ولاسوء ﴿ بآياتنا ﴾ قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلايصلون اليكما ﴿ أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ أى لكما و لاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات ﴾ أى واضحات ﴿ قالوا ماهذا الاسحر مفترى ﴾ أى مختلق ﴿ وماسمعنا بهذا ﴾ أى بالذى تدعونا اليه ﴿ فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ أى انه يعلم المحق من المبطل ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ أى العقبى المحمودة فى الدار

(يصدقنى) يعبر عنى كلامى وبصدق قولى (انى أخاف ان يكذبون) بالرسالة (قال) الله (سنشد عضدك)سنقوى ظهرك (باخيك) هرون (ونجعل لكما سلطانا) عذرا , حجة (بآياتنا) مقدم ومؤخر (فلايصلون اليكما) الى قتلكما (أنتما ومن اتبعكما) بالايمان والآيات (الغالبون) على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا) اليد والعصا (بينات) مبينات (قالوا) ياموسى (ماهذا) الذى جئتنا به (الاسحر مفترى) كذب مختلق من تلقاء نفسك (وماسمعنا بهذا) الذى تقول ياموسى (فى آبائنا الاولين) من آبائنا الماضين (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى) بالرسالة والتوحيد (من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) الجنة فى الآخرة

انه لايفلح الظالمون) أى ربى أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعد حسن العقبى يعنى نفسه ولوكان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لانه غنى حكيم لايرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة المحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكي وهو حسن لان الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر ربى أعلم حجازى وأبو عمرو ومن يكون حمزة وعلي (وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى) قصد بنفى علمه باله غيره نفى وجوده أى مالكم من اله غيرى أو هو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده (فاوقد لى ياهامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر واتخذه وانما لم يقل مكان طين هذا لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولانه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة اذ أمر هامان وهو وزيره بالايقاد على الطين منادى باسمه بياى وسط الكلام دليل التعظم والتجبر (فاجعل لى صرحا) قصرا عاليا (لعلى أطلع) أى أصعد والاطلاع الصعود (الى اله موسى) حسب انه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان (وانى لاظنه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه ان له الها وانه أرسله الينا رسولا وقد تناقض المخذول فانه قال ماعلمت لكم من اله غيرى ثم أظهر حاجته الى (غيرى) هامان وأثبت لموسى لها وأخبر انه غير متيقن بكذبه وكان تحصل من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلى أطلع الى اله موسى روى

وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ لايفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى ﴿ وقال فرعون ياايها الملأ ماعلمت لكم من آله غيرى ﴾ نفى علمه بآله غيره دون وجوده اذلم يكن عنده مايقتضى الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله ﴿ فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى ﴾ كأنه توهم انه لوكان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال ﴿ وانى لأظنه من الكاذبين ﴾ أو اراد ان يبنى له رصد يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها مايدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق

الآخرة ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ أى الكافرون ﴿ وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى ﴾ فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته ﴿ فاوقد لى ياهامان على الطين ﴾ أى اطبخ لى الآجر قيل انه أول من اتخذ آجرا وبنى به ﴿ فاجعل لى صرحا ﴾ أى قصرا عاليا وقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق أحد عمل شيأ فيه الا هلك فذلك قوله ﴿ لعلى أطلع الى اله موسى ﴾ أى أنظر اليه وأقف على حاله ﴿ وانى لأظنه ﴾ يعنى موسى ﴿ من الكاذبين ﴾ أى فى زعمه ان للارض والخلق الها

(انه لايفلح) لايأمن ولاينجو (الظالمون) المشركون من عذاب الله (وقال فرعون ياأيها الملأ) يارجال أهل مصر (ماعلمت لكم) ما عرفت لكم (من اله) الها (غيرى) فلاتطيعوا موسى (فاوقد لى) أى النار (ياهامان على الطين) فاطبخ لى ياهامان من الطين آجرا (فاجعل لى صرحا) قصرا (لعلى أطلع) أصعد وانظر (الى اله موسى) الذى يزعم انه فى السماء وأرسله الى (وانى لأظنه من الكاذبين) ليس فى السماء من

ان هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (في الارض) أرض مصر (بغير الحق) أي بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) يرجعون نافع وحمزة وعلي وخلف ويعقوب (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ بكفه فطرحهن في البحر (فانظر) يا محمد (كيف

معلوما تهافيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام ﴿واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق﴾ بغير استحقاق ﴿وظنوا انهم الينا لا يرجعون﴾ بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم ﴿فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ وحذر قومك عن مثلها ﴿وجعلناهم أئمة﴾ قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أو بمنع الالطاف الصارفة عنه ﴿يدعون الى النار﴾ الى موجباتها من الكفر والمعاصي ﴿ويوم القيمة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ﴿ويوم القيمة هم من المقبوحين﴾ من المطرودين أو ممن قبح وجوههم

غيري وانه أرسله ﴿واستكبر هو وجنوده في الارض﴾ أي تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم ﴿بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون﴾ أي للحساب والجزاء ﴿فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ أي فالقيناهم في البحر وهو القلزم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ يعني حين صاروا الى الهلاك ﴿وجعلناهم أئمة﴾ أي قادة ورؤساء ﴿يدعون الى النار﴾ أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار ﴿ويوم القيمة لا ينصرون﴾ أي لا يمنعون من العذاب ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ أي خزيا وبعدا وعذابا ﴿ويوم القيمة هم من المقبوحين﴾ أي المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون

كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك منصور عليهم (وجعلناهم أئمة) قادة (يدعون الى النار) اي عمل أهل النار قال ابن عطاء نزع عن أسرارهم التوفيق وأنوار التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق أفعال العباد (ويوم القيمة لا ينصرون) من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) ألزمناهم طردا وابعادا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم (ويوم القيمة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف

الله (واستكبر) تعظم عن الايمان (هو) فرعون (وجنوده) جموعه القبط (في الارض) في أرض مصر (بغير الحق) بغير أن كان لهم ذلك (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) في الآخرة (فأخذناه) يعني فرعون بكلمته الاولى أنا ربكم الاعلى والاخرى ما علمت لكم من اله غيري (وجنوده) جموعه القبط (فنبذناهم في اليم) فالقيناهم فطرحناهم في البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) آخر أمر المشركين فرعون وقومه (وجعلناهم) جعلناهم (أئمة) قادة الى الكفار والضلال (يدعون الى النار) الى الكفر والشرك وعبادة الاوثان (ويوم القيمة لا ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أهلكناهم في الدنيا بالغرق (ويوم القيمة هم من المقبوحين) سود

للمقبوحين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعدما اهلكنا القرون الاولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذى يبصر به الرشد والسعادة كما أن البصر نور العين الذى يبصر به الاجساد يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (وهدى) وارشادا لانهم كانوا يخبطون فى ضلال (ورحمة) لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت) يا محمد

(بجانب) الجبل (الغربى) وهو المكان الواقع فى شق الغرب وهو الذى وقع فيه ميقات موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) أى كلمناه وقربناه نجيا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحى اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى فى ميقاته (ولكنا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فتطاول عليهم العمر) أى طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف فى كثير منها فارسلناك مجددا لتلك الاخبار مبينا ما وقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبيه

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿من بعدما اهلكنا القرون الاولى﴾ اقوام نوح وهود وصالح ولوط ﴿بصائر للناس﴾ انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل ﴿وهدى﴾ الى الشرائع التى هى سبل الله تعالى ﴿ورحمة﴾ لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله ﴿لعلهم يتذكرون﴾ ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت ﴿وما كنت بجانب الغربى﴾ يريد الوادى أو الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربى منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى ما كنت حاضرا ﴿اذ قضينا الى موسى الامر﴾ اذ اوحينا اليه الامر الذى اردنا تعريفه ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ للوحى اليه اوعلى الوحى اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لا تعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله ﴿ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر﴾ اى ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه

* وقوله عز وجل ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعنى التوراة ﴿من بعدما أهلكنا القرون الاولى﴾ يعنى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى ﴿بصائر للناس﴾ أى ليبصروا ذلك فيهتدوا به ﴿وهدى﴾ أى من الضلالة لمن عمل به ﴿ورحمة﴾ أى لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى بما فيه من المواعظ ﴿وما كنت﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى وما كنت يا محمد ﴿بجانب الغربى﴾ أى بجانب الجبل الغربى قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه ﴿اذ قضينا الى موسى الامر﴾ أى عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أى الحاضرين ذلك المقام الذى أوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك ﴿ولكنا أنشأنا قرونا﴾ أى خلقنا بعد موسى أمما ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أى طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا أمره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا فى محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها

الوجوه وزرق الاعين (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الاولى) (وما) من قبل موسى (بصائر) بيانا (للناس) لبنى اسرئيل (وهدى) من الضلالة (ورحمة) لمن آمن (لعلهم يتذكرون) لكى يتعظوا فيؤمنوا به (وما كنت) يا محمد (بجانب الغربى) الجبل (اذ قضينا الى موسى الامر) حين أمرنا موسى الاتيان الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) من الحاضرين هناك (ولكنا أنشأنا) خلقنا (قرونا) قرنا بعد قرن وبينا قصة الاول للآخر كما بيناها لك (فتطاول عليهم العمر) الاجل فلم يؤمنوا فاهلكناهم قرنا

الاستدراك كينبعده (وما كنت ثاويا) مقيما (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرؤها

 وتتلو في موضع نصب خبر

﴿وما كنت ثاويا﴾ مقيما ﴿في اهل مدين﴾ شعيب والمؤمنين به ﴿تتلوا عليهم﴾ تقرأ عليهم تعلما منهم ﴿آياتنا﴾ التي فيها قصتهم ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ اياك ومخبرين لك بها ﴿وما كنت بجانب الطور اذ نادينا﴾ لعل المراد به وقت ما اعطاه التوربة وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة ﴿ولكن رحمة﴾ نصب على المصدر اومفعول له ﴿من ربك﴾ ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة ﴿لتنذر قوما﴾ متعلق بالفعل المحذوف ﴿ما اتاهم من نذير من قبلك﴾ لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة اوبينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وماحواليهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون ﴿ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم﴾

﴿وما كنت ثاويا﴾ أي مقيما ﴿في أهل مدين﴾ أي كمقام موسى وشعيب فيهم ﴿تتلوا عليهم آياتنا﴾ أي تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ يعني أرسلناك رسولا وأنزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه ﴿اذ نادينا﴾ يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب أرني محمدا وأمته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم قال بلى يارب قال الله تعالى ياأمة محمد فاجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى ياأمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء والارحام أي أرحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى ياأمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم قبل ان تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أي رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك ﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني أهل مكة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا في أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن في هذه الاحوال حاضرا بين الله أنه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته كانه قال في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك قوله تعالى ﴿ولولا ان تصيبهم مصيبة﴾ أي عقوبة ونقمة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ يعني من الكفر والمعاصي

ثان أوحال من الضمير في ثاويا (ولكنا كنا مرسلين) ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت ايديهم)

بعد قرن (وما كنت) يا محمد (ثاويا) مقيما (في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا) تقرأ على قومك آياتنا القرآن تخبرهم (ولكنا كنا مرسلين) الرسل الى القرون الاولى وبينا قصة الاول للآخر كما بينا لك قصة الاولين (وما كنت بجانب الطور) جبل زبير (اذ نادينا) حيث كلمنا موسى ويقال اذ نادينا أمتك (ولكن) علمناك وأرسلناك (رحمة) نعمة ومنة (من ربك) اذ أرسل اليك جبريل بالقرآن بأخبار الامم (لتنذر قوما) لكي تخوف قوما

القرآن (ما أتاهم من نذير) لم يأتهم رسول (فارخا ٧٢ بع) مخوف (من قبلك) يعني قريشا (لعلهم يتذكرون) لكي يتعظوا يؤمنوا (ولولا ان تصيبهم مصيبة) ولولا ان يصيب قومك قريشا عذاب يوم القيامة (بما قدمت أيديهم) بما اكتسبوا في كفرهم

من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الاعمال تزاول بالايدى نسبت الاعمال الى الايدى وان كانت من أعمال القلوب تغليبا للأكثر على الاقل (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها فى حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الامر والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعنى أن ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لاالقول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال فادخلت عليها لولا وجئ بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أى القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا) أى كفار مكة (لولا أوتى) هلا أعطى (مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أولم يكفروا) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) فى موسى وهارون (ساحران تظاهرا) تعاونا سحران كوفى أى ﴿كل﴾

فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا﴾ لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها مما اجيبت بها بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اى انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم ﴿فنتبع آياتك﴾ يعنى الرسول المصدق بنوع من المعجزات ﴿ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى﴾ من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا ﴿اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل﴾ يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد ﴿قالوا ساحران﴾ يعنون موسى وهارون او موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم ﴿تظاهرا﴾ تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين * وقرأ

﴿فيقولوا ربنا لولا﴾ أى هلا ﴿أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ ومعنى الآية لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿قالوا﴾ يعنى كفار مكة ﴿لولا﴾ أى هلا ﴿أوتى﴾ محمد ﴿مثل ما أوتى موسى﴾ يعنى من الآيات كالعصا واليد البيضاء وقيل أوتى كتابا جملة واحدة كما أوتى موسى التوراة قال الله تعالى ﴿أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل﴾ قيل ان اليهود أرسلوا الى قريش أن يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتى موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل يعنى اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال ﴿قالوا ساحران تظاهرا﴾ يعنى التوراة والقرآن يقوى

(فيقولوا) عند نزول العذاب بهم يوم القيامة (ربنا) يا ربنا (لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا) مع الكتاب قبل العذاب (فنتبع آياتك) كتابك ورسولك (ونكون من المؤمنين) بالكتاب والرسول لاهلكناهم قبلك ولكن أرسلناك اليهم بالقرآن لكى لا تكون لهم حجة علينا (فلما جاءهم الحق) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (من عندنا قالوا) كفار مكة (لولا أوتى) هلا أعطى محمد عليه السلام يعنى اليد والعصا والمن والسلوى والقرآن جملة (مثل ما أوتى) أعطى (موسى) بزعمه (أولم يكفروا) كفار مكة (بما أوتى موسى) أعطى موسى (من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم يعنى التوراة (قالوا) كفار مكة (سحران) يعنى التوراة والقرآن (تظاهرا) تعاونا

ذواسحر أوجعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر (وقالوا انابكل) بكل واحد منهما (كافرون) وقيل ان أهل مكة لما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا فى موسى ومحمد ساحران تظاهرا أو فى التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فاخبروهم أنه فى كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود

فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى ومما أنزل على (أتبعه) جواب فأتوا (ان كنتم صادقين) فى أنهما سحران (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم قد الزموا ولم تبق حجة الا اتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أى لا أحد أضل ممن اتبع فى الدين هواه وبغير هدى حال أى مخذولا يخلى بينه وبين هواه (ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعنى ان القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا

(وقالوا) كفار مكة (انا بكل) بالتوراة والقرآن (كافرون) جاحدون (قل) لهم يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى) أصوب (منهما) من التوراة والقرآن (أتبعه)

الكوفيون سحران بتقدير مضاف اوجعلهما سحرين مبالغة اواسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام ﴿ وقالوا انا بكل كافرون ﴾ اى بكل منهما اوبكل الانبياء ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما ﴾ مما نزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ اتبعه ان كنتم صادقين ﴾ انا ساحران مختلفان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجئ حرف الشك للتهكم بهم ﴿ فان لم يستجيبوا لك ﴾ دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذا عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

ودا دعايامن يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

﴿ فاعلم انما يتبعون اهواءهم ﴾ اذلو اتبعوا حجة لاتوا بها ﴿ ومن اضل ممن اتبع هواه ﴾ استفهام بمعنى النفى ﴿ بغير هدى من الله ﴾ فى موضع الحال للتأكيد اوالتقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ﴿ ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ الذى ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير اوفى النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ فيؤمنون ويطيعون

كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعنى محمدا وموسى وقيل ان مشركى مكة بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم أن نعته فى كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا ﴿ وقالوا انا بكل كافرون ﴾ يعنى بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ﴾ يعنى من التوراة والقرآن ﴿ أتبعه ﴾ يعنى الكتاب الذى تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله ﴿ ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك ﴾ أى فان لم يأتوا بما طلبت ﴿ فاعلم انما يتبعون أهواءهم ﴾ يعنى ان ما ركبوه من الكفر لاحجة لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ما هم عليه من الهوى ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ قال ابن عباس بينا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار مكة بما فى القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة فى الدنيا ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أى

أعمل به (ان كنتم صادقين) ان التوراة والقرآن سحران تظاهرا فلم يقدروا ان يأتوا قال الله (فان لم يستجيبوا لك) فان لم يجيبوك الظلمة بما سألتهم (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) بالكفر والشرك وعبادة الاوثان (ومن أضل) أكفر عن الحق والهدى (ممن اتبع هواه) بالكفر والشرك وعبادة الاوثان (بغير هدى من الله) بغير حجة وبيان من الله (ان الله لا يهدى) لا يرشد الى دينه (القوم الظالمين) المشركين أبا جهل وأصحابه (ولقد وصلنا لهم القول) بينا لهم القرآن بالتوحيد (لعلهم يتذكرون) لكى

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب (واذا يتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله) من قبل نزول القرآن (مسلمين) كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به

وقوله انا بيان لقوله آمنا لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة وايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرؤن بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم

يتعظوا بالقرآن فيؤمنوا (الذين آتيناهم الكتاب) أعطيناهم علم التوراة (من قبله) من قبل مجئ محمد عليه السلام والقرآن يعنى عبد الله ابن سلام وأصحابه نحو أربعين رجلا منهم من جاء من الشام ومنهم من جاء من اليمن (هم به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (يؤمنون) يوقنون (واذا يتلى عليهم) يقرأ عليهم القرآن بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (قالوا آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (انه الحق من ربنا انا كنا من قبله) من قبل قراءة القرآن علينا (مسلمين) مقرين بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك) أهل هذه الصفة (يؤتون أجرهم مرتين) يعطون ثوابهم ضعفين (بما صبروا) على أذى الكفار وطعنهم متى بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى كتابهم ودخلوا فى دين محمد عليه السلام (ويدرؤن بالحسنة السيئة) يدفعون بالكلام الحسن بلا اله الا الله الكلام القبيح الشرك من غيرهم ﴿ ومما ﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقرآن كالمستكن فى ﴿واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به﴾ اى بانه كلام الله تعالى ﴿انه الحق من ربنا﴾ استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به ﴿انا كنا من قبله مسلمين﴾ استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن ﴿بما صبروا﴾ بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى هاجرهم من اهل دينهم ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام اتبع الحسنة السيئة تمحها

يتعظون ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ أى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ نزلت فى مومنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبى طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يارسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت فى ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال ﴿واذا يتلى عليهم﴾ يعنى القرآن ﴿قالوا آمنا به انه الحق من ربنا﴾ وذلك ان ذكر النبى صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ﴿انا كنا من قبله مسلمين﴾ أى من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبى حق ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ يعنى بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر ﴿بما صبروا﴾ أى على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾ قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو

الاذى (ومما رزقناهم ينفقون) يزكون (واذا سمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين (أعرضوا عنه وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) أمان منا لكم بان نقابل لغوكم بمثله (لا نبتغى الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (انك لا تهدى من أحببت) لا تقدر ان تدخل فى الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدى من يشاء) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بمن

يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فى سبيل الخير ﴿واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ تكرما ﴿وقالوا﴾ للاغين ﴿لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم﴾ متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه ﴿لا نبتغى الجاهلين﴾ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها ﴿انك لا تهدى من احببت﴾ لا تقدر ان تدخله فى الاسلام ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ فيدخله فى الاسلام ﴿وهو اعلم بالمهتدين﴾ بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك صادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا﴾ نخرج منها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أى فى الطاعة ﴿واذا سمعوا اللغو﴾ أى القول القبيح ﴿أعرضوا عنه﴾ وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم ﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أى لنا ديننا ولكم دينكم ﴿سلام عليكم﴾ ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم ﴿لا نبتغى الجاهلين﴾ يعنى لا نحب دينكم الذى أنتم عليه وقيل لا نريد ان نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال ✽ قوله تعالى ﴿انك لا تهدى من أحببت﴾ أى هدايته وقيل أحببته لقرابته ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ وذلك أن الله تعالى يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أى بمن قدر له الهدى (م) عن أبى هريرة قال انك لا تهدى من أحببت نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود عمه أبا طالب على الاسلام وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب عند الموت ياعم قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم أنشد

ولقد علمت بان دين محمد ✽ من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ✽ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ يعنى مكة نزلت فى الحرث بن عثمان بن

قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها نزلت فى أبى طالب وذلك أنه قال عند موته يامعشر بنى هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال عليه السلام ياعم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال أريد منك أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخى أنا قد علمت أنك صادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا)

(ومما رزقناهم) أعطيناهم من الاموال (ينفقون) يتصدقون (واذا سمعوا اللغو) الباطل يعنى طعنة الكفار عليهم (أعرضوا عنه) كراما (وقالوا) معروفا (لنا أعمالنا) عبادة الله ودين الاسلام (ولكم أعمالكم) عليكم أعمالكم عبادة الاوثان ودين الشيطان الشرك بالله (سلام عليكم) هدا كم الله (لا نبتغى الجاهلين) لا نطلب دين المشركين بالله (انك) يا محمد (لا تهدى) لا تعرف (من أحببت) ايمانه يعنى أبا طالب (ولكن الله يهدى) يوفق ويرشد ويعرف (من يشاء) لدينه أبا بكر وعمر وأصحابهما (وهو أعلم بالمهتدين) لدينه (وقالوا) حرث بن عمرو النوفلى وأصحابه (ان نتبع الهدى) التوحيد (معك) يا محمد (نتخطف) نطرد (من أرضنا)

أولم نمكن لهم حرماآمنا) قالت قريش نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك ان يتخطفونا من أرضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم فى الحرم الذى أمنه بحرمة البيت وأمن قطانه بحرمته والثمرات تجبى اليه من كل أوب وهم كفرة فأنى يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (يجبى اليه) وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل أى تجلب وتجمع (ثمرات كل شئ) معنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ (رزقا من لدنا) هو مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لايعلمون) متعلق بمن لدنا أى قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عندالله وأكثرهم جهلة لايعلمون ذلك ولو علموا انه من عندالله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا فى مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة و قابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل أى فى معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها فى الاسفار كبلاد ثمود و قوم شعيب (المسافرون) وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الاقليلا) من السكنى أى لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أوساعة

اتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله ﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا ﴾ اولم نجعل مكانهم حرماذا أمن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه ﴿ يجبى اليه ﴾ يحمل اليه ويجمع فيه *وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء ﴿ ثمرات كل شئ ﴾ من كل اوب ﴿ رزقا من لدنا ﴾ فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ﴿ولكن اكثرهم لايعلمون ﴾ جهلة لايتفطنون له ولايتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عندالله اذلو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى اوالحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ماهم عليه بقوله ﴿ وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم فى الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم ﴿فتلك مساكنهم﴾ خاوية ﴿لم تسكن من بعدهم﴾ من السكنى اذ لايسكنها الا المارة يوما اوبعض يوم اولايبقى من يسكنها ﴿الاقليلا﴾ من شؤم معاصيهم

نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذى تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى ﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا﴾ وذلك ان العرب كانت فى الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة ﴿يجبى اليه﴾ اى يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن ﴿ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ يعنى ان أكثر أهل مكة لايعلمون ذلك * قوله عز وجل ﴿ وكم اهلكنا من قرية ﴾ أى من أهل قرية ﴿ بطرت معيشتها ﴾ أى اشرت وطغت وقيل عاشوا فى البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام ﴿ فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الاقليلا ﴾ قال ابن عباس لم يسكنها الا

مكة (أولم نمكن لهم) ننزلهم ونجعل لهم (حرما آمنا) من ان يهاج فيه (يجبى اليه ثمرات كل شئ) يحمل اليه ألوان كل شئ من الثمرات (رزقا من لدنا) طعاما لهم من عندنا فكيف أسلط عليهم الكفار ان آمنوا (ولكن أكثرهم لايعلمون) ذاك ولا يصدقون (وكم أهلكنا من قرية) من أهل قرية (بطرت معيشتها) كفرت بمعيشتها (فتلك مساكنهم) منازلهم (لم تسكن من بعدهم) من بعد هلاكهم (الا قليلا) منها يسكنها المسافرون وسائرها خراب

(وكنانحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أى لا يملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) فى كل وقت (حتى يبعث فى أمها) و بكسر الهمزة حمزة وعلى أى فى القرية التى هى امها أى أصلها ومعظمها (رسولا) لالزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الارض حتى يبعث فى أم القرى يعنى مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا يعنى محمدا عليه السلام (يتلوا عليهم آياتنا) أى القرآن (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) أى وما أهلكناهم للانتقام الا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم و مكابرتهم بعد الاعذار اليهم (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) وأى شئ أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهى مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك (وأبقى) لانه دائم (أفلا تعقلون) ان الباقى خير من الفانى وخير أبو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا)

﴿ وكنانحن الوارثين ﴾ منهم اذلم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض اوبجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيدظنى مقيم اوباضمار زمان مضاف اليه اومفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت ﴿ وما كان ربك ﴾ وما كانت عادته ﴿ مهلك القرى حتى يبعث فى امها ﴾ فى اصلها التى هى اعمالها لان اهلها يكون أفطن وأنبل ﴿ رسولا يتلوا عليهم آياتنا ﴾ لالزام الحجة وقطع المعذرة ﴿ وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون ﴾ بتكذيب الرسل والعتو فى الكفر ﴿ وما اوتيتم من شئ ﴾ من اسباب الدنيا ﴿ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها ﴾ تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية ﴿ وما عند الله ﴾ وهو ثوابه ﴿ خير ﴾ فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة ﴿ وابقى ﴾ لانه ابدى ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير *وقرأ أبو عمرو بالياء وهو ابلغ فى الموعظة ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾

المسافرون سكونا قليلا و قيل لم يعمر منها الا اقلها وأكثرها خراب ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ يعنى لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها الى الله تعالى لانه الباقى بعد فناء الخلق ﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ يعنى الكافرة أهلها ﴿ حتى يبعث فى امها رسولا ﴾ أى فى أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث فى أم القرى وهى مكة رسولا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء ﴿ يتلوا عليهم آياتنا ﴾ يعنى انه يؤدى اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا ﴿ وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون ﴾ أى مشركون * قوله عز وجل ﴿ وما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها ﴾ أى تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هى الى فناء وانقضاء ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهى دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أى ان الباقى خير من الفانى وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعى من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وماهم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾ يعنى

(وكنا نحن الوارثين) المالكين على ماملكوا وتركوا بعد هلاكهم (وما كان ربك مهلك القرى) أهل القرى (حتى يبعث فى أمها) فى أعظمها مكة ويقال الى عظمائها وكبرائها (رسولا يتلوا عليهم آياتنا) بالامر والنهى (وما كنا مهلكى القرى) أهل القرى (الا وأهلها ظالمون) مشركون (وما أوتيتم من شئ) ما أعطيتم من المال والخدم يا معشر قريش (فمتاع الحيوة الدنيا) كمتاع الحياة الدنيا الخزف والزجاج (وزينتها) زهرتها الا يبقى هذه الزهرة (وما عند الله) لمحمد وأصحابه فى الجنة (خير) أفضل (وأبقى) ادوم مما لكم فى الدنيا (أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الانسانية ان الدنيا فانية والآخرة باقية (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعنى الجنة وهو

أي الجنة فلا شئ أحسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فهو لاقيه) أى رائيه ومدركه ومصيبه (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فانهم لمحضرون نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى جهل لعنه الله أو فى على وحمزة وأبى جهل أو فى المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أى أبعد هذا التفاوت الجلى يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخى حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد فى عضد شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) ينادى الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر (فيقول أين شركائى) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائى و يجوز حذف المفعولين فى باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أى الشياطين أو أئمة الكفر و معنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين أغوينا) أى دعوناهم الى الشرك وسولنا لهم الغى صفة والراجع الى الموصول محذوف والخبر (أغويناهم) والكاف فى (كما غوينا) صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ماغوينا يعنون انا لم نغوالا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلافرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان فى مقابلته دعاء الله لهم [illegible] الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل ومابعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا أنفسكم

وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود ﴿فهو لاقيه﴾ مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية ﴿كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا﴾ الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وقالون فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الواو تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ﴿ويوم يناديهم﴾ عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر ﴿فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ﴿ربنا هؤلاء الذين اغوينا﴾ اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ﴿اغويناهم كما غوينا﴾ اى اغويناهم

الجنة ﴿فهو لاقيه﴾ أى مصيبه وصائر اليه ﴿كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا﴾ أى وتزول عنه عن قريب ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ أى فى النار قيل هذا فى المؤمن والكافر وقيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وقيل فى على وحمزة وأبى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ❊ قوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ أى فى الدنيا انهم شركائى ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ أى وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أى دعوناهم الى الغى وهم الاتباع ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ أى أضللناهم كما ضللنا

محمد عليه السلام وأصحابه ويقال هو عثمان بن عفان (فهو لاقيه) معاينه فى الآخرة (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) أعطيناه المال والخدم فى الدنيا يعنى أباجهل بن هشام (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من المعذبين فى النار (ويوم) وهو يوم الساعة (يناديهم) الله يعنى أباجهل وأصحابه (فيقول) الله عز وجل (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) تعبدون وتقولون انهم شركائى (قال الذين حق عليهم) وجب عليهم (القول) بالسخط والعذاب وهم الرؤساء (ربنا) ياربنا (هؤلاء) السفلة (الذين أغوينا) أضللنا (أغويناهم) أضللناهم عن الحق والهدى (كما غوينا) ضللنا عن الحق والهدى

(تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر (ما كانوا ايانا يعبدون) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أي الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف أي لما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الذين أرسلوا اليكم حكى أولا مايوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم مايقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم

اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم ثم مايشبه الشماتة بهم لاستغاثتهم آلهتهم و عجزهم عن نصرتهم ثم مايبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم الانباء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الاخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بما ذا يجيبون اذ لم يكن عندهم جواب (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون في العجز عن الجواب (فامامن تاب) من الشرك (وآمن) بربه وبما جاء من عنده

فغووا غيا مثل ماغوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الاوسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل مااتصل به فأفاده زيادة على الصفة وهو وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم ﴿ تبرأنا اليك ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ﴿ ما كانوا ايانا يعبدون ﴾ اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل مامصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا ﴿ وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم ﴾ من فرط الحيرة ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ لعجزهم عن الاجابة والنصرة ﴿ ورأوا العذاب ﴾ لازبالهم ﴿ لو انهم كانوا يهتدون ﴾ لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى اى تمنوا انهم كانوا مهتدين ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ﴾ عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء ﴿ فعميت عليهم الانباء يومئذ ﴾ فسارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان مايحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ماأجابوا به الرسل اوما يعمها واذا كانت الرسل يتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء ﴿ فهم لا يتساءلون ﴾ لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله ﴿ فاما من تاب ﴾ من الشرك ﴿ وآمن

﴿ تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ﴾ معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء ﴿ وقيل ﴾ يعني للكفار ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ أي الاصنام لتخلصكم من العذاب ﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ أي لم يجيبوهم ﴿ ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ معناه لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا مارأوا العذاب في الآخرة ﴿ ويوم يناديهم ﴾ أي يسأل الكفار ﴿ فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ أي ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين ﴿ فعميت عليهم ﴾ أي خفيت واشتبهت عليهم ﴿ الانباء ﴾ يعني الاخبار والاعذار والحجج ﴿ يومئذ ﴾ فلم يكن لهم عذر ولا حجة ﴿ فهم لا يتساءلون ﴾ أي لايجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا ﴿ فاما من تاب وآمن

(تبرأنا اليك) منهم (ما كانوا ايانا يعبدون) بامرنا (وقيل ادعوا شركاءكم) آلهتكم حتى يمنعوكم من عذاب الله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم برفع عذاب الله عنهم (ورأوا العذاب) القادة و السفلة لو انهم كانوا (قا و خا ٧٣ يع) يهتدون) تمنوا لو أنهم كانوا في الدنيا على الحق والهدى (ويوم) وهو يوم القيامة (يناديهم) الكفار (فيقول) الله لهم (ماذا أجبتم المرسلين) بما دعوكم (فعميت) فالتبست (عليهم الانباء) الاخبار والاجابة (يومئذ) يوم القيامة (فهم لا يتساءلون) لايجيبون (فامامن تاب) من الكفر (وآمن) بالله

(وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين) اى فعسى ان يفلح عندالله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب للكافرين على الايمان ونزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى نفسه أو أبا مسعود (وربك يخلق مايشاء) وفيه دلالة خلق الافعال ويوقف على (ويختار) أى وربك يخلق مايشاء وربك يختار مايشاء (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم ان يختاروا على الله شيأ ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف فى ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذ المعنى ان الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة فى افعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى

ويختار الذى لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل ما لنفى اختيار الخلق تقرير لاختيار الحق ومن قال و معناه ويختار للعباد ماهو خير لهم وأصلح فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير و بمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أى الله برئ من اشراكهم وهو منزه عن أن يكون لاحد عليه اختيار (وربك يعلم ماتكن) تضمر (صدورهم) من عداوة رسول صلى الله عليه وسلم وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره فى النبوة (وهوالله) وهو المستأثر بالالهية المختص بها (لااله الاهو) تقرير لذلك كقولك القبلة الكعبة لاقبلة الاهى (له الحمد فى الاولى) الدنيا (والآخرة) هو قولهم الحمدلله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على (فى)

وعمل صالحا ﴾ وجمع بين الايمان والعمل الصالح ﴿ فعسى ان يكون من المفلحين ﴾ عندالله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ﴾ لا موجب عليه ولامانع له ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لااختيار لهم فيها وقيل المراد به انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ماروى انه نزل فى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ماموصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح ﴿ سبحان الله ﴾ تنزيها له ان ينازعه أحد او يزاحم اختياره ﴿ وتعالى عما يشركون ﴾ عن اشراكهم او مشاركة مايشركونه به ﴿ وربك يعلم ماتكن صدورهم ﴾ كعداوة رسول الله وحقده ﴿ وما يعلنون ﴾ كالطعن فيه ﴿ وهوالله ﴾ المستحق للعبادة ﴿ لااله الاهو ﴾ لااحد يستحقها الاهو ﴿ له الحمد فى الاولى والآخرة ﴾ لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا

وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ أى من السعداء الناجين وعسى من الله واجب * وقوله تعالى ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ﴾ نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفى أخبر الله تعالى انه لايبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما يشاء لااعتراض عليه البتة ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ أى ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه * ثم نزه الله تعالى نفسه فقال ﴿ سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ماتكن ﴾ أى تخفى ﴿ صدورهم ومايعلنون ﴾ أى يظهرون ﴿ وهو الله لااله الاهو له الحمد فى الاولى والآخرة ﴾ أى يحمده أولياؤه فى الدنيا ويحمدونه

(وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (فعسى) وعسى من الله واجب (أن يكون من المفلحين) من الناجين من السخط والعذاب (وربك يخلق مايشاء) كما يشاء (ويختار) من خلقه بالنبوة من يشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما كان لهم) لاهل مكة (الخيرة) الاختيار (سبحان الله) نزه نفسه (وتعالى) تبرأ (عما يشركون) به من الاوثان (وربك يعلم ماتكن صدورهم) ماتضمر قلوبهم من البغض والعداوة (ومايعلنون) مايظهرون من المعاصى (وهو الله لااله الاهو) لاولد له ولاشريك له (له الحمد) له الشكر (فى الاولى والآخرة) على أهل الارض والسماء ويقال له الحمد والمنة والفضل والاحسان فى الاولى والآخرة على أهل الدنيا

وجه اللذة لا الكلفة (وله الحكم) القضاء بين عباده (واليه ترجعون) بالبعث والنشور وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أريتم محذوف الهمزة على (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) هو مفعول ثان لجعل أى دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل (الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) والمعنى أخبرونى من يقدر على هذا (قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمه قرن بالضياء أفلا تسمعون لان السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أى لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله فى النهار فيكون من باب اللف

الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده ﴿ وله الحكم ﴾ القضاء النافذ فى كل شئ ﴿ واليه ترجعون ﴾ بالنشور ﴿ قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا ﴾ دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص ﴿ الى يوم القيمة ﴾ باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها فوق الافق الغائر ﴿ من اله غير الله يأتيكم بضياء ﴾ كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين ﴿ أفلا تسمعون ﴾ سماع تدبر واستبصار ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة ﴾ باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق ﴿ من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ﴾ استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل ﴿ أفلا تبصرون ﴾ لان استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ﴾ فى الليل ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ فى النهار بانواع المكاسب

فى الآخرة فى الجنة ﴿ وله الحكم ﴾ أى فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة ﴿ واليه ترجعون ﴾ * قوله عزوجل ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لاهل مكة ﴿ أرأيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان جعل الله عليكم الليل سرمدا ﴾ أى دائما ﴿ الى يوم القيمة ﴾ لا نهار فيه ﴿ من اله غير الله يأتيكم بضياء ﴾ أى بنهار تطلبون فيه المعيشة ﴿ أفلا تسمعون ﴾ أى سماع فهم وقبول ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة ﴾ أى لا ليل فيه ﴿ من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ أى ما أنتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء فى حال الدنيا وفى حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولاجله يحصل الاجتماع فتمكن المعاملات ومعلوم ان ذلك لا يتم الا بالراحة والسكون بالليل فلابد منهما واما فى الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فبين الله تعالى انه القادر على ذلك ليس غيره فقال ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار ﴾ أى يتعاقبان بالظلمة والضياء ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ أى فى الليل ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾

والآخرة (وله الحكم) القضاء بينهم (واليه ترجعون) بعد الموت (قل) لهم يا محمد لاهل مكة (أرأيتم) ما تقولون يا معشر الكفار (ان جعل الله عليكم الليل) ان ترك الله عليكم الليل مظلما (سرمدا) دائما (الى يوم القيمة) لا نهار فيه (من اله غير الله) سوى الله (يأتيكم بضياء) نهار (أفلا تسمعون) أفلا تطيعون من جعل لكم الليل والنهار (قل) لهم يا محمد أيضا (أرأيتم) ما تقولون (ان جعل الله عليكم) ان ترك الله عليكم (النهار سرمدا) دائما (الى يوم القيمة) لا ليل فيه (من اله غير الله) سوى الله (يأتيكم بليل تسكنون فيه) تستقرون فيه (أفلا تبصرون) أفلا تصدقون من جعل خلق لكم الليل والنهار (ومن رحمته) نعمته (جعل لكم) خلق لكم (الليل والنهار لتسكنوا فيه) لتستقروا فى الليل (ولتبتغوا من فضله) لكى تطلبوا بالنهار

والنشر (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليؤذن ان لاشئ أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لاشئ أدخل في مرضاته من توحيده (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعني نبيهم لان الانبياء للامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلموا) حينئذ (ان الحق لله) التوحيد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من الوهية غير الله والشفاعة لهم (ان قارون) لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشئ لانصرف (كان من قوم موسى) كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون ابن يصهر بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبغى عليهم) من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم أو من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أو زاد عليهم في الثياب شبرا (وآتيناه

فضله بالعلم والعبادة (ولعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته عليكم بالليل والنهار (ويوم) وهو يوم القيامة (يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) تقولون انهم شركائي (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد عليهم بالبلاغ وهو (من) نبيهم الذي كان فيهم في الدنيا (فقلنا هاتوا برهانكم) حجتكم لما ذا رددتم على الرسل (فعلموا) علم كل أمة (أن الحق لله) ان عبادة الله ودين الله الحق وان القضاء فيهم لله (وضل عنهم) اشتغل عنهم بانفسهم (ما كانوا يفترون) يعبدون بالكذب (ان قارون كان من قوم موسى) ابن عم موسى (فبغى عليهم) فتطاول على موسى وهارون وقومهما فقال لموسى الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شئ لا أرضى بهذا ورد على موسى نبوته (وآتيناه) أعطيناه

﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لاشئ اجلب لغضب الله من الاشراك به والاول لتقرير فساد آرائهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي وهوى ﴿ونزعنا﴾ واخرجنا ﴿من كل امة شهيدا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فقلنا﴾ للامم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدينون به ﴿فعلموا﴾ حينئذ ﴿ان الحق لله﴾ في الالهية لا يشاركه فيها احد ﴿وضل عنهم﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الباطل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به ﴿فبغى عليهم﴾ فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره اوتكبر عليهم اوظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل اوحسدهم لحالته لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ الى متى اصبر ﴿وآتيناه

أي بالنهار ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي نعم الله فيهما ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ﴿ونزعنا﴾ أي أخرجنا وقيل ميزنا ﴿من كل أمة شهيدا﴾ يعني رسولهم يشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم ﴿فقلنا﴾ أي للامم المكذبة لرسلهم ﴿هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم بان معي شريكا ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أي التوحيد لله ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي يختلقون في الدنيا من الكذب على الله * قوله عز وجل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري ﴿فبغى عليهم﴾ قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثيابه خيلاء أخرجاه في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو ﴿وآتيناه

من الكنوز ما ان مفاتحه) ما بمعنى الذى فى موضع نصب بآتينا وان واسمها وخبرها صلة الذى ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به أو مفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب انها المقاليد (لتنوء بالعصبة) لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على

أصبع وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة (اذ قال له قومه) أى المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل اذ نصب بتنوء (لا تفرح) لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين بالمال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى أبواب الخير (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو ان تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فان ذلك حظ

من الكنوز ﴾ من الاموال المدخرة ﴿ ما ان مفاتحه ﴾ مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح ﴿ لتنوء بالعصبة اولى القوة ﴾ خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ﴿ اذ قال له قومه ﴾ منصوب بتنوء ﴿ لا تفرح ﴾ لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال

اشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم * وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ﴿ ان الله لا يحب الفرحين ﴾ اى بزخارف الدنيا ﴿ وابتغ فيما آتاك الله ﴾ من الغنى ﴿ الدار الآخرة ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ﴿ ولا تنس ﴾ ولا تترك ترك المنسى ﴿ نصيبك من الدنيا ﴾ وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك

من الكنوز ما ان مفاتحه ﴾ جمع مفتح وهو الذى يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعنى خزائنه ﴿ لتنوء بالعصبة أولى القوة ﴾ معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا ﴿ اذ قال له قومه لا تفرح ﴾ أى لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح ﴿ ان الله لا يحب الفرحين ﴾ أى الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴾ أى اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه فى رضا الله ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ أى لا تترك ان تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة * عن عمرو بن ميمون الاودى قال قال رسول الله

من الكنوز) يعنى الاموال (ما ان مفاتحه) مفاتيح خزائنه (لتنوء بالعصبة) لتثقل بالجماعة (أولى القوة) ذوى القوة وهم أربعون رجلا يحملون مفاتيح خزائنه (اذ قال له قومه) قوم موسى (لا تفرح) لا تبطر لمال وتشمر له (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين فى المال (وابتغ) اطلب (فيما آتاك الله) بما أعطاك الله بالمال (الدار الآخرة) يعنى الجنة (ولا تنس نصيبك من الدنيا) لا تترك نصيبك من الآخرة بنصيبك من الدنيا ويقال لا تنقص نصيبك من الدنيا بما نفقت وأعطيت للآخرة

المؤمن منها (وأحسن) الى عبادالله (كما أحسن الله اليك) أوأحسن بشكرك وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولاتبغ الفساد فى الارض) بالظلم والبغى (ان الله لايحب المفسدين قال انما أوتيته) أى المال (على علم عندى) أى على استحقاق لمالى من العلم الذى فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا والعلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة لعلم قال سهل مانظر أحد الى نفسه فافلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه فى جميع الافعال والاقوال والشقى من زين فى عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولافتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا (أولم يعلم) قارون (ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوه) هو اثبات لعلمه بان الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه فى التوراة كأنه قيل أولم يعلم فى جملة ماعنده من العلم هذا حتى لايغتر بكثرة ماله وقوته أو نفى لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا (ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير (سؤالهم) حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلايسئلون أولا

﴿ وأحسن ﴾ الى عباد الله ﴿ كما أحسن الله اليك ﴾ فيما انعم عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ﴿ ولاتبغ الفساد فى الارض ﴾ بامر يكون علة للظلم والبغى ﴿ ان الله لايحب المفسدين ﴾ لسوء افعالهم ﴿ قال انما اوتيته على علم عندى ﴾ فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى صفة له اومتعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى ﴿ أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ﴾ تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ اورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه اى اعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين ﴿ ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها اومعاتبة

صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ وأحسن كما احسن الله اليك ﴾ أى أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس ﴿ ولاتبغ ﴾ أى ولاتطلب ﴿ الفساد فى الارض ﴾ وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض ﴿ ان الله لايحب المفسدين قال ﴾ يعنى قارون ﴿ انما أوتيته على علم عندى ﴾ أى على فضل وخير علمه الله عندى فرآنى أهلا لذلك ففضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف فى التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ﴾ أى للاموال ﴿ ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ قيل معناه ان الله تعالى اذا أراد عقاب المجرمين فلاحاجة به الى

(وأحسن) الى الفقراء والمساكين (كما أحسن الله اليك) بالمال (ولاتبغ الفساد فى الارض) لاتعمل بالمعاصى وخلاف أمر الرسول موسى عليه السلام (ان الله لايحب المفسدين) بالمعاصى (قال) قارون (انما أوتيته) أعطيت هذا المال الذى أعطيت (على علم عندى) على ماعلم الله انى أهل لذلك ويقال يصنع الذهب بالكيمياء (أولم يعلم) قارون (ان الله قد أهلك من قبله من القرون) الماضية (من هو أشد منه قوة) بالبدن (وأكثر جمعا) مالا ورجالا (ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون) المشركون يوم القيامة كل يعرف بسيماه

يسئلون لتعلم من جهتهم بل يسئلون سؤال توبيخ أولا يسئل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة (فخرج على قومه في زينته) في الحمرة و لصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن من الحلي والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج أي متزينا (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وانما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار

البشر وقيل كانوا كفارا (ياليت لنا مثل ما أوتي قارون) قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا الا كما يضر العضاه الخبط (انه لذو حظ عظيم) الحظ الجد وهو البخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطي قارون (ويلكم) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك مالا يرضى وفي التبيان في اعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أي الزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها) أي لا يلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير (الا الصابرون) على الطاعات

فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم ومعاقبهم عليها لامحالة ﴿ فخرج على قومه في زينته ﴾ كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه ﴿ قال الذين يريدا لحيوة الدنيا ﴾ على ماهو عادة الناس من الرغبة ﴿ ياليت لنا مثل ما اوتي قارون ﴾ تمنوا مثله لاعينه حذرا عن الحسد ﴿ انه لذو حظ عظيم ﴾ من الدنيا ﴿ وقال الذين اوتوا العلم ﴾ باحوال الآخرة للمتمنين ﴿ ويلكم ﴾ دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ﴿ ثواب الله ﴾ في الآخرة ﴿ خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ مما اوتي قارون بل من الدنيا ومافيها ﴿ ولا يلقاها ﴾ الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء اوللثواب فانه بمعنى المثوبة اوالجنة اوللايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة ﴿ الا الصابرون ﴾ على الطاعات وعن المعاصي

سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ فخرج على قومه في زينته ﴾ قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب ﴿ قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم ﴾ أي من المال ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾ أي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون ﴿ ويلكم ثواب الله ﴾ أي ماعند الله من الثواب والخير ﴿ خير لمن آمن ﴾ أي صدق بتوحيد الله ﴿ وعمل صالحا ﴾ أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا ﴿ ولا يلقاها الا الصابرون ﴾ أي لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله

(فخرج) قارون (على قومه في زينته) التي كانت له من الحلل والبغال والغلمان والجواري وحلي الذهب والفضة وألوان السلاح والثياب (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) وهم الراغبون (ياليت لنا مثل ما أوتي) أعطي (قارون) من المال (انه لذو حظ عظيم) نصيب كثير (وقال الذين أوتوا العلم) أعطوا علم الزهد والتوكل وهم الزاهدون قالوا للراغبين (ويلكم) ضيق الله عليكم الدنيا (ثواب الله خير) في الجنة أفضل (لمن آمن) بالله وبموسى (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه و بين ربه (ولا يلقاها) لا يعطى الجنة (الا الصابرون)

وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ماقسم الله من القليل عن الكثير (فخسفنا به وبداره الارض) كان قارون يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرئيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها

على أمر الله والمرازي ويقال لا يوفق للكلمة الطيبة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا الصابرون على أمر الله والمرازي (فخسفنا به) بقارون (وبداره) بمنزله (الارض) غارت به الارض

﴿فخسفنا به وبداره الارض﴾ روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاستحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه

ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا * قوله تعالى ﴿ فخسفنا به وبداره الارض ﴾

﴿ ذكر قصة قارون ﴾

قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون واقرأهم للتوراة وأجلهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى ان يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونني به اذا نظروا الى السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا تأمرهم ان يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه ياموسى ان الصغير من أمري ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تعلقوا في أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ماأمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما فعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى بني اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون وهي رآسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقربانهم الى هارون فيضعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فاتى الى موسى فقال له ياموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شئ من ذلك وأنا أقرأ التوراة لاصبر لي على هذا فقال أما أنا ماجعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لاأصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ماهذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنها دينار وعلى كل ألف درهم عنها درهم وكل ألف شاة عنها شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى

الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال ياارض خذيه فاخذته الى ركبته ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فأوحى الله اليه ما أفظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لأجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله ﴿ فما كان له من فئة ﴾ اعوان مشتقة من فأوت رأسه

بيده فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شئ فاطعتموه وهو يريد يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم ان تجيئوا فلانة البغى وتجعلوا عليكم لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنواسرائيل فرفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون أنزلك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنوا سرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بنى اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم فى مرج من الارض فقام فيهم فقال يابنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه الى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغى قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت فى نفسها أحدث توبة أفضل من ان أوذى رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لى جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه انى أمرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يابنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى ياأرض خذيهم فاخذتهم باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه فى ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى فى ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال ياأرض خذيهم فاطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة لاغثته وفى بعض الآثار لا أجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجلجل فى الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة وأصبح بنواسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله تعالى ﴿ فما كان له من فئة ﴾ أى جماعة

قام موسى فقال يابنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها بالذى فلق البحر وأنزل التوراة ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يابنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزتى لو استرحمنى مرة لرحمته فقال بعض بنى اسرائيل انما أهلكه (قا و خا ٧٤ بع) ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه (فما كان له من فئة) جماعة

(فما كان له من فئة) من جماعة وجند

(ينصرونه من دون الله) يمنعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين) من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله قال نصره من عدوه فانتصر اى منعه منه فامتنع (وأصبح) وصار (الذين تمنوا مكانه) منزلته من الدنيا (بالامس) ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وى منفصلة عن كأن عند البصريين قال سيبويه وى كلمة تنبه على الخطأ وتندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعنى ان القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ما أوتى قارون وتندموا (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا تمناه بالامس (لخسف بنا) وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى (ويكأنه لايفلح الكافرون) أى تندموا ثم قالوا كانه لايفلح الكافرون (تلك الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله (نجعلها) خبر تلك والدار نعتها (للذين لا يريدون علوا فى الارض) بغيا ابن جبير وظلما الضحاك أو كبرا (ولا فسادا) عملا بالمعاصى أو قتل النفس أو دعاء الى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن

اذا ميلته ﴿ينصرونه من دون الله﴾ فيدفعون عنه عذابه ﴿وما كان من المنتصرين﴾ الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع ﴿واصبح الذين تمنوا مكانه﴾ منزلته ﴿بالامس﴾ منذ زمان قريب ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وأن وتقديره ويك اعلم ان الله ﴿لولا ان من الله علينا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا ﴿لخسف بنا﴾ لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين ﴿ويكأنه لايفلح الكافرون﴾ لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة ﴿تلك الدار الآخرة﴾ اشارة تعظيم كأنه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر ﴿نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض﴾ غلبة وقهرا ﴿ولا فسادا﴾ ظلما على

﴿ينصرونه من دون الله﴾ أى يمنعونه من الله ﴿وما كان من المنتصرين﴾ من الممتنعين مما نزل به من الخسف ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس﴾ أى صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمنى ﴿يقولون ويكأن الله﴾ ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هى كلمة تقرير معناها أما ترى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويلك اعلم ان الله وروى ان وى مفصولة من كأن والمعنى ان القوم ندموا فقالوا متندمين على ما سلف منهم وى وكأن معناها أظن وأقدر ان الله ﴿يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ قال ابن عباس أى يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء ﴿لولا أن من الله علينا﴾ أى بالايمان ﴿لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون﴾ قوله عز وجل ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض﴾ أى استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذى سلطان وعن على أنها نزلت فى أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة ﴿ولا فسادا﴾ قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير

(ينصرونه) يمنعونه (من دون الله) من عذاب الله حين نزل به (وما كان من المنتصرين) الممتنعين بنفسه من عذاب الله (وأصبح) صار (الذين تمنوا مكانه) قدره {حق} ومنزلته وماله (بالامس يقولون) بعضهم لبعض (ويكأن الله) ليس كما قال قارون انما هذا المال بصنعى ولكن الله (يبسط) يوسع (الرزق) المال (لمن يشاء) على من يشاء (من عباده) وهو مكر منه كما كان لقارون (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (لولا أن من الله علينا) فمنع عنا ما أعطاه (لخسف بنا) غارت بنا الارض كما خسف بقارون (ويكأنه) وانه والياء والكاف صلة فى الكلام (لايفلح) لا ينجو ولا يأمن (الكافرون) من عذاب الله (تلك الدار الآخرة) الجنة (نجعلها) نعطيها (للذين لا يريدون علوا) عتوا وتكبرا (فى الارض) بالمال (ولا فسادا)

على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون أشراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبدالعزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله ان فرعون علا فى الارض ولاتبغ الفساد فى الارض (والعاقبة) المحمود (للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها) مر فى النمل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيآت موضع الضمير لان فى اسناد عمل السيئة اليهم مكرر افضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الاما كانوا يعملون) الامثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لايجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة (ان الذى فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أى معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد رده اليها يوم الفتح لانها كانت فى ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولد آبائه ولما وعد رسوله الرد الى معاده قال (قل) للمشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وماله من الثواب فى معاده

الناس كما اراد فرعون وقارون ﴿ والعاقبة ﴾ المحمودة ﴿ للمتقين ﴾ مالا يرضاه الله ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ ذاتا وقدرا ووصفا ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم ﴿ الاما كانوا يعملون ﴾ اى الامثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة ﴿ ان الذى فرض عليك القرآن ﴾ اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ﴿ لرادك الى معاد ﴾ اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على انه من العادة ورده اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بان العاقبة للمتقين وا كد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت ﴿ قل ربى اعلم من جاء بالهدى ﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم

حق وقيل العمل بالمعاصى ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ أى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء أوامره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت الاما كانوا يعملون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ قوله تعالى ﴿ ان الذى فرض عليك القرآن ﴾ أى أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن ﴿ لرادك الى معاد ﴾ قال ابن عباس الى مكة أخرجه البخارى عنه قال القتيبى معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع الى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فأتاه جبريل عليه السلام وقال له أتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة ﴿ قل ربى أعلم من جاء بالهدى ﴾ هذا

بالنقش والتصاوير والمعاصى (والعاقبة) الجنة (للمتقين) الكفر والشرك والعلو والفساد فى الارض (من جاء بالحسنة) بلا اله الا الله مخلصا بها (فله خير منها) فله منها خير (ومن جاء بالسيئة) بالشرك بالله (فلا يجزى الذين عملوا السيآت) فى الشرك بالله (الاما كانوا يعملون) النار (ان الذين فرض عليك القرآن) نزل عليك جبريل بالقرآن (لرادك الى معاد) الى مكة ويقال الجنة (قل) يامحمد (ربى أعلم من جاء بالهدى) بالتوحيد والقرآن

(ومن هوفى ضلال مبين) يعنى المشركين ومايستحقونه من العذاب فى معادهم من فى محل نصب بفعل مضمر أى يعلم (وما كنت ترجو أن يلقى) يوحى (اليك الكتاب) القرآن (الارحمة من ربك) هو محمول على المعنى أى وما ألقى اليك الكتاب الارحمة من ربك أو الاعمنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك الكتاب (فلاتكونن ظهيرا

للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أى لايمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بعد اذ أنزلت اليك) الآيات أى بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولان العصمة لاتمنع النهى والوقف على آخر لازم لانه لو وصل لصار (لااله الاهو) صفة لالها آخر وفيه من الفساد مافيه (كل شئ هالك

﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ ومااستحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله ﴿وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب﴾ اى سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه ﴿الارحمة من ربك﴾ ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما القى اليك الكتاب الارحمة اى لاجل الترحم ﴿فلاتكونن ظهيرا للكافرين﴾ بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ﴿ولايصدنك عن آيات الله﴾ عن قراءتها والعمل بها ﴿بعد اذ أنزلت اليك﴾ وقرئ يصدنك من أصد ﴿وادع الى ربك﴾ الى عبادته وتوحيده ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم ﴿ولاتدع مع الله الها آخر﴾ هذا وماقبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم ﴿لااله الاهو كل شئ هالك

جواب الكفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك لفى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه ﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين * قوله عزوجل ﴿وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب﴾ أى يوحى اليك القرآن ﴿الارحمة من ربك﴾ واعطاء القرآن ﴿فلاتكونن ظهيرا﴾ أى معينا ﴿للكافرين﴾ على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ماهم عليه ﴿ولايصدنك عن آيات الله﴾ يعنى القرآن ﴿بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك﴾ الى معرفته وتوحيده ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم ﴿ولاتدع مع الله الها آخر﴾ معناه واجب على الكل الا أنه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهى قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لاتتخذ غيره وكيلا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره ﴿لااله الاهو كل شئ هالك﴾

(ومن هو فى ضلال مبين) فى كفر بين وخطأ بين (وما كنت) يامحمد (ترجو ان يلقى اليك الكتاب) أن ينزل عليك جبريل بالقرآن وتكون نبيا (الارحمة من ربك) ولكن منة وكرامة من ربك اذ أرسل عليك (أى) جبريل بالقرآن وجعلك نبيا (فلاتكونن ظهيرا) عونا (للكافرين) بالكفر (ولايصدنك) لايصرفنك (عن آيات الله) القرآن (بعد اذ أنزلت اليك) جبريل بها (وادع الى ربك) الى توحيد ربك وكتاب ربك (ولاتكونن من المشركين) مع المشركين على دينهم (ولاتدع مع الله الها آخر) لاتعبد من دون الله أحدا ولاتدع الخلق الى أحد دون الله (لااله الاهو) وحده لاشريك له (كل شئ) كل عمل لغير وجه الله (هالك) مردود

الاوجهه ﴾ الاذاته فان ماعداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم ﴿ له الحكم ﴾ القضاء النافذ فى الخلق ﴿ واليه ترجعون ﴾ للجزاء بالحق * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر
بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق
ملك فى السموات والارض الاشهد له
يوم القيامة انه كان
صادقا

أى فان ﴿ الاوجهه ﴾ أى الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الاما أريد به وجهه لان عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك ﴿ له الحكم ﴾
أى فصل القضاء بين الحق ﴿ واليه ترجعون ﴾
أى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم
والله أعلم بمراده

الاوجهه) أى الا اياه فالوجه معبر به عن الذات وقال مجاهد يعنى علم العلماء اذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء فى خلقه (واليه ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم

(الاوجهه) الاما ابتغى به وجهه ويقال كل وجه متغير الا وجهه وكل ملك زائل الا ملكه (له الحكم) القضاء بين خلقه (واليه ترجعون) بعد الموت فيجازيكم باعمالكم